

معاهد التنصيص

على شواهد التلخيص

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي

المتوفى فى عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه

محمد محيي الدين عبد الحميد

مفتش العلوم الدينية والعربية

بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

الجزء الأول

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط ، وبإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها

مصطفى محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى إليه مصاير الخلق وعواقب الأمور ، وصلاته وسلامه على أمين وَحْيه ، وخاتم رُسله ، و بشير رحمته ، ونذير نقمته ، سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله أشرف خلق الله وأ كرمهم عليـه ، وعلى آله وصحبه الذين أقاموا عماد الدين من بعده .

اللهم إنى أحمدك على عظيم إحسانك إلى ، وأشكرك على نوامى فضلك على ، حمداً يكون لحق نعمتك قضاء ، و إلى ثوابك مدنيا ، و إلى حسن مزيدك مؤديا ، وأستعين بك استعانة راج لفضلك ، مؤمل لطولك ، واثق بما عندك ، زاهد فيما عند خلقك ، صنع امرىء أناب إليك مؤمناً ، وخنع لك مذعنا ، وأخلص لك موحداً ، ولاذ بحياطتك راغبا ، فلا تصـدنى عن بابك وأنت ذو العز الذى لا يشارك ، والفضل الذى لا تتعاوره زيادة ولا نقصان .

ثم أما بعد ، فقد رويت عن العدد العديد من مشايخنا و إخواننا الذين سبقونا فى طلب العلم أن كتاب « معاهد التنصيص ، على شرح شواهد التلخيص » كان من سمَّار الأستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية الأسبق و باعث النهضة العلمية والأدبية فى مصر و بلاد العروبة فى مطلع العصر الحاضر ، وأنه كان كثير القراءة فيه والمعاودة له ، وكان — رحمه الله — إذا أراد أن يختبر بعض ممن يتقدمون إليه لبث شكاية أو رجاء شفاعة أو طلب نوال قدم إليه هذا الـكتاب وأمره أن يُسْمعه قطعة منه ثم أمره أن يبين ما قرأ ، فان أجاد القراءة والفهم والابانة تَوَسَّم فيه الخير وقضى حاجته ، و إن قصر دفعـه عن ملتمسه ولم يره أهلا لبره ومعونته .

ولست أدرى أ كانت هذه القصـة سببا فى حبى هذا الـكتابَ وحرصى

الشديد على أن أحققه وأخرجه لقراء العربية بريئا مما أصابه من تشويه وتحريف واضطراب ، أم أن هناك باعثا آخر لا أعرف مأتاه ولا أتحقق مصدره ، فانى عندما ندبتنى إدارة الجامع الأزهر للاشتراك فى إنشاء مدرسة عليا للحقوق فى الخرطوم اصطحبت هذا الكتاب فيما اصطحبته من أسفار الثقافة العربية ، واتخذته سميرا لا يمل ، وعلى ما جرت به عادتى فى المطالعة كنت أراجع نصوصه على أصولها ، ولم أترك هذه المراجعات تضيع سدى ، بل كنت أكتب على حواشى النسخة كثيراً من التصويبات بعضها مما سنح لخاطرى وأكثرها مما عثرت عليه فى هذه المراجعات .

ثم لما عدت إلى القاهرة فى أواخر الحرب الضروس التى أتت على الأخضر واليابس من مظاهر المدنية الغربية رأيت أن أتم مراجعة هذا الكتاب بعرضه على ما يوجد من النسخ الخطية منه ، وتيسر لى أن أعرضه على مخطوطتين محفوظتين فى دار الكتب الأزهرية عرضا تاما ، وقد وجدت فيهما من الفائدة ما سترى أثره جليا فى ثنايا الكتاب .

وعرضت ما فى الكتاب من النصوص شعرها ونثرها على أصولها من الدواوين ومجاميع الشعر وأمهات كتب الأدب ، وعرضت ما فيه من التراجم على مصادرها الأولى كالأغانى ووفيات الأعيان ويتيمة الدهر وفوات الوفيات ودمية القصر ، وتيسر لى أن أدل على المكان الذى صدر عنه صاحب الكتاب وبينت فى حواشى هذه المطبوعة أكثر ما كان فى أصول الكتاب من التحريف والموضع الذى أخذت عنه ما أخذت من التصحيح ، ولم أغير كلمة من الكتاب إلا بثلاثة شروط : أولها ألا يكون لما ورد فى الكتاب وجه صحيح ، وثانيها أن يكون من الظاهر أن العبارة الصحيحة تصحفت قراءتها على ناسخ الكتاب أو ناشره ، وثالثها أن يتأكد عندى أن المؤلف نقل هذا الكلام عن الأصل الذى أراجعه ، فان اختل شرط من هذه الشروط الثلاثة تركت العبارة على حالها

وبينت فى الحاشية أن هذه العبارة وردت فى الكتاب الفلانى على الوجه الفلانى

وشرحت فى بعض الأحيان ما أظن أن متوسطى القراء فى حاجة إلى شرحه، وأشرت أحيانا إلى بعض المراجع التى يمكن للقارىء أن يرجع إليها ليزداد توسعا فى الموضوع الذى عرض له المؤلف .

ولم تأخذنى العزة بالإثم أن أذكر فى صراحة أن نصًّا من نصوص الكتاب قد التوى أمره على فلم أتبين فيه وجها صحيحا، وفى هذه الحال أترك النص على حاله الذى ورد عليه، وذلك قليل جدا لم يبلغ عدد أصابع اليدين، ولله الحمد والمنة .

وأنا معتزم — إن شاء الله — أن أضع للكتاب فهارس هجائية تظهر مع الجزء الرابع منه، والله ولى التوفيق .

وقبل أن أنتهى من هذه الكلمة أحب أن أذكر بالثناء رجلين كان لهما فضل كبير فى ظهور الكتاب على الوجه الذى تراه : أحدهما الحاج مصطفى بن محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى، فانه ما علم بقيامى بهذا العمل حتى بادر إلى الانفاق على طبعه وتخير له أجود أنواع الورق فى هذه الضائقة التى أخذت على المؤلفات النافعة سبيلها ، وثانيهما الشاب النابه على محمد إسماعيل مدير مطبعة السعادة ومعاونوه الذين سمت بهم رغبتهم فى تجويد العمل و إتقانه إلى أن يجددوا جميع أدوات الطباعة التى استعملت فى هذا الكتاب، ثم كان لهم من الفضل فى الاسراع بانجاز الكتاب مالا نستطيع أن نذكره إلا بالخير، وفقهما الله إلى صالح العمل، وجعلهما من الذين يصدق عليهم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » ! ! .

رب وفقنى إلى ما فيه رضاك، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك، يا أرحم الراحمين .

كتبه : المعتز بالله تعالى وحده

أبو أحمد

محمد محيي الدين عبد الحميد

التعريف بمؤلف معاهد التنصيص

قال الشهاب الخفاجي فى كتابه « ريحانة الألبا ، وزينة الحياة الدنيا » ما نصه :

السيد عبد الرحيم العباسى — أنا وإن لم أرَهْ ، فهو لقُرْب العهد سمعتُ خبره . حسيبٌ طرّزكم المجد ، وأعاد برقة شمائله نسمات نجد . أنجبتهُ أمُّ الفضل كريمَ الحسب سعيداً ، فأبى أن يكون على الفضائل إلا مأموناً ورشيداً . وله رايات فضل عليّة ، تعممت الأقلام بسواد أنقاسها العباسية ، وكتائبُ ثناء تعطرت الكتب بنفحاته القدسية . طفح سكرا بشمولها فمُ الكأس ، وابتسم فرحاً بها كل زمان عباس :

وإذا أردتَ مَديح قوم لم تمنْ   فى مَدْحهمْ فامدح بنى العباس

فنسبه ناهيك به من نسب ، وعَرْف معارفه إذا رآه الروض نادى عليه : أصبح الورد عجب :

ابن عم النبي واللابس الفخـــرين من نوره ومن برهانه

ولما ارتحل إلى الروم وبها بقية من الأعيان ، أجلّه علماؤها لما رأوه به من نوادر الزمان . وكان المولى عبد الباقى عَيْبة لطفه ، وظرفاً ترشح منه رشحات ظرفه . فانه ممن قدّ من برد الشمال شماله ، وارتضعت أخلاف المزن مع طفل النور خلاله . يقطر منه ماء البراعة ، وتثمر بمآثره أغصان البراعة . وله تآليف وآثار سطورها سيح ، إذا رأتها سبحت الأقلام ، وكبرت عجباً بها ألسنة الخاص والعام ، إذا قدم معناها على الأسماع برزت لاستقباله طلائع الأفهام . وتسجد الأبصار لرُوائه ، وتخضع الرقاب لزهوه وحسن بهائه . ولم أر من آثاره غير معاهد التنصيص فى شرح شواهد التلخيص ، وسمعت أن له شرحاً على البخارى

ورأيت له شعراً وإنشاء ومدائح فى المولى المحقق سعدى ، فمما رويناه من شعره قوله :

أرعشنى الدهرُ أىَّ رعشٍ　　وكنتُ ذا قوة وبطش
قدكنتُ أمشى ولستُ أعيا　　فصرت أعيا ولستُ أمشى

وقوله أيضاً :

مالى أرَى أحبابنا فى الناس　　صاروا كمثل حبَابنا فى الكاس
بينا يروقك عند أول نظره　　كاللؤلؤ المتناسق الأجناس
فاذا أعدت الطرف فيهم لم تجد　　شيئاً ، وصار رجاؤهم كالياس

وقوله أيضاً :

من يبغ بالفضل معاشاً يمتْ　　جوعاً ، وإن كان بديعَ الزمان
تبغى الحجى ثم تروم الغنى　　يا قلَّما تجتمع الضَّرتان

وَله أيضاً :

ألؤلؤ نظمُ هذا الثغر أم حبَبُ　　وقرقفٌ طعمُ ذاك الريق أم ضَرَبُ
وما أراهُ بصحنِ الخدّ وردها　　أم وجنةٌ بدم العشاق تختضبُ

وله أيضاً :

لستُ عن وُدّ صديقى سائلا　　غير وُدّى فهوَ يدرى وُدّهُ
فكما أعلمُ ما عندى لهُ　　فكذا أعلمُ مالى عندهُ

وله أيضاً :

لو كانَ ذا الكاشح فى بلدتى　　لم يستطعْ يُومِضُنى ومضاً
وكنتُ فى العز سماء له　　وكان لى من ذُله أرضا

وله أيضاً :

يعقد النقعُ فوقها سحباً كالليــــل فيه السيوف أضحت نجوماً
ومتى ما رأت سواد شياطيــــنِ بغاةِ الحرُوب عادت رجوماً

وله أيضاً :

رأيتُ لئيمَ قوم فى ممرّ   وبين لديه أشخاص لئامُ
فسلّم من جهالته ابتداء   فقلت له: متى كَسَدَ السلامُ ؟

وله أيضاً :

حالُ المقلّ ناطقٌ   عمّا خفى من عيبه
فإن رأيتَ عارياً   فلا تسلْ عن ثوْبه

وهذا كقول الحريرى :

فكلْ ما حلا حين تؤتى به   ولاَ تسألِ الشهدَ عن نحله

وقول الآخر :

كُلِ البقْلَ من حيثُ تؤتى به   ولاَ تسألنَّ عن المَبْقَلَهْ

وأمثاله كثيرة كما بيناها فى غير هذا الكتاب .

وله أيضاً :

إذا ما كنتَ فى قوم غريباً   فعَاملهمْ بفعل يُستَطابُ
ولا تحزن إذا فَاهُوا بفُحش   غريبُ الدارتنبحهُ الكلابُ

وهذا إشارة إلى ماجرت به العادة من نبح الكلاب على من لم تعرف، وكذلك أيضاً تنبح على الفقراء . وفى أنس الحكمة « الكلاب ينبح على الفقير دون الغنى ، لأنه من جنسه ، ولأنه يرجو منه المواساة ، بخلاف الفقير ، ولذا قال الشاعر :

حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة   ذلّتْ لديه وحركت أذنابها

وإذا رأت يوما فقيراً مُعْدِماً هرت عليه وكشرت أنيابها

وقوله أيضاً :

أرى الدهر يكرم جهّاله وأعظم قدراً به الجاهلُ
وأنظر حظى به ناقصا أيحسبنى أننى فاضل

ولما سمعه البدر الغزى أجابه بقوله :

أعَبْدَ الرحيم سَليلَ العلا ويا فاضلا دونه الفاضل
أتعتب دهراً غدا موقنا بأنك فى أهله الفاضل

وقرأت فى ديوان الزمخشرى :

فلا ترضَ يا صدر الكفاة بأن ترى أعاليَ قوم ألحقوا بالأسافل
وإلا فوقِّع للزمان فانه غلامك يجعلنى كبعض الأراذل

وللدبامى البغدادى :

إنى رأيت الدهر فى صَرْفه يمنح حظ العاقل الجاهلا
لما رآنى نائلا ثروة أظنه يحسبنى عاقلا

ولمجير الدين بن تميم :

الدهر عندى لا مَحالةَ أحْوَلُ فاسأل به من كان طبًّا عاقلا
يرنو ليلحظ فاضلا فيرده حَوَلٌ بعينيه فيلحظ جاهلا

وللباخرزى :

كيف لا يمسك عنى برقه بعدما أمسك عنى بوله
ساءنى الدهر لأنى عاقل ليت أنى مثل غيرى أبْلَهُ

وأجاد القائل :

ومالى لدى دهرى ذنوبٌ أُعِدُّها سوى تهمة الأعداء لى بالفضائل
وأنيَ منه تبت توبة نادم مقراً بأنى اليوم أجهل جاهل

وفى معناه قول المنجنيق :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل العقل مفتاح العلوم ، ومُدرِك معانى المنطوق والمفهوم ، ومنشأ بيان المحقَّق والموهوم ، ومظهر بديع المنثور والمنظوم .

أحمَده حمدَ مَنْ بجزيل نعمه اعترف ، وأشكره شكر مَنْ وَرد مناهل فضله واغْترَف . وأشهد أنه الربُّ الرحمن ، الذى خلق الإنسان وعلّمه البيان . وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبدُه ورسوله ، وحبيبه وخليله ، الذى تَلخَّص الدينُ بإرشاده أحسنَ تلخيص ، وتخلص متَّبع هديه من الجحيم أعظم تخليص . فكانت بَعثته مفتاح باب الخيرات ، والطريقَ الموصل إلى منهج المبرّات . صلى الله وسلم عليه وعلى آله الكرام ، وصحبه الأئمة الأعلام ، ما أغرب مبتدئ ببديع النظام ، وأعجب مُنْته بحسن الختام ! !

خطبة المؤلف

و بعد ، فإن الفقير الحقير ، المعترفَ بالعجز والتقصير ، نظر الله إليه بعين العفو والغُفران ! ورضى عنه أتمّ الرضوان ! لمّا كان متحلياً بحلية العلماء ، مستشعراً شعار الفضلاء ، و بُردُ الشبيبة قَشيب(1) وغُصن الصِّبا رطيب ، ومَرْبع الأمانى خصيب(2) والسعادة تَلحظه عيونُها(3) ، وتتوارد عليه أبكارها وعُونُها(4) ، لم يزل فى خدمة العلم وتأليفه ، وترتيبه وتصنيفه ، بقدر ما يصل إليه

---

(1) البرد — بضم الباء — الثوب ، والقشيب : الجديد ، وأراد بجدة ثوب الشباب أنه فى مقتبل العمر .

(2) المربع : المنزل الذى يسكن فى زمن الربيع ، وخصيب : عمه الخصب ونماء الزرع ، وأراد أن آماله عظيمة واسعة المدى كثيرة .

(3) كأنه لحظ معنى قول الشاعر :

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان

(4) العون — بضم العين — جمع عوان — بفتح العين والواو — وهى النصف فى سنها .

علمه القاصر ، وحَسب ماينفذ فيه فهمه الفاتر ، وكان مِن جُملة ما حفظه من المتون، وعَلق بخاطره من الفنون، كتابُ تلخيص المفتاح، الذى هو فى بابه راحةُ الأرواح ، تغمد الله مؤلفه برحمته ورضوانه ! وأسكنه بَحابح(١) جِنانه ! وفيه من الشواهد الشعرية مايُعزى(٢) للأقدمين ، وما يُنسب للمولَدين ، إلا أنّ أكثرها مجهول الأنساب ، مَغفول الأحساب(٣) ، وربما عزاه بعضُ شارحى الكتاب لغير قائليه ، ونسبه إلى غير أبيه : إما لاشتباهٍ فى الأوزان ، أو تماثل فى المعان ، ولم أرَ مَنْ عمل على تلك الشواهد شرحا يشفى العليل ، أو يَروى الغليل(٤) غير أن شيخنا المرحوم العلامة الجلالَ السيوطىّ سقى الله مِن صَوْب الرحمة ثراه ، وأكرم منزله ومثواه ! عمل على بعضها تعليقاً لطيفاً لم يكمله ولم يخرج عن مسودته ، وكثيراً ما كانت نفسى تنازعنى للتصدّى لذلك ، وأقول لها : لست هنالك ، وأعللها بالمواعيد ، وهى تُقرب إلىَّ البعيد ، وتُسوِّل لى أنه أقرب إلىَّ من حبل الوريد ، فيقوى العزم ، ويستعمل الجزم ، ويُهمل الأخذُ بالحزم ، إلى أن آن أوانه ، وحان إبَّانه(٥) فشمرت عن ساعد الاجتهاد ، واستعملت الجد فى تحصيل ذلك المراد ، وسلكت فيه مَنهج الاختصار ، ومَدرج الاقتصار ، ونَصيت(٦) على أبحر تلك الشواهد العروضية ، ووضعت فى كل شاهد منها مايناسبه من نظائره الأدبية ، وذكرت ترجمة قائله إلاَّ مالم أُطلع عليه بعد

(١) بحابح : جمع بحبوحة ، وهى فى الأصل وسط الدار .

(٢) يعزى : ينسب .

(٣) كذا ، والمعروف «مغفل الأحساب» أو «غفل الأحساب» بضم الغين وسكون الفاء فى الأخيرة ، وذلك لأن الفعل الثلاثى لايتعدى بنفسه فلا يؤخذ منه اسم المفعول .

(٤) الغليل . العطش ، أو شدته .

(٥) إبان الشىء ـ بكسر الهمزة وتشديد الباء ـ وقته .

(٦) أصله نصصت ، فقلب أحد الأمثال ياء كما فى تظنيت وتقضى ، والأصل تظننت وتقضض .

التفتيش فى كتب الأدب ، والتحرّى والاستقصاء فى الطلب ، ومزجت فيه الجدّ بالهزل ، والحزْن بالسهل .

وسميته بـ « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص »

فجاء بحمد الله غريب الابتداء ، عجيبَ الاختراع ، بديعَ الترتيب ، رائع التركيب ، مفرداً فى فنّ الأدب ، كفيلا لمن تأمّله بالعجب ، وهو وإن كان من جنس الفضول الذى ربما يستمل ، أو هو بقول الحسود داخلٌ فى قسم المهمل ؛ فهو أمنية كان الخاطرُ يتمناها ، وحاجةٌ فى نفس يعقوب قضاها [1] على أنه لا يخلو من فائدة فريدة ، ونكتة عن مواطنها شريدة ، ودُرَّة مستخرجة من قاع البحور ، وشذرة [2] تُزيِّن بها قلائد النحور ، وعجائبَ تُحلّ لها الحُبَا [3] وغرائب يقول لها العقل السليم : مرحباً مرحبا ، ولئن خالط هذا القول هوى النفس ، أو ظنّ المغالاة به صادق الحدس

وصف الكتاب

فالمرء مفتونٌ بتأليفهِ | ونفسهُ فى مدْحِهِ غاويهْ
والفضلُ مِنْ ناظره أنْ يَرى | ماقد حوَى بالمقلة الراضيهْ
وإنْ يجدْ عيباً يكن ساتراً | عَوارهُ بالمنَّةِ الوافيهْ

ومن تأمله بعين الإنصاف والرّضى ، شهد بصدقِ هذا الوصف وبصحته قضى

وحين سهّل الله الوصول ثانيا إلى الممالك الرومية ، لازالت من المكاره محميه ! استوطن منها قسطنطينية العظمى ، لازالت من الله فى وقاية وحمى !

---

(١) مأخوذ من قوله تعالى : (لا حاجة فى نفس يعقوب قضاها) من الآية ٦٨ من سورة يوسف .

(٢) الشذرة : القطعة من الذهب تقع من المعدن ، أو اللؤلؤة الصغيرة .

(٣) الحبا : جمع حبوة ، وهى أن تجلس وتضع بطون قدميك على الأرض وتمسك ركبتك بثوبك أو بيدك ، ومن كلامهم « بنو فلان إذا عقدوا الحبا أطلقوا الحبا » أى أنهم إذا جلسوا هذه الجلسة أعطوا العطايا .

إذ هي محلُّ الكرم ، وموطن النعم ، ومحط الرحال ، ومُنتهى الآمال ، ومَشرق السعادة ، وأفق السيادة ، وموسم الأدباء ، وحَلبة الخطباء ، ودار الإسلام ، ومقَر العلماء الأعلام ، وتخت الملك العظيم الشأن ، ومحلُّ الدولة والسلطان ، لا زالت دارَ الإسلام والإيمان ، ومستقر الأمن والأمان ! ما تعاقب الملَوان ، بدوام حياة سلطان العالم ، وخير ملوك بني آدم ، سليمان الزمان ، وخاقان العصر والأوان ، ومفخر آل عثمان ، لا برِحت دولته مخلدة خلود الأبرار ، في دار القرار ، وسعادته مؤبدة مسلسلة الأدوار ! ما دار الفلك المدار ، بتعاقب الليل والنهار.

وكان من أعظم خبايا السعد ، وعطايا الجدّ [1] ، أن شملته العناية ، وحفته الرعاية ، بنظر فرد الدهر ، وواحد العصر ، وبِكر عُطارد ، ونادرة الفلك ، وتاريخ المجد ، وغُرة الزمان ، ويَنبوع الخير والإحسان ، العالم العلامة ، والحبر البحر الفهامة ، جامع أشتات المفاخر ، والمتفرِّد بغايات المآثر ، سيدنا ومولانا سعدى قاضي القضاة بتخت المُلك قسطنطينية العظمى ، فهو مَوْلًى تنخفض همم الأقوال عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، ويقصر جَهدُ الوصف عن أيسر فواضله ومساعيه ، حضرتُه مَطلع الجود ، ومقصِد الوفود ، وقِبلة الآمال ، ومَحط الرحال ، ومجمع الأدباء ، وحَلبة الشعراء ، ذو همة مقصورة على مجد يُشيِّده ، وإنعام يُجدِّده ، وفاضل يَصطنعه ، وخامل وضعه الدهر فيرفعه ، فاق الأقران ، وساد الأعيان ، فلا يُدانيه مُدَان ، ولو كان من بني عبد المَدان [2] ، وليس يجاريه في مضمار الجود جواد ، ولا يباريه في ارتياد السيادة مُرتاد.

---

(١) الجد ـ بفتح الجيم ـ الحظ والبخت.

(٢) لحظ في هذه الفقرة قول حسان بن ثابت [من الوافر] :

وقد كنا نقول إذا رأينا ... لذي جسم يعد وذي بيان

كأنك أيها المعطى بيانا ... وجسما من بني عبد المدان

ما كُل مَن طَلبَ المَعالى نافذاً فيها ، وَلا كلُّ الرِّجال فُحولا

لازالت آىُ مجده بألسُن الأقلام متلوَّة ، وأبكار الأفكار بمديح معاليه مجلوّة !

وحين أناخ مطايا قصده ، بأفناء سَعده ، صادف مَولى حفيًّا ، وظلا ضَفيا ومَرتعاً رحيبا ، ومربعاً خصيباً ، و بشاشة وجه تَسر القلوب ، وطَلاقة مُحياً تفرج الكروب ، وتغفر للدهر ماجناه من الذنوب ، مع مايضاف لذلك من مَنظر وسيم ، ومَخبر كريم ، وخلائق رَقت وراقت ، وطرائف علت وفاقت ، وفضائل ضَفت مَدارعها ، وشمائل صفت مشارعها ، وسودد تُثْنَى به عقود الخناصر ، وتُثْنِى عليه طيب العناصر ، فحمد من صباح قَصده السُّرى (١) ، وعلم أن كلَّ الصيد فى جوف الفَرا (٢) :

إن الكَريمَ إذا قَصدتَ جَنابه تَلقاه طَلقَ الوَجهِ رَحبَ المنزلِ

وها هو فى ظل عزه رخىّ البال ، متميز الحال ، آمن من صرفان الدهر ، وحِدثان القهر ، يَرتع فى رياض فضله ، ويَجرع من طَلّ جوده وَوبْله ، قد عجز عن الشكر لسانُه ، وكَلَّ عن رَقم الحمد بنانه ، لم يفقد من مغنى رأفته ظلالا ولم يَقل لصَيدحِ آماله انتجِعى بلالا (٣) ، و به حقق قول القائل ، من الأوائل (٤)

ولَمَّا انتجعنَا لائذينَ بظلِّهِ أعانَ وما عَنَّى ، ومَنَّ وما مَنَّا

وَرَدنَا عليهِ مُقترِينَ فَراشنَا ورُدناناَداهُ مُجدبِينَ فأخصبنَا (٥)

---

(١) مأخوذ من قولهم «عند الصباح يحمد القوم السرى» والسرى ـ بضم السين ـ السير ليلا .

(٢) هذه الجملة قالها النبي صلى الله عليه وسلم فى أبى سفيان بن حرب .

(٣) أخذه من قول ذى الرمة يمدح بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى [من الوافر] :

سمعت الناس ينتجعون غ ا فقلت لصيدح انتجعى بلالا

وصيدح : اسم ناقته .

(٤) البيتان لأبى الفرج على بن الحسين الأصفهانى صاحب الأغانى، يقولها فى الوزير المهلبى .

(٥) وردنا ـ فى أول البيت ـ فعل ماض من الورود ، والواو فيه من أصل =

وجملة ما يقوله فى العجز عن حمده وشكره ، والثناء على جوده وبره :

أما وجميل الصنع منه ، وإنها ألية بر مثلها لا يكفر
لو اسطعت حولت البرية ألسنا وكنت بها أثنى عليه وأشكر
ولست أوفى حق ذاك وإنما قياماً بحق الشكر جهدى أشمر

وكان من جملة دواعى السعد، وبواعث الجد ، أن شمل هذا التأليف نظره الشريف، حين وصل إلى حضرة مجده المنيف ، فأظهر به إعجابا رفع من مقامه ، ونصب فوق متن المجرة خوافق أعلامه ، جريا على عادته النفيسة فى جبر القلوب ، وستر العيوب ، فحين طرق السمع ، خبر استحسانه لذلك الجمع ، أحب الفقير أن يخدم حضرته العلية ، وسدته السنية ، بنسخة منه لتكون مذكرة بحال الفقير مادام فى قيد الحياة ، وسببا باعثاً على الترحم عليه بعد الممات. وعساه يكون وسيلة للانتظام فى سلكه ، وذريعة إلى الانحياز إلى ملكه ، وإلا فهو أقل من أن يشاع ذكره ، أو يشاد قصره ، وكيف يهدى الوشل (١) إلى البحر ، أو الطل إلى القطر (٢) ، غير أن هواجس الفكر وخواطر الأمل، متمسكة فى قبوله بأذيال عسى ولعل (٣)، والذى يقوى فى الظن بشيمه الزاكية ، تلقيه بالبشر ولمحه بالمقلة الراضية ، وهو يرجو أن يهب عليه نسيم قبول القلوب ، ويؤمل أن يسبل ستر العفو عما فيه من العيوب، وهاهو يرفع أكف التضرع والابتهال . إلى ذى العظمة والجلال ، أن يبلغه من ذلك أقصى غاية الآمال ، بمنه ويمنه .

= الكلمة و « ردنا » فى أول النصف الثانى من البيت من قولهم : راد الكلأ يروده ، بمعنى طلبه ، ومنه الرائد .

(١) الوشل : الماء القليل .

(٢) الطل : أضعف المطر ، والقطر : المطر المتتابع .

(٣) لعل : حرف وضع فى العربية للدلالة على الترجى ، وعسى : فعل جامد معناه الترجى أيضا ، وكأنه قد قال : متمسكة بأذيال الرجاء .

شواهد المقــدمة

شاهد التنافر

١ — * غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلَا *

قائله امرؤ القيس ، وتمامه :

* تَضِلُّ العِقَاصُ فى مُثَنًّى ومُرْسَلِ *

وهو من البحر الطويل ، من القصيدة المشهورة التى هى إحدى المعلقات السبع ، وأولها (١) :

مختار من معلقة امرىء القيس

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكرى حَبيبٍ ومَنْزِلِ ... بِسقط اللوى بَينَ الدَّخُولِ فحَوملِ
فَتُوضِحَ فالمِقراةِ لم يَعفُ رَسمها ... لِمَا نَسَجتها مِنْ جَنُوبٍ وشَمْألِ
وُقوفاً بها صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهُم ... يَقولونَ لا تَهلِكْ أسًى وتَجمَّلِ
وبَيضَةِ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤها ... تَمتعتُ مِنْ لَهوٍ بها غَيرَ مُعجَلِ
تَجاوزتُ أحْرَاساً إليها ومَعْشَراً ... عَلَىَّ حِرَاصاً لو يُسِرُّون مَقْتَلِى
إذا ما الثريا فى السماءِ تَعَرَّضَتْ ... تَعَرُّضَ أثناءِ الوِشاحِ المُفصَّلِ
فَجِئتُ وقدْ نَضَتْ لِنومٍ ثيابَها ... لَدَى السِّترِ إلاَّ لِبسَةَ المُتفضِّلِ
فقالت يَمينُ اللهِ ما لَكَ حِيلةٌ ... وما إنْ أرى عنكَ الغَوايةَ تَنجَلِى
خَرجتُ بها أمشى تَجُرُّ وراءنا ... عَلَى إثرِنا أذيالَ مِرطٍ مُرحَّلِ (٢)
فلما أجَزْنا ساحةَ الحَىِّ وانْتَحى ... بنا بَطنُ خَبتٍ ذى حِقَافٍ عَقَنْقَلِ
هَصرتُ بفَودَىْ رأسِها فتمايلتْ ... عَلَىَّ هَضيمَ الكَشحِ رَيَّا المُخلخَلِ
مُهفهفةٌ بَيضاءُ غيرُ مُفاضةٍ ... تَرائبُها مَصقولةٌ كالسَّجنجلِ
تَصُدُّ وتُبدى عَنْ أسيلٍ وتَتقى ... بناظرةٍ مِن وَحشِ وَجْرَةَ مُطفِلِ

---

(١) هذه الأبيات غير متصلة فى المعلقة ، وهى الأول والثانى ثم الخامس ثم من الثالث والعشرين إلى السادس والثلاثين على التعاقب فى رواية التبريزى.

(٢) فى نسخ المعلقات : * على أثرينا ذيل مرط مرحل *

وجيد كجيد الرِّيم لَيس بفاحش إذا هى نَصَّتْهُ ولا بمُعَطَّلِ
وفَرْع يَزِينُ المَتْنَ أسودَ فاحم أثيثٍ كقِنْوِ النَّخلة المتعثكل

و بعده البيت ، والقصيدة طويلة ، وسيأتى طرَف منها فى شواهد الإنشاء إن شاء الله تعالى

والغدائر — جمع غَديرة — : الذوائب ، والاستشزار : الرفع والارتفاع جميعاً ، والفعل منه لازم إن كسِرَت زايه ، ومتعدٍّ إن فتحت ، والعُلا : جمع عَلياء تأنيث الأعلى ، وأراد الجهات العلا ، والعِقاص : جمع عقيصة ، وهى الخصلة من الشعر تأخذها المرأة فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها ، والمثنى من الشعر وغيره : ماثُنِى ، والمرسل : ضده .

ومعنى البيت : أن حبيبته لكثرة شعرها بعضُه مرفوع و بعضه مثنى و بعضه مرسل و بعضه معقوص ملوى بين المثنى والمرسل .

والشاهد فى البيت : التنافر ، وهو لفظة « مستشزرات » لثقلها على اللسان وعُسر النطق بها .

ترجمة امرىء القيس

وامرؤ القيس (١) اسمه حندُج بن حُجْر بن عمرو المقصور (٢) ، سمى بذلك لأنه اقتُصر به على مُلك أبيه حندج (٣) والحندج فى اللغة : رَملة طيبة تُنبت ألواناً . وأمه فاطمة — وقيل تَملك (٤) — بنت ربيعة بن الحرث أخت كليب ومُهلهل ،

---

(١) لامرىء القيس ترجمة فى الأغاني (٨ - ٦٢) وفى الشعراء لابن قتيبة (٣٧) وطبقات الجمحى (١٥) .

(٢) فى الشعراء لابن قتيبة والأغانى « امرؤ القيس بن حجر بن الحارث ابن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور » وفى طبقات الجمحى « امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو ابن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة » .

(٣) كذا فى أصول هذا الكتاب ، والصواب « حجر » كما فى الشعراء لابن قتيبة والأغانى .

(٤) وقع فى الأصول « تملل » وهو خطأ تصويبه عن الأغانى (٨-٦٣ بلاق) ثم

وكنية امرئ القيس : أبو وَهب ، وأبو الحرث(١) ويلقب ذا القروح لقوله [من الطويل] .

وَبُدِّلتُ قَرحاً دامياً بعدَ صِحّةٍ لعلَّ منايانا تحوّلنَ أبؤُسا

ويلقب الذائد أيضاً لقوله [من المتقارب] :

* أذُودُ القوافىَ عنِّى ذِيادَا *

ويقال له : الملك الضِّلّيل ، ومعنى امرىء القيس رجل الشدة ، والقيس فى اللغة : الشدة ، وقيل : القيس اسم صنم ، ولهذا كان الأصمعى يكره أن يروى قوله * يَاامرأ القيسِ فانزلِ *(٢) ويرويه « يا امرأ الله فانزل » . وهو الذى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه « أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار » وقيل فى تأويله : إن المراد شعراء الجاهلية والمشركين .

وهو أول من لطف المعانىَ ، ومن استوقف على الطلول ، وشبَّه النساء بالظباء والْمَهَا والبَيْض ، وشبه الخيـل بالعقبان والعِصىّ ، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه .

وكان من حديثه أن أباه طرده لما قال الشعر ، وإنما طرده من أجل زوجته هِرّ ، وهى أم الحويرث التى كان امرؤ القيس يُشبب بها فى شعره(٣) ، وكان

إن من قال إن اسم أمه تملك لم يقل إنها أخت المهلهل ، بل قال : إنها من رهط عمرو بن معد يكرب الزبيدى ، وقد وقع فى شعر امرىء القيس ما قد يؤخذ منه أنه ابن تملك ، وذلك فى قوله [من الطويل] :

ألا هل أتاها والحوادث جمة بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

(١) ويكنى « أبا زيد » أيضاً .

(٢) هذا بعض بيت من المعلقة ، والبيت بتمامه :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا : عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

(٣) قد صرح باسم « هر » فى عدة أبيات ، منها قوله [من الطويل] :

أغادى الصبوح عند هر وفرتنا وليداً ، وهل أفنى شبابى غير هر؟

وقد صرح بأم الحويرث فى أبيات منها قوله فى المعلقة [من الطويل] :

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتهـا أم الرباب بمـأسل

يتنقَّل فى أحياء العرب و يستتبع صعاليكهم وذؤبانهم ، والعرب تطلق على اللصوص الذؤبان تشبيهاً بالذئاب ، وكان يُغير بهم ، وكان أبوه ملك بنى أسد فَعسفهم عَسفاً شديداً ، فتمالأوا على قتله ، فلما بلغه قتلُ أبيه وكان يشرب الخمر قال : ضيَّعنى صغيراً ، وحملنى ثقل الثأرِ كبيراً . اليومَ خمرٌ ، وغداً أمرٌ . فأرسلها مثلا ، وقيل : بل قال : اليوم قحاف ، وغداً نقاف . والقحاف : من القحف وهو شدة الشرب ، والنقاف : من نَقَفَ الهامَ إذا قطعها .

امرؤ القيس يثأر لأبيه

ثم إنه جمع جمعاً من بنى بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب ، وخرج يريد بنى أسد ، فخبرهم كاهنهم بخروجه إليهم ، فارتحلوا وتبعهم امرؤ القيس ، فأوقع ببنى كنانة ، وكان بنو أسد قد لجأوا إليهم ، ثم ارتحلوا عنهم ، فقتلهم قتلاً ذريعاً ، وأقبل أصحابه يقولون : يالثارات الهمام ، فقالت عجوز منهم : واللاّتِ أيها الملك مانحن بثأرك ، و إنما ثأرك بنوأسد وقد ارتحلوا ، فرفع القتل عنهم وقال [من الوافر] :

ألا يا لَهْفَ نَفسى إثر قَومٍ ... هم كانوا الشفاء فَلَم يُصابوا
وَقاهمْ جَدُّهمُ ببنى عَلىٍّ ... وبالأشقَينَ ما كانَ العقاب(١)
وأفلتهن عِلباء جَرِيضاً ... ولو أدركنهُ صَفِرَ الوِطاب(٢)

وقيل : إن أصحابه اختلفوا عليه حين أوقع ببنى كنانةَ ، وقالوا له : أوقعت بقوم بُرآء وظلمتهم ، فخرج إلى اليمن إلى بعض مَقَاوِلة حمير(٣) واسمه قرمل ، فاستجاشه

(١) فى الديوان « وقاهم جدهم ببنى أبيهم » وهو الصواب ، لأن أسداً وكنانة ابنا خزيمة ، وجدهم : حظهم وبختهم .

(٢) أراد علباء بن الحارث الأسدى أحد قتلة حجر . وجريضاً : به غصة الخوف ، وصفر الوطاب : خلاجسمه من روحه ، كنى بذلك عن قتله .

(٣) المقاولة والأقيال : الذين يلون الملوك فى المنزلة ، سموا بذلك لأن لهم قولا نافذا ، واحدهم قيل ، بفتح فسكون .

فثبَّطه قرمل ، فذلك حيث يقول [من الطويل] :

وكُنا أُناسا قَبلَ غزوةِ قَرْمل وَرثنا الغِنَى وَالمجدَ أكبرَ أكبرَا

ثم خرج إلى قيصر بعد أن أودع أدراعه وكراعه السموءلَ بن عادياء ، فذلك حيث يقول [من الطويل] :

بكى صاحبي لما رأى الدَّرْبَ دُونهُ وأيقن أنَّا لاَحِقانِ بقيصرَا

فَقلتُ لهُ : لا تبكِ عينكَ ، إنما نحاولُ ملكا أو نموتَ فنُعذرَا

وصاحبه عمرو بن قميئة الشاعر ، وهو من بنى قيس بن ثعلبة ، وكان قد طوى عنه الخبر حتى جاوز الدرب ، فلما وصل إلى قيصر استغاث به ، فوعده أن يَرْفِدَهُ(١) بجيش .

وكان امرؤ القيس جميلَ الوَجه ، وكان لقيصر ابنةٌ جميلة ، فأشرفت يوما من قصرها فرآها امرؤ القيس فى دخوله إلى أبيها فتعلق بها وراسلها فأجابته إلى ما سأل ، فذلك حيث يقول لما وصل إليها [من الطويل] :

فَقلتُ : يمينَ الله أبرحُ قاعداً وَلو قَطعُوا رَأسى لَديكِ وأوصالى(٢)

وقيل : إن أباها زوجه إياها ، وقد كان سبق إلى قيصر رجل من بنى أسد يقال له الطَّمَّاح فوشى به إلى قيصر ، فوجه معه جيشاً ، ثم أتبعه رجلا معه حُلة مسمومة ، وقال له : اقرأ عليه السلام ، وقل له : إن الملك قد بعث إليك بحُلة قد لبسها ليكرمك بها ، وأدخله الحمام ، فإذا خرج فألبسه إياها ، فلما فعل تنفط بدنه وكان يُحمل فى محفة فذلك حيث يقول [من الطويل] :

لَقدْ طَمِحَ الطَّماحُ مِنْ بُعْدِ أرضهِ لِيُلبسنى مِنْ دائه ما تَلبَّسَا

---

(١) رفده : أعانه وقواه ، وبابه ضرب .

(٢) يستشهد النحاة بهذا البيت على جواز حذف النفى بعد القسم إذا كان حرف النفى « لا » والمنفى فعلا مضارعا .

وكان الطماح قبل ذلك قد عَبِثَ بامرأةٍ من قومه فسعى به فهرب ، فأراد كما سعى به أن يسعى به .

ثم إن امرأ القيس لما بلغ أنقِرة طُعِن فى إبطه وارْفضَّ عنه أصحابه ، وكان نزوله إلى جانب جبل ، وإلى جانبه قبر لابنة بعض الملوك ، فسأل عنه فأخبر ، فقال [من الطويل] :

أجارتنَا إنَّ الخطوبَ تَنوبُ ... وإنى مقيمٌ ما أقامَ عَسيبُ
أجارتنَا إنَّا غريبانِ هٰهنا ... وكلُّ غريبٍ لِلغريبِ نَسيبُ
فإنْ تَصلينِى تَسعدى بمَوَدَّتى ... وإنْ تَقطعينى فالغريبُ غريبُ

ثم مات هنالك فدفن بأنقرة . وكان آخر ما تكلم به :[1]

رُبَّ طَعنةٍ مُثْعَنْجِرَه ... وَخُطبةٍ مُسحَنفِرَهْ
وَجفنةٍ مُدعثِرَه ... وَقصيدةٍ مُحبَّرَه
تَبقَى غداً بأنقِرَهْ

(١) اضطربت الروايات فى هذه الأبيات ، فوقعت فى نسخة من الشعر والشعراء لابن قتيبة هكذا :

رب خطبة مسحنفرة ... وطعنة مثعنجره
وجعبة متحيرة ... تدفن غداً بأنقره

ووقعت فى نسخة أخرى منه هكذا :

وطعنة مسحنفره ... وجفنة مثعنجره ... تبقى غداً بأنقرة

وفى الأغاني :

ربخطبةمسحنفره ... وطعنة مثعنجره
وجفنة متحيرة ... حلت بأرض أنقره

وفى لسان العرب (ثعجر) :

ربجفنةمثعنجرة ... وطعنة مسحنفره ... تبقى غداً بأنقره

والمسحنفرة : الواسعة . والمثعنجرة : السائلة المنسكبة ، وأصل المسحنفر والمثعنجر السيل الكثير ، وتقول : اثعنجرت السحابة بقطرها ، واثعنجر المطر يثعنجر اثعنجارا .

* * *

٢ — * وفاحماً ومرْسِناً مُسَرَّجا *

شاهد الغرابة

قائله رُؤبة[١] بن العجاج ، وهو من بحر الرجز ، من أرجوزة طويلة أولها :

ما هاج أشجاناً وشجواً قد شجا ... مِنْ طَلَلٍ كالأتحميّ أنهجا[٢]
أمسى لِعافى الرامسات مَدْرَجا ... واتخذته النائجاتُ منأجا[٣]
منازلٌ هيّجن من تَهيّجا ... مِنْ آلِ لَيلى قد عفون حِجَجا[٤]
والشحطُ قطّاعٌ رجاء من رجا ... أزمانَ أبدتْ واضحاً مُفلّجا[٥]
أغرّ برّاقاً وطرفاً أبرجا ... ومقلة وحاجباً مزججا

وبعده البيت ، وبعده :

* وكفلا وعثاً إذا ترجرجا *

الفاحم : الأسود ، وأراد شعراً فاحماً ، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ، والمرسن — بفتح السين وكسرها — الأنف الذى يُشدّ بالرسن ، ثم استعير لأنف الإنسان ، ومُسرّجا : مختلَفٌ فى تخريجه ، فقيل : من سرّجه تسريجاً بهّجه وحسّنه ، وقيل : من قولهم « سيوف سُرَيجية » منسوبة إلى قَين[٦] يقال له

---

(١) لا توجد هذه الأرجوزة فى ديوان أراجيز رؤبة ، ولا فى زياداته ، وهى فى ديوان أراجيز أبيه العجاج (ص٧ ليبسج) .

(٢) فى الديوان «ماهاج أحزانا» والأشجان : جمع شجن — بفتح الشين والجيم — وهو الحزن .

(٣) فى أصول هذا الكتاب «أمسى لها فى الرامسات» وفيها « واتخذته الناتحات » وما أثبتناه عن الديوان هو الصواب .

(٤) فى الديوان « منازلا » .

(٥) فى أصل الكتاب « والسخط قطاع » وما أثبتناه عن الديوان، وهو أعرف وأشهر .

(٦) القين — بفتح فسكون — الحداد الذى يصنع السيوف .

سُرَيج ، شبه بها الأنف فى الدقة والاستواء ، وقيل : مِن السِّراج وهو قريب من قولهم « سَرِج وجْهُهُ » بكسر الراء - أى حَسُنَ . والزَّجَجُ : دِقَّة الحاجبين.

والمعنى : أن هذه المرأة الموصوفة مُقلة سوداء ، وحاجباً مدققاً مُقوَّسا ، وشعراً أسود ، وأنفاً كالسيف السريجىِّ فى دقته واستوائه ، أو كالسراج فى بريقه وضيائه.

والشاهد فيه : الغرابة فى « مسرَّجا » للاختلاف فى تخريجه .

ترجمة رؤبة بن العجاج

ورؤبة قائل هذا البيت هو(١) أبو محمد (رؤبة) بنُ العَجَّاج ، (والعجاج لَقَبه) واسمه عبد الله (بنُ رؤبة) البصرىّ التميمىّ السعدىّ ، سُمِّىَ باسم قِطْعة من الخشب يُشْعَبُ بها الإناء ، وهى بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء(٢) ساكنة ، وهو وأبوه راجزان مشهوران ، كلٌّ منهما له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز ، وهما مُجيدان (فى رجزهما) وكان رؤبة هذا بصيراً باللغة قيِّماً بحُوشِيِّها(٣) وغريبها.

حكى يونس بن حبيب النحوىُّ قال : كنت عند أبى عمرو بن العلاء ، فجاء شبيل بن عروة الضبعىّ ، فقام إليه أبو عمرو وألقى له لبد بغلته ، فجلس عليه ، ثم أقبل عليه يحدثه ، فقال شبيل : يا أبا عمرو ، سألت رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه ، يعنى رؤبة ، قال يونس : فلم أملِكْ نفسى عند ذكره فقلت: لعلك تظن أن مَعَدّ بن عدنان أفصحُ منه ومن أبيه ، أفتَعْرِف أنت ما الرُّوبَةَ والرُّوبة والرُّوبة والرُّوبة والرُّوبة؟ وأنا غلام رؤبة ، فلم يُحِر جواباً ، وقام مغضباً ، فأقبل علىّ أبو عمرو وقال : هذا رجلٌ شريف يقصد مجالسنا ويقضى حقوقنا ، وقد أسأت فيما

(١) انظر هذه الترجمة فى ابن خلكان (١-٣٣٣) وكل مافيها من زيادة بين علامتين فهو عنه

(٢) وجد فى هامش النسخة المطبوعة فى بلاق مانصه « قوله وبعدها هاء ساكنة ، يعنى وقفا وإلا فهى كتاء مسلمة تعرض لها الحركات الاعرابية » اه.

(٣) فى الأصول « بحوشها » وتصويبه عن ابن خلكان .

فعلت مما واجهته به ، فقلت : لم أملك نفسى عند ذكر رؤبة ، فقال أبو عمرو : أوَ سُلِّطتَ على تقويم الناس ؟ ثم فسر يونس ماقاله فقال: الروبة : خميرة اللبن، والروبة : قطعة من الليل ، والروبة : الحاجة ، يقال : فلان مايقوم بروبةِ أهله : أى بما أسندوا إليه من حوائجهم ، والروبة: جمام ماء الفحل ، والرؤبة بالهمز: القطعة التى يُشعبُ بها الاناء ، والجميع بضم الراء وسكون الواو إلا رؤبة فانه بالهمز .

وقيل ليونس : مَنْ أشعرُ الناس ؟ فقال : العجاجُ ورؤبة، فقيل له : لم نَعنِ الرُّجاز ، قال : هما أشعر أهل القصيد ، و إنما الشعر كلام وأجوده أشعره ، قال العجاج [من الرجز] :

* قَدْ جبرَ الدينَ الاِلهُ فَجَبرْ *

فهى نحوٌ من مائتى بيت موقوفة القوافى ولو أطلقت (١) قوافيها كلها لكانت منصوبة ، وكذلك عامة أراجيزهما .

وعن ابن قتيبة قال : كان رؤبة يأكل الفأر ، فعوتب فى ذلك ، فقال : هى والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللاتى تأكل العذرة ، وهل يأكل الفأر إلا نَقىَّ البر ولباب الطعام ؟ !

وحدث أبو زيد الأنصارى النحوىّ قال : دخل رؤبة بن العجاج السوقَ وعليه بركانىٌّ(٢) أخضر فجعل الصبيان يعبثون به و يَغرزون شَوكَ النخل فى بركانه و يصيحون به : يامردوم ، يامردوم ، فجاء إلى الوالى فقال : أرسل معى الوَزَعَة فإن الصبيان قد حالوا بينى و بين السوق ، فأرسل معه أعواناً ، فشدّ على الصبيان وهو يقول:

(١) موقوفة القوافى : أراد به أنها ساكنة حرف الروى الذى بنيت عليه القافية . و «أطلقت» أراد به تحرك حرف رويها . ومن دلائل تمكن الشاعر من لغته أن يجىء بما ذكر يونس عن أرجوزة العجاج فى حين أن ذلك غير لازم .

(٢) فى نسخة « برنكان » وهو بزنة زعفران ، وكلاهما صحيح ، يقال بركان ، وبركانى ، وبرنكان ، وبرنكانى . وهو الكساء، أو هو الكساء الأسود خاصة .

أنحى علىَ أمِّـكَ بالمِرْدومِ أعْورُ جعدٌ مِنْ بنى تميم
شَرابُ ألبان خلايا كُومِ

قال : فجعلوا يعْدون بين يديه حتى دخلوا داراً فى الصيارفة، فقال له الشرطى : أين هم ؟ قال : دخلوا دار الظالمين ، فسميت إلى الآن دار الظالمين لقول رؤبة ، وهى فى صيارفة سوق البصرة .

وعن المدائنى قال : قدم البصرة راجز من رُجاز المدينة ، فجلس إلى حلقة فيها الشعراء ، فقال : أنا أرجز العرب ، أنا الذى أقول [من الرجز] :

مَروانُ يُعطِى وسَعيدٌ يَمنعُ مَروانُ نبعٌ وسَعيدٌ خِرْوَعُ

وددت أنى راهنت من أحب فى الرجز يدابيد ، والله والله لأنا أرجز من العجاج ، فليت البصرة جمعت بينى و بينه ، قال : والعجاج حاضر وابنه رؤبة معه ، فأقبل رؤبة على أبيه فقال : قد أنصفك الرجل ، فأقبـل عليه العجاج فقال : ها أنا ذا العجاج فهلمّ ، وزحف إليه ، فقال : وأى العَجَّاجِينَ أنت ؟ قال : ماخلتك تعنى غيرى ، أنا أبو عبدالله الطويل ، وكان يكنى بذلك ، فقال له المدنى: ماعنيتك ولا أردتك ، قال : كيف وقد هتفت باسمى ! قال : أو مافى الدنيا عجاج سواك ؟ قال : ما علمت ، قال : ولكنى أعلم و إياه عنيت ، قال : فهذا ابنى رؤبة ، قال: اللهم غفراً ، مابينى و بينكما عمل ، و إنما مرادى غيركما ، قال : فضحك أهل الحلقة ، وكفا عنه .

وعن عبد الرحمن بن محمد بن علقمة قال : أخرج شاهين بن عبد الله الثقفى رؤبة معه إلى أرضه ، فقعدوا يلعبون بالنرد ، فلما أتوا بالخِوَان قال رؤبة فيه :

يا إخْوتِى جاء الخِوانُ فارفعوا حنَّانةً كِعابُها تَقعْقَعُ
لَمْ أَدْرِ ما ثلاثُها والأربعُ

قال : فضحكنا و رفعناها وقُدم الطعام .

وكان رؤبة مقيما بالبصرة ، فلما ظهر بها إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن على

ابن أبي طالب كرم الله وجهه على المنصور ، وجرت الواقعة المشهورة ، خاف رؤبة على نفسه وخرج إلى البادية ليجتنب الفتنة ، فلما وصل إلى الناحية التى قصدها أدركه أجله بها فتوفى سنة خمس وأربعين ومائة .

وهذا يخالف ما رواه يعقوب بن داود ، قال : لقيت الخليل بن أحمد يوما بالبصرة فقال : يا أبا عبد الله دَفَنَّا الشعر واللغة والفصاحة اليوم ، فقلت له : كيف ذلك ؟ قال : حين انصرفت من جنازة رؤبة بن العجاج ، وكان قد أسن رحمه الله

وقد سمع أباه ، وأبوه سمع أبا هريرة رضى الله عنه ، وقال النسائى : وليس هو بالقوى ، وقد روى رؤبة بن العجاج عن أبى الشعثاء عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر وحادٍ يحدو [من الرجز] :

طافَ الخَيالانِ فَهاجا سَقَماً خَيالُ لُبْنَى وَخيالُ تَكْتَما
قامتْ تُريكَ خَشيةً أن تَصْرِما ساقاً بَخَنْداةً وكَعْباً أَدْرَما

والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر .

وحدّث أبو عبيدة الحداد قال : حدثنا رؤبة بن العجاج قال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : السواك يذهب وَضَرَ الطعام ، وهذا الخبر يدل على أنه سمع من أبى هريرة رضى الله عنه ، والله أعلم .

ومن شعره [من الخفيف] :

أيُّها الشامتُ المُعَيِّرُ بالشَّيب أَقِلَّنَّ بالشَّبابِ افتخارا
قَدْ لَبستُ الشَّبابَ غَضًّا طَرِيًّا فَوجدتُ الشَّبابَ ثوبا مُعارا

***

شاهد مخالفة القياس

٣ — * الحمد لله العلى الأَجْلَلِ *

قائله أبو النجم ؛ وهو من بحر الرجز ؛ من أرجوزة طويلة ؛ و بعده :

الوَاهبِ الفَضلِ الوَهوبِ المُجزِلِ أعطَى فَلَمْ يَبخلْ ولم يُبخَّلِ

والشاهد فيه مخالفة القياس اللغوى فى قوله « الأجلل » إذ القياس الأجلّ بالإدغام

ترجمة أبي النجم العجلي

وأبو النجم اسمه [1] الفضل بن قُدَامة بن عبيد الله العجلى ؛ وهو من رجّاز الاسلام والفحول المتقدمين فى الطبقة الأولى منهم .

وفد على هشام بن عبدالملك وقد طعن فى السن فقال : يا أباالنجم ، حدثنى قال: أعَنِّى أوعن غيرى ؟ قال :بل عنك ، قال : إنى لما كبرت عرض لى البول فوضعت عند رجلى شيئا أبول فيه ؛ فقمت من الليل أبول ؛ فخرج منى صوت ؛ فتشددت ؛ ثم عدت ؛ فخرج منى صوت آخر ؛ فأويت إلى فراشى ؛ وقلت : يا أم الخيار ؛ هل سمعت شيئا ؟ قالت : لا والله ولا واحدة منهما . فضحك هشام

وعن أبى عبيدة قال : مازالت الشعراء تقصّر بالرُّجّاز حتى قال أبو النجم:

* الحمد لله العلى الأجلل *

وقال العجاج :

* قد جبر الدين الإلهُ فجبر *

وقال رؤبة :

* وقاتم الأعماق خاوى المخترق *

فانتصفوا منهم .

وعن أبى عمرو الشيبانى قال : قال فتيانٌ من عِجْلٍ لأبى النجم : هذارؤبة بالمربد يجلس فيسمع شعرهُ، وينشد الناس ويجتمع إليه فتيان بنى تميم ، قال : أوتحبون ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فائتونى بشىء من نبيذ ، فأتوه به فشربه ثم انتفض فقال [من الرجز] :

إذَا اصْطَبحتُ أرْبعاً عَرفتنى ثم تجَشَمتُ الذِى جَشَّمتنى

(١) ترجمة أبى النجم فى الأغانى (٩ – ٧٧) وفى خزانة الأدب للبغدادى (١ – ٤٩و٤٠٦) وفى الشعراء (٣٨١) وانظر مع ذلك كامل المبرد (٢–٧٠) والموشح للمرزبانى (٢١٣)وطبقات الشعراء للجمحى (١٤٩)

فلما رآه رؤبة أعظمه ، وقام له عن مكانه ، وقال : هذا رَجّاز العرب ، وسألوه أن ينشدهم ، فأنشدهم :

* الحمدُ لله العليِّ الأجلل *

وكان من أحسن الناس إنشادا ، فلما فرغ منها قال له رؤبة : هذه أم الرجز ثم قال : يا أبا النجم ، قرَّبت مرعاها إذ جعلتها بين رجل وابنه ، يوهم عليه أنه حيث قال [من الرجز] :

تَبَقَّلَتْ مِنْ أوَّلِ التَّبَقُّلِ بَيْنَ رِماحَيْ[1] مَالِكٍ وَنَهْشَلِ

أنه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مَنَاة ، فقال له أبو النجم : هيهات الكمر تتشابه : أى إنما أريد مالك بن ضبيعة بن قيس ، ونهشل قبيلة من[2] ربيعة.

وعن أبي برزة المربدى قال : خرج العجاج محتفلا عليه جبة من خز ، وعمامة من خز ، على ناقة له قد أجاد رحلها ، حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون عليه ، وأنشدهم :

* قد جبرَ الدينَ الإلهُ فَجَبَرْ *

وذكر فيها ربيعة فهجاهم ، فجاء رجل من بنى بكر بن وائل إلى أبى النجم وهو فى بيته فقال : أنت جالس وهذا العجاج يهجونا فى المربد ، قد اجتمع عليه الناس ، فقال : صف لى حاله وزِيَّه الذى هو فيه ، فوصف له ، فقال : ابغِنِى جملا طحانا قد أكثر عليه من الهِنَاء ، فجاء بالجمل ، فأخذ سراويل له فجعل إحدى

---

(١) فى الأصول « بين أقاحى » وما أثرناه عن الأغاني

(٢) السبب فى ذكر أبى النجم هاتين القبيلتين — نعنى مالكا ونهشلا — أن دماء كانت بين بنى دارم وبنى نهشل ، وحروبا فى بلادهم ، فتحامى جميعهم الرعى فيما بين فلج والصمان مخافة أن يعروا بشىء ، حتى عفا كلؤه وطال ، فذكر أن بنى عجل جاءت إلى ذلك الموضع فرعته ولم تخف هاتين القبيلتين ، ففخر أبو النجم بذلك

رجليه فى السراويل واتزر بالأخرى ، وركب الجمل ، ودفع خُطامه إلى من يقوده فانطلق حتى أتى المربد ، فلما دنا من العجاج قال : اخلع خطامه ، فخلعه وأنشد :

* تذكَّر القلبُ وجهلاً ما ذكر *

فجعل الجمل يدنو من الناقة ويتشممها ، ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران ، حتى بلغ قوله :

* شيطانه أنثى وشيطانى ذكر *

فعلق الناس هذا البيت ، وهرب العجاج منه .

وورد أبو النجم على هشام بن عبدالملك فى الشعراء ، فقال لهم هشام :صفوا إبلا فقيظوها وأوردوها وأصدروها حتى كأنى أنظر إليها ، فأنشدوه ، وأنشده أبو النجم :

* الحمدُ لِلهِ العَلىِّ الأجْلَلِ *

حتى إذا بلغ إلى ذكر الشمس فقال :

* فَهِىَ عَلى الأُفقِ كَعين .... *

فأراد أن يقول « الأحول » ثم ذكر حوَلَ هشام فلم يتم البيت وأُرتج عليه ، فقال هشام : أجِزْ ، فقال « كعين الأحول » وأمَرَّ القصيدة ، فأمر هشام بوجْء عنقه وإخراجه من الرصافة ، وقال لصاحب شرطته : يا ربيع إياك وأن أرى هذا . فكلم وجوهُ الناس صاحبَ شرطته أن يُقرّه ، ففعل ، فكان يصيب من فضول أطعمة الناس ويأوى المساجد ، قال أبوالنجم : ولم يكن بالرصافة أحد يضيف إلا سليم بن كيسان الكلبى ، وعمرو بن بسطام التغلبى ، فكنت آتى سليما فأتغدى عنده ، وآتى عمرا فأتعشى عنده ، وآتى المسجد فأبيت ، قال : فاهتم هشام ليلة وأمسى لَقِسَ النفسِ ، وأراد محدثا يحدثه ، فقال لخادم : ابغنى محدثا أعرابيا أهوج شاعرا يروى الشعر ، فخرج الخادم إلى المسجد فاذا هو بأبى النجم فضربه

برجله وقال : قم أجب أمير المؤمنين ، فقال : إنني رجل أعرابي غريب ، فقال : إياك أبغي ، هل تروي الشعر ؟ قال : نعم وأقوله ، فأقبل به حتى أدخله القصر ، وأغلق الباب ، قال : فأيقن أبو النجم بالشر ، ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صغير بينه وبين نسائه ستر رقيق ، والشمع بين يديه يزهر ، فلما دخل قال له هشام : أبو النجم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين طريدُك ، قال : اجلس ، فسأله وقال له : أين كنت تأوي ؟ وأين منزلك ؟ فأخبره ، قال : وكيف اجتمعا لك ؟ قال : كنت أتغدى عند هذا ، وأتعشى عند الآخر ، قال : فأين كنت تبيت ؟ قال : في المسجد حيث وجدني رسولك ، قال : وما لك من الولد والمال ؟ قال : أما المال فلا مال لي ، وأما الولد فلي ثلاثُ بنات وَبُني يقال له شيبان ، فقال : هل أخرجت من بناتك أحداً ؟ قال : نعم ، زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمزُ في أبياتنا كأنها نعامة ، قال : وما أوصيت به الأولى ؟ وكانت تسمى برة بالراء ، فقال [من الرجز] :

أوَصيتُ مِنْ بَرَّةَ قَلباً حرّا ... بِالكلبِ خيراً وَالحماةِ شرّا
لا تَسأمي ضَرباً لها وَجَرّا ... حَتى ترى حُلوَ الحياةِ مُرّا
وَإنْ كَستكِ ذَهباً وَدرّا ... وَالحيُّ عُمِّيهمْ بشرٍّ طُرّا

فضحك هشام وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت [من الرجز] :

سُبِّي الحماةَ وابْهتِي عليها ... وَإنْ دَنتْ فازْدَلِفي إليْها (١)
وَأوْجِعِي بالنَّهزِ رُكبتيها ... وَمِرفقيها واضْربي جَنبيها (٢)

---

(١) رواه في الكامل (٢-٧٠)

* وإن أبت فازدلفي إليها *

(٢) روى في الكامل

* ثم اقرعي بالود مرفقيها *

والود - بفتح الواو وتشديد الدال - الوتد . وفي الأغاني « وأوجعي بالفهر »

وَظاهرى البدى لها عليها لا تخبرى الدَّهرَ به ابْنتيها [١]

قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذه وسقط على قفاه ، وقال : ويحك! ما هذه وصية يعقوب عليه السلام وَلدَه ، فقال : ولا أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين، قال : فما قلت للثالثة ؟ قال : قلت [من الرجز] :

أُوصِيكِ يا بنتى فانى ذَاهِبُ أُوصِيكِ أن تَحْمَدكِ الأقاربُ
وَالجارُ والضَّيفُ الكريمُ السَّاغِبُ ويَرجعَ المِسكينُ وهوَ خائبُ [٢]
ولاَ تَنى أَظفارُكِ السَّلاهِبُ لَهن فى وجهِ الحماة كاتبُ
والزَّوجِ إنَّ الزوجَ بئس الصَّاحبُ

قال : فكيف قلت هذا ولم تتزوج ؟ وأى شىء قلت فى تأخر تزويجها ؟. قال : قلت [من الرجز] :

كأن ظَلاَّمةَ أختَ شَيبانْ يَتيمةٌ ووالداها حيَّانْ
الرَّأسُ قَملٌ كُلّهُ وصِئْبان ولَيسَ فى السَّاقين إلاّ خَيطانْ
تِلكَ التى يَفْزَعُ مِنها الشَّيطانْ [٣]

قال : فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه ، وقال للخصى : كم بقى من نفقتك ؟ قال : ثلثمائة دينار ، قال : أعطه إياها ليجعلها فى رجل ظلامة ؛ مكان الخيطين .

---

(١) روى فى الكامل :

* وجدى الحلف به عليها *

وروى فى الأغانى (٩-٨٠)

* وظاهرى النذر لها عليها *

(٢) فى الأغانى * لا يرجع المسكين *

(٣) فى الكامل * تلك التى يذعر منها .*

ودخل أبو النجم يوماً على هشام وقد مضت له سبعون سنة ، فقال له هشام : ما رأيك فى النساء ؟ قال : إنى لأنظر إليهن شزراً ، وينظرن إلى حذرا ، فوهب له جارية ، وقال له : اغْدُ على فأخبرنى ما كان منك ؛ فلما أصبح غدا عليه فقال له : ما صنعت شيئاً ولا قدرت على شيء ، وقلت فى ذلك أبياتا [من الكامل] :[1]

نَظرتْ فأعجبها الذى فى دِرْعِها ... مِن حُسنه ونظرتُ فى سِرْباليا
ضَيْقاً يَعضُّ بكلِّ عَردٍ نَالَهُ ... كالصدغ أو صدع يرى متجافيا[2]
فرأت لها كَفلاً ينوء بخَصْرِها ... وَعثاً رَوادفُه وأجْثَمَ نابيا[3]
ورأيت منتشر العجانِ مُقلّصاً ... رخْواً مَفاصلهُ وجلداً باليا
أُدنىِ له الرَّكَبَ الحليقَ كأنما ... أُدنى إليه عقاربًا وأفاعيا
إن الندامة والسدامة فاعلمن ... لو قد خبرتك للمواسى حاليا[4]
ما بالُ رأسكَ من ورائى طالعا ... أظَننتَ أنَّ حِرَ الفتاةِ وَرائيا
فاذهبْ فإنكَ ميِّتٌ لاتُرتجَى ... أبَدَ الأبيد وَلو عمرت لَياليا
أنتَ الغرورُ إذا خبرت وربَّما ... كان الغرور لمن رجاه شافيَا
لَكنَّ أيْرِى لا يُرجَّى نفعُه ... حتَّى أعُودَ أخا فتاءٍ ناشيَا

فضحك هشام وأمر له بجائزة أخرى .

وحدث أبو الأزهر ابن بنت أبى النجم عن أبى أمه أنه كان عند عبدالملك ابن مروان — ويقال : عند سليمان بن عبد الملك — يوما، وعنده جماعة من

(١) الأبيات إلا الثاني في الأغانى (٩-٨١)
(٢) كذا ، ولا يستقيم لى معنى لعجز هذا البيت
(٣) فى الأغانى « يميل بخصرها» وفيه « وأجثم جاثيا »
(٤) كذا فى الأغانى ، وفى أصول هذا الكتاب «لو قد خبرتك للموافي»

الشعراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدق وجارية واقفة على رأس سليمان — أو عبد الملك — تذبُّ عنه ، فقال : من صبحني بقصيدة يفتخر فيها وصَدَق فى فخره وهبته هذه الجارية ، قال : فقاموا على ذلك ، ثم قالوا إن أبا النجم يغلبنا بمقطعاته ، يعنون الرجز ، فقال : ألا لا أقول إلا قصيدا ، فقال من ليلته قصيدته التى فخر فيها ، وهى [من الكامل] : (١) .

* عَلِقَ الفؤاد حَبائِل الشَّعثاءْ *

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء ، فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

مِنَّا الذى رَبعَ الجيوشَ لِصُلبِهِ عِشرونَ وَهْوَ يُعَدُّ فى الأحْياءِ (٢)

قال له عبد الملك ــ أو سليمان ــ قف ، إن كنت صدقت فى هذا البيت فلا تزد ما وراءه ، فقال الفرزدق : أنا أعرف منهم ستة عشر ، ومن ولد ولده أربعة كلهم قد رَبَعَ ، فقال عبد الملك ــ أو سليمان ــ : ولد ولده هم ولده ، ادفع إليه الجارية يا غلام ، قال : فغلبهم يومئذ .

وحدث الأصمعى قال : قال أبو النجم للعديل بن الفرخ : أرأيت قولك [من الطويل] :

---

(١) انظر ثمانية أبيات من هذه الكلمة سوى البيت الآتي فى الجمحى (١٥٠) وفيه في هذا المطلع :

* علق الهوى بحبائل الشعثاء *

(٢) ربع الجيوش : أراد أخذ ربع الغنائم ، وكان الرؤساء والسادة يأخذون لأنفسهم ربع مايغنم قومهم فى الحروب ، ويسمونه المرباع ، وقال الشاعر :

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

يريد أبو النجم أن من قومه من كان سيداً رئيساً ، وفى الجمحى * عدوا كمن ربع الجيوش * يريد أن من قومه من ساد حتى ربع الجيوش وعاش حتى رأى من أولاده عشرين رجلا كلهم سيد ورئيس .

فإن تكُ مِنْ شيبانَ أُمى فإننى ... لأبيضَ مجلىّ عريض المفارِق

أكنت شاكا فى نسبك حتى قلت مثل هذا ؟ فقال العديل : أشككت فى نفسك أو فى شعرك حين قلت [من الرجز] :

أنا أبُو النجم وشِعرِى شِعرِى ... لله دَرّى ما يُجنّ صدرِى

فأمسك أبو النجم واستحيا ، وكانت وفاته آخر دولة بنى أمية .

***

٤ — * كَرِيمُ الجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ *

شاهد الكرامة فى السمع

قائله أبو الطيب المتنبى ، من قصيدة من بحر المتقارب ، وكان سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب قد أنفذ إليه كتابا بخطه إلى الكوفة بأمان وسأله المسير إليه ، فأجابه بهذه القصيدة :

فهمتُ الكتابَ أبرَّ الكُتُبْ ... فسمعاً لأمرِ أميرِ العربْ

وطوعاً له وابتهاجاً به ... وإن قصَّرَ الفِعلُ عمّا وَجبْ

وما عاقنى غيرُ خوفِ الوُشاة ... فإن الوشاة طريقُ الكذبْ(١)

وتكثيرُ قومٍ وتقليلهم ... وتقريبهُم بيننا والخبَبْ

وقد كان ينصرهم سمعهُ ... وينصرُنى قلبهُ والحسبْ

وما قلتُ للبدر أنتَ اللجينُ ... ولا قلتُ للشمس أنتِ الذهبْ

فيقلقَ منهُ البعيدُ الأناةِ ... ويغضبَ منه البطىءُ الغضبْ

وما لاقنى بعدكمْ بلدةٌ ... ولا اعتضتُ مِن رَبّ نُعماى رَبّ(٢)

---

(١) فى الديوان « وإن الوشايات طرق الكذب »

(٢) فى الديوان « وما لاقنى بلد بعدكم »

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعدَ الجوَا دِ أنكرَ أظلافهُ والغبَبْ
وَما قِستُ كُلَّ ملوكِ البلادِ فَدعْ ذِكرَ بَعضٍ بِمَنْ فى حَلَبْ
وَلو كُنتُ سَميتهمْ باسمهِ لَكانَ الحديدَ وكانُوا الخشبْ
أفى الرأى يُشْبَهُ أمْ فى السخا ءِ أمْ فى الشجاعةِ أمْ فى الأدبْ؟
مُباركُ الاسمِ أغرُّ اللقبْ كرَيمُ الجرشىِّ شَريفُ النسبْ
أخو الحربِ يُخدمُ مِمَّا سَبَى قَناهُ وَيخلعُ مِمَّا سَلبْ
إذَا حازَ مالاً فقدْ حازهُ فتًى لاَ يُسرُّ بما لاَ يَهَبْ

وهى طويلة

والجرشى بكسر الجيم والراء مقصورا: النَّفْس، وأشار بقوله «مبارك الاسم» إلى أن اسم الممدوح على، وهو اسم مبارك يتبرك به، لمكان على بن أبى طالب رضى الله عنه، ولأنه مشتق من العلو والعلو مبارك، ومعنى «أغر اللقب» مشهور لأنه سيف الدولة، والأغر من الخيل: الذى فى وجهه غرَّة، وهى البياض، استعير لكل واضح معروف

والشاهد فيه كراهة السمع للفظة تكون فى البيت كالجرشى هنا

ترجمة أبى الطيب المتنبى

وأبو الطيب [1] اسمه أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى الكندى الكوفى المتنبى الشاعر المشهور.[2] وإنما قيل له «المتنبى» لأنه ادعى النبوة فى بادية السماوة، وتبعه خلق كثير من بنى كلب وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ

---

(١) له ترجمة فى سرح العيون (١٥) وفى يتيمة الدهر (١-٩٠) وفى تاريخ ابن خلكان (١-٦٢) النيل بمصر. وأكثر ما هنا منقول عن ابن خلكان.

(٢) فى ابن خلكان «وقيل هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار» اهـ.

أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه ، وحبسه طويلا ، ثم استتابه وأطلقه

وكان قد قرأ على البوادى كلا ماذكر أنه قرآن أنزل عليه فمنه « والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفى أخطار ، أمض على سَنَنِكَ واقْفُ أثر من كان قبلك من المرسلين ، فان الله قامعٌ بك زيغ من ألحد فى الدين وضل عن السبيل »

وكان إذا جلس فى مجلس سيف الدولة وأخبروه عن هذا الكلام فينكره ويجحده

ولما أطلق من السجن التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان ، ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلثمائة ، ومدح كافوراً الأخشيدى ، وأنوجور بن الأخشيد وكان يقف بين يدى كافور وفى رجليه خفان وفى وسطه سيف ومنطقة ، ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ، ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلثمائة ، فوجه كافور خلفه عدة رواحل فلم يُلحق ، وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الدَّيْلَمىَّ ، فأجزل صلته ، ولما رجع من عنده عرض له فاتك بن أبى جهل (١) الأسدى فى عدة من أصحابه ، فقاتله ، فقُتل المتنبى وابنه محسّد (٢) وغلامه مُفلح ، بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له الصافية من الجانب الغربى من سواد بغداد ، ويقال: إنه قال شيئا فى عضد الدولة ، فدس عليه من قتله ، لأنه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مُسْرجة محلاّة وثياب مفتخرة ، ثم دس عليه مَنْ سأله: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال: هذا أجزل إلا أنه عطاء متكلف ، وسيف الدولة كان يعطى طبعاً . فغضب عضد الدولة ، فلما انصرف جهز عليه قوما من بنى ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالا

---

(١) في ابن خلكان « ابن أبى الجهل »

(٢) فى أصول هذا الكتاب «محشد» وهو تصحيف ، ونص ابن خلكان على انه بالسين مهملة

شديداً ثم انهزم ، فقال له غلامه أين قولك [من البسيط] :

الخَيلُ واللَّيلُ وَالبَيداءُ تَعرفُنِي وَالطَّعنُ والضَّربُ والقِرطاسُ والقَلَمُ

فقال : قتلتنى قتلك الله ، ثم قاتل فقُتل .

ويقال: إن الخفراء جاءوه وطلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه، فمنعه الشح والكبر ، فتقدموه فوقع له ماوقع :

وكان قتله يوم الأربعاء لست بقين ، وقيل : لثلاث بقين ، وقيل : لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة

ومولده كان فى سنة ثلاث وثلثمائة بالكوفة فى محلة تسمى كندة ، وليس هو من كندة التى هى قبيلة ، بل هو جُعْفِى

وقيل: إن أباه كان سقَّاء بالكوفة ، وكان يلقب بعَبْدان ثم انتقل إلى الشام بولده ، وإلى هذا أشار بعض الشعراء فى هجوه فقال [من الخفيف] :

أيُّ فَضلٍ لِشاعِرٍ يَطلُبُ الفضـ ـلَ مِنَ النَّاسِ بُكرةً وَعشيًّا

عَاشَ حِيناً يَبيعُ فِي الكُوفةِ الما ءَ وَحيناً يَبيعُ ماءَ المُحيَّا

ولقد أولع بعض شعراء عصره بهجوه ، حسداً له على فضله ، وتمكنه من الملوك ، ومراعاة لتيهه وتكبره ، وممن أفحش فى ذلك ابن حجَّاج ، فقال جاريا على عادته فى السخف والمجون [من المجتث] :

يَاديمةَ الصفعِ صُبِّي عَلَى قفا المُتَنَبِّي

وَيَا قفاهُ تَقدَّمْ حَتَّى تَصيرَ بِجَنْبِي

وَأنتَ يَاريحَ بَطنِي عَلَى سِبالَيهِ هُبِّي

ويقول فيها :

إنْ كُنتَ أنتَ نَبيًّا فَالقِردُ لاشكَّ رَبِّي

وقال فيه أيضا من قصيدة [من السريع] :

قُلْ لِى وَطَرْطورك هذا الذى في غاية الحُسنِ شَوابيره
مَاضره إذْ جاء فَصلُ الشتا لَوْ أنَّ شعرَ استى سموره

ولقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة، والمطلعين على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شيء إلا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر، حتى قيل: إن الشيخ أبا على الفارسى قال له يوماً: كم لنا من الجموع على وزن فِعْلَى؟ فقال المتنبي فى الحال: حِجْلَى[1] وظِرْبَى، قال الشيخ أبو على: فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال علَّى أن أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجد، وحسبك من يقول أبو على فى حقه هذه المقالة

وقال أبو الفتح بن جنى: قرأت ديوان المتنبي عليه، فلما بلغت إلى قوله فى كافور الأخشيدى [من الطويل]:

أَلاَ لَيتَ شِعرِى هَلْ أقولُ قَصيدةً فَلاَ أشتكى فيها وَلاَ أتعتَّبُ؟
وَبِى مَايذُودُ الشعرَ عَنِّى أقلُّه وَلكنَّ قَلبى يابْنَةَ القَوْمِ قُلَّبُ

قلت له: يعز على كون هذا الشعر فى غير سيف الدولة، فقال: حذرناه وأنذرناه فما نفع، ألست القائل فيه [من الطويل]:

أخا الجودِ أعطِ النَّاسَ ماأنتَ مالكٌ ولا تُعطِيَنَّ النَّاسَ ماأنَا قَائِلُهْ

فهو الذى أعطانى [كافورا][2] بسوء تدبيره وقلة تمييزه

والناس فى شعره على طبقات: فمنهم من يرجحه على أبى تمام ومَنْ بعده، ومنهم من يرجح أبا تمام عليه، ورُزق فى شعره السعادة، واعتنى العلماء بديوانه

---

(١) حجلى: جمع حجل، وهو الطائر الذى يسمى القبج، وظربى: جمع ظربان — على زنة قطران — وهى دويبة منتنة الرائحة

(٢) الزيادة عن ابن خلكان، وهى لازمة لاكمال المعنى

فشرحوه حتى قيل : إنه وجد له مايزيد على أربعين شرحا

ومن شعره مما ليس فى ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندى بسند صحيح متصل بيتان، وهما [من الكامل] :

أبِعَيْن مُفْتقِرٍ إليكَ نَظَرْتَنِي فَأهنتني وَقَذَفْتني مِنْ حَالِق؟
لَستَ المَلُومَ أنا المَلُومُ لأنني أَنْزَلْتُ آمَالى بغير الخالِقِ

ولما قتل رثاه أبو القاسم المظفر بن على الطبسى[1] بقوله [من الخفيف] :

لا رعَى اللهُ سِربَ هَذَا الزَّمانِ إذ دَهَانَا فى مِثلِ ذاكَ اللِّسانِ
ما رَأى النَّاسُ ثانِيَ المُتنبِّي أىُّ ثَانٍ يُرَى لبِكْرِ الزَّمانِ
كَانَ مِنْ نَفسِهِ الكَبيرة فى جَيْشٍ وَفى كِبرياءِ ذى سُلطانِ
هوَ فى شِعرِه نبىٌّ ولكنْ ظَهرتْ مُعجِزاتُهُ فى المَعانِى

ويحكى أن المعتمد بن عُباد اللخمى صاحب قرطبة وإشبيليه أنشد يوما فى مجلسه بيت المتنبى الذى هو من جملة قصيدته المشهورة ؛ وهو [من الطويل][2] :

إذَا ظَفِرَتْ مِنكَ العُيونُ بِنظرةٍ أثَابَ بِهَا مُعيِي المَطِيِّ وَرَازِمُهُ

وجعل يردده استحسانا له ، وفى مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وَهْبُون الأندلسى ، فأنشد ارتجالا [من الطويل] :

لَئِنْ جادَ شِعرُ ابنِ الحُسينِ فإنما تُجيدُ العَطَايَا واللُّهَا تفتحُ اللَّهَا

---

(١) الطبسى - بفتح الطاء والباء - نسبة إلى طبس ، وهى مدينة بين نيسابور وأصبهان وكرمان

(٢) هو من قصيدة مدح بها سيف الدولة وهى أول ما أنشده سنة (٣٣٧هـ) وأولها قوله :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا ، والدمع أشفاه ساجمه

تَنبأ عُجباً بالقَريض ؛ ولو درَى بأنَّكَ تَروِى شِعرهُ لتألَّهَا

وهذا مثل قديم قاله أبو سعيد القصار فى جعفر بن يحيى [من مجزوء الخفيف] :

لابنِ يحيى مآثرٌ بلغت بى إلى السُّها
جادَ شِعرِى بجودهِ واللُّها تَفتحُ اللُّهـا

واللها بالضم : العطايا ، وبالفتح جمع لهاة الحلق .

ورثاه أيضاً محمد بن عبدالله الكاتب النصيبي بقصيدة يستجيش فيها عضد الدولة على مدحفى قدمه ومريق دمه ؛ فمنها [من البسيط] :

قَرتْ عيُونُ الأعادى يَومَ مَصرعهِ وطالما سَخِنتْ فيه مِنَ الحَسدِ

ومنها :

أَبَا شُجاعٍ فتَى الهَيجا وَفَارسها وَمُشترِى الشُّكر بالإنفاقِ والصَّفَدِ[١]
هٰذى بَنو أسدٍ جاءت بمُؤيدةٍ صَماء . نائحة هَـدَّت ذُرَى أحُـد
سَطتْ عَلَى المتنبى منْ فَوارسِها سبعونَ جاءته فى مَوْجٍ مِنَ الزَّردِ
حَتَّى أتتْ وَهوَ فى أمنٍ وفى دَعةٍ يَسيرُ فى سِتةٍ إنْ تُحصَ لم تَزِدِ
كرَّتْ عليه سِراعاً غيرَ وَانيةٍ فَغـادرته قرينَ التُّرب والثَّأدِ[٢]
منْ بَعدِ ما أعملت فيهم أسِنَّتهُ طعناً يُفرق بَين الرُّوحِ وَالْجسدِ
فَاطلبْ بثأر فتًى ما زلتَ تَعضُدُهُ لله دَركَ مِنْ كهفٍ وَمِنْ عَضدِ[٣]

---

(١) الصفد ــ بفتح الصاد والفاء جميعا ــ العطاء

(٢) الثأد: الثرى ، وهو بفتح الثاء والهمزة ، وقد تسكن همزته ، لكن فى غير هذا البيت لأن الوزن يستدعى المحرك

(٣) عضده يعضده ــ مثل نصره ينصره ــ أى أعانه . وعاضده :مثله

أَزْكِ العيونَ عليهمُ أيَّةً سلكوا وضيِّقِ الأرضَ والأقطارَ بالرَّصدِ(١)
شرِّدْهمُ بجيوشٍ لا قِوامَ لها تأتى على سبَدِ الأقوامِ واللَّبَدِ(٢)

ورثاه أيضاً ثابت بن هارون الرَّقيّ النصرانى بقصيدة يستثير فيها عضد الدولة على فاتك وبنى أسد، يقول فى أولها [من الكامل] :

الدهرُ أنكَى والليالى أنكدُ مِنْ أن تعيشَ لأهلها يا أحمدُ
قصدَتْكَ لمّا أن رأتْكَ نفيسها بُخْلاً بمثلكَ والنفائسُ تُقصَدُ
ذُقْتَ الكريهةَ بغتةً وفقدْتَها وكريهُ فقدِكَ فى الورى لا يُفقَدُ
قلْ لى إن اسطعْتَ الجوابَ فإننى صبُّ الفؤادِ إلى خطابِكَ مُكمَدُ

ومنها :

أتركْتَ بعدكَ شاعراً ؟ والله لا لم يبقَ بعدكَ فى الزمانِ مُقصِّدُ(٣)
أمّا العلومُ فإنّها يا ربَّها تبكى عليكَ بأدمعٍ لا تجمدُ
يا أيُّها الملكُ المؤيَّدُ، دعوةً مِمَّن حشاهُ بالأسى يتوقَّدُ
هذى بنو أسدٍ بضيفكَ أوقعتْ وحوَتْ عطاءكَ إذْ حواهُ الفرقدُ
ولهُ عليكَ بقصدِهِ يا ذا العُلا حقُّ التحرُّمِ والذِّمامُ الأوكدُ
فارعَ الذِّمامَ وكُنْ لضيفكَ طالباً إنَّ الذِّمامَ على الكريمِ مؤبَّدُ

وأخبار المتنبى وما جرى له كثيرة، وسيأتى طرف منها ومن شعره فى أثناء هذا الكتاب.

---

(١) الرصد ـ بفتح الراء والصاد جميعاً ـ القوم يراقبون الشىء كالحرس. الواحد فيه والجمع والمذكر والمؤنث سواء

(٢) العرب يقولون : ليس لفلان سبد ولا لبد، وهم يريدون أنه ليس له شىء . والسبد : وبر الابل، واللبد : الصوف .

(٣) مقصد : يريد شاعرا لأن الشاعر يقصد القصائد

شاهد تنافر الكلمات

٥ — وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرِ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْر

البيت من الرَّجز، ولا يُعرف قائله ، ويقال : إنه من شعر الجنّ ، قالوه فى حَرْب بن أميّة بن عبد شمس لما قتلوه بثأر حيّةٍ منهم قتلها القفل الذى كان فيه ، ودُفن ببادية بعيدة ، وكانَ حربٌ المذكور مُصافيا لمِرْداس السُّلَميِّ أبى العباس الصحابى ، فقتلهما الجنّ جميعا ، وهذا شىء قد ذكرته الرواة فى أخبارها ، والعرب فى أشعارها .

مقتل حرب ابن أمية ومرداس السلمى

ذكر أبو عبيدة وأبو عمرو الشيبانىُّ ، أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عُكاظ هو وإخوته مرّ بالقرية ، وهى إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام، فقال له مرداس بن أبى عامر : أما ترى هذا الموضع ؟ قال : بلى ، فما له ؟ قال : نِعْمَ المزدرَعُ هو ، فهل لك أن تكون شريكى فيه ونَحْرِق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك ؟ قال : نعم ، فأضرما النار فى الغيضة ، فلما استطارت وعلا لهُبها سُمِع من الغيضة أنينٌ وضجيج كثير، ثم ظهرت منها حيَّاتٌ بيضٌ تطير حتى قطعتها وخرجت منها ، فقال مرداس فى ذلك [من البسيط] :

إنِّى انتَخَبْتُ لها حَرْباً وإخوتَهُ إنِّى بحبلٍ وَثيقِ العَهْدِ دسَّاسُ
إنى أُقوِّمُ قبل الأمرِ حُجَّتَهُ كيما يقال وَلِىّ الأمرِ مِرْداسُ

قال : فسمعوا هاتفاً يقول لما احترقت الغيضة [من مجزوء الرجز] :

وَيلٌ لحَرْبٍ فارِسَا مُطاعِناً مُخالِسَا
وَيلٌ لحَرْبٍ فارِسَا إذْ لبِسُوا القوانسَا
لنَقْتُلَنْ بقَتْلِهِ جَحاجِحاً عَنابِسَا

ولم يلبث حرب بن أمية ومرداس أن ماتا ، فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادّعاها بعد ذلك كُلَيب بن عمرو السلمىُّ ثم الظَّفَرىّ ، فقال فى ذلك عباسُ بن مرداس [من الكامل] :

أَكُلَيبُ مالكَ كلَّ يومٍ ظالماً ... وَالظُّلمُ أنكدُ وَجهُه ملعونُ

عجباً لقومكَ يحسبونك سيداً ... وَإخالُ أنك سيدٌ مغيونُ(١)

فإذا رَجعتَ إلى نسائكَ فادَّهنْ ... إنَّ المسالمَ رأسُه مدهونُ

وَافعلْ بقومكَ ما أراد بوائلٍ ... يومَ الغدير سَمِيُّكَ المطعونُ(٢)

وَإخالُ أنك سوف تلقى مثلها ... فى جانبيكَ سِنانُها المسنونُ

إنَّ القريَّةَ قد تبيَّنَ أمرُها ... إنْ كان ينفعُ عندك التبيينُ

حِينَ انطلقتَ تَخُطُّها لِى ظَالماً ... وَأبو يزيدَ بجوِّها مدفونُ

وقد روى البيتُ بلفظ.

* وما بقربِ قبرِ حربٍ قبرُ *

ويقال: إنه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات متواليات فلا يتتعتع. و« قرب » وقع خبراً لليس وكان من حقه أن يقول « قرب قبره » فأتى بالظاهر موضع المضمر ليدل على لزوم التوجع.

والشاهد فيه: التنافر، لما فى هذه الألفاظ من ثقل النطق بها، ولذلك هرب أرباب الفصاحة من اللفظين المتقاربين إلى الادغام، لانتقال اللسان فيه إليهما انتقالةً واحدةً، وشبَّهوا النطق بالمتقاربين بمشى المقيد.

***

من شواهد التنافر

٦ — * كريمٌ متى أمدحْهُ أمدحْهُ والورَى *

قائله أبو تمام الطائى، وتمامه:

* معِى وَإذا مالمته لمتُهُ وحدِى *

---

(١) فى الأصول «مغبون» وفى هذه الكلمة روايتان إحداها «معيون» أى مصاب بالعين، والثانية « مغيون »

(٢) أراد بسميه: كليب وائل الذى قتله جساس بن مرة، وبسببه قامت حرب البسوس

وهو من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا الغيث موسى بن إبراهيم ويعتذر إليه، وأولها:

شهدتُ لقد أقوتْ معالمكم بعدِى ... ومحتْ كما محتْ وَشائعُ مِنْ بُرد (١)
وأنجدتُمُ منْ بعد إتهامِ داركم ... فيادمعُ أنجدْنِى على ساكنى نجدِ
لعمرى لقد أخلقتمُ جدةَ البكا ... بكاء وجدَّدتم على بِلَى الوجدِ (٢)

إلى أن قال فى مديحها:

أتانِى مع الرُّكبان ظنٌّ ظننتهُ ... نكستُ لهُ رأسى حياء من المجدِ (٣)
لقد نكب الغدرُ الوفاء بساحتى ... إذاً وسرحتُ الذمَّ فى مسرحِ الحمدِ
وهتَّكتُ بالقولِ الخنا حُرمةَ العلاَ ... وأسلكتُ حرَّ الشعرِ فى مسلكِ العبدِ
نسيتُ إذاً كم من يدٍ لكَ شاكلتْ ... يدَ القربِ أعدتْ مُستهاماً على البعدِ
ومنْ زمنٍ ألبستنيهِ كأنهُ ... إذا ذُكرتْ أيامه زمنُ الوردِ
وإنكَ أحكمتَ الذى بينَ فكرتى ... وبينَ القوافى منْ ذمامٍ ومنْ عهدِ
وأصلْتَ شعرِى فاعتلى رونقَ الضحى ... ولولاكَ لم يظهرْ زماناً منَ الغمدِ (٤)
وكيفَ وما أخللتُ بعدكَ بالحِجا ... وأنتَ فلم تخللْ بمكرمةٍ بعدِى (٥)
أسرْبلُ هجرَ القولِ مَنْ لوْ هجوتهُ ... إذاً لهجانِى عنهُ معروفهُ عندِى

---

(١) فى الديوان «مغانيكم بعدى» وأقوت: أقفرت، ومحت: انمحت وطمست معالمها. والوشائع: ماالتف من الغزل

(٢) فى الديوان «على وجددتم به خلق الوجد»

(٣) فى الديوان «لفقت له رأسى»

(٤) أصلت: أراد أظهرت وشهرت، وأصله إخراج السيف من غمده، والغمد: قراب السيف

(٥) فى الديوان «فكيف»

وبعده البيت، وبعده:

ولوْ لم يَزعنِي عنكَ غيرُكَ وازعٌ لأعديتني بِالحلم، إنَّ العُلا تُعدِي(١)

ومعنى البيت: هو كريم إذا مدحته وافقنى الناس على مدحه فيمدحونه لإسداء إحسانه إليهم كإسدائه إلى، ولا أمدحه بشىء إلا صدقنى الناس فيه، أو أن الناس وافقونى على وجود مايوجب المدح للانسان من صفات الكمال فيه، وإذا لمته لا يوافقنى أحد على لومه، لعدم وجود المقتضى له فيه.

وفى معناه قول الآخر [من الكامل]:

وَإذَا شكوتك لم أجد لى مُسعداً وَرُميتُ فيما قُلتُ بالبهتانِ (٢)

وقد ناقضَ هذا المعنى ابن أبى طاهر بقوله [من السريع]:

يَشرَكُنِي العالم فِي ذَمِّهِ لَكنني أمدحهُ وَحدِي

وطاهر العتابى المعروف بالمعتمد البغدادى بقوله [من الطويل]:

مَدحتهمُ وَحدِي فلمَّا هجوتهمْ هَجوتهمُ وَالناسُ كلهمُ معِي

والشاهد فيه التنافر أيضا؛ لما فى قوله «أمدحه» من الثقل لقرب مخرج الحاء من مخرج الهاء، لأن المخارج كلما قربت كانت الألفاظ مكدودة قلقة غير مستقرة فى أماكنها، وإذا بعدت كانت بعكس الأول، ولهذا لم يوجد فى كلام العرب العين مع الغين، ولا مع الحاء، ولا مع الخاء، ولا الطاء مع التاء، حذراً مما مر. وأيضاً فيه ثقل من جهة التكرار فى «أمدحه» و «لمته».

ومن قبيح التكرار قول الشاعر [من السريع]:

وَازورَّ مَنْ كان لهُ زائراً وَعاف عافى العُرْفِ عرْفانهُ

---

(١) فى الديوان «ولو لم يزعنى عنك للحلم وازع».

(٢) مسعدا: معينا يوافقنى؛ والبهتان: الكذب؛ أو أبشعه.

ترجمة أبي تمام

وأبو تمام[1] اسمه حبيب بن أوس بن الحرث بن قيس بن الأشج بن يحيى ابن مروان ، ينتهى إلى طيء . قال أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى[2] : والذى عند أكثر الناس فى نسب أبى تمام أن أباه كان نصرانياً من أهل جاسم قرية من قرى الجيدور ، من أعمال دمشق[3] يقال له تدوس العطار ، فجعلوه أوسا ، وولد أبو تمام بالقرية المذكورة سنة تسعين ، وقيل : سنة ثمان وثمانين ومائة ، وقيل : سنة اثنتين وسبعين ، ونشأ بمصر ، وقيل : إنه كان يسقى الماء بالجرة فى جامع مصر ، وقيل : كان يخدم حائكا ويعمل عنده ، ثم اشتغل وتنقل إلى أن صار واحدَ عصره فى ديباجة لفظه ، وفصاحة شعره[4] وحسن أسلوبه ، وكان له من المحفوظات مالا يلحقه فيه غيره ، حتى قيل : إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد ، وله كتاب الحماسة الذى دلّ على غزارة فضله ، وإتقان معرفته ، وحسن اختياره ، وله مجموع آخر سماه فحول الشعراء ، جمع فيه طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين ، وله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ، ومَدَحَ الخلفاء وأخذ جوائزهم .

وكان فى لسانه حُبسة وفى ذلك يقول ابن المعذَّل[5] أو أبو العميثل [من مجزوء الرمل] :

---

(١) قف على ترجمة أبى تمام فى الأغانى (١٥ - ٩٩ - ١٠٨) وفى ابن خلكان (١ - ٢١٤ - ٢١٨) وفى الخزانة (١ - ١٧٢) .

(٢) وقع فى المطبوعتين « الأموى » تحريفا ، والحديث عن ابن خلكان عن الآمدى صاحب الموازنة بين أبى تمام والبحترى .

(٣) فى الأغانى « مولده ومنشؤه بناحية فيج بقرية منها يقال لها جاسم »

(٤) أحسبه « ونصاعة شعره »

(٥) فى المطبوعتين « ابن المعدل » تحريفا ، وابن المعذل — بالذال المعجمة — هو عبد الصمد بن المعذل بن غيلان ، وكان هجاء خبيث اللسان شديد العارضة (له ترجمة فى الأغانى) وقد نسب البيتين فى أخبار أبى تمام (٢٤١) إلى مخلد .

يا نبيَّ الله فى الشعرِ وَيا عيسى ابن مريَمْ
أنْتَ منْ أشعرِ خلقِ اللـه مَا لمْ تتـكلَّمْ

وهذا نوع من البديع يسمى الهجاء فى معرض المدح ، ومن مليح ما جاء فيه قول ابن سناء الملك فى قوّاد [من السريع] :

شواهد الهجاء فى معرض المدح

لى صاحبٌ أفْديه من صاحبٍ حلوِ التَّأتِّى حسنِ الاحتيَالِ
لو شاء من رقَّةِ ألفـاظِهِ ألَّفَ ما بين الهدَى والضلالِ
يكْفيكَ منـهُ أنَّه رُبمـا قادَ إلَى المهجورِ طيفَ الخيَالِ

ومنه قول ابن أبى الاصبع يهجو فقيهاً ذا أبنة [من السريع] :

ابنُ فلَانٍ أكرمُ النَّاس لاَ يَمنعُ ذَا الحاجةِ منْ فلْسهِ
وَهوَ فقيهٌ ذُو اجتهادٍ وَقدْ نصَّ على التَّقليدِ فى دَرسِهِ
يستحسنُ البحْثَ على وَجهِهِ وَيوجبُ الفْعلَ على نفسِهِ

ووفد أبو تمام إلى البصرة وبها عبد الصمد بن المعذل الشاعر ، فلما سمع بوصوله ، وكان فى جماعة من أتباعه وغلمانه ، خاف من قدومه أن يميلَ الناسُ إليه ويعرضوا عنه ، فكتب إليه قبل دخوله البلد [من الخفيف] :

أنتَ بينَ اثنتيْنِ تبرز للنَّـا سِ وتلقاهُم بوجهٍ مُذالِ
لَستَ تنفكُّ راجياً لوصالٍ منْ حبيب أو راغباً فى نَوال
أىُّ ماء يَبقَى لوَجهكَ هـذَا بَعدَ ذلِّ الهوَى وذلِّ السؤَّالِ(١)

فلما وقف على الأبيات أعرض عن مقصده ورجع وقال : قد شغل هـذا ما يليه فلا حاجة لنا فيه .

وقد تبعه الأمير مجير الدين بن تميم بقوله [من الخفيف] :

---

(١) فى الأصول وابن خلـكان « بين ذل الهوى وذل السؤال » وأراه مصحفا عما أثبتناه عن أخبار أبى تمام .

أنتَ بين اثنتَين يا نجلَ يعقو ... بَ وكِلتاهما مَقرُّ السِّياده
لَستَ تنفكُّ راكباً أيرَ عبدٍ ... مُسبطِراً أو حاملاً خُفَّ غاده
أىُّ ماءٍ لحرِّ وَجهك يَبقى ... بَينَ ذلِّ البغا وَذل القيـادهْ

ولما أنشد أبوتمام أبادلف العجلى قصيدته البائية التى أولها [من الطويل](١) :

عَلَى مِثلِها مِن أربُعٍ وَملاعبٍ ... أُذِيلت مَصونات الدُّموع السَّواكبِ

استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم ، وقال : والله إنهـا لدون شعرك ، ثم قال : والله ماتمثل هذا القول فى الحُسن إلا ما رثيت به محمد بن حميد الطوسى ، فقال أبو تمام : وأى ذلك أراد الأمير ؟ قال : قصيدتك الرائية التى أولها(٢) [من الطويل] :

كذا فليجلّ الخطبُ وليفدح الأمرُ ... وليس لعينٍ لم يَفِض ماؤُها عذرُ(٣)

وددت والله أنها لك فىَّ ، فقال : بل أفدى الأمير بنفسى وأهلى وأكون المقدَّم قبله ، فقال : إنه لم يمت من رُثى بهذا الشعر .

وحدَّث الرِّياشى قال : كان خالد الـكاتب مغرما بالغلمان المرد ينفق عليهم كل مايفيد ، فهوِىَ غلاما يقال له عبد الله ، وكان أبو تمام الطائى يهواه أيضاً ، فقال فيه خالد [من مخلع البسيط] :

قَضيبُ بَانٍ جناهُ وَرْدُ ... يحمله وَجنَـةٌ وَخَدُّ
لم أثنِ طَرْفِى إليهِ إلاَّ ... مَاتَ عزَاءٌ وعَاش وَجْدُ
ملَّكَ طوعَ النفوسِ حتى ... عَلمه الزَّهوَ حين يَبْدو
فاجتمع الصـدُّ فيه حتى ... ليس لخلقٍ سواهُ صدُّ

وبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتا منها قوله [من السريع] :

(١) اقرأها فى الديوان (٤٠) .
(٢) اقرأها فى الديوان (٣٦٨) .
(٣) وقع فى المطبوعتين « لذا » والقصيدة أشهر من قفانبك ، وما أثبتناه عن الديوان وعن ابن خلـكان الذى أخذ عنه المؤلف أكثر هذه الترجمة .

شعرُك هذا كله مُفرِطٌ في بَرْدِه ياخالدُ البارِدُ

فعلقها الصبيان ولم يزالوا يصيحون به : ياخالد يابارد ، حتى وسوس ، وقد هجا أبا تمام في هذه القصة فقال فيه [من البسيط] :

يامعشر المُرْدِ إني ناصحٌ لكمُ والمرءُ في القول بين الصدق والكذب
لاَينكحنَّ حبيباً منكم أحدٌ فدَاء وَجْعَائه أعدى من الجَرَبِ
لاتأمَنوا أن تحولوا بعدَ ثالثة فتركبوا عمُداً لَيستْ من الخَشبِ

ولما قصد أبو تمام عبد الله بن طاهر بخراسان وامتدحه بالقصيدة التي أولها [من الطويل] :

بديهة أبي تمام

* أهُنَّ عوادى يوسف وصَوَاحبه *

أنكر عليه أبو العميثل وقال له : لم لاتقول مايُفْهم ؟ فقال له : لم لاتَفهم مايقال ؟ فاستحسن منه هذا الجواب على البديهة

وذكر الصولى أنه امتدح أحمد بن المعتصم أو ابن المأمون بقصيدة[1] سينية فلما انتهى إلى قوله فيها [من الكامل] :

إقدَامُ عمْرٍو في سماحةِ حاتِمٍ في حِلم أحْنفَ في ذكاءِ إياسِ

قال له الكندىُّ الفيلسوف وكان حاضراً : الأمير فوق ما وصفت ، فأطرق قليلا ، ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تُنكروا ضربى له مَنْ دونه مَثلا شَروداً في الندى والباسِ
فاللهُ قد ضَربَ الأقلَّ لنوره مثلاً مِنَ المِشكاةِ والنِّبراسِ

فعجبوا من سرعة فطنته .

وما ذكر — من أنه أنشد القصيدة للخليفة ، وأن الوزير قال : أىشىء طلبه فأعطه فإنه لايعيش أكثر من أربعين يوما لأنه قد ظهر في عينيه الدم من

(١) اقرأها في الديوان (١٧٢).

شدة الفكرة ، وصاحب هذا لا يعيش إلا هذا القدر ، فقال له الخليفة: ما تشتهى؟ فقال : أريد الموصل ، فأعطاه إياها ، فتوجه إليها وبقى هذه المدة ومات — فشىء لا صحة له أصلا ، والصحيح ما ذكرناه ، وأن الحسن بن وهب اعتنى به وولاه بريد الموصل ، فأقام بها أقل من سنتين وتوفى بها سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وقيل : ثمان وعشرين ، وقيل : اثنتين وثلاثين ، وبنى عليه أبو نهشل ابن حميد الطوسى قبة ، خارج باب الميدان على حافة الخندق .

رثاء ابن الزيات لأبي تمام

ورثاه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم بقوله ، وهو يومئذ وزير ، وقيل : إنها لأبى الزبرقان عبد الله بن الزبرقان الكاتب ، مولى بنى أمية [من الكامل] :

نَبَأٌ أَتَى من أعظمِ الأنباءِ لمّا ألمَّ مُقلقِلُ الأحشاءِ

قالوا حَبيبٌ قد ثوى فأجبتُهُم ناشدْتُكم لا تجعلوهُ الطائى

وحكى ابن عدلان الموصلىّ النحوىّ المترجم قال : سألت ابن عنين عن معنى قوله [من الطويل] :

سَقَى اللهُ دوحَ الغُوطتَيْنِ ولا ارتوت من المَوصلِ الحَدْباءِ إلا قُبورها(١)

ولم حرمها وخص القبور ؟ قال : لأجل أبى تمام .

من محكم شعر أبي تمام

ومن محكم شعره قوله من قصيدة (٢) [من الكامل] :

أَخَرِستَ إذ عايَنْتَنِى حتىّ إذا ماغِبتَ عَنْ بَصرى ظَلِلْتَ تَشدَّقَ

عَيرٌ رَأى أسدَ العَرِينِ فَهالَهُ حتىَّ إذا وَلّىَ تولىَّ يَنهَقُ

(١) هذا البيت من قصيدة لابن عنين مدح بها السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل بن أيوب . وأول هذه القصيدة قوله :

أشاقك من عليا دمشق قصورها وولدان أرض النيرين وحورها

وقد وقع فى المطبوعتين « من الموصل الحدباء » محرفا .

(٢) القصيدة فى هجاء عتبة بن أبى عاصم (الديوان ٤٩٩) وقد أسقط ناشره بعض أبيات منها . والذى رواه المؤلف هنا أبيات غير متصل بعضها ببعض

هَيْهاتَ غالكَ أن تَنالَ ما تَرى إسْتٌ بِهَا سَعَةٌ وَباعٌ ضَيِّقُ
قُلْ مابدا لكَ ياابْنَ برما فالصَّدَى بِمُهذَّبِ العقيانِ لا يَتعلَّقُ
أنعشتَ حتَّى عبتَهُم ؟ قُلْ لى متَى فَرَزْتَ سُرْعَةَ ماأرى يابَيْذق(١)
إياكَ يَعنِى القَائلُونَ بِقولِهمْ إنَّ الشقِىَّ بِكلِّ حَبْلٍ يَخْنقُ
فلتَعْلمنَّ حَريمَ مَنْ وإهابَ مَنْ وَقَدِيمَ مَنْ وَحدِيثَ مَنْ يتَمزّقُ

وقوله من قصيدة أخرى [من الكامل] :

أعْوامُ وَصل كادَ يُنسِى طيبَهَا ذِكْرُ النَّوَى فكأنها أيامُ
ثُمَّ انبرَتْ أيامُ هجرٍ أردفَتْ نَحوى أسًى فكأنها أعوامُ
ثم انقضتْ تِلكَ السِّنُونَ وأهلُها فكأنها وكأنَّهمْ أحلامُ

وقد اختصر معنى هذه الأبيات المتنبى فى قوله [من الخفيف] :

قصُرَتْ مدةُ الليالى المواضى فأطالَتْ بِها الليالى البَواقِى

ولابن الفارض رحمه الله هذا المعنى بعينه مع الاختصار المعجز وهو [من البسيط]:

أعوامُ إقباله كاليوم فى قِصَرٍ ويومُ إعراضِه فى الطول كالحِجَجِ

وديوانُ نظمه مشهور ، وقد نثرت من لآلئه فى أثناء هذا المؤلف مافيه غنى إن شاء الله تعالى .

***

شاهد التعقيد اللفظى

٧ — وَمَا مِثْلُه فى النَّاسِ إلاَّ مُملَّكاً * أبُو أمِّهِ حَىٌّ أبُوه يقَارِبُهْ

البيت للفرزدق ، من قصيدة من الطويل يمدح بها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك بن مروان .

والشاهد فيه التعقيد ، وهو : أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد

(١) فى الديوان « أفعشت حتى عبتهم » وفيه « ساعة ما أرى »

إما لخَلَلٍ فى نظم الـكلام فلا يُتوصَّل منه إلى معناه ، أو لِانتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو لازمه و المراد به ظاهراً ، و الأوَّل هو الشـاهد فى البيت

و المعنى فيه : وما مثله يعنى الممدوح ، فى الناس حىٌّ يقاربه ، أى أحد يشبهه فى الفضائل ، إلا مملكا ، يعنى هشاماً ، أبو أُمّه أى أبو أمّ هشام أبوه ، أى أبو الممدوح فالضمير فى أُمّه للمملك ، و فى أبوه للممدوح ، ففَصَل بين أبو أمّه وهو مبتدأ وأبوه وهو خبره ، بأجنبىّ وهو حىٌّ ، وكذا فصل بين حىّ و يقاربه وهو نعته بأجنبىّ وهو أبوه ، وقدَّم المستثنى على المستثنى منه ، فهو كما تراه فى غاية التعقيد ، وكان من حق الناظم أن يقول : وما مثله فى الناس أحد يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه

شواهد أخرى للتعقيد

ومن التعقيد قول الفرزق أيضاً [من الطويل] :

إلى مَلِكٍ ما أُمُّه مِن مُحارب أبُوه ولا كانَتْ كُلَيْبٌ تُصاهِرُهْ

أى : إلى ملك أبوه ما أمه من مُحارب أى ما أمُّه منهم

ومثله قول الشاعر [من الطويل] :

فَما مِنْ فَتًى كُنا مِنَ النَّاسِ وَاحداً بِهِ نَبتغى مِنْهُمْ عَدِيلاً نُبادلُهُ

أى : فما من فتى من الناس كنا نبتغى واحداً منهم عديلا نبادله به .

وقول الآخر [من الطويل] :

وما كُنتُ أخشى الدَّهرَ إحلاس مُسلماً مِنَ الناسِ ديناً جاءهُ وهومُسلم(١)

أى : وما كنت أخشى الدهر إحلاس مسلم مسلما من الناس دينا جاءه وهو، أى جاآه معا .

---

(١) فى الأصول « إحلاس مسلم » وهو لا يتفق مع ما ذكره فى بيان معناه و « مسلم » فى آخر البيت مخفوض باضافة إحلاس إليـه ، والـكلام ينتهى عند « وهو » .

ومثله قول أبى تمام [من الكامل] :

كاثْنَينِ فى كَبِدِ السماء ولم يَكن ... كاثْنَينِ ثانٍ إذ هما فى الغارِ

ترجمة الفرزدق

والفَرَزْدَق رحمه الله اسمه (١) همام بن غالب بن صعصعة التميمى ، أبو فراس صاحب جرير ، وكان أبوه غالبٌ من جِلَّةِ قومه ومن سَرَاتهم ، وكنيته أبوالأخطل ، لولد كان له اسمه الأخطل ، وهو شاعر أيضاً ، ووهم بعضهم فيه فظنه الأخطل التغلبى النصرانى ، وجعله أخا للفرزدق ، وهذا من أعجب العجب ، إذ الفرزدق مسلم وأبوه وجده صعصعة صحابى رضى الله تعالى عنه ، فكيف يُتصور أن يكون الأخطل النصرانى أخا له ، وصعصعة رضى الله عنه له صحبة لكنه لم يهاجر ، وهو الذى أحيا الوئيدة ، و به افتخر الفرزدق فى قوله [من المتقارب] :

وجَدِّى الَّذِى مَنَعَ الوَائداتِ ... فأحيا الوئيدَ فلم تُوأدِ (٢)

قيل : إنه رضى الله عنه أحيا ألف موءودة وحمل على ألف فرس .

وأم الفرزدق ليلى بنت حابس (٣) أخت الأقرع بن حابس رضى الله عنه ؛

روى الفرزدق رحمه الله عن على بن أبى طالب ، وأبى هريرة ، والحسين ،

---

(١) تجد ترجمة الفرزدق فى الأغانى (٨ - ١٨٦ - ١٩٧) وفيه أيضا (١٩ - ٢ - ٥٢) . وفى ابن خلكان (٣ - ١٣٦ - ١٤٦) . وفى ابن قتيبة (٢٨٩ - ٣٠١) .

(٢) فى المطبوعتين « ولم يوئد » وهو تحريف ، وما أثبتناه عن الأغانى وعن ابن خلكان .

(٣) كذا ، والصواب أن أم الفرزق لبنة بنت قرظة الضبية ، نص عليه أبو الفرج فى الأغانى (١٩ - ٢) وقال ابن قتيبة (٢٩٦) : « وخال الفرزدق هو العلاء بن قرظة الضبي ، وكان شاعرا » وأما ليلى بنت حابس فهى أم غالب أبى الفرزدق . نص عليه أبو الفرج وابن خلكان الذى أخذ عنه المؤلف أكثر ما فى هذه الترجمة ، وكذلك نص عليه ابن قتيبة .

وابن عمر، وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهم أجمعين!.

ووفد على الوليد وسليمان ابني عبدالملك ومدحهما. قال ابن النجار: ولم أر له وفادة على عبدالملك بن مروان، وقال الكلبي رضي الله عنه: وفد على معاوية، ولم يصح. روى معاوية بن عبدالكريم عن أبيه قال: دخلت على الفرزدق فتحرك فإذا في رجليه قيد، قلت: ما هذا يا أبا فراس؟ قال: حلفت أن لا أخرجه من رجلي حتى أحفظ القرآن. وكان كثير التعظيم لقبر أبيه، فما جاءه أحد واستجار به إلا قام معه وساعده على بلوغ غرضه.

وقد اختلف أهل المعرفة بالشعر فيه وفي جرير في المفاضلة بينهما، والأكثرون على أن جريراً أشعرُ منه، وقد أنصف الاصفهاني فقال: أما من كان يميل إلى جودة الشعر وفخامته وشدة أَسْرِهِ فيقدم الفرزدق، وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السمح الغَزِل فيقدم جريراً.

وكان جرير قد هجا الفرزدق بقصيدة منها [من الوافر]:

وكُنتَ إذا نَزلتَ بدار قوم   رحلْتَ بخَزْيَةٍ وتركتَ عارا

فاتفق أن الفرزدق بعد ذلك نزل بامرأة من أهل المدينة، وجرى له معها قصة يطول شرحها، وملخص الأمر أنه راودها عن نفسها بعد أن كانت أضافته وأحسنت إليه، فامتنعت عليه، و بلغ الخبرُ عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وهو يومئذ والي المدينة المنورة، فأمر بإخراجه منها، فأركب على ناقة ليُنفَى، فقال: قاتل الله ابن المراغة - يعني جريراً - كأنه شاهد هذا الحال حين قال، وذكر البيت السابق.

ومن شعره لما كان في المدينة المنورة [من الطويل]:

هُمَا دلّتاني مِنْ ثمانين قامةً   كما انقضَّ بازٍ أقتم الرِّيش كاسرُه

فلما استوتْ رِجلايَ في الأرض قالتا   أحَيٌّ يُرجَّى أم قتيلٌ نحاذرُه

فقلتُ ارفعوا الأسبابَ لا يَشعُروا بنا   وأقبلتُ في أعجاز ليلٍ أبادرُه

أحاذر بوّابَيْنِ قد وكّلاَ بِنا وأسْوَدَ مِن ساجٍ تَصر مسامره(١)

فقال جرير لما بلغه ذلك [من الطويل] :

لقَد وَلدَتْ أمُّ الفَرَزدقِ فاجراً فجاءتْ بوَزْوَازٍ(٢) قصير القوادمِ
يُوصِّلُ حبلَيهِ إذا جَنَّ ليلُهُ ليرْقى إلى جارَاته بالسلاَلمِ
تدلّيتَ تَزْنِي من ثمانين قامةً وَقصَّرْتَ عن باعِ العلاَوالمكارمِ
هُو الرِّجسُ ياأهلَ المدينة فاحذرُوا مداخلَ رجسٍ بالخبيثاتِ عالمِ
لقدْ كانَ إخراجُ الفَرَزدق عنكمُ طَهوراً لما بين المصلَّى وَوَاقمِ

فأجاب الفرزدق عنها بقصيدة طويلة منها [من الطويل] :

وَإنَّ حراماً أن أسبَّ مقاعساً بآبائيَ الشُّم الكِرام الخضارمِ
وَلكنَّ نصفاً لو سببتُ وسبَّنى بنُو عبدِ شمسٍ من منافٍ وَهاشمِ
أُولئك آبائى فجئنى بمثلهمْ وأعتدُّ أن أهجو كُليباً بِدارمِ

ولما سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق الأول جاؤا إلى مروان بن الحكم وهو والى المدينة من قِبل معاوية ، فقالوا : مايصلُح هذا الشعر بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أوْجب على نفسه الحدّ ! فقال مروان : لست أُحُدّه ولكن أكتب إلى من يحدُّه ، وأمره بأن يخرج من المدينة ، وأجّله ثلاثة أيام لذلك ، فقال الفرزدق [من الوافر] :

توعّدَنِي وأجّلَنى ثلاثاً كما وُعِدَتْ لمُهلكِهَا ثمودُ

---

(١) هكذا ورد هذا البيت فى أصول هذا الكتاب وفى ابن خلكان . وقد ورد فى الأغانى هكذا :

أحاذر بوابين لايشعروا بنا وأحمر من ساج تلوح مسامره

(٢) الوزواز : الرجل الخفيف الطياش . ووقع فى ابن خلكان «بوزاز» وهى تؤدى معنى حسنا .

ثم كتب مروان إلى عامله كتاباً يأمره أن يحده ويسجنه ، وأوهمه أنه كتب له بجائزة ، ثم ندم مروان على ما فعل ، فوجَّه سفيراً وقال للفرزدق : إنى قد قلت شعراً فاسمعه [من الكامل] :

قُلْ للفرزدق والسَّفَاهة كاسْمِهَا   إن كنتَ تاركَ ماأمرتك فاجلس (١)
وَدَعِ المدينةَ إنها مَرهوبة   واقصدْ لمكَّةَ أوْلبيتِ المقدسِ
وَإنِ اجْتَنيْتَ مَن الأمورِ عظيمةً   فَخذنْ لِنفسك بالعظيمِ الأكْيسِ

فلما وقف الفرزدق عليها فطن لما أراد مروان فرمى الصحيفة وقال :

يامَرْوُ إنَّ مَطيتي محبوسَةٌ   ترجو الحِباء وَربُّها لم ييأسِ
وَحبوتني بصحيفةٍ مختومةٍ   يُخشى علىَّ بها حِباء النقْرِسِ
ألقِ الصحيفةَ يافرزدقُ لاتكنْ   نكداءَ مِثلَ صَحيفةِ المُتلمسِ (٢)

وأتى سعيد بن العاص الأموى ، وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهم ، فأخبرهم الخبر ، فأمر له كل واحد بمائة دينار وراحلة ، وتوجه إلى البصرة ، فقيل لمروان : أخطأت فيما فعلت ، فانك عرضت عرضك

---

(١) اجلس : ائت الجلساء ، وهى بلاد نجد .

(٢) صحيفة المتلمس : مضرب المثل ، وكان الملك عمرو بن هند قد أوهم المتلمس - واسمه جرير بن عبد المسيح — وطرفة بن العبد البكرى أنه أمر لهما بحباء وعطية ، وكتب لكل واحد منهما كتابا إلى عامله يأمره بقتله إذا ورد عليه ، أما المتلمس فأقرأ صبياً كتابه فعلم ما فيه ، فرمى به فى اليم ، والتمس النجاء ، وأما طرفة فمضى لطيته حتى إذا ورد على عامل الملك ، أخذه فقتله ، وفى قذف المتلمس صحيفته يقال ذلك الشعر المشهور :

ألقى الصحيفة كى يخفف رحله   والزاد حتى نعله ألقاها

واقرأ ترجمة المتلمس فى الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٨٥) واقرأ ترجمة طرفة بن العبد فيه أيضا تالية لترجمة المتلمس .

لشاعر مضر ، فوجه إليه رسولا ومعه مائة دينار ، وأرحله[1] خوفا من هجائه .

ونزل يوما فى بنى منقر والحى خلوف ، فجاءت أفعى فدخلت مع جارية فِراشها ، فصاحت ، فاحتال الفرزدق فيها حتى انسابت ، ثم ضم الجارية إليه فزبرته ونَحَّته عنها فقال [من الطويل] :

وأهْوَنُ عَيْبِ المِنْقَرِيَّةِ أنها ... شَدِيدٌ ببَطنِ الحنظلىِّ لُصُوقها
رأت مِنقراً سوداً قِصاراً وأبْصرَت ... فَتًى دارميًّا كالهلال يَروقُها
وما أنا هجتُ المِنقريةَ للصِّبا ... ولكنها استَعْصتْ علىَّ عُروقُها

فلما هجاها استعدتْ عليه زياداً فهرب إلى مكة المشرفة ، فأظهر زياد أنه لو أتاه لحباه فقال الفرزدق [من الطويل] :

دَعانِى زِيادٌ لِلعطاء ولم أكن ... لِأقرَبَهُ ما ساقَ ذُو حَسبٍ وَفْرا
وَعندَ زِيادٍ لو يُرِيدُ عَطاءَهم ... رِجالٌ كثيرٌ قد يَرَى بِهِمُ فَقْرَا
وإنى لأخشى أنْ يَكون عطاؤه ... إذا هَمَّ سُوداً أو مُحدرجةً سُمْراً

قال ابن قتيبة : سوداً يعنى السياط ، والمحدرجة: القيود ، وهذه الجارية يقال لها ظمياء ، وهى عمة اللعين الشاعر المنقرى .

ودخل الفرزدق مع فتيان من آل المهلب فى بركة يتبردون فيها ، ومعهم ابن أبى علقمة الماجن ، فجعل يتفلت إلى الفرزدق ويقول : دعونى أنكحه فلا يهجونا أبداً ، وكان الفرزدق من أجبن الناس ، فجعل يستغيث ويقول : لا يمس جلده جلدى ، فيبلغ ذلك جريرا فيوجب علىَّ أنه قد كان منه إلىَّ الذى يقول ، فلم يزل يناشدهم حتى كفُّوه عنه .

وركب يوما بغلته ومر بنسوة ، فلما حاذاهن لم تتمالك البغلة ضُراطا ، فضحكن منه فالتفت إليهن وقال : لا تضحكن فما حملتنى أنثى إلا ضرطت ، فقالت إحداهن : ما حملك أكثر من أمك ، فأراها قد قاست منك ضراطا عظيما ، فحرك بغلته وهرب .

(١) فى نسخه « وراحلة »

ويقال : إنه مر وهو سكران على كلاب مجتمعة فسلّم عليهم ، فلما لم يسمع الجواب أنشأ يقول [من الوافر] :

فما ردّ السلامَ شيوخُ قومٍ مررتُ بهم على سككِ البريدِ
ولاَ سيمَا الذِي كانتْ عليهِ قطيفة أرجُوانٍ فِي القعودِ

وقال: ما أعيانى جوابٌ قط إلا جواب دهقان مرة ، قال لى : أنت الفرزدق الشاعر ؟ قلت : نعم ، قال : إن هجوتنى تخرب ضيعتى ؟ قلت : لا ، قال : فتموت عيشونة ابنتى ؟ قلت : لا ، قال : فرجلى إلى عنقى فى حر أمك ، فقلت : ويحك ، لم تركت رأسك ؟ قال : حتى أنظر أى شيء تصنع يا ابن الزانية .

وكان الفرزدق يقول : خير السّرقة ما لا يقطع فيه ، يعنى بذلك سرقة الشعر.

وقال : قد علم الناس أنى أفحل الشعراء ، وربما أتت على الساعة وقلع ضرس من أضراسى أهون على من قول بيت .

ومن جيد شعره قوله [من الكامل] :

قالت وكيف يميلُ مثلكَ للصبَا وعليكَ مِنْ سِمةِ الحليمِ وقارُ
والشيبُ ينهضُ فى الشبابِ كأنهُ ليلٌ يصيحُ بجانبيهِ نهارُ

وقيل للعين المنقرى : اقض بين جرير والفرزدق ، فقال [من الوافر] :

سأقضى بين كلب بَنِى كليبٍ وبينَ القينِ قينِ بنى عِقالِ
فإنّ الكلبَ مطعمُهُ خبيثٌ وإنّ القينَ يعملُ فى سفالِ
فما بقيَا علَىَّ تركتُمانى ولكنْ خفتُما صرد النبالِ

وقال أبو عمرو بن العلاء : حضرت الفرزدق وهو يجود بنفسه ، فما رأيت أحسن ثقة منه بالله تعالى .

توفى سنة عشر ومائة ، وقيل: سنة اثنتى عشرة ، وقيل : سنة أربع عشرة .

ورثاه جرير بأبيات منها قوله [من الطويل] :

فلاَ وَلدتْ بعدَ الفرزدقِ حاملٌ ولا ذاتُ بعلٍ من نفاس تعلت
هو الوَافدُ الميمونُ والراتِقُ الثَّأى إذا النَّعلُ يوماً بالعشيرةِ زلَّتِ

ورثاه أيضاً بغير ذلك.

وقال ابنه لبطة : رأيت أبى فى المنام ، فقلت: مافعل الله بك ؟ قال: نفعتنى الكلمة التى نازعت فيها الحسن عند القبر ، وذلك أن الحسن البصرى لما وقف على قبر النوار زوجة الفرزدق، والفرزدق واقف معه والناس ينظرون ، فقال الحسن: ما للناس ؟ فقال الفرزدق : ينظرون خير الناس ، وشر الناس ، فقال : إنى لست بخيرهم ولستَ بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا المضطجع ؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة .

ورؤى فى النوم فقيل له: مافعل الله بك ؟ قال: غفر لى بإخلاصى يوم الحسن وقال : لولا شيبتك لعذبتك بالنار .

وقصّته فى تزوُّجه بالنَّوار ابنة عمه شهيرةٌ ، ورزق منها أولاداً ، وهم : لبطه وسبطة وكلطة ، وليس لواحد منهم عقب .

*
* *

٨ — سَأطلبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنكم لِتقرُبوا وَتَسْكُبُ عَيْنَاىَ الدُّموعَ لِتَجْمُدَا

شاهد التعقيد المعنوى

البيت للعباس بن الأحنفِ (١) من أبياتٍ من الطويل

والشاهد فيه السببُ الثانى الحاصلُ به التعقيدُ، وهو : الانتقال، فإن معنى البيت: أطلب وأريد البعدَعنكم أيها الأحِبةُ لتقرُبوا ، إذ من عادة الزمان الإتيانُ بضدِّ المراد ، فإذا أريد البعدُ يأتى الزمان بالقرب . وأريد وأطلب الحزنَ الذى هو لازمُ البكاء ليحصلَ السُّرورُ بما هو من عادة الزمان ، فأراد

(١) اشتهرت نسبة هذا البيت إلى العباس بن الأحنف، وهو لا يوجد فى ديوانه المطبوع فى استامبول ١٢٩٨ .

أن يَكْنِي عمّا يُوجبه دوامُ التلاقى من السرور بالجمودِ ، لظنه أن الجمود هو خُلوُّ العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر ، وأخطأ فى مراده ، إذ الجمود هو خلوّ العين من البكاء حالةَ إرادة البكاء منها ، كقول أبى عطاء يرثى ابن هبيرة [من الطويل] :

ألا إنّ عَيْناً لم تَجُدْ يومَ واسِطٍ عَلَيْكَ بجارِى دَمْعِهَا لَجَمُودُ

وقول كُثَيِّر عزة [من الطويل] :

ولم أدْرِ أنّ العَيْنَ قَبْلَ فِرَاقِهَا غداة الشبا مِنْ لاَعِجِ الوَجْدِ تَجْمُدُ

فلا يكون الجمود كناية عن السرور ، بل عن البخل ، فيكون الانتقال من جمود العين إلى بخلها بالدموع ، لا إلى ماقصده من السرور ، ولو كان فى الجمود صلاحيةٌ لأن يراد به عدم البكاء حال المسرة ، لجاز أن يقال فى الدعاء « لاَ زَالَتْ عَيْنُكَ جَامِدَة » كما يقال « لا أبكى الله عينك » وهذا غير مشكوك فى بطلانه وعليه قول أهل اللغة « سنةٌ جماد » أى لامطر فيها و« ناقةٌ جماد » أى لا لبن فيها.

وقد فسر المبرد فى الكامل هذا البيت بغير هذا ، فقال : هذا رجل فقير يبعد عن أهله و يسافر ليحصلَ مايوجب لهم القربَ ، وتسكب عيناه الدموع فى بعده عنهم لتجمدا عند وصوله إليهم . وأنشد [من الطويل] (١)

تَقُولُ سُلَيْمَى لو أقمتَ بِأرضنا ولم تَدْرِ أنّى لِلمُقَامِ أطوِّفُ

ومنه قول الربيع بن خيثم — وقد صلى طول ليلته حتى أصبح وقال له رجل : أتعبت نفسك — فقال : راحتَهَا أطلب ، ومثله قول روح بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب — ونظر إليه رجل واقفاً بباب المنصور فى الشمس ، فقال له الرجل : قد طال وقوفك فى الشمس — فقال روح : ليطول قعودى فى الظل .

وقال الزجاج فى أماليه : أخبرنا أبو الحسن الأخفش ، قال : كنت يوماً بحضرة

---

(١) البيت لعروة بن الورد ، وانظر الموازنة (ص ٦١ بتحقيقنا)

ثعلب ، فأسرعت القيام قبل انقضاء المجلس ، فقال لى : إلى أين ؟ ما أراك تصبر عن مجلس الخلدى ! يعنى المبرد ، فقلت له : لى حاجة ، فقال لى : إنى أراه يُقدِّم البحترىَّ على أبى تمام ، فاذا أتيتَه فقل له : ما معنى قول أبى تمام [من الوافر] :

أآلِفَةَ النَّحيبِ كم افتراقٍ أظلَّ فكانَ داعيةَ اجتماعِ

قال أبو الحسن : فلما صرت إلى أبى العباس المبرد سألته عنه ، فقال : معنى هذا أن المتحابين والمتعاشقين قد يتصارمان و يتهاجران دلالا ، لا عزما على القطيعة ، فاذا حان الرحيل وأحسَّا بالفراق ، تراجعا إلى الوداد ، وتلاقيا خوف الفراق ، وأن يطول العهد بالالتقاء بعده ، فيكون الفراق حينئذ سببا للاجتماع كما قال الآخر [من الخفيف] :

متَّعا بالفِراقِ يومَ الفراقِ مُستجيرَيْنِ بالبُكا والعناقِ
وأظَلَّ الفِراقُ فالتقَيا فيـ ـهِ فِراقٌ أتاهُما باتِّفاقِ
كيفَ أدعو على الفراقِ بحَتْفٍ وَغداةَ الفِراقِ كانَ التَّلاقى ؟

قال : فلما عدت إلى مجلس ثعلب سألنى عنه ، فأعدت عليه الجواب والأبيات ، فقال : ما أشد تمويهه ! ما صنع شيئاً ! إنما معنى البيت : أن الإنسان قد يفارق محبو به رجاء أن يغنم فى سفره فيعود إلى محبو به مستغنياً عن التصرف فيطول اجتماعه معه ، ألا تراه يقول فى البيت الثانى :

ولَيستْ فَرحةُ الأَوْباتِ إلاَّ لِموقوفٍ على تَرحِ الوَداعِ

وهذا نظير قول الآخر ، بل منه أخذ أبو تمام :

سأَطلبُ بُعدَ الدَّارِ عنكم لِتَقربوا وتَسكبُ عَيناى الدُّمُوعَ لِتجمُدَا

هذا ذاك بعينه .

وذكرتُ بما تقدم آنفا من أن عادة الزمان الاتيان بضد المراد ، أى : وإن كان على وفق الارادة الالهية قولَ الباخرْزى [من الكامل] :

ولَطالمَا اخترتُ الفراقَ مُغالِطاً واحتلتُ فى استثمارِ غَرسِ ودادى

وَرَغِبتُ عن ذِكرِ الوصَالِ لأنها   تُبنَى الأمورُ على خِلافِ مُرادى

ترجمة العباس لأحنف

والعباس(١) بن الأحنف هو خال إبراهيم بن العباس الصولى، وهو حنفى يمامىّ، وكان رقيق الحاشية، لطيف الطباع، وله مع الرشيد أخبار، قال بشار: ما زال غلام من بنى حنيفة يُدخل نفسَه فينا ويخرجها حتى قال [من البسيط](٢):

أبكِى الذينَ أذاقونى مودّتَهم   حتى إذا أيقظونى للهوى رقدُوا

وَاستنهضونى فلما قمتُ منتصباً   بثقل ما حمّلونى منهم قعدُوا

لأخرجنَّ من الدُّنيا وحبُّهم   بين الجوانح لم يَشعرْ به أحدُ

وكان فى العباس آلات الظَّرف: كان جميل المنظر، نظيف الثوب، فارهَ المركب، حسن الألفاظ، كثير النوادر، شديد الاحتمال، طويل المساعدة.

طلبه يحيي بن خالد البرمكى يوما فقال: إن مارية هى الغالبة على أمير المؤمنين، و إنه جرى بينهما عتب، فهى بعزة دالَّة المعشوق تأبى أن تعتذر، وهو بعزّ الخلافة وشرف الملك والبيت يأبى ذلك، وقد رُمْتُ الأمر من قبلها فأعيانى، وهو أحرى أن تستفزه الصبابة، فقل شعرا تسهّل به عليه هذه القضية وأعطاه دواة وقرطاسا، فطلبه الرشيد فتوجه إليه، ونظم العباس قوله [من الكامل](٣):

العاشقان كِلاهما متغضّبٌ   وكِلاهما متوجّدٌ متجنّبُ

---

(١) تجد للعباس بن الأحنف ترجمة فى ابن خلكان (١ ـ ٤٣٨) وفى الأغانى (٨ : ١٥ ـ ٢٥).

(٢) فى الديوان (٥٠) أول وثانى ورابع ستة أبيات، وفيه فى عجز الثانى « بثقل ما حملوا من ودهم . . . »

(٣) فى الديوان (١٨) وفيه فى عجز الأول * وكلاهما متشوق متطرب * وفى الثانى « مراغمة » و« مراغما » و « مما يعالج يتعب » وفيه فى الرابع « إن تمكن منكما ».

صدَّت مُغاضبةً وصدَّ مُغاضِباً وكِلاهما مما يُعالج مُتعَبُ
راجعْ أحبتَكَ الذينَ هجرتهمْ إنَّ المُتيَّم قلما يتجنَّبُ
إنَّ التجنُّبَ إنْ تطاولَ منكما دبَّ السُّلُوُّ له فعزَّ المطلبُ

ثم قال لأحد الرسل : أبلغ الوزير أني قد قلت أربعة أبيات ، فإن كان فيها مقنع وجهت بها إليه ، فعاد الرسول ، وقال : هاتها ففى أقل منها مقنع ، فكتب الأبيات وكتب تحتها أيضاً [من السريع] (١) :

لاَ بدَّ للعاشقِ مِنْ وَقفةٍ تَكونُ بين الوَصلِ وَالصَّرْمِ
حتى إذا الهجرُ تمادَى بهِ رَاجعَ مَنْ يَهوَى على رَغمِ

فدفع يحيى الرقعة إلى الرشيد ، فقال : والله ما رأيت شعراً أشبه بما نحن فيه من هذا الشعر ، والله لكأنى قُصِدت بهذا ، فقال : والله يا أمير المؤمنين وأنت المقصود به ، فقال الرشيد : يا غلام ، هات نعلى فاننى والله أراجعها على رغم ، فنهض ، وأذهله السرور أن يأمر للعباس بشىء ، ثم إن مارية لما علمت بمجىء الرشيد إليها تلقته ، وقالت : كيف ذلك ياأمير المؤمنين ؟ فأعطاها الشعر ، وقال: هذا الذى جاء بى إليك ، قالت : فمن قاله ؟ قال : العباس بن الأحنف ، قالت: فبم كوفىء ؟ قال : ما فعلت بعدُ شيئا ، فقالت : والله لا أجلس حتى يكافأ ، فأمر له بمال كثير ، وأمرت هى له بدون ذلك ، وأمر له يحيى بدون ما أمرت به ، وحمل على برذون ، ثم قال له الوزير : من تمام النعمة عندك أن لاتخرج من الدار حتى نؤثل لك بهذا المال ضيعة ، فاشترى له ضياعا بجملة من ذلك المال ودفع إليه بقيته .

وحدث أبو بكر الصولى عن أبى زكريا البصرى قال : حدثنى رجل من قريش قال : خرجت حاجًا مع رفقة لى ، فعرَّجنا عن الطريق لنصلى ، فجاءنا غلام

(١) فى الديوان (١٤٥) أول ورابع أربعة أبيات ، وفيه صدر ثانى هذين
* حتى إذا ما مضه شوقه *

فقال لنا : هل فيكم أحد من أهل البصرة ؟ فقلنا : كلنا من أهل البصرة ، فقال : إن مولاى من أهلها ويدعوكم إليه ، فقمنا إليه ، فاذا هو نازل على عين ماء ، فجلسنا حوله ، فأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا ، وأنشأ يقول [من الرمل][(١)] :

يَا بَعِيدَ الدَّارِ عَنْ وَطَنِهْ مُفْرَداً يَبْكِى عَلَى شَجَنِهْ
كُلَّمَا جَدَّ الرَّحِيلُ بِهِ زَادَتِ الأَسْقَامُ فِى بَدَنِهْ

ثم أغمى عليه طويلا ونحن جلوس حوله إذ أقبل طائر فوقع على أعالى شجرة كان تحتها ، وجعل يغرِّد ، ففتح عينيه وجعل يسمع تغريدَ الطائر ، ثم أنشأ يقول :

وَلَقَدْ زَادَ الفُؤَادَ شَجًى طَائِرٌ يَبْكِى عَلَى فَنَنِهْ
شَفَّهُ مَا شَفَّنِى فَبَكَى كُلُّنَا يَبْكِى عَلَى سَكَنِهْ

ثم تنفس نفساً فاضت معه نفسه ، فلم نبرح عنده حتى غسلناه وكفّناه وتولينا الصلاة عليه ، فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه ، فقال: هذا العباس بن الأحنف.

وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقيل : سنة اثنتين ، وما ذكر من أنه مات هو والكسائى و إبراهيم الموصلى وهشيمة الخمارة فى يوم واحد ، وأن الرشيد أمر المأمون أن يصلى عليهم ، وأنه قدم العباس بن الأحنف رحمه الله لقوله [من الكامل] : [(٢)]

وَسَعَى بِهَا قَوْمٌ وَقَالُوا إِنَّهَا لَهِىَ الَّتِى تَشْقَى بِهَا وَتُكَابِدُ
فَجَحَدْتُهُمْ لِيَكُونَ غَيْرَكِ ظَنُّهُمْ إِنِّى لَيُعْجِبُنِى الْمُحِبُّ الْجَاحِدُ

---

(١) فى الديوان (١٦٢) أربعة أبيات ، غير متعاقبة على هذا الترتيب وفيه فى أولها « ياغريب الدار » وفى ثانى هذه « جد البكاء » و« دبت الأسقام » وأربعة الأبيات فى ابن خلكان مع القصة بترتيبها هنا ، لكن بالألفاظ التى فى الديوان.

(٢) فى الديوان (٤٨) ضمن قصيدة ، وفيه فى صدر الأول « سماك لى قوم وقالوا » .

ففيه نظر ، لأن الكسائى مات سنة تسع وثمانين ومائة ، على خلاف فيه ، وما كان المأمون ممن يقدم العباس على مثل الكسائى ، وأيضا فقد روى الصولى أنه رأى العباس بن الأحنف بعد موت الرشيد بمنزله بباب الشام ، والله أعلم أى ذلك كان .

ومن شعره [من الطويل] (١) :

وحَدَّثْتَنِى يا سَعْدُ عنهم فَزِدْتَنِى جُنُوناً فَزِدْنِى من حَدِيثكَ ياسَعْدُ
هَوَاهاهَوًى لم يَعرِفِ القَلْبُ غَيرَه فَلَيسَ له قَبلٌ ولَيسَ له بَعْدُ

ومنه أيضاً [من الطويل] (٢) :

إذا أنتَ لم تَعطِفْكَ إلا شَفَاعةٌ فلا خيرَ فى وُدٍّ يكونُ بِشافعِ
وأُقسِمُ ماتَركى عِتابَكَ عَنْ قِلًى ولَـكنْ لِعلمى أنه غيرُ نافعِ
وإنِّىَ إن لم ألزَمِ الصبرَ طائعاً فلا بدَّ منه مُكرهاً غير طائعِ

ومن رقيق شعره قوله من جملة قصيدة [من الكامل] (٣) :

يا أيها الرَّجلُ المعذِّبُ نَفسَهُ أَقْصِرْ فإنَّ شِفاءَكَ الإقصارُ
نزفَ البكاءُ دُموعَ عَينكَ فاستَعِرْ عَينا يُعِينكَ دَمعُها المِدرارُ
من ذا يُعيرُكَ عَينَه تبكى بها أرأيت عَينًا للبكاء تُعارُ ؟ !

وشعره كله جيد ، وجميعه فى الغزل لايكاد يوجد فيه مديح . رحمه الله تعالى ! .

---

(١) فى الديوان (٥٨) أول وثالث ثلاثة أبيات ، وفيه فى ثانى هذين « لم يعلم القلب » .

(٢) فى الديوان (٩٨) خامس وثانى وثالث خمسة أبيات ، وفيه فى ثالث هذه « وأنى إذا لم ألزم »

(٣) فى الديوان (٦٨) ضمن قصيدة ، وفيه فى أول هذه « المعذب قلبه » وفى ثانيها « عينا لغيرك دمعها مدرار » .

شاهد كثرة التكرار

٩ — * سَبُوحٌ لهَا منهَا علَيْهَا شَوَاهِدُ *

قائله أبو الطيب المتنبي ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها سيف الدولة بن حمدان أولها (١) :

عَواذلُ ذات الخالِ فيَّ حواسِدُ ... وإنَّ ضَجيعَ الخودِ منِّي لمَاجِدُ
يَرُدُّ يداً عنْ ثوبِها وهْوَ قادرٌ ... وَيعصِي الهوَى في طَيفِها وهْوَ رَاقِدُ
متى يَشتفِي من لاعجِ الشّوقِ في الحشا ... مُحِبٌّ لها في قُرْبِهِ مُتباعِدُ
إذا كُنتَ تخشى العارَ في كلِّ خلوةٍ ... فَلِمْ تَتَصبَّاكَ الحِسانُ الخرائدُ
ألَحَّ عليَّ السُّقمُ حتى ألِفْتُهُ ... وَملَّ طَبيبي جانبي والعوائدُ
أهُمُّ بشيءٍ والليالي كأنَّها ... تُطارِدُني عن كَونِهِ وأطَارِدُ
وحِيدٌ منَ الخِلاَّنِ في كلِّ بَلْدَةٍ ... إذا عَظُمَ المطلوبُ قَلَّ المسَاعِدُ
وتُسعِدُني في غَمرةٍ بَعْدَ غَمرةٍ ... سَبُوحٌ لها منها عليها شواهِدُ

ومنها قوله في المديح :

خَليليَّ إني لا أرى غيرَ شاعرٍ ... فَكم منهمُ الدَّعوى ومنِّي القَصائدُ (٢)
فَلا تَعجبا إنَّ السُّيوفَ كثيرةٌ ... ولكنَّ سَيفَ الدولةِ اليومَ واحِدُ

وهي طويلة .

والسبوح : الفرس الحسن الجري ، يقال : فرسٌ سابح وسبوح ، وخيل سوابح

---

(١) في الديوان (١ - ٢٦٨) .

(٢) في الديوان « فلم منهم الدعوى » وقال العكبري في شرحه : « قال أبو الفتح : لو قال * فكم منهم الدعوى ومني القصائد * لكان أحسن وأشد مبالغة ، لأنها تدل على كثرة فعلهم » اهـ . وأبو الفتح بن جني أعرف الناس بما قال أبو الطيب ، فلعل ماهنا إصلاح للكلام على وفق مارغب فيه أبو الفتح .

لسبحها بيديها فى مسيرها . وسبوح : اسم فرس لربيعة بن جُشَم ، وهو مرفوع على أنه فاعل « تسعدنى » .

والمعنى : وتعيننى على توارد الغمرات فى الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال هى لها منها أدلة عليها .

والشاهد فيه كثرة التكرار وتتابع الاضافات(١) وهى قوله « لها منها عليها » والله تعالى أعلم .

***

١٠ — * حَمامَةَ جَرْعَا حَوْمَةِ الْجَنْدَلِ اسْجَعى *

شاهد تتابع الاضافات

قائله ابن بابك الشاعر المشهور ، من قصيدة من الطويل ، وتمامه :

* فأنتِ بمَرأى من سُعادَ ومَسمع *

والجرعاء : هى الرملة الطيبة المنبِت لا وعوثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، أو الدِّعْص لا ينبت ، أو الكثيب جانبٌ منه حجارة وجانب رمل وحومة القتال : معظمه ، وكذلك من الماء والرمل وغيره ، والجندل : الحجارة ، والسجع : هدير الحمام ونحوه .

والمعنى : ياحمامة جرعاء هذا الموضع اسجعى وترنمى طرباً فأنت بمرأى من الحبيبة ومسمع ، فجدير لك أن تطربى إذ لا مانع لك منه .

والشاهد فيه : تتابع الاضافات ، فانه أضاف « حمامة » إلى « جرعا » و « حومة » إلى « الجندل » وهو من عيوب الكلام .

قال القزوينى : وفيه نظر ، لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم ، أى بقوله «من تنافر الكلمات مع فصاحتها» وإلا فلا يُخل بالفصاحة ، كيف وقد جاء فى التنزيل (مثل دأب قوم نوح) وقد

(١) فى البيت كثرة التكرار ليس غير

قال صلى الله عليه وسلم « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » .

قيل : لا نسلم وجود تتابع الاضافات فى الحديث الشريف ، إذ لفظة الابن صفة لما قبلها ، وليس ما قبلها مضافا إليها .

وعن الصاحب بن عباد « إياك والاضافات المتداخلة فأنها لا تحسن »

وذكر الشيخ عبد القاهر أنها تستعمل فى الهجاء كقول القائل [من الخفيف] :

يا علىَّ بن حمزة بن عُمارهْ أنتَ والله ثَلجةٌ فى خِيارهْ

قال : ولا شك فى ثقل ذلك ، لكنه إذا سلم من الاستكراه ملح وظرف ، ومما حسن فيه قول ابن المعتز [من الطويل] :

وظَلَّتْ تُديرُ الراحَ أيدى جآذرٍ عِتاقِ دنانيرِ الوجُوهِ مِلاحِ

وقول الخالدى [من المنسرح] :

ويَعرفُ الشعرَ مِثلَ معْرفتى وهْوَ على أن يَزِيدَ مُجتهدُ
وصَيرفىُّ القَريضِ وزَّانُ ديـ نَارِ المعانى الدِّقاقِ مُنتقدُ

وهذان البيتان لسعيد بن هشام الخالدى (١) الشاعر المشهور من قصيدة يصف فيها غلاماً له ، وهى بديعة فأحببت ذكرها ، وهى :

مَا هـو عَبدٌ لَكِنَّهُ وَلَدُ خَـوَّلَنِيهِ المُهيْمنُ الصَّمـدُ
وَشـدَّ أزرى بحُسن خِدمتهِ فَهْوَ يَدِى وَالذراعُ وَالعضُـدُ
صَـغيرُ سِنٍّ كَبـيرُ مَنفعةٍ تمازجَ الضعفُ فِيه وَالْجَلَدُ
فِى سنِّ بَدرِ الدُّجا وَصُورَتِه فَمِثـلهُ يُصطفَى وَيُعتَقدُ

---

(١) هكذا وقع فى أصول الكتاب ، ووقع فى فوات الوفيات (١ — ٢١٨) « سعد بن هاشم » وفى اليتيمة (٢ — ١٨٣ بتحقيقنا) « سعيد بن هاشم » وهو الصواب ، وهو أبو عثمان الخالدى ، شاعر من شعراء سيف الدولة ، وحافظ خزانة كتبه ، وأخوه أبو بكر كذلك ، وهما الخالديان .

مُعشَّقُ الطرْفِ كُحله كَحَلٌ مُعطَّلُ الْجيدِ حَلْيهُ الجَيَدُ
وَوردُ خَدَّيْهِ وَالشقائقُ وَالـــتفاحُ وَالْجُلّنارُ مُنتضِدُ
رِياضُ حُسنٍ زَواهرٌ أبداً فِيهِنَّ مَاء النَّعِـيم مُطَّرِدُ
وَغصنُ بَانٍ إذا بَدا وإذا شَدَا فَقُمْرِىٌّ بانةٍ غَرِدُ
مُباركُ الوجهِ مُذْحَظيتُ بهِ بَالى رَخىٌّ وَعيشتى رَغدُ
أُنْسى وَلهْوِى وَكلُّ مَأْرَبَتى مُجتمعٌ فِيهِ لِى وَمُنفرِدُ
مُسامِرِى إنْ دَجَا الظَّلامُ فَلِى مِنهُ حَدِيثٌ كأنهُ الشُّهُدُ
ظريفُ مَزحٍ مَليحُ نَادرةٍ جَوْهرُ حُسنٍ شَرارهُ يَقِدُ
خَازنُ مَا فِى دارِى وَحافظهُ فَليسَ شىءٌ لَدىَّ مُفتقَدُ
وَمنفقٌ مُشفقٌ إذا أنَا أَسْـــرفتُ وَبذَّرْتُ فهْوَ مُقتصِدُ
يَصونُ كُتبى فكلُّها حَسنٌ يَطوِى ثِيابِى فَكلُّها جُدُدُ
وَأبصرُ الناسِ بالطبيخِ فكالـــمسكِ القلايَا وَالعنبرِ الثرُدُ
وهْوَ يُديرُ المدامَ إنْ جُليتْ عَروسُ دَنٍّ نِقابها الزَّبدُ(١)
يَمنحُ كأسى يداً أناملها تَنْحلُّ مِنْ لِينِها وَتنعقدُ
ثَقَّفهُ كَيسهُ فلا عِوجٌ فِى بعضِ أخلاقهِ ولا أوَدُ

و بعده البيتان ، و بعدهما أيضاً :

وَكاتبٌ تُوجدُ البلاغةُ فى ألفاظهِ وَالصوابُ وَالرشَدُ
وَواجدٌ بِى من المحبةِ وَالـــرأفةِ أضعافَ ما به أجِدُ
إذا تَبسَّمْتُ فَهْوَ مُبتهجٌ وَإن تَنمردتُ(٢) فَهْوَ مُرتعدُ

(١) فى الأصول « عروس بكر » وما أثبتناه عن فوات الوفيات .
(٢) فى الفوات « وإن تنمرت » .

ذَا بَعضُ أوْصافهِ وَقدْ بَقِيتْ لهُ صِفاتٌ لمْ يحوها أحدُ

وقد عارضها الشهاب محمود بقصيدة يذم فيها غلاما له، وهي [من المنسرح] :

ما هو عَبدٌ كلاَّ ولاَ ولدُ إلاَّ عناءٌ تَضنى به الكَبِدُ
وَفرطُ سقمٍ أعيْا الأساةَ فلاَ جِلْدٌ عليهِ يَبقى ولاَ جَلَدُ
أقبحُ ما فيه كلُّهُ وَلقدْ تَساوتِ الروحُ منه والجسدُ
أشبهُ شيءٍ بالقردِ فهوَ لهُ إنْ كان لِلقرد في الورى ولدُ
ذُو مُقلةٍ حشوُ جفنها عمَصٌ تَسيلُ دمعاً ومابها رَمدُ
وَوجنةٍ مِثلِ صبغةِ الوَرْسِ لـكنْ ذاكَ صافٍ وَلونها كمِدُ
كأنما الخدُّ في نَظافتهِ قدْ أكِلَتْ فوق صحنه غُدَدُ
يقطرُ سماً فَضحكهُ أبداً شرٌ بُكاهُ وبِشرهُ حَرَدُ
يجمعُ كفيهِ مِنْ مَهانتهِ كأنه في الهجيرِ مُرتعدُ
يُطرقُ لاَ مِنْ حياً وَلا خَجلٍ كأنهُ لِلترابِ مُنتقدُ
ألـكنُ إلاَّ في الشتمِ يَنبحُ كالْـكلبِ وَلوْ أنَّ خَصمهُ الأسدُ
يَشتمني الناسُ حِينَ يَشتمهمْ إذْ لَيسَ يَرضى بِشتمهِ أحدُ
كَسلانُ إلاَّ في الأكلِ فهو إذا ماحضرَ الأكلُ جمرةٌ تَقِدُ
كالنارِ يومَ الرِّياح في الحطبِ الـيابسِ تأتي على الذي تجدُ
يرفُلُ في حُلةٍ منبشة من قمله رقم طرزها طرد
أجملُ أوْصافهِ النميمةُ وَالـكذبُ وَنقلُ الحديثِ وَالحسدُ
كلُّ عُيوبِ الورَى به اجتَمعتْ وَهو بأضعافِ ذاكَ مُنفردُ
إنْ قُلتُ لمْ يدرِ ماأقولُ وَإنْ قالَ كلانا في الفهم متحد
كأنَّ مالِي إذا تَسلمهُ ماءٌ قَراحٌ وكفهُ سرد

حَمَلته لى دُوَيّةٌ حَسنتْ كُنتُ عَليها فى الظَّرفِ أعتمِدُ
كَمثلِ زَهرِ الرِّياضِ مَاوَجدتْ عَينى لهـا مُشبهاً ولا تجدُ
فمرَّ يوماً بهـا على رجُلٍ لديهِ عِلمُ اللُّصوصِ يَستند
أودَعها عِنده ففرَّ بهـا وَما حواه مِنْ بعـدها البلدُ
فَجاء يَبكى فظلتُ أضحكُ مِنْ فِعـلى وقلبى بالغيظِ يتقدُ
وَقالَ لى لا تخفْ فخابيته مَـشهورةُ الشكلِ حينَ يُفتقدُ
عَليهِ ثَوبٌ وعمةٌ وله ذقنٌ ووجهٌ وَساعدٌ ويدُ
وَقائلٍ بعهُ قُلتُ خذهُ ولا وَزنٌ تُجازى به ولا عددُ
ففى الذى قدْ أضاعهُ عِوضٌ وهْو على أنْ يزيدَ مُجتهدُ

ومثله قول راشد الكاتب فى غلام له قد باعه ، وكان اسمه نفيسا فسماه خسيسا [من البسيط] :

بعْنا خَسيساً فلم يحزنْ له أحدُ وَغابَ عنا فغابَ الهمُّ والنكدُ
أهونْ به خارجا من بينِ أظهرنا لم نفتقده وكلبُ الدارِ يفتقدُ
قدْ عريتْ مِنْ صنوفِ الخيرِ خِلقتهُ فلا رُواءٌ ولا عقلٌ ولا جَلدُ
يدعُو الفحولَ إلى ماتحتَ مِئزره دُعاءَ من فى استه النيرانُ تتقدُ

وقال فيه أيضاً [من الطويل] :

عرَضنا خَسيساً فاحتمى كلُّ تاجرٍ شِراهُ وأعْيا بَيعُهُ كلَّ دَلالِ
وما باتَ فى قومٍ يُحبُّونَ قُربهُ فأصبحَ إلاّ وَالمحبُّ له قالى (١)
فما فى يديهِ خِدمةٌ يُشتهى لها ولا عِندهُ معنىً يُرادُ على حالِ
بلى ليس يخلو من مَعايبِ أهلهِ وإنْ أصبحوا فى ذِروةِ الشَّرفِ العالى

(١) قال : مبغض كاره ، قلاه يقلوه ، وقلاه يقليه : أبغضه.

إذا لم يجدْ فيهمْ مقالاً رمامهُ ... ببعض عيوبِ الناسِ فى الزَّمنِ الخالى
ويحتالُ فى استخراجِ ما فى بيوتهمْ ... بما قصرتْ عنهُ يدا كلِّ مُحتال
وإنْ حمَّلوهُ سِرَّ أمرٍ أذاعهُ ... وكادهُمُ فيه كِيادةَ مُغتالِ
ويعبثُ بالجيرانِ حتى يملَّهمْ ... ويُبرِمُ أهلَ الدار بالقيلِ والقالِ(١)
يريهمْ صُروفَ الدهرِ من حمقاته ... أعاجيبَ لم تخطر بوهمٍ ولا بال
أقولُ وقدْ مروا به يعرضونهُ ... إلى النَّار فاذهبْ لا رجعتَ ولا مالى

وقال العلامة ابن الوردى رحمه الله يهجو عبداً له اسمه بهادر [من الطويل] :

بهادرُ عبدٌ لا بهاءٌ ولا درٌّ ... فما أنا حرٌّ يومَ قولى له حرُّ

وأما ابن بابك فهو عبد الصمد (٢) بن منصور بن الحسن بن بابك الشاعر المشهور، أحد الشعراء المجيدين المكثرين ، وهو بغدادى، وله ديوان كبير وأسلوب رائق فى نظم الشعر ، طاف البلاد ، ومدح الأكابر كعضد الدولة والصاحب بن عباد وغيرهما ، وأجزلوا له الجوائز ، وذكر صاحب اليتيمة أنه كان يشتو فى حضرة الصاحب بن عباد ويصيف فى وطنه ، وقد ذكر ذلك فى بعض قصائده (٣) ، قال: وقرأت للصاحب فصلا فى ذكره فاستملحته ، وهو «أما ابن بابك ، وكثرة غشيانه بابك ، فإنما تغشى منازل الكرام ، والمنهل العذب كثير الزحام»

ومن شعره فى وصف الخمر من قصيدة [من الطويل] :

---

(١) يبرم أهل الدار : يملهم ويورثهم السآمة .
(٢) لابن بابك ترجمة فى ابن خلكان (١-٣٣٢) وفى يتيمة الدهر للثعالبى (٣-٣٤٣ مصر)
(٣) ذلك قوله :

وحادث بالسراج أخا اشتياق ... يلاعب ظله جد مخيف
له بالريف من جرحان مشتى ... وبالنخلات من غمى مصيف

عُقارٌ عَليها من دَمِ الصَّبِّ نُقطةٌ ومنْ عَبراتِ المستهام فَواقعُ[1]
معُوَّذةٌ غَصبَ العقول كأنما لها عند ألبابِ الرِّجال وَدائعُ
تَحيَّرَ دمعُ المُزنِ فى كأسها كما تَحيرُ فى وَردِ الخدودِ المَدامعُ

وله من أخرى فى وصف إضرام النار فى بعض غياض طريقه إلى الصاحب [من البسيط]:

وَمقلةٍ فى مجرّ الشمس مَسحبها أرْعيتها فى شباب السُّدفة الشهبا
حتى أرَتنى وعينُ الشمس فاترةٌ وجهَ الصباح بذيل الليل مُنتقبا
وَليلةٍ بتُّ أشكو الهمَّ أولَها وَعدتُ آخِرَها أستنجد الطَّربا[2]
فى غَيضةٍ من غِياضِ الحسن دانيةٍ مدَّ الظلامُ على أرْواقها طُنُبا[3]
يَهدِى إليها مُجاجَ الخمرِ ساكِنَها وكلَّما دبَّ فيها أثمرت لهبا
حتى إذا النار طاشتْ فى ذوائبها عادَ الزُّمردُ من عيدانِها ذَهبا
مَرقتُ مِنها وَثغرُ الصُّبح مُبتسم إلى أغرَّ يرَى المذْخورَ ما وَهبا

وله أيضاً [من البسيط]:

أُحبته أسودَ العينين والشَّعرهْ فى عينه عِدةٌ لِلوصلِ مُنتظرهْ
لدنَ المقلَّد مَخطوف الحشا ثملاً رَخصَ العظامِ أشمَّ الأنفِ وَالقصرهْ
لِلظبى لفتتهُ وللغصنِ قامتهُ وَالرَّوضِ ما بثَّه وَالرَّمل ما سَترهْ
تَكادُ عَينى إذا خاضتْ محاسنَهُ إليهِ تَشربهُ منْ رقةِ البشرهْ
حتى إذا قلتُ قد أَمللتُها شَرهتْ شَوقاً إليهِ وفى عَينِ المحبِّ شَرهْ

(١) فى اليتيمة « من دم الصب نفضة ».
(٢) فى الأصول « بت سلوا الهم » ولعله محرف عن « بت شلوا الهم ».
(٣) فى اليتيمة « من رياض الحزن » وفى الأصول « على أوراقها » وما أثبتناه فى هذه العبارة عن اليتيمة.

ومنه [من البسيط] :

زَمْرُ الغروبِ وأصواتُ النَّواعيرِ والشُّربُ في ظلِّ أكواخِ المناظيرِ
وَصرعة بينَ إبريقٍ وبَاطيةٍ ونقرة بينَ مِزمارٍ وطنبورِ
أشهى إلىَّ مِنَ البيْداءِ أعْسِفُها ومِنْ طُلوعِ الثَّنايا الشُّهبِ والقورِ
يا رُبَّ يَوْمٍ على القاطُولِ جاذبنى صُبحَ الزُّجاجةِ فيهِ فَضلةُ النُّورِ
صدَعَتْ طُرتهُ والشمسُ قاصِدَة في يَلمقٍ مِنْ ضَبابِ الدجْنِ مَزرُورِ
كأنَّ ما انْهلَّ مِنْ أهْدَابِ مُزْنتهِ دَمعٌ تَساقطَ من أجفانِ مَهجورِ
فَمِنْ رشاشٍ على الرَّيحانِ مُقْتحِمٍ ومِنْ رَذاذٍ على المنثورِ مَنثورِ

ومن شعره أيضا [من الكامل] :

وغَديرِ ماءٍ أفعِمَتْ أطْرافهُ كالدَّمع لما ضَاقَ عنهُ مَجالُ
قَمرُ الرياضِ إذا الغُصُونُ تَعَدّلت وإذا الغصونُ تهدَّلت فهِلالُ

ومنه وهو غريب التشبيه [من البسيط] :

وافى الشتاءُ فبزَّ النَّوْرُ بهجته فِعلَ المشيبِ بشعرِ اللِّمةِ الرجلِ
وَرْدٌ تفتحَ ثمَّ ارتدَّ مُجتمِعاً كما تجمَّعتِ الأفواهُ لِلقبَلِ

وقد أخذه الأمير مجيرالدين بن تميم مع زيادة التضمين فقال [من الكامل] :

سِيقتْ إليْكَ مِنَ الحَدائقِ وردَة وأتتكَ قبلَ أوانِها تَطفيلاَ
طَمعت بِلثمِكَ إذْ رأتك فجمَّعت فَمَها إليكَ كطالبٍ تقبيلاَ

وهذا التضمين من بيت للمتنبي فى وصف الناقة وهو [من الكامل] :

ويُغيرُنى جذبُ الزِّمام لقلبها فمها إليكِ كطالبٍ تقبيلاَ

فنقله ابن تميم إلى وصف زر الورد فأحسن غاية الإحسان ، وهو من قول مسلم بن الوليد [من الكامل] :

وَالعيسُ عاطفةُ الرؤسِ كأنما يَطلبنَ سرَّ محدثٍ فى المجلسِ

وفى مثل قول ابن تميم قول الخباز البلدى دو بيت :

ووردة تحكى بسبق الورد طليعةً تسرعتْ من جُند
قد ضمهافى الغصن قرص البرد ضم فمٍ لقُبلةٍ من بُعْدِ

وذكرت بهـذا ما قاله صاعد اللغوى (١) صاحب كتاب الفصوص يصف باكورة ورد حملت إلى أبى عامر محمد بن أبى عامر الملقب بالمنصور [من المتقارب] :

أتتـكَ أبا عامرٍ وَردةٌ يُحاكى لكَ المسكُ أنفاسها
كَعذراء أبصرها مُبصرٌ فغطَّتْ بأكمامها رَاسهـا

فاستحسن المنصور ما جاء به ، فحسده الحسين بن العريف فقال : هى لعباس ابن الأحنف ، فناكره صاعد ، فقام ابن العريف إلى منزله ووضع أبياتا وأثبتها فى صفح دفتر وقد نقض بعض أسطاره وأتى بها قبل افتراق المجلس ، وهى [من المتقارب] :

عشوتُ إلى قصرِ عبّاسةٍ وَقدْ جَدّلَ النومُ حرّاسهَا
فألفيتها وَهىَ فى خِدْرها وَقدْ صَدعَ السكر أناسها(٢)
فقالتْ : أسارٍ على هَجعةٍ ؟ فقلتُ : بَلى ، فرمتْ كاسها
ومدّتْ إلى وردةٍ كفَّها يُحاكى لكَ المسكُ أنفاسها
كَعذراء أبصرها مُبصرٌ فَغطّتْ بأكمامها رَاسها
وقالتْ خَفِ اللهَ لاتَفضحـــنَّ فى ابنةِ عَمك عباسَها
فَوليت عَنها على غَفلةٍ ولاخُنتُ ناسى ولا ناسَها

قال : فخجل صاعد ، وحلف فلم يُقبل منه ، وافترق المجلس على أنه سرقها

---

(١) له ترجمة فى نفح الطيب (٢ – ٢٧٦ بولاق) وفى الذخيرة لابن بسام (ق٤ ج ١ ص ٢) وقد رويت هنالك القصة والأبيات كلها .

(٢) فى المطبوعتين « إيناسها » وما أثبتناه موافق لما فى الذخيرة والنفح

وتمكنت فى صاعد لأنه كان يوصف بغير الثقة فيما ينقله .

ومن شعر ابن بابك يصف زمام الناقة وهو معنى جيد [من الكامل] :

وَلَقَدْ أَتَيتُ إِلَيكَ تحمل بِزَّتى حَرفٌ يُسكِّنُ طَيشَها الذألانُ
يَنفِي الزَّفيرُ خُطامَها فكأنهُ غارٌ يُحاول نَقبه ثُعبانُ

وقد زاد فيه على المتنبي وقد ذكر الخيل [من الطويل] :

تُجاذِبُ فِيهَا لِلصباحِ أعِنَّةً كأنَّ على الأعناقِ منها أفاعيا

وهو من قول ذى الرمة [من الطويل] :

رَجيعـة أسفَارٍ كأنَّ زِمامَها شُجاعٌ على يُسرَى الذُّرا عَينِ مُطرِقُ

على أن ذا الرمة لم يزد على التشبيه شيئا ، والمتنبي أتى به فى عرض بيتـه ، وزاد مقصداً آخر ، وهو أن الخيل لاتترك الأعنةَ تستقر فى أيدى فرسانهـا لما فيها من سَورة المرح وحسن البقية بعد طول السرى ، فكأنما الأعنة أفاعٍ تلدغ أعناقها إذا باشرتها ، فتجاذبها الفرسان الأعنـة وهى تجاذبهم إياها ، وهذا لم يقصده ذو الرمة ولا يؤخذ من بيته .

ومن شعر ابن بابك بيت من قصيدة فى غاية الرقة ، وهو [من الوافر] :

وَمرَّ بىَ النَّسيمُ فَرَقَّ حتَّى كأنى قد شكوتُ إليهِ مابى

ونقل بعضهم أن ابن بابك لما وفد على الصاحب بن عباد وأنشده مدائحه فيه طعن عليه بعض الحاضرين ، وذكر أنه منتحل ، وأنه ينشد قصائد قد قالهـا ابن نباتة السعدى ، فأراد الصاحب ابن عباد أن يمتحنه فاقترح عليـه أن يقول قصيدة يصف فيها الفيل على وزن قول عمرو بن معدى كرب [من الكامل] :

أعدَدتُ لِلحدثانِ سا بِغـةً وعدَّاءً علَندى

فقال [من الكامل] :

قَسماً لَقَدْ نشر الحيا بِمَناكب العَلَمَينِ بُرْدا

وتنفستْ بِمَنِيَّةٍ تَستضحك الزَّهر المندَّى
وجريحة اللبّاتِ تنثرُ مِنْ سقيطِ الدَّمعِ عقدًا
نازعتُها حلبَ الشؤو ن وقلّما استعبرْتُ وجدًا
ومُساجلٍ لى قدْ شققْتُ لِدائهِ فى فىَّ لَحْدًا
لا تَرْمِ بى فأنا الَّذِى صيّرْتُ حُرَّ الشعرِ عبْدًا
بِشواردٍ شُمُسِ القيا دِ يَزِدن عِندَ القُربِ بُعدًا
ومُمسَّكِ البُرْدَينِ فى شِبهِ النَّقا شِيَةً وقدًّا
وكأنما نَسَجتْ عليه يَدُ الغمامِ الجَون جِلدًا
وإذا لوَتْكَ صفاتهُ أعطاك نَسَّ الرومِ نَقْدًا
فكأنَّ مِعصمَ غادةٍ فى ماضغيهِ إذا تصدّى
وكأنَّ عودًا عاطلاً فى صَفحتيهِ إذا تبدّى
يحدُو قوائمَ أربعًا يَتركنَ بالتلعاتِ وَهدًا
جأبُ المطوّقِ قدْ تفرَّ دَ بالكراهةِ واستبدّا
فإذا تجللَ هضبةً فكأنَّ ظِلَّ الليلِ مُدّا
وإذا هوَى فكأنَّ رُكْـنا مِنْ عُمانَ قدْ تردّى
وإذا استقلَّ رأيتَ فى أعطافهِ هزلاً وجِدًّا
مُنقرطًا أذنًا تعى زجرَ العسوفِ إذا تعدّى
خرقاءَ لا يجدُ السرا رُ إذا تولَّجَها مَرَدًّا
أوطأتهُ صرعى بسيـ فى واجتنيتُ وصالَ سُعدى
مَلكٌ رأى الإحسانَ منْ عُدَدِ النوائبِ فاستعدّا
كافى الكُفاةِ إذا انثنتْ مِقَلُ القنا الخطّارِ رُمدًا

تَكسوهُ نَشرَ العرفِ كَـفٌّ من جُفونِ الطَّلِّ أندَى

لاَ زلتَ يا أملَ العفا ةِ لفارطِ الإملاقِ وِردَا

فالقَ اللَّيالى لاَبساً عَيشاً بَرودَ الظِّلِّ رَغدَا

فاستحسنها الصاحب ولام الطاعن عليه على كذبه وادعائه أنه انتحل شعر غيره ، فقال : يا مولانا هذا والله معه ستون فيلية كلها على هذا الوزن لابن نباتة فضحك منه .

وكان الصاحب قد برز أمره لابن بابك وغيره من الشعراء الذين بحضرته أن يصفوا الفيل على هذا الوزن . فمن قصيدة لأبى الحسن الجوهرى :

يَزهو بِخرْطومٍ كمِثـلِ الصَّوْلجانِ يردّ رَدّا

متمدِّدٍ كالأُفعوا نِ تَمدُّهُ الرَّمضاء مدّاً

أوْ كمٍّ رَاقصةٍ تُشـيرُ بهِ إلى الندْمانِ وَجدَا

وَكأنهُ بُوقٌ يُحـركهُ لِينفخَ فيهِ جدّاً

يَسطو بِصارِمَتَى لحـىً يحطمان الصخر هدّا

أذْناهُ مِروحتانِ أسـندتا إلى الفودينِ عمدا

عَيناه غائرتانِ ضيـقتا لجمع الضوء عمدَا

ومن قصيدة لأبى محمد الخازن :

وكأنما خُرطومهُ رَاووقُ خمرٍ مدّمدّا

أوْ مِثلُ كمٍّ مُسبلٍ أرْخته لِلتوديعِ سُعدَى

وإذا التوى فكأنه الـثعبانُ من جبلٍ تردَّى

وكأنما انقلبتْ عَصا موسى غداة بها تحدَّى

وكانت وفاته فى سنة عشر وأربعمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى !

شواهد الفن الأول ، وهو علم المعانى

تنزيل غير المنكر منزلة المنكر

١١ — جاءَ شَقيقٌ عارضاً رُمْحَهُ * إنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِماحْ

البيت لحجل بن نَضلة ، من السريع ، وبعده :

هَلْ أحْدَثَ الدَّهرُ لَنا ذِلَّةً أمْ هَلْ رَمَتْ أُمُّ شَقيقٍ سِلاحْ

شقيق هنا : اسم رجل .

والمعنى : جاء هذا الرجلُ واضعاً رمحه عرضاً مفتخراً بتصريف الرماح ، مُدلاً بشجاعته ، دالاً ذلك على إعجاب شديد منه واعتقادٍ بأنه لا يقوم إليه أحد من بنى أعمامه كأنهم كلهم عُزْلٌ ليس مع أحد منهم رمح فقيل له : تَنكبْ وخَلِّ لهم طريقهم لئلا تتزاحم عليك رماحُهم وتتراكم عليك أسنتها ، إن بنى عمك فيهم رماح كثيرة

والشاهد فيه : تنزيلُ غير المنكرِ للشيء منزلةَ المنكر له إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار ، وقد تقدم معناه

وما أحسن قولَ ابن جابر الأندلسيّ مشيراً إلى شطر البيت الأول [من السريع] :

سَامَحَ بالْوَصلِ على بُخلِهِ وَقالَ لِي أنتَ بِوصلِي حَقيقْ

فَقلتُ مَا رَأيكَ فِي نُزهةٍ مَا بينَ كاسَاتٍ وَروضٍ أنِيقْ

فَقالَ يَعني خدَّه وَاللَّمَا هٰذا هُوَ الرَّوضُ وَهذا الرَّحيقْ

فَبتُّ مِنْ دَمْعي وَمِنْ خَدِّه مَابينَ نُعمانَ وَبينَ العقيقْ

وَإذْ تَدلَّلتُ عَلى حُبِّهِ فَقال مَا تخشى أما تَستفيقْ

قَدِّي وَخَدِّي خَفْهما يا فتى هٰذا هُوَ الرُّمحُ وَهٰذا شَقيقْ

وَقد ضمنه أبُو جعفر الأندلسى أيضاً فقال [من السريع] :

أبدَتْ لنا الصُّدْغَ على خدِّها فأطْلَعَ الليلُ لنا صبحَهُ

فخَدُّها مَعْ قدِّها قائل هذا شقيق عارض رُمحهُ

وقد ضمنه ابن الورديّ أيضاً فقال [من السريع] :

لما رأى الزَّهرُ الشقيقَ انثنى مُنهزماً لم يَستطعْ لَمحَهُ

وقال : مَنْ جاء ؟ فقُلنا له ُ : جاء شقيقٌ عارضاً رُمْحه ُ

وأما حجل بن نضلة فهو أحد بنى عمرو بن عبد قيس بن معن بن أعصر

***

شواهد الاسناد

١٢ — أشابَ الصغيرَ وأفْنَى الكبيرَ كرُّ الغَدَاةِ ومرُّ العشِي

البيت للصَّلتان العبدى الحماسى [١] من قصيدة من المتقارب . ونسب الجاحظ فى كتاب الحيوان هذه الأبيات للصلتان السعدى ، وقال : هو غير الصلتان العبدى ، و بعد البيت :

إذا ليلةٌ أهرمت يَوْمها أتى بعدَ ذلكَ يوم فتى [٢]
نرُوحُ ونغدُو لِحاجاتنا وحاجةُ مَنْ عاشَ لاتنقضى
تموتُ معَ المرء حاجاتهُ وتَبْقَى له حاجةٌ مابقى
إذا قلتَ يوما لمنْ قدْ ترَى أرُونى السَّرىَّ أرَوكَ الغنى
بُنَىَّ بداخِبُ نجْوَى الرِّجال فكنْ عندَسرِّكَ خبَّ النجى [٣]
فسرُّكَ ما كان عِندَ امرىء وسرُّ الثلاثةِ غيرُ الخفى

---

(١) الحماسى : أحد شعراء ديوان الحماسة الذى اختاره أبو تمام حبيب ابن أوس الطائى من شعر العرب ، وانظر شرح التبريزى بتحقيقنا (٣-١٩١) آخر باب الأدب .

(٢) فى الحماسة « إذا ليلة هرمت »

(٣) فى الأصول « خبء » بالهمز ، فى صدر البيت وعجزه ، وما أثبتناه عن الحماسة ، والخب — بكسر الخاء — المكر والخديعة ، والخب — بفتح الخاء — الوصف منه ، أى الماكر المخادع . وقبل هذا البيت فى الحماسة قوله :

ألم تر لقمان أوصى ابنه وأوصيت عمراً فنعم الوصى

فكن كابن ليلٍ على أسودٍ ... إذا ما سوادٌ بليلٍ خشى[١]

فكلُّ سوادٍ وإن هِبْتَه ... من الليل يُخْشى كما تختشى

أرد محكم الشعر إن قلْته ... فانّ الكلام كثيرُ الروى

كما الصمْتُ أدنى لبعض اللسان ... وبعض التكلّم أدنى لِعِيْ

ومعنى البيت: أن كرور الأيام ومرور الليالى يجعل الصغير كبيراً والطفل شائبا[٢] والشيخ فانيا.

والشاهد فيه: حمل إسناد الافناء إلى كرور الأيام ومرور الليالى على الحقيقة لكون إسناده إلى ماهو له عند المتكلم فى الظاهر.

والصلتان العبدى هو قُثَم بن خَبِيَّة[٣] بن عبدالقيس[٤] وهو شاعر مشهور قيل له: اقض بين جرير والفرزدق، فقال [من الطويل][٥]:

---

(١) هذا البيت والبيتان بعده لا توجد فى الحماسة.

(٢) هذا استعمال ردىء، والجيد أن يقال: شاب يشيب فهو أشيب.

(٣) وقع فى الأصول «بن حبيبة» محرفا، والتصويب عن الخزانة (١ - ٣٠٨). قال: «خبية بفتح الخاء المعجمة وكسر الموحدة وتشديد المثناة التحتية وأصلها الهمز» اه.

(٤) هو أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة بن عبد القيس، فنسبه هنا إلى جده الأعلى، أو الصواب «من عبد القيس» بدل «بن عبد القيس»

(٥) وردت هذه القصيدة فى خزانة الأدب للبغدادى (١ - ٣٠٥) وقال قبل إيرادها: «عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتا، أوردها المبرد فى كتاب الاعتناء، والقالى فى أماليه، وابن قتيبة فى كتاب الشعراء إلا أنه حذف منها أبياتا» اه. وانظر أمالى القالى (٢ - ١٤١ دار الكتب).

أنا الصلتانُ الّذْ بهِ قَدْ عَلمتُمو متى ما يحكمْ فهو بالْحقّ صادعُ(١)
أتتنى تميم حينَ هابتْ قُضاتُها وإنى لبالفصل المُبيَّن قاطعُ
كما أنفذَ الأعشى قضيةَ عامرٍ وما لتميم فى قضائى رَواجعُ(٢)
سأقضى قضاءً بينهمْ غيرَ جائرٍ فهلْ أنتَ للحكم المُبيَّن سامعُ
قضاءَ امرئٍ لايتقى الشتمَ منهمُ وليسَ له فى المدْح منهم منافعُ(٣)
فإن كُنتما حكّمتُمانى فأنصتا ولا تجزعا وليَرضَ بالحقّ قانعُ(٤)
فإن يكُ بحرُ الحنظليين واحداً فما تَستوى حيتانُهُ والضفادعُ
وما يَستوى صدرُ القناةِ وزُجُّها وما يَستوى شُمُّ الذُّرَى والأجارعُ(٥)
ولَيسَ الذُّنابَى كالقُدامى وَريشِهِ وما تَستوى فى الكفّ منك الأصابعُ(٦)
ألاَ إنما تحظى كليبٌ بِشعرها وبالمجدِ تحظى دارمٌ والأقارعُ

(١) فى الخزانة « أنا الصلتان والذى قد » وفيه « فهو بالحكم صادع » وفى الأمالى « أنا الصلتانى الذى قد »

(٢) فى الخزانة « وما لتميم من قضائى » والبيت يشير إلى قصة المنافرة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ودخول الأعشى ميمون بن قيس بينهما وقوله من قصيدة :

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر

(٣) فى الخزانة « وليس له فى الحمد منهم » .

(٤) فى الخزانة « فان كنتما حكمتمانى فاصمتا » وفيها وفى الأمالى «وليرض بالحكم قانع » وفيها بيتان بين هذا البيت والذى بعده .

(٥) فى أصول هذا الكتاب « والأكارع » محرفا ، وما أثبتناه عن الخزانة والأمالى .

(٦) فى أصول هذا الكتاب « وليس الذنابى كالغداف » وهو تحريف صوابه عن الأمالى .

أرى الخطفى بذَّ الفرزدقَ شِعره ... ولكنْ خيراً من كليبٍ مُجاشعُ[(1)]

فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مِثله ... جريرٌ ولكنْ في كليبٍ تواضعُ

ويرفعُ من شعرِ الفرزدقِ أنه ... له باذخٌ لذي الخسيسةِ رافعُ[(2)]

وقد يُحمدُ السيفُ الرَّدىء بغِمده ... وتلقاهُ رثًّا جفنُه وهوَ قاطعُ[(3)]

يُناشدني النصرَ الفرزدقُ بعدما ... أناختْ عليهِ من جريرٍ صَواقعُ

فقلتُ له إني ونصرَكَ كالذي ... يُثبِّتُ أنفاً كَشَّمتهُ الجوادعُ

وفي ذلك يقول جرير رحمه الله تعالى [من الطويل] :

أقولُ ولم أملك سوابقَ عبرةٍ ... متى كانَ حكمُ الله في كَربِ النَّخلِ (٤)

---

(١) في أصول الكتاب « أرى الحظ في بذ الفرزدق شأوه » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن الأمالي والخزانة .

(٢) في الأصول « له باذخ لذي الخسيسة رافع » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن الأمالي والخزانة .

(٣) في الخزانة والأمالي « يحمد السيف الردىء بجفنه »

(٤) هذا البيت — على ما ذكر البغدادي عن المبرد — ملفق من بيتين وإليك عبارته (١-٣٠٦) : «قال المبرد : قال أبو عبيدة : فأما الفرزدق فرضي حين شرفه عليه ، وقومه على قومه ، وقال : إنما الشعر مروءة من لا مروءة له ، وهو أخس حظ الشريف ، وأما جرير فغضب من المنزلة التي أنزله إياها ، فقال يهجوه — وهو أحد بني هجرس —

أقول ولم أملك سوابق عبرة ... متى كان حكم في بيوت الهجارس

فلو كنت من رهط المعلى وطارق ... قضيت قضاء واضحا غير لابس

قال : والمعلى أبو الجارود أو جده ، وطارق بن النعمان من بني الحارث ابن خزيمة ، وأم المنذر بن الجارود بنت النعمان ، وقال جرير أيضاً :

أقول لعين قد تحدر ماؤها ... متى كان حكم الله في كرب النخل

فلم يجبه الصلتان ، فسقط » . اهـ

١٣ — مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزُعاً عَنْ قُنْزُعِ * جَذْبُ اللَّيَالِى أَبْطِئى أَوْ أَسْرِعى

* أَفْنَاهُ قِيلُ اللهِ لِلشَّمْسِ اطْلُعِى *

هذه الأبيات لأبى النجم العجلى ، من قصيدة من الرجز ، أولها (١) :

قدْ أصبحتْ أمُّ الخيارِ تدّعى   علىَّ ذنباً كله لم أصنعِ

* من أنْ رأتْ رأسى كرأسِ الأصلعِ *

و بعده الأبيات ، و بعدها :

* حتى إذا وَاراكِ أفقٌ فارجعى *

والقنزعة : الخصلة من الشَّعر تترك على رأس الصبى ، أوهى ما ارتفع من الشعر وطال ، أو الشعر حوالى الرأس ، وجمعها قنازع وقنزعات ، وجذب الليالى هو مُضيها واختلافها ، ويقال : جذب الشهر ، إذا مضى عامته ، وأبطئى أو أسرعى : صفة الليالى ، أى : المقول فيها أبطئى أوأسرعى ، وقيل : حال منها ، أى الليالى مقولا فيها أبطئى أو أسرعى ، والصَّلَعُ : انحسار شعر مقدم الرأس لنقصان مادة الشعر فى تلك البقعة وقصورها عنه واستيلاء الجفاف عليها (٢) ولتطامن الدماغ عما يماسه من القحف فلا يسقيه سقيه إياه وهو ملاق له ، والمواراة : الستر .

ومعنى الأبيات : أن هذه الحبيبة — يعنى أم الخيار زوجته — أصبحت تدعى على ذنوبا لم أرتكب شيئا منها ، لرؤيتها رأسى كرأس الأصلع لكبرى وشيخوختى ، ميز و فصَل مَرُّ الأيام ومضى الليالى الشعرَ الذى بقى حوالى الرأس وجوانبه ، ثم قال : أفناه قيل الله وأمره للشمس بالطلوع والغروب .

---

(١) الكلمة مذكورة فى خزانة الأدب (١ - ١٧٦ بولاق) .

(٢) قال ابن سينا « ولا يحدث الصلع للنساء لكثرة رطوبتهن ، ولا للخصيان لقرب أمزجتهم من أمزجة النساء » اه .

والشاهد فيها : هو أن حمل إسناد تمييز الشعر إلى جنب الليالى مجاز بقرينة قوله « أفناه - إلى آخره »

وأبو النجم : تقدم التعريف به فى شواهد المقدمة .(١)

***

١٤ — يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْناً إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرَا

البيت لأبى نُواسٍ ، من قصيدة من الوافر يهجو فيها الأعراب والأعرابيات ويذم عيشهم ، وأولها :(٢)

دَعِ الرَّسْمَ الذى دَثَرَا يُقاسِى الرِّيحَ والمطرَا
وكُن رجلاً أضاعَ العِـ ـضَ فى اللذاتِ والخَطَرَا(٣)
أَلَمْ تَرَ ما بَنَى كِسرَى وسابُورٌ لمن غَبَرَا
مَنَازِل بين دِجلة والفُـ ـرَات أحفَّهَا شَجرا(٤)
بأرضٍ باعَدَ الرحمـ ـنُ عنها الطَّلْح والعُشَرَا(٥)
ولم يجعلْ مَصَايِدَها يَرابِيعاً ولا وَحَرَا(٦)

(١) ارجع إلى شرح الشاهد رقم ٣ .
(٢) اقرأها فى الديوان (١٦٤) .
(٣) فى الديوان « أضاع العلم » وهو تحريف ، وأحسب ما هنا تحريف أيضا ، وأن الأصل « أضاع العمر » .
(٤) فى الديوان « منازه بين دجلة » وفيه « أخصها الشجرا » .
(٥) الطلح — بفتح فسكون — والعشر — بضم العين وفتح الشين — من شجر البادية .
(٦) فى أصل الكتاب « ولا وجرا » محرفا ، واليرابيع : جمع يربوع ، وهو حيوان كالفأر . والوحر — بفتح الواو والحاء المهملة — جمع وحرة ، وهى وزغة كسام أبرص ، أو ضرب من العظاء لا تطأ شيئا إلا سمته ، أو القصيرة من الابل والمراد هنا ما عدا الأخير .

ولكن حورُ غِزلانٍ تُراعى بالملاَ بقَرَا
وإن شِئنا أحشنا الطيرَ من حافاتِها زُمرَا(١)

إلى أن قال :

أما والله لا أشرَا حلفتُ بهِ ولا بطرَا
لو آن مُرقِّشاً حيٌّ تعلقَ قلبهُ ذكرَا(٢)
كأنَّ ثِيابهُ أطلعـنَ من أزرارِه قَمرَا
ومرّ بهِ بدِيوانِ الْـخراجِ مُضمخاً عطرا(٣)
بِوجهٍ سابريٍّ لو تَصوّبَ ماؤه قَطرا
وقدْ خطّتْ حوَاضنه له من عَنبرٍ طُررا
بِعين خالطَ التَّفتيرُ فى أجفانِها حوَرا
يزيدُكَ وجْهُهُ حُسناً إذا ما زدْتهُ نظرا
لأيقنَ أن حبَّ المُرْدِ يُلفى سهلهُ وَعرا

(١) فى الديوان « حثثنا الطير » محرفا ، وأحشنا الطير : أى جئناه من حواليه لنصرفه إلى الحبالة .

(٢) المرقش : لقب لشاعرين أحدهما الأكبر وهو عمرو بن سعد بن مالك ابن ضبيعة ، وثانيهما الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة ، وكلاهما من عشاق العرب ومتيميهم وفرسانهم ، فأما الأكبر فقد عشق ابنة عمه عوف بن مالك واسمها أسماء ، وأما الأصغر فقد عشق فاطمة بنت المنذر ، ولكل منهم شعر يدل على ما أشرنا إليه من الصبابة وفى المفضليات شىء منه ، وكذا فى تزيين الأسواق .

(٣) فى الديوان « ومن يريد ديوان الخراج »

ولا سِيَمَا وبَعضهم إذا حَيَّيتُه انتهرا (١)

والمعنى فى البيت : أن وجهه لما فيه من نهاية الحسن وغاية الكمال ، كلما كررت النظر فيه زاده الله عندك حسنا وبهاء ، مع أن تكرار النظر إلى الشىء قلما يحلو .

وفى معناه قول الآخر [من الرمل] :

كُلَّمَا زِدتَ إليــهِ نَظَراً زاد حُسناً عِندَ تَكرارِ النَّظَرْ

وقول ابن الرومى [من المنسرح] :

لا شىء إلاَّ وفيه أحسَنُهُ فالعَيْنُ مِنهُ إليه تَنتقلُ

فَوَائد العين فيهِ طارفةٌ كأنمــا أُخرياتُهــا أُوَلُ

وقول المتنبى [من الكامل] (٢)

وهو المُضاعَفُ حُسنُهُ إن كُرِّرا

وقول عبدوس المغربى [من مجزوء الرمل] :

يا غــزالاً وهِلالاً خُلِقَا خَلْقاً عجيبا

وقَضِــيبا وكَثيباً جُمِعَا قدًّا غريبَا

قَدْ غَضضنا دونكَ الألْـ ـحاظ خوفاً أنْ تذُوبَا

كُلَّما زِدْناكَ لَحْظاً زِدتنَا حُسناً وطيبا

---

(١) « لاسيما » بتخفيف الياء ، وهو لغة فى هذه الكلمة ، و« انتهر » ههنا معناه أبطأ فى سيره ، والسياق يبعد أن يكون معناه زجر كما هو المشهور

(٢) هو عجز بيت من قصيدة له يمدح فيها ابن العميد وصدره قوله :

* فهو المشيع بالمسامع إن مضى *

ارجع إلى الديوان (٢ - ١٦٧)

وقول ابن الخيمى [من البسيط] :(١)

ما يَنتهى نَظَرى مِنهم إلى رُتَبٍ   فى الحسنِ إلاّ ولاحتْ فوقها رُتبُ

وقول قوام الدين المعروف بابن الطرّاح [من المنسرح] :

وَعدُكَ لاَ يَنقضى لهُ أمَدُ   وَلاَ لِليلِ المِطالِ منكَ غَدُ
علّلتنى بالمنا غداً فغداً   إنّ غداً سَرمدا هُوَ الأبدُ
تَضحكُ عَنْ وَاضحٍ مُقبّلُه   عَذبٌ بَرودٌ كأنّهُ البَرَدُ
أحومُ مِنْ حَوْلهِ وَبى ظَمأ   إلى جَنَى رِيقهِ وَلاَ أرِدُ
وَكلما زِدتُ وَجههُ نَظراً   بَدَتْ عليهِ محاسنٌ جُدُدُ

وقريب منه قول ابن المطرز [من المديد] :

يَاحبيباً كلهُ حَسَنٌ   لمحبّ كلّهُ نَظرُ
وَجههُ مِن كلّ ناحيةٍ   حَيثما قابلتهُ قَمرُ

ومن ظريف ما يذكر هنا أن يعقوب بن الدقاق مستملى أبى نصر صاحبِ الأصمعى قال : كنا يوم جمعة بقبة الشعراء فى رحبة مسجد المنصور نتناشد ، وكنت أعلاهم صوتا ، إذ صاح بى صائح من ورائى يا منتوف ، فتغافلت كأنى لم أسمع شيئاً ، فقال : ويلك يا أعمى يا أعمى لم لا تتكلم ؟ فقلت : مَنْ هذا ؟ فقالوا : أبو دانق الموسوس ، فالتفت إليه ، فقال : ويلك ! هل تعرف أحسن من هذا البيت أو أشعر من قائله ، وهو [من المنسرح] :

---

(١) ابن الخيمى : هو محمد بن عبد المنعم بن محمد بن شهاب الدين الخيمي، يمنى الأصل، مصرى الدار ، وتوفى فى القاهرة سنة خمس وثمانين وثمانمائة والبيت المذكور من قصيدة مطلعها :

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب   إليك آل التقصى وانتهى الطلب

ولهذه القصيدة قصة ذكرت فى ترجمته فى فوات الوفيات (٢ — ٢٨٨)

ما تنظرُ العينُ منهُ ناحيةً إلا أقامتْ منهُ على حسنِ

فقلت كالمحاجر له : لا، فقال: لا أم لك ! هلا قلت نعم قوله[من مجزوء الوافر] :

يَزيدكَ وَجهُهُ حُسناً إذَا مازِدتهُ نَظرَا

ثم وثب وثبة فجلس إلى جانبي ، وأقبل على ، وقال لى : يا أعمى ، صف لى صورتك الساعة ، و إلا أخرجتك من برتك ، ثم أقبل على من كان حاضراً فقال : ظلمناه ظلمناه ، وهو ضرير لم ير وجهه ، فمَنْ أحسَنَ منا أن يصفه فليصفه ، وكان على الحقيقة أقبح الناس وجهاً ، وكان يحلق شعر رأسه وشعر لحيته وشعر حاجبيه و يدهن قال : فلم يتكلم أحد ، فقال : اكتبوا صفته فى رأسه ، وأنشد [من الوافر] :

أُشَبِّهُ رَأْسَهُ لَولاَ وِجارٌ بعينيهِ وَنَضْنَضَةُ اللِّسانِ
بأضخمِ قَرعةٍ عَظمتْ وَتمتْ فَليسَ لها لَدى التمييزِ ثانِ
إذا عليت أسافلها أمالتْ دَعائمَ رَأسِها نحو اللَّبانِ
فكانَ لها مكانَ الجيدِ مِنها إذا اتَّصلتْ بمُمسِكة الجرانِ
لهـا فى كل شَارِقةٍ وَبيصٌ كأن بريقَها لمع الدِّهانِ
فلا سُلِّمْتَ من حَذَرى وخوفى متى سَلِمتْ صفاتُكَ من بنانى

ووثب إلى ، فحالت الأيدى بينى و بينه .

والشاهد فى البيت : معرفة حقيقة المجاز العقلى الخفيةِ التى لا تظهر إلا بعد نظر وتأمل .

ومثله قول محمد اليزيدى[من مجزوء الوافر] (١) :

أتيتُكَ عائذاً بك منـ ـك لَمَّا ضاقَتِ الحِيَلُ
وصَيَّرنى هواكَ وبى لِحَيْنِى يُضرَبُ المثَلُ

(١) هو محمد بن أبى محمد اليزيدى، أحد شعراء بنى تميم المحدثين

فان سلِمَتْ لكم نفسى فما لاقيتهُ جلَلُ
وإن قَتلَ الهوى رجلاً فإنى ذلك الرجلُ

أى: صيرنى الله بهواك وحالى هذه، وهى أن يُضرب المثلُ بى لحينى، أى أهلكنى الله ابتلاء بسبب هواك.

والبيت الأخير مأخوذ من قول مسلم بن الوليد [من الوافر]:

متى ما تَسمعى بِقتيلِ أرض أُصيبَ فاننى ذاك القتيلُ

ترجمة أبى نواس

وأبو نواس (١) هو: أبو على الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحكمى، الشاعر المشهور، كان جدُّه مولى الجراح بن عبدالله الحكمى والى خُراسان ونسبته إليه، قيل: إنه ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج إلى الكوفة مع والبة بن الحباب، ثم صار إلى بغداد، وقيل: إنه ولد بالأهواز، وقيل: إنه ولد بكورة من كورخوزستان فى سنة إحدى وأربعين ومائة، ونقل إلى البصرة فنشأ بها ثم انتقل إلى بغداد، وقد زاد سنه على الثلاثين، ولم يلحق بها أحداً من الخلفاء قبل الرشيد وكان أول ما قاله من الشعر وهو صبى قوله [من المقتضب]:

حَامِلُ الهْوى تَعِبُ يَستخِفُّهُ الطَربُ
إنْ بَكىَ يحقّ لَهُ لَيسَ مَابهِ لَعِبُ (٢)
تَضحكينَ لَاهيةً وَالمحِبُّ يَنتحِبُ
كُلَّما انقضَى سَببٌ مِنكِ جاءنى سَببُ (٣)

---

(١) لأبى نواس ترجمة فى الخزانة (١-١٦٨) وفى ابن خلكان (١-٢٤٠) وأخباره مع جنان خاصة فى الأغانى (١٨-٣٥٤)

(٢) «إن بكى نحق له» رواية، ومثل ما هنا فى ابن خلكان

(٣) «منك عادلى سبب» رواية، وهذا البيت ليس فى ابن خلكان

تَعْجَبِينَ مِنْ سَقَمى صِحَّتى هِىَ العجبُ

وهى أبيات مشهورة

وروى أن الخصيب صاحب مصر سأل أبا نواس عن نسبه ، فقال : أغنانى أدبى عن نسبى

وما زال العلماء والأشراف يَرْوُون شعر أبى نواس ، ويتفكهون به ، ويفضلونه على أشعار القدماء

قال محمد بن داود الجراح : كان أبو نواس من أجود النـاس بديهةً ، وأرقهم حاشية ، لسِناً بالشعر يقوله فى كل حال ، والردىء من شعره ماحفظ عنه فى سكره

قال الجاحظ : لاأعرف بعد بشار مُوَلَّدا أشعر من أبى نواس ، وقال الأصمعى : ما أروى لأحد من أهل الزمان ماأرويه لأبى نواس . وقال أبو عبيدة : أبو نواس للمُحْدَثين كامرىء القيس للأولين ، لأنه الذى فتح لهم باب هذه الفطن ودلهم على هذه المعانى ، وقال : ذهبَتِ اليمنُ بجد الشعر وهزله ، فامرؤ القيس بجده ، وأبو نواس بهزله . وقال أبو الحسن الطوسى : شعراء اليمن ثلاثة : امرؤ القيس ، وحسان وأبو نواس

وكان خلف الأحمـر ولاء فى اليمن فى الأشاعرة ، وكان عصبيا ، وكان من أميل خلق الله إلى أبى نواس ، وهو الذى كَنَاه بهذه الكنية ، لأنه قال له : أنت من أهل اليمن فتـكنَّ باسم من أسامى الذَّوِينَ ، ثم أحصى له أسماءهم ، وخيره ، فقال : ذوجدَن ، وذو كلال ، وذو يزن ، وذو كلاع ، وذو نواس ، فاختار ذا نواس فـكناه أبا نواس ، فسارت له وغلبت على « أبى على » كنيتِهِ الأولى .

وكان أبو نواس يعجبه شعر النابغة ، ويفضله على زهير تفضيلا شديداً ، ثم يقول : الأعشى ليس مثلهما ، وكان يتعصب لجرير على الفرزدق ، ويقول : هو أشعر ، ويأتم ببشار ويقول : هو غزير الشعر كثير الافتنان ، ويقول أدمنت قراءة شعر الكميت فوجدت قشعريرة ، ثم قرأت شعر الخريمى فتشققت على حُمَّى مبردة

ثم قال يوما : شعرى أشبه بشعر جرير ، فقيل له : فما تقول فى الأخطل ؟ قال : إمامى فى الخمر ، فقيل : الفرزدق ؟ قال : ذاك الأب الاكبر

وقال ابن الأعرابى : قد ختمت بشعر أبى نواس ، فما رويت لشاعر بعده

وقال أبو عمرو الشيبانى : لولا ماأخذ فيه أبو نواس من الارفاث لاحتججنا بشعره ، لأنه كان محكم القول لايخلط

وقال ابن دريد: سألت أبا حاتم عن أبى نواس فقال :إن جد حسن ، و إن هزل ظرف ، و إن وصف بالغ ، يلقى الكلام على عواهنه لايبالى من حيث أخذه

وقال أبو الغيث بن البحترى: سألت أبى لما حضرته الوفاة: مَنْ أشعر الناس؟ فقال : أعن المتقدمين تسأل أم عن المحدثين ؟ فقلت: عن المحدثين ، فقال: يابُنَىَّ لو قسم إحسان أبى نواس على جميع الناس لوسعهم ، و إن لأشجع السلمى لاحسانا وما عَلَّمَ الشعراء أكلَ الخبز بالشعر إلاأبو تمام ، فقلت له : أنت أشعر أم أبو تمام؟ فقال : سألت عما لايزال يسأل عنه : جَيِّدُ أبى تمام خير من جيدى ورديئى خير من رديئه .

وقال ابن الأعرابى : بعث إلىَّ المأمونُ فسرت إليه وهو مع يحيى بن أكثم يطوفان فى حديقة فلما نظرانى وليانى ظهورهما ، فجلست ، فلما أقبلا قمت ، فقال المأمون : يامحمد بن زياد ، من أشعر الشعراء فى نعت الخمر ؟ فجعلت أنشده للأعشى وقلت هو الذى يقول [من الطويل] :

تريك القَذَى من دونها وهى فوقهُ إذا ذاقها من ذاقها يتمطَّقُ

ثم أنشدته للأخطل ، فلم يحفل بشىء مما أنشدته ، ثم قال : يا ابن زياد ، أشعر الناس فى نعتها الذى يقول [من المديد] :

فتمشَّتْ فى مَفاصِلِهِمْ كتمشِّى البُرء فى السَّقَمِ
فَعلتْ فى البَيْت إذ مزجت مِثلَ فِعلِ النار فى الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها كاهتداء السَّفْرِ بالعَلَم

وعن عمرو بن أبى عمرو الشيبانى قال : جاء أبو العتاهية ومسلم وأبو نواسٍ إلى أبى فأنشده أبو العتاهية [من الكامل] :

وَعَظَتْكَ أجداثٌ صُمُتْ ... وَنَعَتْكَ أزمنةٌ خُفُتْ
وأرَتْكَ قبرَكَ فى القبور ... وأنتَ حىٌّ لم تمت
وَتكلَّمت عن أعينٍ ... تَبْلَى وعن صُوَرٍ شتت
وحَكَتْ لك الساعاتُ سا ... عاتٍ أتيَّاتٍ بغت

وأنشده شعراً آخر يقول فيه [من المتقارب] :

على سُرعَةِ الشمس فى مرِّها ... دبيب الخُلُوقَةِ فى الجِدَّةِ

قال : وانصرفوا ، فلما كان بعد أيام عاد إليه مسلم وأبو نواس ، فأنشده مسلم : [من البسيط] :

* أجْررتَ حَبْلَ خليعٍ فى الصِّبا غزِلِ *

حتى بلغ قوله :

ينالُ بالرفقِ ما يَعيا الرِّجالُ به ... كالموتِ مُستعجلاً يأتى على مَهَل

فقال أبو عمرو : أحسنت ، إلا أنك أخذت قول أبى العتاهية :

وَحكتْ لك السّاعات سا ... عات أتيـات بغت

قال : ثم أنشده أبو نواس قوله [من المديد] :

* ياشَقيقَ النفسِ مِنْ حَكَمِ *

إلى أن بلغ إلى قوله :

فَتمشتْ فى مَفاصلهمْ ... كَتمشِّى البرءِ فى السَّقَمِ

قال له : أحسنت ، إلا أنك أخذته أيضاً من قول أبى العتاهية :

على سُرعةِ الشَّمسِ فى مَرِّها ... دَبيبُ الخلوقةِ فى الجِدةِ

وقد ذكر بعض أهل العلم أن بيت أبى نواس هـذا مأخوذ من قول بعض

الهذليين يصف قانصا ظفر بصيد بسرعة مشى [من المديد] :

فَتمشّى لاَ يُحسُّ بِه كَتمشّى النّارِ فى الضَّرَمِ

ويقال : إن أبا نواس أنشد بيته هذا بعض الشعراء فقال له : أما كفاك أن سَرَقْتَ حتى أحلْتَ ، فقال : ومن أين سرقت ؟ فأنشده بيت الهذلى ، فقال : كيف أحلت ؟ فقال : بقولك « كتمشى البرء فى السقم » وهما جميعا عرضان ، والعرض لا يدخل على العرض ، فانقطع أبو نواس ثم غير بيته بعد ذلك بأن قال:

* كتمشّى النّارِ فى الفَحَمِ *

وهذا بيت الهذلى بعينه ومعناه

وعن الأصمعى أن أبا نواس سرق بيته من قول مسلم بن الوليد[من البسيط] :

تجرى محبتها فى قَلبِ وَامقها جَرىَ السّلاَمةِ فى أعضاء مُنتكسِ

وهو أخذه من قول عمر بن أبى ربيعة حيث يقول [من الوافر] :

لَقدْ دَبَّ الهوَى لكَ فى فؤادِى دَبيبَ دَم الحياةِ إلى العروقِ

وهو أخذه من قول بعض العدويين حيث يقول [من الطويل] :

وأُشْربَ قَلبى حُبها وَمشى به كَمشى حُمَيَّا الكأسِ فى عَقلِ شَاربِ

وَدبَّ هَواها فى عِظامى وَحُبُّهَا كما دَبَّ فى المْلسوعِ سُم العقَاربِ

وهو أخذه من أسقف نجران حيث يقول [من الكامل] :

منع البقاء تَقَلُّبُ الشمس وَطلوعها من حَيثُ لاَ تُمسى

وَطلوعها حَمراء صافيةً وَغروبها صفراء كالورسِ

تجرِى على كَبد السماء كما يجرى حمامُ الموتِ فى النّفسِ

وذكرت بهذه الأبيات ما قال الأعشى وهو أعشى قيس فى سكران [من المتقارب] :

فَراحَ ملسا كأنّ الذّبابَ يَدِبُّ على كلّ عُضوٍ دَبيبا

وقد أخذ أبو الشيص قول عمر بن أبي ربيعة فقال [من المجتث] :

لقدْ جرَى الحبُّ مِني مجرَى دمي في عرُوقي

وأخذه أبو الطيب فقال [من الطويل] :

جرَى حبها مجرَى دمي في مفاصلي فأصبحَ لي عنْ كلِّ شغلٍ بها شغلُ

وقال أبو الفرج بن هندو [من الخفيف] (١) :

فتمشتْ في قلبيَ المهمومِ كتمشِّي الدرياقِ في المسمومِ

وأتى عبد الله بن الحجاج بهذا المعنى من غير تشبيه فقال [من الطويل] :

فبتُّ أسقَّاها سُلافاً مُدامةً لها في عظامِ الشاربينَ دَبيبُ

وما أحسن قول بعضهم [من البسيط] :

وفي الظعائنِ مهضومُ الحشا غَنِجٌ يخطو بأعطافِ كسلانَ الخطا ثَمِلِ

ظبيٌ مشَى الوردُ منْ لحظي بوجنتهِ مشْيَ اللواحظِ منْ عينيهِ في أجلي

وقال أبو حاتم : لولا أن العامة ابتذلت هذين البيتين وهما لأبي نواس لكتبتهما بالذهب ، وهما قوله [من الوافر] :

ولوْ أنِّي استزدتُكَ فوقَ مابي منَ البلوى لأعجزكَ المزيدُ (٢)

ولو عُرِضتْ على الموتَى حياةٌ بعيشٍ مثلِ عيشي لمْ يُريدُوا

وكان المأمون يقول : لو وصَفتِ الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس [من الطويل] :

ألاَ كلُّ حيٍّ هالكٌ وابنُ هالكٍ وذو نسبٍ في الهالكينَ عريقِ

---

(١) في المطبوعتين «ابن عبدو» محرفا ، وفي يتيمة الدهر ترجمة لأبي الفرج الحسين بن محمد بن هندو ، أحد أصحاب الصاحب بن عباد ، وممن تخرجوا بمجاورته وصحبته (٣ - ٣٦٢ مصر) وفي فوات الوفيات ترجمة لأبي الفرج علي ابن الحسين بن هندو أحد كتاب الانشاء في ديوان عضد الدولة (٢ - ٥٧ بولاق)

(٢) قوله «لأعجزك» في بعض النسخ «لأعوزك»

إذا امتحنَ الدُّنيا لَبيبٌ تكشَّفَتْ ... لهُ عَنْ عَدُوٍّ فى ثِيابِ صَديقِ

والبيتُ الأول ينظر إلى قول امرئ القيس [من الوافر] :

فَبعضَ اللَّوْمِ عَاذِلَتِى فإنِّى ... سَيَكفينى التَّجاربُ وانْتِسَابى
إلىَ عِرْقِ الثرى وَشجَتْ عُرُوقى ... وَهٰذا المَوتُ يَسلبنى شَبابى

وقال سفيان بن عيينة لرجل من أهل البصرة : أنشدنى لأبى نواسكم ، فأنشده [من المديد] :

ما هَوَى إلا لهُ سَبَبُ ... يَبتدِى مِنهُ وَينشعبُ

فقال سفيان : آمنت بالله الذى خلقه .

واجتمع أبو نواس مع العباس بن الأحنف فى مجلس ، فقام العباس فى حاجة فسئل أبو نواس عن رأيه فيه وفى شعره ، فقال : لهو أرق من الوهم ، وأنفذ من الفهم ، وأمضى من السهم ، ثم عاد العباس وقام أبو نواس كذلك ، فسئل العباس عنه وعن رأيه فيه وفى شعره ، فقال : إنه لأقر للعين من وصل بعد هجر ، ووفاء بعد غدر ، وإنجاز وعد بعد يأس . فلما صارا إلى النبيذ أعلم كل واحد قول الآخر فيه ، فقال أبو نواس [من الهزج] :

إذَا ارتدتَ فَتى الكاس ... فَلا تَعدلْ بِعباس
فَنعمَ المرْءُ إنْ أرضعتَ يَوما دِرَةَ الكاس

فقال العباس [من الوافر] :

إذَا نازعتَ صَفوَ الكاسِ يَوما ... أخاثقةٍ فَمثلَ أبى نُواس
فَتَى يَشتدُّ حَبلُ الوُدِّ مِنهُ ... إذا ما خُلَّةٌ رَثَّتْ لِناس

فتناول أبو نواس قدحا وقال [من الهزج] :

أبا الفضلِ اشربنْ كاسكْ ... فإنى شاربٌ كاسى

فقال العباس :

نَعمْ يا أوحدَ النَّاس ... على العينينِ والراس

فقال أبو نواس :

فَقَدْ حُفَّ لنا المجلـــس بالنَّسرين والآسِ

فقال العباس :

وَإخوانٍ بَهاليلَ سَراةٍ سادة النَّاسِ

فقال أبو نواس :

وَخَوْدٍ لذةِ المسْمُو عِ مِثْلِ الغُصُنِ الكاسِي (١)

فقال العباس :

وقَدْ ألبَسها الرَّحمــٰنُ من أحْسَنِ إلباس

فقال أبو نواس :

وقد زينَتْ بأكليلٍ يوَاقيتَ على الراس

فقال العباس :

فلا تَحْبِسْ أخي كاسي فإنى غَيْرُ حَبَّاس

فكان ما نسى من معارضتهما فى ذلك المجلس أكثر مما حفظ ، إلا أنه انصرف العباس و بقى أبو نواس ، فسئل عن العتابى والعباس فقال : العتابى يتكلف والعباس يتدفق طبعاً ، وكلام هذا سهل عذب ، وكلام ذاك متدقق كزٌّ ، وفى شعر هذا ماء و رقة وحلاوة ، وفى شعر ذاك جساوة وفظاظه .

وكان لأبى نواس مع أهل عصره مناقضات ومعارضات يطول شرحها ، فنورد

---

(١) فى الأصول « مثل الغض للكاس » محرفا ، وما أثبتناه عن الديوان .

منها ماخف ذكره [(١)] .

حضر أبو نواس مع جماعة سطحا عاليا يطلبون هلال الفطر ، وكان سليمان ابن أبي سهل في عينه سوء ، فقام أبو نواس بازائه ، ثم قال : يا أبا أيوب كيف ترى الهلال من بعد وأنت لا تراني من قرب ؟ فقال له سليمان : قد رأيتك تمشي القهقرى حتى تدخل في رحم جلبان — يعني أمه — فأحفظ ذلك أبا نواس ، فقال في سليمان [من السريع] :

قُلْ لِسُلَيمانَ وما شِيمتي ... أن أُهْدِيَ النُّصحَ له مُخْلصا
ما أنت بالحر فأَلْحَي ولا ... بالعَبْدِ أستَعْتِبُـهُ بالعَصا
فَرَحْمَةُ الله على آدم ... رَحْمَةَ من عَمَّ ومن خَصَّصا
لو كان يدرى أنه خارجٌ ... مِثْلُكَ من إحْلِيله لاختصى

فأجابه سليمان فقال :

إن ابن هانى سِفْلَةٌ خالص ... ما وَحَّدَ الله ولا أَخْلَصا
أغْلى بِذِكرى شِعره فاغتَدَى ... بالقرض في أشباهه مُرْخِصا [(٢)]
وَكان في شِعرى وتَغريده ... لِخَوفِ مَنْ يأتيهِ قد قَلَّصا [(٣)]
كالـكلب هرّ الليثَ حتى إذا ... أهـدى إليه مِخْلباً بصصا

---

(١) روى المؤلف في هذه المناقضات كثيرا من المجون الذى ينسب إلى أبى نواس ، ونحن لا نستبيح لأنفسنا ولا لمن يقوم على تحقيق كتاب من مصنفات السلف أن يتصرف فيه بالحذف أو بالتغيير ، ولو كنا نصنف كتابا لنزهناه عن هذا المجون ، فنحن نثبت ما أثبته المؤلف ، ونستغفر الله لناوله .

(٢) في الأصول « بالعرض في أشباهه » وما أثبتناه عن الديوان

(٣) وقع هذا البيت في المطبوعتين هكذا :

وكان في شعرى وتغريره ... للخوف من ثوبيه قد قلصا

وما أثبتناه موافق لما في الديوان

وكان لأبي الشمقمق ضريبة على الشعراء ، فجاء يوما إلى أبي نواس فقال : هات ضريبتك ، فدخل المنزل وأخرج إليه رقعة فيها [من الوافر] :

أخَذْتَ بأيرِ بَغلٍ حِينَ أدْلَى فُوَيقَ الباعِ كالجذْعِ المطوّقْ
فما إنْ زِلتُ أمرسُهُ بكفي إلى أنْ صارَ كالسهمِ المفوّقْ
فلمـا أن طَمَى ونما وأندى جَلَدْتُ به حِرَامَّ أبي الشَّمَقْمَقْ

فوقعت هذه الأبيات فى أفواه الصبيان ، وأجابه أبو الشمقمق بأبيات فلم تَسِرْ له .

وحدث الجماز قال : اجتمعتُ أنا وأبو نواس والرقاشي فى بعض متنزهات البصرة ، فنفد شرابنا ، فقلنا : هلم فليقل كل واحد منا بيتا فى السقيا لنبعث به إلى عبد الملك بن إبراهيم ، فابتدأ أبو نواس فقال [من الرمل] :

يا ابن إبراهيمَ يا عبْدَ الملكْ واثقًا أقْبلتُ بالله وبِكْ
أنت للمـال إذا أصلَحتَهُ فإذا أنْفقتَهُ فالمال لك

وقال الرقاشي :

اسقِني الخَمرَ ودع من لامَني فى هَوَى نَفْسي فغيرِى مَنْ نَسكْ
وَنِكِ المُرْدَ فما من لذةٍ نِلْتَها إن لم تَنكهم وتُنكْ

فوقع البيت الرابع بموافقته ، و بعث إلينا بما كفانا .

واجتمع أبو نواس يوما مع الرقاشي فى مجلس ، فتذاكرا الشعر ، فقال له أبو نواس : لقد سبقتني إلى أبيات وددت أنها لى بجميع شعرى ، قال : وما هى ؟ قال : قولك [من البسيط] :

نبّهْتُ نَدْمانيَ الموفى بنعمته من بعدِ إيعَابِ طاسات وأقْدَاحِ (١)

---

(١) فى الديوان (٢٦٢) * من بعد إتعاب كاسات وأقداح *
وفيه (٣٥) * من بعد إيعاب . . *

فقال خُذْ واسقنى واشرب وغَنِّ لنا «يا دارَ مثواى بالقاعين فالساح»
فما حسَا ثانياً أو بعض ثالثةٍ حتى استدارَ وردَّ الراح بالراح

فقال له الرقاشى : لكنك أنت سبقتنى ببيتين وددت أنهما لى بكل شعرى، فقال أبو نواس : وما هما ؟ قال قولك [من البسيط] :

ومُستطيلٍ على الصهباء باكَرَها فى فتيةٍ باصْطباحِ الرَّاحِ حُذَّاقِ
فكلُّ شىء رآه ظنَّهُ قدحا وكل شخصٍ رآه قال : ذا ساقى

واجتمع يوما أبو نواس مع عنان ، فأقبل عليها ، وقال [من مجزوء الرمل] :

إنَّ لى أيْراً خبيثا عارمَ الرأس فلوتا
لوْ رأى فى الجوِّ فَرْجاً لنزا حتى يموتا
أو رأى فى السقف دبراً لتحول عنكبوتا
أوْ رآه جوْف بحرٍ صار للإنعاظ حُوتا

فقالت عنان :

زَوِّجوا هذا بألفٍ وأُظنُّ الألفَ قوتا
إننى أخشى عليه داءَ سُوء أن يموتا
قبلَ أن ينقلبَ الدا ءُ فلا يأتِى ويوتى

فقال أبو نواس [من المجتث] :

ألمَ ترقِّى لصبٍّ يكفيه منكِ قُطَيْره

فقالت عنان :

إيَّاىَ تعنى بهذا عليك فاجلدْ عميره

فقال أبو نواس :

أخافُ إن رُمتُ هذا على يدى منكِ غيره

فقالت عنان :

عليكَ أمَّكَ نِكْها فانها كندفيرة

ودخل أبو نواس يوما على الناطفى ، وعنان جالسة تبكى وخدُّها على رزة باب ، فقال [من السريع] :

بَكَتْ عنانٌ فجرى دمعُها كاللؤلؤ المرفضّ من خيطهِ

فقالت عنان والعَبْرَةُ تخنقها :

فليتَ مَنْ يضربُها ظالماً تجفُّ يُمناهُ على سوطهِ

وكان الرشيد قدهم بشراء عنان جارية الناطفى ، فقيل له : إن أبا نواس قد هجاها بقوله [من المنسرح] :

إنَّ عِنانَ النطافَ جاريةٌ قدْ صارَ حرها للأير مَيْدانا

لا يَشتريها إلاَّ ابْنُ زانيةٍ أو قُلْطُبان يكونُ مَنْ كانا

فقال : لعنه الله ! لاحاجة لنا فيها . فأجابته عنان عن هذين البيتين فقالت [من مجزوء الرمل] :

عجباً مِنْ خلقٍ يَدَّعى أصلَ اللواط

فاذا صار إلى البيــت وخسف عن تواطى

فالذى يعلم يدْرى مَنْ يلى وَجهَ البساطِ

فقال أبو نواس [من مجزوء الرمل] :

فتحت حرها عِنانٌ ثم نادتْ مَنْ ينيك

ثمَّ أبدتْ عن مشق مِثْلِ صحراء العتيك

فيهِ درَّاجٌ وبطٌ ودجاجات ودِيكْ

فقالت عنان [من المنسرح] :

إنَّ ابْنَ هانى بِدائهِ كَلِفٌ يَبيتُ عن نفسه يخادِعُها

أمسى بروس الحملان يُعرَف فى النـــاس   و مِضمارُه كـــوارعُها

ووجَّهت عنان مرة إلى أبى نواس بوصيفة لها مع رقعة فيها [من المجتث] :

زرنا لتأكلَ معْنا   ولاَ تَغيـبنْ عَنَّا
فَقَدْ عزمنا على الشُّرْ   ب صُبْحةً واجتمعنا

فلما وردت الوصيفة على أبى نواس قرأ رقعتها ثم تأملها فاستحلاها فخدعها وقضى وطره منها ، ثم كتب فى جواب الرقعة [من المجتث] :

نكنا رسولَ عنانٍ   والرأىُ فيما فعلْنا
فكان خبزاً بملـحٍ   قَبل الشِّواء أكلْنا
جذبتُها فتجافَتْ   كالغُصْن لما تَثَنَّى
فقلتُ ليس على ذا الفعـــال كـنا افْتَرقْنا
قالت فكم تتجنَّى   طوِّلْتَ نكنا وَدَعْنا

فلما قرأت عنان الرقعة قالت : إن كان صادقا فقد زنى ، وهجرته .

ولقد ظرف ابن الأبَّار بمتابعته أبا نواس فى هذا المعنى حيث قال [من الخفيف] :

زَارنى خِيفةَ الرقيب مريباً   يتَشكَّى القضيبُ منه الكثيبا
رَشأٌ رَاش لى سهام المنايا   من جفونٍ يُصمِي بهن القلوبا
قال لى ما تَرَى الرقيبَ مُطلاً   قُلْتُ ذَرْهُ أتى الجنابَ الرحيبا
عاطِهِ أكؤس المدَامِ دِراكاً   وأدِرها عليه كوباً فكوبا
واسقْنيها بخَمرِ عينيكَ صِرفاً   واجعَلِ الكأس منك ثغراً شَنيبا
ثم لما نامَ الرقيبُ سَريعاً   وتَلقَّى الكَرى سَمِيعاً مُجيبا
قالَ لا بُدَّ أن تَدِبَّ إليه   قُلتُ أبغى رَشاً وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثنِّ عليـه   قلت كلا لقد دَفعت قريبا

فوثبنا على الغزال ركوباً ودَبَبْنا إلى الرقيب دبيبا
فهل ابصرت أو سمعت بصبّ ناكَ محبوبه وناك الرقيبا

قال ابن بسّام : ولقد ظرف ابن الأبار ، واستهتر ما شاء ، وأظنه لو قدر على إبليس الذى تولى له نظم هذا المسلك لدب إليه ، ووثب أيضاً عليه . ثم قال: وأبو نواس سَهّل للناس هذا السبيل حيث يقول ، وذكر الأبيات ، انتهى.

ومن أناشيد الثعالبى فى هذا المعنى [من الخفيف] :

لىَ أير أراحنى الله منه صار همى به عريضاً طويلا
نام إذ زارنى الحبيبُ عناداً ولعهدى به ينيك الرسولا
حسبت زورةً لشِقْوَتِى جَدى فافترقنا وما شَفَيْنا غليلا

رجع إلى أخبار أبى نواس .

وأشرف يوماً أبو نواس من دار على منزل عبد الوهاب الثقفى وقد مات بعض أهله ، وعندهم مأتم ، وجنان جارية عبدالوهاب واقفة مع النساء تلطم ، وفى يديها خضاب ، وكانت حسناء أديبة عاقلة ظريفة ، وكان أبو نواس يهواها فقال [من السريع] :

يا قمراً أبرزه مأتم يَنْدُبُ شجواً بين أتراب
يبكى فيذرى الدمعَ من نرجسٍ ويلطم الورد بعنّابَ
لاتبكِ ميتاً حلَّ فى حفرةٍ وابك قتيلاً لك بالبابِ
أبرزه المأتم لى كارهاً برغم دايات وحجّاب
لا زالَ دأباً موتُ أصحابه ودأبُ أن أبصرهُ دابى(١)

وذكرت بالبيت الأول والثانى ما عكسه بعضهم منهما فى هجاء أعور ، وهو [من السريع] :

(١) فى الأغانى (١٨-٦) رواية عجز هذا البيت « ولا تزل رؤيته دابى »

يا أعْوَراً أبرزه مأتم   يَندُب شَجواً بتخاليط
يبكى فيذرى الدمع من كُوَّة   ويلطم الشَّوكَ ببلُّوطِ

وحدث أبو نواس قال : رأيت النابغة الذبيانىّ فى منامى ، فقال لى : بماذا حبَسك الرشيد ؟ فقلت له : بقولى [من المنسرح] :

اهْجُ نزاراً وأفرِ جِلْدَتها   وَهتِّكِ السِّتْرَ عَنْ مَثالبِها

فقال لى : أهل ذاك أنت يابن الزانية فقد استوجبت من كل نزارى عقوبة مثلها بما ارتكبت منها ، فقلت : وأنت بماذا حبسك النعمان ؟ قال : ببيت قلته ستره النعمان عن الناس ، قلت : بقولك [من الكامل] :

سَقَطَ النَّصيفُ وَلَم تُرِدْ إسقاطهُ   فتناولتْـهُ وَاتَّقتنـا باليـدِ

فقال : أو هذا مستور ؟ قلت : فبقولك [من الكامل] :

وَإذا لَمستَ لَمستَ أضخَمَ جاثماً   مُتحيزاً بِمكانهِ مِلءَ اليدِ

قال : اللهم غفرا ، قلت : فبماذا ؟ قال بقولى [من الكامل] :

فملكت عُلياها وأسفلها مَعاً   وَأخذتها قسراً وَقلتُ لها اقعدِى

فحدثت بهذا الحديث اليزيدى ، فألحق البيت بقصيدة النابغة .

وحكى الأصمعى قال : رأيت أبا نواس بعد موته فى المنام فقلت : هل نسى من خمرياتك شىء ؟ قال : أجودها ، قلت فاذكره ، فقال [من البسيط] :

اذكى سراجا وساقى الشرب يمزجها   فَلاحَ فى البيتِ كالمصباحِ مِصباحُ
كِدْنا على عِلمنا ، بالشك نَسألهُ   أراحنـا نارُنا أمْ نارُنا الرّاح

وحكى عن عبد الله بن المعتز أنه قال : رأيت أبا نواس فى المنام ، فقلت له : لقد أحسنت فى قولك [من البسيط] :

جاءتْ بابريقها مِنْ بَيتِ تاجرها   رُوحاً مِنَ الخمرِ فى جِسمٍ مِنَ النّارِ

فقال : لا ، بل أحسنتُ فى قولى [من البسيط] :

يا قابضَ الرُّوحِ مِنْ جسمٍ أسى زمنا   وَغافرَ الذنبِ زَحزِحنى عَن النَّارِ

وقد أحسن أبو نواس ظنه بربه حيث يقول : [من الوافر]

تَكَثَّرْ مااستطعْتَ مِنَ الخطايا   فانك بالِغٌ رَبَّاً غفورا

سَتُبْصِر إن وَرَدْتَ عليه عفواً   وَتلْقى سيِّداً ملكاً كبيراً

تَعضُّ ندامةً كفيك مما   تَركتَ مخافةَ النَّارِ السُّرُورا

ومن شعره [من الكامل] :

سُبحانَ ذى الملكوتِ أيّة ليلةٍ   مخضتْ صَبيحتها بيومِ الموقفِ

لوْ أنَّ عيناً وهمتها نفسها   ما فى المعادِ مُحصلاً لم تَطرف

ومنه [من مجزوء الرمل] :

خلِّ جنبيك لرامٍ   وامْضِ عنه بسلامِ

مُتْ بداءِ الصمتِ خيرٌ   لكَ من داء الكلامِ

إنما العاقلُ منْ ألْـ   ـجَمَ فاهُ بلِجامِ

شِبْتَ يا هذا ومَا تتْـ   ـرُكُ أخلاقَ الغلامِ

والمنايا آكِلاتٌ   شارباتٌ للأنامِ

وأخباره كثيرة ، وديوان شعره مختلف الترتيب لاختلاف جامعيه

وكانت وفاته سنة خمسٍ ـ وقيل : ست ، وقيل : ثمان ـ وتسعين ومائة ببغداد ، ودفن فى مقابر الشونيزى ، رحمه الله تعالى !

شواهد المسند إليه

١٥ — * قَالَ لِى كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلُ *

هو من الخفيف ، ولا أعرف قائله ، وتمامه :

شاهد حذف المسند إليه احتراز عن العبث

* سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ *

ومعناه ظاهر ، والشاهد فيه حذف المسند إليه للاحتراز عن العبث مع ضيق المقام ، وهو قوله « عليل » أى أنا عليل ، فحذف المبتدأ لما مرّ

ومثله قول أبى الطَّمَحَان الْقَيْنى الشاعر الجاهلى ، وقال ابن قتيبة : الصحيح أنه للقيط بن زُرارة [من الطويل] :

أضاءت لهم أحسابُهم وَوجوهُهُمْ ... دُجى اللَّيلِ حتى نظَّمَ الجزعَ ثاقبهْ
نُجومُ سماءٍ كلما انقضّ كوكبٌ ... بَدا كوكبٌ تأوِى إليه كواكبهْ

أى: هم نجوم سماء ، فحذف المسند إليه .

***

شاهد تنبيه المخاطب على خطأ ظنه

١٦ — إنَّ الَّذينَ ترونَهم إخوانكمْ ... يَشفى غليلَ صُدُورِهم أن تُصرعوا

البيت لعَبَدَةَ بن الطبيب ، من قصيدة من الكامل يعظ فيها بنيه و يوصيهم بما هو المرضى شرعا ، وأولها :

أبنىَّ إنى قد كبرتُ وَرابَنى ... بصرى وَفىَّ لِمُصلحٍ مستمتَعُ (١)
فلَئنْ هَلكتُ لقدبَنَيتُ مَساعيا ... تَبقى لكُمْ منها مآثرُ أربعُ
ذِكرٌ إذا ذُكِرَ الكرامُ يَزِينكمْ ... وَوراثة الحسبِ المُقدَّمِ تنفعُ
وَمقامُ أيامٍ لهُنَّ فَضيلةٌ ... عِندَ الحفيظةِ والمجامعُ تَجمعُ
وَلُهًا مِنَ الكسبِ الذى يُغْنيكمُ ... يَوماإذا احتضرَ النفوسَ المطمعُ
أوصِيكُمْ بِتُقَى الإلهِ فإنَّهُ ... يُعطى الرَّغائبَ مَنْ يشاء ويمنعُ

(١) فى المطبوعتين « وفى لمنظر مستمتع » وما أثبتناه عن المفضليات

وَبِبِرِّ وَالِدِكُمْ وَطاعةِ أَمْرِهِ إِنَّ الأَبَرَّ مِنَ البنينَ الأَطوَعُ
إِنَّ الكبيرَ إذا عصاهُ أَهلُهُ ضاقتْ يَداهُ بأمرِهِ مايَصنعُ
وَدَعوا الضغائنَ لاتكنْ مِنْ شأنكمْ إِنَّ الضغائنَ للقرابةِ توضعُ (١)
يُزجي عقاربَهُ ليبعثَ بينكمْ حرباً كما بَعَثَ العروقَ الأخدعُ (٢)
وَإذا مَضيتُ إلى سبيلي فابعثوا رَجُلاً لهُ قلبٌ حديدٌ أصمعُ
إِنَّ الحوادثَ تخترِمْنَ وَإنَّما عمرُ الفتى فى أهلِهِ مُستودَعُ
يَسْعَى وَيَجمعُ جاهِداً مُستهتراً جِدًّا وَليسَ بآكلٍ مايَجمعُ

وترونهم : من الاراءة المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل (٣) ، وجرى مجرى الظن لبنائه للمفعول ، وانتصب « إخوانكم » على أنه مفعول ثان لترونهم ، والغليل بالمعجمة : الحقد والضغن ، و « أن تصرعوا » فى محل رفع على أنه فاعل يشفى ، والصرع : الطرح على الأرض كالمصرع (٤) ، وهو موضعه

والمعنى: يابنى إن القوم الذين تظنونهم إخوانكم وتعتمدون عليهم فى الشدائد بما ظننتم يشفى مافى صدورهم من غليل العداوة وحرقتها أن تصرعوا وتصابوا بالحوادث ، فاياكم واستئمانهم والاعتماد عليهم ، وفيه إشعار بقولهم : الحزم سوء الظن ، والثقة بكل أحد عجز .

---

(١) فى المفضليات «ودعوا الضغينة» وفيها بين هذا البيت والذى بعده بيت يحتاج إليه البيت التالى ، وهو قوله :

واعصوا الذى يزجى النمائم بينكم متنصحا ، ذاك السمام المنقع

(٢) بين هذا البيت والذى بعده فى المفضليات ثلاثة عشر بيتا منها البيت المستشهد به

(٣) ليس ذلك بلازم ، ولا التزمه أحد من الذين كتبوا على التلخيص، بل يجوز أن يكون مضارع رأى بمعنى ظن

(٤) فى المطبوعتين « كالمصروع »

والشاهد فيه: تنبيه المخاطب على الخطأ فى ظنه، إذ فى قوله «إن الذين» من التنبيه على الخطأ ماليس فى قولك إن القوم الفلانيين

ترجمة عبدة بن الطبيب

وَعَبَدَةُ بن الطبيب[١] شاعر مجيد، ليس بالمكثر، والطبيب: لقب لأبيه، واسمه يزيد بن عمرو، وينتهى نسبه لتميم، وهو مخضرم أدرك الاسلام فأسلم، وكان فى جيش النعمان بن مقرّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن، وقد ذكر ذلك فى قصيدته التى أولها [من البسيط] :

هل حبلُ خَولةَ بعدَ الهجر موصولُ أم أنتَ عنها بعيدُ الدارِ مشغولُ

حلّتْ خُويلةُ فى دارٍ مُجاوِرةً أهل المدينة فيها الديكُ والفيلُ[٢]

يقارِعونَ رؤس العجم ضاحيةً منهمْ فوارس لا عُزْلٌ ولا مِيلُ[٣]

وقال الأصمعى: أرثى بيت قالته العرب[٤] بيت عبدة بن الطبيب [من الطويل] :

وَما كانَ قيسٌ هلكُهُ هلكُ واحدٍ ولكنهُ بنيانُ قوم تهدّما

وقال رجل لخالد بن صفوان: كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو، فقال: لاتقل ذلك، فوالله ما تركه من عىٍّ، ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه ضَعَةً كما يرى تركه مُروءة وشرفاً، وأنشد [من الوافر] :

---

(١) لعبدة بن الطبيب ترجمة مختصرة فى الأغانى، وقد وقع فى المطبوعتين فى جميع المواضع «عبدة بن الطيب» وهو تحريف بنقص الباء

(٢) فى المفضليات «أهل المدائن»

(٣) أراد بهذا الاشارة إلى الموقعة التى دارت بين العرب والفرس فى أعقاب القادسية، ويقارعون: يضاربون، والعجم ـ بضم فسكون ـ الفرس هنا، والعزل: جمع أعزل، وهو من لاسلاح معه، والميل: جمع أميل، وهو الذى ينحرف فى ركوبه، وأراد به السىء الركبة

(٤) وقال أبو عمرو بن العلاء فى هذا البيت: هذا البيت أرثى بيت قيل، وقال ابن الأعرابى: هو قائم بنفسه، ماله نظير فى الجاهلية والاسلام .

وأجرأُ من رأيتُ بظهر غيبٍ . على عيبِ الرجال أخو العيوبِ

وعن(١) ابن الأعرابى أن عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه : أى المناديل أشرف ؟ فقال قائل منهم : مناديل مصر كأنها غِرْقِئ البيض (٢) وقال آخرون: مناديل اليمن كأنها نَوْرُ الربيع ، فقال عبد الملك : مناديل أخى بنى سعد عَبَدَة بن الطبيب حيث يقول [من البسيط] :

لما نزلنا ضربنا ظِلَّ أخبيةٍ وفار للقومِ باللحم المراجيلُ (٣)

وَرْد وأشقرُ ما يؤنيه طابخهُ ماغيرَ الغلىُ منه فهو مأكولُ (٤)

ثمتَ قمنا إلى جُرْدٍ مسوَّمةٍ أعرافُهنَّ لأيدينا مناديلُ (٥)

يعنى بالمراجيل المراجل ، فزاد فيها الياء ضرورة .

* * *

شاهد الايماء إلى وجه بناء الخبر

١٧ — إن الذى سمكَ السماء بنى لَنا بيتاً دعائمُه أعزُّ وأطولُ

البيت للفرزدق ، وهو أول قصيدة طويلة من الكامل (٦) تزيد على مائة بيت ، وبعده:

بيتاً بناهُ لنا المليكُ وما بنَى ملكُ السماءِ فانه لا ينقلُ (٧)

---

(١) وردت هذه القصة فى العقد الفريد (١-١٩٢ اللجنة)

(٢) غرقىء البيض : قشرته الرقيقة اللاصقة ببياضه

(٣) فى المفضليات * لما وردنا رفعنا ظل أردية * وفى العقد كما هنا ، وفى المفضليات والعقد جميعا * وفار باللحم للقوم *

(٤) فى المفضليات والعقد جميعا * وردا وأشقر لم ينهئه طابخه * وفى العقد وحده * ماقارب النضج منها *

(٥) فى العقد * وقد وثبنا على عوج مسومة *

(٦) اقرأها فى الديوان (٧١٤)

(٧) فى الديوان «حكم السماء»

بيتاً زُرارةُ محتبٍ بفنائهِ … وَمجاشعٌ وأبو الفوارس نهشلُ
يلجون بيتَ مجاشع فاذا احتبوْا … برزوا كأنهمُ الجبالُ المُثَّلُ

يقال: سمكَ الشيء سَمْكاً إذا رفعه. ومعنى البيت ظاهر.

والمراد بالبيت فيه الكعبة، أو بيت المجد والشرف.

والشاهد فيه: جعل الايماء إلى وجه الخبر وسيلة إلى التعريض بالتعظيم لشأنه، وذلك لقوله «إن الذى سمك السماء» ففيه إيماء إلى أن الخبر المبنى عليه أمر من جنس الرفعة والبناء، بخلاف ما لو قيل إن الله أو الرحمن أو غير ذلك. ثم فيه تعريض بتعظيم بناء بيته لكونه فعلَ من رفع السماء التى لا بناء أرفع منها ولا أعظم.

بعض أخبار الفرزدق

حدث سلمة بن عباس[1] مولى بنى عامر بن لؤى قال: دخلت على الفرزدق فى السجن وهو محبوس، وقد قال قصيدته:

إنَّ الذى سمكَ السماء بنى لنَا … بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ

وقد أفحم وأجبَلَ[2]، فقلت له: ألا أرفدك؟ فقال: وهل ذاك عندك؟ فقلت: نعم، ثم قلت:

بيتاً زرارةُ محتبٍ بفنائهِ … ومُجاشع وأبو الفوارس نهشلُ

فاستجاد البيت، وغاظه قولى، فقال لى: ممن أنت؟ قلت: من قريش، قال: من أيها؟ قلت: من بنى عامر بن لؤى، فقال: لئام، والله رَضَعَةٌ، جاورتهم بالمدينة فما أحمدتهم. فقلت: ألأم والله منهم وأوضع قومُكَ، جاءك رسول مالك بن المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم، فأخذ بأذنك يقودك حتى حبسك فما اعترضه أحد ولا نصرك. فقال: قاتلك الله! ما أمكرك؟ وأخذ البيت وأدخله فى قصيدته

ذكرت بقوله: «بيتا زرارة محتب بفنائه» البيت، ما ذكره بعض أهل الأدب قال: ماشبهت تأويل الرافضة فى قبح مذهبهم إلا بتأويل بعض مجانين

(١) فى بعض النسخ «سلمة بن عياش».
(٢) فى المطبوعتين «وأحيل».

أهل مكة فى الشعر، فانه قال يوماً : ما سمعت بأكذب من بنى تميم ، زعموا أن قول القائل :

بيتاً زرارةُ محتبٍ بفنائه　　ومجاشع وأبو الفوارس نهشلُ

أن هذه أسماء رجال منهم ، قلت : وما عندك أنت فيه ؟ قال : البيت بيت الله ، والزرارة الحجر زرت حول البيت ، ومجاشع زمزم جشعت بالماء ، وأبو الفوارس هو أبو قبيس جبل مكة ، قلت له : فنهشل ؟ ففكر فيه ساعة ثم قال : قد أصبته هو مصباح الكعبة طويل أسود ، فذاك النهشل .

وذكرت أيضاً هنا ما حدثه أبو مالك الراوية قال : سمعت الفرزدق يقول : أبَقَ غلامان لرجل منا يقال له النضر ، فحدثنى قال : خرجت فى طلبهما وأنا على ناقة لى عَيْساء كَوْماء أريد اليمامة ، فلما صرت فى ماء لبنى حنيفة يقال له الصرصران ارتفعت سحابة فأرعدت وأبرقت وأرخَتْ عزاليها ، فعدلتُ إلى بعض ديارهم وسألت القِرَى ، فأجابوا ، فدخلت داراً لهم وأنخت الناقة وجلست تحت ظُلة لهم من جريد النخل ، وفى الدار لهم جويرية سوداء ، إذ دخلت جارية كأنها سبيكة فضة ، وكأن عينيها كوكبان دُرِّيّان ، فسألت الجارية : لمن هذه العيساء؟ تعنى ناقتى ، فقيل : لضيفكم هذا ، فعدلت إلى فقالت : السلام عليكم ، فرددت عليها السلام ، فقالت : ممن الرجل ؟ فقلت : من بنى حنظلة ، فقالت : من أيهم ؟ قلت : من بنى نهشل ، فتبسمت وقالت : أنت إذاً ممن عناه الفرزدق بقوله ، وذكرت الأبيات السابقة ، قال : فقلت : نعم جُعلتُ فِداكِ ! وأعجبنى ما سمعت منها ، فضحكت وقالت : إن ابن الخطفَى ، تعنى جريراً ، قد هَدم عليكم بيتكم هذا الذى قد فخرتم به ، حيث يقول[1] :

أخزَى الَّذِى رَفعَ السماء مجاشعاً　　وَبنَى بِناهُ بِالحضيضِ الأسفل

---

(١) انظرهما فى الديوان (٤٤٤) ضمن قصيدة أولها :

لمن الديار كأنها لم تحلل　　بين الكناس وبين طلح الأعزل

بَيتاً يُحمَّمُ قَينكم بِفنائهِ دنساً مقاعده خَبيثَ المدخلِ(١)

قال : فوجمت ، فلما رأت ذلك فى وجهى قالت : لا بأس عليك ، فان الناس يُقال فيهم ويَقولون ، ثم قالت : أين تَؤم ؟ قلت : اليمامة . فتنفست الصعداء ثم أنشأت تقول [من الوافر] :

تُذكرنى بِلاداً خـيرُ أهلى بِها أهلُ المروءةِ وَالكرامه
ألاَ فسقَى الالهُ أجشَّ صَوبٍ يَسحُّ بَدرِّه بَلدَ اليمامـه

قال : فأنست بها ثم قلت : أذات خِدرٍ أم ذات بعل ؟ فأنشأت تقول [من الوافر] :

إذا رَقدَ النيامُ فَانّ عَمراً تُؤرقهُ الهمومُ إلىَ الصباح
تُقطعُ قلبهُ الذكرى وَقلبى فلاَ هُوَ بالخلىِّ ولا بِصاحى
سَقىَ اللهُ اليمامةَ دارَ قوم بِها عمروٌ يحنُّ إلىَ الرواح

قال : فقلت لها : مَن عمرو هذا ؟ فانشأت تقول [من الوافر]:

سَألتَ وَلوْ علمتَ كففتَ عنهُ وَمَنْ لك بالجوابِ سِوَى الخبيرِ
فانْ تكُ ذا قبول إنَّ عَمْراً لـكالقمرِ المُضىء المستنـيرِ
وَمالِى بالتَّبعُّـلِ مُستَرَاحٌ وَلوْرَدَّ التبعُّلُ لى أسيرِى

قال : ثم سكنَتْ سكتةً كأنها تسمع إلى كلامه، ثم تهافتت وأنشأت تقول :

يُخيَّلُ لى أيا عَمْرَو بن كعبٍ بأنكَ قد حُملْتَ على سَريرِ
يَسيرُ بكَ الهوَيْنا القومُ لمَّا رماكَ الحبُّ بالقلقِ اليَسيرِ
فانْ تـكُ هـكذا يا عمْرُو إنى مُبـكِّرَةٌ عليك إلى القبورِ

ثم شهقت شهقة فخرت ميتة ، فقلت لهم : مَنْ هذه ؟ فقالوا : هذه عقيلة بنت

---

(١) يحمم : أراد أنه يدخن فيه فيلطخه بسواد الدخان

الضحاك بن عمرو بن محرّق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، فقلت لهم : فمن عمرو هذا ؟ فقالوا : ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق ، فارتحلتُ من عندهم ، فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا فاذا هو قد دفن فى ذلك الوقت الذى قالت فيه ماقالت

والفرزدق قد تقدم ذكره فى شواهد المقدمة [1]

* * *

شاهد تعريف المسند إليه بالاشارة

١٨ — * هٰذَا أبوالصَّقْرِ فرْداً فى مَحاسِنِهِ *

قائله ابن الرومى ، وتمامه :

* مِنْ نَسْلِ شَيْبانَ بَيْنَ الضَّالِ وَالسَّلمِ *

وهذا البيت من قصيدة من البسيط ، وشيبان بن ذهل وشيبان بن ثعلبة قبيلتان ، والضال والسلم : شجرتان من شجر البادية ، وفردا : منصوب على المدح أو الحال

والمعنى : هذا المشار إليه صاحبُ الاسم المشهور إذا ذكر رجلا فردا فى محاسنه وفضائله من نسل شيبان وأولاد هذه القبيلة المقيمين بالبادية ، والاقامة بها مما تتمدح به العرب لأن فقد العز فى الحضر .

والشاهد فيه : تعريف المسند إليه بايراده اسم إشارة متى صلح المقام له واتصل به غرض ، وصلاحيته بأن يصح إحضاره فى ذهن السامع بواسطة الاشارة إليه حساً ، ثم الغرضُ الموجِب له أو المرجِّح تفصيل يأتى ضمن الشواهد إن شاء الله تعالى ، وتعريفه بالاشارة هنا لتمييزه أكمل تمييز ، وذلك فى قوله « هذا أبو الصقر » لصحة إحضاره فى ذهن السامع بواسطة الاشارة حساً .

---

(١) انظر ترجمته فى أواخر شرح الشاهد رقم ٧

ومثله قول المتنبي [من الطويل] :

أولئكَ قَوْمٌ إن بنوْا أحسَنوا البِنا وإن عاهَدوا أوْفَوْا وإن عقَدوا شدُّوا

وقول مادح حاتم الطائى [من الكامل] :

وَإذا تأمَّلَ شَخْصَ ضَيفٍ مقبلٍ مُتسربلٍ سِربالَ لَيلٍ أغْبرِ

أوْمَا إلى الكَوماءِ هذا طارِقٌ نحرَتْنِيَ الأعداءُ إن لم تُنْحَرِى

ترجمة ابن الرومي

وابن الرومى (١) هو : أبو الحسن على بن العباس بن جُرَيج ، وقيل : هو أبو جرجيس (٢) الشاعر المشهور ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، يغوص على المعانى النادرة فيستخرجها من مكانها ويُبرزها فى أحسن قالب ، وكان إذا أخذ المعنى لايزال يستقصى فيه حتى لايدع فيه فضلة ولابقية ، ومعانيه غريبة جيدة .

وحكى ابن دُرُستُوَيْهِ وغيره أن لائماً لامه فقال له : لم لاتشبهٌ كتشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ فقال له : أنشدنى شيئاً من قوله الذى استعجزتنى عن مثله ، فأنشده قوله فى الهلال [من الكامل] :

انْظُرْ إليهِ كَزورقٍ من فِضَّةٍ قد أثقَلتهُ حُمُولة من عنبرِ

فقال له : زدنى ، فأنشده قوله فى الآذريون ، وهو زهر أصفر فى وسطه خمل أسود ، وليس بطيب الرائحة ، والفُرْسُ تعظمه بالنظر إليه وفرشه فى المنزل [من مجزوء الرجز] :

كأن آذَرْيونَها والشمسُ فيهِ كالِيَهْ

مَدَاهِنٌ من ذهبٍ فِيهِ بقَايا غالِيه

فصاح : واغوثاه ! تالله لايكلف الله نفساً إلا وسعها ، ذاك إنما يصف ماعون

---

(١) لابن الرومى ترجمة فى ابن خلكان (٢-٤١)

(٢) الذى فى ابن خلكان «وقيل جورجيس»

بيته لأنه ابن خليفة ، وأنا أىُّ شىء أصف ، ولكن انظر إذا أنا وصفت ما أعرف أين يقع قولى من الناس ، هل لأحد قط قول مثل قولى فى قوس [1] الغمام وأنشد [من الطويل] :

وَساقٍ صَبيحٍ للصَّبُوحِ دَعَوتُهُ ... فقامَ وفى أجفانِه سِنَةَ الغَمضِ
يطوفُ بكاساتِ العُقارِ كأنجمٍ ... فمِن بين مُنقَضٍّ علينا ومُنفض
وقد نَشَرت أيدى الجَنوبِ مَطارفاً ... على الجوِّ دكنا والحواشى على الأرض
يطرِّزُها قَوسُ السحابِ بأخضرٍ ... على أحمرٍ فى أصفرٍ إثرَ مبيض
كأذيالِ خَوْدٍ أقبلَتْ فى غلائِلٍ ... مُصبغَة والبَعضُ أقصرُ من بَعض

وبعضهم ينسبها لسيف الدولة بن حمدان ، منهم صاحب اليتيمة . وقولى فى صانع الرقاق [من البسيط] :

إن أنسَ لا أنسَ خبّازاً مررتُ به ... يَدحو الرُّقاقَةَ مِثلَ اللمح بالبصر [2]
ما بين رُؤيتها فى كَفه كُرَةً ... وبين رؤيتها قوراء كالقَمر
إلا بمقدار ما تَنداحُ دائِرة ... فى لُجّةِ الماءِ يُلقَى فيه بالحجر

وقولى فى قالى الزلابية [من البسيط] :

وَمُستقِرٍّ على كرسيِّهِ تَعِبٍ ... رُوحى الفداء له من منصبٍ نصِب
رَأيتهُ سَحراً يَقلى زَلابيةً ... فى رقةِ القشر والتجويف كالقصب
كأنما زَيتهُ المقلىُّ حينَ بدَا ... كالكيمياء التى قالوا ولم تصِبِ

---

(١) هو قوس قزح الذى يظهر فى السماء عقب المطر ، وقد روى صاحب يتيمة الدهر هذه الأبيات ونسبها إلى سيف الدولة الحمدانى (١-٢٤) وقد ذكر المؤلف ذلك هنا .

(٢) فى أصول الكتاب «لا أنس لا أنس» وهو غير المعروف .

يلقى العجينَ لُجيْناً من أناملِهِ ... فيستحيلُ شبابيكاً منَ الذهبِ

ومن معانيه البديعة قوله [من الكامل] :

وإذا امرؤٌ مدح امرءًا لنوالهِ ... وأطالَ فيه فقد أرادَ هجاءهُ

لوْ لم يقدِّرْ فيه بُعد المستقَى ... عندَ الورودِ لما أطالَ رشاءهُ

وقد كرر ابن الرومى هذا المعنى فى نظمه فقال [من المتقارب] :

إذا عزَّ رفدٌ لمسترْفدٍ ... أطالَ المديحَ له المادحُ

وقدْ ما إذا استبعدَ المستقي ... أطالَ الرشاءَ لهُ الماتحُ

وقد أخذه السراج الوراق فقال [من المجتث] :

سامحْ بفضلك عبداً ... مقصراً فى الثناءِ

رأى قليباً قريباً ... فلمْ يطِلْ فى الرِّشاءِ

وعلى ذكر أبياته المارة فى صانع الرقاق ذكرت ما حكى عن الأديب أبى عمرو النميرى أن هذه الأبيات أنشدت فى حلقته فقال بعض تلامذته : ما أظن أن يقْدَر على الزيادة فيها ، فقال :

فكدتُ أضرطُ إعجاباً لرؤيتها ... ومَنْ رأى مثلَ ما أبصرتُ منه خرِى

فضحك من حضر ، وقالوا : البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع ، فقال :

نْ كانَ بيتيَ هذا ليسَ يعجبكم ... فعجلوا محوهُ أوْ فالعقوهُ طرِى

ومن معانى ابن الرومى البديعة قوله يهجو [من السريع] :

لخالدٍ شاعرِنا زوجةٌ ... لها حرٌ يبلغُ مثليها

قوّامة بالليلِ لكنها ... تستغفرُ الله برِجليها

وقوله فى هذا المعنى[1] أيضاً [من الرجز] :

مَرفوعة تحتَ الدُّجا رِجلاها كأنما يَستغفران الله

وقد أخذ هذا المعنى أبو محمد البصرى فقال من أبيات [من الوافر] :

وَلا تتزوجنَّ لهمْ ببنتٍ فَللسودانِ عِندهمُ مراحُ
بأرْجلهنَّ يَستغفرنَ دأبا فأرْجلهنَّ لِلدعواتِ رَاحُ

رجع إلى شعر ابن الرومى ، فمنه قوله [من الكامل] :

طامن حشَاكَ فلا محالة واقع بِكَ ما تحبُّ منَ الأمورِ وَتكرهُ
وَإذا أتاكَ منَ الأمورِ مقدَّرٌ وَهربتَ مِنهُ فَنحوهُ تتوجهُ

ومنه قوله يهجو [من الوافر] :

غَضبت وَظلْتَ منْ سفهٍ وَطيشٍ تُزهرُ لحيةً فى قدر رقش
فَما افترقتْ لِغضبتكَ الثريا وَلا اجتمعتْ لِذاكَ بناتُ نَعش

ومنه قوله أيضاً [من البسيط] :

إنْ كُنتَ من جَهل حقى غيْرَ معتذرٍ وكنتَ عنْ ردِّ مدحى غيرَ مُنقلب
فأعطنى ثمنَ الطِّرسِ الذى كُتبتْ فيهِ القصيدةُ أوْ كفارةَ الكذب

وقد تبعه الفاضل على بن مليك الحموى وأخذ غالب ألفاظه فقال [من البسيط] :

مدحتكمْ طمعاً فِيما أؤملهُ فلم أنلْ غيرَ حظ الاثم والوصبِ
إن لم تكن صلةٌ منكم لذى أدبٍ فأجرةُ الخط أو كفارةُ الكذبِ

ولابن الرومى فى مثله [من الكامل] :

رُدوا على صَحائفاً سوَّدتها فيكم بلا حقٍّ ولا استحقاق

وقد سبق إلى هذا المعنى أبو تمام بقوله فى المطلب الخزاعى [من السريع] :

أقولُ عدْلا فيكَ فيما أرى إنكَ لا تقبلُ قولَ الكذبْ

(١) فى المطبوعتين « وقوله فيها هذا المعنى »

مَدحتكمْ كذباً فجَازيتني ... بُخلا لقد أنصفتَ يا مطلبْ

وقال ابن زيدون [من الكامل] :

قُل للوزيرِ وقد قطعتُ بمدحه ... عُمرى فكانَ السجنُ منهُ ثوابى
لا تخشَ لائمتى بِما قدْ جئتهُ ... مِنْ ذاكَ فىَّ ولا توَقَّ عتابى
لم تُخْطِ فى أمرى الصَّوابَ موفَّقاً ... هذا جزاءُ الشَّاعرِ الكذابِ

ولابن مليك وقد مدح بعض رؤساء العصر بقصيدة فريدة فقوبلت بالحرمان [من البسيط] :

قالوا قَصيدكَ بالحرمانِ لِمْ رَجعَتْ ... باللهِ باللهِ خَبرنا عَنِ السببِ
فقلتُ ما قُوبلتْ بالمنعِ عنْ خَطإٍ ... إلا لِكثرةِ ما فيها منَ الكذبِ

ومن شعر ابن الرومى يهجو إبراهيم بن المهدى ، وهو قريب من هذا المعنى [من الوافر] :

رَددتَ إلىَّ شِعرى بَعدَ مَطلٍ ... وَقدْ دنَّست ملبسهُ الجديدَا
وَقلتَ امدحْ بهِ منْ شِئتَ بَعدى ... وَمنْ ذا يَقبلُ المدْحَ الرديدَا
وَلا سيمَا وَقدْ أعلقت فيهِ ... مخازيكَ اللواتى لنْ تَبيدَا
وَهلْ للحىِّ فى أثوابِ ميتٍ ... لَبوسٌ بَعدَ ما امتلأت صَديدَا

وقال أبو جعفر بن وضاح فى أبى الوليد بن مالك وقد قعد عن بره [من الكامل] :

أبلغْ لديْكَ المالِكىَّ رِسالةً ... مَشحوذةً مِثلَ السِّنانِ اللهذِمِ
ألبستَ أمداحى كأزهارِ الرُّبا ... وَجزيتنى بقطيعةٍ وَتجهُمِ
فاردُدْ علىَّ مدائحى موفورةً ... هذَا السوارُ لِغيرِ ذاكَ المِعصَمِ

ولطيف قول أبى المظفر الأبيوردى [من الكامل] :

وَمدائحٍ تحكى الرِّياضَ أضعتُها ... فى باخلٍ أعيتْ بهِ الأحسابُ
فإذا تناشدها الرُّواةُ وأبصرُوا الممدوحَ قالوا : ساحرٌ كذَّابُ

وقول أبي بكر بن مجير الأندلسى [من الوافر] :

وَقائلةٍ تقول وَقدْ رَأتنى أُقامِى الجذبَ فى المرْعى الخصيبِ
أماعَطف الفقيهُ وَأنتَ تشكوُ لهُ شكوى العليل إلى الطَّبيب
وقدْ مَرَّ الثناءُ بمعطفيه كما مر النسيمُ على القضيبِ
فَقلتُ : علىَ شكرٌ وامتداحٌ وليسَ علىَّ تقليبُ القلوبِ

وما أحسن قول بشار، وكان قد مدح المهدى بقصيدة فحرمه الثواب، فقيل له : حرمك أمير المؤمنين، فقال: والله لقد مَدَحته بشعر لو مُدح به الدهر ماخشى صرفه على أحد، ولكننى كذبت فى العمل فكذبت فى الأمل

واطيف قول ابن جكينا البغدادى [من البسيط] : [1]

تفضلوا وَاعذروهُ فى مُماطلتى أنا أحقُّ وحقِّ اللهِ مَنْ عتبا
وَلاَ تلوموهُ فى وَعدٍ يرددهُ فى وَقتِ مدحى لهعلَّمتُهُ الكذبا

ولابن جكينا المذكور يعتذر عن بخل الممدوحين لغرض عرض له [من الكامل]:

قدْ بانَ لى عذْرُ الكرام فصدّهم عَنْ أكثر الشعرَاء ليسَ بعارِ
لم يسأموا بَذْلَ النوال وإنّما جمَدَ الندى لبرُودةِ الأشعارِ

وقال بعضهم فى تمهيد عذر الهجائين [من الهزج]:

تدانتْ طُرُقُ اليأسِ فطالتْ طُرُقُ النُّجْحِ
وأجدى مكسبُ الغشِّ فأكدى مكسبُ النصح

---

(١) ابن جكينا : هو الحسن بن أحمد بن محمد بن جكينا، الشاعر البغدادى، كان شاعراً ظريفاً خليعاً، وأكثر أشعاره مقطعات، توفى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وله ترجمة فى فوات الوفيات (١-١٤٨)

وكانَ الاثمُ فى الهجوِ فصارَ الاثمُ فى المدح

ومن هذا المعنى قول ابن جحظة [من الوافر]:

تساوى الناسُ فى فعْل المساوِى فما يستحسنونَ سوىَ القبيح
وصَارَ الجودُ عندهمُ جُنوناً فَمَا يستعقلونَ سوَى الشحيح
وكانوا يهربونَ مِنَ الأهاجى فصاروا يهربونَ مِنَ المديح

ومنه قول الآخر [من البسيط]:

كانَ الكرامُ وَأبناء الكرام إذا تسامعُوا بكريم مَسّهُ عدمُ
تسابقوا فيواسيهِ أخو كرم مِنهمْ وَيرجعُ بَاقيهمْ وَقدْ ندموا
وَاليومَ لاشكَّ قدْ صارَ النَّدَى سَفهاً وَينكرونَ على المعطى إذا علموا

ومدح أبو الحسين بن الفضل أحدَ الوزراء بمراكش، وكان أقرع، فلم يُثِبْهُ، فقال [من السريع]:

أهديتُ مَدحِى لِلوزيرِ الَّذِى دَعا به المجدُ فلمْ يسمعِ
فحاملُ الشعرِ إليهِ كمنْ يُهدِى بِهِ مُشطاً إلى أقرعِ

وما أحذقَ قول أبى رياش فى الوزير المهلبى وقد مدحه وتأخرت صلته وطال تردُّده إليه [من المتقارب]:

وَقائلةٍ قدْ مَدحتَ الوَزيرَ وَهوّ المؤملُ وَالمستماحُ(١)
فماذا أفادكَ ذاكَ المديحُ وَهذا الغدوُّ وَهذا الرواحُ
فقلتُ لها ليسَ يدرى امرؤٌ بأى الأمورِ يكونُ الصلاحُ

---

(١) «وهو» بتشديد الواو لاقامة وزن البيت، وقد جاء ذلك فى الشعر العربى المحتج به، وذلك قول الشاعر:

وإن لسانى شهدة يشتفى بها وهـو على من صبه الله علقم

عَلَى التقلُّب وَالاضطرابُ بجهدِى وَليسَ عَلى النجاح(١)

وهو قريب من معنى أبيات ابن مجير السابقة قريباً .

ولابن الرومى فى ذم الخضاب ، وهو من معانيه المخترعة(٢) [من الطويل] :

إذا دَامَ المرء الشبابَ وَأخلقتْ شَبيبته ظَنّ السوادُ خضابا(٣)

وَكيف يَظنُّ الشيخُ أنَّ خضابه يُظن سواداً أو يخالُ شبابا(٤)

وقد ذكرت بهذين البيتين اعتذار عبدان المعروف بالحوزى عن الخضاب، وهو أحسن شيء رأيته فى معناه [من الخفيف] :

فى مَشيبى شماتةٌ لِعداتى وَهوَ ناع مُنغّصٌ لِحيَاتى

وَيعيبُ الخضابَ قومٌ وَفيه لىَ أُنسٌ إلى حُضورِ وَفاتى

لا وَمَنْ يَعلمُ السَّرائرَ مِنّى ما بهِ رُمتُ خُلّةَ الغانياتِ

إنما رُمتُ أنْ أغيِّبَ عنى ما تُرينيهِ كلّ يَومِ مِرآتى

هُوَ ناعٍ إلىّ نَفسى وَمَنْ ذا سَرّه أنْ يَرَى وُجوهَ النُّعاةِ

وعلى ذكر عبدان هذا فقد كان مع فضله وجزالة شعره خفيفَ الحال متكلِّف المعيشة قاعدا تحت قول أبى الشيص [من الكامل] :

* لَيسَ المقلُّ عنْ الزّمانِ براضٍ *

---

(١) «الاضطراب» بقطع همزة الوصل لاقامة الوزن أيضا ، وقد جاء ذلك فى شعر العرب المحتج به عند الضرورة ، فمن ذلك قول الشاعر :

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمة على حدثان الدهر منى ومن جمل

(٢) البيتان فى ابن خلكان (٢-٤٢) مع بعض تغيير سنذكره

(٣) ورد صدر هذا البيت فى ابن خلكان * إذا دام للمرء السواد وأخلقت *

(٤) وقع فى ابن خلكان «فكيف يظن» وقد وقع فى أصول الكتاب «أو يحال» ـ بالحاء المهملة ـ محرفا

وهو القائل [من الخفيف] :

قلتُ للدهر مِنْ فضولىَ قولاً وحدانى عليه طيبُ الأمانى
أتُرانى بخلعة أنا أُحبَى ذات يوم وفاخرِ الحُملانِ
قالَ هيهاتَ أنتَ والنحس تِربا نِ وقدْ كنتما رضيعَىْ لبان
لا تؤمل رُكوبَ شئ سوى النعـ ـشِ ولا خلعةً سوى الأكفان

وله من أبيات [من الوافر] :

يُكلفنى التصبر والتسلى وهلْ يُسطاعُ إلاّ المُستطاعُ
وقالوا قِسمة نزلتْ بعدلٍ فقلنا ليته جزْرٌ مُشاعُ

وكان أبو العلاء الأسدى عرضة لأهاجيه ، فمن ملحه فيه قوله [من السريع]:

أبا العلاء اسكتْ ولاَ تؤذنا بشين هذا النسبِ البارد
وتدّعى مِنْ أسدٍ نسبةً لا تثبتُ الدعوى بلاَ شاهد
أقمْ لنا والدةً أولاً وأنتَ فى حِل من الوالد

وقوله أيضاً [من الكامل] :

قابلْ هُديتَ أبا العلاء نصيحتى بقبولها وبواجب الشكر
لا تهجونَّ أسنَّ منك فربما تهجو أباكَ وأنتَ لا تدرى

وقوله [من الكامل] :

أضحىَ الملومُ أبَا العلاءِ يسبنى وأنا أبوهُ يعقنى ويعادِى[1]
والمنتمونَ إليهِ مِنْ أولادهِ الله يعلمُ أنهمْ أولادى

ولنرجع إلى شعر ابن الرومى

قال فى بغداد وقد غاب عنها فى بعض أسفاره ، وهو معنى جيد [من الكامل]:

بلدٌ صَحبتُ بها الشبيبةَ والصبا ولبستُ ثوبَ اللهو وهوَ جديدُ

(١) كذا ، وصوابه عندنا * أضحى الملوم أبو العلاء يسبنى *

فَاذا تَمثّلَ فى الضميرِ رَأيته وَعليه أغصانُ الشبابِ تميدُ

ومحاسنه كثيرة ، وديوان شعره رتّبه الصولى على الحروف ، وكان كثير التطير جداً ، وله فيه أخبار غريبة ، وكان أصحابه يعبثون به فيرسلون إليه مَنْ يتطير من اسمه فلا يخرج من بيته أصلا و يمتنع من التصرف سائر يومه ، وأرسل إليه بعض أصحابه يوما بغلام حسن الصورة اسمه حسن ، فطرق الباب عليه ، فقال : من ؟ قال: حسن ، فتفاءل به وخرج ، و إذا على باب داره حانوت خياط قد صلب عليها درفتين كهيئة اللام ألف ، ورأى تحتها نوى تمر ، فتطير وقال : هذا يشير بأن لا تمر ، ورجع ولم يذهب معه .

وكان الأخفش على بن سليمان قد تولع به، فكان يقرع عليه الباب إذا أصبح فاذا قال : مَنِ القارع ؟ قال: مرة بن حنظلة ، ونحو ذلك من الأسماء التى يتطير بذكرها ، فيحبس نفسه فى بيته ولا يخرج يومه أجمع ، فكتب إليه ينهاه ويتوعده بالهجاء ، فقال [من المنسرح]:

قُولوا لِنحويِّنا أبى حَسَنٍ إنّ حُسامِى متى ضَربتُ مَضى

وَإنّ نَبلِى إذا هَممتُ به أرْمى غدا نَصلها بجمر غضا

لاتحسبنَّ الهجاء يَخمده الـرفعُ ولاَ خَفضُ خافض خَفضا

ومنها :

عندى له السَّوْطُ إن تَلاءمَ فى السيرِ وَعندِى اللّجام إنْ رَكضا

وكان الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان[1] بن وهب وزير المعتضد يخاف

---

(١) فى الأصول «القاسم بن عبدالله بن سليمان» وما أثبتناه موافق لما فى ابن خلكان

هجوه وفلتات لسانه ، فدس عليه ابن فراس ، فأطعمه خشكنانجة (١) مسمومة ، فلما أكلها أحس بالسم ، فقام ، فقال له الوزير : إلى أين تذهب ؟ فقال : إلى الموضع الذى بعثت بى إليه ، فقال له : سلم على والدى ، فقال : ليس طريقى على النار ، وخرج من مجلسه وأتى منزله وأقام أياما ومات .

وكان الطبيب يتردد إليه ويعالجه بالأدوية النافعة للسم ، فزعم أنه غلط عليه فى بعض العقاقير ، قال نفطويه النحوى : رأيت ابن الرومى وهو يجود بنفسه فقلت : ما حالك ؟ فأنشد [من الكامل] :

غَلِطَ الطَّبيبُ علىَّ غَلطةَ مُوردٍ عَجزتْ مَوارِدُهُ عن الإصدارِ
والناسُ يَلْحَوْنَ الطبيبَ وإنما غَلطُ الطبيبِ إصابةُ الأقدار

وقال أبو عثمان الناجم الشاعر : دخلت على ابن الرومى أعوده فوجدته يجود بنفسه ، فلما قمت من عنده قال [من الوافر] :

أبا عثمان أنتَ حَميدُ قَومِكْ وَجُودُكَ للعشيرة دون لُومِكْ
تَزود من أخيكَ فلا أراه يَراكَ ولا تراه بَعْدَ يومِكْ

وكانت ولادته ببغداد بعد طلوع فجر يوم الأربعاء لليلتين خلتا من رجب سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وتوفى فى يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ، وقيل : أربع وثمانين ، وقيل : وسبعين ومائتين ، ودفن فى مقبرة باب البستان ، رحمه الله !

---

(١) الخشكنان : دقيق الحنطة يعجن بالشيرج ويبسط ويملأ بالسكر واللوز أو الفستق وماء الورد ثم يضم ويخبز ، وأهل الشام يسمونه المكفن قاله داود فى التذكرة . وقد تكلمت به العرب ، قال الراجز :

ياحبذا الكعك بلحم مثرود وخشكنان وسويق مقنود

شاهد الاتيان بالمسند إليه اسم إشارة للتعريض

١٩ — أُولَئِكَ آبائى فَجِئْنى بِمِثْلِهِمْ إذا جَمَعتنا يا جَرِيرُ المَجامِعُ

البيت للفرزدق، من قصيدة[1] من الطويل، يفتخر بها على جرير، أولها :

مِنَّا الذى اختِيرَ الرِّجالَ سَماحَةً وخيراً إذا هَبَّ الرِّياحُ الزعازع

ومنا الذى أعطَى الرَّسولُ عَطِيَّةً أسارى تميم والعيون دَوامِعُ[2]

ومنا الذى يُعطِى المِئِينَ وَيَشْتَرِى الـ ـغَوالى ويَعلو فضلهُ مَنْ يُدافِعُ

ومنا خَطيبٌ لا يعابُ وحاملٌ أغَرُّ إذا التفَّتْ عليه المجامِعُ[3]

ومنا الذى أحْيا الوَئِيدَ وغالِبٌ وعمرو ومنا حاجِبٌ والأقارع[4]

ومنا غداةَ الرَّوع فتيانُ غارةٍ إذا امتَنعتْ بَعدَ الزِّجاجِ الأشاجِعُ[5]

ومنا الذى قاد الجياد على الوجى لِنَجران حتى صبَّحتهُ النَّرائِعُ

و بعده البيت، وهى طويلة.

ومعنى البيت التعجيز لأنه قد تحقق عنده أن ليس للمخاطب مثل آبائه.

---

(١) اقرأها فى الديوان (ص ٥١٦) وهى نقيضة لقصيدة لجرير بن عطية مطلعها :

ذكرت وصال البيض والشيب وازع ودار الصبا من عهدهن بـلاقع

(٢) يقصد الأقـرع بن حابس، وكان قد خاطب الرسول فى بنى عمـرو بن جندب بن العنبر، فرد سبيهم

(٣) أراد بالخطيب شبة بن عقال، وأراد بالحامل عبد الله بن حكيم

(٤) الذى أحيا الوئيد هو جده صعصعة، وغالب هو أبوه، وعمرو هو ابن عمرو بن عدس، والاقارع : الأقرع بن حابس وأخوه فراس

(٥) فى الديوان « إذا منعت تحت الزجاج » ومنعت : ارتفعت، وأراد بالأشاجع الأيدى، وأصلها عصب ظاهر الكف، يعنى إذا ارتفعت الأيدى بالسيوف بعد أن عملت بالرماح

والشاهد فيه : إيراد المسند إليه اسم إشارة للتعريض بغباوة السامع حتى كأنه لا يدرك غير المحسوس ، وذلك ظاهر فى البيت .

* * *

شاهد المجيء بالمسند إليه معرفا بالاضافه

٢٠ — * هَوَاىَ مَعَ الركبِ اليمانينَ مُصعِدُ *

قائله جعفر بن علْبة ، من أبيات من الطويل[1] قالها وهو مسجون ، وتمامه :

* جَنيبٌ وَجُثْمانى بِمَكةَ مُوثَقُ *

والأبيات :

عجبتُ لِمسراها وأنَّى تخلصتْ إلىَّ وبابُ السجن بالقفْل مغلقُ[2]

ألمتْ فحيّتْ ثم ولت فودعتْ فلما تولّتْ كادت النفسُ تَزهقُ[3]

فلا تحسبي أنِّى تخشّعتُ بَعدكمْ لِشيء ولا أنِّى مِنَ الموتِ أفرقُ

وَلا أنَّ قلبى يَزدهيه وَعيدُكمْ وَلا أننى بالمشى فى القيد أخرقُ[4]

وَلـكنْ عَرَتْنى من هواكِ ضمانة كما كنتُ ألقى منكِ إذ أنا مطلقُ[5]

والركب : ركبان الابل ، اسم جمع ، أو جمع ، وهم العشرة فصاعدا ، وقد يكون

---

(١) رواها أبو تمام فى أوائل ديوان الحماسة (انظر شرح التبريزى بتحقيقنا ١–٥١) ورواها أبو الفرج فى الأغانى (١١–١٤٩) بزيادة بيتين مع حذف بيت الشاهد ، ورواها صاحب الخزانة (٤–٣٢١)

(٢) هكذا فى الأصول والأغانى ، وفى الحماسة والخزانة « وباب السجن دونى مغلق »

(٣) فى الحماسة والأغانى والخزانة « ثم قامت فودعت »

(٤) فى الأغانى « ولا أن قلبى يزدهيه وعيدهم » وفى الحماسة « ولا أن نفسى يزدهيها وعيدكم » وكذا فى الخزانة ، وفيها رواية « ولا أنا ممن يزدهيه وعيدكم »

(٥) كذا فى الأصول والخزانة ، وفى الحماسة والأغانى « عرتنى من هواك صبابة »

للخيل، ويجمع على أرْكُب ورُكُوب، والأُركوب بالضم أكثر من الركب، والرَّكَبة محركة أقل، ومصعد: من أصعد أى ذهب فى الأرض وأبعد. وجنيب: أى مجنوب مستتبع، والجثمان: الجسم والشخص، والجسمان: جماعة البدن والأعضاء من الناس وسائر الأنواع العظيمة الخلق، وذكر الخليل أنهما بمعنى واحد، والموثق: المقيد

والمعنى فيه: هواى منضم إلى ركبان الابل القاصدين إلى اليمن لكون الحبيب معهم، وبدنى مأسور مقيد بمكة

والشاهد فيه: تعريف المسند إليه باضافته إلى شىء من المعارف إذ هى أخصر طريق إلى إحضاره فى ذهن السامع، وهو فى البيت قوله « هواى » أى مَهْوِىَّ وهو أخصر من قولهم « الذى أهواه » أو غير ذلك، والاختصار مطلوب لضيق المقام وفرط السآمة لكونه فى السجن وحبيبُه على الرحيل

ترجمة جعفر بن علبة الحارثي

وجعفر بن علبة [١] هو ابن ربيعة بن عبد يغوث بن معاوية بن صلاة بن المعقل بن كعب بن الحرث بن كعب، ويكنى أبا عارم، وعارم: ابن له، وقد ذكره فى شعره، وهو من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مقل غزل فارس مذكور فى فوارس قومه، وكان أبوه عُلْبة بن ربيعة شاعراً أيضاً، ومات جعفر هذا مقتولا فى قصاص اختلف فى سببه

فقيل: إن جعفر بن عُلْبة وعلى بن جعدب الحارثى القنانى [٢] والنضر بن مضارب المعاوى خرجوا فأغاروا على بنى عقيل، وإن بنى عقيل خرجوا فى طلبهم وافترقوا عليهم فى الطرق، ووضعوا عليهم الأرصاد فى المضايق، فكانوا كلما

---

(١) له ترجمة فى الأغانى (١١-١٤٦) وفى الخزانة (٤-٣٢٢) وخبره في شرح الحماسة (١-٥٦)

(٢) فى الأصول «الميابى» وما أثبتناه عن الأغانى، وسماه فى شرح الحماسة «على بن جعدب بن عنى»

أفلتوا من عصبة لقيتهم أخرى ، حتى انتهوا إلى بلاد بنى نَهْد[١] فرجعت عنهم بنو عقيل ، وقد كانوا قتلوا فيهم ، فاستعْدَتْ عليهم بنو عقيل السرىَّ بن عبد الله الهاشمى عاملَ مكة لأبى جعفر المنصور ، فأرسل إلى أبيه عُلْبة بن ربيعة ، فأخذه بهم وحبسه حتى دفعهم وسائر من كان معهم إليه ، فأما النضر فاستقيد منه بجراحة وأما على بن جعدب فأفلت من السجن ، وأما جعفر بن علْبة فأقامت عليه بنو عقيل قَسَامة أنه قتل صاحبهم فقُتل به

وذكر ابن الكلبي أن الذى أثار الحرب بين جعفر بن علبة و بنى عقيل أن إياس بن يزيد الحارثى وإسماعيل بن أحمد[٢] العقيلى اجتمعا عند أمة لشعيب ابن صامت الحارثى ، وهى فى إبل لمولاها فى موضع يقال له صمعر من بلاد بلحرث[٣] فتحدثا عندها ، فمالت إلى العقيلى فدخلتهما مؤاسفة حتى تخانقا بالعمائم ، فانقطعت عمامة الحارثى ، وخنقه العقيلى حتى صرعه ، ثم تفرقا ، وجاء العقيليون إلى الحارثيين فحكموهم ، فوهبوا لهم ، ثم بلغهم بيت قيل وهو [من الطويل] :

ألم تَسأَلِ العبدَ الزِّيادى ما رَأى ... بِصَمْعَرَ والعبدُ الزيادى قائم

فغضب إياس من ذلك ، فلقى هو وابن عمه النضر بن مضارب ذلك العقيلى وهو إسماعيل بن أحمد[٢] فشجه شجتين وخنقه ، فصار الحارثيون إلى العقيليين فحكموهم ، فوهبوا لهم ، ثم لقى العقيليون جعفر بن علبة الحارثى ، فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلا ثم أطلقوه ، فبلغ ذلك إياس بن زيد فقال يتوجع لجعفر [من الطويل] :

---

(١) فى المطبوعتين « بنى نمر » وما أثبتناه عن الأغانى وبعض الأصول
(٢) فى الأغانى « إسماعيل بن أحمر »
(٣) بلحرث : أى بنى الحرث

أبا عارِم كيف اغترَرتَ ولم تكن تغرُّ إذا ما كان أمرٌ تحاذره

فلا صُلْحَ حتى يخفِقَ السيفُ خفقةً بكفِّ فتى جرَّت عليه جرائِره

ثم إن جعفر بن علبة تبعهم هو وابن أخيه جعدب والنضر بن مضارب، وإياس بن يزيد، فلقوا المهدى بن عاصم وكعب بن محمد بخبرة[1] وهو موضع بالقاعة فضربوهما ضربا مبرحا ثم انصرفوا فضلوا عن الطريق، فوجدوا العقيليين وهم تسعة نفر فاقتتلوا قتالا شديداً فقتل جعفر بن علبة رجلا من عقيل يقال له خشينة[2]، فاستعدى العقيليون إبراهيم بن هشام المخزومى عامل مكة، فرفع الحارثيين وهم أربعة من نجران حتى حبسهم بمكة، ثم أفلت منهم رجل فخرج هارباً، فأحضرت عقيل قَسَامة حلفوا أن جعفراً قتل صاحبهم، فأقاده إبراهيم بن هشام، وقال إياس وهو محبوس الأبيات السابقة، وقال لأخيه يحرضه [من الطويل]:

قلْ لأبى عَوْنٍ إذا ما لقيتهُ ومِن دونه عَرْضُ الفلاةِ يحولُ

تعلَّم وَعَدِّ الشكَّ أنِّى تشفُّنى ثلاثةُ أحراسٍ معاً وكُبولُ[3]

إذا رُمتُ مُشياً أوتبوأتُ مُضجعاً تَبيتُ لها فوقَ الكعاب صَليلُ

ولَوْ بِكَ كانت لابتعثْتَ مطيتى يَعودُ الحفا أخفافهاَ ويجولُ

إلى العدلِ حتى يَصدُرَ الأمرمَصدراً وتبرأ مِنكُم قالةٌ وعُدولُ

وفى رواية أن جعفر بن عُلْبة كان يزور نساء من عقيل بن كعب، وكانوا

---

(١) فى الأصول «بخيرة» وما أثبتناه عن الأغانى، والحديث كله منقول منه بالحرف

(٢) فى الأصول «حسينة» وما أثبتناه عن الأغانى

(٣) عد الشك: أى تجاوزه، يريد اترك الشك وكن على يقين، وفى أصول هذا الكتاب «وعد الشط» محرفا عما أثبتناه عن الأغانى، والكبول: جمع كبل، وهو القيد

متجاورين هم وبنو الحرث بن كعب ، فأخذته عقيل فكشفوا دبر قيصه وربطوه إلى جُمّته ، وضربوه بالسياط وكتفوه ، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتى كان يتحدث إليهن على تلك السبيل ليغيظوهن ويفضحوه عندهن ، فقال لهم : يا قوم ، لا تفعلوا فان هذا الفعل مُثْلة ، وأنا أحلف لكم بما يثلج صدوركم أن لا أزور بيوتكم أبداً ولا ألجها ، فلم يقبلوا منه، فقال لهم : فان لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قد مضى ومُنّوا على بالكف عنى ، فانى أعده نعمة لكم ويداً لا أكفرها أبداً ، أو فاقتلونى وأريحونى فأكون رجلا آذى قومه فى دارهم فقتلوه ، فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدى النساء ويضربونه ويغرون به سفهاءهم حتى شفوا أنفسهم منه ثم خلوا سبيله ، فلم تمض إلا أيام قلائل حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ، ثم مضى ، فلما كان فى نقرة من الرمل أناخ هو وصاحباه ، وكانت عقيل أقفى (١) خلق الله للأثر ، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه ، وكان العقيليون مغترين (٢) ليس مع أحد منهم عصاً ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفر وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلا وجرحوا آخر وافترقوا ، فاستعدت عليهم عقيل السرىَّ بن عبد الله الهاشمى عاملَ المنصور على مكة ، فأحضرهم وحبسهم وأقاد من الجارح ودافع عن جعفر بن علبة وكان يحب أن يدرأ عنه الحد لخؤلة السفاح فى بنى الحرث ، ولأن أخت جعفر كانت تحت السرى بن عبد الله ، وكانت حَظِيّةً عنده ، إلى أن أقاموا عنده قَسامة أنه قتل صاحبهم وتوعدوه بالخروج إلى أبى جعفر المنصور والتظلم إليه ، فحينئذ دعا بجعفر فأقاد منه ، وأفلت على بن جعدب من السجن فهرب ، فلما أخرج جعفر للقود قال

---

(١) القيافة : تتبع أثر السائر حتى يهتدى إلى مكانه ، وهو من علوم العرب التى امتازت بها ولا يزال فى بعضهم إلى اليوم

(٢) مغترين : مأخوذين على غرة

له غلام من قومه: أسقيك شربة من ماء بارد ؟ فقال: اسكت لا أم لك ، إنى إذاً لمهياف ، وانقطع شسع نعله ، فوقف فأصلحه فقال له رجل : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال [من الوافر] :

أشدُّ قبالَ نعلى أن يرانى عدُوى للحوادثِ مُستكينا

وكان الذى ضرب عنق جعفر بن علبة نخبة بن كليب أخو المجنون ، وهو أحد بنى عامر بن عقيل ، فقال فى ذلك [من الطويل] :

شَفى النفسَ ماقال ابنُ عُلبةَ جعفرٌ وقَوْلى له اصبر ليسَ ينفعكَ الصبر
هَوى رأسُهُ من حيثُ كان كما هَوى عُقابٌ تدلّى طالباً خانهُ الوكرُ(١)
أبَا عَارم فينَا عُرامٌ وشِدّةٌ وبَسْطةُ أيمانٍ سَواعدها شُعْرُ
همُو ضَربوا بالسيف هَامةَ جعفرٍ ولم يُنْجِه برٌّ عَريضٌ ولا بَحْر
وَقَدْناه قَود البكر قسراً وعنوةً إلى القبر حتى ضمّ أثوابه القبر

وقال علبة يرثى ابنه جعفرا [من الطويل] :

لَعمركَ إنى يومَ أسلمتُ جعفراً وأصحابهُ لِلموت لمَّا أقاتل
لمجتنبٌ حُبَّ المنايا وإنما يَهيجُ المنايا كلُّ حقٍّ وَباطل
فَراحَ بهم قَوْمٌ ولا قومَ عندهمْ مغلّلة أيديهمُ فى السلاسل
وَربَّ أخٍ لى غابَ لوكانَ شاهداً رآهُ التباليونَ لى غير خاذل

وقال علبة أيضاً لامرأته أم جعفر قبل أن يقتل جعفر [من الطويل] :

لَعمركِ إنَّ الليلَ يا أمَّ جعفرٍ علىَّ وإنْ عللتنى لَطويلُ

---

(١) فى الأغانى « تدلى طالبا جانب الوكر »

أحاذرُ أخباراً من القومِ قد دَنَتْ ... ورجعةَ أنقاضٍ لهنّ دَليلُ (١)

فأجابته امرأته فقالت :

أبا جعفرٍ سلّمتَ للقومِ جعفراً ... فَمُتْ كمداً أو عِشْ وأنتَ ذليلُ

وذكر شداد بن إبراهيم أن بنتا ليحيي بن زياد الحارثى حضرت الموسم فى ذلك العام لما قتل فكفنته واستجادت له الكفن وبكته وجميع من كان معها من جواريها وجعلن يندُبنه بأبياته التى قالها قبل قتله ، وهى [من الطويل] :

أَحقًّا عبادَ الله أنْ لستُ رائياً ... صحارى بنجدٍ والرِّياحَ الذوارِيا (٢)

ولا زائراً شم العرانينِ أنتمى ... إلى عامرٍ يحللنَ رملاً معاليا (٣)

إذا ما أتيتَ الحارثيات فانعنى ... لهنّ وخبّرهنّ أن لا تلاقِيا

وقوِّد قلوصى بينهن فإنها ... ستُبرد أكباداً وتُبكى بواكيا

أوصيكم إن متُّ يوماً بعارم ... ليُغنى شيئا أو يكون مكانيا

ولم أترِكْ لى ريبةً غيرَ أننى ... ودِدتُ معُاذاً كان فيمن أتانيا

أراد وددت أن معاذاً كان أتانى معهم فقتلته .

فقال معاذ يجيبه عنها بعد قتله ويخاطب أباه ويعرض له أنه قتل ظلماً لأنهم أقاموا قَسامة كاذبة عليه حتى قتل ، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه ، إلا أن غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه [من الطويل] :

أبا جعفرٍ سلّم بنجرانَ واحتسب ... أبا عارم والمسمناتِ العواليا (٤)

---

(١) هكذا فى أصول هذا الكتاب وفى الأغانى . وورد فى شرح الحماسة «أحاذر أنباء» و«لهن زليل»

(٢) فى الأغانى «صحارى نجد»

(٣) فى الأصول «رمل معاليا» وما أثبتناه من الأغانى

(٤) فى الأغانى «والمسمنات العواليا»

وقود قَلوصاً أتلف السيفُ ربها　　بغير دم فى القوم إلا تمارِبا
إذا ذَكرتهُ مُعصرٌ حارثية　　جرى دَمعُ عينيها على الخدِّ صافيا
فلا تَحْسبن الدِّين ياعلْبَ مُنسأ　　ولا الثأرَ الحران يَنْسى التقاضيا
سَنقتلُ منكم بالقَتيل ثلاثةً　　ونُغلى و إن كانت دمانا غَواليا (١)
تمنَّيتَ أن تَلقى مُعاذاً سَفاهة　　ستَلقى مُعاذاً والقضيبَ اليمانيا

وعن أبى عبيدة قال : لما قتل جعفر بن علبة قام نساء الحى يبكين عليه ، وقام أبوه إلى كل ناقة وشاة فنحر أولادها وألقاها بين أيديها وقال : ابكين معنا على جعفر ، فما زالت النوق ترغو والشياه تثغو والنساء يصحن و يبكين وهو يبكى معهن ، فما رؤى يوم أوجع وأحرق مأتماً فى العرب من يومئذ .

* * *

شاهد تنكير المسند إليه للتعظيم والتحقير

٢١ — لهحاجبٌ عَنْ كل أمرٍ يَشينهُ　　وَليسَ له عَن طالبِ العُرفِ حاجبُ

البيت لابن أبى (٢) السمط ، من أبيات من الطويل ، منها :

فتىً لايبالى المدْلجونَ بنوره　　إلى بابِهِ أن لاتُضىءَ الكواكبُ
يصمّ عن الفحشاء حتى كأنه　　إذا ذُكِرَتْ فى مجلسِ القومِ غائبُ

والحاجب المانع ، والشين: العيب ، والعرف والمعروف: الاحسان :

والشاهد فيه : تنكير الحاجب الأول للتعظيم والثانى للتحقير ، أى ليس له حاجب حقير فكيف بالعظيم ، ومثله قول الشاعر [من الطويل] :

ولله مِنى جانبٌ لا أضيعهُ　　وللهوِ منى والخلاعةِ جانبُ

وابن أبى السمط (٣) :

(١) فى الأغانى «و إن كانت دماء غواليا» وما هنا خير

(٢) نسبه أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى (١-٢٣) إلى أبى الطمحان مولى ابن أبى السمط، وروى قبله أول البيتين اللذين ذكرهما المؤلف «فتى لايبالى»

(٣) في المخطوطتين والمطبوعتين بياض ، ويظهر أن المؤلف تركه حتى يجد له ترجمة ، ثم لم يعثر له على ترجمة

٢٢ — الألمعيُّ الذي يَظُنُّ بك الـــظنَّ كأنْ قد رأى وقد سمِعا

البيت لأوس بن حَجَر من قصيدة من المنسرح (١) قالها فى فضالة بن كلدة يمدحه بها فى حياته (٢) ويرثيه بعد وفاته ، أولها :

أيَّتها النفسُ أجْمِلي جزَعا   إنَّ الذى تحذرينَ قَدْ وَقعا
إنَّ الذى جَمَعَ السَّماحةَ والـــنَّجدةَ وَالبرَّ وَالتُّقى جُمعا(٣)

و بعد البيت ، و بعده :

ا لمُخلفَ المُتلفَ المُرزَّأَ لمْ   يُمتعْ بِضعفٍ ولَم يَمتْ طَبعا(٤)
وَالحافظَ النَّاسَ فى تَحوطَ إذا   لمْ يُرسلوا تَحتَ عائذٍ رُبعا(٥)
وَعزتِ الشمْألُ الرِّياحَ وَقدْ   أمسى كَميعُ الفتــاةِ مُلتفعا(٦)

الألمعى واليلمعى: الذكى المتوقد ذكاء ، وسئل الأصمعى عن معنى الألمعى فأنشد

---

(١) اقرأها فى ذيل الأمالى (٣٤)
(٢) الأدباء على أن هذه القصيدة مرثية قيلت بعد وفاة فضالة بن كلدة
(٣) فى الأمالى «والحزم والقوى جمعا»
(٤) فى الأصول « ولم يمن طبعا » محرفا ، وما أثبتناه عن ذيل الأمالى
(٥) فى الأصول « والحافظ الناس من قحوط » وفيها « لم يرسلوا خلف رائد » وكلاهمـا تحريف عما أثبتناه عن ذيل الأمالى . وتحـوط : هى السنة الشديدة المجدبة ، والعائذ من الابل : هى الناقة التى ولدت حديثاً ، والربع : الذى ولد فى الربيع ، يريد لم يتركوا ولد الناقة يرضعها لشدة حاجتهم إلى اللبن ، وهذا تأكيد لوصف الجدب .
(٦) عزت : غلبت ، والشمأل : ريح الشمال ، والكميع : الضجيع ، يريد اشتداد البرودة ، وذلك وقت الشدة والجدب عندهم ، وفي ذيل الأمالى « بات كميع الفتاة »

البيت ، ولم يزد عليه ، وهو إما مرفوع خبر إنَّ ، أو منصوب صفة لاسمها ، أو بتقدير أعنى ، وخبرها فى قوله بعد أبيات :

أوْدَى فما تَنفعُ الإشاحةُ مِنْ   أمْرٍ لمنْ قدْ يُحاولُ البِدَعا[1]

والشاهد فيه كون جملة قوله « الذى يظن بك الظن » وصفاً كاشفا عن معنى الألمعى ، لا كونه وصفا للمسند إليه

أشعار فى معنى دلالة الظاهر على الباطن

و بيت أوس هذا تداول معناه الشعراء ، قال أبو تمام [من الكامل] :

ولذاكَ قيل منَ الظنونِ جِبلةً   عِلْمٌ ، وفى بعض القلوبِ عُيونُ

وقال المتنبي [من البسيط] :

ماضى الجَنَانِ يُريهِ الحزمُ قبل غدٍ   بِقلبهِ ماترى عَيناهُ بعد غدِ

وقال أيضا [من الطويل] :

ذكىٌ تظنّيهِ طليعةُ عينهِ   يَرى قلبُه فى يومهِ مايَرى غدَا

وقال أيضا [من المنسرح] :

وَيعرِفُ الأمرَ قَبلَ موقعهِ   فمالهُ بعْد فِعلهِ ندمُ

وقال أيضا [من الكامل] :

مُستنبطٌ من علمه مافى غدٍ   فكأنَّ ماسيكونُ فيه دُوّنا

وهذا المعنى يقرب منه قول أبى نواس [من الكامل] :

ماتنطوى عنه القلوبُ بنجوةٍ   إلاَّ تُحدِّثهُ بِهِ العينانِ

وقول على بن الخليل [من السريع] :

كَلّمنى لحظُكَ عن كلِّ ما   أضمرهُ قلبُكَ من غدرِ

وقول الخليع [من الهزج] :

(١) الاشاحة : الجد فى الأمور

أما تقرأُ فى عينىَّ عنوانَ الذى عِندِى

وقد سبق إليه المتقدمون ، قال الثقفى [من الطويل] :

تُخَبِّرُنى العينانِ ما القلبُ كاتمٌ ... ولا حُبَّ بالبغضاءِ والنظرِ الشَّزْرْ

وقال يزيد بن الحكم الثقفى [من الطويل] :

تُكاشِرُنى كرْهاً كأنك ناصح ... وعينكَ تُبدى أنَّ قلبكَ لى دَوِى

وما أحسن قوله بعده :

عَدُوُّكَ يخشى صَوْلتى إن لقيتَهُ ... وأنتَ عَدُوِّى ليس هذا بُمستوى

تُصافحُ مَنْ لاقيتَهَ ذا عداوةٍ ... صِفاحاً وعَنِّى بين عينيكَ مُنْزَوِى (١)

وقال المتنبى فى معناه [من الكامل] :

تُخفِى العداوةَ وهى غيرُ خفيةٍ ... نَظَرُ العدوِّ بما أسرَّ يبوحُ

وقال غيره [من البسيط] :

عَيناكَ قد دلَّتاعينىَّ منك على ... أشياء لولا هُمَا ما كنتُ أدْرِيها

والعينُ تعلمُ من عَينَىْ محدِّثِها ... إن كان من حِزْبِها أو من أعادِيها

ولمؤلفه من أبيات [من الطويل] :

وَيُظهِرُ وُدًّا تشهدُ العينُ زُورَهُ ... ويقضى بذاك القلبُ والقلبُ أخبرُ

وله فى معناه [من الكامل] :

من كانَ فى لُقياهُ لا يتوددُ ... فأنا الذى فى وُدِّهِ أتَرَدَّدُ

فالقلْبُ عما قد أجنَّ ضميرُهُ ... لصديقِه عِندَ التلاقى يُرشدُ

و إذا خفى حالٌ وأشكلَ أمرُهُ ... فالعينُ تُخبر بالخفى وتشهدُ

---

(١) فى الأصول «وعينى بين عينيك» وهو محرف عما قد أثبتناه

وما أحسن قول أبى نصر بن نُباتة [من الطويل] :

ألا إنّ عينَ المرء عنوانُ قلبهِ   تُخَبِّرُ عن أسرارِه شاء أمْ أبَى

وبديع قول عمارة بن عقيل [من البسيط] :

تُبدى لك العينُ ما فى نفسِ صاحبها   مِن الشَّناءةِ والوُدِّ الذى كانا
إنّ البغيضَ لهُ عينٌ يَصُدُّ بها   لا يستطيعُ لِما فى القلبِ كِتْمَانا
وعينُ ذى الوُدِّ لاتنفكُّ مقبلةً   تَرى لها محجراً بَشّاً وإنسانا(١)
والعينُ تنطقُ والأفواهُ صامتةٌ   حتى ترى من ضمير القلب تِبيانا

وقول الآخر [من البسيط] :

تُريكَ أعينُهم ما فى صدورهم   إن الصُّدور يؤدى غَيبَها البصرُ

وقول المعتمد بن عباد صاحب الأندلس [من البسيط] :

تَمَيَّزُ البغضَ فى الألفاظِ إن نطقوا   وتعرفُ الحقدَ فى الألحاظِ إن نظروا

وقول الآخر [من الطويل] :

ستُبدى لك العينان فى اللحظ ماالذى   يُجِنُّ ضميرُ المرء والعينُ تَصدُقُ

وقول محمد بن أيدمر صاحب كتاب الدر الفريد [من الوافر] :

صديقُك من عدوك ليس يخفى   وعنوانُ الدعاوَى فى العيون
تُخبرُك العيونُ بما أجَنَّتْ   ضمائرُها من السر المصُونِ

وقول محمد بن شبل من قصيدة [من الكامل] :

فالعينُ تقرأ من لِحاظِ جليسها   ما خُطَّ منه فى ضمير الخاطرِ
ولكم قُطوبٍ عن وِدادٍ خالصٍ   وتبسم عن غل صدرٍ واغرِ

(١) محجر العين ـ بفتح الميم وكسر الجيم ـ ما أحاط بها

وما أحسن قوله فيها :

ما إن أريدُ بصدقِ قولي شاهداً حسبي بِسِرِّك عالماً بسرائري
وإذا تعارفت القلوبُ تألفت ويصدُّ منها نافرٌ عن نافرِ
فتوقَّ مَنْ يأباه قلبُك إنَّهُ سيَبِينُ باطنُه بأمرٍ ظاهرِ

وقول العيني [من المتقارب] :

كأنك مُطَّلعٌ في القلوبِ إذا ما تناجتْ بأسرارِها
فكرّاتُ طرْفِك مُرْتَدَّةٌ إليك بغامضِ أخبارِها

ومثله قول المتنبي [من الوافر] :

كأنك ناظرٌ في كل قلبٍ فما يخفى عليك محلُّ غاش

وقد قال مُضَرِّس بن رِبْعِيٍّ في عكس ذلك [من الطويل] :

كأن على ذي الظن عيناً بصيرة بمنطقهِ أو منظرٍ هو ناظره
يحاذِر حتى يحسَبَ الناسَ كلهُمْ من الخوفِ لاتخفى عليهم سرائره

وبديع قول المتنبي في معنى ما سبق [من البسيط] :

ووكل الظنَّ بالأسرارِ فانكشفت له ضمائرُ أهلِ السهلِ والجبلِ

وهذا المعنى هو الأول ، وإنما فرق بينهما أن ذلك في العواقب وهذا في الأسرار والضمائر ، والمراد منهما صحة الحَدْسِ وجودة الظن

وبديع قول الآخر في معناه [من البسيط] :

كأنما رأيُهُ في كل مُشْكِلة عينٌ على كل مايخفى ويستترُ

ترجمة أوس ابن حجر

وأوس[1] بن حَجَرٍ هذا هو : ابن مالك بن حزن بن عقيل بن خلف بن نمير

(١) لأوس بن حجر ترجمة في الأغاني (١٠ : ٦-٨) وفي الشعر والشعراء (٩٩) وفي خزانة الأدب للبغدادي (٢ : ٢٣٥)

ينتهى نسبه لتميم بن مرة مع اختلاف فيه ، وكان من شعراء الجاهلية وفحولها ، وعن أبى عمرو قال : كان أوس بن حجر شاعرَ مضر حتى أسقطه النابغة وزهير ، فهو شاعر بنى تميم فى الجاهلية غير مدافع ، وقال الأصمعى : أوس أشعر من زهير ولكن النابغة طأطأ منه ، قال أوس [من الطويل] :

ترى الأرضَ مِنّا بالفضاءِ مريضةً   مُعَضَّلَةً مِنّا بجمعٍ عَرَمْرَمِ (١)

وقال النابغة [من الكامل] :

جيشٌ يظَلُّ به الفضاءُ مُعضَّلاً   يَدَعُ الإكامَ كأنهنّ صحارِى

فجاء بمعناه وزاد ، وقالت الشعراء فى نِفَارِ الناقة وفزعها فأكثرت ولم تَعْدُ ذكر الهر المقرون بها وابنِ آوى ، وقال أوس [من الطويل] :

كأنّ هرًّا جنيباً عند غُرْضَتِها   والتفَّ ديكٌ برجليها وخِنْزيرُ (٢)

قالوا : وجمع ثلاثة ألفاظ أعجمية فى بيت واحد ، فقال :

وقارَفَتْ وهْىَ لم تَجْرَبْ وباع لها   من الفَصَافِصِ بالنُّمِّىِّ سِفْسِيرُ (٣)

الفصافص : الرطبة ، وهى بالفارسية أسپست ، والنمى : الفلوس بالرومية ، والسفسير : السمسار

وعن أبى عبيدة قال : كان أوس بن حجر غَزِلاً مغرما بالنساء ، فخرج فى سفر

---

(١) فى الأصول « ترى الأرض منا بالعطايا » وهو تحريف ، وما أثبتناه عن اللسان والشعراء ، ومعضلة : ضيقة بهم لكثرتهم

(٢) الغرضة - بضم فسكون - حزام الرحل ، ووقع فى الأصول « عرضتها » بالعين مهملة

(٣) قارفت : قاربت ودنت ، يريد أنها قاربت أن تجرب ، وقد وقع فى أصول هذا الكتاب « وفارقت وهى لم تحزن » وهو تحريف فى مواضع ، وما أثبتناه عن لسان العرب فى أكثر من موضع وعن الشعراء لابن قتيبة

حتى إذا كان بأرض بنى أسد بين شرج وناظرة ، فبينا هو يسير ظلاما إذ جالت به ناقته فصرعته فاندقت فخذه(١) فبات مكانه ، حتى إذا أصبح غدت جوارى الحى يجتنين الكمأة وغيرها من نبات الأرض والناسُ فى ربيع ، فبينما هن كذلك إذ أبصرن ناقته تجول وقدعلق زمامها بشجرة، وأبصرنه ملقى ،ففزعن منه وهربن ، فدعا بجارية منهن ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا حليمة بنت فضالة بن كلدة ، وكانت أصغرهن ، فأعطاها حجراً وقال لها : اذهبى إلى أبيك فقولى : إن ابن هذا يقرئك السلام ، فأتته فأخبرته ، فقال : يا بنية ، لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل ، ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيتا حيث صرع ، وقال : لا أتحول أبداً حتى تبرأ ، وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقل ، فقال أوس فى ذلك [من المتقارب] :

خذلت على ليلة ساهرة ... بصحراء شَرْجٍ إلى ناظرَهْ
تُزادُ ليالىَّ مِنْ طولها ... فليستْ بِطَلْقٍ ولا ساكرَهْ
أنوء برجلٍ بها وهْيُها ... وأعيتْ بها أخْتُها العاثره

وقال فى حليمة [من الطويل] :

لَعَمْرُكَ ما ملّتْ ثواء ثويها ... حليمة إذ ألقت فراشى ومقعدى
ولكنْ تلقتْ باليدينِ ضمانتى ... وَملّ بشَرْجٍ مِالْقبائِلِ عُوَّدِى
ولم تُلهها تلك التكاليفُ إنّها ... كما شئتَ من أكرومةٍ وتخرد
سأجزيك أو يجزيك عنى مثوّب ... وقصرك أن يثنى عليك وتحمدى

ثم مات فضالة بن كلدة ، وكان يكنى أبا دليجة ، فقال فيه أوس يرثيه [من البسيط] :

ياعينُ لابدّ من سكبٍ وتَهمالِ ... على فضالةَ ، جَلِّ الرُّزْء والعالى

(١) فى الأغانى «فخذاه» بالتثنية

وهى طويلة، وله فيه عدة قصائد؛ ومما يستجاد من شعره قوله [من الطويل] :

وإنى رأيتُ الناسَ إلا أقلهمْ خفافَ العهود يُكثرون التنقلا
بَنى أمِّ ذى المال الكثير يرونه وإن كان عبداً سيدَ الأمر جحفلا[1]
وهم لِمُقلِّ المالِ أولادُ عَلّةٍ وإن كان محضاً فى العمومةِ مُخوَلا
وليس أخوكَ الدائمُ العهدِ بالذى يَسوءكَ إن ولَّى ويرضيك مقبلا
ولكن أخوكَ النَّاءِ ما كنتَ آمِناً وصاحبُكَ الأدنى إذا الأمرُ أعضلا

ويستجاد له من هذه القصيدة قوله فى السيف :

كأن مَدَبَّ النمل تتَّبعُ الرُّبا ومَدْرَجَ ذَرٍّ خاف بَرْداً فأسهلا

* * *

شاهد تقدم المسند إليه

٢٣ ـ وَالَّذِى حَارَتِ البريةُ فِيهِ حَيَوانٌ مُسْتَحدَثٌ من جَمَادِ

البيت لأبى العلاء المعرّى ، من قصيدة من الخفيف يرثى بها فقيهاً حنفياً أولها :

غيرُ مُجْدٍ فى ملّتى واعتقادى نَوحُ باكٍ ولا ترنُّم شادى
وَشبيهٌ صَوتُ النَعِىِّ إذا قيـ ـسَ بِصوتِ البَشير فى كل نادى
أبكَتْ تلكُمُ الحمامة أم غنَّـ ـتْ على فرع غُصنِها المياد
صاحِ هذى قبورُنا تملأ الرُّحـ ـبَ فأين القبورُ من عهد عاد
خَفِّفِ الوطء ما أظنُّ أديم الـ أرضِ إلا من هذه الأجساد
وقبيحٌ بنا وإن قَدُم العهـ ـدُ هوانُ الآباءِ والأجداد
سِرْ إنِ اسطَعْتَ فى الهواءِ رُوَيداً لا اختيالاً على رفات العباد
رُبَّ لحدٍ قد صارَ لحداً مراراً ضاحِكٍ من تزاحُم الأضداد
وَدفينٍ على بقايا دفينٍ فى طويلِ الأزمان والآباد
فاسألِ الفرقدين عمن أحسا من قبيلٍ وآنسا من بلاد

(١) فى الأصول « بلى أمر ذى المال » محرفا عما اثرناه عن ابن قتيبة

كم أقاما على زوالِ نهارٍ وأنارا لِمُدلجٍ فى سَواد
تَعبٌ كلّها الحياةُ وما أعْـجبُ إلاّ مِنْ راغبٍ فى ازْدياد
إنّ حزناً فى ساعةِ الموْتِ أضْعا فُ سُرورٍ فى ساعةِ المِيلاد
خُلِقَ النّاسُ لِلبقاء فَضلّتْ أمّةٌ يَحسبونهمْ لِلنفـاد
إنما يُنقلونَ مِنْ دارِ أعْما لٍ إلى دارِ شِقوةٍ أوْ رَشاد

وهى طويلة ، ومنها :

بانَ أمْرُ الإلهِ واختلفَ النّا سُ فَداعٍ إلى ضَلالٍ وهادِى

و بعده البيت ، و بعده :

فاللّبيبُ اللّبيبُ مَنْ ليسَ يَغتـرُّ بِكونٍ مَصيرُهُ لِلفسادِ

يقول : تحيرت البرية فى المعاد الجسمانى والنشور الذى ليس بنفسانى ، وفى أن أبدان الأموات كيف تحيا من الرفات ، و بعضهم يقول به ، و بعضهم ينكره ، و بهذا تبين أن المراد بالحيوان المستحدث من الجماد ليس آدم عليه السلام ، ولا ناقة صالح ، ولا ثعبان موسى ، عليهما السلام ، إذ لايناسب السياق ، وقال الامام أبو محمد بن السيد البَطَلْيَوْسى حين شرح سقط الزند فى هـذا البيت : يريد أن الجسم موَاتٌ بطبعه ، و إنما يصير حسّاسا متحركا باتصال النفس به ، فاذا فارقته عند الموت عاد إلى طبعه ، فالحياة للنفس جوهرية ، وللجسم عَرَضية ، فلذلك يعدم الجسم الحياة إذا فارقته النفس ولا تعدمها النفس .

والشاهد فيه : تقديم المسند إليه على المسند لتمكن الخبر فى ذهن السامع لأن فى المبتدإ تشويقاً إليه .

ترجمة أبي العلاء المعرى

وأبو العلاء : هو أحمد[١] بن عبدالله بن سليمان المعرى التنوخى ، من أهل

(١) تجد لأبى العلاء المعرى ترجمة فى ابن خلكان (١-٥٨) وفى « نكت الهميان فى نكت العميان لصلاح الدين الصفدى »

معَرَّة النعمان ، العالم المشهور ، صاحب التصانيف المشهورة ، ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلثمائة بالمعرة، وجُدِرَ(١) فى السنة الثالثة من عمره فعمى منه ، وكان يقول : لا أعرف من الألوان إلا الأحمر ، لأنى أُلبست فى الجدرى ثوبا مصبوغاً بالعصفر ، لا أعقل غير ذلك .

وعن ابن غريب الايادى أنه دخل مع عمه على أبى العلاء يزوره ، فوجده قاعداً على سجادة لبد وهو شيخ فانٍ ، قال : فدعا لى ومسح على رأسى ، قال : وكأنى أنظر إليه الساعةَ وإلى عينيه إحداهما نادرة والأخرى غائرة جداً (٢) وهو مجدور الوجه ، نحيف الجسم .

وعن المصيصى الشاعر قال : لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب ، رأيت أعمى شاعراً ظريفا يلعب بالشطرنج والنرد ، ويدخل فى كل فن من الهزل والجد ، يكنى أبا العلاء ، وسمعته يقول : أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيرى على البصر

وهو من بيت علم وفضل ورياسة ، له جماعة من أقاربه قضاة وعلماء وشعراء قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ، أو اثنتى عشرة سنة ، ورحل إلى بغداد ، ثم رجع إلى المعرة ، وكان رحيله إليها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، وأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ودخل على المرتضى أبى القاسم فعثر برجلٍ فقال : من هذا الكلب؟ فقال أبو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما ، وسمعه المرتضى وأدناه واختبره فوجده عالما مشبعا بالفطنة والذكاء ، فأقبل عليه إقبالا كثيراً ، وله معه نكتة تأتى فى التلميح إن شاء الله تعالى .

---

(١) جدر — بالبناء للمجهول — أصيب بمرض الجدرى

(٢) نادرة : بارزة ، وغائرة : منخسفة داخلة

ولما رجع المعرى إلى بلده لزم بيته وسمى نفسه رَهِينَ المحبسين(١) يعنى حبس نفسه فى منزله ، وحبس بصره بالعمى .

وكان عجيبا فى الذكاء المفرط والحافظة. ذكر تلميذه أبو زكريا التبريزى أنه كان قاعداً فى مسجده بمعرة النعمان بين يدى أبى العلاء يقرأ شيئاً من تصانيفه، قال : وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحدا من أهل بلدى ، فدخل المسجدَ بعضُ جيراننا للصلاة ، فرأيته فعرفته وتغيرت من الفرح ، فقال لى أبو العلاء : أى شىء أصابك ؟ فحكيت له أنى رأيت جاراً لى بعد أن لم ألق أحدا من أهل بلدى سنين ، فقال لى : قم فكلمه ، فقلت: حتى أتمم النسق ، فقال لى : قم وأنا انتظر لك ، فقمت وكلمته بلسان الأذربيجانية شيئاً كثيراً ، إلى أن سألت عن كل ما أردت ، فلما رجعت وقعدت بين يديه قال لى : أى لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أذربيجان ، فقال لى : ما عرفت اللسان ولا فهمته ، غير أنى حفظت ما قلتما ، ثم أعاد علىَّ اللفظَ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه ، بل جميع ما قلت وما قال جارى ، فتعجبت غاية العجب من كونه حفظ مالم يفهمه .

وللناس حكايات يضعونها فى عجائب ذكائه ، وهى مشهورة ، وغالبها مستحيل ، وكان قد رحل أولا إلى طرابلس ، وكان بها خزائن كتب موقوفة ، فأخذ منها ما أخذ من العلم ، واجتاز باللاذقية ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة ، فسمع كلامه ، فحصل له شكوك ، وكان اطلاعه على اللغة وشواهدها أمرا باهرا .

اختلاف الناس فى أبى العلاء

والناس مختلفون فى أمره ، والأكثرون على إلحاده وإكفاره ، وأورد له الرازى فى الأربعين قوله [من مخلع البسيط] :

قُلْتُمْ لَنَا صَانِعٌ قَدِيم ... قُلْنا صَدَقتمْ كَذَا نَقُولُ
ثُمَّ زَعَمتمْ بِلاَ مَكَانٍ ... وَلاَ زَمانٍ ، ألاَ فَقولوا

(١) فى المطبوعتين « رهين الحبسين » ناقص الميم

هـذا كلامٌ له خَبِيءٌ　　معناه لَيستْ لَنا عقولُ

ثم قال الرازى : وقد هذى هذا فى شعره . وقال ياقوت : كان متهما فى دينه يرى رأى البراهمة ، لايرى إفساد الصورة ، ولا يأكل لحما ، ولا يؤمن بالرسل ولا البعث ولا النشور . انتهى

ومكث مدة خمس وأربعين سنة لايأكل اللحم تدينا ولا ماتولد من الحيوان رحمة له وخوفا من إزهاق النفوس ، وإلى ذلك أشار علىّ بن همام حين رثاه فقال من قصيدة طويلة [من الكامل] :

إنْ كنتَ لم تُرِقِ الدماء زَهادةً　　فلقد أرقْتَ اليومَ مِن عَينى دَما

سَيرتَ ذِكرَكَ فى البلاد كأنهُ　　مِسكٌ فسامِعةً يُضَمِّخُ أو فما(١)

وأرى الحجيجَ إذا أرادُوا ليلةً　　ذِكراكَ أوْجبَ فِديةً من أحرما(٢)

ولقيه رجل فقال له : لِمَ لم تأكل اللحم؟ فقال : أرحم الحيوان ، قال : فما تقول فى السباع التى لاطعام لها إلا لحوم الحيوان ، فان كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه ، وإن كانت الطبائع المحدِثَة لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن ، فسكت

وقال القاضى أبو يوسف عبد السلام القزوينى : قال لى المعرى : لم أهج أحدا قط ، قلت له : صدقت إلا الأنبياء عليهم السلام ! فتغير لونه ، أو قال وجهه

ودخل عليه القاضى المنازى ، فذكر له مايسمعه عن الناس من الطعن عليه ثم قال : مالى وللناس وقد تركت دنياهم ؟ فقال له القاضى : وأخراهم ، فقال :

---

(١) فى الأصول وفى ابن خلكان «فسامعه» بدون نقط الهاء ، واضطر مصحح نسخة ابن خلكان أن يكتب على هامشها ما صورته «قوله مسك إلخ فى بعض النسخ * مسك يضمخ منه سمعا أو فما * ولعل ذلك أوفق ، تأمل» وما قرأنا عليه ما هنا صحيح مستقيم

(٢) فى ابن خلكان « أخرج فدية من أحرما»

ياقاضى وأخراهم ، وجعل يكررها

وعن أبى زكريا الرازى قال : قال لى المعرى : ماالذى تعتقد ؟ فقلت فى نفسى : اليوم يتبين لى اعتقاده ، فقلت له : ما أنا إلا شاك ، فقال لى : وهكذا شيخك

وحكى عن الشيخ كمال الدين الزملكانى أنه قال فى حقه : هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبت

وعن الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد كان يقول فى حقه : هو فى حيرة

قال الصلاح الصفدى : وهذا أحسن مايقال فى أمره ، لأنه قال [من الخفيف] :

خُلِقَ الناسُ للبقاءِ فَضَلَّتْ ... أمّةٌ يَحسبونَهم للنفادِ

إنّما يُنقلونَ من دارِ أعما ... لٍ إلى دارِ شقوة أو رَشاد

ثم قال [من الطويل] :

ضَحِكنا وكان الضِّحكُ مِنا سفاهةً ... وحُقَّ لسكانِ البسيطةِ أن يَبكوا

تُحطِّمنا الأيامُ حتى كأنّنا ... زُجاجٌ ولكنْ لايُعادُ لنا سبكُ

وهذه الأشياء كثيرة فى كلامه ، وهو تناقض منه ، و إلى الله ترجع الأمور

قال السِّلفى : ومما يدل على صحة عقيدته ماسمعت الحافظ الخطيب حامد ابن بختيار النميرى يحدث بالسمسانية ـ مدينة بالخابور ـ قال : سمعت القاضى أبا المهذب عبد المنعم بن أحمد السروجى يقول : سمعت أخى القاضى أبا الفتح يقول : دخلت على أبى العلاء التَّنوخى بالمعرة ذات يوم فى وقت خلوة بغير علم منه ، وكنت أتردد إليه وأقرأ عليه ، فسمعته ينشد من قيله [من مخلع البسيط] :

كم بُودرتْ غادةٌ كعابٌ ... وعُمِّرَتْ أمُّها العجوزُ(١)

(١) بودرت : أعجلت ، يريد أنها ماتت فى اقتبال عمرها وميعة شبابها . والكعاب : الجارية حين يكعب ثديها ، بزنة سحاب ، وفى المطبوعتين « كعوب » وأحسبه محرفا

أحرزها الوالدان خوفاً والقبر حرز لها حريز
يجوز أن تبطئ المنايا والخلد فى الدهر لا يجوز

ثم تأوه مرات ، وتلا (إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وما نؤخره إلا لأجل معدود ، يوم يأتى لاتكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقى وسعيد) ثم صاح ، وبكى بكاء شديدا ، وطرح وجهه ، وقال : سبحان من تكلم بهذا فى القدم ! سبحان من هذا كلامه! فصبرت ساعة ثم سلمت عليه ، فرد على وقال : متى أتيت ؟ فقلت : الساعة ، ثم قلت : ياسيدى أرى فى وجهك أثر غيظ ، فقال : لا ياأبا الفتح ، بل أنشدت شيئا من كلام المخلوق وتلوت شيئاً من كلام الخالق ، فلحقنى ماترى ، فتحققت صحة دينه وقوة يقينه

وقال السلفى أيضا : سمعت أبا المكارم بأبهر — وكان من أفراد الزمان ثقة مالكى المذهب — قال : لما توفى أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعراً ، وختم عند قبره فى أسبوع واحد مائتا ختمة

وعن أبى اليسر المعرى أن أبا العلاء كان يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل ، و يعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه و إيثاراً لاتلاف نفسه ، وفى ذلك يقول [من السريع] :

حاول إهوانى قوم فما واجههم إلا بإهوان
يحرشونى بسعاياتهم فغيروا نية إخوانى
لو استطاعوا لوشوا بى إلى المريخ والشهب وكيوان

قال الصلاح الصفدى : أما الموضوع على لسانه ، فلعله لايخفى على ذى لب وأما الأشياء التى دونها وقالها فى «لزوم مايلزم» وفى «استغفر واستغفرى » فما فيه حيلة ، وهو كثير من القول بالتعطيل واستخفافه بالنبوات ، و يحتمل أنه ارعوى

وتاب بعد ذلك كله ، وكان أكله العدس ، وحلاوته التين ، ولباسه القطن ، وفراشه اللباد ، وحصيره برديه ، وتصانيفه كثيرة جداً ، وشعره كثير إلى الغاية ، وأحسنه « سقط الزند »

من غزل أبي العلاء

ومن نظمه فى الغزل [من البسيط] :

يا ظبية علقتني في تصيدها ... أشراكها وهي لم تعلق بأشراكي
رعيت قلبي وما راعيت حرمته ... فلم رعيت وما راعيت مرعاك
أتحرقين فؤاداً قد حللت به ... بنار حبك عمداً وهو مأواك
أسكنته حيث لم يسكن به سكن ... وليس يحسن أن تسخى بسكناك
ما بال داعي غرامي حين يأمرني ... بأن أكابد حر الوجد ينهاك
وكم غدا القلب ذا يأس وذا طمع ... يرجوك أن ترحميه وهو يخشاك

ومن شعره قوله [من الطويل] :

إلى الله أشكو أنني كل ليلة ... إذا نمت لم أعدم خواطر أوهام
فإن كان شراً فهو لا شك واقع ... وإن كان خيراً فهو أضغاث أحلام

ومنه قوله [من البسيط] :

اضرب وليدك تأديباً على رشد ... ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعة ... وقس على شق رأس السهم والقلم

ومن شعره وقد أهدى كتابا من تصانيفه [من الطويل] :

قبول الهدايا سنة مستحبة ... إذا هي لم تسلك طريق تحابي
وما أنا إلا قطرة من سحابة ... ولو أنني صنفت ألف كتاب

مما أخذ على أبي العلاء

ومن شعره المؤاخذ به قوله [من الطويل] :

إذا ما ذكرنا آدما وفعاله ... وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا

عَلمنا بأنَّ الخلقَ من نسل فاجرٍ وأنَّ جميعَ الخلقِ من عنصر الزِّنى

فأجابه القاضى أبو محمد الحسن التيمى بقوله [من الطويل] :

لعَمْرِى أمَا فيكَ فالقولُ صادقٌ وتكذبُ فى الباقين من شطَّ أو دنا

كذلكَ إقرارُ الفتى لازمٌ لهُ وفى غيرهِ لغوٌ، كذا جاء شرعُنا

ومنه قوله [من البسيط] :

يَدٌ بخمسِ مِئينٍ عسجدٍ وُدِيَتْ ما بالُها قُطعتْ فى رُبعِ دينارِ

تحكُّمٌ مالنا إلاَّ السكوتُ لهُ وأنْ نعوذَ بمولانا من النارِ

فأجابه علم الدين السخاوى بقوله [من البسيط] :

عِزُّ الأمانةِ أغلاها، وأرخصها ذلُّ الخيانةِ، فافهمْ حكمةَ البارى

ومنه قوله [من الكامل] :

هفتِ الحنيفةُ، والنصارى ما اهتدتْ، ومجوسُ حارتْ، واليهودُ مُضَلَّلهْ

اثنانِ أهلُ الأرض: ذُو عقلٍ بلاَ دينٍ، وآخرُ دَيِّنٌ لا عقلَ لهْ

فقال ذو الفضائل الاخسيكتى رادًّا عليه [من الكامل] :

الدِّينُ آخذهُ وتاركهُ لم يخفَ رُشدُهما وغيُّهما

اثنانِ أهلُ الأرض قلتَ، فقلْ يا شيخَ سوءٍ أنتَ أيُّهما

ومنه أيضا قوله [من البسيط] :

دِينٌ وكفرٌ وأنباء تقالُ وفرْ قانٌ يُنصُّ وتوراة وإنجيلُ

فى كل جيلٍ أباطيلٌ يُدانُ بها فهلْ تفرَّدَ يوماً بالهدى جيلُ

فأجابه شيخ الاسلام الحافظ الذهبى بقوله [من البسيط] :

نعم أبو القاسمِ الهادى وأمتهُ فزادكَ الله ذُلاًّ يا دُجَيْجِيلُ

ومنه أيضا قوله ، وهو الطامة الكبرى [من الوافر] :

قِرانُ المشترى زُحَلاً يُرَجَّى ... لايقاظ النَّواظرِ من كَرَاها
تَقَضَّى الناسُ جيلاً بعدَ جيلٍ ... وخُلِّفتِ النجومُ كما تَرَاها
تقدمَ صاحبُ التوراةِ موسى ... وأوقعَ فى الخسارِ مَنِ اقترَاها
فقالَ رِجالُه وحْىٌ أتاهُ ... وقالَ الآخرونَ بلِ افترَاها
ومَا حَجّى إلى أحجارِ بيتٍ ... كئوسُ الخمرِ تُشرَبُ فى ذَرَاهَا
إذا رَجعَ الحكيمُ إلى حِجاهُ ... تَهاوَنَ بالشرائعِ وازْدَرَاهَا

لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ! اللهم إنى أستغفرك من نظير هذه الأباطيل التى تشمئز منها القلوب ، وتنفر عنها الخواطر ، وأسألك التوفيق لى ولسائر المسلمين

من جيد شعر أبى العلاء

ومن جيد شعره قوله [من الوافر] :

رَدَدْتُ إلى مليكِ الخلقِ أمرى ... فلم أسألْ متى يقعُ الكسوفُ
وكم سلم الجهولُ مِنَ المَنايا ... وعُوجِلَ بالحِمامِ الفيلسوفُ

وهو أخذه من قول أبى الطيب المتنبى [من السريع] :

يموتُ راعى الضأنِ فى جهلِهِ ... ميتةَ جالينوسَ فى طِبِّهِ
ورُبَّما زادَ على عُمْرِهِ ... وزاد فى الأمْنِ على سِرْبِهِ

وقد تلاعب الشعراء بهجائه ، وممن هجاه أبو جعفر البجائى الزوزنى بقصيدة أولها [من الكامل] :

كلبٌ عوَى بِمعرّةِ النعمانِ ... لما خلا عَنْ ربقةِ الايمانِ
أمعرةَ النُّعمانِ ما أنجبتِ إذْ ... أخرجْتِ مِنْكِ مَعرّةَ العُميانِ

وقصته مع وزير محمود بن صالح صاحبِ حلب شهيرة فلاحاجة إلى التطويل بذكرها

وكانت وفاته ليلة الجمعة ثالث ، وقيل : ثانى شهر ربيع الأول ، وقيل : ثالث عشره ، سنة تسع وأربعين وأربعمائة

قال ابن غرس النعمة : وأذكر عند ورود الخبر بموته وقد تذاكرنا إلحاده ومعنا غلام يعرف بأبى غالب بن نبهان من أهل الخير والعفة ، فلما كان من الغد حكى لنا قال : رأيت فى منامى البارحة شيخاً ضريراً وعلى عاتقه أفعيَانِ متدلّيان إلى فخذيه ، وكل منهما يرفع فمه إلى وجهه فيقطع منه لحما يزدرده ، وهو يستغيث فقلت وقد هالنى : مَنْ هذا ؟ فقيل لى : هذا المعرى الملحد

وقال القفطى : أتيت قبره سنة خمسين وستمائة ، فإذا هو فى ساحة من دور أهله وعليه باب ، فدخلت فاذا القبر لااحتفال به ، ورأيت عليه خبّازى يابسة والموضع على غاية مايكون من الشعث والاهمال

قال الذهبىّ : وقد رأيت أنا قبره بعد مائة سنة من رؤية القفطى فرأيت محوا مما حكى ، انتهى

ويقال : إنه أوصى أن يكتب على قبره [من مجزوء الكامل] :

هذا جَناهُ أبى علـــىَّ وما جَنَيتُ على أحدْ

وهو أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء ، فإنهم يقولون : إيجاد الولد وإخراجه إلى العالم جناية عليه ، لأنه يعرض للحوادث والآفات ، والله تعالى أعلم بأمره

***

شاهد ما إذا تأخرت « كل » من أداة النفى

٢٤ — ما كلُّ ما يَتَمَنَّى المرْءُ يُدْرِكُهُ

قائله المتنبى ، من قصيدة من البسيط يمدح بها كافورا الاخشيدى صاحب مصر ولم ينشدها له ، وكان اتصل به أن قوما نعوه فى مجلس سيف الدولة ، وأولها (١)

بِمَ التعلّلُ لا أهلٌ ولا وطنُ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ

(١) انظرها فى الديوان (٤ـ ٢٣٣)

أريدُ من زَمَنى ذا أن يبلغَنى ما ليسَ يبلغُهُ فى نفسه الزمنُ
لاتلقَ دهركَ إلاغيرَ مكترثٍ مادام يَصْحَبُ فيهِ رُوحكَ البدنُ
فما يدومُ سرورُ ما سُرِرْتَ به ولا يَرُدُّ عليكَ الفائتَ الحَزَنُ
مما أضرَّ بأهل العشقِ أنهمُ هَوَوْا وما عرفوا الدنيا ومافطِنوا
تفنى عيونُهُم دمعاً وأنفسُهم فى إثرِ كلِّ قبيحٍ وجهُهُ حَسَنُ
تحملوا حملتكم كل ناجيةٍ فكلُّ بَيْنٍ علىَّ اليومَ مؤتمنُ
مافى هَوادجكم من مُهجتى عِوَض إن متُّ شوقاً ولا فيها لها ثمنُ
يا من نُعِيتُ على بعدٍ بمجلسِهِ كلٌّ بما زعم الناعونَ مرتَهَنُ
كم قد قُتِلت وكم قد متُّ عندكم ثم انتفضت فزال القبر والكفنُ
قد كان شاهَدَ دفنى قبل قولهم جماعةٌ ثم ماتوا قبل مَنْ دَفنوا
ما كلُّ مايتمنىَّ المرءُ يدرِكُه تجرى الرِّياحُ بِما لا تشتهى السفنُ

وهى طويلة بديعة

والشاهد فى البيت: أن «كل» إذا تأخرت عن أداة النفى سواء كانت معمولة لها أولا، وسواء كان الخبر فعلا كما فى البيت أو غير فعل، توجه النفى إلى الشمول خاصة، لا إلى أصل الفعل، وأفاد الكلام ثبوت الفعل أو الوصف لبعض ما أضيف إليه «كل» إن كانت فى المعنى فاعلا للفعل أو الوصف الذى حمل عليها، أو عمل فيها أو تعلق الفعل أو الوصف ببعض إن كانت «كل» فى المعنى مفعولا للفعل أو الوصف المحمول عليها أو العامل فيها

ومعنى شطر البيت مأخوذ من قول طرفة بن العبد البكرى [من الطويل]:

فيالكَ مِنْ ذى حاجةٍ حِيلَ دونها وما كُلُّ ما يَهوى امرؤٌ هو نائِلُهْ

وقد أخذه بعضهم وضمنه فى قصيدة مدح بها يزيد بن حاتم فخرج إليه وهو بمصر ليأخذ جائزته فوجده قد مات، فقال [من الطويل]:

لَئِن مِصرُ فاتتنى بما كنتُ أرتجى وأخلفنى منها الذى كُنتُ آملُ
فيالك مِنْ ذى حاجةٍ حِيلَ دونها وما كل مايَهوَى امرُؤٌ هو نائِل
وما كان بَينى لوْ لَقيتُكَ سالمًا وبينَ الغِنى إلا ليالٍ قلائلُ

وهذا البيت بعينه للحطيئة فى علقمة بن عُلاثة [1] والظاهر أنه ضمنه أيضًا وقد تقدم ذكر أبى الطيب المتنبى فى شواهد المقدمة [2]

* * *

شاهد ما إذا تقدمت كل على أداة النفى

٢٥ — قد أصبحتْ أمُّ الخيار تَدعى * علىَّ ذنبًا كلُّه لم أصنع

البيت لأبى النجم العجلى المتقدم ذكره، وهو أول أرجوزته السابقة [3] وأم الخيار هذه زوجته

والشاهد فيه أن «كل» إذا تقدمت على النفى لفظا ولم تقع معمولة للفعل المنفى عم النفى كل فرد مما أضيف إليه كل، وأفاد نفى أصل الفعل عن كل فرد، ومن ثم أتى بكل مرفوعة عادلا عن نصبها الغير المحتاج إلى تقدير ضمير، لأنه لا يفيد نفى عموم ما ادعته أم الخيار عليه، والله أعلم

* * *

شاهد وضع المظهر موضع المضمر

٢٦ — كم عاقلٍ عاقلٍ أعيتْ مذاهبهُ * وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مَرْزوقا
هذا الذى ترَكَ الأوهامَ حائرةً * وصيَّر العالمَ النِّحريرَ زِنديقا

البيتان لابن الراوندى، من البسيط، وقبلهما

---

(١) البيت الذى يشير إليه هو قول الحطيئة:

فما كان بين الخير لو جاء سالما أبو حجر إلا ليال قلائل

أراد فما كان بين الخير وبينى، فحذف الواو وما عطف بها.

(٢) انظر شرح الشاهد (رقم ٤)

(٣) انظر شرح الشاهد (رقم ٣)

سُبحان مَنْ وضع الأشياء مَوْضِعَها وفَرَّقَ العزَّ والاذْلال تفريقا

وعاقل الثانى صفة لعاقل الأول بمعنى كامل العقل مُتناهٍ فيه ، كما يقال مررت برجل رجل ، أى كامل فى الرجولية ، ومعنى « أعيتْ مذاهبه » أعجزته وصعبت عليه طرق معايشه ، والنحرير – بكسر النون – الحاذق الماهر العاقل المجرب المتقن الفطن البصير بكل شىء لأنه ينحر العلم نحراً ، والزنديق – بكسر الزاى – من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة ، أو مَنْ لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية ، أو مَنْ يُبطن الكفر ويظهر الايمان ، أو هو معرب « زن دين » أى دين المرأة

والشاهد فيه : وضع المظهر الذى هو اسم الاشارة موضع المضمر لكمال العناية بتمييز المسند إليه لاختصاصه بحكم بديع عجيب الشأن ، وهو هنا جعل الأوهام حائرة والعالم المتقن زنديقا

وما أحسن قول الغزى فى معنى البيتين [من البسيط] :

كم عالم لم يلج بالقرعِ بابَ مُنىً وجاهلٍ قبل قرع الباب قد ولجا

وما أحسن قول الحكيم أبى بكر الخسروىّ السرخسى ، وهو كالرد على قول ابن الراوندى [من السريع] :

عجبت من ربّى وربّى حكيم أن يَحرِمِ العاقل فضل النعيمْ
ما ظلمَ البارى ولكنه أراد أن يُظْهِرَ عجز الحكيمْ

وقول أبى الطيب غاية فى هذا الباب ، وهو [من الطويل] :

وما الجمع بين الماء والنار فى يدٍ بأصعَبَ من أن أجمع الجدّ والفَهْمَا

وهو ينظر إلى قول أبى تمام [من الطويل] :

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصدٍ ولا المجد فى كف امرئٍ والدراهمُ

وما أحسن قول أبى تمام أيضا [من الطويل] :

ينال الفتى من دهره وَهْوَ جاهلٌ ويُكْدِى الفتى من دهره وهو عالم

ولو كانت الأرزاق تأتى على الحِجَا إذَنْ هلكتْ من جهلهن البهائم

ومثله قول أبى الخير المروزى الضرير [من الهزج] :

تنافى العقلُ والمالُ فما بينهما شكلُ
هما كالورد والنرجس لا يحويهما فصل
فعقلٌ حيث لا مالٌ ومالٌ حيث لا عقل

ومثله قول أبى إسحاق الصابى [من الطويل] :

إذا جَمعتْ بين امرأينِ صِناعَةٌ فأحببتَ أن تدرى الذى هو أحذَقُ
فلا تتفقّدْ منهما غيرَ ما جرَتْ به لهُما الأرزاق حين تُفرَّقُ
فحيثُ يكون الجهلُ فالرزق واسعٌ وحيثُ يكونُ العلم فالرزق ضيّقُ

ومثله قول عبد الجليل بن وَهْبون المرسى [من الطويل] :

يَعِزُّ على العَلياءِ أنىَ خاملٌ وأن أبصرَت منى خُمودَ شِهابى
وَحيثُ ترى زَندَ النجابةِ وارِياً فثَمَّ ترى زند السعادة كابى

ولطيف قول بعضهم أيضاً [من المجتث] :

كم من غبىٍّ غنىٌّ ومن فقيهٍ فقيرٌ

و بديع قول أبى بكر بن محمد المازنى [من الكامل] :

ثِنْتَانِ من سِبَرِ الزمان تحيرتْ لهُما عُقُول ذوى التفلسفِ والنهى
مُثْرٍ من الأموال مَبخوس الحِجا ومُوفَّرُ الآدابِ منقوص الغنى

وما أحسن قول ابن لنكك [من المنسرح] :

فعاقلٌ ما تبلُّ أنمُلُهُ وجاهلٌ باليدين يغترفُ

وقول الآخر [من المتقارب] :

زمانٌ تحيرتُ في أمره   كثيرُ التعدي على حرِّهِ
فللوغدِ ما شئتَ من نفعهِ   وللحرِّ ما شئت من ضُرِّهِ
وأعجبُ ما في تصاريفه   صِيالُ البعوضِ على صَقْرِهِ

وقول الآخر [من المنسرح] :

وَغْدٌ له نِعمةٌ مُؤثَّلةٌ   وَسيدٌ لا يزالُ يقترِضُ

ومدار ذلك جميعه على الحظِّ وعدمِهِ ، وما أحسَنَ قولَ ابن الخياط الدمشقي فيه أيضاً [من الطويل] :

وما زالَ شُؤمُ الحظِّ مِنْ كلِّ طالبٍ   كفيلاً ببعدِ المطلبِ المتداني
وقد يُحرَمُ الجلْدُ الحريصُ مَرامهُ   ويُعطى مُناهُ العاجزُ المتواني

وقول الآخر [من البسيط] :

قد يُرزقُ المرءُ لا مِنْ حُسنِ حيلتهِ   ويُصرفُ المالُ عنْ ذِي الحيلةِ الدَّاهي

وقول الآخر أيضاً [من السريع] :

إنَّ المقاديرَ إذا ساعَدتْ   أَلحقتِ العاجزَ بالقادِرِ

وما أحسن قولَ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر [من المجتث] :

يا مِحنةَ الدَّهرِ كُفِّي   إنْ لَمْ تكُفِّي فخِفِّي
ما آنَ أنْ ترحَمينا   مِنْ طول هذا التشفِّي ؟
فلا عُلومِيَ تُجدِي   وَلاَ صِناعة كفِّي
ثورٌ ينالُ الثريَّا   وعالِمٌ متخفِّي
ذَهَبْتُ أطلبُ بختي   فقيلَ لي قد توفِّي

ومن الغايات في هذا الباب قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى [من الكامل] :

لو أنَّ بالحيلِ الغنى لوجدتَني   بنجومِ أفلاكِ السماءِ تعلُّقِي
لكنَّ مَنْ رُزِقَ الحِجا حُرِمَ الغنى   ضدَّانِ مفترقانِ أيَّ تفرُّقِ

فاذا سمعتَ بأنَّ محروماً أتى ماءً ليشربه فغاضَ فصدِّقِ
أو أنَّ محظوظاً غدا فى كفه عودٌ فأورقَ فى يديه فحقِّقِ
ومنَ الدليل على القضاء وكونه بؤسُ اللبيبِ وطيبُ عيشِ الأحمقِ

ولبعضهم فى معناه [من الخفيف] :

لو وردتُ البحارَ أطلبُ ماء جفَّ عند الورود ماءُ البحارِ
أو رُمى باسمىَ النجومُ الدرارى لانزوى ضوؤها عن الأبصار
أو لمستُ العودَ النضيرَ بكفى لذَوى بعدَ نعمةٍ واخضرارِ
ولو آنى بعتُ القناديلَ يوماً أُدْغِمَ الليلُ فى بياضِ النهارِ

ومثله قولُ بعضهم [من الطويل] :

ولما لمستُ الرزق فانجذ حبلُهُ ولم يصفُ لى من بحره العذبِ مشربُ
خطبتُ إلى الاعدام إحدى بناته فزَّجنيها الفقرُ إذ جئتُ أخطبُ
فأولدتها الحزنَ الشقىَّ فما لهُ على الأرضِ غيرى والدٌ حين ينسبُ
فلو تهتُ فى البيداء والليلُ مسبلٌ علىَّ جناحيه لما لاح كوكبُ
وَلو خفتُ شراً فاستترتُ بظلمةٍ لأقبلَ ضوءُ الشمس من حيث تغربُ
وَلو جادَ إنسانٌ علىَّ بدرهمٍ لَرُحْتُ إلى رحلى وَفى الكف عقربُ
ولو يُمطرُ الناسُ الدنانيرَ لم يكنْ بشىءٍ سوى الحصباء رأسىَ يُحْصَبُ
وإن يَقْتَرِفْ ذنباً ببرقةَ مذنبٌ فانَّ برأسى ذلك الذنبَ يُعْصَبُ
وإن أرَ خيراً فى المنام فنازحٌ وإن أرَ شراً فَهْوَ مِنِّى مقرَّبُ
أمامى من الحرمان جيشٌ عرمرمٌ ومنه ورائى جحفل حينَ أركبُ

وقول الآخر [من الخفيف] :

لو ركبتُ البحارَ صارت فجاجاً لا ترَى فى متونها أمواجَا
ولو آنى وضعتُ ياقوتةً حمـــراءَ فى راحتى لصارت زجاجَا

ولو أنى وردتُ عذباً فراتاً عاد لا شكَّ فيه ملحاً أجاجا

وما أحسن قول أبى الأسود الدؤلى [من الكامل] :

المرء يحمد سعيه من جده حتى يُزَيَّن بالذى لم يَعمل
وترى الشقى اذا تكامَلَ جده يرمى ويقذفُ بالذى لم يفعَل

وبديعٌ قولُ أبى العلاء المعرّى [من الطويل] :

سيطلبنى رزقى الذى لو طلبتهُ لمَا زادَ والدنيا حظوظ و إقبالُ
إذا صدقَ الجدُّ افترى العمُّ للفتى مكارم لا تكرى و إن كذب الخالُ

الجدُّ هنا : الحظ ، والعمُّ : الجماعة ، وتكرى : من كرى الزاد إذا نقص ، وافترى : كذب ، والخال : المخيلة .

وظريف هنا قولُ ابن شرف القيروانى [من الوافر] :

إذا صحبَ الفتى سعدٌ وجَدٌّ تحامته المكاره والخطوبُ
ووافاه الحبيب بغيرِ وعدٍ طُفَيْلياً وقادَ له الرقيبُ
وعدَّ الناس ضرطته غناء وقالوا إن فسا قد فاح طيب

وقد أخذه ابن النقيب فقال [من السريع] :

لو لَحَنَ الموسر فى مجلس لقيل عنه إنه يُعْرِب
ولو فَسَا يوماً لقالوا له من أينَ هذا النَفَسُ الطيبُ

وقول أبى العلاء المعرى غاية هنا ، وهو [من الكامل] :

لا تطلبنَّ بآلةٍ لك رتبةً قلم البليغ بغيرِ حظٍ مغزَل
سكن السِّماكانِ السماء كلاهما هذا له رمحٌ وهذا أعزلُ

وقد أخذ أبو إسحاق الغزى هذا المعنى ، فقال [من البسيط] :

والحسن والقبح قد تحويهما صفةٌ شان البياض وزان الشيب والشنبا

ظُبَا الْمُحَارَفِ أقلامٌ مكسرةٌ رؤوسهن وأقلام السعيدِ ظبا (١)

وله أيضاً [من المنسرح] :

لا تعتبنّ الزمان إن ذهبت نيوب ليث الْعرين من نُوَبه
فالحول لولا الجدود ماقصرت أيْدِي جُمَاداه عن علا رَجبه

وقد أخذ هذا المعنى الصلاح الصفدى ، فقال [من الطويل] :

لئنْ رُحْتُ مَعْ فضلى منَ الحظ خالياً وغيرِى على نقصٍ به قد غدا حالى
فإنى كشهر الصوم أُصبح عاطلا وطَوْقُ هلال العيد فى جيد شوال

بل ربما أخذه من قول ابن قلاقس فانه أصرح منه حيث قال [من الخفيف] :

إن تأخَّرْتُ فالمحرم عطل من حُلى العيدِ وهى فى شوّالِ

وقال ابن قلاقس أيضا [من الكامل] :

لولا الجُدودُ لما نمت لمسافر كفُّ الغنَى وتعلقت بمقيم
والحظُّ حتى فى الحرُوف مؤثر يُختصُّ بالترقيق والتفخيم

وقال مهيار الديلمى [من البسيط] :

لا تحسَبِ الهمَّةَ العلياء موجبةً رزقاً على قِسمةِ الأرزاق لم يجب
لو كانَ أفضلُ ما فى الناس أسْعَدَهم ما انحطّتِ الشمس عن عالٍ من الشهب
أو كان أيسرُ ما فى الأفق أسلمَه دامَ الهلالُ فلم يُمحق ولم يَغب

وقال الطغرائى [من الطويل] :

وأعظَم ما بى أنّنى بفضائلى حُرمتُ ومالى غيرهنّ ذرائع
إذا لم يرِدْنى مَوردِى غيرَ علّةٍ فَلَا صَدَرتْ بالواردِين مشارِعُ

---

(١) الظبا : جمع ظبة — بضم الظاء وتخفيف الباء — وهى حد السيف . والمحارف — بفتح الراء المهملة — الذى انحرف الحظ والرزق عنه

وقال القاضي الفاضل [من مجزوء الكامل] :

ما ضَرَّ جهلُ الجاهليـــــنَ ولا انتفعتُ أنا بحِذْقي
وزيادتي في الحِذقِ فهْـــيَ زيادةٌ في نقص رزقي

وقال ابن دانيال [من الخفيف] :

قد عقَلنا والعقْلُ أيُّ وثاقِ وصَبرنا والصَّبرُ مُرُّ المذاقِ
كل من كانَ فاضِلاً كان مثلي فاضلا عندَ قِسمة الأرزاقِ

وقال ابن عنين [من الوافر] :

كأنِّي في الزمان اسم صَحيحٌ جرَى فتحكمتْ فيهِ العواملْ
مَزيدٌ في بَنِيهِ كواو عمرو ومُلْغَى الحظِّ فيه كراءِ واصِلْ (١)

وقال السراج الوراق [من مخلع البسيط] :

يمنَعُنِي باخِلٌ وسمحٌ وليسَ لي منهما نَصير
وغايتي أن ألومَ حظي وحظِّيَ الحائطُ القصير

وقال ابن سناء الملك [من الطويل] :

وربَّ مليحٍ لايحَبُّ وضدُّه تُقَبِّلُ منه العينُ والخد والفمُ
هوَ الجدُّ خذه إن أردتَ مسلَماً ولا تَطلب التعليلَ فالأمرُ مبهم

وما أرشق قول ابن رشيق [من الكامل] :

أشقى لعقلك أن تكون أدِيباً أو أن يرى فيكَ الوَرى تهذيبا
ما دمتَ مُستوياً ففعلُكَ كلُّه عِوَجٌ وإن أخطأتَ كنتَ مصيبا

---

(١) يريد واصل بن عطاء، أحد الألسن المقاويل، وكان ألثغ بالراء فكان يتجنبها في كلامه

كالنَّقشِ ليسَ يصحُّ معنى ختمه حتى يكونَ بناؤُهُ مقلوبا[١]

وما ألطف قول السراج الوراق [من البسيط]:

الباء والخاء من بخْتى قد اقترَنا بالباءِ والخاءِ من بخلٍ لانسانِ

واللامُ والتاء من هٰذا وَذاكَ هما لتَّ المسائلِ عن أسبابِ حِرمانى

وهذا الباب واسع جدا ، والاختصار فيه أولى .

ترجمة ابن الراوندى الزنديق

وابن الراوندى[٢] : هو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين من أهل مرو الروذ ، وراوند بفتح الراء والواو بينهما ألف وسكون النون و بعدها دال مهملة ، قرية من قرى قاسان — بالسين المهملة — بنواحى أصبهان ، وهى غير قاشان التى بالمعجمة المجاورة لقمّ . سكن المذكور بغداد ، وكان من متكلمى المعتزلة ثم فارقهم وصار ملحداً زنديقاً ، وقال القاضى أبو على التنوخى : كان أبو الحسين ابن الراوندى يلازم أهل الالحاد ، فاذا عوتب فى ذلك قال : إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ، ثم إنه كاشف وناظر ، ويقال : إن أباه كان يهودياً فأسلم ، وكان بعض اليهود يقول لبعض المسلمين : ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة علينا ، ويقال : إن أبا الحسين قال لليهود : قولوا إن موسى قال لا نبى بعدى .

وذكر أبو العباس الطبرى أن ابن الراوندى كان لا يستقر على مذهب ، ولا يثبت على حال ، حتى إنه صنف لليهود كتاب البصيرة ردا على الأسلام لأربعمائة درهم أخذها فيما بلغنى من يهود سامرّا ، فلما قبض المال رام نقضها حتى أعطوه مائة درهم أخرى ، فأمسك عن النقض .

---

(١) فى الأصل «معنا» وهو خطأ كتابى ، يريد أن من أراد أن ينقش كلاما على ختم كتبه مقلوبا ليكون عند الختم به صحيحا مستقيما

(٢) تجد لابن الراوندى ترجمة فى ابن خلكان

وحكى البلخى فى كتاب محاسن خراسان أن ابن الراوندى هذا كان من المتكلمين، ولم يكن فى زمانه أحذق منه بالكلام، ولا أعرف بدقيقه وجليله، وكان فى أول أمره حسن السيرة، حميد المذهب، كثير الحياء، ثم انسلخ من ذلك كله لأسباب عرضت له، وكان علمه أكثر من عقله، فكان مثله كما قال الشاعر [من البسيط]:

ومن يُطيقُ مُزَكى عند صَبوته ومن يَقومُ لمستورٍ إذا خلعا

قال: وقد حكى جماعة أنه تاب عند موته مما كان منه، وأظهر الندم، واعترف بأنه إنما صار إليه حميةً وأنفةً من جفاء أصحابه له وتنحيتهم إياه من مجالسهم

وأكثر كتبه الكفريات ألفها لأبى عيسى اليهودى الأهوازى، وفى منزله هلك، ومما ألفه من كتبه الملعونة كتاب «التاج» يحتج فيه لقدم العالم، وكتاب «الزمردة»[١] يحتج فيه على الرسل ويبرهن على إبطال الرسالة، وكتاب «الفريد» فى الطعن على النبى صلى الله عليه وسلم، وكتاب اللؤلؤة فى تناهى الحركات، وقد نقض هو أكثرها وغيره. ولأبى على الجبائى وغيره ردود عليه كثيرة: فمما قاله فى كتاب الزمردة أنه إنما سماه بالزمردة لأن من خاصية الزمرد أن الحيات إذا نظرت إليه ذابت وسالت أعينها، فكذلك هذا الكتاب إذا طالعه الخصم ذاب، وهذا الكتاب يشتمل على إبطال الشريعة الشريفة، والازدراء على النبوات المنيفة، فمما قاله فيه لعنه الله وأبعده «إنا نجد فى كلام أكثم بن صيفى شيئا أحسن من إنا أعطيناك الكوثر، وإن الأنبياء كانوا يستعبدون الناس بالطلاسم» وقال «قوله — يعنى نبينا عليه الصلاة والسلام — لعمار رضى الله عنه تقتلك الفئة الباغية، كل المنجمين يقولون مثل هذا» ولقد كذب لعنه الله وأخزاه!

---

(١) سماه ابن خلكان «كتاب الزمرد» بغير تاء الوحدة

وجعل النار مستقره ومثواه ، فان المنجم إن لم يسأل الانسان عن اسمه واسم أمه ، و يعرف طالعه ،لايقدر أن يتكلم على أحواله،ولايخبره بشيء من متجدداته ، وخطأه أكثرمن صوابه ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بالمغيبات من غير أن يعرف طالعاً أو يسأل عن اسم أو نسب،ولم يعهدعنه غيرماذكر، صلى الله عليه وسلم فبان الفرق . وقال فى كتاب الدامغ « إن الخالق سبحانه وتعالى ليس عنده من الدواء إلا القتل ، فِعْل العدو الحنقِ الغضوب ، فما حاجته إلى كتاب ورسول » قال « و يزعم أنه يعلم الغيب فيقول : وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ثم يقول : وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم . وقال فى وصف الجنة: فيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وهو الحليب ، ولا يكاد يشتهيه إلا الجائع ، وذكر العسل ، ولا يُطلب صِرْفا ، والزنجبيل وليس من لذيذ الأشربة ، والسندس يفترش ولا يلبس ، وكذلك الاستبرق وهو الغليظ من الديباج ، وَمَن تخايل أنه فى الجنة يلبس هذا الغليظ و يشرب الحليب والزنجبيل صار كعروس الأكراد والنبط » ولعمرى لقد أعمى الله بصره و بصيرته عن قوله تعالى (وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين) وعن قوله عز وجلّ (ولحم طير مما يشتهون) ومع ذلك ففيها اللبن والعسل ، وليس هو كلبن الدنيا ولا عسلها ، وغليظ الحرير يريد به الصفيق الملتحم النسج ، وهو أفخر ما يلبس ، ولو ذهبتُ أورد ما ذكره هذا الملعون وتفوه به من الكفر والزندقة والإلحاد لطال الأمر ، والاشتغال بغيره أولى ، والله تعالى منزه سبحانه عما يقول الكافرون والملحدون علواً كبيرا ، وكذلك كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم . ولقد سرد ابن الجوزىّ من زندقته أكثر من ثلاث ورقات ، وأنا أعوذ بالله من هذا القول ، وأستغفره مما جرى به قلمى مما لا يرضاه ولا يليق بجنابه وجناب رسوله عليه الصلاة والسلام وكتابه الحكيم

واجتمع ابن الراوندىّ هو وأبو علىّ الجبائى يوما على جسر بغداد فقال له :

يا أبا عليّ ألا تَسمعُ شيئاً منْ معارضتى للقرآن وتَقْضِى له ، فقـال له : أنا أعلم بمخازى علومك ، وعلوم أهل دهرك ، ولكن أحاكمك إلى نفسك ، فهل تجد فى معارضتك له عذوبةً وهَشاشةً وتشاكلاً وتلازماً ، ونظماً كنظمه ، وحلاوةً كحلاوته ؟ قال لا : والله ، قال : قد كفيتنى ، فانصرِفْ حيثُ شئت .

ومن شعره [من الكامل] :

محَنُ الزمانِ كثيرةٌ لا تنقَـضى ‏ ‏ ‏ ‏ وسرورُهُ يأتيكَ كالأعيادِ

مَلَكَ الأكارمَ فاسترقَّ رقابَهُمْ ‏ ‏ ‏ ‏ وتَراه رِقًّا فِى يَدِ الأوغادِ

ومنهُ ، وقيل : أنشده لغيره [من المتقارب] :

أليسَ عجيباً بأنّ امرءاً ‏ ‏ ‏ ‏ لطيفَ الخصامِ دقيقَ الكلمْ

يموتُ وما حَصَّلَتْ نفسـهُ ‏ ‏ ‏ ‏ سِوَى عِلمِهِ أنهُ ما عَـلِمْ

وذكر أبو على الجبائى أن السلطان طلب ابن الراوندىّ ، وأبا عيسى الوراق ؟ فأما أبو عيسى فحبس حتى ماتَ ، وأما ابن الراوندىّ فهرب إلى ابن لاوى اليهودىّ ، ووضع له كتاب « الدامغ » فى الطعنِ على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى القرآن الكريمِ ، ثم لم يلبث إلا أياماً يسيرة ، حتى مرض ومات .

وذكر أبو الوفاء بن عقيلٍ : أن بعض السلاطين طلبه ، وأنه هلك وله ست وثلاثون سنة مع ما انتهى إليه من المخازى .

وذكر ابن خلكان أنه هلك فى سنة خمس وأربعين ومائتين برحبة مالك ابن طَوقٍ ، وقيل : ببغداد ، وتقدير عمره : أربعون سنة ، ويقال : إنه عاش أكثر مِن ثمانين سنة ، وَقيـلَ : إنه هَلك سـنة خمسين ومَائتين ، وقال ابن النجار : بلغنى أنه هلك سنة ثمان وتسعين ومائتين ، لعنه الله وأخزاه إن كان مات على اعتقاده هذا ! .

***

٢٧ — تعاللتِ كيْ أشجَى وما بكِ علّةٌ تُريدينَ قتلي قدْ ظفِرْتِ بذلكِ

البيت لابن الدُّمَيْنَةِ، من قصيدة من الطويل، أولها :

من وضع اسم الاشارة موضع الظاهر

قِفي يا أميمَ القلبِ نقضِ لُبانةً ونشكُو الهوَى ثمَّ افعلِي ما بدالكِ
سَلِي البانةَ الغنَّاء بالأجْرَعِ الذى بِه الماء هلْ حيَّيتُ أطلالَ دارِكِ
وَهلْ قمتُ فى أطلالِهِنَّ عشيَّةً مقامَ أخي البأساء واخترتُ ذلكِ
وَهل كفكفَتْ عيناىَ بالدارعَبرةً فرادى كنظمِ اللؤلُؤِ المتسالكِ

ويروى أن أولها :

قفى قبلَ وَشْكِ البين يا ابنةَ مالكِ ولا تحرِمينا نظرَةً من جمالكِ

وبعده البيت، وبعده :

وقولكِ للعوّاد كيفَ ترونَه فقالوا قتيلاً قلتِ أيسرُ هالكِ
لئن ساءَني أن نِلتِني بمساءةٍ لقد سرَّنى أنى خطرتُ ببالكِ
ليهنكِ إمساكي بكفِّي على الحشا ورقراقُ دمعى رَهبةً من مطالكِ
فلو قلتِ طأْ فى النارِ أعلمُ أنه رِضًا لكِ أومُدنٍ لنا من وِصالكِ
لقدَّمتُ رجلى نحوها فوطئتها هُدًى منكِ لى أوضلَّةً من ضلالكِ
أرى الناس يرجونَ الربيعَ وإنما رَجائى الذى أرجوهُ خير نوالكِ
أبيني أفي يُمنى يديكِ جعلتنى فأفرحَ أمْ صيَّرتنى فى شمالكِ

ومعنى أشجى : أحزن، من شَجِيَ يشجَى، وأما شجا يشجو فهو متعدّ، وإنما قال : قد ظفرت بذلك، ولم يقل بقتلى، لادّعائه أن قتله ظهرَ ظهور المحسوس بالبصر المشار إليه باسم الاشارة.

والشاهد فيه : وضعُ اسم الاشارة موضع المضمر، لادّعاء كمال ظهوره، وإن كان من غير باب المسند إليه.

ترجمة بن الدمينة

وابن الدمينة[١] : اسمه عبد الله بن عبيد الله ، أحد بني عامر بن تيم الله ، والدمينة : أمه ، وهي[٢] سلولية ، ويكنى ابن الدمينة أبا السَّرِي ، وهو شاعر مشهور ، له غزل رقيق الألفاظ ، دقيق المعاني . وكان الناسُ في الصدر الأول يستَحْلُونَ شعره ويتغنون به . حدَّث إسحاقُ بن إبراهيم الموصليّ ؛ قال : كان العباسُ بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطْرَفني به ، وأنا أفعل مثل ذلك ، فجاءني يوماً فوقف بين الناس ، وأنشدَ لابن الدمينة[٣] [من الطويل] :

ألاَ ياصبا نَجْدٍ متى هِجْتِ من نجدِ ... لقدْ زادني مَسْرَاكِ وجداً على وجد
أإن هَتفتْ ورقاء في رونق الضحى ... على فَنَنٍ غضّ النبات من الرَّنْدِ[٤]
بكيتَ كما يبكي الوليدُ ولم تكُنْ ... جَزُوعاً وأبديتَ الذي لم تكن تُبْدِي[٥]
وقدْ زعمـوا أنَّ المحبَّ إذا دنا ... يملُّ وأن النأى يشفي من الوجدِ
بكلٍّ تداوينا فلم يُشْفَ ما بنَا ... على أنَّ قربَ الدَّار خيرٌ من البعد[٦]
على أن قربَ الدار ليسَ بِنافعٍ ... إذا كان من تَهواهُ ليس بذي وُدّ

ثم ترنح ساعة ترنح النشوان ودَبَّح أخرى[٧] ، ثم قال : أنطح العمود برأسي من

(١) تجد لابن الدمينة ترجمة في الأغاني (١٥-١٥١) وقد اختار له أبو تمام في باب الغزل من الحماسة ست قطع فانظرها في الجزء الثالث من شرح التبريزي بتحقيقنا (٢٠٢ و ٢٣١ و ٢٥٦ و ٣٠٥ و ٣١٧ و ٣٢٠)

(٢) هي الدمينة بنت حنيفة السلولية

(٣) هي من مختار أبي تمام في الحماسة (٣-٢٥٦ من شرح التبريزي) وفي الأغاني (١٥-١٥٦) بزيادة بيت

(٤) في المطبوعتين «لئن هتفت» محرفا وما أثبتناه عن الحماسة والأغاني

(٥) في المطبوعتين «ولم أكن جزوعا» وأثبتناها يلتئم مع سابقه ولاحقه عن الحماسة والأغاني

(٦) في الحماسة وحده «على ذاك قرب الدار خير من البعد»

(٧) دبح تدبيحا . طأطأ رأسه وذل

حسن هذا ، فقلت : لا ، ارْفُقْ بنفسك .

وحدث ابن ربيح(١) راوية ابن هَرْمَةَ قال : لقى ابن هَرْمَةَ بعض أصحابه بالبلاط ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من المسجد ، فقال: فأى شىء صنعت هناك ؟ قال : كنت جالساً مع إبراهيم بن الوليد المخزومى ، قال : فأى شىء قال ؟ قال : أمرنى أن أطلق امرأتى ، قال : فأى شىء قلت له ؟ قال : ما قلتُ شيئاً ، قال : فوالله ما قال لك هذا إلا لأمرٍ أظهرْتَه عليه وكتمتَنيه ، أفرأيتَ لو أمرته بطلاق امرأته أ كان يطلقها ؟ قال : لا والله ، قال : فابنُ الدمينة كان أنصفَ منك ، كانَ يهوى امرأة من قومه ، فأرسلت إليه إن أهلى قد نَهونى عن لقائك ومراسلتك ، فأرسل إليها يقول [من الوافر] :

أرَيْتِ الآمِرِيكِ بقطع حبلِى ... مُرِيهم فى أحِبَّتِهم بذاكِ(٢)

فإن هم طاوعوكِ فطاوِعيهم ... وإنْ عاصوْكِ فاعصِى من عَصاكِ

أما وَالرَّاقصاتِ بكل فجٍّ ... وَمَنْ صلى بنَعْمانِ الأرَاكِ

لقد أضمرْتُ حبَّكِ فى فؤادى ... وَما أضمرْتُ حباً مِن سواكِ

ومثل هذا الخبر ما حكاه الأصمعى قال : مررت بالكوفة وإذا أنا بجارية تطلع من جدار إلى الطريق وفتى واقف وظهره إلى ، وهو يقول : أسهر فيك وتنامين عنى ، وتضحكين منى وأبكى ، وتستريحين وأتعب ، وأمحضُك المحبة وتمذقينها(٣) وأصدقك وتنافقينى(٤) ، ويأمرك عدوى بهجرى فتطيعينه ويأمرنى

(١) فى الأغانى «ابن زبنج» محرفا

(٢) فى الأغانى «أطعت الآمريك»

(٣) أمحضك المحبة : يريد أحبك حبا لا أخلطه بشىء من الصدود والهجران والتدلل وغير ذلك من عوارض الحب

(٤) كذا بحذف نون الرفع ، وهو أحد ثلاث لغات فى كل فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وقد اتصلت به نون الوقاية ، وثانيها إثبات النون من غير إدغام ، وثالثها إثباتها مع إدغام إحداهما فى الأخرى ، ووردت اللغات الثلاث فى التنزيل الكريم

نصيحى بذلك فأعصيه ، ثم تنفس وأجهش باكياً ، فقالت له : إن أهلى يمنعوننى منك[١] وينهوننى عنك ، فكيف أصنع ؟ فقال لها [من الوافر] :

أريتِ الآمريكِ بقطع حَبْلِي ... مُرِيهِمْ فى أُحِبَّتِهِمْ بِذاكِ
فإنْ هُمْ طاوعوكِ فطاوِعيهِمْ ... وإنْ عاصَوْكِ فاعصى مَنْ عصاكِ

ثم التفت فرآنى ، فقال : يافتى ماتقول أنت فيما قلت ؟ فقلت له : والله لوعاش ابن أبى ليلى [٢] ماحكم إلا بمثل حكمك

وحدّث ابن أبى السرى عن هشام قال : هَوِىَ ابن الدمينة امرأة من قومه يقال لها أميمة فهاج بها مدة ، فلما وصلته تجنى عليها ، وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلا ، ثم أقبلت عليه فقالت والشعر لها [٣] [من الطويل] :

وأنتَ الذى أخلفتنى ماوعدتنى ... وأشمتَّ بى من كان فيكَ يلومُ
وأبرزتنى للناس ثم تركتنى ... لهم غرضاً أُرْمَى وأنتَ سليمُ
فلوْ أنّ قوْلاً يَكْلُمُ الجسم قدبدَا ... بجسمىَ من قولِ الوُشاة كُلومُ

قال : فأجابها ابن الدمينة فقال [من الطويل] [٤] :

وأنتِ التى كلّفتِنِى دَلَجَ السُّرى ... وَجُونُ القَطا بالجلهتَين جُثُومُ

---

(١) فى المطبوعتين «يمنعونى» بحذف نون الرفع كما ذكرناه فى الكلمة السابقة ، وأثبتنا هنا ماجاء فى الأغاني ، إذ كانت القصة بطولها منقولةعنه

(٢) ابن أبى ليلى : فقيه عالم قاض ورع فى العصر العباسى الأول

(٣) ثلاثة الأبيات فى الحماسة (٣-٣١٨من شرح التبريزى) وفى الأغانى (١٥-١٥٤) منسوبة إلى أمامة فى الحماسة وإلى أميمة فى الأغانى

(٤) الأبيات فى الحماسة على ترتيبها هنا ، وهى فى الأغانى بتقديم الثانى على الأول

وأنتِ التي قَطَّعتِ قلبي حَرَارةً ... ومزقت جرْحَ القلب فهوَ كليمُ (١)

وأنت التي أحفَظت قومي فكلهم ... بعيد الرضا داني الصُّدودِ كظيمُ

قال: ثم تزوجها بعد ذلك، وقتل وهي عنده كما سيأتي.

وحدث أبو الحسن الينبعي قال: بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلا فاذا بظل نسوة في القمر، فالتقينا فاذا بجماعة نسوة، فسمعت واحدة منهن تقول: أهو هو؟ (٢)، فقالت الأخرى: نعم والله إنه لهو هو، فدنت مني ثم قالت: يا كهل، قل لهذا الذي معك [من البسيط]:

ليسَتْ لياليكَ في خاخ بِعائدةٍ ... كما عهدتَ ولا أيامُ ذي سلَمِ

فقلتُ له: أجب فقد سمعت، فقال: قد والله قطع بي وأُرتجَ علي فأجب عني، فالتفت إليها ثم قلت [من الطويل]:

فقلتُ لها يا عزَّ كلُّ مُصيبةٍ ... إذا وُطِّنت يوماً لها النفسُ ذلتِ

فقالت المرأة: أوّاه، ثم مضت ومضينا، حتى إذا كنا بمفرق طريقين مضى الفتى إلى منزله ومضيت إلى منزلي، فاذا بجارية تجذب طرف ردائي، فالتفت إليها فقالت: المرأة التي كلمتك تدعوك، فمضيت معها حتى دخلت داراً ثم صرت إلى بيت فيه حصير، وثنيت لي وسادة فجلست، ثم جاءت جارية بوسادة مثنية فطرحتها، ثم جاءت المرأة فجلست عليها وقالت لي: أأنت المجيب؟ قلت: نعم، قالت: ما كان أفظَّ جوابكَ وأغلظه! قلت: والله ما حضرني غيره، فبكت ثم قالت لي: والله ما خلق الله خلقاً أحب إلي من إنسان كان معك، قلت: وأنا الضامن عنه،

(١) في الحماسة «قطعت قلبي حزازة» وفي الأغاني «ومزقت قرح القلب» وفي الحماسة «وقرفت قرح القلب» وقرفت: قشرت ولم يكن قد برأ

(٢) في المطبوعتين «أهو أهو» وأثبتنا ما في الأغاني.

لك ما تحبين، قالت : أوتفعل ؟ قلت : نعم ، فوعدتها أن آتيها به فى الليلة القابلة ، وانصرفت فاذا الفتى ببابى ، فقلت: ماجاء بك ؟ قال : علمت أنها سترسل إليك وسألت عنك فلم أجدك ، فعلمت أنك عندها ، فجلست أنتظرك ، فقلت له : قد كان كل ماظننت ، ووعدتها أن آتيها بك فى الليلة القابلة ، فمضى ، ثم أصبحنا فتهيأنا ورحنا، فاذا الجارية تنتظرنا ، فمضت أمامنا حتى دخلنا الدار ، فاذا برائحة الطيب ، وجاءت فجلست مليًا ، ثم أقبلت عليه فعاتبته طويلا ثم ذكرت الأبيات التى أنشدتها امرأة ابن الدمينة ، ثم سكتت، فسكت الفتى هنيهة ثم قال [من الطويل] :

غَدَرتِ ولم أغدر وخُنْتِ ولم أخُنْ وفى دونِ هٰذا للمُحِبِّ عزاء
جَزَيتُكِ ضِعفَ الوُد ثم صَرَمتِنى فحبكِ فى قلبى إليك أداء[1]

فالتفتت إلى وقالت : ألا تسمع ما يقول ، قد أخبرتك ، قال : فغمزته ، فكفَّ ، ثم قالت [من الطويل] :

تجاهَلْتَ وَصلى حين لجَّتْ عَمايتى فهلا صَرَمْتَ الحبْلَ إذ أنا مُبصرُ
ولى من قُوَى الحبْلِ الذى قد قطعتهُ نَصيبٌ وإذ رأيى جَميع مُوَفَّرُ
وَلٰكنَّما آذنْتَ بالصبر بغتَةً ولستُ على مثل الذى جئتَ أقدِر

فقال الفتى مجيباً لها [من الطويل]:

لقد جعلَتْ نفسى وأنت اجترَمته وكنْتِ أحبَّ الناس عنكِ تَطيبُ

فبكت ثم قالت : أو قد طابت نفسك ؟ لا والله ما فيك خير بعدها ، فعليك السلام ، ثم التفتت إلى وقالت : قد علمتُ أنك لاتفى بضمانك عنه ، وانصرفنا

مقتل ابن الدمينه

وكان السبب فى قتل ابن الدمينة أن رجلا من سلول يقال له مزاحم بن عمرو كان يرمى بامرأة ابن الدمينة ، وكان اسمها حماء — وقيل حمادة — فكان

(١) في المطبوعتين «أذاء» محرفا ، وما أثبتناه عن الأغاني

يأتيها ويتحدث إليها، حتى اشتهر ذلك، فمنعه ابن الدمينة من إتيانها، واشتد عليها، فقال مزاحم يذكر ذلك [من البسيط] :

يا ابن الدُّمَيْنَةِ والأخبارُ يرفعها ... وَخْدُ النَّجائبِ والمحقورُ يخفيها
يا ابن الدمينة إن تغضب لما فعلت ... فطالَ خِزْيُكَ أو تغضبْ مواليها
أو تبغضونى فكم من طعنةٍ نفذت ... يغذو خلال اختلاج الجوف غاذيها(١)
جاهدتُ فيها لكم إنى لكم أبداً ... أبغى معايبكم عمداً فآتيها
فذاك عندى لكم حتى تغيبنى ... غبراء مظلمةٌ هارٍ نواحيها
أغشى نساء بنى تيم إذا هجعت ... عنى العيونُ ولا أبغى مقاريها
كم كاعبٍ من بنى تيم قعدتُ لها ... وعانسٍ حين ذاق النومَ حاميها
كقعدةِ الأعسر العُلفوف منتحياً ... متينة مِنْ متين النبل يرميها(٢)
علامةٌ كيَّةٌ ما بينَ عانتها ... وبينَ سُبّتها لاشلّ كاويها(٣)
وشهقةٌ عندَ حسِّ الماء تشهقها ... وقولُ ركبتها قِضْ حين تثنيها(٤)

---

(١) في المطبوعتين «يغدو . . . غاديها» بإهمال الدال، وهو تحريف. وتقول : غذا الماء، أى سال، وغذا العرق يغذو غذوا، أى سال منه الدم .

(٢) فى المطبوعتين «الحلصوق» وكتب مصحح الأميرية يقول «هكذا فى بعض النسخ، وفى بعضها الأعسر العلصوف، وفى بعضها الأعسر القلصوف، ولم يظهر لى معناه بعد المراجعة، وليحرر اهـ» وما أثبتناه عن الأغانى، والعلفوف : الضخم الكثير اللحم والشعر، وشيخ علفوف : أى كبير السن، ومنه قول الشاعر

ماوى اليتيم ومأوى كل نهبلة ... تأوى إلى نهبل كالنسر علفوف

(٣) السبة ـ بضم السين وتشديد الباء ـ الدبر

(٤) قض ـ بكسر القاف وسكون الضاد ـ اسم صوت يحكى به صوت الركبة

وَتعدلُ الأيرَ إنْ زاغتْ فتبعثُهُ — حتىَّ يقيمَ برفقٍ صدْرَهُ فيها
بين الصفوقين فى مُستهدفٍ وَمِدٍ — ذى حرّة ذاق طعمَ الموتِ صاليها(١)
ماذا ترى يا عُبيدَ الله فى امرأةٍ — ليستْ بمحصنةٍ عذراء حاويها
أيامَ أنتَ طريدٌ لا تقاربُها — وَصادفَ القوسَ فى الغرَّاتِ باريها
ترَى عجوزَ بنى تيْمٍ مُلفعةً — شُمطاً عوارضُها رُبْداً دَواهيها
إذ تجعل الدفنس الورهاء عذرتها — قشارة من أديم الأرضِ تفريها
حتىَّ يظلَّ هدانُ القوم يحسبها — بكراً وقبل هوى فى الدَّار هاويها

ولما بلغ ابن الدمينة شعر مزاحم أتى امرأته فقال لها: قد قال فيك هذا الرجل ماقال، وقد بلغك، قالت: والله مارأى منى ذلك قط، قال: فمن أين له العلامات؟ قالت: وصفتهن له النساء، قال: هيهات والله أن يكون ذلك كذلك، ثم أمسك مدة وصبر حتى ظن أن مزاحما قد نسى القصة، ثم أعاد عليها القول، وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء، فقال لها: والله لئن لم تمكنينى منه لأقتلنك فعلمت أنه سيفعل ذلك، فبعثت إليه وواعدته ليلا، وقعد له ابن الدمينة وصاحب له، فجاءها للموعد، فجعل يكلمها وهى مكانها فلم تكلمه، فقال لها: ياحماء، ماهذا الجفاء الليلة؟ قال: فتقول له هى بصوت ضعيف: ادخل، فدخل، فأهوى بيده ليضعها عليها، فوضعها على ابن الدمينة، فوثب عليه هو وصاحبه وقد جعل له حصًا فى ثوب، فضرب به كبده حتى قتله، وأخرجه فطرحه ميتاً، فجاء أهله فاحتملوه، ولم يجدوا به أثر السلاح، فعلموا أن ابن الدمينة قتله، وقد قال ابن الدمينة فى تحقيق ذلك [من البسيط]:

---

(١) «الصفوقين» كذا فى الأصول جميعا، وفى الأغانى «الصفوفين» والمستهدف: المرتفع، والومد ـ بفتح فكسر ـ الشديد الحر

قالوا هَجتكَ سَلولُ اليومَ مُخفيةً ... فاليومَ أهجو سَلولاً لا أخافيها(١)
قالوا هَجاكَ سَلولىٌّ فقلتُ لهمْ ... قد أنصفَ الصخرةَ الصماءَ راميها
رجالهم شرُّ مَنْ يمشى ونسوتُهم ... شرُّ البريةِ استْاذلَ حامِيها(٢)
يحككْنَ بالصخرِ أستاهاً لها نَقَبٌ ... كما يحكُّ نقابَ الجَرْبِ طاليها(٣)

وقال أيضا يذكر دخول مزاحم ووضع يده عليه [من الطويل] :

لكَ الخيرُ إن وَاعدتَ حماء فالقها ... نهاراً ولا تُدْلِجِ إذا الليلُ أظلما
فانَّكَ لا تدرى أبيضاء طفلةً ... تُعانقُ أمْ ليثاً مِنَ القومِ قشْعَمَا
فلما سرى عن ساعدىَّ وَلحيتى ... وَأيقنَ أنِّى لستُ حماء جَمْجَمَا

ثم أتى ابن الدمينة امرأته فطرح على وجهها قطيفة ثم جلس عليها حتى قتلها ، فلما ماتت قال [من البسيط] :

إذا قعدْتُ على عِرْنينِ جاريةٍ ... فوقَ القطيفةِ فادعوا لىَ بحفارِ

فبكت بنتٌ له منها ، فضرب بها الأرض فقتلها أيضاً ، وقال متمثلا :

* لاتغذوا مِنْ كلبِ سَوْءٍ جَرْوَا *(٤)

فخرج جناح أخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل ، فاستعداه على ابن الدمينة فبعث إليـه فحبسه ، وقالت أم أبان والدة مزاحم المقتول ، وهى من بنى خثعم ترثى ابنها وتحرض(٥) مصعبا وجناحا أخويه [من الطويل] :

---

(١) فى الأغانى « هجتك سلول اللؤم » وهى خير مما هنا
(٢) فى الأغانى «شر البرية واستذل حاميها»
(٣) فى الأغانى «بها نقب»
(٤) فى الأغانى «لاتتخذن من كلب سوء جروا»
(٥) فى الأغانى «وتحضض» وهما بمعنى

بأهلي ومالي بل بجلّ عشيرتي ... قتيلُ بني تيم بغير سلاحِ(١)
فهلاّ قتلتم بالسلاح ابنَ أختكم ... فتظهرَ فيه للشهود جراحُ
فلا تطمعوا في الصلح مادمتُ حيةً ... وما دام حياً مُصعبٌ وجَناحُ
ألمْ تعلموا أنّ الدوائر بيننا ... تدور ، وأن الطالبينَ شحاحُ

ولما طال حبس ابن الدمينة ولم يجد عليه أحمد بن إسماعيل سبيلا ولا حجة خلاّه ، وقتلت بنو سلول من خثعم (٢) رجلا مكان المقتول ، وقتلت خثعم بعد ذلك نفرا من سلول ، ولهم قصص وأخبار كثيرة ، ثم إن ابن الدمينة أقبل حاجا بعد مدة فنزل بتَبَالَةَ فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه ، وكانت أمه حرضته وقالت له : اقتل ابن الدمينة فانه قتل أخاك وهجا قومك وذم أُختك ، وقد كنت أعذرك قبل هذا لأنك كنت صغيرا ، والآن قد كبرت ، فلما أ كثرت عليه خرج من عندها و بصر بابن الدمينة واقفا يُنشد الناسَ ، فغدا إلى جزار فأخذ شفرته وعدا على ابن الدمينة فجرحه بها جراحتين ، فقيل : إنه مات لوقته ، وقيل: بل سلم من تلك الدفعة ومر به مصعب بعد ذلك وهو في سوق العبلاء ينشد أيضا فعلاه بسيفه حتى قتله ، وعدا، وتبعه الناس حتى اقتحم داراً وأغلقها عليه ، فجاءه رجل من قومه فصاح به : يامصعب ، إن لم تضع يدك في يد السلطان قتلتك العامة ، فاخرج ، فلما عرفه قال له : أنا في ذمتك حتى تسلمني إلى السلطان ، فقذفه السلطان في سجن تَبَالَةَ ، قال : ومكث ابن الدمينة جريحا ليلة ثم مات في غد ، وقال في تلك الليلة يحرض قومه ويوبخهم [من الوافر] :

---

(١) هكذا في جميع أصول الكتاب وفي نسخ الأغاني بكسر روي هذا البيت ورفع مابعده ، وهو عيب من عيوب القافية

(٢) هكذا في الأصول والأغاني ، ولعله محرف عن تيم ، وكذلك قوله وقتلت خثعم لعل صوابه تيم كما يؤخذ من سياق القصة

هتفتَ بأكلبٍ ودعوتَ قيساً فلا خُذُلاً دَعوْتَ ولا قليلاً (١)
ثأرْتَ مُزاحِما وسررت قيساً وَكنتَ لِما هممْتَ به فعولاً
فلا تَشْلَلْ يداكَ ولا تزالا تُفيدانِ الغنائِمَ وَالجزيلا
فلوْ كان ابن عبدِ اللهِ حياً لَصبحَ فى منازِلها سَلولاَ

وبلغ مصعباً أخا المقتول أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحموا عليه سجن تبالة فيقتلوه، فقال يحرض قومه [من الوافر] :

لقيتُ أبا السَّرِىّ وَقد تكالا لهُ حقُّ العداوةِ فى فؤادى
فكادَ الغيظُ يفْرِطُنى إليهِ بطعنٍ دُونهُ طعنُ الشدادِ (٢)
إذا نبحَتْ كِلابُ السجنِ حولى طمعت هَشاشةً وَهفا فؤادى
طماعا أنْ يدُقّ السجنَ قومى وَخوفاً أنْ تُبَيِّتنى الأعادى (٣)
فما ظنى بِقومى شرّ ظنّ وَلا أن يُسلمونى فى البلادِ
وَقدْ جدّلتُ قاتلَهمْ فأمسى يَمجُّ دَمَ الوتين على الوساد

فجاءت بنو عقيل إليه ليلا فكسروا السجن وأخرجوه منه، فهرب إلى صنعاء

ومن شعر ابن الدمينة الأبيات المشهورة (٤) [من الطويل] :

---

(١) في المطبوعتين «ولا قتيلا» محرفا، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى، وأكلب : جد من جدود ابن الدمينة

(٢) يفرطنى : يتقدمنى ويسبقنى، وبابه ضرب، وفى الأغاني «دونه طعن السداد» بالسين المهملة

(٣) فى الأغانى «طماعة أن يدق»

(٤) نسب أبو الفرج هذه الأبيات الثلاثة إلى ابن الدمينة ، وعنه نقل المؤلف كل ماهنا فى ترجمة ابن الدمينة، وقد روى ثلاثتها أبو على القالى فى الأمالى (٢ـ ٣١٤ دار الكتب) ضمن قصيدة طويلة نسبها لقيس بن ذريح ؟ وروى هذه القصيدة وفيها أول هذه الأبيات وثانيها في تزيين الأسواق (١ـ٦٠) منسوبة إلى قيس أيضاً

أقضى نهارى بالحديثِ وبالمنى ويجمعُنى والهمَّ بالليل جامعُ
نهارى نهارُ الناس حتى إذا بدا لىَ الليلُ شاقتنى إليكِ المضاجعُ (١)
لقدْ ثبتَتْ فى القلبِ منكِ محبة كما ثبتت فى الراحتينِ الأصابِعُ (٢)

وهى من قصيدة طويلة يخلطها النـاس كثيراً بقصيدة لمجنون ليلى ، لأنها توافقها فى الوزن والقافية .

* * *

من وضع الظاهر موضع المضمر

٢٨ — * إلهى عبْدُكَ العاصِى أتا كَا *

هو من الوافر ، ولا أعلم قائله ، وتمـامهُ :

* مقرًّا بالذنوبِ وقدْ دعا كا *

فانْ تغفرْ فأنتَ لِذاكَ أهلٌ وإنْ تطرُدْ فمنْ يرْحمْ سوا كا

والطرد : الابعاد .

والشاهد فيه : وضع المظهر ــ وهو « عبدك » ــ موضع المضمر ، وهو أنا للاستعطاف ، وهو : طلب العطف والرحمـة ، إذ ليس فيـه ما فى المظهر من استحقاق الرحمة وترقب الرأفة ، وإن كان من غير باب المسند إليه أيضاً .

* * *

شاهد الالتفات

٢٩ — * تطاوَلَ ليلكَ بالأثمدِ *

قائله امرؤ القيس الـكندى (٣) الصحابىّ رضى الله تعالى عنهُ ، وهو أولُ

(١) حفظى * هزتنى إليك المضاجع * وهو كذلك فى رواية الأمالى
(٢) يروى * لقد نبتت . . . كما نبتت * بالنون في الموضعين مكان الثاء
(٣) يختلف الرواة فى نسبة هذا الشعر ، فالأصمعى وأبو عمرو وأبو عبيدة وابن الأعـرابى ينسبونه إلى امرىء القيس بن حجر الـكندى ، وابن دريد ينسبه إلى امرىء القيس بن عابس ، وهو كندى أيضا ، يمت بالنسب إلى امرىء القيس الأول ، وقد استشهد صاحب الـكشاف بثلاثة الأبيات الأولى

قصيدة من المتقارب ، وتمامه :

* ونامَ الخليُّ ولمْ ترْقُدِ *

وبعده :

وباتَ وباتَتْ لهُ ليلةٌ كليْلةِ ذِى العائِرِ الأرْمَدِ
وذلكَ مِنْ نبأ جاءنى وأُنبئتُهُ عن أبى الأسوَدِ
ولوْ عنْ نثَا غيرِهِ جاءنى وَجُرْحُ اللسانِ كَجُرْحِ اليد
لَقُلْتُ مِنَ القولِ مالاَ يَزا لُ يُؤْثَرُ عنى يَدَ المسنَدِ[1]
بأى عَلاقتنا ترْغبونَ أعَنْ دَمِ عَمْرٍو على مَرْثَدِ
فانْ تدْفنوا الداء لا نُخفهِ وإنْ تبْعثُوا الداء لا نَقْعُدِ
وإن تقتُلونَا نُقاتِلكُمُو وإنْ تقصدوا لدمٍ نَقصدِ
مَتى عَهْدُنَا بِطعَانِ الْكُما ةِ والمجدِ والحمدِ والسودَدِ
وَبَنْيِ القِبابِ ومَلْءِ الجِفَا نِ والنَّارِ وَالْحطَبِ المُوقَدِ[2]

والأثمد ـ بفتح الهمزة وضم الميم ، وروى بكسرهما ـ اسم موضع . والعائر ـ بالمهملة ـ هو القذى يقع فى العين ، وقيل : هو نفس الرمد .

والشاهد فيه : الالتفات ، وهو فى قوله « ليلك » لأنه خطاب لنفسه ، ومقتضى الظاهر « ليلى » بالتكلم .

---

(١) فى الأصول « لقلبت فى القول » محرفا ، ولا يستقيم معه الوزن ، وما أثبتناه عن شرح ديوان امرىء القيس للسندوبي ، وبد المسند : يد الدهر يريد طول الدهر

(٢) فى الديوان (٩٢) « والحطب المفأد »

ترجمة امرىء القيس بن عانس

وامرؤُ القيس هو ابن عانس – بنون[1] وسين مهملة – ابن المنذر، ابن امرىء القيس بن السمط بن عمرو بن معاوية بن الحرث، ينتهى نسبه لكندةَ، الكندى الشاعر، له صحبة، وشهد رضى الله عنه فتح النجير باليمن؛ وهو حصن قرب حضرموت، ثم حضر الكنديين حين ارتدوا، فثبت على إسلامه، ولم يكن فيمن ارتد، ثم نزل الكوفة، ولما خرجوا ليقتتلوا وثَبَ على عمه فقال له: ويحك يا امرأ القيس! أتقتل عمك؟ فقال له: أنت عمى، واللهُ عز وجل ربى، وهو الذى خاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربيعة بن عِيدان – بكسر العين والياء التحتية، ويقال فيه: عبدان، بالباء الموحدة مكسورة مع تشديد الدال، ويقال: بفتح العين وسكون الباء – وكانت المخاصمة فى أرض، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «بَيِّنَتُكَ» قال: ليس لى بينة، فقال صلى الله عليه وسلم «يمينه» وهو القائل رضى الله عنه [من مجزوء الكامل]:

قِفْ بِالديارِ وُقوفَ حابِسْ وَتَأَنَّ إنَّكَ غيرُ آيِسْ[2]

لَعِبتْ بهِنَّ العاصفا تُ الرائحاتُ إلى الروامِسْ[3]

ما ذَا عليكَ مِنَ الوقو فِ بهامِدِ الطللينِ دَارِسْ

يا رُبَّ باكيةٍ عَلَيَّ وَمُنْشِدٍ لي فى المجالِسْ

أوْ قائلٍ يا فارساً ماذا رُزِئتَ مِنَ الفوارسْ

لاَ تَعجبوا أنْ تسمعُوا هَلكَ امرؤ القيسِ بنُ عانِسْ[4]

(١) ويقال «عابس» بالباء فى مكان النون

(٢) فى الأصول «غير آنس» بالنون، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

(٣) فى الديوان «الغاديات الرائحات من الروامس»

(٤) فى الديوان «بن عابس»

وفى الصحابة أيضاً امرؤ القيس بن أبى الأصبع الكلابى ، وامرؤ القيس ابن الفاخر بن الطماح الخولانى .

* * *

٣٠ – طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِى الْحِسَانِ طَرُوبُ
بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

من شواهد الالتفات

يُكَلِّفُنِى لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلْيُهَا وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ

البيتان لعلقمة بن عَبَدَة الفحل ، من قصيدة[1] من الطويل ، يمدح بها الحارث بن جبلة بن أبى شمر ، الغسانى ، وكان أسر أخاه شاساً ، فرحل إليه يطلب فكه ، وبعد البيتين :

منعمةٌ لا يستطَاعُ كلامها على بابها من أن تزارَ رقيبُ
إذا غابَ عنها البعْلُ لم تفشِ سره وتُرْضى إيابَ البعل حين يؤبُ
فلا تَعْدِلِى بينى وبين مُغَمَّرٍ سقتك روايا المزن حين تصوبُ[2]
سقاكِ يمانٍ ذو حبِىٍّ وعارضٍ تروحُ به جنحَ العشى جنوبُ[3]
وما أنتَ أمْ ماذكرُها رَبَعيةً يخط لها من ثرمداء قليبُ[4]
فانْ تسألونى بالنساء فاننى خبيرٌ بأدواء النساء طبيبُ

---

(١) عدتها فى الديوان تسعة وعشرون بيتا ، فانظرها ثمة (ص ١٧ – ٣٩ طبع باريس) وانظرها فى المفضليات

(٢) فى الديوان «حيث تصوب»

(٣) فى الديوان «ذوحبى» وقال الأعلم فى شرحه «والحبى : سحاب اتصل بعضه ببعض»

(٤) القليب : البئر ، وخطه : حفره ، وكنى بذلك عن إقامتها فى ثرمداء ، ويروى صدر هذا البيت * أبى القلب إلا ذكرها ربعية *

إذا شابَ رأسُ المرء أوقل مالُهُ فليسَ له منْ وُدِهنَّ نصيبُ
يُرِدْنَ ثَراء المـال حيثُ علمنهُ وشَرْخُ شبابٍ عندهن عجيبُ

وهى طويلة ، يقول فى غرضه منها :

وفى كل حى قد خبَطْتُ بنعمة فحق لشَأسٍ من نداكَ ذَنوبُ

فلما سمع الحارث هذا البيت ، قال « نعم وأذْنِبَه » ، ولما سمع قوله فى وصف النساء ، قال: صدق فوكَ ، للهِ أبوكَ ، أنتَ طبيبهن، والخبير بأدوائهن .وقد أخذه من قول امرىء القيس [من الطويل] :

أراهن لا يحببن من قل مالُهُ ولا من رأين الشيب فيه وقوَّسَا

ومن لطيف ما يذ كرمن كراهة النساء للشيب قول محمد بن عيسى المخزومى [من الـكامل] :

قالتْ أحبك قلتُ كاذبة غُرى بذا مَنْ ليس ينتقدُ
لو قلتِ لى أشناكَ قلتُ نعمْ الشيب ليس يحبُّهُ أحدُ

ومعنى « طحابك » أى اتسع وذهب بك كل مذهب ، و « طروب » : مأخوذ من الطرب ، وهو استخفاف القلب فى الفرح ، أى له طرب فى طلب الحسان ونشاط فى مراودتهن ، ومعنى « بعيد الشباب » حين ولى وكاد ينصرم، ومعنى « عصر حان مشيب » أى زمان قرب المشيب و إقباله على الهجوم ، ومعنى « شط » بعد ، والوَلْىُ : القرب ، والعـوادى : الصوارف ، وعوادى الدهر : عوائقه ، والخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر العظيم .

والشاهد فيه : الالتفات من الخطاب فى «طحابك» إلى التكلم فى «يكلفنى» وفاعله ضمير القلب ، و « ليلى » مفعوله الثانى ، و روى بالتاء الفوقانية على أنه مسند إلى ليلى ، والمفعول محذوف ، أى تكلفنى شدائد فراقها ، أوعلى أنه خطاب للقلب ففيه التفات آخر من الغيبة إلى الخطاب ، وفى « طحابك » التفات آخر عند السكاكى ، لا عند الجمهور .

وأشار علقمة بصدر البيت الذى قبل الأخير هنا إلى أن المال يستر شَيْنَ الشيب ويحسن قبيحه كما قال بعضهم [من المتقارب] :

وخودٌ دعَتنى إلى وصْلها وعصرُ الشَّبيبةِ منى ذَهَبْ
فقلتُ مَشيبىَ ما ينطلى فقالت بَلَى يَنْطلى بالذَّهبْ

وذكرت بهذين البيتين واقعة ظريفة ، وهى أنهما أنشدا فى مجلس كان فيه بعض ظرفاء الأدباء فقال : ما أعرف القافية فى هذين البيتين إلا بحرف الراء ، فقال له المنشد : كيف ؟ فقال « وعصر الشبيبة منى سَرَى » فقال : وكيف تصنع فى البيت الثانى ؟ فقال « فقالت بلى ينطلى بالخرا » فاستحى المنشد وانصرف من المجلس خجلا

وعلقمة بن عَبَدَةَ (١) بن عبد المنعم النعمانى (٢) ينتهى نسبه إلى نزار ، وكان يقال له الفحل ، لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له عليه بأنه أشعر منه ، وكان من خبر ذلك ما حكاه أبو عبيدة قال : كان تحت امرئ القيس امرأة من طيئ تزوجها حين جاور فيهم ، فنزل بهم علقمة الفحل التميمى ، فقال كل واحد منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ، فتحا كما إليها ، فأنشدها امرؤ القيس قوله [من الطويل] :

ترجمة علقمة الفحل

(١) تجد ترجمة علقمة فى خزانة الأدب (١-٥٦٥) وفى الأغانى (٢١-١٧٢ الساسي) وفى الاشتقاق لابن دريد (١٣٣) وفى الاصابة لابن حجر (٣-١١١) وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٠٧)

(٢) فى الخزانة نقلا عن الجمهرة لابن الكلبى والمؤتلف والمختلف للآمدى : علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . وفى الأغانى : علقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس أحد بنى عبيد ابن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم »

خليلى مُرَّا بى على أم جندبٍ لنقضى لُبانات الفؤاد المعذَّبِ(١)

حتى مر بقوله منها :

فللسوطِ أُلهُوبٌ وللساقِ دِرَّةٌ وللزجرِ مِنه وقعُ أهوجَ مِنْعَبِ(٢)

وأنشدها علقمة قوله [من الطويل] :

* ذَهبتَ مِنَ الهجرانِ فى غير مَذهَبِ *

حتى انتهى إلى قوله :

فأدركهنّ ثانياً مِن عِنانهِ يَمُرّ كغيثٍ رائحٍ متحلّبِ

فقالت له: علقمة أشعر منك ، قال : وكيف ؟ قالت : لأنك زجرت فرسك وحركته بساقك وضربته بسوطك ، و إنه جاء هذا للصيد ثانياً من عنانه ، فغضب امرؤ القيس وقال: ليس كما قلت، ولكنك هَوِيتِه ، فطلقها ، فتزوجها علقمة بعد ذلك ، فسمى علقمة الفحل ، ومازالت العرب تسميه بذلك ، قال الفرزدق [من الكامل] :

والفحلُ علقمةُ الذى كانت لهُ حُلَلُ الملوك كلامُهُ تنتحلُ(٣)

وعن حماد الراوية قال : كانت العرب تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوا

---

(١) يروى « لنقضى حاجات الفـؤاد » ويروى « نقض لبانات الفؤاد » وكلتاهما خير مماهنا ، والظاهر أن ما هنا تلفيق من الروايتين ويروى « لتقضى لبانات » ببناء تقضى للمجهول

(٢) فى الأصول « أهوج متعب » بالتاء ، وهو تحريف ، وما أثبتناه عن اللسان (ذ ع ب) وعن ديوان امرىء القيس ، وعن الخزانة ، والمنعب ـ بزنة المنبر ـ الأحمق المصوت . وفى الشعراء « وقع أخرج مهذب » والأخرج : ذكر النعام ، والمهذب كالمسرع وزنا ومعنى

(٣) يروى « كلامه يتنحل » برفع كلامه وبناء يتنحل للمجهول

منه كان مقبولا وما ردوا منه كان مردوداً ، فقدم عليهم علقمة بن عبدة ، فأنشدهم قصيدته التي أولها [من البسيط] :

هلْ ماعَلمتَ وما استُودعتَ مكتوم ✻ أمْ حَبلها إذ نأتكَ اليومَ مصرومُ

فقالوا : هذا سِمْطُ الدهر ، ثم عاد إليهم في العام القابل فأنشدهم قوله [من الطويل] :

طَحا بكَ قلبٌ في الحسان طروبُ ✻ بُعيدَ الشبابِ عصرَ حانَ مشيبُ

فقالوا : هذان سمطا الدهر

وعن حماد بن إسحاق قال : سمعت أبي يقول : سرق ذو الرمة قوله [من البسيط] :

* يَطفو إذا مَاتلقتهُ الجراثيمُ(١) *

من قول العجاج [من الرجز] :

* إذا تلقتهُ العقاقيلُ طفَا *

وسرقه العجاج أيضا من علقمة بن عبدة حيث يقول [من البسيط] :

* يَطفو إذا ما تَلقتهُ العَرانينُ *(٢)

وحدث العمري عن لقيط قال : تحاكم علقمة بن عبدة التميمي والزبرقان ابن بدر السعدي والمخبَّل وعمرو بن الأهتم إلى ربيعة بن حِدّان الأسدي فقال : أما أنت يازبرقان فشعرك كلحم لا أنضج فيؤكل ولا ترك فينتفع به ، وأما أنت يا عمرو فشعرك كبرد حبرة يتلألأ فيه البصر فكلما أعدته نقص ، وأما أنت

---

(١) يطفو : يعدو ويسرع ، وأراد بالجراثيم أصول الرمل والتراب المجتمعة ، يصف ثوراً وحشيا ، وصدر البيت قوله :

ذو سفعة كشهاب القذف منصلت

(٢) الذي في ديوان علقمة وفي عدة مصادر رواية هذا العجز هكذا : * يطفو إذا ما تلقته العقاقيل * والعقاقيل : جمع عقنقل ، وهو ما عظم واتسع من الأودية

يامخبل فانك قصرت عن الجاهلية ولم تدرك الاسلام ، وأما أنت يا علقمة فان شعوك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شئ .

* * *

شاهد القلب

٣١ — ومَهْمَهٍ مُغْبرة أرْجاؤهُ كأنَّ لونَ أرضه سماؤهُ

البيت لرؤبة بن العجاج ، من الرجز .

والمهمه: المفازة البعيدة والبلد المقفر ، والجمع مهامه . والمغبرة : المتلونة بالغبرة . والأرجاء : الأطراف والنواحى ، جمع رَجًا مقصوراً .

والشاهد فيه : القلب ، وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه ، وهو هنا فى المصراع الثانى ، ومعناه كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، وفيه من الاستعارة ما ليس فى تركه ، لاشعاره بأن لون السماء قد بلغ من الغُبرة إلى حيث يشبه به لون الأرض فيها .

ومن القلب قول الشاعر [من الكامل] : (١)

كانت فَريضَةَ ما تقُولُ كما كانَ الزِّناء فريضَةَ الرجم

ومنه قول أبى تمام يصف قلم الممدوح [من الطويل] :

لُعابُ الأفاعى القاتِلاتِ لُعابُهُ وأرْىُ الجَنى اشتارتهُ أيْدٍ عواسِلُ

وقول الآخر [من الوافر] :

* فَدَيت بنفسه نفسى ومالى *

وقول الآخر [من الكامل] :

* يمشى فيَقْعَسِ أو يُكِبُّ فيعثرُ *

ورؤبة بن العجاج تقدم ذكره فى شواهد المقدمة .

---

(١) نسبه فى اللسان (زن ا) للجعدى

٣٢ – * كما طَيَّنْتَ بالفَدَنِ السِّياعا *

من شواهد القطب

قائله القطامى من قصيدة(١)، من الوافر، يمدح بها زُفر بن الحارث الكلابى حين أحاطت به قيس بنواحي الجزيرة وأرادوا قتله فحال زفر بينه و بينهم وحَمَاه ومنعه، وكساه وأعطاه مائة ناقة وخلَّى سبيله، فقال يمدحه، وأول القصيدة :

قفى قَبلَ التَّفرق يا ضُباعا ... ولا يَكُ مَوقِفٌ منك الوَداعا

قفى فافدى أسيرَكِ إن قومى ... وقومَكِ لا أرى لهُم اجتماعا(٢)

إلى أن قال يمدح زفر بن الحارث :

ومن يَكُنِ استَلامَ إلى ثَوِيٍّ ... فقد أحسنْتَ يا زُفَرُ المتاعا(٣)

أ كُفراً بعد ردِّ الموتِ عنى ... وبعدَ عطائكَ المائةَ الرِّتاعا(٤)

فلما أن جرى سِمَنٌ عليها ... كما طينت بالفدن السياعا(٥)

أمَرْتُ بها الرجال ليأخذُوها ... ونحنُ نظُن أن لن تُستَطاعا

فلأياً بعد لأىٍ أدركوها ... على ما كان إذ طَرَحُوا الرِّقاعا

فلو بِيدَىْ سِواكَ غَداةَ زلَّتْ ... بِيَ القدمانِ لم أرجُ اطِّلاعا(٦)

---

(١) انظرها فى الديوان (٣٧ ليدن)

(٢) فى الديوان «قفى فادى»

(٣) استلام : فعل ما يوجب اللوم، والثوى : الضعيف، والمتاع : الزاد

(٤) الرتاع : التى ترتع وترعى، ويروى «الرباعا» وهي التى تنتج فى زمن الربيع . وبين هذا البيت وما ذكره المؤلف بعده ثمانية عشر بيتا

(٥) فى الديوان «كما بطنت»

(٦) فى الديوان «فلو بيدى سواك وجهوها» وهذا البيت والثلاثة بعده تقع فى الديوان تالية لقوله «أ كفرا»

إذن لهَلَكتُ لو كانت صغاراً ... من الأخلاق تُبْتَدَعُ ابتداعا[١]

فلم أرَ مُنْعِمِينَ أقلَّ منا ... وأكرَمَ عندما اصطنعوا اصطناعا

مِنَ البيضِ الوجوهِ بني نُفَيْلٍ ... أبَتْ أخلاقُهُمْ إلا اتساعا

وهي طويلة .

والفدن محركة : القَصْر المشيد ، والسياع بفتح السين المهملة : الطين بالتبن ، يُطينُ به .

والشاهد فيه : القلب أيضاً ، ومعناه كما طينت الفدنَ بالسياع ، وهذا من قبيل القلب المردود ، لأن العدول عن مقتضى الظاهر من غير نكتة تقتضيه خروجٌ عن تطبيق الكلام لمقتضى الحال .

ترجمة القطامي

والقطامي[٢] بفتح القاف وضمها — اسمه عُمَير بن شُيَيْم ، والقطامي : لقب غلب عليه ، وكان نصرانياً وأسلم ، قاله ابن عساكر في تاريخ دمشق ، وهو شاعر إسلامي مقل فحل مُجيد .

وعن الشعبي رحمه الله قال : قال عبد الملك وأنا حاضر للأخطل : يا أبا مالك ، أتحب أن لك بشعرك شعر شاعر من العرب ؟ قال : اللهم لا إلا شاعراً منّا ، مغدف القناع ، خامل الذكر ، حديث السن ، إن يكن في أحد خير فسيكون فيه ، ولوددتُ أني سبقته إلى قوله[٣] [من البسيط] :

---

(١) في الأصول «من الأخلاف» مكان «من الأخلاق» وما أثبتناه عن الديوان والأغاني ، وفي الأغاني « تنتزع انتزاعا » وأحسبه محرفا عما هنا ، مماثلا لما في الديوان

(٢) تجد ترجمة القطامي في الأغاني (٢٠ – ١١٨) وفي خزانة الأدب (١ – ٣٩٢)

(٣) انظرهما في الديوان (٨)

يقتلننى بحديثٍ ليسَ يعلمهُ مَنْ يتقين ولا مكنونهُ بادى(١)

فهنَّ ينبذنَ من قول يُصبنَ بِهِ مواقعَ الماء من ذى الغُلَّةِ الصادِى

وحدّث محمد بن صالح بن النطاح قال : القطامى أولُ من لقبَ صريعَ الغوانى بقوله [من الطويل] :

صريعُ غَوَانٍ راقَهنَّ ورُقنَهُ لَدُنْ شبَّ حتى شابَ سُودُ الذوائبِ

ونزل القطامىّ فى بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس فنسبها ، فقالت : أنا من قوم يشتوون القدّ من الجوع ، قال : ومَن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب ولم تَقْرِه ، فبات عندها بأسوإ ليلة ، فقال فيها قصيدة ، أولها(٢) [من الطويل]:

نَأتكَ بليلى نيةٌ لم تقاربِ وماحُبُّ ليلى من فؤادى بذَاهبِ

إلى أن قال فيها :

ولا بدّ أن الضيفَ يُخبرُ مارأى مُخَبِّرُ أهلٍ أو مخبرُ صاحبِ(٣)

سأخبركَ الأنباء عن أمّ منزلِ تَضيفتُها بين العُذَيْبِ فرَاسِبِ(٤)

تَلففْتُ فى طلّ وريح تلفنى وفى طِرْمِساءَ غيرِ ذاتِ كواكِبِ(٥)

إلى حَيْزَبونٍ تُوقدُ النارَ بعدمَا تلفعَتِ الظلماء من كل جَانبِ

تصلى بها بردَ العشاءِ ولم تكن تخالُ وميض النار يبدو لراكبِ(٦)

(١) فى الديوان «يقتلننا»

(٢) انظرها فى الديوان (٤٩)

(٣) فى الديوان «مخبر رأى»

(٤) فى الديوان « سأخبر بالأنباء »

(٥) فى الديوان « تلفعت فى طل » والطرمساء : الليلة المظلمة

(٦) فى الديوان «وبيص النار» ووبيص النار :ضوؤها

فما راعها إلا بُغامُ مطيةٍ تريح بمحسور من الصوت لاغبِ
تقولُ وقد قرَّبتَ كُوري وناقتي إليكَ فلا تَذْعَرْ عليَّ ركائبي
فلما تنازعنا الحديثَ سألتها مَنِ الحيُّ قالت مَعْشَرٌ من محاربِ
مِنَ المشتوينَ القِدَّ مما تراهُمُ جِياعاً وريفُ الناس ليس بعازبِ (١)
فلما بدا حرمانُها الضيفَ لم يكن عليَّ مناخُ السوءِ ضربة لازبِ
ألا إنما نيرانُ قيس إذا اشْتَوَوْا لطارق ليل مثل نار الحباحِبِ (٢)

وَإلى هذه العجوز، أشار عبد الصمد بن المعذل فى هجاء أخيه أحمد، إذ يقول [من مجزوء الخفيف] :

لَيْتَ لى منكَ يا أخى جارةً من محاربِ
نارُها كلَّ شَتْوَةٍ مثلُ نار الحباحِبِ

وسيأتى ذكر عبد الصمد بن المعذل وأخيه عند ترجمة أبيهما المعذل فى شواهد الاطناب إن شاء الله تعالى .

قال أبو عمرو رحمه الله : أول ماحرك من القطامى فرفع ذكره، أنه قدم فى خلافة الوليد بن عبد الملك دمشق ليمدحه، فقيل له : إنه بخيل لا يعطى الشعراء، وقيل : بل قدمها فى خلافة عمر بن عبد العزيز؛ فقيل له : إن الشعر لا ينفق عند هذا ولا يعطى عليه شيئاً، وهذا عبد الواحد بن سليمان فامدحه،

---

(١) عازب : بعيد، يعنى أنهم معدمون ليس عندهم خير، وإن يكن الريف قريبا منهم . وفى الديوان « وريف الناس ليس بناضب »

(٢) فى الديوان « إذا شتوا » اى صاروا فى الشتاء، وهو أوفق بما قاله ابن المعذل

فمدحه بقصيدته التى أولها[١] [من البسيط] :

إنا محيوكَ فاسلمْ أيها الطللُ ... وإن بليتَ وإن طالت بك الطِّيَلُ

فقال له : كم أملتَ من أمير المؤمنين ؟ قال : أملت أن يعطينى ثلاثين ناقة ، قال : قد أمرت لك بثلاثين ناقة موقورة براً وتمراً وثياباً ، ثم أمر بدفع ذلك إليه .

وقال أبو عمرو الشيبانى : لو قال القطامى بيته [من البسيط] :

يمشينَ زهواً فلا الأعجاز خاذلةٌ ... ولا الصدورُ على الأعجاز تتكل[٢]

فى صفة النساء[٣] لكان أشعرَ الناس ، ولو قال كثير عزةَ [من الطويل] :

فقلت لها يا عز كل مصيبة ... إذا وطِّنَتْ يوماً لها النفس ذلتِ

فى مرثية أو صفة حزن لكان أشعر الناس .

وقال رجل كان يديم الأسفار : سافرت مرة إلى الشام على طريق البر ، فجعلت أتمثل بقول القطامى [من البسيط] :

قدْ يدركُ المتأنى بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومعى أعرابى قد استأجرت منه مركبي ، فقال : ما زاد قائل هذا الشعر على أن ثبط الناسَ عن الحزم ، فهلا قال بعد قوله هذا :

وربما ضرَّ بعضَ الناس حزمُهمُ ... وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا

---

(١) انظرها فى مطلع ديوانه ، وفى جمهرة أشعار العرب (١٥١)

(٢) فى الديوان والجمهرة « يمشين رهوا » بالراء المهملة ، ومعناه أنهن يمشين فى سكون يتبع بعضهن بعضا . ويروى « يمشين هونا » وهو بمعناه ، ولما هنا وجه صحيح

(٣) البيت فى وصف النوق

والقطامى أخذ معنى بيته هذا من قول عدى بن زيد العبادى [من السريع] :

قد يدركُ المبطىء من حظِّه والخير قد يسبق جهد الحريص(١)

وعدىّ نظر إلى قول جمانة الجعفىّ [من الطويل] :

ومستعجل والمكثُ أدنى لرشدهِ ولم يدرِ فى استعجاله ما يبادرُ

وما أحسن قولَ ابن هند [و] رحمه الله [من مخلع البسيط] :

تأنَّ فالمرء إنْ تأنَّى أدْركَ لاشكَّ ماتمنى

وما لمستوفزٍ عَجُولٍ حظّ سوى أنه تعَنَّى

ومن أحسن ماقيل فى عيب الأناة قولُ ابن الرومى [من البسيط] :

عيبُ الأناة وإن سرَّت عواقبُها أن لا خلودَ وأن ليس الفتى حجرا

وللقطامى عدة قصائد فى مدح زفر بن الحرث الكلابى ، سيأتى منها شىء فى أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى .

(١) هكذا ورد فى أصول الكتاب ، وفى الشعراء لابن قتيبة (١١٦) . والذى أحفظه « والحين قد يسبق جهد الحريص »

شواهد المسند

شاهد ترك المسند

٣٣ – * فانى وقيارٌ بها لغريبُ *

قائله ضابىء بن الحارث البرجمى، وهو من قصيدة من الطويل، قالها وهو محبوس فى المدينة المنورة، فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه، وهى[١]:

ومن يك أمسى بالمدينة رحلُهُ ... فانى وقيارٌ بها لغريبُ
وربَّ أمور لاتضيرُكَ ضَيرَةً ... وللقلب من مخشاتهن وجيب
وماعاجلاتُ الطير تُدنى من الفتى ... نجاحاً، ولا عن ريثهنَّ يخيب
ولاخيرَ فيمن لا يُوطن نفسهُ ... على نائبات الدهرِ حين تنوب
وفى الشك تفريطوفى الحزم قُدرَةٌ ... ويُخطىء فى الحَدْس الفتى ويُصيب[٢]
ولَسْتَ بمستبقٍ صديقاً ولا أخاً ... إذا لم تُعِدْ الشىء وهو مُريب[٣]

ومعنى البيت: التحسر على الغربة. والرحل: السكن وما يستصحبه من الأثاث. وقيار: جمل ضابىء أو فرسه.

والشاهد فيه: ترك المسند وهو «غريب» ـ والمعنى: إنى لغريب وقيار أيضاً ـ لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث فى الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسر ومحافظة الوزن.

ولا يجوز أن يكون «غريب» خبراً عنهما بانفراده، لامتناع العطف على

---

(١) روى هذه الأبيات كلها البغدادى فى الخزانة (٤ ـ ٢٢٧) والبيت الأول منها وهو بيت الشاهد من شواهد سيبويه، وروى الثلاثة بعده بتقديم ثانيها المبرد فى الكامل، وروى ابن قتيبة فى الشعراء ماعدا الأخير منها

(٢) في الخزانة نقلا عن الشعراء «وفى الحزم قوة» و «يخطى الفتى في حدسه»

(٣) في الخزانة نقلا عن أبى تمام فى مختار أشعار القبائل «وهو يريب»

محل اسم إن قبل مضى الخبر، وقيار: مرفوع إما عطفاً على محل اسم (١) إن، أو بالابتداء والمحذوف خبره، والسر فى تقديم «قيار» على خبر إن قصد التسوية بينهما فى التحسر على الاغتراب، كأنه أثر فى غير ذوى العقول أيضاً، إذ لو أخر لجاز أن يتوهم مزيته عليه فى التأثر عن الغربة، لأن ثبوت الحكم أولا أقوى

ترجمة ضابىء البرجمى

وضابىء ـ بالضاد المعجمة، و بعد الألف باء موحدة ثم همزة ـ ابن الحرث البرجمى (٢) ينتهى نسبه إلى تميم، وذكر فيمن أدرك النبى صلى الله عليه وسلم، ثم إنه جنى جناية فى زمن عثمان رضى الله عنه، فحبسه، فجاء ابنه عمير وأراد الفتك بعثمان رضى الله عنه، ثم جبن عنه، وفى ذلك يقول [من الطويل]:

هممتُ ولم أفعل وكِدتُ وليتنى ... تركتُ على عثمانَ تبكى حلائلُه (٣)

ويقول فيها أيضاً:

وقائلةٍ لا يُبعدِ الله ضابِئاً ... ولا تَبعَدَنْ أخلاقه وشمائلُه (٤)

إلى أن يقول فيها أيضاً:

(١) هذا هو الذى قرر امتناعه من قبل، وخلاصة القول فى تخريج هذا البيت عربية، أن الفراء والكسائى جعلا «وقيار» معطوفا على اسم إن، وأجازا أن يعطف المرفوع على المنصوب بأن باعتبار أن أصله مبتدأ، وأطلق هذا الجواز فلم يقيده، وأن سيبويه والمبرد أجازا أن تعطف المرفوع على المنصوب بأن بشرط أن تكون إن قد استكملت خبرها قبل العطف، ورويا هذا البيت بنصب قيار، ويخرج على مذهبهما فى رواية الرفع بأنه مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر إن الآتى بعده

(٢) روى له الأصمعى قصيدة لامية فى الأصمعيات (ص ٥٦) وسماه ضابىء بن الحارث بن أرطاة البرجمى

(٣) هكذا فى الأصول وكامل المبرد (١-٢٢٩) وفى حماسة البحترى (١١ بيروت) «فعلت فكان المعولات حلائله» وسيذكر المؤلف هذا البيت مرة أخرى فى شرح الشاهد (رقم ٦٣)

(٤) فى الكامل للمبرد «وقائلة لايبعدن ذلك الفتى»

ولا تقربنْ أمرَ الصَّريمةَ بامرئٍ إذا رَام أمراً عوَّقتْه عواذلُه(١)
فلا الفتْكُ ما أمّرتَ فيه ولا الذي تُحدِّث مَنْ لاقيتَ أنك قاتله
وما الفتك إلا لامرئ ذي حَفيظةٍ إذا همَّ لم تُرْعَدْ عليه مفاصِلهْ

ثم لما قتل عثمان رضى الله عنه، وثب عليه عمير المذكور فكسر ضلعين من أضلاعه، ثم إن الحجاج قتله كما سيأتى مشروحا فى شواهد الايجاز عند قوله « أنا ابن جلا » إن شاء الله تعالى .

وكان السبب فى حبس عثمان لضابئ أنه كان استعار من بعض بنى حنظلة كلبا يصيد به، فطالبوه به، فامتنع من إعطائه، فأخذوه منه قهراً، فغضب ورمى أمهم بالكلب وهجاهم بقوله [من الطويل] : (٢)

تجَشَّمَ نحوى وفدُ قُرحانَ شقةً تظَلّ به الوَجناء وهى حَسيرُ(٣)
فأردَفتهم كلباً فراحوا كأنما حَباهم بتاج الهُرمزانِ أميرُ
وقلّدتهم ما لو رميتُ مُتالِعاً به وَهْوَ مُغبر لكاد يَطير
فيا رَاكباً إما عرضتَ فبلغَنْ أمامةَ عنى والأمورُ تدورُ
فأمَّكمُ لاتتركُوها وكلبَكم فان عقوقَ الوالدين كَبير(٤)
فانك كلبٌ قد ضَريتَ بما ترى سَميع بما فوقَ الفراشِ بصير
إذا عبَقتْ من آخر الليل دُخنةٌ يَبيت له فوْقَ الفراش هَريرُ

فاستعدَوْا عليه أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه فحبسه، وقال : والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حياً لنزلت فيك آية، وما رأيت أحداً رمى قوماً بكلب قبلك .

---

(١) فى حماسة البحترى « فما القتل ما شاورت فيه ولا الذى * تخبر - إلخ »
(٢) أنشد هذه الأبيات ابن قتيبة فى الشعراء (٢٠٣)
(٣) فى الأصول « سربخا » مكان « شقة » وما أثبتناه موافق لما فى الشعراء
(٤) روى هذا البيت المبرد فى الكامل (١ - ٢٣٨)

وحدث أبو بكر بن عياش قال : كان عثمان رضى الله عنه يحبس فى الهجاء فهجا ضابئ قوماً فحبسه عثمان رضى الله عنه ، ثم استعرضه ، فأخذ سكيناً فجعلها فى أسفل نعله ، فأعلم عثمان بذلك فضربه ورده إلى الحبس .

***

من شواهد ترك المسند

٣٤ — نحنُ بما عِنْدَنا وأنتَ بما عِنْدَكَ راضٍ والرأى مُخْتَلِفُ

البيت لقيس بن الخطيم ، من قصيدة (١) من المنسرح ، أولها :

رَدَّ الخليطُ الجمالَ فانصرفوا ماذا عليهم لوأنّهم وَقَفوا

لو وقفوا ساعةً نُسائِلُهم رَيْثَ يُضحى جِمَاله السلَفُ

فيهم لَعوبٌ لَعْساءُ آنسةُ الـــدَّلِّ عَروبٌ يَسوءها الخلُفُ (٢)

بين شُكولِ النساء خِلقتُها قَصْدٌ فلا جَبْلة ولا قَضَفُ (٣)

تَنامُ عن كُبْرِ شأنها فاذا قامت رُوَيْدًا تكاد تنعطفُ (٤)

---

(١) قد خلط المؤلف فى هذه الأبيات بين ثلاث كلمات على هذا الروى : إحداها لمالك بن العجلان ، وثانيتها لدرهم بن زيد الأوسى ، وثالثتها لقيس بن الخطيم ، وهذه الكلمات قيلت فى حادث واحد وإن يكن قيس قال كلمته بعد الحادث بزمان ولم يكن حاضره ، فانظر الأغانى (٢ – ١٦٨) يظهر لك هذا الخلط وقد روى أبو زيد فى جمهرة أشعار العرب (ص ١٢٧) قصيدة فيها بيت الشاهد وكثير من الأبيات التى رواها المؤلف هاهنا ونسبها إلى عمرو بن امرىء القيس . وخمسة الأبيات الأولى من مطلع قصيدة فى ديوان قيس بن الخطيم برواية وشرح ابن السكيت (١٦) وهى الأول والثانى والثالث والرابع والسابع منها ، وفيها من الأبيات التى بعدها الثلاثة الأول منها على غير ترتيبها هنا ، وألحق ناشره من الأبيات الأخيرة بزيادات الديوان على نحو ما روى هنا

(٢) فى الأغانى « فيهم لعوب العشاء »

(٣) شكول النساء : ضروبها ، وفى الأصول « خلقها خدوا » محرفا ، وما أثبتناه من الأغانى والديوان واللسان ، والجبلة — بالمثلثة — الضخمة الغليظة ، وفى الأغانى « فلاجبلة » بالباء الموحدة — وهى الغليظة . والقضف : الدقة وقلة اللحم

(٤) حفظى « تكاد تنقصف » وفى الأغانى والديوان « تكاد تنفرف »

إلى أن قال منها أيضا :

أَبلِغْ بنى مَذْحِجٍ وقومَهمُ خَطيم أنا وَراءهم أُنُفُ (١)

إنا وإن قَلَّ نَصْرُنا لهم أكبادُنا من وَرائِهم تجِفُ (٢)

وإننا دون ما يَسومُهمُ الـ أعداءُ من ضيم خُطة نُكُفُ

الحافظو عَورَةَ العشيرة لا يأتيهم من ورائنا وَكَفُ

يامالِ والسيد المعَمَّم قد يَطرأ فى بعض رأيه السَّرَفُ

نحنُ المكيثونَ حيثُ يحمَدُ بالمُكثِ ونحن المصالتُ الأُنفُ

يا مال والحقُّ إنْ قنعت به فالحق فيه لأمرنا نَصَفُ

خالفتَ فى الرأى كلَّ ذى فَخرٍ والبَغْىُ يا مال غير ما تَصِفُ

إنّ بُجيراً مولًى لقومكم والحق نوفى به ونعترف (٣)

والرأى : الاعتقاد ، ويجمع على آراء وأرآء.

والشاهد فيه : ترك المسند — وهو راضون — فقوله « راض » خبر المبتدأ الثانى ، وخبر الأول محذوف ، على عكس البيت السابق.

ومثله قول الشاعر [من الطويل] :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريًّا ، ومن أجل الغوى رمانى

وقول المتنبى [من الكامل] :

قالت وقد رأت اصفرارى مَن به وتنهدت ، فأجبتها المتنهد

---

(١) فى الأغانى « بنى جحجبى وإخوتهم زيد » وفى الخزانة (٢-١٩٢) « أبلغ بنى جحجبى وقومهم خطمة » وكذلك هو فى الديوان

(٢) صدر هذا البيت فى الديوان * إنا ولو قدموا التى علموا *

(٣) فى الأغانى « إن بجيرا عبد لخذ ثمنا » وفيه فى عجزه « يوفى به ويعترف » على البناء للمجهول ، والبيت فيه من كلمة درهم بن زيد

أي : المتنهد هو المطالب به .

ترجمة قيس بن الخطيم

وقيس بن الخطيم [١] بالخاء المعجمة شاعر جاهلي ، وابنه ثابت رضى الله عنه مذكور في الصحابة رضى الله عنهم ، وشهد مع علي كرم الله وجهه صفين والجمل والنهروان .

وقيس هذا قتل أبوه وهو صغير ، فلما بَلَغَ قتل قاتل أبيه ، ونشأت بسبب ذلك حروب بين قومه و بين الخزرج ، في خبر يطول ذكره .

وكان قيسُ بن الخطيم مقرونَ الحاجبين ، أدعج العينين ، أحمر الشفتين ، برّاق الثنايا كأن بينها برقاً ، ما رأته حليلة رجلٍ قط إلا ذهب عقلها .

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه للخنساء : اهجى قيسَ بن الخطيم ، فقالت : لا أهجو أحداً حتى أراه ، فجاءته يوماً فرأته في مَشْرُبة ملتفاً بكساء له فنخسته برجلها ، وقالت : قم ، فقام ، فقالت : أقبل ، فأقبل ، ثم قالت : أدبر ، فأدبر ، ثم قالت : أقبل ، فأقبل ، قال : والله لكأنها والية تعترض عبداً تشتريه ، ثم عاد إلى حاله نائماً ، فولت ، وقالت : والله لا أهجو هذا أبداً .

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه : قدم النابغة السوق ، فنزل عن راحلته ثم جثا على ركبتيه واعتمد على عصاه ، ثم أنشأ يقول [من الوافر] :

عرَفتُ منازلا بعُريتنات ... فأعلى الجزعِ للحىّ المُبِنّ [٢]

فقلتُ : هلك الشيخ ، ورأيته تبع قافية منكرة ، قال : ويقال : إنه

---

(١) اقرأ ترجمة قيس بن الخطيم في الأغاني (٢ - ١٥٩)

(٢) وقع في الأصول « بعر نتنات » محرفا ، ووقع فيها « للحي المبين » محرفا أيضا ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني (٢ - ١٦٢) وديوان النابغة ، وعريتنات : موضع ، والمبن : المقيم ، وفعله أبن على مثال أكرم ، والبيت مطلع قصيدة رواها الطوسى ولم يروها الأصمعي في شعر النابغة

قالها فى موضعه ، فما زال ينشد حتى أتى على آخرها ، ثم قال : ألا رجل ينشد؟ فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشد [من الطويل] :

* أتعرِفُ رسماً كاطِّرادِ المذاهبِ(١) *

حتى فرغ منها ، فقال له : أنت أشعر النـاس يا ابن أخى ؟ قال حسان رضى الله عنـه : فدخلنى منه من ذلك ، وإنى مع ذلك لأجِدُ القوة فى نفسى عليهما ، ثم تقدمت فجلست بين يديه ، فقال : أنشد ، فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلم ، قال : وكان يعرفنى قبـل ذلك ، فأنشـدته ، فقال : أنت أشعر الناس .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنـه ، قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس ليس فيه إلا خزرجىّ ، فاستنشدهم صلى الله عليه وسلم قصيدةَ قيسِ بن الخطيم ، وهى :

أتعرفُ رسماً كاطراد المذاهبِ لِعَمْرَةَ وحشاً غيرَ موقف راكبِ

فأنشده بعضهم إياها ، فلما وصل إلى قوله منها :

أجالِدُهمْ يوم الحديقـةِ حاسراً كأنَّ يدى بالسيفِ مِخْرَاقُ لاعبِ

فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل كان كما ذكر ؟ فشهد ثابت بن قيس بن شماس ، وقال : والذى بعثك بالحق يا رسول الله لقد خرج إلينا يوم سابع عرْسه ، عليه غِلالة وملحفة مُوَرَّسـة(٢) فجالدَنا كما ذكر هذا فى هذه الرواية .

وهذه القصيدة من غرر القصائد ، وبيتها هو قوله :

(١) هكذا ورد فى الأصول موافقا لما فى الأغانى والديوان (١٠) وروى أبوزيد هذه القصيدة فى جمهرة أشعار العرب (١٢٣) وفيه «كالطراز المذهب»
(٢) مورسة : مصبوغة بالورس ، وهو الزعفران

تبدّتْ لنا كالشمس تحتَ غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنّتْ بحاجبِ

وعن المفضل : أن حرب الأوس والخزرج لما هدأت تذكرت الخزرج قيسَ بن الخطيم ونكايته فيهم فتآمروا وتواعدوا على قتله ، فخرج عشية من منزله فى مُلاءتين(١) يريد مالا له بالشوط — قلت : وهو حائط عند جبل أحد — فلما مر بأطم بنى حارثة رُمى من الأطم بثلاثة أسهم ، فوقع أحدها فى صدره ، فصاح صيحة سمعها رهطه ، فجاؤه فحملوه إلى منزله ، فلم يروا له كفوًا إلا أبا صَعْصَعَةَ يزيد بن عوف بن مبذول(٢) النّجّارى ، فاندسَّ إليه رجل حتى اغتاله فى منزله ، فقتله بأن ضرب عنقه ، واحتمل رأسه ، وأتى به قيسا ، وهو بآخر رَمَق ، فألقاه بين يديه ، وقال : يا قيسُ ، قد أدركت بثأرك ، فقال : عضضت بأير أبيك إن كان غير أبى صعصعة ، قال : هو أبو صعصعة ، وأراهُ الرأسَ ، فلم يلبث قيسٌ بعد ذلك أن مات ، وكان موته على كفره قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة المنورَة .

ومن شعره من قصيدة(٣) [من الوافر] :

ومَا بعضُ الاقَامةِ فى ديارٍ يُهَانُ بهَا الفتى إلا عناءُ
وبعضُ خلائقِ الأقوامِ داءٌ كداء الموت ليسَ له دواء
يريد المرء أن يُعطَى مُناهُ ويأبى الله إلا ما يشاء
وكلَّ شديدة نزلتْ بقومٍ سيأتى بعد شِدّتها رخاء
ولا يُعطى الحريص غنًى بحِرْصٍ وقَدْ ينمى على الجود الثراء

(١) فى الأصول «بين ملاءتين» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى
(٢) فى الأغانى «يزيد بن عوف بن مدرك النجارى»
(٣) ليست هذه الأبيات فى الديوان ، وألحق ناشره به ثلاثة أبيات منها تاسع هذه الأبيات فسابعها

غَناء النفسِ مَا عمرتْ غِناهُ وفقرُ النفس ما عُمرَتْ شقاه
وليس بِنافع ذا البخل مالٌ ولاَ مُزْرٍ بِصاحبه السخاء
وبعضُ القول ليسَ لهُ عَناجٌ كَمَخضِ المـاء ليس له إتاه (١)
وبعضُ الداء مُلْتمَسٌ شِفاهُ وداء النَّوْكِ ليس له دواء

***

شاهد حذف المسند

٣٥ – * إنَّ محلاً وإنَّ مُرْتحلاً *

قائله الأعشى الأكبر، من قصيدة من المنسرح (٢) يمدح بها سَلامَةَ ذا فايش، واسمه: سلامة بن يزيد اليحصبي، وكان يظهر للناس فى العام مرّة مبرقعا (٣)

حـدث سماك بن حرب قال: قال الأعشى: أتيتُ سـلامة ذا فايش، فأطلت المقام ببابه حتى وصلت إليه بعد مدة طويلة، فأنشدته:

إنَّ محـلا وإنَّ مرتحـلا وإن فى شِعرٍ مَنْ مضى مَثَلاَ (٤)

---

(١) فى المطبوعتين «ليس له عياج» وأثبتنا ما أنشده فى اللسان عن الليث ويقال: ليس لهذا القول عناج، والمراد أنه أرسل على غير روية، ويقال: ليس لعهد هؤلاء القوم عناج، والمعنى أنه لاوفاء لعهدهم، والأصل فى هـذا عناج الدلو – بكسر العين – وهو عروة تجعـل فى أسفل الدلو من باطن تشد بوثاق إلى أعلى الـكرب فاذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع فى البئر وفى اللسان مرة «كسيل الماء» ومرة كما هنا، والمراد بالاتاء الزبد

(٢) انظرها فى ديوان الأعشى (ص ١٥٥ طبع بيانه)

(٣) فى شرح ديوان الأعشى لثعلب «وكان يظهر لقـومه فى كل سنـة مترفعا» وأحسبه محرفا عما هنا

(٤) رواية سيبويه «وإن فى السفر إذ مضـوا مهـلا» ورواية الديوان «وإن فى السفر إذ مضى مهلا»

استأثرَ اللهُ بالوفاء وبالعـدلِ وأوْلَى الملامةَ الرجلا(١)

والأرضُ حمالةٌ لما حملَ اللـهُ وما إنْ يُردُّ ما فعلا(٢)

يوماً تراهَا كشبه أرديةِ الـعَصْبِ ويوماً أديمُهَا نَغِلا(٣)

الشعرُ قلدتُهُ سلامةَ ذَا فايشَ والشيء حيثما جُعلا(٤)

فقال : صدقت الشيء حيثما جعل ، وأمر لى بمائة من الابل ، وكسانى حللا ، وأعطانى كرشا مدبوغة مملوءة عنبراً ، وقال لى : إياك أن تخدع عما فيها ، قال : فأتيتُ الحيرة فبعتها بثلثمائة ناقة حمراء .

والمحل - بفتح الحاء المهملة : المنزل(٥) ، والمرتحل - بالفتح أيضا : المكان المرتحل عنه .

والشاهد فيه : حذف المسند الذى هو هنا ظرف .

والمعنى : إن لنا فى الدنيا حلولا ، ولنا عنها إلى الآخرة ارتحالا .

وقد اختلف فى حذف خبر إن ، فأجازه سيبويه إذا عُلم ، سواء كان الاسم معرفة أو نكرة ، وهو الصحيح ، وأجازه الكوفيون إن كان الاسم نكرة . وقال الفراء : لا يجوز ، معرفة كان أو نكرة ، إلا إذا كان بالتكرير كهذا البيت .

---

(١) فى الديوان « وولى الملامة »

(٢) فى الديوان «وما إن ترد »

(٣) فى الديوان «أردية الخمس» وذكر فى شرحه عن أبى عبيدة «القصب»

(٤) بين هذا البيت والذى قبله فى الديوان ثلاثة عشر بيتا ، ورواية هذا البيت هناك :

قلدتك الشعر ياسلامة ذا التـفضال والشيء حيثما جعلا

(٥) لا يتفق هذا مع ما يذكره فى بيان معنى البيت ، والصواب أن المحل مصدر ميمى بمعنى الحلول والمرتحل مصدر بمعنى الارتحال

ترجمة الأعشى ميمون

والأعشى (١) اسمه ميمون بن قيس بن جَنْدَل بن شراحيل ، ينتهى نسبه لنزار ، وكان يقال لأبيه قتيل الجوع ، سمى بذلك لأنه دخل غاراً ليستظل فيه من الحر ، فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعاً . وفيه يقول جهنام ، واسمه عمرو ، وكان يتهاجى هو والأعشى [من الطويل] :

أبوكَ قتيلُ الجوعِ قيسُ بنُ جَنْدَلٍ   وخالك عبدٌ من خماعة راضعُ

وكان الأعشى يكنى أبا بَصِيرٍ ، وهو : أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولها .

وسئل يونس (٢) النحوى : من أشعر الناس ؟ فقال : لا أومىء إلى رجل بعينه ، ولكنى أقول : امرؤ القيس إذا ركب (٣) ، والنابغة إذا رَهِبَ ، وزهير إذا رغبَ ، والأعشى إذا طرب .

وقال أبو عبيدة : من قَدَّمَ الأعشى احتج بكثرة طِواله الجياد ، وتصرفه فى المديح والهجاء ، وسائر فنون الشعر ، وليس ذلك لغيره ، ويقول (٤) : هو أول من سأل بشعره ، وانتجع به أقاصى البلاد ، وكان يغنى بشعره ، فكانت العرب تسميه صَنَّاجَةَ العرب (٥) .

---

(١) تجد ترجمة الأعشى ميمون فى الأغانى (٨ - ٧٧) وفى الشعراء لابن قتيبة (١٣٥) وخزانة الأدب (١ - ٨٣)

(٢) يونس بن حبيب شيخ سيبويه

(٣) « فى الأغانى « امرؤ القيس إذا غضب » والمحفوظ هو ما هنا . ويراد بهذا الكلام أن امرأ القيس أجود الشعراء شعرا فى وصف الخيل والصيد ، وأن النابغة أشعرهم فى الاعتذار ، وأن زهيرا أجودهم شعرا فى المديح ، وأن الأعشى أشعرهم في وصف الخمر

(٤) فى الأغانى « ويقال »

(٥) فى اللسان : « وكان أعشى بكر يسمى صناجة العرب لجودة شعره » =

وحدث يحيى بن سليم الكاتب قال: بعثنى أبو جعفر المنصور بالكوفة إلى حماد الراوية أسأله مَنْ أشعر الناس؟ قال: فأتيت حماداً، فاستأذنت وقلت: ياغلام، فأجابنى إنسان من أقصى بيتٍ فى الدار، فقال: من أنت؟ فقلت: يحيى ابن سليم رسول أمير المؤمنين، فقال: ادخل رحمك الله، فدخلت أتسمَّتُ الصوت حتى وقفت على باب البيت، فاذا حماد عريان وعلى سوءتيه شاهشفرم[(١)] - قلت: وهو الريحان — فقلت له: إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس، قال: نعم ذلك الأعشى صنَّاجها.

وحدث رجل من أهل البصرة أنه حجَّ فقال: إنى لأسير فى ليلة أضحيانة إذ نظرت إلى رجل شاب راكب على ظليم[(٢)] قد زمَّه وخطمه[(٣)]، وهو يذهب عليه ويجيء، قال: وهو مع ذلك يرتجز ويقول [من الرجز]:

هل يُبْلِغَنِّيهم إلى الصَّباحْ   هِقلٌ[(٤)] كأن رأسهُ جُمّاح

فعلمت أنه ليس بإنسى، فاستوحشت منه، فتردد على ذاهباً وراجعاً حتى أنست به، فقلت: من أشعر الناس؟ قال: الذى يقول[(٥)] [من الطويل]:

= اه، وذلك مأخوذ من الصنج — بفتح الصاد وسكون النون — وهو آلة من آلات اللهو ذات قطعتين تتخذان من صفر تضرب إحداهما بالأخرى

(١) فى الأغانى (على فرجه دستجة شاهسفره»

(٢) الظليم: ذكر النعام

(٣) فى الأغانى «قد زمه بخطامه»

(٤) البيت فى اللسان (ج م ح) وفيه «هيق» مكان «هقل» والهقل - بكسر الهاء وسكون القاف - الفتى من النعام، وقيل: هو الظليم، والجماح بضم الجيم وتشديد الميم — سهم صغير بلا نصل، مدور الرأس، يتعلم به الصبيان الرمى. ويقال له جباح أيضا. والهيق — بفتح الهاء — الظليم أيضا سمى بذلك لطوله

(٥) البيت لامرىء القيس بن حجر، من قصيدته المعلقة

وما ذَرفَتْ عيناكِ إلا لتضربى بِسَهمَيْكِ فى أعشارِ قلبٍ مقتلِ

فقلت : ومن هو ؟ قال : امرؤ القيس ، قلت : ومن الثانى ؟ قال : الذى يقول [من الرمل] :

تَطرُدُ القرَّ بحرٍّ ساخنٍ وعَكِيكَ القيْظِ إن جاء بِقُرّ (١)

قلت : ومن يقوله ؟ قال [طَرَفَة ، قلت : ومن الثالث ؟ قال الذى يقول [من المتقارب] :

وَتبْرُدُ بَرْدَ رداء العرو س بالصيف رَقْرَقْتَ فيه العَبيرا

قلت : ومَنْ يقوله ؟ قال](٢) : الأعشى ، ثم ذهب .

وقال الشعبى رحمه الله : الأعشى أغزل الناس فى بيت واحد ، وأخنث الناس فى بيت واحد ، وأشجع الناس فى بيت واحد : فأما أغزل بيت فقوله [من البسيط] :

غرّاء فَرعاء مصقولٌ عوارضها تَمشى الهُوينا كما يمشى الوجى الوَجل (٣)

وأما أخنث بيت فقوله [من البسيط]:

قالت هُريرة لما جئتُ زائِرها ويلى عليكَ وويلى منك يارَجُلُ

وأما أشجع بيت فقوله [من البسيط] :

قالوا الطِّرادُ فقلنا تلك عادَتُنا أو تَنزلونَ فانا مَعْشر نُزُلُ

---

(١) القيظ : شدة الحر ، ويقال : حر عكيك ، أى شديد ، والبيت فى اللسان (ع ك ك) منسوبا إلى طرفة بن العبد

(٢) هذه الزيادة من الأغانى الذى نقل عنه المؤلف هنا كل ما ذكره عن الأعشى ، ولا يستقيم الكلام إلا بهذه الزيادة

(٣) فى شرح القصائد العشر للتبريزى « كما يمشى الوجي الوحل » بالحاء المهملة فى « الوحل » وقال التبريزى فى شرحه « والوجى : الذى يشتكى حافره ولم يحف وهو — على ذلك — وحل فهو أشد عليه » اه .

وهذه الأبيات من قصيدة للأعشى طنانة مطلعها :

وَدِّعْ هريرةَ إن الرَّكب مُرتحلُ وهل تُطيقُ وداعاً أيها الرَّجلُ

وقد ذكرت بها ما أنشده السراج الوراق (١) مداعباً لشخص يدعى النجم وكان اشترى جارية اسمها زبيدة من سيد لها جميل الوجه يسمى فخر الدين بن عثمان ، فحملت سيدها النجم على أن أزارها بيت سيدها الأول [من البسيط] :

ذَابتْ زُبَيدةُ من شَوقٍ لسيّدها عثمانَ والنّجم بالنيرانِ مشتعلُ
وما تُلام ونيلُ الفخرِ يُعجبها وبالزيارة لم يبرح لها شُغُلُ
فقلْ لطائرِ عقلٍ قد أتاهُ بها ويلى عليك وويلى منك يا رجل
لوكنتَ ياسطْلُ ذا أذنٍ تُصيخ إلى عذْلٍ عذلتُك لو يجدى لك العذَلُ
تَقود ظبيـة آرام إلى أسَدٍ لو التقى لَمضَتْ أنيابهُ العُصلُ
ومن يرى ذلك الوجهَ الجميلَ ولا يَوَدُّ من قُبحكَ المشهور ينفصلُ
هذى بُثينةُ والمجنون قائدُها إلى جميلٍ أجاد المح ياجمـل
وهبهُ عفَّ أما تبقى محاسنها فى قلبه يالـكاع الوقت يازُحَل
أفٍّ لعقلكَ يامتبوعُ إنك ذو رأس خفيفٍ وذاك الطودُ والجبل
والويلُ ويلك إن ذاقتْ عُسيلته وبات يجتمعان الزبدُ والعَسلُ
لأنشدنك إن ودعتها سفهاً ودِّع هريرة إن الركب مرتحل
وإن يكن ذاك أعشى كُنتَ أنت إذاً أعمى فلا اتّضحت يوماً لك السُّبُلُ

رجع إلى أخبار الأعشى :

قدم الأخطل الكوفة ، فأتاه الشعبي يسمع من شعره ، قال : فوجدته يتغدى

---

(١) لسراج الدين الوراق ترجمة فى فوات الوفيات (٢-١٤٥) وصف فيها ديوان شعره بأنه فى سبعة أجزاء كبار ضخمة .

فدعانى إلى الغداء فأبيت ، فقال : ما حاجتك ؟ قلت : أحب أن أسمع من شعرك فأنشدنى [من الكامل] :

* صرمت أُمامة حبلها ورعوم * (١) .

فلما انتهى إلى قوله :

وإذا تعاوَرت الأكُفُّ ختامَها نفحت فنالَ رياحَها المزكومُ (٢)

قال لى : ياشعبى ، ناكَ الأخطلُ أمهاتِ الشعراء بهذا البيت ، فقلت : الأعشى فى هذا أشعر منك يا أبا مالك ، قال : وكيف ؟ قلت : لأنه قال [من الكامل] :

من خَمْرِ عانةَ قد أتى لختامِهِ حَوْلٌ تَسُلُّ غمامةَ المزكومِ (٣)

فقال ، وضرب بالكأس الأرضَ : هو والمسيح أشعر منى ، ناك والله أمهات الشعراء إلا أنا .

وحدث هشام بن القاسم الغزى (٤) ، وكان علامة بأمر الأعشى ، أنه وفد

---

(١) هذا صدر مطلع قصيدة للأخطل (الديوان — ٨٢) وعجزه قوله :

* وبدا المجمجم منهما المكتوم *

ويروى الصدر :

* صرمت حبالك زينب ورعوم *

و « رعوم » ـ بالراء المهملة ـ كما فى الديوان ، ويروى بالزاى — وهو اسم امرأة .

(٢) أنشد فى الأغانى هذا البيت :

فاذا تعاورت الأكف زجاجها نفحت فشم رياحها المزكوم

وكذلك هو فى الديوان . وقد أخذ ابن الفارض معنى هذا البيت فى قوله :

ولو عبقت فى الشرق أنفاس طيبها وفى الغرب مزكوم لعاد له الشم

(٣) فى الأغانى وشرح ديوان الأخطل « قد أتى لختامها » والبيت ثانى بيتين فى فائت شعر الأعشى (٢٥٨).

(٤) فى الأغانى « هشام بن القاسم الغنوى » .

إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد مدحه بقصيدته التي أولها [من الطويل] :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عيناك ليلةَ أرمدا ... وعادَك ما عادَ السليمَ المسهَّدا

وما ذاكَ من عِشق النساءِ وإنما ... تَناسيت قبلَ اليوم خُلَّةَ مَهْدَدا

وفيها أيضا يقول لناقته :

فآليتُ لا أرثى لها من كلالةٍ ... ولا من حَفًى حتى تزورَ محمدا

نَبِيٌّ يرى ما لا تَرَوْن وذكرُه ... أغارَ لعمرى فى البلاد وأنجدَا

متى ما تُناخى عندباب ابن هاشم ... تُراحِي وتَلْقَىْ من فواضِلِهِ نَدَى(١)

فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه ، وقالوا : هذا صناجة العرب ، ما يمدح أحدا قط إلا رفع من قدره (٢) فلما ورد عليهم قالوا : أين أردت يا أبا بصير ؟ قال : أردت صاحبكم هذا لأسلم على يديه ، قالوا : إنه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك ، وكلها بك رافق (٣) ولك موافق ، قال : وما هن ؟ قال أبو سفيان بن حرب : الزنى ، قال : لقد تركني الزنى وما تركته ، قال : ثم ماذا ؟ قال : القمار ، قال : لعلى إن لقيته أصبت منه عوضاً من القمار ، قال : ثم ماذا ؟ قال : الربا ، قال : ما دِنْتُ وما أدَنْتُ قط ، قال : ثم ماذا ؟ قال : الخمر ، قال : أوه أرجع إلى صُبَابة بقيت لى فى المهراس فأشربها ، فقال له أبو سفيان : فهل لك فى شيء خير لك مما هممت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن وهو الآن فى هُدْنة ، فتأخذ مائة من الابل وترجع إلى بلدك سنتَكَ هذه حتى تنظر ما يصير إليه أمرنا ، فان ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً ، وإن ظهر علينا أتيته ، قال : ما أكره ذاك ، قال :

(١) رواية الأغانى « تراحي وتلقى من فواضله يدا » ورواية الديوان (١٠٣) « تريحى وتلقى » .

(٢) فى الأغانى « إلا رفع فى قدره »

(٣) فى الأغانى « وكلها بك رفق » .

أبو سفيان : يا معشر قريش ، هذا الأعشى ، فوالله لئن أتى محمدا واتبعه ليضرِمَنَّ عليكم نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الابل ، ففعلوا ، فأخذها وانطلق إلى بلده ، فلما كان بقاع منفوحة رماه بعيره فقتله .

وحدث محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة قال : قبر الأعشى بمنفوحة وأنا رأيته ، فاذا أراد الفتيان أن يشربوا خرجوا إلى قبره فشربوا عنده وصبُّوا عليه فضلات الأقداح ، انتهى والله أعلم .

***

شاهد حذف المسند لوقوع الكلام بعد استفهام

٣٦ — * لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ *

قائله ضِرار بن نَهْشَل (١) يرثي أخاه يزيد ، من قصيدة من الطويل ، أولها :

لَعمرِي لَئِنْ أمْسى يَزِيدُ بْنُ نَهْشَلٍ حَشا جَدَثٍ تَسفي عَلَيهِ الرَّوائِحُ

لَقَدْ كانَ مِمنْ يَبسُطُ الكَفَّ بِالنَّدى إذا ضَنَّ بِالخيرِ الأكفُّ الشَّحائِحُ

فَبعدكَ أبْدَى ذُو الضَّغِينةِ ضِغنهُ وسدَّ على الطَّرفَ العيونُ الكواشحُ (٢)

ذَكَرتُ الذِي ماتَ النَّدَى عِندَ مَوْتهِ بِعافيةٍ إذْ صالحُ القومِ صالحُ (٣)

---

(١) نسبت بعض هـذه الأبيات إلى الحارث بن نهيك ، وإلى لبيد بن ربيعة ، وإلى مزرد بن ضرار ، وإلى الحارث بن ضرار ، وإلى نهشل بن حرى ، وانظر شرحنا على الأشموني (٢ — ١٥٥)

وستة الأبيات الأولى فى الخزانة (١ — ١٥٠) بترتيبها هنا ، وهناك سابع غير سابع هذه الأبيات ونسبه إلى نهشل به حرى

(٢) فى الخزانة « وسد » بدال واحدة ، وفى مطبوعتى هذا الكتاب « وشد » بالشين معجمة ، وما أثبتناه أدق ، وهو رواية ذكرها صاحب الخزانة .

(٣) فى الخزانة « بعاقبة إذ صالح العيش طالح »

إذا أرَقِى أفْنَى مِنَ اللَّيلِ ما مَضَى ... تَمَطَّى بهِ ثِنْىٌ مِنَ اللَّيلِ رَاجح[(١)]
لِيبكَ يَزيدُ ضَارعٌ لخصومةٍ ... ومُختبطٌ مما تُطيحُ الطَّوائحُ
عَرَى بعد ما جَفَّ الثَّرَى عَنْ نِقابهِ ... بِعصماء تَدْرى كَيفَ تَمشى المنائحُ

والضارع : الخاضع المستكن [(٢)] من الضراعة وهى الخضوع والتذلل، والجار والمجرور متعلق بضارع ، وإن لم يعتمد على شيء لأن الجار والمجرور تكفيه رائحة الفعل [(٣)] أى يبكيه من يذل لأجل خصومة لأنه كان ملجأ وظهيراً للأذلاء والضعفاء ، وتعليقه بيبكى ليس بقوى . والمختبط : الذى يأتيك للمعروف من غير وسيلة ، وأصله من الخبط ، وهو ضرب الشجر ليسقط ورقها للابل . والطوائح : جمع مطيحة [(٤)] وهى القواذف [(٥)] على غير قياس كلوا قح جمع مُلْقِحة ، يقال : طوحته الطوائح : أى نزلت به المهالك ، ولا يقال المطوحات وهو نادر .

والشاهد فيه : وقوع الكلام جوابا لسؤال مقدر مشتمل على المسند ، وعدل عن بنائه للمفعول لتكرير الاسناد إجمالا وتفصيلا ، إذ هو أوكد وأقوى فى النفس ، والله أعلم .

---

(١) فى الخزانة « إذا أرق » بدون ياء المتكلم

(٢) هكذا فى المطبوعتين ، وأحسبه « المستكين »

(٣) إنما يشترط اعتماد اسم الفاعل على نفي أو استفهام عند جمهور النحاة لأجل نصبه المفعول به ، أما رفعه الفاعل وتعليق الجار والمجرور والظرف به فلا يشترط له شيء من ذلك باجماع النحاة ، وهذا ما يشير إليه المؤلف

(٤) هذا قول أبى على الفارسى . ونقل ابن خلف عن الأصمعي أنه يقال : طاح الشيء ، وطاحه غيره ، وعلى هذا يكون الطوائح جمع طائحة من المتعدى ويكون الوصف والجمع جاريين على القياس ولا شذوذ فيهما .

(٥) فى المطبوعتين « وهى القواذق »

شاهد مجيء المسند فعلا ليفيد التجدد

٣٧ – أَوَ كلما وَرَدَتْ عُكاظَ قبيلةٌ بعثوا إلىَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

البيت لطريف بن تميم العنبرى(١) من أبيات من الكامل ، وبعده :

فَتَوَسَّمونى إننى أنا ذَلِكُمْ شَاكِى سلاَحى فى الحوادثِ مُعْلَمُ
تحتى الأَغَرُّ وَفوقَ جلدِى نَثْرَةٌ زَغفٌ تَرُدُّ السيفَ وَهوَ مُثَلَّمُ(٢)
حَوْلى أُسَيِّدُ والهجيمُ وَمازنٌ وَإذا حلَلتُ فَحَوْلَ بَيْتِى خَضَّمُ(٣)

وعكاظ : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلالَ ذى القعدة وتستمر عشرين يوما تجتمع فيها قبائل العرب ، فيتعا كظون : أى يتفاخرون ويتناشدون ، ومنه الأديم العُكَاظىّ . والقبيلة : بنو أب واحد ، والعريف : رئيس القوم ، لأنه عرف بذلك ، أو النقيب وهو دون الرئيس ، والتوسم : التخيل والتفرس .

والمعنى : إن لى على كل قبيلة جناية ، فمتى وردوا عكاظ طلبنى التيم بأمرهم . وكانت فرسان العرب إذا كان أيام عكاظ فى الشهر الحرام وأَمِنَ بعضُهم

---

(١) سماه فى اللسان عن ابن برى (خ ض م) طريف بن مالك العنبرى وقال مرة أخرى (ع رف) : « وقال طريف بن مالك العنبرى ، وقيل: طريف ابن عمرو * أوكلما وردت عكاظ ... البيت » وقد روى الأصمعى هذه الأبيات الأربعة وزاد خامسا (أنظر الأصمعيات ٦٧) .

(٢) الأغر : اسم فرس له ، والنثرة : الدرع ، وزغف : لينة واسعة محكمة، أو دقيقة حسنة السلاسل .

(٣) يروى صدر هذا البيت :

* حولى فوارس من أسيد شجعة *

ويروى فى عجزه « وإذا غضبت » كما يروى « وإذا نزلت » ويروى البيت

حولى فوارس من أسيد جمة وبنى الهجيم وحول بيتى خضم

وانظر لسان العرب (خ ض م) .

بعضا تقنعوا ، حتى لا يعرفوا ، وذكر عن طريف هذا ـ وكان من الشجعان ـ أنه كان لا يتقنع كما يتقنعون ، فوافى عكاظ سنةً ، وقد حشدت بكر بن وائل ، وكان طريف هذا قبل ذلك قد قتل شراحيل الشيبانى ، فقال حصيصة[1] بن شراحيل : أرونى طريفا ، فأروه إياه ، فجعل كلما مر به طريف تأمله ونظر إليه ، حتى فطن له طريف ، فقال له : مالك تنظر إلى مرة بعد مرة ؟ فقال : أتوسمك لأعرفك فلله على لئن لقيتك فى حرب لأقتلنك أو لتقتلنى ، فقال طريف عند ذلك الأبيات المارة

والشاهد فيه : مجىء المسند فعلا ليفيد حدوث التجدد حالا بعد حال ، وهو هنا « يتوسم » أى يتفرس الوجوه ويتصفحها ، يحدث منه ذلك شيئا فشيئا ولحظة فلحظة .

مقتل طريف العنبرى

ثم إن بنى عائذة حلفاء بنى ربيعة من ذهل بن شيبان ، خرج منها رجلان يصيدانِ ، فعرض لهما رجل من بنى شيبان فذَعَر عليهما صيدهما ، فوثبا عليه فقتلاه فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما ، فأبت بنو ربيعة عليهم ذلك فقال هانىء بن مسعود ـ وهو رئيسهم ـ : يابنى ربيعة ، إن إخوانكم قد أرادوا ظلمكم فانحازوا عنهم ، ففارقوهم ، فساروا حتى نزلوا بمبايض[2] ماء لهم ، فأَبَقَ عبد لرجل من بنى ربيعة وسار إلى بلاد تميم فأخبرهم أن حيا جريدا من بنى بكر بن وائل نزل على مبايض وهم بنو ربيعة ، والحى الجريد : المنتقى من قومه ، فقال طريف بن

---

(١) فى معجم البكرى « حمصيصة » بزيادة ميم بعد الحاء .

(٢) مبايض : ماء من مياه بنى تميم ، وانظر حديثه فى كامل ابن الأثير (١ ـ ٣٦٨) وفى العقد الفريد وفى معجم البكرى ومعجم ياقوت وكان فى الأصول « منابض » محرفة عما ذكرناه ، قال ياقوت فى ترجمة « مبايض » ما نصه « مبايض بالضم وآخره معجمة : موضع كان فيه يوم للعرب قتل فيه طريف بن تميم فارس بنى تميم ، قتله حمصيصة بن جندل ، وقتل فيه أبو جدعاء الطهوى وكان من فرسان تميم » اه

العنبرى : هؤلاء ثأرى يا آل تميم ، إنما هم أكلة رأس ، وأقبل فى بنى عمرو بن تميم فأنذرت بهم بنو ربيعة ، فانحاز بهم هانىء بن مسعود رئيسهم إلى علم مبايض ، وأقاموا عليه وسرحوا بالأموال والسرح وصبحتهم تميم ، فقال لهم طريف: افرغوا من هؤلاء الأكاب يصفُ لكم ما وراءهم ، فقال له بعض رؤساء قومه : أنقاتل أكلبا أحرزوا أنفسهم ونترك أموالهم ؟ ما هذا برأى ، وأبوا عليه ، وقال هانىء لأصحابه : لا يقاتل رجل منكم ، فلحقت تميم بالنَّعم والعيال فأغاروا عليهما ، فلما ملأوا أيديهم من الغنيمة ، قال هانىء لأصحابه : احملوا عليهم ، فهزموهم ، وقتل يومئذ طريف بن العنبرى ، قتله حصيصة الشيبانى بن شراحيل ، وقال فى ذلك (١)

وَلقدْ دَعوتَ طَرِيفُ دَعوةَ جاهلٍ ... سَفَهاً وَأنتَ بمَعلمٍ قدْ تَعلم
وَأتيتَ حيًّا فى الحروبِ مَحلهمْ ... وَالجيشُ باسمِ أبيهمُ يُستهزمُ (٢)
فوجدتَ قوماً يمنعونَ ذِمارهمْ ... بُسلاً إذَا هابَ الفوارسُ أقدموا
وإذا دَعوْا ببنى رَبيعةَ شمرُوا ... بكتائبٍ دُونَ النِّساءِ تَلَمْلَمُ (٣)
حَشدُوا عليك وَعجلوا بقراهمُ ... وَحموْا ذِمارَ أبيهمُ أنْ يُشتموا
سلبوكَ دِرعكَ وَالأغرَّ كليهما ... وَبنُو أُسَيِّدٍ أسلموكَ وخضَّمُ

* * *

---

(١) نسبها الأصمعى فى الأصمعيات (٦٨) إلى عمرو بن حي التغلبى ورواها خمسة أبيات تتفق فى أربعة من هذه الستة .

(٢) فى الأصمعيات « ولقيت حيا فى الحروب »

(٣) فى الأصمعيات « وإذا دعوا بأبى ربيعة » وفى أصول هذا الكتاب « دور السماء تلملم » وهو محرف عما أثبتناه موافقا لما فى الأصمعيات وأصل تلملم تتلملم فحذف إحدى التاءين تخفيفا

شاهد مجيء المسند اسماً ليفيد الثبوت

٣٨ – لا يألَفُ الدِّرْهَمُ المضْرُوبُ صُرَّتَنَا
لٰكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهْوَ مُنْطَلِقُ

البيت للنضر بن جؤيَّة [أوجؤية][1] بن النضر، من أبيات من البسيط، وقبله:

قالتْ طَرِيفَةُ ما تبقى دَرَاهِمنا … وَما بِنا سَرَفٌ فِيها ولا خُرُقُ
إنا إذا اجتمعتْ يَوْماً دَرَاهِمنا … ظَلَّتْ إلى طُرُقِ المعروفِ تَستبقُ

و بعدهما البيت، و بعده:

حتى يَصيرَ إلى نَذْلٍ يُخلِّدُهُ … يَكادُ مِنْ صَرِّهِ إيَّاهُ يَنمزقُ

ونسبه صاحب المغرب لملك إفريقية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي

والشاهد فيه: مجيء المسند اسماً لافادة الثبوت والدوام لا التقييد والتجدد، يعني أن الانطلاق[2] ثابت له من غير اعتبار تجدد.

وفي معنى البيت قول المتنبي[3] [من البسيط]:

وكلَّما لقيَ الدينارُ صاحبَهُ … في مِلْكِهِ افترقا من قبلِ يصطحبا
مالٌ كأنَّ غرابَ البينِ يرقبهُ … فكلما قيلَ هذا مجتدٍ نعبا

وما أحسن قول ابن النقيب في معناه [من الطويل]:

ومَا بين كفي والدراهم عامر … ولستُ لها دونَ الورى بخليل
وما استوطَنَتْهَا قطُّ يوماً وإنما … تمرُّ عليها عابرات سبيلِ

(١) هذه الزيادة في اوحدها وقد خلت منها جميع النسخ، ويؤيد هذه الزيادة أن العكبري روى في شرح ديوان المتنبي قوله «إنا إذا اجتمعت — البيت» ونسبه إلى جؤية بن النضر! وذكر بيت الشاهد غير منسوب انظره «١-١١٦».

(٢) في المطبوعتين «يعني أن الاطلاق» وليس بشيء، إنما الانطلاق الذي أخذ منه قول الشاعر «منطلق»

(٣) من قصيدة له يمدح فيها المغيث بن علي بن بشير العجلي (الديوان ١- ١٠٩ - بشرح العكبري).

وما ألطفَ قولَ السراج الوراق [من مجزوء الكامل] :

إنّ الدراهمَ مسَّهَا ... ألمٌ يشق على الكرامِ
الضربُ أول أمرهَا ... والحبسُ فى أيدى اللئامِ
ما ذا على شؤمِ الدرَا ... هِمِ من مقاساةِ الأنامِ
ونخوفها مِنْ ذَا وذَا ... كَ تفرُّ من أيدى الكرامِ

ولطيفٌ قولُ بعضهم [من المتقارب] :

رأيتُ الدراهِمَ أبْغَضْنَنِى ... كأنى قتلتُ أبا الدِّرهَمِ

* * *

شاهد تقديم المسند

٣٩ – * لَهُ هِمَمٌ لاَ مُنْتَهى لِكِبَارِهَا *

قائله حسان بن ثابت الأنصارى(١) رضى الله عنه ، يمدح النبى صلى الله عليه وسلم ، من قصيدة من الطويل ، وتمامهُ :

* وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أجلُّ من الدهرِ *

وذكر بعضهم أنه لبكر بن النطاح فى أبى دُلف العجلى ، ولعل الحامل له على هذا ما حكى أن أبا دُلف لحق أكرادا قطعوا الطريق فى عمله ، وقد أردفَ فارسٌ منهم رفيقاً له خلفهُ ، فطعنهما جميعاً ، فأنفذهما ، فتحدث الناس أنه أنفذ بطعنة واحدة فارسين ، فلما قدم من وجهه دخل عليه ابن النطاح ، فأنشده قوله فيه(٢) [من الكامل] :

قالوا وينظمُ فارسين بطعنةٍ ... يومَ اللقاء ولا يراهُ جليلاَ
لاتعجبُوا فلوَ أن طولَ قناتهِ ... مِيلٌ إذَن نظم الفوارسَ مِيلاَ

---

(١) لا يوجد فى ديوان حسان ، ولا له كلمة على هذا الروى .

(٢) انظر هذه القصة والأبيات التى رواها المؤلف فى الأغانى (١٧ - ١٥٥)

فأمر له أبو دُلَفٍ بعشرة آلاف درهم ، فقال بكر فيه أيضاً [من الطويل] :

لهُ راحةٌ لو أن معشارَ جودِها على البر كان البرُّ أندى من البحرِ
ولو أن خالقَ اللهِ فى جسمِ فارسٍ وبارَزَهُ كان الخَلىُّ من العُمْرِ
أبا دُلَفٍ بورِكْتَ فى كل بلدةٍ كما بورِكَتْ فى شهرِها ليلةُ القدرِ

فلما كانت هذه الأبيات موافقة لذلك البيت فى الوزن والقافية ، نسب لبكر بن النطاح المذكور ، والذى يقوى أنه ليس لبكر بن النطاح أنه لم يوجد فى أخباره إلا الأبيات الثلاثة المذكورة ، وهذا البيت جليل بالنسبة إليها ، فلو كان منها لنص عليه بالذكر . ونقل بعضهم أن أعرابياً دخل على أمير فقال يمدحه [من الطويل] :

فتى تهربُ الأموالُ من جود كفِّهِ كما يهربُ الشيطانُ من ليلة القدرِ
لهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهى لكبارِهَا وهِمَّتُهُ الصغرى أجلُّ من الدهرِ
لهُ راحة لو أن معشار جودِهَا على البرِّ كانَ البرُّ أندى من البحرِ

فقال له الأمير : احتكم ، أو فوِّض إلىَّ الحكم ، فقال الأعرابى : بل أحتكم بكل بيت ألف درهم ، فقال الممدوح : لو فوضت إلينا الحكم لكان خيراً لك ، فقال : لم يكن فى الدنيا ما يسع حكمك ، فقال : أنت فى كلامك أشعر من شعرك ، وأمر مكان كل ألف بأربعة آلاف .

والهمم : واحدها همة ، بالكسر وتفتح ، وهى ما هُمَّ به من أمر ليفعل .

والشاهد فيه : تقديم المسند ، وهو « له » للتنبيه من أول وَهْلة على أنه خبر لهمم ، لانعت له ، إذ لو تأخر لتوهم أنه نعت له لاخبر .

وحسان (١) بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجى رضى الله عنه ، وأمه ترجمة حسان ابن ثابت

(١) تجد ترجمة حسان بن ثابت فى الأغانى (٢ : ٢ - ١٧) وفى تاريخ دمشق (٤ : ١٢٥) .

الفريعة (١) . ويكنى أبا الوليد ، وهو من فحول الشعراء ، وقد قيل : إنه أشعر أهل المدن (٢) ، وكان أحد المعمرين المخضرمين ، عُمِّرَ مائة وعشرين سنة : منها ستون فى الجاهلية ، وستون فى الاسلام .

وعن سليمان بن يسار قال : رأيت حسان بن ثابت رضى الله عنه ، وله ناصية قد سدَلها بين عينيه .

وعن محمد النوفلى رحمه الله قال : كان حسان بن ثابت يخضب شاربه وعنفقته بالحناء ، ولا يخضب سائر لحيته ، فقال له ابنه عبد الرحمن : يا أبت لم تفعل هذا ؟ قال : لأ كون كأنى أسد ولغَ فى دم .

وعن أبى عبادة قال : فضل حسان بن ثابت الشعراء بثلاثة : كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى صلى الله عليه وسلم فى النبوة ، وشاعر اليمن كلها فى الاسلام .

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله قال : جاء حسان رضى الله عنه إلى نفر فيهم أبو هريرة ، فقال : أنشدك اللهَ أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أجب عنى ، ثم قال : اللهم أيده بروح القدس ! قال أبو هريرة : اللهم نعم .

وحدث سماك بن حرب قال : قام حسان فقال : يا رسول الله ، ايذن لى فيه ، يعنى أبا سفيان بن حرب (٣) . وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم . وأخرج له لسانًا أسود ، وقال : يا رسول الله ؛ لو شئت لفريت به المزاد ؛

---

(١) هى الفريعة بنت خالد بن قيس بن لوذان ، خزرجية أيضا .

(٢) فى الأغانى « وقد قيل إنه أشعر أهل المدر » وما هنا فى جملته منقول عنه .

(٣) الذى كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم النبي صلوات الله وسلامه عليه

إيذن لى فيه ، قال : اذهب إلى أبى بكر ليحدثك حديث القوم وأيامهم ، وأحسابهم ، ثم اهجهم وجبريل معك ، فأتى أبا بكر ، فأعلمه بما قال النبى صلى الله عليه وسلم، فقال : كف عن فلانة ، واذكرْ فلانة ، وكف عن فلان، واذكر فلانا ، فقال [من الوافر] :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنهُ ... وعند الله فى ذاكَ الجزاء

فان أبى ووالدتى وعرضى ... لعرضِ محمدٍ منكم وقاء[1]

أتهجوهُ ولستَ لهُ بند ... فشركما لخيركما الفداء

وحدث جويرية بن أسماء قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرتُ عبد الله بنَ رواحةَ فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرتُ حسان بن ثابت فشفى وأشفى .

وعن جابر رضى الله عنه قال : لما كان عام الأحزاب وردّ اللهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : مَنْ يَحْمِى أعراضَ المسلمين ؟ فقال كعب رضى الله عنه : أنا يارسول الله ، وقال عبد الله ابن رواحةَ : أنا يا رسول الله ، وقال حسان بن ثابت : أنا يارسول الله ، قال عليه السلام : نعم اهجهم أنت فانه سيعينك الله بروح القدس .

وعن سعيد بن جُبَير رحمه الله قال : جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال : قد جاء اللعينُ حسانُ من الشام ، فقال ابن عباس : ما هو بلعين ، لقد نَصَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه وَنفسه .

وعن مسروق قال : دخلت على عائشة وعندها حسان ، وهو يقول [من الطويل] :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بريبةٍ ... وتُصْبِحُ غَرْثَى من لحومِ الغَوَافِلِ

---

(١) فى الأغاني والديوان وتاريخ دمشق « فان أبى ووالده » .

فقالتْ له عائشة رضى الله عنها : لكن أنت لست كذلك ، فقلتُ لها : أيدخل هذا عليك وقد قال الله عز وجل (والذى تولى كِبرَهُ منهمْ لهُ عذابٌ عظيمٌ) فقالت : أما تراه فى عذاب عظيم وقد ذهب بصره .

وحدث مالك بن عامر قال : بينا نحن جلوس عند حسان بن ثابت وحسان مضطجعٌ مسندٌ رجليه إلى فارع[1] قد رفعهما عليه إذ قال : مَهْ ، ما رأيتم ؟ ما مر بكم الساعة ؟ قال مالك : فقلنا : لا والله ، وما هو ؟ فقال حسان : فاختة[2] مرت بكم الساعة بينى وبين فارع ، فصدمتنى ، أو قال فزحمتنى ، قال : فقلنا وما هى ؟ قال[3] [من الطويل] :

ستأتيكمُ غداً أحاديثُ جمةٌ فأصغوا لها آذانكمْ وتسمَّعوا

قال مالك بن عامر : فصبَّحنا من الغد حديثُ صفين .

وحدث العلاء بن جزء العنبرى قال : بينا حسان بن ثابت بالخيف ، وهو مكفوف إذ زفرَ زفرةً ، ثم قال [من الكامل] :

وكأنَّ حافرها بكل خميلة صاع يكيلُ به شحيحٌ معدمُ
عارى الأشاجع من ثقيف أصله عبدٌ ويزعمُ أنهُ من يقدمُ

قال : والمغيرة بن شعبة الثقفى جالس قريباً ، فسمع ما يقول ، فبعث إليه

---

(١) فارع : حصن حسان .

(٢) الفاختة : طائر .

(٣) وقع هذا فى المطبوعتين كأنه كلام منثور ، وهو بيت من الشعر من الطويل . وفي الأغانى « ستأتيكم غدوا » وهو الأصل في غد ، ومنه قول الراجز :

* إن مع اليوم أخاه غدوا *

وقول لبيد بن ربيعة العامرى :

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

بخمسة آلاف درهم ، فقال : من بعث إلى بهذه ؟ فقالوا: المغيرة بن شعبة سمع ماقلت ، فقال : واسوأتاه ، وقبلها .

وحدث الأصمعي قال: جاء الحارث بن عوف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أجرني من شعر حسان ، فلو مُزِجَ البحر بشعره لمزجه ، وكان السبب في ذلك أن الحارث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ابعث معى من يدعو إلى دينك فاني له جار ، فأرسل صلى الله عليه وسلم معه رجلا من الأنصار فغدرت بالحارث عشيرته ، فقتلوا الأنصاريَّ ، فقدم الحارث على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان صلى الله عليه وسلم لايؤنب أحدا فى وجهه ، فقال : ادعوا لى حسان ، فلما رأى الحارث أنشده [من الكامل] :

يا حارِ مَنْ يَغدرْ بِذمَّةِ جارِه ... مِنكمْ فإن محمداً لم يَغدِرِ
إنْ تَغدرُوا فالْغدرُ مِنكم شِيمة ... والغدرُ يَنبتُ فى أُصولِ السَّخبرِ

فقال الحارث : اكففه عنى يا محمد وأؤدى إليك دية الخفارة ، فأدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم سبعين عُشَرَاء ، وكذلك كانت دية الخفارة ، وقال : يا محمد إنى عائذ بك من شعره فلو مزج البحر بشعره لمزجه .

وحدث يوسف بن ماهك عن أمه قالت : كنت أطوف مع عائشة رضى الله عنها ، فذكرت حسان فسببته ، فقالت : بئس ما قلت تسبينه وهو الذى يقول [من الوافر] :

فانَّ أبى وَوالدَهُ وَعرضى ... لِعرضِ محمدٍ مِنكمْ وِقاء

فقالت : أليس ممن لعنه الله فى الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يقل شيئا ولكنه الذى قال [من الطويل] :

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِريبةٍ ... وتُصبحُ غَرثَى مِنْ لُحومِ الغوافلِ
فإنْ كانَ ما قدْ جاءَ عنىَ قلتهُ ... فلاَ رَفعتْ سَوطى إلىَّ أناملى

وكان حسان رضى الله عنه جبانا ، حدث عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما

قال : كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع حصن حسان بن ثابت يوم الخندق قالت : وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان ، فمر بنا رجل من اليهود، فجعل يطوف بالحصن ، وقد حاربَتْ بنو قريظة وقطعت ما بينها و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا و بينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا ، إن أتانا آت ، قالت فقلت : ياحسانُ إن هذا اليهودى كما ترى يطوف بالحصن ، و إنى والله ما آمنه أن يدلَّ على عوراتنا مَن وراءنا من يهود ، وقد شُغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانزلْ إليه فاقتله ، فقال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، قالت : فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئاً اعتجَرْتُ ثم أخذت عموداً ونزلتُ إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن ، فقلتُ : يا حسان انزل إليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل ، قال : مالى إلى سلبه حاجة ياابنة عبد المطلب .

وروى أن حسان أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم [من البسيط] :

لَقَدْ غدَوْتُ أمامَ القَوْمِ مُنْتَطِقاً ... بِصَارِمٍ مثلِ لونِ المِلْحِ قطّاعِ (١)
تحفِزُ عنى نجادَ السيف سابغةٌ ... فَضْفَاضةٌ مثلُ لونِ النِّهى بالقاعِ (٢)

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فظن حسان أنه ضحكَ من صفته نفسه مع جبنه .

---

(١) «منتطقا بصارم» أراد أنه شد سيفه إلى وسطه مكان النطاق وأراد أنه أبيض كلون الملح

(٢) تحفز : تدفع ، ونجاد السيف : حمائله ، وأراد بالسابغة الدرع ، والفضفاضة : الواسعة ، والنهي ـ بكسر النون وسكون الهاء ـ الغدير ، ووقع فى المطبوعتين «مثل لون النهر» وأثبتنا ما فى الديوان والأغانى ، وفى تاريخ دمشق «مثل لون الهى» محرفا

وكانت وفاته بالمدينة المنورة سنة أربع وخمسين من الهجرة، رضى الله عنه !

***

شاهد تقديم المسند التشويق

٤٠ — ثَلاَثَةٌ تُشرِقُ الدُّنيا بِبَهْجَتِها   شَمْسُ الضحَى وأبو إسْحاقَ والقَمَرُ

البيتُ لمحمد بن وهيب ، من البسيط يمدح المعتصم ، وأبو إسحاق : كُنيته ، واسمه محمد .

حدث أبو محلم قال : اجتمع الشعراء على باب المعتصم ، فبعث إليهم محمد ابن عبد الملك الزيات ، فقال لهم : إن أمير المؤمنين يقول لكم : من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول النميرى فى الرشيد [من البسيط] :

خليفةَ الله إن الجودَ أودية   أحلَّكَ الله منها حيثُ تجتمعُ
من لم يكن ببنى العباس معتصما   فليس بالصلوات الخمس ينتفعُ(١)
إن أخلف القَطْرُ لم تخلف مخايلهُ   أو ضاق أمر ذكرناهُ فيتسعُ

فليدخل وإلا فلينصرف ، فقام محمد بن وهيب ، فقال : فينا من يقول مثله ، قال : وأى شىء قلت ؟ فقال [من البسيط] :

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتها   شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ
فالشمس تحكيه فى الاشراق طالعةً   إذا تقطَّعَ عن إدراكها النظرُ
والبدرُ يحكيه فى الظلماء منبلجاً   إذا استنارت لياليه به الغررُ
يحكى أفاعيلَهُ فى كل نائبة   الغيثُ والليثُ والصمصامةُ الذكَرُ
فالغيث يحكى ندَى كفَّيْه منهمراً   إذا استهلَّ بصَوْب الديمةِ المطرُ
وربما صالَ أحياناً على حنق   شبيهُ صولته الضرغامة الهصر
والهندوانىُّ يحكى من عزائمِهِ   صريمةَ الرأى منهُ النقضُ والمررُ

(١) فى الأغانى (١٧ — ١٤٢) « من لم يكن بأمين الله معتصما »

وكلاهما مشبهٌ شيئاً على حدةٍ ... وقد تخالف فيها الفعلُ والصوَرُ
وأنتَ جامعُ مافيهنّ من حسنٍ ... فقد تكامل فيك النفعُ والضررُ
فالخلقُ جسمٌ له رأسٌ يدبّرهُ ... وأنتَ جارحتاهُ السمعُ والبصرُ

فأمر بادخاله وأحسن جائزته .

ومما يشبه ذلك قولُ القاسم بن هانىءٍ يمدح جعفراً صاحب (١) المسيلة [من الكامل] :

المدنفانِ من البريّة كلها ... جسمى وطَرفٌ بابلىٌّ أحوَرُ
والمُشرقاتُ النيّرات ثلاثة ... الشمس والقمرُ المنيرُ وجَعفرُ

ومثله فى الحسن قول محمد بن شمس الخلافة [من الكامل] :

شيئانِ حدَّث بالقَساوة عنهما ... قلبُ الفتى يهواهُ قلبى والحجر
وثلاثةٌ بالجودِ حدِّث عنهُمُ ... البحرُ والملك المعظم والمطرْ

ويقرب منه قول ابن مطروح فى الناصر داود [من السريع] :

ثلاثة ليسَ لهم رَابعٌ ... عليهمُ مُعتمدُ الجودِ
الغيثُ والبحرِ وعزّزْهما ... بالملِكِ الناصر داود

وقول أبى محمد اليافى [من المنسرح]:

ثلاثةٌ ما اجتمعنَ فى رَجلٍ ... إلاّ وأسلمنهُ إلى الأجَلِ
ذُلّ اغتراب وفاقة وهوىً ... وكُلها سائقٌ على عجلِ

---

(١) ذكرا فى الديوان (٦١ بولاق) وذكر أنهما فى وصف سيف يحيى بن على ولا يظهر ذلك فيهما ، وقد أنشدهما ابن خلكان فى ترجمة أبى على جعفر بن على ابن أحمد بن حمدان الأندلسى صاحب المسيلة وأمر الزاب من أعمال إفريقية (١ - ١٩٩ النيل)

يا عاذلَ العاشقين إنك لو عذرتهم كنتَ تبتَ من عذَل

وقول ابن سكرة [من المنسرح] :

فى وجه إنسانة كلِفْتُ بها أربعةٌ ما اجتمعن فى أحدِ

الوَجهُ بَدرٌ والصُّدغ غاليةٌ والرِّيقُ خمرٌ والثّغرُ من بَرَد

وما أصدق قول السراج الوراق [من الرجز] :

ثلاثةٌ إن صَحِبتْ ثلاثةً أعيتْ علاجَ بَدْوِها والحضَرِ

عداوةٌ مَعْ حسدٍ ، وفاقةٌ مع كَسلٍ ، وعلةٌ مَعْ كِبرِ

و بديع قول ابن نباتة المصرى [من السريع] :

تناسَبَتْ فيمن تعشّقته ثلاثةٌ تُعجب كل البَشَرْ

من مُقلةٍ سهمٌ ومن حاجبٍ قوسٌ ومن نَغْمة صوتٍ وَتَرْ

ومما يناسب هذا المقام ما حكاه المداينى قال : بينا سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما تسير ذات ليلة إذ سمعت حاديا يحدو و يقول [من الرجز] :

* لولا ثلاثٌ هنَّ عيشُ الدهرِ *

فقالت لقائد قطارها (١) : الحق بنا هذا الرجل حتى نسمع منه ما هذه الثلاثة ، فطال طلبه لذلك حتى أتعبها ، فقالت لغلام لها : سر أنت حتى تسمع منه ، فرجع إليها فقال : سمعته يقول :

* الماء والنومُ وأم عمرو *

فقالت : قبحه الله ! أتعبنى منذ الليلة .

(١) القطار – بكسر القاف – الجماعة من الابل على نسق واحد ، ويجمع على قطر ، بزنة كتاب وكتب ، وقد تجمع القطر على قطرات

ومما يجرى من ذلك مجرى الملح ما أنشده الخليل فى كتاب العين ، وهو [من الخفيف] :

إن فى دارنا ثلاث حَبَالى فوَدِدنا لو قد وَضَعن جميعا
جارتى ، ثم هرتى ، ثم شاتى فإذا ما وَلَدْنَ كُنَّ رَبيعا
جارتى للرَّضاع ، والهرُّ للفا رِ ، وشاتى إذا اشتَهَينا مَجيعا(١)

ومن هذا الباب قول جرجيس يهجو طبيباً [من السريع] :

عَلَيله المسكين من شُؤمِهِ فى بحر هُلْكٍ ما له ساحِلُ
ثلاثة تدخلُ فى دَفعةٍ طلعَتُهُ والنعشُ والغاسِلُ

وقول الآخر [من السريع] :

ثلاثة طابَ بها المجلِسُ الوَرْدُ والتفاح والنَّرجس

وقول الآخر [من السريع] :

ثلاثة طاب بها العمر وجْهُكَ والبستانُ والخمر

وقول الآخر [من السريع] :

ثلاثة عن غيرها كافيهْ هى المُنَا والأمنُ والعافيهْ(٢)

وقول أبى بكر البلخى [من مخلع البسيط] :

ثلاثة فقدُها كبيرُ الخبزُ واللحمُ والشَّعيرُ
والبيتُ من كلها خلاءٌ تَجُـدُ بها أيها الأميرُ

---

(١) المجيع : التمر يعجن باللبن ، أو اللبن يشرب على التمر
(٢) فى هامش مطبوعة بولاق ما نصه «قوله هى المنى إلخ هكذا فى النسخ والمحفوظ * الأمن والاسلام والعافية * » اه

وقول الآخر [من الرجز] :

ثلاثة ليسَ بها اشتراكُ المُشط والمرآة والسِّواك

وقول أبي الحسن العلوي [من الرجز] :

ثلاثة مَوْصوفةٌ تجلو البَصرْ الماء والوجهُ الجميلُ والخُضَرْ

وقول الآخر [من الرجز] :

ثلاثة تُذْهِبُ عن قلبي الحزَنْ الماء والخضرةُ والوجهُ الحسَنْ

وقول ابن لنكك بديع هنا [من الطويل] :

أعدَّ الورى للبَرْدِ جنداً من الصِّلا ولاقيتُهُ من بينهم بجنودْ

ثلاثةُ نيرانٍ فنارُ مُدامةٍ ونارُ صَباباتٍ ونار وَقُودْ

وفي معناه قول الصنوبري [من الخفيف] :

نار راحٍ ونار خدٍّ ونار لحشا الصبِّ بينهنَّ استعارُ

ما أبالي ما كان ذا الصيفُ عندي كيف كان الشتاء والأمطار

وظريف قول بعضهم [من مخلع البسيط] :

ثلاثة يَمْنَة تدور الطَّستُ والكأس والبَخور

وقول غانم المالقي [من السريع] :

ثلاثة يُجهلُ مقدارُها الأمن والصحّة والقوتُ

فلا تثِقْ بالمال من غيرها لو أنه درٌّ وياقوتُ

وظريف قول عبد الرحمن بن محمد الواسطي [من الكامل] :

ما العيشُ إلا خمسةٌ لا سادس لهمُ وإن قصرت بها الأعمارُ

زمنُ الربيع وشرْخُ أيام الصبا والكأس والمعشوقُ والدينارُ

وأنشد ثعلب النحوي [من الطويل] :

ثلاث خلال للصديق جعلتها مضارعة للصوم والصلوات
مواساته والصفح عن كل زلة وترك ابتذال السر فى الخلوات

والشاهد فى البيت : تقديم المسند وهو « ثلاثة » للتشويق إلى ذكر المسند إليه ، وهو « شمس الضحى » وما عطف عليه .

ومثله قول أبى العلاء المعرى [من الوافر] :

وكالنارِ الحياةُ فمِنْ رَمادٍ أواخرُها وأوَّلُها دُخانُ

فتقديم « كالنار » و « من رماد » كلاهما للتشويق .

ترجمة محمد بن وهيب الحميري

ومحمد بن وهيب [١] حميرى شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة ، وكان يستميح الناس بشعره ويتكسب بالمديح ، ثم توصل إلى الحسن بن سهل برجاء بن أبى الضحاك ومدحه فأوصله إليه وسمع شعره فأعجب به واقتطعه إليه ، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسنى جائزته ، ثم لم يزل منقطعاً إليه حتى مات ، وكان يتشيع ، وله مراثٍ فى أهل البيت رضوان الله عليهم وهو متوسط بين شعراء طبقته .

حدث عن نفسه قال : لما تولى الحسن بن رجاء بن أبى الضحاك الجبل قلت فيه شعرا وأنشدته أصحابنا دعبل بن على الخزاعى وأبا سعيد المخزومى وأبا تمام الطائى فاستحسنوا الشعر ، وقالوا: هذا لعمرى من الأشعار التى تلقى بها الملوك ، فخرجت إلى الجبل فلما صرت إلى همذان أخبره الحاجب بمكانى فأذن لى فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولى [من الطويل] :

أجارَتنا إنَّ التَّعفُّفَ بِالياسِ وَصبراً علَى استدرارِ دُنيا بإبساسِ [٢]

---

(١) له ترجمة فى الأغانى (١٧ – ١٤٢)

(٢) فى المطبوعتين «وصبرا على استدرار دنياى بالباس» وقد أثبتنا ما فى الأغانى إذ كان لا يتجه لما فى الأصل معنى مستقيم ، والابساس : أن تدعـو الناقة للحلب

حرَّيان أنْ لا يَقذفا بِمذلةٍ كَريماً وأنْ لا يُحوجاهُ إلى النّاسِ (١)
أجارَتنا إنَّ القِدَاحَ كَوَاذبٌ وَأكثرُ أسبابِ النَّجاحِ مَعَ الياسِ

فأمر حاجبه باضافتى ، فأقمت بحضرته ، كلما دخلت إليه لم أنصرف إلا بحملان وخلعة وجائزة حتى انصرم الصيف فقال لى : يا محمد ، إن الشتاء عندنا علج فأعد يوماً للوداع ، فقلت : خدمة الأمير أحب إلى ، فلما كاد الشتاء أن يشتد قال لى : هذا يوم الوداع ، فأنشدنى الثلاثة الأبيات فلقد فهمت الشعر كله فلما أنشدته :

أجارَتنا إنَّ القِداحَ كَوَاذبٌ وَأكثرُ أسبابِ النَّجاحِ مَعَ اليأس

قال : صدقت ، ثم قال : عدوا أبيات القصيدة وأعطوه بكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت اثنين وسبعين بيتا فأمر لى باثنين وسبعين ألف درهم ، وكان فيما أنشدته فى مقامى واستحسنه قولى [من المتقارب] :

دِماءُ المحِبِّينَ ما تَعقِلُ أما فى الهوَى حَكَمٌ يَعدِلُ
تَعَبَّدَنى حَوَرُ الغانياتِ وَدانَ الشَّبابُ لهُ الأخضلُ
وَنظرة عَينٍ تَمَلّتها غِراراً كما يَنظرُ الأحولُ
مُقَسَّمَة بَينَ وَجهِ الحبيبِ وَطرفِ الرَّقيبِ مَتى يَغفلُ

وحدث خالُ أبى هفان قال : كنت عند أبى دلف فدخل عليه محمد بن وُهَيب الشاعر فأعظمه جداً ، فلما انصرف قال معقل أخوه : يا أخى ، فعلت بهذا مالم يستأهله ، ما هو فى بيت من الشرف ولا فى كمال من الأدب ولا بموضع من السلطان ، فقال : بلى يا أخى إنه لحقيق بذلك ، أولا يستحقه وهو القائل [من المتقارب] :

---

(١) فى الأغانى «حريان ألا يقذيا»

يَدُلُّ على أنــهُ عاشقُ مِنَ الدَّمعِ مُستشهدٌ ناطقُ
وَلى مالكٌ أنا عَبـدٌ لهُ مُقـرٌّ بأنى لهُ وَامقُ
إذا ما سَموتُ إلى وَصلهِ تَعرضَ لى دُونهُ عائقُ
وَحاربنى فيهِ رَيبُ الزَّمانِ كأنَّ الزمانَ لهُ عاشقُ

وحدث الحسن بن رجاء قال : كان محمد بن وهيب الحميرى لما قدم المأمون من خراسان مضاعا مطرحا إنما يتصدى للعامة وأوساط الكتاب والقواد بالمديح ويسترفدهم ويحظى باليسير ، فلما هدأت الأمور واستقرت واستوثقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصته وذوى مودته ومن يقرب من أنسه ، فتوسل إليه محمد بن وهيب بأبى حتى أوصله إليه مع الشعراء ، فلما انتهى إليه القول استأذنه فى الانشاد ، فأذن له ، فأنشد قصيدته التى أولها [من الطويل]:

وَدائعُ أسْرارٍ طَوَتها السَّرائرُ وَباحتْ بمكنوماتهنَّ النَّواظرُ
تمكنَ فى طَيِّ الضَّميرِ وتحته شبا لوْعةٍ عَضبُ الغِرارين باترُ(١)
فأعجمَ عنها ناطقٌ وَهوَ معربٌ وَأعربتْ العجمُ الجفونُ النَّواظرُ

إلى أن قال فيها :

تُعظِّمهُ الأوهامُ قبلَ عِيانهِ وَيصدرُ عنهُ الطَّرفُ وَالطرفُ حاسرُ(٢)
بهِ تجتدَى النُّعمَا وَيستدركُ المُنى وَتستكملُ الحسنى وَترْعَى الأواصرُ
أصاتَ بنا دَاعى نَوالكَ مُؤذناً بجودكَ إلاَّ أنَّهُ لاَ يُحاورُ(٣)

(١) فى الأغانى «ملكت لها طي الضمير»
(٢) فى الأغانى «تعطفه الأوهام» وما هنا أتم معنى
(٣) فى الأغانى «أهاب بنا» وفيه «بدونك» مكان «بجودك» وهو محرف عما هنا

قسمتَ صُروفَ الدَّهرِ بأساً ونائلاً فمالُكَ موتورٌ وسيفُكَ واترُ

إلى أن قال فى آخرها :

ولو لم تكنْ إلاَّ بنفسكَ فاخراً لما انتسبتْ إلاَّ إليكَ المفاخرُ

قال : فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره إلى الأرض ، وقال أحسنت : والله وأجملت ، ولو لم تقل قط ولا قلت فى باقى دهرك غير هذا لما احتجت إلى القول وأمر له بخمسة آلاف دينار ، فأحضرت ، واقتطعه إلى نفسه ، فلم يزل فى كنفه أيام ولايته و بعد ذلك إلى أن مات ما تصدى لغيره .

وحدث ميمون بن هارون قال : كان محمد بن وهيب الشاعر قد مدح على بن هشام وتردد إلى بابه دفعات ، فحجبه ، ولقيه يوماً فى طريق فسلم عليه فلم يرجع إليه طرفه ، وكان فيه تيه شديد ، فكتب إليه رقعة يعاتبه فيها ، فلماوصلت إليه مزقها وقال : أى شىء يريد هذا الثقيل السيء الأدب ، فقيل له ذلك ، فانصرف مغضبا وقال : والله ما أردت ماله ، و إنما أردت التوسل بجاهه وسيغنى الله عنه ، والله ليندمَنّ مغبة فعله ، وقال يهجوه [من البسيط] :

أزْرَتْ عليه لجود خيفةَ العدمِ فصدَّ منهزماً عن شأوِ ذى الهممِ (١)

لوكان من فارسٍ فى بيتِ مكرُمةٍ أو كان من ولد الأملاكِ والعجمِ

أوكان أولهُ أهْلَ البطاح أو الـــركبَ الملبِّين إهلالا إلى الحرمِ

أيامَ تتخذُ الأصنام آلهةً فلا ترى عا كفاً إلا على صنمِ

لشجعتهُ على فعلِ الملوكِ لهمْ طبائعٌ لمْ ترُعها خيفةُ العدمِ

لم تندَ كفاكَ من بذلِ النوالِ كما لمْ يندَ سيفكَ مذْ قلدْتَهُ بدمِ

كنت امرأً رفعته فتنة فعلاَ أيامها غادراً بالعهد والذممِ

---

(١) فى الأغانى «أزرت بجود على»

حتى إذا انكشفتْ عنا عمايتها ورتب الناسُ بالأحساب والقدمِ [١]

ماتَ التخلق وارتادتك مرتجعاً طبيعةٌ نذلةُ الأخلاق والشيمِ [٢]

كذاكَ من كانَ لا رأساً ولا ذنباً كدَّ اليدين حديثَ العهدِ بالنعمِ [٣]

هيهاتَ ليسَ بحمال الدياتِ ولا معطى الجزيل ولا المرهوب ذى النقم [٤]

فلما بلغت الأبياتُ على بن هشام ندم على ما كان منه وجزع لها ، وقال : لعن الله اللجاج فانه شر خلق تخلقه الناس ، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام وقال : الله يعلم إنى لأدخل على الخليفة وعلىّ السيف وأنا مستحى منه أذكر قولَ محمد بن وهيب فىّ :

لم تندَ كفَّاكَ من بذل النوالِ كما لم يندَ سيفُكَ مذ قُلِّدتَهُ بدمِ

وسمعَ ابن الأعرابى وهو يقول : أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمد ابن وهيب ، وأنشد البيت .

وحدث الحسن بن رجاء عن أبيه قال : لما قدم المأمون ، ولقيه أبو محمد الحسن [ابن سهل [٥]] دخلا جميعاً فعارضهما ابن وهيب فقال [من البسيط] :

اليومَ جُدِّدتِ النعماء والمِنَنُ فالحمدُ لله حلَّ العقدةَ الزمنُ [٦]

---

(١) فى الأغانى «حتى إذا انكشفت عنا غيابتها»

(٢) فى الأغانى «وارتدتك مرتجعا» وهو خير مما هنا

(٣) فى المطبوعتين « لارأس ولا ذنب » وأثبتنا الصواب والموافق لما فى الأغانى

(٤) فى المطبوعتين «ولا الموهوب ذى النعم» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى

(٥) زيادة عن الأغاني ، والخبر منقول عنه

(٦) فى الأغانى «اليوم جردت النعماء»

اليومَ أظهرتِ الدنيا محاسنَهَا   للناس لما التقى المأمونُ والحسنُ

قال: فلما جلسا سأله المأمون عنه، فقال: هذا رجل من حِمْيَر شاعر مطبوع اتصل بي متوسلا إلى أمير المؤمنين وطالبا الوصول مع نظرائه، فأمر المأمون بإيصاله مع الشعراء، فلما وقف بين يديه وأذن له فى الانشاد أنشد قوله [من الكامل]:

طللانِ طالَ عليهما الأمدُ   دَثَرا فلا عَلَمٌ ولا نضدُ
لبسَا البلَى فكأنما وجدَا   بعدَ الأحبةِ مثلَ ما أجدُ
حُيِّيتما طَللين حالَهما   بعدَ الأحبةِ غيرُ ما عهدُوا
إمّا طواكَ سلوّ غانيةٍ   فهواكَ لا مللٌ ولا فندُ(١)
إنْ كنتِ صادقةَ الهوى فَرِدِي   فى الحبّ منهلهُ الذى أردُ
أدمى أرقتِ وأنتِ آمنة   أن ليسَ لى عَقْلٌ ولا قودُ(٢)
إنْ كنت فتّ وخاننى نشب   فلربما لم يحظ مجتهدُ(٣)

حتى انتهى إلى مدح المأمون، فقال:

يا خيرَ منتسب لمكرمة   فى المجد حيث تنحنح العددُ(٤)
فى كل أنملةٍ لراحتهِ   نوءٌ يَسحُّ وعارضٌ حشدُ

---

(١) فى الأصول «إن ما طلوك» محرفا، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى «أدمى هرقت» بإبدال الهمزة هاء، والعقل هاهنا: الدية وهى الابل التى يأخذها أهل القتيل، سميت بذلك لأنهم كانوا يعقلون الابل بساحة أهل القتيل

(٣) فى الأغانى «وخاننى سبب» وفيه «فلربما يخطىء مجتهد»

(٤) فى الأغانى «حتى تنتج العدد»

وإذا القنا رَعفت أسنّتها علقاً وصمٌّ كعوبها قِصَدُ[١]

فكأن ضوء جبينه قمرٌ وكأنه فى صولة أسدُ

وكأنهُ روحٌ تُدَبّرنا حرَكاتهُ وكأننا جسدُ

فاستحسنها المأمون ، وقال لأبى محمد : احتكم له ، فقال : أمير المؤمنين أولى بالحكم ، ولكن إن أذن لى فى المسألة سألت ، فأما الحكم فلا ، فقال : سَلْ ، فقال : تُلحقه بجوائز مروان بن أبى حَفْصَةَ ، فقال : ذلك والله أردت ، وأمر أن تعد الأبيات ، فكانت خمسين ، فأعطاه خمسين ألف درهم .

وعن أحمد بن أبى كامل ، قال : كان محمد بن وُهيب تياهاً شديد الزهاء بنفسه ، فلما قدم الأفشينُ ، وقد قتل بابك ، مدحه بقصيدته التى أولها ، [من الهزج] :

طُلولٌ ومغانيها تناجيها وتَبْكيها

يقول فيها :

بعثتُ الخيلَ والخيرُ عقيدٌ بنواصيها[٢]

وهى من جيد شعره ، فأنشدنا إياها ، ثم قال : ما بها عيب سوى أنها لا أخت لها ، قال : وأمر المعتصم للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلثمائة ألف درهم جرَتْ تفرقتها على يد ابن أبى دُوَادٍ ، فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفاً ، وأعطى أبا تمام عشرة آلاف ، قال ابن أبى كامل : فقلت لعلى بن يحيى ابن المنجم : أو لا تعجب من هذا الحظ ، يُعْطَى أبو تمام عشرة آلاف درهم وابن وهيب ثلاثين ألفاً ، و بينهما كما بين السماء والأرض ، فقال : لذلك علة

---

(١) فى الأغانى «رعفت أسنته» وفيه «وصم كعوبه»

(٢) مأخوذ من الحديث «الخيل معقود بنواصيها الخير»

لا تعرفها . كان ابن وهيب مؤدبَ الفتح بن خاقان ، فلذلك وصل إلى هذا الحال .

وحدث أحمد بن أبي كامل أيضاً قال : كنا في مجلس ومعنا أبو يوسف الكندي ، وأحمد بن أبي فنن ؛ فتذاكرنا شعر محمد بن وهيب ، فطعن عليه ابن أبي فنن وقال : هو متكلف حسود ، إذا أنشد شعراً لنفسه قرّظه ووصفه في نصف يوم ، وشكا أنه مظلوم منحوس الحظ ، وأنه لا يقصر به عن مراتب القدماء حال ، و إذا أُنشد شعر غيره حسد ، و إن كان على نبيذ عربدَ عليه ، و إن كان صاحياً عاداه واعتقد فيه كل مكروه ، فقلت له : كلاكما لي صديق ، وما أمتنع من وصفكما جميعاً بالتقدم وحسن الشعر ، فأخبرني عما أسألك عنه إخبارَ منصف ، أيعدّ متكلفاً منْ يقول [من الطويل] :

أبى لىَ إغضاء الجفُونِ على القذَى ... يقيني أنْ لاَ عُسْرَ إلا مُفَرَّجُ

ألاَ ربمـا ضاقَ الفضاءُ بأهله ... فيظهرُ ما بينَ الأسنةِ مخرجُ

أو يعدّ متكلفا من يقول [من الطويل] :

رأت واضحاً في مفرقِ الرأسِ راعها ... شَرِيجَيْنِ مبيضٌ به وبهيم

فأمسك ابن أبي فنن ، واندفع الكندي فقال : كان ابن وهيب ثنَوِياً ، فقلت له : من أين علمت ذلك ؟ أكلمكَ على مذهب الثنويه قط ؟ قال : لا ، ولكني استدللت من شعره على مذهبه ، فقلت : ما ذا ؟ قال : حيث يقول :

* طَلَلاَنِ طالَ عليهمَا الأمَدُ *

وحيثُ يقولُ :

* تَفْتَرُّ عنْ سِمطينِ منْ ذَهبِ *

إلى غير ذلك ممـا يستعمله في شعره ، من ذكر الاثنين ، فشغلني والله

الضحك عن جوابه ، وقلت له : يا أبا يوسف مثلكَ لا ينبغى أن يتكلم فيما لم ينفذ فيه علمهُ .

ودخل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوما وقد مدحه ، فرأى بين يديه غلمانا روقة مرْدًا ، وخدما بيضا فُرَّهًا ، فى غاية الحسن والجمال والنظافة ، فدُهشَ لما رأى وبقى متحيراً متبلبلاً لا ينطق حرفا واحداً ، فضحك أحمد منه ، وقال له : ويحك ! مالك ؟ تكلم بما تريد ، فقال [من الكامل] :

قدْ كانتِ الأصنامُ وهى قديمةٌ كسرَتْ وجَدَّعهُنَّ إبراهيمُ
ولديكَ أصنامٌ سلمنَ منَ الأذى وُصفَتْ لهُنَّ نضارةٌ ونعيمُ
وَبنَا إلى صنمٍ نلوذُ بركنِهِ فقرٌ وأنتَ إذا هُززتَ كريمُ

فقال له : اختر من شئتَ ، فاختار واحداً منهم ، فأعطاه إياه ، وقال يمدحه [من الكامل] :

فضلَتْ مكارمهُ علَى الأقوامِ وعلَا فحازَ مكارمَ الأيامِ
وعلتهُ أبهةُ الجمالِ كأنهُ قمرٌ بدَا لكَ منْ خِلالِ غمامِ
إنَّ الأميرَ على البريةِ كلهَا بعدَ الخليفةِ أحمدُ بنُ هشامِ

وحدثَ محمد بنُ وهيب ، قال : جلستُ بالبصرة إلى عطار ، فاذا أعرابية سوداء قدْجاءت ، فاشترتْ من العطار(١) خَلُوقا ، فقلت له : تجدها اشترته لابنتها ، وما ابنتها إلا خنفساء ، فالتفتت إلى متضاحكةً وقالت : لا ، والله إلا مَهَاةٌ جيْدَاء ، إن قامَتْ فقَنَاة ، وإنْ قَعَدَتْ فحَصَاة ،

---

(١) الخلوق ـ بفتح الخاء بزنة صبور ـ ضرب من الطيب

وإنْ مشَتْ فقَطَاة ، أسفلها كثيب ، وأعلاها قضيب ، لا كفتياتكم اللواتى تسمونهن بالقَنُوت[1] ، ثم انصرفت وهى تقول [من الرجز] :

إن القَنوتَ للفَتاةِ مَضْرطه يَكربُها فى البطن حتى تثلُطَه[2]

فلا أعلم أنى ذكرتها إلا أضحكنى ذكرها .

وبلغ محمد بن وهيب أن دعبلا الخزاعى قال : أنا ابن قولى [من الكامل] :

لا تعجبى يا سلْم من رجل ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى

وأن أبا تمام قال : أنا ابن قولى [من الكامل] :

نَقِّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأولِ
كم منزلٍ فى الأرض يألفُهُ الفتى وحنينُهُ أبداً لأول منزلِ

فقال ابن وهب : وأنا ابن قولى [من المديد] :

ما لمن تمَّتْ محاسنُهُ أن يعادى طرْفَ من رَمقا
لك أن تُبدى لنا حُسْناً ولنا أن نُعملَ الحدَقا

وحدث أبو ذكوان قال : حدثنى من دخل إلى محمد بن وهيب يعوده وهو عليل ، قال : فسألته عن خبره ، فتشكى ما به ثم قال [من الطويل] :

نفوس المنايا بالنفوس تَشَعَّبَتْ وكلٌّ له من مذْهبِ الموتِ مذهبُ
نُراع لذكرِ الموْتِ ساعةَ ذكرِهِ وتَعترضُ الدنيا فنلهو ونلعبُ
وآجالُنا فى كلِّ يوم وليلةٍ إلينا على غرّاتنا تتقرب

---

(١) القنوت : الأفاويه

(٢) فى الأغانى «يكر بها بالليل»

أأيقن أن الشيب ينفى حياته وهوَّ لأخلاق الخطيئة يذهب(١)
يقين كأن الشك أغلب أمره عليه وعرفانٌ إلى الجهل يُنسبُ
وقد ذمّتِ الدنيا إليّ نعيمها وخاطبنى إعجامُها وهو معْرِبُ
ولكننى منها خُلقتُ لغيرها وما كنتُ منه فهو عندى مُحَبَّبُ

وسأل محمد بن وهيب محمد بن عبد الملك الزيات حاجة فأبطأ فيها ، فوقف عليه ثم قال له [من الكامل] :

طُبِعَ الكريمُ على وفائِه وعلى التفضلِ فى إخائه
تغنى عنايتُهُ الصديـقَ عن التعرُّضِ لاقتضائه
حَسْبُ الكريم حياؤه فَكِلِ الكريمِ إلى حيائه

فقال له : حسبك فقد بلغت إلى ما أحببت والحاجة تسبقك إلى منزلك.

ومن شعره الجيد قوله [من الخفيف] :

أىُّ خير يرجو بنُو الدَّهرِ فى الدهـرِ وما زالَ قاتلاً لبنيه
من يُعمَّرْ يُفجع بفقدِ الأحبا ءِ ومن مات فالمصيبة فيه

ومثله قول الآخر [من السريع] :

من يتمنَّ العمرَ فليدَّرِعْ صبراً على فقْدِ أحبائهِ
ومن يعمَّرْ يلقَ فى نفسِهِ ما يتمنّاهُ لأعدائهِ

---

(١) أتى بالواو من « هو » مشددة كما جاء بها الذى يقول :

وإن لسانى شهدة يشتفى بها وهـو على من صبه الله علقم

وهو مما يجىء فى ضرورات الشعر .

شواهد أحوال متعلقات الفعل

شاهد تنزيل الفعل المتعدى منزلة اللازم

٤١ — شَجوُ حُسَّادِهِ وغَيْظُ عِدَاهُ أنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ واعِي

البيت للبحترى ، من قصيدة (١) من الخفيف ، يمدح بها المعتز بالله بن المتوكل على الله ، و يعرض بالمستعين بالله أحمد بن المعتصم ، أولها [من الخفيف] :

لَكِ عهْدٌ لَدَيَّ غيرُ مُضاع باتَ شوق طَوعاً له ونزاعى (٢)

وهَوًى كلما جرى منه دَمعٌ أيِسَ العاذِلونَ من إقلاعى (٣)

لو توَلَّيتُ عنهُ خيفَ رُجوعى أو تجوَّزتُ فيه خيفَ ارتجاعى

إلى أن يقول فى مديحها :

يبهت الوفدُ فى أسرة وَجْهٍ ساطع الضوء مُستنيرِ الشُّعاع

من جَهِير الخطابِ يُضعف فَضلاً عندَ حالَىْ تأمّلٍ واستماع

و بعده البيت ، وهى طويلة .

والشاهد فيه : جعل الفعل مطلقاً كناية عنه متعلقاً بمفعول مخصوص ، وهو هنا « يرى و يسمع » فانه كما قال التفتازانى رحمه الله تعالى نزلهما منزلة اللازم : أى تصدر منه الرؤية والسماع من غير تعلق بمفعول مخصوص ، ثم جعلهما كنايتين عن الرؤية والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص ، هو محاسنه وأخباره ، بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية آثاره ومحاسنه ، وكذلك بين مطلق السماع وسماع أخباره ، للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الكثرة والاشتهار إلى حيث يمتنع خفاؤها فيبصرها كل راء ويسمعها كل واع ، بل لا يبصر الرائى

---

(١) انظرها فى الديوان (٢ : ٨٠ — ٨٢ طبع هندية)

(٢) فى الأصول «بات شوقى طوعا له ويراعى» وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

(٣) فى الديوان « جرى عنه دمع آيس العاذلين »

إلا آثاره ، ولا يسمع الواعى إلا أخباره ، فذكر الملزوم وأراد اللازم ، على ماهو طريق الكناية ، ولا يخفى فوات هذا المعنى عند ذكر المفعول وتقديره ، لما فى التغافل عن ذكره والاعراض عنه من الايذان بأن فضائله يكفى فيها أن يكون ذو بصر وسمع حتى يعلم أنه المنفرد بالفضل .

ومثله قول عمرو بن معدى كرب الزبيدى (١) [من الطويل] :

فلو أن قومى أنْطَقتنى رماحُهم   نَطَقتُ ولكنّ الرِّماح أجرَّتِ

يريد أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن النطق بمدحهم والافتخار بهم ، حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه ، وهى أنها أجرَّته أى شَقَّتْ لسانه .

ومثله قول طفيل الغنوى (٢) [من الطويل] :

جزى الله خيراً جِيرةً حين أزْلَقت   بنا نعلُنا فى الواطئينَ فزَلَّتِ (٣)

أبَوا أن يملُّونا ولو أن أمّنا   تُلاقى الذى يَلقَوْن منا لمَلّت

هُم خلَطونا بالنفوس وألجأوا   إلى حجراتٍ أدفأتْ وأظَلَّتِ (٤)

---

(١) استشهد بهذا البيت الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى دلائل الاعجاز (١٢٢) ونسبه أيضا إلى عمرو بن معديكرب ، ومثل هذا البيت والأبيات التى بعده قول جرير بن عطية بن الخطفى :

أمنيت المنى وخلبت حتى   تركت ضمير قلبى مستهاما

(٢) فى الأصول «العنزى» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى دلائل الأعجاز والأبيات لطفيل الغنوى يقولها فى بنى جعفر بن كلاب

(٣) فى دلائل الاعجاز «جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت» وهو الموافق للغرض الذى قيلت فيه الأبيات

(٤) يروى « أدفأت وأكنت »

أراد لملتنا وأدفأتنا وأظلتنا، إلا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مطلوبه بطريق الكناية.

ترجمة البحترى

والبحترى [١] هو الوليد بن عبيد [٢] بن يحيى، ينتهى نسبه إلى طيء، ويكنى أبا عبادة، وهو شاعر فصيح فاضل، حسن المشرب والمذهب، نقى الكلام مطبوع، وله تصرف فى ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة، وجيده منه قليل. وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب فى قلة بضاعته فى هذا الفن، أنه لما حضره الموت دعا به وقال له: اجمع كل شيء قلته فى الهجاء، ففعل، فأمره باحراقه. [٣]

وكان البحترى يتشبه بأبى تمام فى شعره، ويحذو حذو مذهبه، وينحو نحوه فى البدائع التى كان أبو تمام يستعملها، ويراه صاحباً وإماماً، ويقدمه على نفسه، ويقول فى الفرق بينه وبينه قولَ منصفٍ: إن جيد أبى تمام خير من جيده ووسطه ورديئه خير من وسط أبى تمام ورديئه، وكذا هو حكم لنفسه.

وسئل أبو العلاء المعرى: أى الثلاثة أشعر: أبو تمام أم البحترى أم المتنبى؟ فقال: هما حكيمان، والشاعر البحترى.

---

(١) للبحترى ترجمة فى الأغانى (١٨ ـ ١٦٧ ـ ١٧٥) وفى تاريخ ابن خلكان (٣ ـ ٩٦)

(٢) فى الأغانى «بن عبيد الله»

(٣) فى الأغانى زيادة على ذلك «ثم قال له: يابنى، هذا شيء قلته فى وقت فشفيت به غيظي، وكافأت به قبيحا فعل بى، وقد انقضى أربى فى ذلك، وإن بقى وروى وللناس أعقاب يورثونهم العداوة والمودة، وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء فى نفسك أو معاشك، لافائدة لك ولالى فيه. قال: فعلمت أنه قد نصحنى واشفق على، فأحرقته»

وقد شرح المعرى[١] دواوين الثلاثة ، فسمى شرح ديوان أبي تمام «ذكر[٢] حبيب» وشرح ديوان البحترى «عبث الوليد» وشرح ديوان المتنبي «معجز أحمد»

وحدث محمد بن يحيى قال : سمعت عبد الله بن الحسين يقول للبحترى — وقد اجتمعا فى دار عبد الله بالخلد ، وعنده المبرد ، وذلك فى سنة ست وسبعين ومائتين ، وقد أنشد شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال فى مثله — : أنت والله أشعر من أبى تمام فى هذا الشعر ، قال : كلا والله ، إن أبا تمام الرئيسُ والأستاذ ، والله ما أكلت الخبز إلا به ، فقال له المبرد : لله درك يا أبا الحسن — وكان يكنى به أيضاً — فانك تأبى إلا شرفاً من جميع جوانبك .

وحدث البحترى قال : كان أول أمرى فى الشعر ونباهتى أن صرت إلى أبى تمام ، وهو بحمص ، فعرضت عليه شعرى ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل على وترك سائر من حضر ، فلما تفرقوا قال لى : أنت أشعر مَنْ أنشدنى ، فكيف حالك ؟ فشكوت إليه خَلّة ، فكتب إلى أهل معرة النعمان ، وشهد لى بالحذق فى الشعر ، وشفع لى إليهم ، وقال : امتدحهم ، فسرت إليهم ، فأكرمونى بكتابه ، ووظفوا لى أربعة آلاف درهم ، فكانت أول مال أصبته .

وحدث البحترى قال : أول ما رأيت أبا تمام أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف ، وقد مدحته بقصيدتى التى مطلعها[٣]

---

(١) لم يشرح أبو العلاء ثلاثة الدواوين ، وإنما اختار من كل ديوان منها كلمات أو أبياتا من كلمات وتكلم عنها ، وقد ينقدها ، وقد طبع من هذه الكتب الثلاثة كتابه عن البحترى المسمى «عبث الوليد»

(٢) المعروف أن اسم الكتاب «ذكرى حبيب»

(٣) انظرها فى الديوان (٢ — ١٤٥) ثم انظر هذه القصة فى الأغانى أثناء ترجمته وفى الموازنة (٦ بتحقيقنا) وفى ابن خلكان (٣ — ٩٧)

أأفاق صَبٌّ من هوى فأفيقا أوخانَ عهداً أو أطاع شفيقا

فسرّ بها أبو سعيد ، وقال : أحسنت والله يافتى ! وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه فوق كل من حضر فى مجلسه ، تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل على وقال : يا فتى ، أما تستحى منى ؟ هذا شعرى وتنتحله وتنشده بحضرتى ، فقال له أبو سعيد: أحقاً ما تقول ؟ قال: نعم ، وإنما علقه منى فسبقنى به إليك وزاد فيه ، ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككنى علم الله فى نفسى وبقيت متحيراً ، فأقبل على أبو سعيد فقال لى : يا فتى لقد كان فى قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا ، فجعلت أحلف بكل محرّجة من الأيمان ، أن الشعر لى ، وما سبقنى إليه أحد ، ولا سمعته ، ولا انتحلته ، فلم ينفع ذلك شيئاً وأطرق أبوسعيد ، وقطع بى حتى تمنيت أنى سختُ فى الأرض ، فقمت منكسر البال أجرّ رجلى ، فخرجت ، فما هو إلا أن بلغت باب الدار ، حتى خرج الغلمان فردونى ، فأقبل على الرجل ، فقال: الشعرُ لك يا بنى ، والله ماقلته قط ، ولا سمعت به إلا منك ، ولكننى ظننت أنك تهاونت بموضعى ، فأقدمت على الانشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا، تريد بذلك مضاهاتى ومكاثرتى ، حتى عرفنى الأمير نسبك وموضعك ، ولوددت أن لاتلد طائية إلا مثلك ، وجعل أبو سعيد يضحك ، فدعانى أبو تمام فضمنى إليه وعانقنى ، وأقبل يقرظنى ، ولزمته بعد ذلك ، وأخذتُ عنه ، واقتديت به .

ثم إن البحترىّ اختص بأبى سعيد ، وكان مداحاً له طول أيامه ولابنه من بعده ، ورثاهما بعد مقتلهما وأجاد ، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه . وروى أنه قيل له فى ذلك ، فقال: من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح ، لا كما قال الآخر ـ وقد سئل عن ضَعْفِ مراثيه ـ فقال: كنا نعمل للرجاء ، ونحن الآن نعمل

للوفاء ، و بينهما بعد [١] .

وكان البحترى من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة ، وأبخلهم على كل شىء .
وكان له أخ وغلام معه فى داره ، فكان يقتلهما جوعاً ، فاذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان ، فيرمى إليهما بثمن أقواتهما مضيقاً مقتراً ، ويقول : كُلاَ ، أجاع الله أكبادكما ، وأعرى أجلادكما ، وأطال اجتهادكما .

وحدث محمد بن بحر الأصبهانى الكاتب ، قال: دخلت على البحترى يوماً فاحتبسنى عنده ، ودعا بطعام له ، ودعانى إليه ، فامتنعت من أكله ، وعنده شيخ شامىٌّ لا أعرفه ، فدعاه إلى الطعام فتقدم ، فأكل معه أكلا عنيفا ، فغاظه ذلك ، ثم إنه التفت إلى ، فقال لى : أتعرف هذا الشيخ ؟ قلت : لا ، قال : هذا شيخ من بنى الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر [من الكامل] :

وبَنُو الهُجيم قبيلةٌ ملعونةٌ ... حُمْرُ اللحى متناسبو الألوانِ [٢]

لو يسمعون بأكلة أو شربة ... بعمان أضحى جمعهم بعمان

قال : فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك .

ومن شعره يهجو إنسانا فى لسانه حبسة [من المنسرح] :

أنت كما قد علمت مضطرب الـــــهيئة والقدّ ظاهرُ الخلف [٣]

---

(١) روى أن محمد بن يوسف سأل الخريمي أبا يعقوب الشاعر : مابال مدائحك فى منصور بن زياد خيرا من مراثيه ؟ فقال الخريمى : لأن المدح للرجاء والمراثى للوفاء ، وبينهما بون بعيد (انظر الوزراء والكتاب للجهشيارى ٢٦٨) وستأتى هذه القصة فى ترجمة الخريمى صاحب الشاهد رقم ٤٢ الذى يلى هذا

(٢) فى الأغانى «حص اللحى»

(٣) فى الديوان (٢ ـ ١١٩) «ظاهر الجلف»

ورنة نحت غنة قدرت من هالك الراء ذامر الألف
كأن فى فيه لقمة عقلت لسانه فالتوى على حنف
محركٌ رأسَهُ توهمهُ قد قام من عطسة على شرف

وهو بليغ التشبيه فى معناه .

وأنشد البحترىّ شيئاً من شعر أبى سهل بن نوبخت ، فجعل يحرك رأسه، فقيل له : ما تقول فيه ؟ فقال: هو يشبه مضغ الماء ليس له طعم ولا معنى .

وقد نظمت هذا الغرض عرض لى فقلت [من المديد] :

ربَّ خذ للشعر من زمَرٍ أسمعونا منه ما أضنى
مثلُ طعم الماء ليس لهُ فى فمٍ طعمٌ ولا معنى

ورأيت بعد ذلك بيتاً آخر فى المعنى ، وهو [من الوافر] :

حديثٌ مثلُ لعق الماء بحتاً وليس للعق بحت الماء طعمُ

والبحتُ ـ بالمثناة فوق ـ الصّرفُ .

وذكرتُ بأبيات البحترى فى الحبسة ما نظمته قديما ، وهو [من الرجز] :

إن قالَ شعراً خلته علكا قوياً يعلك
وإنَ شدا فصوتهُ صوت دجاج يمسكُ

واجتازت جاريةٌ بالمتوكل معها كوز ماء ، وهى أحسن من القمر ، فقال : ما اسمك؟ قالت :برهان ، قال : ولمن هذا الماء ؟ قالت: لستى قبيحة ، قال: صبيه فى حلقى ، فشربه عن آخره ، ثم قال للبحترى : قل فى هذا شيئاً ، فقال [من البسيط] .

ماقهوةٌ من رحيق كأسها ذهبٌ جاءت بها الحور من جنات رضوانِ
يوماً بأطيب من ماء بلا عطش شربته عبثاً من كف برهانِ

وحدث أبو الغوث ابن البحترى قال : كتبت إلى أبى يوما أطلب منه نبيذاً ، فبعث إلى بنصف قنينة دردى وكتب إلىّ : دونكها يا بنى فانها تكشف القحط وتفوت الرهط .

وحدث جحظة قال : سمعت البحترى يقول : كنت أتعشق غلاما من أهل منبج ، يقال له شقران ، فاتفق لى سفر فخرجت فيه وأطلت الغيبة ثم عدت وقد التحى ، فقلت فيه ـ وكان أول شعر قلته ـ [من مجزوء الرمل] :

نبتت لحيـة شـقرا ... نَ شقيق النفس بَعْدِى

حُلقت كيف أتته ... قبل أن ينجز وعدى

وحدث جحظة قال : كان نسيمٌ غلامُ البحترىِّ الذى يقول فيه : [من الطويل] :

دعا عَبْرَتى تجرى على الجور والقصد ... أظنُّ نسيما فارقَ الهجر من بعدى

خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه ... فوا عجباً للدهر فقداً على فقدِ(١)

غلاماً رومياً(٢) ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه و يعتمد أن يصير إلى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفق عنده الأدب ، فاذا حصل فى ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفى الناس أمره .

وقد قال ابن نباتة المصرى مشيراً إلى ذلك [من الوافر] :

وغانِيَةٍ توافقنى إذا ما ... صَبَوْتُ لها بِذا العقلِ السليم

وأُعذرُ إن بَكيْتُ على رياضٍ ... بكاء البُحترِىِّ على نَسيمِ

---

(١) فى الأغانى « فقد على فقد »

(٢) « غلاما روميا » هذا خبر كان فى قوله « كان نسيم إلخ »

وحدث الأخفش قال: كتب البحترى إلى محمد بن القاسم (١) القمى يستهديه نبيذاً، فبعث إليه مع غلام له أمرد، فخمّشه البحترى، فغضب الغلام غضباً شديداً ظن البحترى أنه سيخبر مولاه بما جرى، فكتب إليه [من المتقارب]:

أبا جعفرٍ كان تخميشُنا غلامَكَ إحدى الهَنَاتِ الدَّنيهْ
بعثتَ إلينا بشمس المُدام تُضيء لنا مع شمسِ البريّهْ
فليْتَ الهديةَ كان الرسولَ وليت الرسولَ إلينا الهديهْ

فبعث محمد بن القاسم بالغلام إليه هدية، فانقطع البحترى بعد ذلك عنه مدة خجلاً مما جرى، فكتب إليه محمد بن القاسم [من الطويل]:

هجرتَ كأن البِرَّ أعقبَ حشمةً ولم أرَ بِرًّا قبلَ ذا أعقب الهجرا

فقال فيه قصيدة يمدحه [من الكامل]:

إنى هجرتُكَ إذْ هجرتك حشمةً لا العَوْدُ يُذهِبُها ولا الإبداء
أخجلتَنى بندَى يديك فسوَّدت ما بيننا تلك اليدُ البيضاء
وقطعتَنى بالبر حتى إننى متوهمٌ أن لايكونَ لقاء
صِلةٌ غدَتْ فى الناس وهى قطيعةٌ عجبٌ وبر راحَ وهو جفاء (٢)
ليُواصلنَّكَ ركب شعر سائرٍ يَرويه فيك لحسنه الأعداء (٣)

---

(١) فى المطبوعتين « البقمى » وكتب بهامش مطبوعة بولاق « فى نسخة القمرى » وكلاهما تصحيف، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى، وهو فيه « محمد بن على القمى » وهو الموافق لما فى الديوان (١ - ٦)

(٢) فى الأغانى «عجبا» وهى فى الديوان بالرفع كما هنا، وكلاهما صحيح فى العربية

(٣) فى المطبوعتين «يرويك فيه» وأثبتنا ما يوافق الديوان، ووقع فى الأغانى رواية البيت هكذا:

لأوصينك ركب شعرى سائر نهدى به فى مدحك الأعداء

حتى يتم لك الثناء مُخلداً أبداً كما تمت لك النعْماء(١)
فتظل تحسدُكَ الملوكُ الصِّيدُ بى وأظل تحسدُنى بك الشعراء

وحدث البحترى قال: أنشدت أبا تمام شيئاً من شعرى فتمثل ببيت أوس ابن حجر [من الطويل]:

إذا مقْرِمٌ منا ذَرَى حدُّ نابِهِ تخمَّطَ منا نابُ آخَرَ مقْرِمِ(٢)

ثم قال لى: نعيت والله إلىَّ نفسى، فقلت: أعيذك بالله من هذا القول، فقال: إن عمرى لن يطول، وقد نشأ فى طيئ مثلك، أما علمت أن خالد بن صفوان رأى شبيب بن شيبة وهو بين رهطه يتكلم، فقال: يابنى لقد نعى إلىَّ نفسى إحسانُكَ فى كلامك، لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط إلا مات الذى من قبله، قلت: بل يبقيك الله ويجعلنى فداك، قال: ومات أبو تمام رحمه الله بعد سنة

وحدث أبو عنبس(٣) الصيمرى قال: كنت عند المتوكل والبحترى ينشده قوله [من مجزوء الكامل]:

عن أى ثغر تَبْتَسِم وبأى طرف تحتكم

حتى بلغ إلى قوله فيه:

قل للخَليفةِ جعفرِ الـ ـمتوكل بن المُعتصِم
والمجتدَى ابن المجتدَى والمُنعِمِ ابن المنْتقِم
اسلم لدين محمد فاذا سلمتَ فقد سلم

---

(١) فى الديوان «كما تمت لى النعماء»

(٢) وقع هذا البيت فى المطبوعتين:

إذا مقدم منا ذوى حد نابه تخمط منا ناب آخر مقدم

وهو تحريف فى عدة مواضع، وفى الأغانى «مقدم» فى الموضعين

(٣) فى الأغانى «أبو العنبس» بالألف واللام

قال : وكان البحترى من أبغض الناس إنشاداً ، يتشادق ويتزاور فى مشيته مرة جائيا ، ومرة القهقرى ، ويهز رأسه مرة ، ومنكبه أخرى ، ويشير بكمه ويقف عند كل بيت ، ويقول : أحسنتُ والله ، ثم يقبل على المستمعين فيقول : مالكم لاتقولون لى أحسنت ؟ هذا والله مما لا يحسن أحد أن يقول مثله ، فضجر المتوكل من ذلك ، وأقبل علىَّ فقال : أما تسمع ما يقول يا صيمرى ؟ فقلت : بلى ياسيدى ، فمرنى فيه بما أحببت ، فقال : بحياتى أهجه على هذا الروى الذى أنشدنيه ، فقلت : تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول ، فدعا بدواة وقرطاس وحضرنى على البديهة [من مجزوء الكامل] :

أدخلتَ رأسكَ فى الرَّحِمْ ... وعلمتَ أنك تنهزم[1]
يابحْترِىُّ حذار ويْـ ... ـحكَ من قَضاقضة ضغم
فلقد أسلْتَ بوالديْـ ... ـك من الهِجا سَيْلَ العرم
فبأى عِرْضٍ تَعتصم ... وبهتكه جَفَّ القلم
والله حلفةَ صادقٍ ... وبقبرِ أحمد والحرم
وبحق جعفرٍ الاما ... م ابن الامام المُعْتَصِمْ
لأصيرنك شهرة ... بين المَسيل إلى العَلَم

فى أبيات أخر من هذا النمط[2] ، قال : فخرجَ مغضباً يعدو ، وجعلت أصيح به :

أدخلت رأسك فى الرحم ... وعلمت أنك تنهزم

---

(١) فى المطبوعتين «أدخلت رأسك فى الحرم» محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) اقرأ تمامها فى الأغانى (١٨ - ١٧٣)

والمتوكل يضحك ويصفق بيديه حتى غاب عنه، وأمر لى بالصلة التى أعدت للبحترى.

وقال أحمد بن يزيد [١] : حدثنى أبى، قال : جاءنى البحترى فقال لى : يا أبا خالد، أنت عشيرى وابن عمى وصديقى، وقد رأيت ما جرى على، أفترى أنى أخرج الى منبج بغير إذن فقد ضاع العلم وهلك الأدب، فقلت له : لا تفعل من هذا شيئاً فان لى علماً بأن الملوك تمزح بأكثر من هذا، ومضيت معه إلى الفتح بن خاقان فشكا إليه ذلك، فقال له نحوا من قولى، ووصله وخلع عليه، وسكّن منه، فسكن إلى ذلك.

وقد ذكرت بمجال البحترى فى إنشاده فصلا ذكره الصاحب بن عباد فى وصف أبى الحسن المنجم الشاعر فأحببت إثباته وهو [٢].

لما قتل المتوكل قال أبو العنبس الصيمرى يرثيه [من السريع] :

يا وَحْشة الدنيا على جعفر على الهمام الملك الأزهر
على قتيل من بنى هاشم بين سرير الملك والمنبر
والله ربِّ البيت والمشْعَرْ والله لو أنْ قتل البُحترى
لثارَ بالشام له ثائرٌ فى ألف بغل من بنى عضخرى [٣]
يقدُمهم كلُّ أخى ذلة على حمارٍ دبِرٍ أعور

(١) فى الأغانى «أحمد بن زياد»

(٢) سقط هذا الفصل من أصول هذا الكتاب كلها

(٣) فى المطبوعتين «من بنى عصخر» وقال مصحح مطبوعة بولاق فى هامش النسخة : «قوله عصخر كذا فى النسخ التى بأيدينا ولم أقف عليه» وقد أثبتنا ما فى الأغانى

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحترى فضحك ثم قال : هذا الأحمق الأعور يرى أنى أجيبه عن مثل هذا ، ولو عاش امرؤ القيس فقال مثل هذا القول لم أجبه .

وقال أبو العباس بن طومار : كنت أنادم المتوكل ومعنا البحترىُّ وبين يديه غلام اسمه راح ، حسن الوجه ، فقال المتوكل : يا فتح إن البحترى يعشق راحا ، فنظر إليه الفتح وأدمن النظر فلم يره ينظر إليه ، فقال الفتح : ياأمير المؤمنين أرى البحترى فى شغل عنه ، فقال : ذاك دليل عليه ، يا راح خذ قدحاً بلوراً ، واملأه شراباً وناوله إياه ، فلما ناوله بُهت البحترى ينظر إليه ، فقال المتوكل : كيف ترى ؟ ثم قال : يابحترى ، قل فى راح شعراً ، ولا تصرح باسمه ، فقال : [من مجزوء الرمل] :

جاَزِ بالودِّ فتًى أمـــسى رهيناً بك مُدْنَفْ
اسمُ من أهواهُ فى شعـــرِىَ مقلوبٌ مُصحَّفْ

وقال الصولىّ : سمعت عبـد الله بن المعتز يقول : لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية فى وصف إيوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيـدته فى وصف البركة ـ لكان أشعر الناس فى زمانه ، وَالقصيدة السينية أولها [من الخفيف] (١) :

صنتُ نفسى عما يدنِّسُ نفسى وَترفعتُ عن جدَا كل جِبْس (٢)

إلى أن قال فيها :

---

(١) اقرأها فى الديوان (٢ ـ ٥٥ مصر ، ١ ـ ١٠٨ الجوائب)

(٢) فى المطبوعتين « وترفعت عن جـدا كل جنس » محـرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى نسختى الديوان

وَكأن الايوان من عجب الصنـــعة جوبٌ فى جنب أرعن جلس(١)
يتظنىّ من الكآبة أن يبـــدو لعينى مصبح أو ممسى(٢)
مزعجاً بالفراق عن أُنس إلفٍ عزَّ أو مرهقاً بتطليق عرس
عكست حظه الليالى وباتَ الـــمشترى فيه وَهو كوكب نحسِ
فهو يُبْدى تجلداً وَعليــهِ كلــكلٌ من كلا كلِ الدهرِ مرْسى
لم يعبهُ أنْ بزُّ منْ بُسُطِ الديــباج واستلَّ من ستور الدمقس
مُشْمَخِراً تعلو له شرُفاتٌ رُفعت فى رؤوس رضوى وقدسِ(٣)
ليسَ يُدْرَى أصنعُ إنسٍ لجنّ سكنوه أم صنع جنّ لانسٍ(٤)
غيرَ أنى أراهُ يشهد أنْ لمْ يكُ بانيه فى الملوك بنِكسِ

وحدث الأخفش قال : سألنى القاسم بن عبيد الله عن خبر البحترىّ ، وقد كان أسكت ومات بتلك العلة ، فأخبرته بوفاته ، وأنه مات بالسكتة ، فقال : ويحه رمى فى أحسنه .

وقد جمع الصولىّ ديوانهُ ورتبه على الحروف ، وجمعه ابن حمزة ، ورتبه على الأنواع ، وقد جمع البحترى كتاب الحماسة ، كما فعل أبو تمام ، وله كتاب معانى الشعر ، وعاش ثمانين سنة ، وانتقل فى آخر عمره إلى الشأم ، وَتوفى بمنبج

---

(١) فى الأصول «من أعجب الصنعة» وما أثبتناه موافق لنسختى الديوان والجوب ـ بفتح فسكون ـ الترس ، والأرعن : الجبل ، والجلس : العالى الطويل

(٢) فى الأصول «يتضنى» وأثبتنا مافى نسختى الديوان

(٣) فى نسختى الديوان «مشمخر» بالرفع

(٤) فى الأصول « ليس تدرى » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى نسختى الديوان

سنة ثلاث - وقيل: سنة أربع ، وقيل : خمس - وثمانين ومائتين ، رحمه الله تعالى !.

***

شاهد ذكر مفعول فعل المشيئة

٤٢ - ولوشئت أن أبكى دماً لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

البيت للخريمى (١) من قصيدة من الطويل يرثى بها أبا الهيذام ، وأولها :

قضى وطراً منك الحبيب المودَّعُ وحلَّ الذى لا يستطاع فيُدفعُ

إلى أن قال فيها :

وأعددته ذخرا لكل ملمة وسهم الرزايا بالذخائر مولَعُ (٢)

وإنى وإن أظهرت منى جلادة وصانعت أعدائى عليه لموجعُ

ملكت دموع العين حتى رددتها إلى ناظرى إذ أعين القلب تدمعُ

وبعده البيت .

والساحة : الفضاء بين الدور .

والشاهد فيه : ذكرُ المفعول - وهو « دماً » - لكون تعلق فعل المشيئة به غريباً .

أشعار فى بكاء الدم

وقد تفنَّن الشعراء فى بكاء الدم ، وتشعبت مسالكهم فى إيراده ، فمن ذلك قول أبى القاسم بن كيكس [من الطويل] :

بكيتُ دماً حتى بقيتُ بلا دمٍ بكاء فتى فردٍ على سكنٍ فردِ

---

(١) وهو من شواهد دلائل الاعجاز (ص ١٢٦) وفى الأصول «الخزيمي» بالزاى محرفا

(٢) هذا البيت وحده فى الأغانى (١٨ - ١١٤) منسوبا للخريمى فى رثاء أبى الهيذام

أأبكى الذى أهواه بالدمعِ وحدهُ لقد جلَّ قدر الدمع فيه إذًا عندى

وقول الشريف الرضى [من الطويل] :

ويوم وقفنا للوداع فكلُّنا يَعُدُّ مطيعَ الشوق مَنْ كان أحزمَا

فصرتُ بقلب لا يعنفُ فى الهوى وعينٍ متى استمطرتَها أمطرَتْ دَمَا

ومثله قول مهيار الديلمىّ [من الطويل] :

بكيتُ على الوادى فحرَّمتُ ماءه وكيف يَحلُّ الماء أكثرهُ دمُ

وقولُ أبى الحسين الباخرزى [من مخلع البسيط] :

عجبتُ من دَمْعتى وعينى من قبل بَيْنٍ و بعدِ بَيْنِ

قد كان عينى بغير دمع فصار دمعى بغير عين

ومثله قول مؤلفه فى مطلع قصيدة [من السريع] :

أوّاهُ من دمع بلا عينِ يجرى على الخدين من عينى

وما أحسن قول بعضهم [من الطويل] :

وَلما التقينا للوداع عشية وقد راعها صبرى لدى موقف البينِ

أتت بصِحَاح الجوهرىِّ دموعها فعارَضْتُ من دمعى بمختصر العين(١)

ولأبى الفتح البكتمرى [من مجزوء الكامل] :

قالوا بكيتَ دماً فقلت مسحت من خدى خَلُوقاً

أبصرتُ لؤلؤ ثغرهِ فنثرتُ من جفنى عقيقاً

لو لا التمسك بالهوى لحملتُ من دمعى غريقاً

ولابن حمديس [من الخفيف] :

---

(١) صحاح الجوهرى: فيه تشبيه الدمع باللؤلؤ، والتورية بكتاب الصحاح الذى ألفه الجوهرى، كما أن فى قوله «مختصر العين» تورية أخرى بمؤلف للزبيدى اختصر فيه كتاب العين للخليل بن أحمد

غشيت حجرها دموعى حمراً وهى من لوعة الهوى تتحدر
فانزوت بالشهيق خوفاً وظنت حبّ رمّان صدرها قد تنثر
قلت عند اختبارها بيديها ثمراً صانهن جيب مزرر
لم يكن ما ظننت حقاً ولكن صبغة الوجد صبغ دمعى أحمر

وهو ينظر إلى قول المنازى يصف وادياً [من الوافر] :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنوّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمإ زلالاً أرقّ من المدامة للنديم
يصدّ الشمس أنّى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

أردت البيت الأخير .

وقد قلب الشيخ بدر الدين بن الصاحب غالب هذه الأبيات هجواً فى حمام فقال [من الوافر] :

وحمام قليل الماء داجٍ وفيه ألف شيطان رجيم
ولا غير المزاحم من رفيق ولا غير المدافع من حميم
طلبنا ماءه فحنا علينا حنوّ المرضعات على الفطيم
ونقطنا برشح بعد رشح كمصّ من أباريق النديم
يصدّ الحرّ عنا فى شتاء فيحجبه ويأذن للنسيم
يروع بهوله من حل فيه فيحسب أنه هول الجحيم

رجع إلى وصف الدمع .

ولأبى بكر الخالدى فيه [من البسيط] :

بكى إلىّ غداةَ البين حين رأى   دمعى يفيض وحالى حالُ مبهوت
فدمعتى ذَوْبُ ياقوت على ذهب   ودمعهُ ذَوْبُ دُرّ فوق ياقوتِ

وللوأواء الدمشقى فى معناه [من الخفيف] :

كلُّ دمع فبالتكلف يَجْرِى   غيرَ دمع المحبّ والمهجور
وَرَدَ البينُ دمع عينى فأضحى   كعقيق أذيب فى بلّور

وله أيضاً فى مثل ذلك [من الكامل] :

فامزج بمائك نار كأسك وَاسقنى   فلقد مزجتُ مدامعى بدمائى

ولابن نباتةَ المصرى [من الخفيف] :

يا غزالا رنا وغصناً تثنى   وهلالا سما وَصبحاً أنارا
كان دمعى على هواك لجيناً   فأحالَتْهُ نارُ قلبى نُضارا

وما أبدع قوله بعده مع حسن التضمين :

حِليةٌ لا أُعيرُها لمحِبٍّ   شَغَلَ الحَلْىُ أهلَهُ أن يعارا

ولابن قلاقس [من الطويل] :

مضى معهم قلبى فلله دَرُّهُ   لقد سَرَّنى إذ مر مع من يَسُرُّهُ
وأطولُ من هجرِ الحبيبِ وصَبْوتى   ويومِ النَّوَى ليلى وهمِّى وشَعْرُه
وليس دَماً ماء الجُفونِ وإنما   فؤادى بماء الدَّمع قد ذابَ جَمْرُه

وما أحسن قول أسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة [من المنسرح] :

ظَلْتُ به والدموعُ جاريةٌ   أقَبِّلُ الخدَّ منه واللّيتا
تقطرُ دُرا حتى إذا وَرَدَتْ   روْضَةَ خديه عُدْنَ ياقوتا

وقوله أيضاً [من السريع] :

ليسَ ليوم البيْنِ عندى سوى   مدامعٍ تجيعُها سَكْبُ

كأنما فَضّ بأجفانها رُمّانةً فانتثر الحَبُّ

وللمطوعى أيضاً [من البسيط] :

لما استقلّتْ بهم عيرُ النوى أُصلاً وشتّتَتهم صُروف البين تشتيتا

جعلتُ أنظم فى وصف النوى درراً والعينُ تنثر من دمعى يواقيتا

وما أحسن قول المسعودى [من المجتث] :

قالت عهدتك تبكى دماً حِذارَ التنائى

فما لعينك جادتْ بعد الدماء بماء

فقلت : ما ذاك منى لسَلْوَةٍ وعَزَاءِ

لكن دموعىَ شابت من طول عُمْرِ بكائى

وهو يشبه قول القائل أيضاً [من الكامل] :

قالوا ودمعى قد صفا لفراقهم إنا عَهِدْنَا منك دمعاً أحمرا

فأجبتهم إن الصبابة عُمِّرَتْ فيكم وشاب الدمع لما عُمِّرا

وأحسن منه قول الآخر [من الطويل] :

وقائلةٍ ما بالُ دمعك أبيضا فقلت لها يامىُّ هذا الذى بقِى

ألم تعلمى أن النوَى طال عمرُه فشابت دموعى مثل ماشاب مَفْرِقى

ومثله أيضا قول ابن الغويرة [من البسيط] :

كانت دموعىَ حمراً قبل بينهمُ فمذ نأَوْا قصّرَتْها لوعةُ الحرق

قطفت للحظ ورداً من خدودهم فاستقطر البعدُ ماء الورد من حدقى

ومثله قول محمد بن هبة الله الشهير بأبى دلف الكاتب ويروى لعبد الكافى اليهودى الهارونى [من البسيط] :

يا من يقرِّب وَصْلى منه موعدُهُ لولا عوائق من خُلْفٍ تباعدهُ

لا تحسبن دموعي البيضَ غيرَ دمي ... وإنما نَفَسي الحامي يُصَعِّدُه

وقول أبي القاسم بن العطار بديع، وهو [من الكامل]:

ما أدمُعي تنهلُّ سَحًّا إنما ... هي مُهجتي سالَتْ من الآماق

وهذا الباب واسع جداً، وفيما أوردناه مقنع.

ترجمة أبي الهيذام

وأبو الهيذام (١) المرثيُّ هنا: هو عامر بن عمارة بن خريم، وهو والد المحدث موسى بن عامر صاحب الوليد بن مسلم وراوي كتبه، وكان أمير عرب الشام وزعيم قيس وفارسها المشهور، وهو قائد العرب المضرية في الفتنة العظمى الكائنة بدمشق بين القيسية واليمانية في دولة الرشيد، وهي التي من أجلها قال الرشيد لجعفر بن يحيي البرمكي: ليس لهذا الأمر إلا أنا وأنت، فاما أن تتوجه أو أتوجه أنا، فمضى جعفر إلى الشام، وأخمد الفتن، وكان قد خرج على الرشيد لكونه قتل أخاه، فظفر به وحُمل إليه مقيداً، فلما مثل بين يديه أنشده أبياتاً يستعطفه بها، منها [من الطويل]:

فأحسن أميرَ المؤمنينَ فانهُ ... أبى اللهُ إلَّا أن يكونَ لك الفضلُ

فمنَّ عليه وعفا عنه.

ومن شعره في أخيه [من الطويل]:

سأبكيك بالبيض الرِّقاق وبالقَنا ... فانَّ بها مايطلُبُ الماجدُ الوِترا (٢)

ولستُ كمن يبكي أخاهُ بعبرةٍ ... يُعَصِّرها في جَفْنِ مُقلتِه عَصْرَا (٣)

---

(١) لأبي الهيذام عامر بن عمارة بن خريم الناعم ترجمة في تاريخ دمشق (٧–١٧٦) وفيها الأبيات التي يذكرها المؤلف هنا، وفيه حديث الفتنة مفصلا

(٢) في تاريخ دمشق * فان بها مايدرك الطالب الوترا *

(٣) في تاريخ دمشق * يعصرها من ماء مقلته عصرا * وذكر بيتا بين هذا والذي بعده، وهو:

ولكنني أشفي الفؤاد بغارة ... أُلهب في قطري كتائبها جمرا

وإنا أناسٌ ما تفيضُ دموعُنا على هالكٍ منا وإن قصمَ الظهرا

وقيل : إنه توفى سنة اثنتين وثمانين ومائة .

ترجمة الخريمي الشاعر

والخريمي هو إسحاق بن حسان ، ويكنى بأبي يعقوب ، وهو من العجم ، وكان مولى ابن خريم[١] ، الذي يقال لأبيه خريم الناعم ، وهو خريم بن عمرو من بني مرة بن عوف بن سعيد بن ذبيان ، وكان لخريم ابن يقال له عمارة ، ولعمارة ابنان يقال لهما عثمان وأبو الهيذام : وفي عثمان هـذا يقول الخريمي [من الطويل] :

جَزَى اللهُ عثمانَ الخُريميّ خيرَما جَزَى صَاحِباً جزْلَ المواهب مُفْضِلاَ

كَفَى جفوةَ الإخوان طُولَ حياته وَأَوْرَثَ مِمّا كانَ أعطَى وأَخْوَلا

وكان عظيم القدر ، وأحد القواد . وعمى الخريمي بعدما أسن ، وكان يقول في ذلك ، فمنه قوله [من المتقارب] :

فإنْ تكُ عيني خبَا نورُها فكم قبلها نورُ عينٍ خبا[٢]

فلمْ يعمَ قلبي ولكنما أرَى نورَ عيني إليهِ سرَى

فأسْرَجَ فيهِ إلى نورهِ سِراجاً مِنَ العلمِ يشفي العمى

وأخذ هذا من قول حبر الأمة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان عمى فقال [من البسيط] :

إنْ يأخذِ اللهُ مِنْ عينيَّ نورَهُما فَفِي لِساني وقلبي مِنهما نورُ

قلبي ذكيٌّ وعقلي غيرُ ذي دَخَلٍ وَفِي فمي صارمٌ كالسّيفِ مأثورُ

---

(١) ابن خريم هذا هو عمارة والد أبي الهيذام ، وخريم الناعم جد أبي الهيذام المرثي ، والخريمي منسوب إليه . وفي الأصول «خزيم» بالزاي في جميع المواطن ، وهو تحريف

(٢) في الأصول «نور عيني خبا» محرفا بزيادة الياء

وكان أبو يعقوب الخريمي متصلا بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياد ، ثم رثاه بعد موته ، فقيل له : يا أبا يعقوب ، مراثيك لآل منصور بن زياد أحسن من مدائحك وأجود ، فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء(١) ونحن الآن نعمل على الوفاء ، و بينهما بون بعيد .

وهو القائل فى عمى عينيه [من المنسرح] :

أُصْغِى إلى قائِدِى لِيُخْبِرَنى ... إذا ٱلْتَقَينا عَمَّنْ يُحيينى
أُريدُ أن أعدل السَّلام وأن ... أَفْصِلَ بين الشريفِ والدونِ
أسمعُ مالاَ أرَى فأكرهُ أن ... أُخطِىء والسمعُ غيرُ مأمونِ
لله عينى التى فُجِعتُ بهَا ... لو أنَّ دهرًا بهـا يواتينى
لو كنتُ عُمِّرْتُ ما أخذتُ بها ... تَعْمِيرَ نوح فى ملك قارونِ
حقٌّ أخِلاَّىَ أن يعودونىِ ... وأن يُعزُّوا عينى ويبكونىِ

وهو القائل أيضاً [من الوافر] :

إذا ما مات بعضُكَ فابكِ بعضاً ... فانَّ البعضَ منْ بعضٍ قريبُ
يمنِّينى الطبيبُ شفاء عينى ... وهلْ غيرُ الالهِ لها طبيبُ

ومن جيد شعره قوله [من البسيط] :

الناس أحلامُهم شتى و إن جُبِلُوا ... عَلَى تشابهِ أرواحٍ وأجسادِ
للخيرِ والشرِّ أهلٌ وكُلوا بهمَا ... كلٌّ لهُ من دوَاعى نفسه هادى
منهمْ خليلُ صفاء ذو مُحافظةٍ ... أرْسى الوفاء أَوَاخيهِ بأوتادِ
ومُشعرُ الغدرِ مَحنىٌّ أضالعهُ ... علَى سَريرَةِ غِمرٍ غلُّها بادى
مُشاكِسٌ خدع جمٌّ غوائلهُ ... يبدى الصفاءَ ويُخفى ضَربةَ الهادى
يأتيكَ بالبغىِ فى أهل الصفاء ولا ... ينفكُّ يسعىَ باصلاحٍ لافسادِ

(١) أحسب فى العبارة قلبا

ومن جيد شعره أيضاً قوله [من الطويل] :

أضاحكُ ضيفى قبل إنزالِ رَحلهِ ... وَيُخصِبُ عِندى والمحلُ جديبُ
وَما الخصبُ للأضيافِ أن يكثرَ القِرى ... وَلكنما وَجهُ الكريمِ خصيبُ

وهو القائل [من الطويل] :

وَإنَّ أشدَّ النَّاسِ فى الحشرِ حسرةً ... لُمورثُ مالٍ غيرَهُ وَهوَ كاسِبُهْ
كَفى سفهاً بِالكهلِ أنْ يتبعَ الصبا ... وَأن يأتىَ الأمرَ الذِى هُوَ عائِبُهْ

وهو القائل أيضاً [من السريع] :

ما أحسنَ الغيرةَ فى حِينِها ... وَأقبحَ الغيرةَ فى كلِّ حِينْ
مَنْ لمْ يزلْ مُتهماً عرسهُ ... مناصبا فيها لِرِيبِ الظُّنونْ
أوْشكَ أنْ يُغريها بِالذِى ... يَخافُ أنْ يُبرزَها لِلعيونْ
حَسبكَ مِنْ تحصِينها وَضعُها ... مِنكَ إلى عِرضٍ صَحِيحٍ وَدِينْ
لاَ تَطَّلعْ مِنكَ على رِيبةٍ ... فيتبعَ المقرونُ حبلَ القَرِينْ

* * *

شاهد ذكر مفعول المشيئة لعدم القرينة

٤٣ — وَلَمْ يُبقِ مِنِّى الشَّوْقُ غَيْرَ تَفَكُّرِى
فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِى بَكَيْتُ تَفَكُّرَا

البيت لأبى الحسن على بن أحمد الجوهرى ، من قصيدة من الطويل .

والشوق : نزاع النفس وحركة الهوى

والشاهد فيه: أن عدم حذف المفعول فيه لانتفاء القرينة لا لغرابة المفعول ، لأن المراد بالبكاء الأول فى البيت البكاء الحقيق ، لا الفكرى ، فكأنه يقول : أفنانى الشوق فلم يبق منى غير التفكر ، فلو شئت البكاء وعصرت عينى ليسيل دمعها لم يخرج منها دمع وخرج بدله التفكر ، فالبكاء الذى أراد إيقاع المشيئة عليه بكاء مطلق مبهم غير مُعدًّى إلى الفكر البتة ، والبكاء الثانى مقيد مُعدًّى إلى

التفكر فلا يصلح تفسيرا للأول وبيانا ، كذا قاله التفتازانى نقلا عن دلائل الأعجاز [١] .

والجوهرى هو [٢] .

* * *

شاهد حذف المفعول لدفع توهم غير المراد

٤٤ — وَكَمْ ذُدْتَ عَنِّى مِنْ تَحَامُلِ حَادِثٍ
وَسَوْرَةِ أَيَّامٍ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظْمِ

البيت للبحترى ، من قصيدة من الطويل ، يمدح أبا الصقر [٣] ، وأولها :

أعَنْ سَفهٍ يومَ الأبيْرِقِ أمْ حلمِ ... وُقوفٌ بربعٍ أو بكاءٌ علَى رسمِ
وما يُعْذَرُ الموسومُ بالشَّيبِ أن يُرَى ... مُعارَ لباسٍ للتصابى وَلا وَسْمِ
تخبِّر أيامى الحديثاتُ أننِى ... تركتُ السرُورَ عِندَ أيامىَ القُدْمِ [٤]
وَأولعتُ بالكتمانِ حتى كأننى ... طُويتُ على ضغنٍ من الدِّينِ أو وغمِ
فان تلقنى نضوَ العظامِ فانها ... جريرَةُ قلبى منذ كنتُ على جسمى

وهى طويلة ، فمنها فى المديح :

كأنكَ من جِذمٍ من الناسِ مُفْرَدٍ ... وسائرُ من يأتى الدَّنيَّاتِ من جِذمِ
كأنا عدُوًّا مُلْتَقَى ما تقاربتْ ... بنا الدارُ إلا زادَ غرمكَ فى غُنمى

وبعده البيت، وبعده :

أحاربُ قوماً لا أسرُّ بسوئهم ... ولكننى أرمى منَ الناس من ترْمى

(١) اقرأ عبارة الشيخ فى دلائل الاعجاز (١٢٨)عن بيت الشاهد
(٢) سقطت ترجمة الجوهرى من أصول هذا الكتاب كلها
(٣) ارجع إليها فى الديوان (٢ — ٢٣٦ مصر)
(٤) في الديوان « تخبرنى أيامى الحدث »

والذود : الطرد والدفع . والتحامل : تكليف الأمر المشق [١] ، يقال : تحامل علـى فلان ، إذا كلفه مالا يطاق . وسورة الأيام : شـدتها وصولتها واعتداؤها . والحز : القطع

والشاهد فيه : حذف المفعول لدفع توهم إرادة غير المراد من الـكلام ابتداء وهو هنا « اللحم » إذ لو ذكر لتوهم قبل ذكر العظم أن الحز لم ينته إليـه ، فترك دفعاً لهذا الوهم .

وتقدم ذكر البحترى قريباً .

***

٤٥ — قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نجد لك فى السُّؤْ دَدِ وَالمجد والمكارِم مِثْلا

البيت للبحترى ، من قصيدة من الخفيف ، يمدح بها المعتز لدين الله [٢] وأولها :

إن سير الخليطِ حين استقلا كانَ عوْناً للدمع لما استهلا
فالنَّوى خُطَّة من الهجر ما ينـ ـفكُّ يَشْجَى بها المحبُّ ويَبْلَى [٣]
فأقلا فى غلْوَة اللوم إنى زائدٌ فى الغرام إن لم تقِلاَّ

وهى طويلة ، فمنها فى المديح :

لم يزَلْ حقُّكَ المُقَدَّم يمحو باطِلَ المستعارِ حتى اضمحَلاَ

وبعده البيت ، وبعده :

أنتَ أندى كَفًّا ، وأشرفُ أخلا قاً ، وأزكى قولاً ، وأكرم فِعلاَ

يعرض بذم المستعين .

---

(١) الصواب أن يقول « تـكليف الأمر الشاق »
(٢) اقرأها فى الديوان (٢ - ١٧٩ مصر)
(٣) فى الديوان « والنوى خطة »

والسؤدد، بالهمز: السيادة . والمجد: نيل الشرف والكرم، أولا يكون إلا بالآباء، والمكارم: فعل الكرم، والمِثْل: الشبه .

والشاهد فيه: حذف المفعول لإرادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظ المفعول، إظهاراً لكمال العناية بوقوع الفعل عليه وترفعا عن إيقاعه على ضميره، وإن كان كناية عنه، لأنه لو قال «قد طلبنا لك مثلا» لناسب أن يقول فلم نجده، وفيه تفويت غرض إيقاع نفى الوُجْدَان على صريح لفظ المثل، لكمال العناية بعدم وجدانه، ولهذا المعنى بعينه عكس ذو الرمة فى قوله [من الوافر]:

ولم أمدح لأُرْضِيَهُ بشِعْرى ... لئيما أن يكون أصاب مالا

فانه أعمل الفعل الأول الذى هو «أمدح» فى صريح لفظ اللئيم، لا الثانى الذى هو «أرضى»، إذ كان غرضه إيقاع نفى المدح على اللئيم صريحاً، دون الارضاء

ويجوز أن يكون سبب حذف المفعول: ترك مواجهة الممدوح بطلب مثل له مبالغةً فى التأدب، إذ التصريح بطلب المثل يُجَوِّز وجوده، لأن طلب العاقل مبنىٌّ عليه.

شواهد القصر

٤٥ — أنا الذائد الحامى الذِّمارَ وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

البيت للفرزدق ، من قصيدة من الطويل ، وسببها أن نساء بنى مجاشع بلغهن فُحْشُ جرير بهن ، فأتَيْنَ الفرزدق وَهو مقيـد ، وقد تقدم فى ترجمته أنه قيد نفسه لحفظ القرآن ، فقلن : قبح الله قيدك ، وقد هتك جرير عورات نسائك فلُحيتَ شاعرَ قومٍ ، فأحفَظْنَه ، ففك القيد ، وقال[1] :

ألا استهزأت منى سُوَيدة إذ رأتْ أسيراً يدانى خطوه حلقُ الحجل[2]
ولو علمتْ أن الْوَثَاقَ أشـدُّهُ إلى النار قالت لى مقالة ذى عقل
لعمرى لئن قَيَّدْتُ نفسى لطالما سعيت وأوْضَعْتُ المطية فى الجهل[3]
ثلاثين عاماً ما أري من عَمَاية إذا برقت إلا أشدُّ لها رَحْلى[4]
أتتنى أحاديثُ الْبَعِيثِ ودونهُ زرود فشاماتُ العقيق من الرمل[5]
فقلت : أظنَّ ابنُ الخبيثة أننى غفلتُ عن الرامى الكنانةَ بالنبل[6]
فانْ يكُ قيـدى كان نذراً نذرتهُ فمالىَ عن أحساب قومىَ من شغلِ[7]

و بعده البيت ، و بعده :

(١) اقرأها فى الديوان (٧١١ مصر)
(٢) يروى «ألا هزئت منى هنيدة» وهنيدة : اسم امرأة ، وفى الديوان « أن رأت »
(٣) فى الديوان « وأوضعت المطية للجهل »
(٤) فى الديوان « إلا شددت لها رحلى »
(٥) فى الديوان « فشامات الشقيق إلى الرمل »
(٦) فى الديوان « شغلت عن الرامى »
(٧) فى الديوان « فما بى عن أحساب قومى »

ولوْ ضاعَ ماقالوا ازْعَ منّا وجدتُهمْ   شِحَاحاً على الغالى من الحسب الجزلِ

وهى طويلة .

والذمار - بكسر المعجمة — ما يلزمك حفظه وحمايته . والأحساب : جمع حَسَب، وهو ما يُعد من مفاخر الآباء ، أو هو المال أو الدين ، أو الكرم أو الشرف فى الفعل ، أو الشرف الثابت فى الآباء ، وَقد يكون الحسب والكرم لمن لا آباء له شرفاء ، بخلاف المجد كما تقدم .

ومثل قول الفرزدق قول عمرو بن معدى كرب [من السريع] :

قدْ علمتْ سلمى وجاراتُها   ما قَطَّرَ الفارسَ إلا أنا

والشاهد فيه : صحة انفصال الضمير مع « إنما » إلا أنه لما كان غرضه أن يخص المدافِعَ لا المدافَعَ عنه فصل الضمير ، وهو « أنا » ، وأخَّره إذ لو قال وإنما أدافع عن أحسابهم ، لصارت المدافعة مقصورة على أحسابهم دون غيرها ، وليس هذا معناه ، بل معناه أن المدافع عن أحسابهم هو لا غيره .

شواهد الانشاء

٤٦ – * ألاَ أيُّها الليلُ الطويلُ ألاَ انجلى *

قائله امرؤ القيس بن حُجْرٍ الكندى ، من قصيدته المشهورة السابقة فى شواهد المقدمة ، وقبله :

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله ... علىَّ بأنواع الهمومِ ليبتلى
فقلتُ لهُ لما تمطَّى بصُلبهِ ... وأردفَ أعجازاً وناء بكلكل
ألاَ أيُّها الليلُ الطويلُ ألاَ انجلى ... بصبحٍ وما الاصباحُ منكَ بأمثلِ
فيالكَ من ليلٍ كأنَّ نجومه ... بكل مُغار الفَتْل شُدَّتْ بيَذْبُلِ

والاصباح : الصبح ، وهو الفجر أو أول النهار . والانجلاء : الانكشاف، ومعناه أنه تمنى زوالَ ظلام الليل بضياء الصبح ، ثم قال : وليس الصبح بأمثل منك عندى ، لاستوائهما فى مقاساة الهموم ، أو لأن نهاره يُظْلم فى عينه لتوارد الهموم ، فليس الغرض طلب الانجلاء من الليل ، لأنه لا يقدر عليه ، لكنه يتمناه تخلصا مما يعرض له فيه ولاستطالته تلك الليلةَ كأنه لا يرتقب انجلاءها ولا يتوقعه ، فلهذا يحمل على التمنى دون الترجى .

والشاهد فيه : استعمال صيغة الأمر للتمنى .

وقد أخذ الطِّرِمَّاح هذا البيت وغير قافيته ، فقال [من الطويل] :

ألاَ أيها الليل الطويلُ ألاَ اصبحِ ... بيومٍ وما الاصباحُ منكَ بأرْوَحِ

أشعار فى طول الليل

وما أحسن قول أبى العلاء المعرى فى طول الليل [من الطويل] :

وليْلين حالٍ بالكواكب جوْزُهُ ... وآخرُ من حَلْىْ الكواكب عاطلُ
كأنَّ دجاهُ الهجرُ والفجرُ موعدٌ ... بوصلٍ وضوء الصبح حِبٌّ مماطلُ
قطعْتُ به بحراً يعبُّ عُبابُهُ ... وليسَ لهُ إلا التبلُّجَ ساحلُ

وللوأواء الدمشقى فيه أيضاً [من مخلع البسيط] :

أطالَ لَيلُ الصُّدودِ حتى أَيستُ مِنْ غُرةِ الصَّباحِ
كأنهُ إذْ دَجا غرابٌ قَدْ حَضَنَ الأرضَ بالجناحِ

وما أحسن قول الخطيرى [من البسيط] :

شابتْ ذَوائبُ صَبرِى يا مُعذِّبتى فى لَيلتِى وَعِذارُ الَّيلِ لَمْ يَشِبِ
وَدونَ صُبحىَ سِترٌ مِنْ زُمردَةٍ مُسمرٌ بِمسامِيرٍ مِنَ الذَّهبِ

ولبعضهم فيه من قصيدة وأحسن ما شاء [من الطويل] :

تَراهُ كَمَلْكِ الزَّنجِ مِنْ فَرطِ كِفرهِ إذَا رَامَ مَشياً فى تَبختُرهِ أَبْطا
مُطِلاً على الآفاقِ والْبدرُ تاجهُ وَقدْ عَلَّقَ الجوزاء فى أذْنهِ قُرطا

ولشرف الدين بن منقذ فيه أيضاً [من الكامل] :

ولَرُبَّ لَيلٍ تاهَ فِيه نجمهُ فَقَطعتهُ سَهراً فَطالَ وعَسعسا
وَسألتهُ عَنْ صُبحهِ فأجابنى لوْ كانَ فى قَيدِ الحياةِ تنفَّسا

ومثله قول الآخر [من المجتث] :

ماتَ الصَّباحُ بِلَيْلٍ أَخْبِته حِينَ عَسعسْ
لوْ كانَ لِلَّيلِ صُبْحٌ يَعيشُ كانَ تنفَسْ

ولابن منقذ أيضاً [من الكامل] :

لما رَأيتُ النَجمَ ساهٍ طَرفُهُ والْقطبُ قَدْ أَلقى عَليهِ سُباتا
وَبناتُ نَعْشٍ فى الحِدادِ سَوافراً أيْقنتُ أنَّ صَباحهمْ قَدْ ماتا

وللوأواء الدمشقى [من الوافر] :

وليلٍ مثلِ يومِ البينِ طولاً إذا أفَلَتْ كواكبُه تعودُ
بدائعُ نومِها فيه انتباهٌ فأعيُنُها مفتَّحةٌ رُقودُ

وله أيضاً [من الوافر] :

وليلٍ مثل يومِ الحشرِ طولاً كأنَّ ظلامَهُ لونُ الصدودِ
بياضُ هلالهِ فيهِ سوادٌ كأثرِ اللطمِ فى يَقَقِ الخدودِ

وما أحسن اعتذار الأرَّجانىّ عن طول الليل [من الكامل] :

لا أدَّعى جوْرَ الزَّمان ولا أرى ليلى يزيدُ على الليالى طُولا
لكنَّ مرآة الصباحِ تنفُّسى للهمِّ أصدأ وَجْهَهَا المصقولا

وقد أخذه من قول علىّ بن هشام [من السريع] :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدَّعِى أنَّ نجومَ الليلِ ليستْ تغورْ
ليلى كما شاءتْ ، فان لم تَجُدْ طالَ ، وإنْ جادَت فليلى قَصيرْ

وهو من قول علىّ بن الخليل [من السريع] :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدَّعى أنّ نجومَ الليلِ ليستْ تَزُولْ
ليلى كما شاءتْ قصيرٌ إذا جادتْ ، فان صدَّت فليلى يطولْ

وأورد ابن الصولىّ لابن الخليل أيضاً قوله [من الطويل] :

يقولونَ طالَ الليلُ والليلُ لم يطلْ ولكنْ مَنْ يهوَى مِنَ الشوْقِ يَسهرُ
أنامُ إذا ما الليلُ مهَّدَ مضجعى وأفقدُ نومى حينَ أجفَى وأهجَرُ
فكم ليلةٍ طالتْ علىَّ لصدِّها وأخرَى ألاقيها بوصلٍ فتقصُرُ

وفى معناه قول الأديب الحرَّانى [من البسيط] :

جاءتْ تُسائلُ عنْ ليلى فقلتُ لها وسَوْرَةُ الهمِّ تمحو سِيرةَ الجذلِ
لَيلى بكفِّيكِ فاغْنَىْ عنْ سُؤالكِ لى إنْ بِنتِ طالَ وإنْ واصلتِ لمْ يطُلِ

وقول بعض المتأخرين [من البسيط] :

لَيلى ولَيلى نفى نومى خِلافُهما حتى لقدْ صيَّرانى فى الهوَى مثلاَ
يجودُ بالطُّولِ لَيلى كلَّما بخلتْ بالطُّولِ لَيلى وإنْ جادتْ به بخلاَ

وقول ابن أبى حصينة [من البسيط] :

يا لَيلُ ما طُلتَ عمَّا كُنتُ أعْرِفهُ وإنما طالَ بى فيكَ الذى أجدُ

وما أحسن قول بعضهم فيه [من البسيط] :

سهرتُ ليلاتِ وَصلى فرحةً بهمُ وليلةُ الهجرِ كمْ قضَّيتها سهرا

إذا تقضَّى زمانى كلُّهُ سهراً فما أبالى أطالَ الليلُ أمْ قصُرَا

ومثله قول الآخر [من المنسرح] :

فى الهجرِ والوصلِ ما تذوقُ كرًى عينى فما ينقضى تسهُّدُها

فليلةُ الهجرِ لا رُقادَ بها وليلة الوصلِ كيفَ أرقدُها

وقول أبى الحسن البصرى [من المتقارب] :

ولما تعرَّضَ لى زائراً وما كانَ عندى له موْعدُ

سهرت اغتناماً لِلَيل الوِصالِ لعلمى به أنه ينفَدُ

فقالَ وقد رقَّ لى قلبهُ وأيقن أنى به مكمد

إذا كنتَ تسهرُ ليلَ الوِصالِ ولَيْلَ النَّوى فمتى ترقدُ

وقد أكثر الشعراء فى هذا المعنى ، وفيما أوردته مقنع.

شواهد الوصل والفصل

مما أخذ على أبي تمام

٤٧ – لا والذى هوَ عالم أنَّ النوى صَبِرٌ وأنَّ أبا الحُسَين كَرِيمُ

البيت لأبى تمام [١] الطائى، من قصيدة من الكامل، يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم، وأولها [٢]:

أسقَى طُلولَهمُ أجشُّ هَزِيمُ وغدَتْ عليهم نَضْرَةٌ ونَعيمُ
جادت معاهدَهم عِهَادُ سحابةٍ ما عهدُها عند الديارِ ذَميمُ
سفِهَ الفراقُ عليك يوم تحمَّلوا ولربما أراه وهو عنك حَليمُ [٣]
ظلمَتْك ظالمةُ البرىء ظَلومُ والظلم من ذى قُدْرةٍ مذموم
زَعمتْ هواك عفا الغداةَ كما عَفا منها طُلولٌ باللوى ورسوم [٤]

لا والذى هو عالم . . . . البيت، وبعده:

ما حُلْتُ عن سنن الوفاءِ ولا غدت نفسى على إلفٍ سواكِ تَحُومُ [٥]

والنوى: الفراق.

والشاهد فيه: أن شرط عطف جملة على جملة أن يكون بينهما جهة خاصة [٦] ولا كذلك فى هذا البيت، إذ لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى، سواء كان نواه أو نوى غيره، فهذا العطف غير مقبول، سواء جعل عطفَ مفرد على مفرد كما هو الظاهر، أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موضع مفعولى العلم لأن وجود الجامع شرط فيهما، ولهذا عيب على أبى تمام كما سيأتى فى حسن التخلص إن شاء الله تعالى.

---

(١) وهو من شواهد الشيخ عبد القاهر فى دلائل الاعجاز (ص١٧٣)
(٢) اقرأها فى الديوان (٢٩٩)
(٣) فى الديوان «يوم رحيلهم» فى مكان «يوم تحملوا»
(٤) فى الديوان «كما عفت»
(٥) فى الديوان «مازلت عن سنن الوداد»
(٦) كذا فى الأصول، ولعل الأحسن «جهة جامعة»

شاهد امتناع العطف لاختلاف الجملتين خبرا وإنشاء

٤٨ — * وَقَالَ رَائِدُهم أرْسُوا نُزَاوِلُهَا *

هو من البسيط ، وقائله الأخطل ، كذا ذكره سيبويه ، وليس هو فى[1] ديوانه ، وتمامه :

* وكل حَتْفِ امرِئ يجرى بمقدارِ *

وبعده :

إما نموتُ كراماً أو نفوز بها فواحد الدهر من كدٍّ وأسفار

والرائد : المرسَلُ فى طلب الكلأ . وأرسوا — بقطع الهمزة — من رست السفينة تَرْسُو رسْواً ورُسُوًّا إذا وقفت على الأنجر مُعَرَّبَ لنكر، وهو مِرْساة السفينة ، وهى خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة إذا رست رست السفينة ، أو هو من «رست أقدامهم فى الحرب» أى ثبتت . ونزاولها : من المزاولة وهى المحاولة والمعالجة فى تحصيل الشىء ، والضمير للسفينة ، وقيل : للحرب ، وقيل : للخمر وهو لايناسب ظاهر البيت الذى بعده .

والشاهد فى قوله « نزاولها » فانه فصله عن قوله « أرسوا » لأن الأول أمر والثانى خبر ، فامتنع العطف بينهما لاختلافهما خبراً وطلباً ، لفظاً ومعنى .

ومن هذا الضرب قول اليزيدى أو إبراهيم بن المدبر[2] [من السريع] :

ملكتهُ حبلى ولكنهُ ألقاه من زُهْدٍ على غاربى

---

(١) بحثت ديوان الأخطل المطبوع فى بيروت فلم أجد هذين البيتين فيه

(٢) فى المطبوعتين «ابن المداينى» وقد نسب الشيخ عبدالقاهر فى دلائل الاعجاز (١٨٣) هذين البيتين إلى اليزيدى ، ويوجد بهامش مطبوعة بولاق مانصه « قوله إبراهيم بن المداينى ، هكذا فى بعض النسخ ، وفى بعضها إبراهيم ابن المدبر ، وفي بعضها المدبر بن إبراهيم » اهـ ، وهما فى الأغانى (١٩ــ ١٢٩) منسوبان إلى إبراهيم بن المدبر فى قصة

وقالَ : إنى فى الهوى كاذبٌ ، انتقمَ اللهُ من الـكاذبِ !

وحمله الشيخ عبد القاهر على الاستئناف بتقدير قلت ، قال الشـيرازى : وهو أنسب بالمقام .

والأخطل (١) هو : غياث (٢) بن غوث بن الصلت (٣) بن الطارقة ، ينتهى نسبه لتغلب ، ويكنى أبا مالك ، والأخطل لقبـه ، عن أبى عبيدة أن السبب فيه أنه هجا رجلا من قومه ، فقال له : ياغلام ، إنك لأخطل ، والأخطل : السفيه ، وكان نصرانياً من أهـل الجزيرة ، ومحله فى الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف ، وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة ، جعلها ابن سلام أول طبقات الاسلام ، ولم يقع إجمـاعٌ على أحدهم أنه أفضلهم ، ولـكل واحد منهم عصبة تفضله على الجماعة .

وقال أبو عمرو : لو أدرك الأخطل يوماً واحـداً من الجاهليـة ما قدّمتُ عليه أحداً .

وقال الأصمعى : إنمـا أدرك جرير الأخطل ، وهو شيخ قد تحطم ، وكان الأخطل أسنّ من جرير ، وكان أبو عبيدة يشبه الأخطل بالنابغة لصحة شعره ، وكان حماد يفضل الأخطل على جرير والفرزدق ، فقال له الفرزدق : إنما تفضله لأنه فاسق مثلك ، فقال : لو فضلته بالفسق لفضلتك ، وقال الأخطل لعبدالملك ابن مروان : ياأمير المؤمنين ، زعم ابن المراغة — يعنى جريراً — أنه يبلغ مدحتك فى ثلاثة أيام ، وقد أقمت فى مدحتك :

---

(١) تجد ترجمة الأخطل فى الأغانى (٧ – ١٦٩) وفى الشعراء لابن قتيبة (٣٠١ – ٣١٢) وفي خزانة الأدب للبغدادى

(٢) ويقال : اسمه غويث بن غوث

(٣) قال المدائنى : غياث بن غوث بن مسلمة بن طارقة ، وذكره فى الأغانى

* خفَّ القطينُ فراحوا منكَ أو بكرُوا (١)

سنةً فما بلغتُ ما أردت ، فقال عبد الملك : أسمِعْنَاها يا أخطل ، فلما أنشدها قال له عبد الملك : أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب ؟ قال : أكتفى بقول أمير المؤمنين ، وأمر له بجفنة كانت بين يديه ، فملئت له دراهم ، وَألقيت عليه خلع ، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس وهو يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا أشعر العرب .

وأُنشد لعبد الملك قول كثير فيه [من الطويل] :

فما تركوها عنوةً عن مودّةٍ ولكنْ بحدِّ المشرفى استقالها (٢)

فأعجب به ، فقال له الأخطل : ماقلت لك والله ياأميرَ المؤمنين أحسنُ منه ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت [من الطويل] :

أهَلّوا من الشهرِ الحرام فأصبحوا مَوَالىَ مُلْكٍ لاطَرِيفٍ ولاغصب (٣)

جعلته لك حقا ، وجعله لك غصباً ، قال : صدقت .

وأصبح عبد الملك يوماً فى غداة باردة ، فتمثل بقول الأخطل ، [من الوافر] :

---

(١) هذا صدر المطلع ، وعجزه قوله : *وأزعجتهم نوى فى صرفها غير* وعدتها أربعة وثمانون بيتا ، واقرأها إن شئت فى الديوان (٩٨)

(٢) هكذا وقع هذا البيت فى أصول الكتاب وفى الأغانى ، ووقع فى الديوان (٢ - ٥٣) « فما أسلموها عنوة » وعنوة ههنا بمعنى الطواعية ، قال ابن السكيت : العنوة بلغة أهل الحجاز وهم خزاعة وهذيل : الطوع . اه .

(٣) أهلوا من الشهر الحرام : معناه أنهم خرجوا فى استهلاله ، وموالى ملك : يريد به أنهم يوالونه ، ولا طريف : ليس بمستحدث ولكنه موروث عن الآباء ، ولا غصب : معناه أنه لم يأخذ الخلافة اغتصابا ، وإنما أخذها بالاستحقاق . وانظر هذا البيت فى الديوان (٢٤) أثناء قصيدة عدتها أربعة وخمسون بيتا ، ومطلعها قوله :

لعمرى لقد أسريت لا ليل عاجز بساهمة الخدين طاوية القرب

إذا اصطَبَحَ الفتى منها ثلاثاً ... بغير الماء حاولَ أن يطولاَ
مشى قرشيّةً لا شكَّ فيها ... وأرْخى من مآزرِهِ فُضُولاَ

ثم قال: كأنى أنظر إليه الساعة محلل الازار، مستقبلا للشمس فى حانوت من حوانيت دمشق، ثم بعثَ رجلا يطلبه، فوجده كذلك .

وقدم الأخطل مرة على عبد الملك بن مروان، فنزل على سرجون(١) كاتبه، فقال له: على من نزلت؟ فأخبره، فقالَ له: قاتلك الله! ما أخبرك بصالح المنازل، فما تريد أن ننزلك؟ قال: فى درمك من درمككم هذا، ولحم وخمر من بيت رأس، فضحك عبدالملك وقال: ويلك! وعلى أى شيء اقتتلنا إلا على هذا؟ ثم قال له: ألا تسلم فنفرض لك ألفين فى عطائك وتوصل بعشرة آلاف درهم؟ قال: فكيف بالخمر؟ قال: وما تصنع بها وإن أولها لمرّ وإن آخرها لسكر، قال: أما إن قلت ذاك فان بينهما لمنزلةما ملْكُك فيها إلا كلعقة من ماءالفرات بالاصبع، فضحك عبد الملك، ثم قال: ألا تزور الحجاج فانه كتب يستزيرك؟ فقال: أطائع أم كاره؟ قال: بل طائع، قال: ما كنت لأختار نواله على نوالك، ولاقوبه على قربك، إنى إذاً لكما قال الشاعر [من الوافر]:

كمُبتاعٍ لمركبِهِ حِماراً ... يخيّرهُ منَ الفرسِ الكريمِ(٢)

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وأمره أن يمدح الحجاج، فمدحه بقوله [من الكامل]:

---

(١) فى الأصول «ابن سرجون» وفي الأغانى «ابن سرحون» بالحاء المهملة والذين عدهم الجهشيارى من كتاب عبدالملك: روح بن زنباع، وربيعة الجرشى، وسرجون بن منصور النصرانى، وهذا هو المقصود فى القصة، لا جرم أسقطنا كلمة «ابن»

(٢) روى هذا البيت في الأغانى:

كمبتاع ليركبه حمارا ... تخيره عن الفرس الكريم

صَرَمَتْ حِبالَكَ زَيْنبُ وَرعومُ   وَبدَا الْمجمجمُ منهما المكتومُ

ووَجّه بالقصيدة مع ابنه إليه.

ودخل الأخطل على بشر بن مروان وعنده الراعى الشاعر، فقال له بشر: أأنت أشعر أم هذا؟ قال: أنا أشعر منه وأكرم، فقال للراعى: ماتقول؟ فقال: أما أشعر منى فعسى، وأما أكرم منى فان كان فى أمهاته من ولدت مثل الأمير فنعم، فلما خرج الأخطل قال له رجل: أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك؟ فقال: ويحك! إن أبا نسطوس قد وضع فى رأسى أكؤسا ثلاثا، والله لاأعقل معها.

وحدث قحافة المرّى (١) قال: دخل الأخطل على عبد الملك، فاستنشده، فقال: قد يبس حلقى فمر مَنْ يسقينى، فقال: اسقوه ماء، فقال: هو شراب الحمار، وهو عندنا كثير، قال: فاسقوه لبنا، قال: عن اللبن فُطِمْتُ، قال: فاسقوه عسلا، قال: شراب المريض، قال: فتريد ماذا؟ قال: خمرا يا أمير المؤمنين، قال: أو عهدتنى أسقى الخمر؟ لا أم لك! لولا حرْمتك بنا لفعلت وفعلت، فخرج فلقى فراشا لعبد الملك، فقال: ويلك! إن أمير المؤمنين استنشدنى وقد صحل (٢) صوتى فاسقنى شربة خمر، فسقاه رطلا، فقال: اعدله بآخر، فسقاه رطلا آخر، فقال: تركتهما يعتركان فى بطنى، فاسقنى ثالثا، فسقاه ثالثا، فقال: تركتنى أمشى على واحدة، اعدل ميلى برابع، فسقاه رابعا، فدخل على عبد الملك فأنشده:

* خفَّ القطينُ فَراحوا منكَ أوْ بَكروا *

فقال: لا، بل منك، وتَطَيَّرَ من قوله، قال: ومر فى القصيدة حتى بلغ إلى قوله [من البسيط]:

---

(١) فى الأغانى «أبو قحافة المرئى»

(٢) صحل يصحل — من باب طرب — أى بح

شُمْسُ العداوة حتى يُسْتَقَادَ لهم   وأعظَمُ الناس أحلاما إذا قَدَرُوا

فقال عبد الملك: خذ بيديه يا غلام فأخرجه، ثم ألق عليه من الخلع مايغمره وأحسن جائزته، ثم قال: إن لكل قوم شاعراً، وإن شاعر بنى أمية الأخطل

وقال أبو عبد الملك: كانت بكر بن وائل إذا تشاجرت فى شىء رضيت بالأخطل، وكان يدخل المسجد فيقومون إليه، ورأيته بالجزيرة وقد شكى إلى القس وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يصىء كما يصىء الفرخ، فقلت له: أين هذا مما كنت عليه بالكوفة؟ فقال: يا ابن أخى إذا جاء الدين ذللنا

وحدث إسحاق بن عبد الله المطلبى[1] قال: قدمت الشام وأنا شاب مع أبى فكنت أطوف فى كنائسها ومساجدها، فدخلت كنيسة دمشق فاذا الأخطل فيها محبوس، فسأل عنى، فأخبر بنسبى، فقال: يافتى إنك رجل شريف وأنا أسألك حاجة، فقلت: حاجتك مقضية، فقال: إن القس قدحبسنى هنا فتكلمه ليخلى عنى، فأتيت القس فانتسبت له فرحب بى وعظم، فقلت: إن لى إليك حاجة، قال: وماحاجتك؟ فقلت: الأخطل تخلى عنه، فقال: أعيذك بالله من هذا، فان مثلك لايتكلم فيه فانه فاسق يشتم أعراض الناس ويهجوهم، فلم أزل أطلب إليه حتى مضى متكئا على عصاه فوقف عليه ورفع عصاه وقال له: يا عدو الله، أتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات؟ وهو يقول: لست بعائد، ولا أفعل، ويستخزى له، فقلت: يا أبا مالك، الناس يهابونك، والخليفة يكرمك، وقدرك فى الناس رفيع، وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخزى له قال: فجعل يقول لى: إنه الدين.

وحدث الهيثم قال: كانت امرأة الأخطل حاملا، وكان متمسكا بدينه، فر

---

(١) ذكر فى الأغانى نسبه وأنه: إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب

به الأسقف يوما فقال لها: الحقيه فتمسحي به ، فعَدَتْ وراءه فلم تلحق إلا ذنب حماره فتمسحت به، ورجعت فأخبرته ، فقال لها : هو وذنب حماره سواء .

وسمع هشام الأخطل ، وهو يقول [من الكامل] :

وإذا افتقرتَ إلى الذَّخائِرِ لم تجد ذُخْراً يكون كصالح الأعمال

فقال له : هنيئا لك يا أبا مالك ، هذا الاسلام ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، ما زلت مسلما في ديني .

وحدث أبو محمد اليزيدي قال : خرج الفرزدق يوما يؤم [1] بعض ملوك بني أمية ، فرُفع له في طريقه بيت أحمر من أدَم، فدنا منه وسأل ، فقيل له : الأخطل، فاستقرى [2] فقيل له : انزل ، فقام إليه الأخطل وهو لا يعرف إلا أنه ضيف ، فجلسا يتحادثان ، فقال له الأخطل : ممن الرجل ؟ قال : من تميم ، قال : فأنت إذن من رهط أخي الفرزدق ، فهل تحفظ من شعره شيئا ؟ قلت : نعم كثيراً ، فما زالا يتناشدان ويعجب الأخطل من حفظه شعر الفرزدق ، إلى أن عمل فيه الشراب ، وقد كان الأخطل قال له قبل ذلك : أنتم معشر الحنيفية لا ترون أن تشربوا من شرابنا ، فقال الفرزدق [من المجتث] :

خَفِّضْ عليك قليلاً وهاتِ لي من شرابك

فلما عملت الراح فيه قال : والله أنا الذي أقول في جرير ، وأنشده ، فقام الأخطل وقبّل رأسه وقال: لاجزاك الله عني خيراً ! لم كتمتني نفسك منذ اليوم؟ وأخذا في شرابهما ، وتناشدا إلى أن قال له الأخطل : والله إنك وإياي لأشعر من جرير ، ولكنه أوتي من سيرِ الشعر ما لم نؤتَه ، قلت أنا بيتاً ما أعلم أحداً

---

(١) في الأصول «مع بعض ملوك بني أمية» وهو تحريف ما أثبتناه عن الأغاني ، وبه تستقيم القصة

(٢) استقرى : طلب القرى ، وهو ما يقدم للضيف

قال أهجى منه ، قلت : وما هو ؟ قال الأخطل : قلتُ [من البسيط] :

قَومٌ إذا استَنْبَحَ الأضيافُ كلبهُمُ قالوا لأمهِّمْ بولى على النار[١]

فلم يروه إلا حكماء أهل الشعر ، وقال هو [من الكامل] :

والتَّغْلَبِيُّ إذا تنحنَحَ للقِرى حكَّ استَهُ وتمثل الأمثالا

فلم تبق سفلة ولا أمثالها إلا رَوَوْه ، قال : فقضوا له أنه أسْيَرُ شعراً منهما .

وعن محمد بن سلاَّم قال : قيل إنه لما حضرت الأخطل الوفاة قيل له : يا أبا مالك ، ألا توصى ، قال : بلى ، ثم قال [من المتقارب] :

أُوَصِّى الفَرَزدقَ عند المماتِ بأم جَرِيرٍ وأعيْارِها

وزارَ القبورَ أبو مالكٍ برغم العُداة وأوْتارِها

***

شاهد كمال الاتصال

٤٩ — أقولُ له ارحَلْ لا تُقيمَنَّ عندنا وإلا فكُنْ فى السِّر والجهرِ مُسلِما

البيت من الطويل ، ولا أعرف قائله ، وكذلك ذكر العينى فى شواهده .

ومعناه : إن لم ترحل فكن على ما يكون عليه المسلم من استواء الحالين فى السر والجهر .

والشاهد فيه : كون الجملتين بينهما كمال الاتصال ، لكون الثانية أوفى بتأدية المراد من الأولى ، فنزلت منزلة بدل الاشتمال فلم تعطف عليها ، وهما ههنا قوله « ارحل » وقوله « لا تقيمن عندنا » لأن فى قوله « ارحل » كمال إظهار الكراهة لاقامة المخاطب ، وقوله « لا تقيمن عندنا » أوفى بتأدية المراد لدلالته على إظهار الكراهة لاقامته بالمطابقة مع التأكيد الحاصل من اللفظين .

---

(١) فى هذا البيت من أوصاف الهجاء : رميهم بالبخل ، واستصغار نارهم حتى إنها لتنطفىء ببولة ، وامتهان أمهم حتى إنهم ليكلفونها حقائر الأمور

شاهد عطف البيان فى المفردات

٥٠ — * أقسَمَ باللهِ أبو حَفْصٍ عمر *

هو من الرجز، قائله أعرابى [1]، وبعده:

ما إن بها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ اغفر له اللهم إن كانَ فَجَرْ

يروى أن هذا الأعرابى جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: إن أهلى ببادية بعيدة، وإنى على ناقة دَبْراء عَجْفاء نَقْباء، واستحمله [2]، فظنه كاذبا، فلم يحمله، فانطلق الأعرابى فحل [3] ناقته ثم استقبل البطحاء وجعل يقول الأبيات، وعمر رضى الله عنه مقْبل من أعلى الوادى، فجعل إذا قال «اغفر له اللهم إن كان فجر» قال: اللهم صدِّقْ، حتى التقيا، فأخذ بيده، وقال له: ضع عن راحلتك، فوضع فاذا هى كما وصف، فحمله على بعير، وزوده وكساه

والنَّقَبُ: رقة الأخفاف. والدبر: قرحة الدابة.

والشاهد فيه: جعل «عمر» بيانا وتوضيحا لأبى حفص.

* * *

شاهد الاستئناف

٥١ — وتَظُنُّ سلمى أننى أبغى بها بَدَلاً أراها فى الضلال تَهِيمُ

البيت من الكامل، ولا أعرف قائله، وكذلك ذكر العينى أيضاً.

والضلال: ضد الهدى.

---

(١) ذكر صاحب الخزانة (٢ ـ ٣٥٢) نقلا عن ابن حجر فى الاصابة وعن المرزبانى فى معجم الشعراء أن اسم هذا الأعرابى عبد الله بن كيسبة، ويقال: اسمه عمرو بن كيسبة ـ بكسر الكاف وسكون الياء بعدها سين مهملة مفتوحة ـ وهاك الرجز بتمامه مع بعض اختلاف فى ألفاظه:

أقسم بالله أبو حفص عمر ما مسها من نقب ولا دبر
حفا ولا أجهدها طول السفر وأنت لو أبصرت نضوى ياعمر
ومابها ـ عمرك ـ من سوء الأثر عددتنى كابن سبيل قد حضر

(٢) استحمله: طلب منه أن يحمله، أى يعطيه دابة يركبها

(٣) فى المطبوعتين «فحمل ناقته» بزيادة ميم

والشاهد فيه: عدم عطف الجملة الثانية لكونه موهما له على غيرها [١] لأن بين الجملتين الخبريتين، وهما« وتظن سلمى» و«أراها» مناسبة ظاهرة لاتحادهما فى المسند، لأن معنى أراها أظنها، والمسند إليه فى الأولى محبوب، وفى الثانية محب، فلو عطف أراها على تظن لتوهم أنه عطف على أبغى وهو أقرب إليه، فيكون من مظنونات سلمى، وليس كذلك.

***

قال لى كيف أنتَ قُلتُ عَليلُ ... سهرٌ دائم وحُزْنٌ طويلُ

البيت من الخفيف، وتقدم فى شواهد المسند إليه [٢].

والشاهد فيه هنا: وقوع الجملة الثانية مستأنفة جواباً عن الجملة الأولى المتضمنة للسؤال عن سبب مطلق: أى ما بال علتك؟ فقال: سهر، وذلك لأن العادة جرت بأنه إذا قيل «فلان عليل» أن يسأل عن سبب علته، لا أن يقال هل سبب علته كذا وكذا، لا سيما السهر والحزن، فانه قلما يقال هل سبب مرضه السهر والحزن، لأنه أبعد أسبابه، فعلم أن السؤال عن السبب المطلق دون السبب الخاص، وعدم التوكيد يشعر به.

ومثله قول أبى العلاء المعرى [من البسيط]:

وقد غَرضْتُ من الدنيا فهل زمنى ... مُعطٍ حياتى لِغِرٍّ بعدما غرضَا

جرَّبتُ دهرى وأهْليهِ فما تَرَكتْ ... لِيَ التجاربُ فى وُدِّ امرئٍ غرَضَا

---

(١) يريد أن الاتيان بواو العطف يوهم أن المعطوف عليه غير ما قصد إليه الشاعر، فانه لو عطفه لكان مقصوده العطف على جملة «وتظن سلمى» ولكن واو العطف توهم إيهاما قريبا أن المعطوف عليه هو جملة «أبغي بها» لما ذكره المؤلف

(٢) هو الشاهد رقم ١٥ فانظره فى (ص ١٠٠ من هذا الجزء) وقد استشهد به الشيخ عبد القاهر فى باب الفصل والوصل من دلائل الاعجاز (١٨٤) أيضا

أى : لم تقول هذا وما ألجأك إليه ؟ فقال : جربت إلخ .

***

يقع الاستئناف جوابا لسؤال عن غير سبب

٥٢ — زَعَمَ العَوَاذِلُ أننى فى غَمْرَةٍ صَدَقوا ولـكن غمْرَتى لا تَنْجَلى

البيت من الكامل ، ولا أعرف [١] قائله .

والعواذل : جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة ، لا امرأة عاذلة ، بدليل قوله « صدقوا » وغمرة الشىء : شدته ومُزْدَحَمُه .

والشاهد فيه : وقوع الجملة المستأنفة جواباً للسؤال عن غير سبب مطلق أو خاص ، كأنه قيل : أصدقوا فى هذا الزعم أم كذبوا ؟ فقال : صدقوا ، وفَصَله عما قبله لكونه استئنافا .

ومنه قول جندب بن عمار [٢] [من الكامل] :

زعَمَ العواذِلُ أن ناقةَ جُنْدَبٍ بجَنوب خَبْتَ عُرِّيَتْ وأُجِمّتِ [٣]

كذبَ العواذل لو رأَينَ مُناخَنا بالقادسيَّةِ قُلْنَ لَجَّ وذلت

ومثله قول لبيد [٤] [من الهزج] :

عَرَفْتُ المنزل الخالى عفَا من بعدِ أحوالِ

---

(١) استشهد به الشيخ عبد القاهر فى دلائل الاعجاز (١٨٢) ولم ينسبه أيضا

(٢) هما من شعر الحماسة غير منسوبين (انظر شرح التبريزى على ديوان الحماسة بتحقيقنا ١ – ٢٩٤) وقد أنشد الشيخ عبد القاهر البيتين فى دلائل الاعجاز (ص١٨٢) ونسبهما إلى الحماسة من غير تعيين قائل

(٣) فى المطبوعتين «غربت» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الحماسة ودلائل الاعجاز . وخبت : موضع بالشام ، وهو المناسب هنا . وهو اسم موضع آخر بزبيد ، وعريت : رفعت عنها أداتها ورحلها ، وأجمت – بالبناء للمجهول – طلبت لها الراحة ، وذلك كناية عن تركها بغير ركوب

(٤) أنشدهما فى دلائل الاعجاز (١٨٤)

عفاه كل هتّان عسوف الوبلِ هطّالِ (١)

وقول أبي الطيب المتنبي [من الوافر] (٢) :

وما عفتِ الرياحُ لهم مَحلاً عفاه مَن حدا بهمُ وساقا

***

قيام شيء مقام الاستئناف

٥٣ — زَعمتمْ أنَّ إخوتكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إلافُ

البيت لمساور بن هند بن قيس بن زهير (٣) ، من الوافر يهجو بني أسد ، وبعده :

أولئك أومنوا جوعاً وخوفاً وقد جاعتْ بنو أسدٍ وخافوا

والزعم : ادّعاء العلم ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « زَعَموا مَطيّةُ الكَذِب » وعن شريح رحمه الله : لكل شيء كُنْية ، وكنية الكذب زعموا . لكن سيبويه رحمه الله يكثر في كتابه من قول « زعم الخليل » لا يريد بذلك إبطال قوله ، وقال أبو طالب للنبيّ صلى الله عليه وسلم [من الكامل] :

ودعوتني وزعمتَ أنك صادقٌ ولقد صدقتَ وكنتَ ثَمّ أمينا

وقريش : هي القبيلة المشهورة ، سموا بذلك لتجمُّعهم في الحرم ، أو لأنهم كانوا يتقرّشون المبتاعات فيشترونها ، أو لأنّ النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه فقيل تقرّش ، أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا كأنه جملٌ قريش : أي شديد ، أوسموا بمصغر القرش (٤) وهو دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها ، والإلف

---

(١) في دلائل الاعجاز « كل حنان »

(٢) أنشده في دلائل الاعجاز (١٨٤) أيضا

(٣) أنشده في دلائل الاعجاز (١٨٣) من غير نسبة إلى قائل

(٤) القرش ـ بكسر القاف ـ دابة تكون في البحر الملح . والذي ذكره علماء الاشتقاق أن قريشا سميت بدابة تكون في البحر اسمها القريش على صورة =

والإيلاف : العهد ، وشبه الاجازة بالخفارة ، وأول من أخذها هاشم من ملك الشام ، فكان هاشم يولف إلى الشام ، وعبد شمس إلى الحبشة ، والمطلب إلى اليمن ، ونوفل إلى فارس ، وكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال هذه الإخوة فلا يتعرض لهم أحد ، وكان كل أخ منهم قد أخذ حبلا من ملك ناحيةِ سفرِهِ أمانًا له .

والشاهد فيه : حذف الاستئناف وقيام شيء مقامه ، فكأنهم قالوا : أصدقنا فى هذا الزعم أم كذبنا ؟ فقيل : كذبتم ، فحذف هذا الاستئناف وأقيم قوله « لهم إلف وليس لكم إلاف » مقامه لدلالته عليه .

ترجمة مساور بن هند

ومساور[1] بن هند بن قيس بن زهير العبسى شاعر ، وكان جده قيس مشهوراً فى الجاهلية ، ولا سيما فى حرب داحس والغبراء ، وذكر الأصمعى ما يدل على أن له إدراكا للنبي صلى الله عليه وسلم ، قال : وكان نحو أبى عمرو بن العلاء رحمهما الله فى السن ، وقال : حدثنى من رأى مساور بن هند أنه ولد فى حرب داحس والغبراء قبل الاسلام بخمسين عاما . وذكره المرزبانى فى معجم الشعراء وذكر له قصة مع عبد الملك بن مروان . وفى حكاية الأصمعى أنه لما عمر صغرت عيناه وكبرت أذناه ، فجعلوه فى بيت صغير ووكلوا به امرأة ، فرأى ذات

= المصغر، وفي اللسان « وقريش دابة فى البحر لاتدع دابة إلا أكلتها، فجميع الدواب تخافها . وقريش قبيلة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، فكل من كان من ولد النضر فهو قرشى ، دون ولد كنانة ومن فوقه ، قيل : سموا بقريش مشتق من الدابة التى ذكرناها التى تخافها جميع الدواب » اهـ وقد قال الشاعر :

وقريش هى التى تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشا

(١) انظر نسبه واشتقاق اسمه واسم أبيه في شرح التبريزى على الحماسة (٢ ـ ٤) وانظر شعرا له فى شرح الحماسة (٢ ـ ٤ و ٣٠)

يوم غفلة فخرج فجلس فى وسط البيت وكوم كومة من تراب ثم أخذ بعرتين فقال هذه فلانة ، وهذه فلانة ، ثم أحس بالمرأة فقام وهرب . وقال الأصمعى : بلغنى أنه أتى به إلى الحجاج فقال له : ما تصنع بقولك الشعر وقد كبرت ؟ فقال: أسق به الماء ، وأرعى به الكلأ ، وتقضى لى به الحاجة ، فان كفيتنى ذلك تركته . وقال المرزبانى : كان أعور (١) وهو من المتقدمين فى الاسلام ، هو وأبوه وجده أشراف من بنى عبس شعراء فرسان ، وهو القائل [من الطويل] :

جزى الله خيراً غالباً من قَبيلَةٍ إذا حَدَثانُ الدهر نابت نوائبُهْ (٢)

إذا أخذت بُزْلُ المَخاضِ سِلاحَها تجرد فيهم مُتْلِفُ المالِ كاسبه

يقال : أخذت الابل سلاحها ، إذا استحياها صاحبها فلم يذبحها .

***

شاهد الجامع الوهمى

ثَلاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيا بِبَهْجَتِها

هو من البسيط ، وتمامه :

* شمسُ الضحى وأبو إسحاقَ والقمرُ *

وقد تقدم الكلام عليه فى شواهد المسند (٣) .

والشاهد فيه هنا : بيان أن الجامع بين الثلاثة المذكورة فيه وهمى ، وهو ما بينها من شبه التماثل حمل الوهم على أن يحتال فى اجتماعها فى المفكرة وإبرازها فى معرض الأمثال متوهمًا أنها من نوع واحد ، وإنما اختلفت بالعوارض والمشخِّصات ، بخلاف العقل ؛ فإنه إذا خلى ونفسَه حكم بأن كلا منها من نوع

---

(١) في شعره فى الحماسة (٢ ـ ٣٠) ما يؤيد أنه كان أعور ، فانه يقول :

وأرى الغوانى بعد ما أوجهننى أعرضن ثمت قلن شيخ أعور

(٢) يروى « جزى الله خيرا غالبا من عشيرة »

(٣) هو الشاهد رقم (٤٠) فانظره فى (ص ٢١٥ من هذا الجزء)

آخر، وإنما اشتركت فى عارض هو إشراق الدنيا ببهجتها، على أن ذلك فى أبى إسحاق مجاز .

ونظيره قول الآخر [من الطويل] :

إذا لم يكن للمرء فى الخلق مطمعٌ فذو التاج والسقّاء والذرُّ واحدُ

* * *

دخول واو الحال على المضارع المثبت

٥٤ — فلمّا خَشِيتُ أظافيرَهُمْ نَجَوْتُ وأَرْهَنُهُمْ مَالِكَا

البيت لعبد الله بن همّام السلولىّ (١) ، من المتقارب ، وبعده :

عريفاً مقيما بدارِ الهوا نِ أهوِنْ علىَّ بِهِ هالكا

وهذان البيتان من جملة أبيات ، منها :

فقلتُ أجِرْنى أبا خالد وإلاّ تجدنى امْرأً هالكا (٢)

يريد بأبى خالد هنا يزيد بن معاوية ، والذى خشيه عبيدُ الله بن زياد ، وكان قد توعّده ، فهرب إلى الشام ، واستجار بيزيد فأمّنَهُ ، وكتب إلى عُبَيْد الله يأمرهُ بالصفح عنه ، ومالك المذكور هو : عريفه . والأظافير : جمع ظفر وأظفور ويجمع أيضاً على أظفار .

والمعنى : لماخشيتُ حملته وإنشابَ أظفاره نجوت وخلّيت بينه وبين مالك.

والشاهد فيه : دخول واو الحال على المضارع المثبت الممتنع دخولها عليه فى الجملة الفعلية الواقعة حالا من ضمير صاحبها الغير الخالية منه ، إذ قد قيل إنه على حذف المبتدأ ، أى وأنا أرهنهم ، فتكون اسمية ، فيصح دخولها ، وعليه

---

(١) وأنشده الشيخ عبد القاهر فى مبحث الجملة الحالية بالواو وغيره من دلائل الاعجاز (١٥٩)

(٢) هذا البيت من شواهد النحاة وهم يروونه «وإلا فهبنى امرأ» وانظره فى شرح الشواهد للعينى (٢ — ٣٧٨ بهامش الخزانة)

قوله تعالى: (لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسولُ الله إليكم) أى : وأنتم قد تعلمون، وقيل : ضرورة . وقال عبد القاهر[١] هى فيه للعطف ، والأصل ورهنتهم عدل إلى المضارع لحكاية حال ماضية ، ومعناهُ : أنه يفرض ما كان فى الزمن الماضى واقعاً فى هذا الزمان ، فعبر عنه بلفظ المضارع ، كما فى قول الشاعر [من الكامل]:

* ولقد أمرّ على اللئيم يسبنى[٢] *

أى : مررت . وروى « وَأرهنتهم » . والأول رواية الأصمعى ، واستحسنه ثعلب .

ترجمة عبد الله السلولى

وعبد الله : هو أبو عبد الرحمن[٣] السلولى الكوفى ، من بنى مرة بن صعصعة

(١) قال الشيخ عبد القاهر فى (دلائل الاعجاز ١٥٩) : « فأما قول ابن همام السلولى * . . . نجوت وأرهنهم مالكا * فى رواية من روى وأرهنهم ، وما شبهوه به من قولهم : قمت وأصك وجهه ـ فليست الواو فيها للحال ، وليس المعنى : نجوت راهنا مالكا ، وقمت صاكا وجهه ـ ولكن أرهن وأصك حكاية حال مثل قوله :

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فمضيت ثمت قلت لا يعنينى

فكما أن « أمر » هاهنا فى معنى مررت ، كذلك أرهن وأصك هناك فى معنى رهنت وصككت » اهـ . ونرى لك أن ترجع فى بحث هذه المسألة إلى شرحنا على شرح الأشمونى (فى مباحث الحال)

(٢) هذا صدر بيت وعجزه قوله :

* فمضيت ثمت قلت لا يعنينى *

وقد سمعته فى عبارة دلائل الاعجاز ، والنحاة ينسبون هذا البيت إلى رجل من بنى سلول ولم يعينوه (انظر الخزانة ١ ـ ١٧٣) وقد أنشده الأصمعى فى الأصمعيات ثالث خمسة أبيات ونسبها إلى شمر بن عمرو الحنفى (انظر الأصمعيات ص ٧٤)

(٣) له ترجمة فى شرح الحماسة للتبريزى (٣ ـ ١٤٢) وفيها أبيات له يحمل فيها يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية بن يزيد ، وله شعر فى حماسة البحترى (ص ١٤٥ ـ ١٧٥)

من قيس عيلان ، و بنو مرة يعرفون ببني سلول ، وهي أمهم ، وهي بنت ذهل ابن شيبان بن ثعلبة ، وهم رهط أبي مريم السلولي ، وكانت له صحبة ، وعبد الله هو القائل في الفلاقس[١] :

أقلي علىَّ اللومَ يا ابنة مالكٍ وذُمّي زماناً سادَ فيه الفلاقسُ
وساعٍ مِن السلطانِ ليسَ بناصحٍ ومحترسٍ من مثلهِ وهو حارسُ

شاهد مجيء الحال بغير واو

وهو القائل[٢] ليزيد بن معاوية لما مات أبوه رضي الله عنه [من البسيط] :

اصبرْ يزيدُ فقدْ فارقتَ ذا مِقةٍ واشكرْ حِباءَ الذي بالملكِ ردّاكا[٣]
لا رُزْءَ أعظمُ بالأقوامِ إذْ علموا مما رُزِئْتَ ولا عُقبَى كعُقباكا[٤]
أصبحتَ راعيَ أهلِ الدين كلِّهمُ فأنتَ ترعاهمُ واللهُ يرعاكا[٥]
وفي معاويةَ الباقي لنَا خلَفٌ إذا نُعِيتَ ولا نَسْمَعْ بمنعاكا[٦]

***

٥٥ — * خرَجْتُ مَعَ البازِي علَيَّ سَوادُ *

قائله بشار بن[٧] برد ، من أبيات من الطويل ، قالها في خالد بن برمك

---

(١) أصل الفلاقس جمع فلقس بزنة جعفر أو فلنقس بزنة سفرجل ، وهو البخيل اللئيم ، وهو أيضا الذي أبوه مولى وأمه مولاة

(٢) رواها في العقد الفريد في كتاب الدرة في النوادب والتعازي والمراثي (٣ ـ ٣٠٨ اللجنة)

(٣) في العقد « واشكر حباء الذي بالملك حاباكا »

(٤) في العقد « لا رزء أعظم في الأقوام قد علموا »

(٥) في العقد « أصبحت راعي أهل الأرض كلهم »

(٦) في العقد « إذا بقيت فلن نسمع بمنعاكا »

(٧) أنشده الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز (١٥٧) وأنشد الأبيات كلها في الأغاني (٣ ـ ٥٠) وفي خزانة الأدب (١ ـ ٥٤٠) وليست في المختار من شعر بشار، ولا واحد منها

بشار وخالد البرمكي

وكان قد وفد عليه وهو بفارس ، فأنشده قوله :

أخالدُ لم أهبطْ عليكَ بذِمَّةٍ سِوَى أنني عافٍ وأنتَ جَوادُ

أخالدُ إنَّ الأجرَ والحمدَ حاجتي فأيهما تأتي فأنتَ عِمادُ

فإنْ تعطني أُفرغ عليكَ مدائحي وإنْ تأبَ لم تُضرَبْ عليَّ سدادُ

رِكابي على حرفٍ وقلبي مُشَيَّعٌ ومالي بأرضِ الباخلينَ بلادُ

إذا أنكرتني بلدةٌ أو نكرتها خرجتُ مع البازي عليَّ سَوادُ

فدعا خالدٌ بأربعة آلاف ، في أربعة أكياس ، فوضع واحداً منها عن يمينه ، وآخر عن شماله ، وآخر بين يديه ، وآخرَ من ورائه ، وقال : يا أبا معاذ هل استقلَّ العماد ؟ فلمس الأكياس بيديه ، ثم قال : استقل والله أيها الأمير .

ومعنى البيت : إذا لم يعرف قدري أهل بلدة ولم أعرفهم خرجت عنهم وفارقتهم متنكراً مصاحباً للبازي ، الذي هو أبكر الطيور[1] مشتملا على شيء من ظلمة الليل ، غير منتظر لاسفار الصبح ، فقوله « على سواد » أي : بقية من الليل .

والشاهد فيه : كونه حالا ترك فيه الواو .

ومثله قول [أمية[2] بن] أبي الصلت يمدح ابن ذي يزن [من البسيط] :

اشربْ هنيئاً عليكَ التاجُ مرتفقاً في رأس غمدانَ داراً منكَ محلالا[3]

(١) في الأصول « أنكر الطيور » وأحسبه محرفا عما أثبتناه

(٢) زيادة لابد منها ، فالبيت لأمية بن أبي الصلت من قصيدة له مشهورة يمدح فيها ابن ذي يزن ، وأولها قوله :

لا يطلب الثأر إلا كابن ذي يزن في البحر خيم للاعداء أحوالا

والبيت قد أنشده الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز (١٥٧) ونسبه إلى أبيه وانظر مع ذلك الأغاني (١٦ - ٧١ وما بعدها)

(٣) في المطبوعتين « عليك التاج مرتفعا » محرفا عما أثبتناه

والشاهد فى قوله « عليك التاج » . وغمدان : اسم قصر باليمن ، مبنى على أربعة أوجه : أحمر وأبيض وأصفر وأخضر ، وفى داخله قصر مبنى بسبعة سقوف ، بين كل سقفين أربعون ذراعاً ، ويرى ظله إذا طلعت عليه الشمس من ثلاثة أميال ، والمحلال : بمعنى المنزل صيغة مبالغة .

ومثله قولُ الآخر يهجو خطيباً(١) [من الطويل] :

لَقَدْ صبرَتْ للذُّلِّ أعوادُ مِنبرٍ   تقُومُ عليها فى يَديكَ قَضيبُ

ترجمة بشار ابن برد

و بشار (٢) بن برد بن يرجوخ ، ينتهى نسبه للهراسف (٣) . وكان يرجوخ من طخارستان ، من سبى المهلّب بن أبى صفرة ، ويكنى بشارٌ أبا معاذ ، ومحله فى الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف فى ذلكَ يُغْنى عن وصفه والاطالة بذكره .

وهو من شعراء مُخَضْرَمِى الدولتين : الأموية والعباسية ، وقد اشتهر فيهما ومدح وهجا ، وأخذ سَنِىَّ الجوائز مع الشعراء .

وعن يحيى بن الجون العبدىّ راوية بشار بن برد قال : [قال بشار] : لما دخلت على المهدى قال لى : فيمن تعتد يا بشار ؟ فقلت : أما اللسان والزىّ فعربى ، وأما الأصل فعجمى (٤) كما قلت فى شعرى يا أمير المؤمنين [من المتقارب] :

ونُبئتُ قوماً بهم جِنَّةٌ   يقولونَ مَنْ ذا وكنتُ العَلَمْ

---

(١) انظره فى دلائل الاعجاز (١٥٧) أيضا

(٢) لبشار ترجمة فى الأغانى (٣ : ١٩ ـ ٧٣) وفى خزانة الأدب (١-٥٤١) وفى ابن خلكان (١ ـ ١٥٦) وسرح العيون (١٦٥) والشعراء لابن قتيبة (٤٧٦)

(٣) كذا ، وآخر نسبه فى الأغانى « يستاسب »

(٤) فى الأصول «أما على اللسان والرأى فعربى وأما على الأصل فعجمى» وفيه تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى الذى أخذ عنه

ألاَ أيها السائلي جاهلاً ليعرفني أنا أنفُ الكرمْ
نمتْ في الكرام بني عامرٍ فروعي وأصلي قريشُ العجمْ
وإني لأغني مقامَ الفتى وأصبي الفتاةَ فما تعتصِمْ

قال : وكان أبو دُلامة حاضراً ، فقال : كلا ! لوجهُكَ أقبح من ذلك ، ووجهي مع وجهك ، فقلت : كلا ! والله مارأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك ، والله إني لطويل القامة ، عظيم الهامة ، تام الألواح ، أسجح الخدين [ولربّ](١) مسترخي المذروين للعين منه مَرَاد مثلك ، قد جلس(٢) من الفتاة حُجزةً ، وجلست منها حيث أريد ، فأنت مثلي يامرقعان(٣) . قال : فسكت عني ، ثم قال لي المهديّ : فمن أيّ العجم أصلك؟ قلت : من أكثرها في الفرسان ، وأشدها على الأقران ، أهل طخارِستان ، فقال بعض القوم : أولئك الصغْد ، فقلت : لا ، الصغد(٤) تجار ، فلم يردد ذلك المهدي(٥) .

وكان يلقب بالمرعَّث لقوله [من مجزوء الخفيف] :

قالَ ريمٌ مُرَعَّثٌ ساحرُ الطرْف والنظرْ
لستَ والله نائلي قلت أو يغلبَ القدَرْ

---

(١) زيادة عن الأغاني ، وبها يتم المعنى وأراد بمسترخي المذروين السمين العبل الأليتين ، وأراد بقوله « للعين فيه مراد » أنه مونق الظاهر تتجه إليه العيون

(٢) في الأصول « ومثلك قد جلس » بزيادة الواو ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

(٣) كذا ، وفي الأغاني « فأنت مثلي يا مرضعان »

(٤) في الأغاني « أولئك الصغر ، فقلت : لا الصغر تجار » وفي الأصول أولئك السند ، فقلت : لا ، السند تجار » وكلاهما تحريف ما أثبتناه

(٥) في الأصول « فلم يزل يردد ذلك المهدي » وفيه زيادة كلمة « يزل » عما في الأغاني

أَنْتَ إِنْ رِمْتَ وَصلنَا   فَانْجُ هَلْ يُدرِكُ القَمرْ

وقيل: لقِّبَ به لأنه كان لقميصه جيبان، جيب عن يمينه وجيب عن شماله، فاذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه، وإذا أراد نزعه حل أزراره وخرج منه، فشبهت تلك الجيوب بالرعاث لاسترسالها وتدليها. وقال أبو عبيدة: لقب بالمرعث لأنه كانت فى آذانه وهو صغير رِعَاثٌ، واحدها رعثَة وهى القرط، ورعثة الديك: اللحم المتدلى تحت حنكه.

وقال الأصمعى: كان بشار ضخما، عظيم الخلق والوجه، مجدوراً، طويلا، جاحظ الحدقتين قد تغشاهما لحم أحمر، فكان أقبح الناس عَمًى، وأفظعهم منظراً، وكان إذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتى بالعجب.

وقال: ولد بشار أعمى، فما نظر إلى الدنيا قط، وكان يُشَبِّه الأشياء فى شعره بعضَها ببعض، فيأتى بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله.

وقال أبو عبيدة: قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين، ثم بلغ الحلم وهو يخشى معرَّة اللسان، قال: وكان بشار يقول: هجوت جريرا فأعرض عنى واستصغرنى ولو أجابنى لكنت أشعر الناس.

وكان بشار وهو صغير إذا هجا قوما جاؤا إلى أبيه فشكوه إليه، فيضربه ضرباً مبرحا، فكانت أمه تقول: كم تضرب هذا الصبي الصغير الضرير؟ أما ترحمه؟ فيقول: بلى والله إنى لأرحمه، ولكنه يتعرض للناس فيشكونه إلى، فسمعه بشار فطمع فيه، فقال: يا أبت، إن هذا الذى يشكونه إليك منى هو قولى الشعر وإنى إن أتممت عليه أغنيتك وسائر أهلى، فاذا شكونى فقل لهم: أليس الله عز وجل يقول (ليس على الأعمى حرج). فلما أعادوا شكواه قال لهم ذلك، فانصرفوا وهم يقولون: فِقْهُ برد أغيظُ لنا من شعر بشار.

وحكى الأصمعى أن بشارا كان من أشد الناس تبرما بالناس، وكان يقول:

الحمد لله الذى حجب بصرى ، فقيل له : ولم يا أبا معاذ ؟ قال : لئلا أرى من أبغض

وكان بالبصرة رجل يقال له حمدان الخراط ، فاتخذ جاماً لانسان ، وكان بشار عنده ، فسأله بشار أن يتخذ له جاما فيه صورة طير يطير ، فاتخذه له وجاء به إليه فقال له : ما فى هذا الجام؟ قال: صورة طير يطير ، فقال له : قد كان ينبغى أن تتخذ فوق هذا الطير طيرا من الجوارح كأنه يريد صيده ، فإنه كان أحسن . قال : لم أعلم ، قال : بلى قد علمت ولكنك قد علمت أننى أعمى لا أبصر شيئاً ، وتهدده بالهجاء ، فقال له حمدان : لاتفعل فانك تندم ، قال : أو تهددنى أيضا ؟ قال : نعم ، قال : وأى شىء تصنع بى إن هجوتك ؟ قال : أصورك على باب دارى فى صورتك هذه ، وأجعل من خلفك قرداً ينكحك حتى يمر بك الصادر والوارد ، فقال بشار : اللهم أخزه ، أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجد .

وحدث محمد بن الحجاج السوادى [١] قال : كنا عند بشار وعنده رجل ينازعه فى اليمانية والمضرية إذ أذّن المؤذن ، فقال له بشار : رويداً تفهم قوله ، فلما قال المؤذن « أشهد أن محمداً رسول الله » قال له بشار : أهذا الذى نودى باسمه مع اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صداء وعك وحمير؟! فسكت الرجل.

وحدث حماد عن أبيه قال : كان بشار جالساً فى دار المهدى والناس ينتظرون الاذن ، فقال بعض موالى المهدى لمن حضر : ما عندكم فى قول الله عز وجل : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا) فقال له بشار : النحل التى يعرفها الناس ، قال : هيهات يا أبا معاذ ! النحل بنو هاشم ، وقوله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) يعنى العلم ، فقال له بشار : أرانى الله شرابك وطعامك [وشفاءك] [٢] مما يخرج من بطون بنى هاشم فقد أوسعتنا

(١) فى الأغانى « محمد بن الحجاج السرادانى » .
(٢) زيادة عن الأغانى .

غثاثة ، فغضب وشتم بشارا ، فبلغ المهدى الخبر ، فدعا بهما وسألهما عن القصة ، فحدثه بشار بها ، فضحك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : أجل فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم فانك بارد غث .

ودخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدى و بشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور — وكانت فيه غفلة — فقال له : يا شيخ ما صناعتك ؟ فقال له : أثقب اللؤلؤ ، فضحك المهدى ، ثم قال لبشار : اعزب و يلك أتتنادر[1] على خالى ، قال : وما أصنع به يرى شيخاً أعمى قائمـاً ينشد الخليفة شعراً يسأله عن صناعته .

ووقف بعض المُجَّان على بشار وهو ينشد شعرا ، فقال له : استر شعرك هذا كما تستر عورتك ، فصفق بشار بيديه وغضب وقال له : من أنت و يلك ؟ قال : أنا أعزك الله رجلٌ من باهلة ، وأخوالى من سَلُول ، وأصهارى من عُكْل ، واسمى كلْب ، ومولدى بأُضاخ[2] ومنزلى بنهر بلال[3] ، فضحك بشار وقال : اذهب و يلك ، فأنت عتيق لؤمك ، قد علم الله أنك استترت منى بحصون من حديد .

وحدث رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوج النهاريات ، قال: تزوجت امرأة

(١) فى الأصول « أتتنادب على خالى » محرفا ، وما أثبتنـاه موافق لمـا فى الأغانى .

(٢) فى الأصول « بأحاح » وقال مصحح مطبوعة بولاق « قوله باحاح ، هكذا بمهملتين ، وفى بعض النسخ بأجاج ، وكلاهما لم أقف عليه اسم مكان » اهـ قال أبو رجاء : وكلاهما تحريف عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى ، وأضاخ — بضم الهمزة — اسم موضع ذكره المجد فى القاموس .

(٣) فى الأغانى « ومنزلى بظفر بلال » وفى أسماء الأماكن عدة كل منها يحمل اسم ظفر .

منهن فاجتمعت معها فى علو بيت و بشار تحتنا ، أو كنا فى أسفل بيت و بشار فى علوه مع امرأة ، فنهق حمار فى الطريق فجاوبه حمار آخر فى بيت الجيران وحمار فى الدار ، فارتجت الناحية بنهيقها ، وضرب الحمار الذى فى الدار برجله الأرض ، وجعل يدقها دقاً شديدا ، فسمعت بشارا يقول للمرأة : نُفِخ - يعلم الله - فى الصُّور وقامت القيامة ، أما تسمعين كيف يدق على أهل القبور حتى يخرجوا منها ، ولم تلبث أن فزعت شاة كانت فى السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقاً من نحاس فيه غضارة(١) إلى الدار فانكسرت فتطاير حمام ودجاج كان فى الدار لصوت الغضارة والطبق ، و بكى من ذلك صبى فى الدار ، فقال بشارٌ : صحّ يعلم الله الخبر ، ونشر أهل القبور من قبورهم ، أزفت - يشهد الله - الآزفة ، و زلزلت الأرض زلزالها ، فعجبت من كلامه وغاظنى ، فسألت : من المتكلم ؟ فقيل لى : بشار ، فقلت : قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا الكلام غيره .

ومر بشار برجل قد رمحته بغلته وهو يقول : الحمد لله شكراً ، فقال له بشار : استزده يزدك .

ومر قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشى بها ، فقال : مالهم مسرعين ، أتراهم قد سرقوها فهم يخافون أن يلحقوا فتؤخد منهم .

ورفع غلامه إليه فى حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم ، فصاح به بشار وقال : والله ما فى الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم ، والله لو صدأت عين الشمس حتى بقى العالم فى ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم .

وعن خلاد قال : قلت لبشار : إنك لتجىء بالشى المهجر المتفاوت(٢) قال :

---

(١) الغضارة - بفتح الغين بزنة سحابة - ومثله الغضار : الطين اللازب الأخضر الحر .

(٢) فى الأغانى « إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت » .

وماذاك ؟ قلتَ له : تقول شعراً تثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك [من الطويل] :

إذا ما غَضِبنا غَضبةً مُضَرِيَّةً هتكنا حجابَ الشمس أو قطرَت دما

إذا ما أعَرْنا سيداً من قبيلةٍ ذُرى مِنبرٍ صلَّى علينا وسلَّما[1]

[إلى أن][2] تقول [من الوافر المجزوء] :

ربابةُ رَبَّةُ البيتِ تصبُّ الخلَّ في الزيت

لها عَشرُ دجاجاتٍ وديكٌ حسَنُ الصوت

فقال : لكل شيء وجهٌ وموضع ، فالقول الأول جد ، وهذا قلته في جاريتي ربابة وأنا لا آكل البيض من السوق ، فربابة هذه لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع البيض وتحفظه ، فهذا عندها أحسن من قول * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * عندك .

وقال هلال لبشار[3] وكان صديقاً له يمازحه : إن الله عز وجل لم يذهب بصر أحد إلا عوضه منه شيئاً ، فما الذي عوضك ؟ قال : الطويل العريض ، قال : وما هو ؟ قال : لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ، ثم قال له : يا هلال أتطيعني في نصيحة أخصك بها ؟ قال : نعم ، قال : إنك كنت تسرق الحميرَ زماناً ثم تُبْتَ وصرت رافضياً فعُدْ إلى سرقة الحمير فهي والله خير لك من الرَّفْضِ .

وعن أبي دهمان العلائي[4] قال : مررت ببشار يوما وهو جالس على باب

---

(١) في الأصول « إذا ما أعدنا » محرفا عما أثبتناه ، وهو على الصحة في الأغاني (٣ ـ ٣١) .

(٢) هذه الزيادة ليست في الأغاني وهي في عامة أصول هذا الكتاب .

(٣) في الأغاني أنه هلال بن عطية المشهور بهلال الرأي .

(٤) في الأغاني « عن أبي دهمان الغلال » .

داره وحده وليس معه أحد وبيده مِخْصرة يلعب بها وقدّامه طبق فيه تفاح وأترج ، فلما رأيته وليس عنده أحد تاقت نفسى إلى أن أسرق مما بين يديه ، فجئت من خلفه قليلا قليلا وهو كافٌّ يدَه حتى مددت يدى لأتناول منه ، فرفع القضيب وضرب به يدى ضربة كاد يكسرها فقلت له : قطع الله يدك ياابن الفاعلة ! أنت الآن أعمى ، فقال : ياأحمق ، فأين الحس ؟

وقعد إلى بشارٍ رجلٌ فاستثقله ، فضرط عليه بشار ضرطة ، فظن الرجل أنها أفلتت منه ، ثم ضرط أخرى ، فقال : أفلتت ، ثم ضرط ثالثة ، فقال له : ياأبا معاذ ، ماهذا ؟ فقال : مه ، أرأيت أم سمعت ؟ قال : لا ، بل سمعت صوتًا قبيحًا ، فقال له : لا تُصدّق حتى ترى .

وحدث محمد بن الحجاج قال : جاءنا بشار يوما وهو مغتمّ ، فقلنا له : مالك مغتما ؟ فقال : مات حمارى فرأيته فى النوم فقلت له : لم مت ؟ ألم أكن أحسن إليك ؟ فقال [من مجزوء الرمل] :

سيدى خذ بى أتانا عند بابِ الأصبهانى(١)
تيمتنى ببنانٍ وبِدَلٍّ قد شجانى
تيَّمتنى يوم رحنا بثناياها الحسان
وبغَنْجٍ ودلالٍ سلَّ جسمى وبرانى
ولها خدٌّ أسيلٌ مثلُ خدِّ الشَّنفَرَانِى(٢)
فلذا مُتُّ ولو عِشْت إذاً طال هَوَانى

---

(١) فى الأصول « خذ لى أتانا » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (٣ - ٦٤) وقد روى صاحب تزيين الأسواق هذه القصة (٢ - ٣٤) وروى معها الأبيات وذكر أنها تنسب إلى بشار .

(٢) فى الأغانى وتزيين الأسواق « مثل خد الشيفرانى » .

فقلت له : ما الشنفرانى ؟ قال : ما يُدْرينى ، هـذا من غريب الحمار فإذا لقيته فاسأله عنه

وقال الجاحظ : كان بشارٌ يَدينُ بالرّجعة ، ويكفِّر جميع الأمم ، ويصوّب رأى إبليس عليه اللعنة فى تقـديم عنصر النار على الطين ، وذكر ذلك فى شعره فقال [من البسيط] :

الأرضُ مظلمةٌ والنـارُ مشرقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ

(١) وكان الشرّ قـد نشب بين بشار وحماد عَجْرد لأمورٍ يطول ذكرها ، فـكانا يتقارضان الهجاء ، فأجمع علماء البصرة أنه ليس فى هجاء حماد عجرد لبشار شىء جيد إلا أربعين بيتاً معدودة ، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد ، وكل واحـد منهما هو الذى هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حماد عَجْرد وتهتّك ، بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه ، وبقى بشار على حاله لم يسقط ، وعُرف مذهبه فى الزندقة فقتل به

وكان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد و بشار على اتفاق منهما ، ورضى بأن ينقل إلى كل واحد منهما ما يقول الآخر من الشعر ، فدخل يوماً على بشار فقال له بشار : إيه يا فلان ، ما قال ابن الزانية فىّ من الشعر ؟ فأنشده [من السريع] :

إن تاه بَشَّار عليكم فقد أمكنتُ بَشَّاراً من التِّيهِ

فقال بشار : بأىّ شىء ويحك ؟ فقال :

وذاك إذ سميتُه باسمِهِ ولم يكن حُرٌّ يُسَمِّيهِ

فقال : سَخِنت عينه ! فبأى شىء كنت أعرف ؟ إيه . فقال :

فصار إنساناً بِذِكْرِى لهُ ما يبتغى من بعدِ ذِكْرِيه(٢)

(١) من هنا مأخوذ من ترجمة حماد عجرد فى الأغانى (١٣ - ٧٣ - ١٠٢)
(٢) فى الأغانى « ما ينبغي » وهو تحريف

فقال : ماصنع شيئاً . إيه ويحك ! فقال :

لم أهْجُ بَشَّاراً ولكننى هجوْتُ نفسى بِهِجائِه

فقال : على هذا المعنى دار ، وحوْله حَامَ ، إيه أيضاً وأى شىء ؟ قال : فأنشده [من الكامل المجزوء]

أنت ابنَ بُرْدٍ مثلُ بُرْ دٍ فى النذالةِ والرَّذالَهْ

مَن كان مثلَ أبيكَ يَا أعمى أبوهُ فلا أبَا لَهْ

وحدّث خالدٌ الأرقط قال: أنشد بشاراً راويتُه قولَ حمادٍ عجردٍ فيه [من الطويل] :

دُعِيتَ إلى بُرْدٍ وأنت لغيرِهِ فَهَبْكَ لِبُرْدٍ نكت أمّك من بُرْدِ (١)

فقال بشار لراويته : هاهنا أحد ؟ قال : لا ، فقال : أحسن والله ماشاء ابن الزانية

وقال بشار يوما لراوية حماد : ما هجانى به اليوم حماد ؟ فأنشده [من الهزج] :

ألاَ مَنْ مبلِغٌ عنى الَّذِى والِدُهُ بُرْدُ

قال : صدق ابن الفاعلة ، فما قال بعده ؟ فأنشده :

إذَا مانُسِبَ الناسُ فلا قبلٌ ولا بعدُ

فقال: كذب ابن الفاعلة ، وأين هذه العرضات من عقيل، فما قال ؟ فأنشده :

وأعمى قلطُبَانٌ ما على قاذِفِهِ حَدٌّ

فقال : كذب ابنُ الفاعلة ، بل ثمانون جلدةً عليه ، هيهِ ، فقال :

وأعمى يُشْبِهُ القِرْدَ إذا ما عَمِيَ القِرْدُ

---

(١) فى الأغانى « فهبك ابن برد »

فقال : والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبّهني بقرد ، حسبُك حسبك ، ثم صفق بيديه وقال : ما حيلتي ؟ يراني فيشبهني ولا أراه فأشبهه

وفى حمادِ عجردٍ يقول بشار [من السريع] :

ما لُمْتُ حمّاداً على فسقِهِ   يَلومُهُ الجاهلُ والمائقُ
وما هُما مِنْ أيره واسته   ملّكهُ إيّاهما الخالقُ[1]
ما بات إلا فوقَهُ فاسقٌ   ينيكه أو تحتَهُ فاسقُ

قال ابن أبي سعيد : وأبلغُ ما هجا به حمادُ عجرد بشاراً قوله [من السريع] :

نهارُه أخبثُ من ليلهِ   ويومُهُ أخبثُ من أمسِهِ
وليس بالمُقْلِع عن غيِّهِ   حتى يُوارَى فى ثرى رمسِهِ

قال : وكان أغلظ على بشار من ذلك كله ، وأوجعه له قوله فيه [من السريع] :

لوْ طُلِيَتْ جِلدَتُهُ عنبراً   لأفسَدَتْ جِلدتُهُ العنبرا
أوْطُلِيَتْ مِسكاً ذَكِيًّا إذًا   تحوّلَ المسكُ عليهِ خرَا

قال : وكان حمادُ عجردٍ قد اتصل بالربيع يؤدب ولده ، فكتب إليه بشار رقعة ، فأوصلت إلى الربيع فاذا فيها مكتوب [من مجزوء الخفيف] :

يا أبا الفضلِ لا تَنَمْ   وقعَ الذئبُ فى الغنمْ
إنَّ حمّادَ عجردٍ   إن رأى غفلةً هجمْ
بينَ فخذَيهِ حربةٌ   فى غِلافٍ منَ الأدمْ
إنْ خلا البيتُ ساعةً   مجمجَ الميمَ بالقلمْ

فلما قرأها الربيعُ قال : صيرنى حمّادٌ دريئةَ الشعراء ، أخرجوا عنى حمّاداً ، فأخرج .

---

(١) فى الأغانى « وماهم » فى مكان « وما هما »

وقد فعل مثل هذا بعينه حمادُ عجرد بقُطْرُب حين اتخـذ مؤدّباً لبعض ولد المهدىّ وكان هو يطمع فى ذلك ، فلم يتم له لشهرته فى النـاس بمـا قاله فيه بشار ، فلما تمكن قطرب فى موضعه ، صارحماد كالملقى على الرصد ، فجعل يقوم ويقعد بقطرب فى الناس ، ثم أخذ رقعة فكتب فيها [من البسيط] :

قُلْ لِلإمام جزَاكَ اللهُ صالحـةً لاتجْمَعِ الدهرَ بينَ السَّخْلِ والذِّيبِ
السَّخْلُ غِرٌّ وهمُّ الذئبِ فرْصته والذئبُ يعلمُ مافى السخل من طيبِ

فلما قرأ المهدى هـذين البيتين قال : انظروا لا يكون هذا المؤدب لوطياً ، ثم قال : انفوه عن الدار ، فأخرج عنها ، وجىء بمؤدّب غـيره ، ووكل بولده تسعون خادماً بنوابها يحفظونه ، فخرج قطرب هارباً مما شهر به إلى الكرج فأقام هنالك إلى أن مات .

وكان بشار بلغه أن حمّاداً(١) عليلٌ ، ثم نعى إليه قبل موته ، فقال بشار [منَ السريع] :

لوْ عَاشَ حَمّادٌ لهوْنَا بهِ لَـكنهُ صارَ إلى النّارِ

فبلغَ هـذا البيتُ حَمّاداً قبل موتِهِ ، وَهو فى السياق ، فقال يرد عليه [من السريع] :

نُبئتُ بشاراً نعانى وللـــموْتِ بِرانى الخَالقُ البارِى
يا ليتنى مِتُّ ولم أهْجُهُ نَعَمْ ولوْ صرتُ إلى النّارِ
وأىُّ خِزْىٍ هوَ أخزَى من آنْ يُقَالَ لى يا سبَّ بشارِ

وكان حمّاد قد نزل بالأهواز على سليم بن سالم ، فأقام عنده مدة مستتراً من

(١) فى الأصول «أن حماداً عليل المأنة » وكلمة المأنة لاتفيد معنى ، وليست فى الأغانى وهو الذى نقل عنه جميع مافى هذه الترجمة

محمد بن سليمان ، ثم خرج من عنده يريد البصرة ، فمرّ بشيراز[(١)] فى طريقه ، فرض بها ، فاضطر إلى المقام بها بسبب علته ، واشتدّ مرضه ، فمات هناك ، ودفن على تَلْعة .

ثم إن المهدى لما قتل بشاراً بالبطيحة اتفق أنه حُمل إلى منزله ميتاً ، فدفن مع حماد على تلك التلعة ، فمرّ بهما أبو هشام الباهليّ الشاعر البصريّ الذى كان يهاجى بشاراً ، فوقف على قبريهما وقال [من السريع] :

قدْ تبعَ الأعمى قفَا عَجْرَدٍ　　فأصبحا جارَين فى دَارِ
قالتْ بقاعُ الأرْضِ لا مَرْحباً　　بقُرْبِ حَمَّادٍ وبشارِ
تجاوَرَا بعدَ تنائِيهمَا　　ما أبغضَ الجارَ إلى الجارِ
صارَا جميعاً فى يدى مالكٍ　　فى النارِ ، والكافرُ فى النّارِ

وَكان السبب فى قتل المهدى بشارا أنه كان نهاه عن التشبيب ، فمدحه بقصيدة[(٢)] ، فلم يحظ منه بشىء ، فهجاه ، فقال من قصيدة [من السريع] :

خليفةٌ يَزْنى بعمَّاتِهِ　　يَلْعَبُ بالدَّبُّوقِ والصَّوْلجَانْ[(٣)]
أبدَلنَا اللهُ بِهِ غيرَهُ　　ودسَّ موسى فى حِرِ الخيزُرَانْ

وأنشدها فى حلقة يونس النحوىّ ، فسعى به إلى يعقوب بن داود الوزير ، وكان بشار قد هجاهُ بقوله [من البسيط] :

---

(١) فى الأصول « بشيراز إذ أن فى طريقه » وكلمتا « إذ أن » لا محل لهما هنا ، وليستاف الأغانى

(٢) ذكر فى الأغاني فى ترجمة بشار (٣ ـ ٦٩) القصائد التى مدح بها بشار الخليفة المهدى ولم يحظ منه عليها بشىء ، فارجع إليها ثمة إن شئت

(٣) فى الأصول « بالدابوق » وما أثبتناه هو الصواب ، وهو الموافق لما فى الأغانى . وفى القاموس « والدبوق كتنور لعبة معروفة »

إنّ الخليفةَ يعقوبُ بنُ داودِ ... بني أميةَ هبّوا طالَ نومُكمُ
خليفةَ الله بين الزقّ والعودِ ... ضاعت خلافتكمْ ياقومُ فالتمسوا

فدخل يعقوب على المهدىّ ، فقالَ : يا أمير المؤمنين ، إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجاكَ ، قال : بأى شىء ؟ قال : بما لا ينطق به لسانى ولا يتوهمه فكرى ، فقال : بحياتى أنشدنى إياه ، فقال : والله لو خيرتنى بين إنشادى إياهُ وضرْب عنقى لاخترتُ ضرب عنقى ، فحلف عليه المهدىّ بالأيمان التى لا فسحة له فيها ، فقال : أما لفظاً فلا ، ولكننى أكتب ذلك ، فكتبه ودفعه ، فكاد ينشق غيظا ، وعمل على الانحدار إلى البصرة ، لينظر فى أمرها ، وَما فى فكره غيرُ بشار ، فانحدر ، فلما بلغ إلى البطيحة سمع أذاناً فى وقت إضحاء النهار[1] ، فقال : انظروا ما هذا الأذان ، فاذا بشار سكران ؟ فقال له : يا زنديق يا عاض بظر أمه ، عجبتُ أن يكون هذا من غيرك ، أتلهو بالأذان فى غير وقت صلاة وأنت سكران ، ثم دعا بابن نهيك ، فأمره بضربه بالسوط ، فضربه بين يديه على صدر الحرّاقة سبعين سوطا أتلفه فيها ، فكان إذا أصابه السوط يقول : حَس ، وهى كلمة تقولها العرب للشىء إذا أوجع ، فقال : انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين ، يقول حس ، ولا يقول بسم الله ، فقال : ويلك أطعام هو فأسمى عليه ؟ فقال له آخر : أفلا قلت الحمد لله ، فقال : أو نعمة هى فأحمد الله عليها ؟ فلما استوفى السبعين بان الموتُ فيه ، فألقى فى سفينة حتى مات ، ثم رمى به فى البطيحة ، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة ، فدفنوه إلى جانب حماد عجرد كما قدمناه .

وقال أبو هشام الباهلى فيه [من المنسرح] :

يا بؤسَ ميتٍ لم يبكه أحدُ ... أجلْ ولم يفتقدهُ مُفتقِدُ

(١) فى الأغانى « فى وقت ضحى النهار »

لا أمٌ أولاده بكته ولم يبكِ عليه لفُرقةٍ أحَدُ(١)
ولا ابنُ أختٍ يبكي ولا ابن أخ ولا حميمٌ رقَّتْ له كَبِدُ
بَلْ زعموا أن أهلَهُ فرحاً لما أتاهم نَعِيُّه سجدوا

وكان بشار يعطى أبا الشمقمق فى كل سنة مائتى درهم ، فأتاه فى بعض السنين فقال له : هلم الجزية يا أبا معاذ ، فقال : ويحك أوجزية هى أيضاً ؟ قال : هو ما تسمع ، فقال له بشار يمازحه : أنت أفصح منى ؟ قال : لا ، قال : فأعلم منى بمثالب الناس ؟ قال : لا ، قال : فأشعر منى ؟ قال : لا ، قال : فلم أعطيك ؟ قال : لئلا أهجوك ، فقال له : إن هجوتنى هجوتك ، فقال له أبو الشمقمق : أوهكذا هو ؟ قال : نعم فقل ما بدالك ، فقال أبو الشمقمق [من الرجز] :

إنى إذا ما شاعرٌ هَجانيهْ ولَجَّ فى القَوْلِ له لِسانيهْ
أدخلْتُهُ فى استِ أمه علانيهْ بشارُ يا بشار . . . . . .

وأراد أن يقول « يا ابن الزانية » فوثب بشار فأمسك فاه ، وقال : أراد والله أن يشتمنى ، ثم دفع إليه مائتى درهم ، وقال : لا يسمعن منك هذا الصبيان .

وحدث الأصمعى قال : أمر عقبة بن سلم لبشار بعشرة آلاف درهم ، فأخبر أبو الشمقمق بذلك ، فوافى بشاراً فقال له : يا أبا معاذ إنى مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون [من مجزوء الرمل] :

هللينه هللينه طعْنَ قِثَّاةٍ لتينَهْ
إن بَشارَ بن بُردٍ تيسٌ اعمى فى سفينَهْ

فأخرج له بشار مائتى درهم وقال : خذ هذه ولا تكن راوية للصبيان يا أبا الشمقمق .

(١) فى الأغانى « يبك عليه لفرقة ولد »

ولما ضرب بشار وطرح فى السفينة قال : ليت عين أبى الشمقمق ترانى حيث يقول :

إن بشار بن برد تيس اعمى فى سفينة

وكان قتله سنة ثمان وستين ومائة ، وقد بلغ نيفاً وتسعين سنة .

ومن شعره قوله [من السريع] :

طالَبْتُها دَيْناً فَضَنّت به وأمسكت قَلْبى مع الدينِ
فَرُحتُ كالعَيْرِ غَدا يبتغى قَرْناً فلم يرجع بأذنينِ
أعتقتُ ماأمْلِكُ إن لم أكُنْ أحب أن ألقاكِ فالقيْنى
والله لو نِلْتُكِ لا أتّقى عيناً لقبَّلتكِ ألفينِ

قوله « فرحت كالعير ـ البيت » مثل قول بعضهم [من الكامل] :

ذهبَ الحمارُ ليَستفيدَ لنفسِهِ قرنا فآب وماله أذُنان

ومن شعره قوله [من الخفيف] :

خيرُ إخوانِكَ المُشارك فى المـــرِّ وأينَ الشَّريكُ فى المرِّ أيْنا
الذى إن شهِدْتَ سَرَّكَ فى الحـــىِّ وإن غِبْتَ كانَ أذناً وعيْنا
مثلُ سرِّ الياقوتِ إن مسَّهُ النّـــار جلاهُ البلاء فازدادَ زَيْنا
أنت فى مَعشرٍ إذا غبتَ عنهم بَدَّلوا كل ما يزينُكَ شيْنا
وإذا ما رأوْكَ قالوا جميعاً أنت من أكْرَم البرَايا علَينا
ما أرَى للأنام وُدًّا صحيحاً عادَ كل الوِداد زوراً ومَيْنا

***

٥٦ ــ فقُلْتُ عسَى أن تبْصِريني كأنما بَنِيَّ حوالَيَّ الأسودُ الحوارِدُ

البيت من الطويل ، قائله الفرزدق ، من جملة أبيات قالها مخاطباً لزوجته النوار

وكان قد مكث زمانا لايولد له فعيرته بذلك ، وأول الأبيات (١) :

وقالت أراهُ واحداً لا أخا له يؤمّلُهُ يوماً ولا هو والِدُ

و بعده البيت ، و بعده :

فإن تميماً قبلَ أن يلد الحصا أقامَ زمانا وهو فى الناس واحدُ

والحوارد : من حَرَدَ إذا غضِب .

والشاهد فيه: ترك الواو فى الجملة الاسمية الحالية لدخول حرف على المبتدأ يحصل به نوع من الارتباط وهو هنا « كأن » إذ لو لم تدخل لما حسن الكلام إلا بالواو ، و « بنىّ إلخ » جملة اسمية وقعت حالا من مفعول تبصر بنى ، ومعنى « حوالى » فى أكنافى وجوانبى ، وهو حال من بنىّ لما فى حرف التشبيه من معنى الفعل .

***

٥٧ — واللهُ يُبْقيكَ لَنَا سالماً بُرْدَاكَ تبجيلٌ وتَعظيمُ

البيت لابن الرومى ، من قصيدة من السريع ، منها قبل البيت :

قَلَّ له الملْكُ ولو أنه مجموعةٌ فيه الأقاليمُ

والتبجيل: التعظيم.

والشاهد فيه : ترك الواو فى الجملة الاسمية الحالية وهى « برداك إلخ » لوقوعها بعقب حال مفرد وهو « سالما » إذ لو لم يتقدمها لم يحسن فيها ترك الواو ، والحالان أعنى الجملة وسالما يجوز أن يكونا من الأحوال المترادفة ، وهى: أن تكون أحوال متعددة وصاحبها واحد كالكاف من يبقيك هاهنا ، و يجوز أن يكونا من الأحوال المتداخلة ، وهى: أن يكون صاحبُ الحال المتأخرة الاسمَ الذى يشتمل عليه الحال السابقة ، مثل أن يجعل قوله « برداك تعظيم » حالا من الضمير فى سالما .

وابن الرومى تقدم ذكره فى شواهد المسند إليه (٢) .

---

(١) اقرأها فى الديوان

(٢) اقرأ ترجمته فى شرح الشاهد (رقم ١٨)

شواهد الايجاز والاطناب والمساواة

٥٨ — والعَيْشُ خَيْرٌ فى ظِلَا لِ النُّوكِ ممن عاشَ كَداً

البيت للحارث بن حلزة اليشكرى ، من الكامل المضمر المرفل ، وقبله [١] :

فَعِش بجَدٍّ لا يَضِرْ كَ النَّوْكُ ما أُولِيتَ جَدًّا [٢]

شاهد إخلال اللفظ بالمعنى المراد

والنوك — بضم النون وفتحها — الحمق ، ومعنى « كداً » مكدوداً متعوبا [٣] . والشاهد فيه : الاخلال ، لكونه غير واف بالمراد ، إذ أصل مراده أن العيش الناعم فى ظلال النوك خير من العيش الشاق فى ظلال العقل ، ولفظه غير واف بذلك .

وما أحسن قول ابن المعتز [من الكامل] :

وحَلَاوَةُ الدنيا لِجَاهِلِها ومَرَارة الدنيا لمن عَقَلا

ولأبى عبد الله محمد بن أبى الفضل السلمى المرسى [من الكامل] :

عابوا الجَهالَةَ وازدَرَوا بحُقوقِها وتَهاوَنوا بحديثها فى المجلِسِ
وهى التى يَنْقادُ فى يَدِها الغنى وتجيئُها الدنيا برَغم المعطسِ
إنّ الجهالة للغِنى جذَّابَةٌ جَذْبَ الحديدِ حِجارَةَ المَغْنيطسِ

ولأبى محمد اليزيدىّ من أبيات [من الخفيف] :

عِشْ بجد ولا يَضُرُّكَ نوكٌ إنما عيش من ترى بالجُدُودِ
عش بجد وكن هَبَنَّقَةَ العَبْسِىَّ نوكاً أو شيبَةَ بن الوليدِ

وما أحسن قول بعضهم [من السريع] :

---

(١) اقرأ الأبيات التى منها الشاهد والبيت الذى ذكره المؤلف فى الأغانى (٩ — ١٨١)
(٢) فى الأصول « عيش بجد » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى
(٣) الصواب أن يقال « متعبا »

إن المقادير إذا ساعدتْ ألحقتِ العاجزَ بالقادرِ

وبديع قول بعضهم [من مخلع البسيط] :

بالجد يَسعى الفتى وإلاَّ فليسَ يُغنى أبٌ وجَدُّ
وليس يُجدى عليك كدٌّ مادام يُكدِى عليك جَدُّ

وما أحذق قول ابن لنكك [من البسيط] :

دنياكَ باتتْ على الأحرارِ غاضبةً وطاوعت كل صفعانٍ وضرّاطِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

كن ساعياً ومُصافعاً ومضارطاً تَنلِ الرغائب فى الزّمان وتَنفُقِ

ولمؤلفه من أبيات [من السريع] :

من يَبغِ بالفضل معاشاً يمت جوعاً ولو كانَ بديعَ الزمانِ
ومن يَقُدْ أو يتمسخرْ يَعِشْ عيشاً رَخِيًّا فى ظلال الأمانِ
تبغى الحجا ثم تروم الغنى يا قلما تجتمعُ الضُّرّتانِ

ولطيف قول بعضهم [من الخفيف] :

قد يُحَدُّ اللّبيبُ عن سعة الرِّزْ قِ وقد يَسعدُ الضعيفُ بجده (١)
رُبَّ مال أتى بأهونِ سَعى وكَدُودٍ لم يُغْنِهِ طول كدِّه

ولابن نباتة السعدى [من الكامل] :

ما بالُ طَعْم العيش عند مَعاشرٍ حُلو وعنـد معاشر كالعلقَم
من لى بعيش الأغبيـاءِ فانه لاعيشَ إلا عيشُ مَنْ لم يعلم

---

(١) فى الأصول « قد يجد » وهو تحريف ، صوابه ما أثبتناه ، ويحد — بالحاء المهملة مبنيا للمجهول — يحرم ويمنع

والحارث(١) بن حِلِّزة هو من بنى يَشْكر من بكر بن وائل ، وكان أبرص ، وهو القائل [من الخفيف] :

آذنَتنا بِبَينِها أسماء ... رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواء

ويقال : إنه ارتجلها بين يدى عمرو بن هند ارتجالا فى شىء كان بين بكر وتغلب فى الصلح ، وكان ينشده من وراء السجف للبرص الذى كان به ، فأمر برفع السجف بينه وبينه استحساناً له ، وكان الحارث متوكئا على عنزة فأثرت فى جسده وهو لا يشعر ، وكان له ابن يقال له مذعور ، ولمذعور ابن يقال له شهاب ابن مذعور ، وكان ناسبا وفيه يقول مسكين الدارمى [من الوافر] :

هَلُمّ إلى ابن مَذْعورٍ شِهابٍ ... يُنَبِّئْ بالسُّفالِ وبالمعالى

قال الأصمعى : قد أقوى الحارث بن حلزة فى قصيدته التى ارتجلها :

فَملَكنا بذلك الناس إذ ما ... مَلَكَ المنذرُ بن ماءِ السماءِ(٢)

قال أبو محمد : ولن يضر ذلك فى هذه القصيدة ، لأنه ارتجلها فكانت كالخطبة .

***

شاهد التطويل

٥٩ ــ وألْفَى قولَها كَذِباً ومَيْنا

هو من الوافر ، وصدره :

---

(١) للحارث بن حلزة ترجمة فى الأغاني (٩ : ١٧٧ — ١٨١)

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة ما نصه :

« قوله فملكنا الخ ، لم أقف على هذا البيت فى القصيدة بعد مراجعتها فى شرح المعلقات فلينظر »

وعبارة الأصمعى ورواية البيت بصورته هنا مأخوذة عن الشعراء لابن قتيبة والتعليق عليه تعليقه (انظره ٩٦)

* وقدَّدَتِ الأديم لراهشيه (١) *

وقائله عدى بن زيد العبادى ، من قصيدة طويلة أولها :

كلمة لعدى بن زيد العبادى

أَبُدِّلَتِ المنازلُ أم عنينا بقادم عهدهن فقد بَلِينا

يقول فيها يخاطب النعمان بن المنذر بن ماء السماء :

ألا يا أيها المُثرى المرَجّى ألم تسمع بخَطْبِ الأوّليِنا

ومنها ويذكر غدر الزباء بجذيمة الأبرش :

دعا بالبَقَّةِ الأمراء يوماً جَذيمةُ عَصْرَ يَنجوهمْ ثُبينا (٢)

فطاوَعَ أمرَهم وعصَى قَصيراً وكانَ يقولُ لو تَبِع اليقينا

ودستْ فى صحيفتها إليه ليملكَ بُضعَها ولأن تَدِينا

ففاجأها وقد جَمعت فيوجاً على أبوابِ حِصْنٍ مُصْلِتينا (٣)

فأرْدَتْهُ ورُغْبُ النفس يُرْدِى ويبدى للفتى الحينَ المُبينا

وحَدثتِ العَصا الأنباء عنه ولم أرَ مثلَ فارِسها هجينا

وبعده البيت المستشهد بعجزه ، وبعده :

---

(١) اقرأ هذه الأبيات فى الشعراء لابن قتيبة (١١٢-١١٣) وقد روى هناك « وقدمت الأديم » وفى لسان العرب (م ى ن) كما هنا « فقددت »

(٢) فى الأصول «ينحوهم بفينا» وماأثبتناه موافق للشعراء ، وينجوهم : من النجوى ، يريد يناجيهم ، وثبينا : جمع ثبة بمعنى الجماعة ، وهو حال من المفعول

(٣) هذا البيت والبيت الذى ذكر أنه المطلع لا يوجدان فى الشعراء لابن قتيبة . والفيوج : جمع فيج - بفتح وسكون - وهو رسول السلطان ، وهو أيضا الذى يدخل السجن ويخرج للحراسة ، فارسى معرب ، قاله فى اللسان (ف ى ج)

ومن حَذَرَ الملاوِمِ والمخازى   وهنَّ المُنْدِياتُ لمن منينا
أطَفَّ لأنفه الموسَى قَصيرٌ   لِيَجدعهُ وكان به ضنينا
فأهواهُ لما رِنهِ فأضحى   طِلابَ الوِترِ مجْدوعاً مَشِيناً
وصادَفت امرأً لم تخشَ منه   غوائِلهُ وما أَمِنَت أمِينا
فلما ارتد منها ارتدَّ صُلباً   يجُرُّ المالَ والصدرَ الضَّغينا
أتتها العِيسُ تحملُ ما دهاها   وقنَّعَ فى المسُوحِ الدارِعينا
ودسَّ لها على الأنفاقِ عَمراً   بِشكَّته وما خَشيت كَمينا
فجلَّلها قديمَ الأثرِ عَضبا   يَصكُّ به الحواجبَ والجَبينا
فأضحَتْ من خزائنها كأنْ لم   تكن زبَّاء حاملةً جنينا
وأبرزها الحوادث والمنايا   وأى معمر لا يبتلينا
إذا أمهلنَ ذا جَدٍّ عظيم   عطفن عليه ولو فرَّطن حينا
ولم أجد الفتى يلهو بشىء   ولو أثرى ولو ولد البنينا

خبر جذيمة الأبرش

وكان من [1] خبر جذيمة والزباء أن جذيمة كان من العرب الأولى من بنى إياد كما ذكره ابن الكلبى ، وكنيته أبو مالك ، وكان فى أيام ملوك الطوائف ، وقال أبو عبيدة : كان جذيمة بعد عيسى صلوات الله وسلامه عليه بثلاثين سنة ، وكان قد ملك شاطىء الفرات إلى ما والى ذلك إلى السواد ، ستين سنة ، وكان به برص ، فهابت العرب أن تصفه بذلك فقالوا : الأبرش ، والوضاح ، وقيل : سمى بذلك لأنه أصابه حرق نار فبقى أثره نقطا سودا وحمرا ، وكان الملك قبله أباه ، وهو أول من ملك الحيرة ، وكان جذيمة هذا يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم

(١) انظر سرح العيون (٣٩ و ٤٢) وانظر مجمع الأمثال للميدانى (١ - ١٥٧ الخيرية)

على كثير مما فى أيديهم ، وهو أول من أوقد الشمع ونصب المجانيق للحرب ، وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق ، وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على غالب ملكه وألجأ الزباء إلى أطراف مملكتها ، وكانت عاقلة أريبة فبعثت إليه تخطبه لنفسها ليتصل ملكه بملكها ، فدعته نفسه إلى ذلك ، وقيل: هو الذى بعث إليها يخطبها، فكتبت إليه : إنى فاعلة ومثلك يُرْغَب فيه ، فاذا شئت فاشخص إلىَّ ، فشاور وزراءه فكلٌّ أشار عليه أن يفعل ، إلا قصير بن سعد فانه قال له : أيها الملك لا تفعل فان هذه خديعة ومكر . فعصاه وأجابها إلى ما سألت ، فقال قصير عند ذلك : لا يُطَاع لقصير رأى ، وقيل : أمر ، فأرسلها مثلا ، ولم يكن قصيراً ، ولكن كان اسماً له ، ثم إنه قال له : أيها الملك أما إذ عصيتنى فاذا رأيت جندها قد أقبلوا إليك فان ترجلوا وحيَّوك ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظنى ، وإن رأيتهم إذا حيَّوك طافوا بك فانى معرض لك العصا — وهى فرس لجذيمة لا تدرك — فاركبها وانج ، فلما أقبل جيشها حيوه ثم طافوا به فقرب قصير إليه العصا فشغل عنها فركبها قصير فنجا ، فنظر جذيمة إلى قصير على العصا وقد حال دونه السراب فقال : ماذَلَّ من جرَتْ به العصا ، فأرسلها مثلا ، وأُدخل جذيمة على الزباء ، وكانت قد ربت شعر عانتها حولا ، فلما دخل تكشفت له وقالت : أمتاعَ عروسٍ ترى يا جذيمة ؟ فقال : بل متاع أمة بظراء ، فقالت : إنه ليس من عدم المواسى ، ولا من قلة الأواسى ، ولكنها شيمة ما أقاسى ، (١) وأمرت فأجلس على نطع ، ثم أمرت برواهشه فقطعت ، وكان قد قيل لها : احتفظى بدمه فانه إن أصاب الأرضَ قطرةٌ من دمه طُلب بثأره ، فقطرت قطرة من دمه فى الأرض ، فقالت :

(١) في مجمع الأمثال « لامن عدم مواس ، ولا من قلة أواس ، ولكن شيمة من أناس »

لا تضيعوا دم الملك ، فقال جذيمة : دعوا دما ضيعه أهله ، فلم يزل الدم يسيل إلى أن مات .

ثم إن قصيراً أتى عمراً ابنَ أختِ جذيمة وأخبره الخبر ، وحرضه على أخذ الثأر ، واحتال لذلك بأن قطع أنفه وأذنيه ، ولحق بالزباء ، وزعم أن عمراً فعل به ذلك ، وأنه اتهمه بممالأته لها على خاله ، ولم يزل يخدعها حتى اطمأنت له وصارت ترسله إلى العراق بمال فيأتى إلى عمرو فيأخذ منه ضعفه ويشترى به ما تطلبه ويأتى إليها به ، إلى أن تمكن منها وسلمته مفاتيح الخزائن وقالت له : خذ ما أحببت فاحتمل ما أحب من مالها وأتى عمراً فانتخب من عسكره فرسانا وألبسهم السلاح واتخذ غرائر وجعل أشراجها من داخل ، ثم حمل على كل بعير رجلين معهما سلاحهما وجعل يسير النهار حتى إذا كان الليل اعتزل عن الطريق ، فلم يزل كذلك حتى شارف المدينة ، فأمرهم فلبسوا الحديد ودخلوا الغرائر ليلا ، وعرف أنه مصبِّحها فلما أصبح عندها دخل عليها وسلم ، وقال : هذه العيرُ تأتيك الساعة بما لم يأتك قط مثله ، فصعدت فوق قصرها وجعلت تنظر العيرَ وهى تدخل المدينة فأنكرت مشيها وجعلت تقول [من الرجز] :

ما للجِمَالِ مشيُها وئِيدا أجَندلاً يحملن أم حَديدا
أم صَرَفانا بارداً شديدا أم الرِّجالَ جُثَّماً قُعودا

فلما توافت العيرُ المدينةَ حلوا أشراجهم وخرجوا فى الحديد ، وأتى قصير بعمرو فأقامه على سِرْبٍ كان لها إذا خشيت خرجت منه ، فأقبلت لتخرج من السرب فأتاها عمرو فجعلت تمص خاتما وفيه سم وتقول : بيدى لا بيد عمرو ، وفارقت الدنيا . والراهشان : عرقان فى باطن الذراعين .

والشاهد فيه : التطويل ، وهو أن يكون اللفظ زائداً على أصل المراد لا لفائدة واللفظ الزائد غير متعين إذ جمعه بين الكذب والمين فى البيت لا فائدة فيه

لأنهما بمعنى واحد .

ترجمة عدى بن زيد العبادى

وعدى (١) هو ابن زيد بن حماد بن أيوب (٢) ينتهى نسبه لنزار ، وكان أيوب هذا فيما يزعم ابن الأنبارى أول من سمى من العرب أيوب ، وكان عدى شاعرا فصيحاً من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانيا ، وكذلك كان أبوه وأهله ، وليس ممن يعد من الفحول ، إذ هو قروى ، وقد أُخذ عنه أشياء عيب بها ، وكان أبو عبيدة والأصمعى يقولان : عدى بن زيد فى الشعراء بمنزلة سهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها مجراها ، وكذلك عندهم أمية بن أبى الصَّلْتِ الثقفى ، ومثلهما عندهم من الاسلاميين الكميت والطِّرِمَّاح . وقال ابن قتيبة : كان يسكن الحيرة ويدخل الأرياف فثقل لسانه واحتُمِلَ عنه شىء كثير جدا ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة .

وله أربع قصائد غرر : إحداهن أولها [من الخفيف] :

أَرَوَاحٌ مودِّعٌ أم بكُورُ ... لك فاعمِدْ لأى حالٍ تَصيرُ

وفيها يقول :

أيها الشَّامتُ المُعير بالدَّهـــرِ ... أأنتَ المبرَّأُ الموفورُ

أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيـــامِ ... أم أنتَ جاهلٌ مغرورُ

من رأيتَ المنونَ جازَتْهُ أم من ... ذا عليه من أن يُضامَ خَفيرُ (٣)

أين كِسرَى كسرى الملوكِ أنوشِرْ ... وانُ أم أين قبلَهُ سابورُ (٤)

(١) لعدى بن زيد ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة (١١١) وفى الأغانى (٢ - ١٨) وفى خزانة الأدب (١ - ١٨٤)

(٢) فى الأغانى « عدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب »

(٣) فى الشعراء « من رأيت المنون خلدن »

(٤) فى الشعراء « كسرى الملوك أبو ساسان »

وبنو الأصفرِ الكِرام ملوكُ الرُّ ... ومِ ، لم يبقَ منهمُ مذكورُ
وأخو الحضرِ إذ بَناهُ وإذ دجْــلَةُ تُجْبَى إليهِ والخابورُ
شادَهُ مَرمراً وَجلَلهُ كلْــساً فللطَّيرِ فى ذَراهُ وُكورُ
وَتَبيَّنَ ربَّ الخوْرَنقِ إذ أشْـــرَفَ يوماً وللهدى تفكيرُ
سرّه حالُهُ وَكثرةُ ما يمْــلِكُ والبحرُ مُعرِضاً والسديرُ (١)
فارعوَى قلبُهُ وقالَ وما غِبْــطَةُ حيٍّ إلى المماتِ يصيرُ
ثم بعدَ الفلاحِ والملكِ والأمَّــةِ وارتْهُم هناكَ القبورُ
ثم أضحَوْا كأنهم ورَقٌ جَــفَّ فألوَتْ به الصَّبا والدَّبورُ (٢)

والثانية أولها [من الطويل] :

أتعرف رسمَ الدَّارِ من أم معبدِ ... نعم فرَماكَ الشوقُ قبل التجلدِ
أعاذلَ ما يدريكِ أن منيتى ... إلى ساعةٍ فى اليوم أو فى ضُحَى الغد
ذرينى فانى إنما لِيَ ما مضى ... أمامِيَ من مالى إذا خَفَّ عُوَّدى
وَحُمَّت لميقاتٍ إلىَّ منيتى ... وغُودِرتُ قد وُسِّدتُ أولم أوَسَّد
وللوارثِ الباقى من المالِ فاتركى ... عتابى فانى مُصلحٌ غيرُ مفسد

والثالثة أولها [من المنسرح] :

لم أرَ مثلَ الفِتيانِ فى غَبَنِ الـ ... أيام يدْرونَ ما عواقبها

والرابعة أولها [من الخفيف] :

طالَ ليلى أراقبُ التنويرا ... أرقُبُ الليْلَ بالصباح بَصيرا

انتهى ما قاله ابن قتيبة .

(١) فى الأغانى « سره ماله » وفى الشعراء مثل ما هنا
(٢) فى الأغانى « ثم صاروا » وفى الشعراء مثل ما هنا

وكان جده أيوب منزله باليمامة فأصاب دما فى قومه فهرب فلحق بأوس ابن قلام أحد بنى الحرث بن كعب بالحيرة ، وكان بينهما نسب من قبل النساء ، فأقام بالحيرة واتصل بالملوك الذين كانوا بها ، وعرفوا حقه وحق بنيه. ولما ولد عدى وأيفع طرحه أبوه فى الكتاب ، حتى إذا حذق أرسله مرزبان الحيرة مع ابنه شاهان مرد إلى كتاب الفارسية ، فكان يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم الناس بهما وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر ، وتعلم الرمى بالنشاب ، فخرج من الأساورة الرماة ، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها ، ثم إن المرزبان وفد على كسرى ومعه ابنه شاهان مرد ، فبينا هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والأنثى يجعل كل واحد منهما منقاره فى منقار الآخر ، فغضب كسرى من ذلك ، ولحقته غيرة شديدة ، فقال للمرزبان وابنه : ليرم كل واحد منكما واحداً من هذين الطائرين فان قتلتماهما أدخلتكما بيت المال وملأت أفواهكما بالجوهر ، ومن أخطأ منكما عاقبته ، فاعتمد كل واحد منهما طائراً منهما ورميا فقتلاهما جميعا ، فبعث بهما إلى بيت المال فملئت أفواههما جوهراً ، وأثبت شاهان مرد وسائر أولاد المرزبان فى صحابته ، فقال عند ذلك للملك : إن عندى غلاماً من العرب مات أبوه وخلفه فى حجرى فربيته ، وهو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية ، والملك محتاج إلى مثله ، فان رأى الملك أن يثبته فى ولدى فعل ، فقال : ادعه ، فأرسل إلى عدى بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق الحسن ، وكانت الفرس تتبرك بالجميل ، فلما كلمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جواباً ، فرغب فيه وأثبته مع ولد المرزبان ، فكان عدى أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى ، فرغب أهل الحيرة إلى عدى ورهبوه ، فلم يزل بالمدائن فى ديوان

كسرى يؤذن له عليه فى الخاصة ، وهو معجب به[١] قريب منه ، وأبوه زيد بن حماد حىّ إلا أن ذكر عدى قد ارتفع وخمل ذكر أبيه[٢]، فكان عدى إذا دخل على المنذر قام له هو وجميع من عنده حتى يقعد عدىّ ، فعلا له بذلك صيت عظيم ، وكان إذا أراد المقام فى الحيرة مع أبيه وأهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقل ، ثم إن كسرى أرسله إلى ملك الروم بهدية من طرف ما عنده ، فلما أتاه عدى بها أكرمه وحمله إلى أعماله على البريد ليريه سعة أرضه وعظم ملكه وكذلك كانوا يصنعون ، فمن ثم وقع عدى بدمشق وقال بها الشعر ، فما قاله بالشام وهو أول شعر قاله فيما ذكر [من الخفيف] :

رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجِزْعِ من دُو ... مَةَ أشهى إلىَّ من جيرُون

ونَدامى لا يفرحونَ بِمَا نا ... لُوا ولا يتَّقونَ صرفَ المنونِ[٣]

قَدْ سُقِيتُ الشَّمُولَ فى دار بشرٍ ... قَهْوَةً مُرَّةً بماء سخينِ[٤]

ثم إنّ عديًّا قدم المدائن على كسرى بهدية قيصر فصادف أباه والمرزبان الذى رباه قد هلكا جميعا ، فاستأذن كسرى فى المقام[٥] بالحيرة ، فتوجه إليها وبلغ المنذر خبره ، فخرج فتلقاه ورجع معه ، وعدىّ أنبل أهل الحيرة فى أنفسهم ، ولو أراد أن يملّكوه لملّكوه ، ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك ، فمكث سنين يبدو فى فصلى السنة ، فيقيم فى البر[٦] صيفا ويشتو

(١) في الأصول « وهو معجب له » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى القصة أن المرزبان قال لكسرى « إن عندى غلاما من العرب مات أبوه وخلفه فى حجرى فربيته» .

(٣) في الأغانى « ولا يرهبون صرف المنون »

(٤) هكذا فى أصول هذا الكتاب وفى الأغانى ، وأحسبه «قهوة مزة» بالزاى

(٥) فى الأغانى «فى الالمام بالحيرة» فأذن له ،

(٦) كذا والذى فى الأغاني ، « فيقيم فى جفير ويشتو بالحيرة »

بالحيرة ، و يأتى المدائن فى خلال ذلك ، فيخدم كسرى ، فمكث بذلك سنين . ثم إن المنذر هلك وقام ابنه النعمانُ مقامه بمعاونة عدى فى خبر طويل ، ثم لم يزل الحسدة يوقعون بينه و بين عدىّ إلى أن حبسه ، فقال فى ذلك أشعاراً كثيرة منها [من الرمل] :

طالَ ذا الليلُ علينا واعتَكَرْ وكأنى بادرُ الصبحِ سَمَرْ(١)
مِنْ نجىِّ الهمِّ عندِى ثاوياً فوقَ ما أعلنُ منهُ وأسرّ
وكأنّ الليلَ فيه مثلهُ ولقِدْماً ظُنّ بالليل القصر(٢)
لمْ أغمضْ طولهُ حتى انقضى أتمنّى لو أرى الصبحَ جشَرْ(٣)
غيرَ ما عشق ولكنْ طارقٌ خلَسَ النومَ وأجدانى السهرْ

وقال يخاطب النعمان بن المنذر أيضاً [من الرمل] :

أبلغ النعمانَ عنى مَألُكاً أنهُ قدْ طالَ حبسى وانتظارْ
لوْ بغيرِ الماء حلقى شرِقٌ كنت كالغَصَّانِ بالماءِ اعتصارْ
ليتَ شعرى مَنْ دخيلٌ يعترى حيثما أدركَ ليلى ونهارْ(٤)
قاعداً يكربُ نفسى بثُّها وحرام كانَ سجنى واختصارْ(٥)

---

(١) فى الأصول « وكأين بادر الصبح سحر » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى
(٢) فى الأصول « ولقد أبطن بالليل القصر » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى
(٣) فى الأصول « جشر » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى
(٤) رواية هذا الشعر فى الأغانى :
ليت شعرى عن دخيل يفترى حيثما أدرى ليلى ونهار
(٥) فى الأغانى « وحراما كان سجنى » وهو أصح عربية

فى قصائد كثيرة كان يقولها ، ويكتب بها إليه ، فلا تجدى عنده شيئاً .

ولقد تداولَ الشعراء معنى بيت عدى « لو بغير الماء حلقى شرق إلخ » بعد عدىّ ، فقال أبو نواس [من البسيط] :

غصصتُ منكَ بما لا يدفعُ الماء وصحّ حبكَ حتى ما به داء

وقال الآخر [من البسيط] :

من غصّ داوَى بشرب الماء غُصتَهُ فكيفَ يصنعُ من قدْ غصّ بالماء

وقال الخبزأرزى [من البسيط] :

بالماء أدفعُ شيئاً إن غصصتُ بهِ فما احتيالى وغصّى منكَ بالماء

ثم لما طال سجن عدىّ كتب إلى أخيه أبىّ ، وهو مع كسرى ، يعلمه بحاله . فلما قرأ كتابه قام إلى كسرى فكلمه فى أمره وعرّفه بخبره ، فكتب إلى النعمان يأمره باطلاقه ، و بعث معه رجلا ، وكتب خليفة النعمان إليه ، إنه قد كتب إليك فى أمره ، فأتى النعمانَ أعداء عدىّ ، وقالوا : اقتله الساعة ، فأبى عليهم . وجاء الرسول ، وقد كان أخو عدىّ تقدم إليه ورشاه ، وأمره أن يبدأ بعدى فيدخل عليه وهو محبوس بالصنين ، فقال له : ادخل عليه ، وانظر ماذا يأمرك به ، فامتثله ، فدخل الرسول على عدى ، فقال له : إنى قد جئت بارسالك فما عندك ؟ قال : عندى الذى تحب ، ووعده عدة سنية ، وقال له : لا تخرجن من عندى ، وأعطنى الكتاب حتى أرسله إليه ، فانك والله لئن خرجت من عندى لأقتلنّ ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتى الملك بالكتاب فأوصله إليه ، فانطلق بعض مَنْ كان هناك من أعداء عدى ، فأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عدى وهو ذاهب به ، و إن فعل والله لم يستبق منا أحدا ، أنت ولا غيرك ، فبعث إليه النعمانُ أعداءه فغموه حتى مات ، ثم دفنوه ، ودخل الرسول إلى النعمان ، فأوصل الكتاب إليه ، فقال : حباً وكرامة ، وأمر له بأربعة آلاف

مثقال ذهب وجارية حسناء ، وقال له : إذا أصبحت فادخل أنت بنفسك الحبس فأخرجه ، فلما أصبح ركب فدخل السجن ، فأخبره الحارس أنه قد مات منذ أيام ، ولم نجترئ على إخبار الملك بذلك خوفا منه ، وقد عرفنا كراهيته لموته ، فرجع إلى النعمان فقال : إنى قد كنت أمس دخلت على عدىّ وهو حىّ ، وجئت اليوم فجحدنى السجان وبهتنى ، وذكر لى أنه قد مات منذ أيام ، فقال له النعمان : أيبعث بك الملك إلىّ فتدخل إليه قبلى ؟ كذبت ، ولكنك أردت الرشوة والخبث ، وتهدده ، ثم زاد جائزته وأكرمه وتوثّقَ منه أن لا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه ، فرجع الرسول إلى كسرى ، وقال : إنى قد وجدت عديا قد مات قبل أن أدخل عليه ، وندم النعمان على قتله ، وعلم أنه قد احتيل عليه فى قتله ، واجترأ أعداؤه عليه ، وهابهم هيبة شديدة .

وكان لعدىّ ولد اسمه زيد ، فسيره النعمان إلى كسرى ، ووصفه بأوصاف جميلة ، فوقع من كسرى الموقع ، فما زال يعمل الحيلة إلى أن غير كسرى على النعمان وأرسل إليه أن أقبل علينا ، فحمل سلاحه وما قوى عليه ، ثم لحق بجبل طيء ، ثم بعث إلى كسرى بخيل وحلل وجواهر وطرف ، فقبلها كسرى وأظهر له الرضا ، وأمره بالقدوم ، فعاد الرسول وأخبره بذلك ، وأنه لم يَرَ له عند كسرى سوءاً ، فمضى إليه حتى إذا وصل إلى ساباط لقيه زيد بن عدىّ عند قنطرة ساباط ، فقال له : انج نعيم إن استطعت النجاة ، فقال له : أفعلتها يا زيد؟ أما والله إن عشت لك لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربىّ قط ولألحقنك بأبيك ، فقال له زيد : امض لشأنك نعيم فقد والله أخَيْتُ لك أخِيَّةً (١) لا يقطعها المهر

---

(١) الأخية — بفتح الهمزة وتشديد الياء — أن تدفن طرفى حبل فى الأرض فتظهر منه مثل عروة تشد فيها الدابة ، وأخيتها : صنعتها ، وأراد أنه حبك له حيلة لا يستطيع الفكاك منها .

الأرن[١] ، فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيده ، وبعث به إلى سجن له بخانقين ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه . وقال ابن الكلبي : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات ، وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانقين ، وقالوا : لم يزل محبوساً مدة طويلة ، وإنما مات بعد ذلك بحين قبيل الاسلام . وغضبت له العرب حينئذ ، وكان قتله سبب وقعة ذى قار .

وكان عدىّ يهوى هند بنت النعمان بن المنذر ولها يقول [من الرمل] :

عَلِقَ الأحشاء مِنْ هندٍ عَلَقْ ... مُستسِرّ فيه نَصْبٌ وأرَقْ[٢]

وفيها يقول أيضاً [من الرمل] :

مَنْ لقلبٍ دَنِفٍ أوْ مُعتمِدْ ... قد عَصَى كلَّ نَصيحٍ ومُفِدْ[٣]

وفيها يقول أيضاً [من الخفيف] :

يا خليلىَّ يَسِّرا التعسيرا ... ثم رُوحا فهَجِّرا تهجيرا

عَرِّجا بى على ديارٍ لِهندٍ ... لَيسَ أن تُحْبِسا المطى كَبيرا[٤]

وقد تزوجها عدى فى خبر طويل ، فمكثت معه حتى قتله النعمان، فترهبت وحبست نفسها فى الدير المعروف بدير هند فى ظاهر الحيرة ، وكان هلاكها بعد الاسلام بزمن طويل فى ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة ، وخطبها المغيرة فردته ،

---

(١) المهر الأرن — بفتح الهمزة وكسر الراء — المرح النشيط ، وفعله أرن يأرن أرنا — على وزن مرح يمرح مرحا — وإرانا ، وأرينا ، مثل عناق وذميل

(٢) مستسر : مختف مكتتم ، والنصب — بفتح النون أو ضمها مع سكون الصاد — الداء والبلاء والشر

(٣) فى الأغانى « قد عصى كل نصوح »

(٤) فى الأغانى « ليس أن تحبسا المطى كثيرا »

وقالت: والصليب لو علمت أن فى خصلة من جمال أو شباب رغبتك فىّ لأجبتك ولكنك أردت أن تقول فى المواسم: ملكت مملكة النعمان بن المنذر وتزوجت ابنته، فبحق معبودك أهذا أردت؟ قال: إى والله، قالت: فلا سبيل إليه

* * *

شاهد الحشو المفسد

٦٠ — وَلاَ فَضْلَ فيهَا لِلشجَاعَةِ وَالنَّدَى
وَصَبْرِ الفَتَى لَوْلاَ لِقَاءُ شَعُوبِ

البيت لأبى الطيب المتنبي، من قصيدة من الطويل يمدح بها سيف الدولة ابن حمدان ويعزيه بغلامه يماك التركى، وأولها (١) وفيه الخرم وهو حذف الحرف الأول من الوتد المجموع:

لاَ يُحزِنِ اللهُ الأميرَ فإننى ... لآخُذُ مِنْ حالاتِه بنصيبِ
وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الأرض ثم بكى أَسًى ... بَكَى بِعُيونٍ سَرَّهَا وَقُلوب
وَإنى وَإِنْ كانَ الدَّفينُ حَبِيبَهُ ... حَبيبٌ إلى قلبي حَبيبُ حَبيبي
وقدْ فارَقَ النَّاسُ الأحبةَ قبلنا ... وَأعيا دَواءُ الموْتِ كلَّ طَبيب
سُبِقنا إلى الدُّنيا فلوْ عاشَ أهْلها ... مُنِعنا بِهَا مِنْ جَيْئةٍ وذُهُوب
تَملكها الآتِى تَملُّكَ سالبٍ ... وَفارقها الماضى فِرَاق سَليب

و بعده البيت، و بعده:

وَأوْفى حَياةِ الغابرينَ لِصاحبٍ ... حَياةُ امرىء خانتهُ بعدَ مَشيب
لأبقى يَماكٌ فى حَشَاىَ صَبابة ... إلى كلِّ تركىِّ النِّجار جَليب
وما كلُّ وَجهٍ أبيض بِمباركٍ ... ولاَ كلُّ جَفْنٍ ضَيِّق بنجيب
لئنْ ظَهرتْ فِينا عليهِ كآبةٌ ... لقدْ ظَهرتْ فى حدِّ كل قَضيب

(١) ارجع إليها فى الديوان (١ - ٤٩)

وَفى كلّ قَوْسٍ كلّ يَوْمٍ تَناضُلٍ وَفى كلّ طِرْفٍ كلّ يَوْمٍ رُكوب
يعِزُّ عليه أنْ يُخلَّ بِعادةٍ وتدعو لِأمْرٍ وَهوَ غيرُ مُجيب
وكنتُ إذا أبصرتُه لكَ قائماً نَظرتُ إلى ذِى لِبدَتين أريب[1]
فإنْ يكن العلق النفيسَ فقدتَه فمن كفِّ مِتلافٍ أغرَّ وَهوب[2]
لِأنَّ الردَى عادٍ على كل ماجدٍ إذا لمْ يُعوِّذْ مَجدَه بعيوب[3]
وَلوْلاَ أيادِى الدَّهرِ فى الجمع بيننا غَفَلنا فَلَمْ نَشعرْ لهُ بِذنوب

وهى طويلة

وشَعوب : اسم للمنية غير منصرف للعلمية والتأنيث ، وصرفه للضرورة ، سميت المنية بذلك لأنها تشعب : أى تفرق .

والشاهد فيه : الحشو الزائد المفسد ، وهو هنا لفظة « الندى » لأن المعنى أن الدنيا لا فضل فيها للشجاعة والعطاء والصبر على الشدائد على تقدير عدم الموت ، وهذا إنما يصح فى الشجاعة والصبر دون العطاء ، فان الشجاع إذا تيقن الخلود هان عليه الاقتحام فى الحروب لعدم خوفه من الهلاك فلم يكن فى ذلك فضل ، وكذلك الصابر إذا تيقن زوال الشدائد والحوادث و بقاء العمر هان عليه صبره على المكروه لوثوقه بالخلاص منه ، بل مجرد طول العمر يهون على النفوس الصبر على المكاره ، ولهذا يقال : هب أن لى صبر أيوب فمن أين لى عمر نوح ؟ بخلاف الباذل ماله ، فانه إذا تيقن الخلود شق عليه بذل المال لاحتياجه إليه فيكون بذله حينئذ أفضل ، أما إذا تيقن الموت فقد هان عليه بذله ، ولهذا قال طرفة [من الطويل]:

---

(١) فى الديوان « أديب »

(٢) فى الأصل « أعز » وأثبتنا ما فى الديوان

(٣) فى الديوان « كأن الردى عاد »

فإنْ كُنتَ لاَ أسْطيعُ دَفعَ مَنيتى فَذَرنى أبادِرْها بمَا مَلَكتْ يَدِى(١)

ومثله قول مهيار الديلمى [من المتقارب] :

فَكلْ إنْ أكلْتَ وَأطعمْ أخاكَ فَلاَ الزَّادُ يبقى وَلا الآكلُ

وقيل : المراد بالندى بذل النفس لا المال كما قال مسلم بن الوليد [من البسيط] :

يَجودُ بالنَّفس إنْ ضَنَّ الجوادُ بها والُجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجودِ

و رد بأن لفظ الندى لا يكاد يستعمل فى بذل النفس ، وإن استعمل فعلى وجه الاضافة ، والأقرب ما ذكره ابن جنى ، وهو أن فى الخلود وتنقل الأحوال فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس ، ويسهل البؤس ، فلا يظهر لبذل المال كثير فضل

* * *

شاهد الحشو غير المفسد

٦١ — * وَأعلَم عِلْمَ اليومْ وَالأمسْ قَبلَهُ *

هو من البحر الطويل ، وتمامه :

* وَلكننى عَنْ عِلم ما فى غَدٍ عَمِ *

وقائله زهير بن أبى سلمى ، وهو من آخر قصيدة (٢) قالها فى الصلح الواقع بين عبس وذبيان ، وأولها :

أمِنْ أمّ أوفى دِمنةٌ لم تَكلم بحومانةِ الدَّرَّاج فالمتثلم

---

(١) فى نسخ المعلقات « فان كنت لا تسطيع » و « فدعنى أبادرها » انظر شرح التبريزى على القصائد العشر (٨١)

(٢) هى إحدى السبع المعلقات واقرأها فى شرح القصائد العشر للتبريزى (١٠٠) وفى جمهرة أشعار العرب (٤٧) وفى الديوان (٤ -٣٢)

وَدارٌ لها بِالرَّقمتين كأنها ... مَراجيعُ وَشمٍ في نَواشرِ مِعصَم[1]
بها العِينُ والآرامُ يَمشينَ خِلفةً ... وأَطلاؤها يَنهضنَ من كلّ مَجثَم

ومعنى البيت : إن علمي قد يحيط بما مضى وبما هو حاضر ، ولكنني عمى القلب عن الاحاطة بما هو منتظَر متوقَّع ، يريد لا أدرى ماذا يكون غدا

والشاهد فيه : الحشو الغير مفسد[2] للمعنى ، وهو لفظة « قبله »

ومثله قول عدى المتقدم [من الكامل] :

نحنُ الرؤسُ وَما الرؤسُ إذا سمتْ ... فى المَجدِ لِلأَقوامِ كالأذناب

فقوله « للأقوام » حشو ، وفيه نظر ، لأن استعمال الرأس فى المقدم والرائس مجاز ، وذكر الأقوام كالقرينة

وقول الآخر [من مجزوء الوافر] :

ذكَرْتُ أخى فَعاودَنى ... صُداعُ الرّأس وَالوصب

فلفظة « الرأس » حشو ، فان الصداع لا يستعمل إلا فى الرأس

ومن الحشو المفسد قول ديك الجن [من الكامل] :

فَتنفسَتْ فى البيت إذْ مُزِجتْ ... بِالماء وَاستلبتْ سنا اللهب
كتنفُّسِ الريحانِ خالطهُ ... منْ وردِ جور ناضر الشعب

فذكره المزاج يغنى ، والمـاء فضل لا يحتاج إليه ، وقد قصر عن قول أبى نواس[3] [من الكامل] :

---

(١) رواية الخطيب « ديار لها بالرقمتين » و « مراجع وشم » وفى كامل المبرد (١ : ٥١) « ودار لها » و « مراجع وشم »
(٢) الصواب أن يقال « غير المفسد للمعنى »
(٣) هما فى الديوان (٣٠٣) ضمن قصيدة

سلوا قناعَ الطينِ عن رَمَقٍ ... حيّ الحياةِ مُشارف الحتف

فتنفستْ في البيت إذ مُزِجتْ ... كتنفس الريحان في الأنفِ

ترجمة زهير بن أبي سلمى

وزهير بن أبي سلمى[١] هو أبو كعب وبُجَير ، واسم أبي سلمى ربيعة بن رباح بن قرة ، ينتهي نسبه لنزار ، وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء ، وإنما الخلاف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه ، فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم ، وهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة الذبياني .

وعن عمر بن عبد الله الليثي قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في مسيره إلى الجابية : أين ابن عباس ؟ قال : فأتيته[٢] ، فشكا إليّ تخلف عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه ، فقلت : أو لم يعتذر إليك ؟ قال : بلى ، قلت : هو ما اعتذر به . ثم قال : إن أول من ريثكم عن هذا الأمر أبو بكر رضي الله عنه ، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم بين الخلافة والنبوة ، ثم ذكر رضي الله عنه قصة طويلة . قال : ثم قال لي : هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال : الذي يقول [من الطويل] :

ولو أنَّ حمداً يخلدُ الناسَ خلّدوا ... ولكنّ حَمْد الناس ليس بمخلد[٣]

قلت : ذاك زهير بن أبي سلمى ، قال : هو شاعر الشعراء ، قلت : وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاظل في الكلام ، وكان يتجنب وحشيّ الشعر ، وكان لا يمدح أحداً إلا بما هو فيه .

---

(١) تجد ترجمة زهير في الأغاني (٩ : ١٤٦ — ١٥٨) وفي الشعر والشعراء (٥٧) وفي خزانة الأدب (١ — ٣٧٥)

(٢) في الأغاني « فأتاه » وكذلك في كل الضمائر وهي أنسب لأن راوي القصة ليس هو ابن عباس

(٣) في الأغاني « ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا » وهي أنسب بقوله « يخلد الناس » وبقوله « بمخلد »

وفى رواية أنه قال له : أنشـدنى له ، فأنشدته حتى بَرَقَ الفجر ، فقال : حسبك ، الآن اقرأ القرآن ، قلت : وما أقرأ ؟ قال : الواقعة ، فقرأتها ، ونزل فأذن وصلى .

وسأل معاوية الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير . قال : وكيف ذاك ؟ قال : كَفَّ عن المادحين فضولَ الكلام ، قال: بما ذا ؟ قال : بقوله [من الطويل] :

فما يَكُ من خيرٍ أتوْهُ فإنما توارثه آباء آبائهم قبلُ

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى زهير بن أبى سلمى ، وله مائة سنة . فقال : اللهم أعذنى من شيطانه ، فما لاك بيتا حتى مات .

وعن الأصمعى قال : قال عمر رضى الله عنه لبعض ولد هَرِمِ بن سنان : أنشدنى مدح زهير أباك ، فأنشده ، فقال عمر : إنْ كان لَيُحْسِن القول فيكم ، فقال : ونحن والله إن كنا لنحسن له العطاء ، فقال : ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم .

قال : وبلغنى أن هرم بن سنان كان قد حلف أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه ، غرة عبداً أو وليدة أو فرسا ، فاستحيا زهير مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه فى ملأ قال : انعموا صباحا غير هرم ، وخيركم استثنيت .

وعن عمر بن شيبة قال : قال عمر رضى الله عنه لابن زهير : مافعلت بالحلل التى كساها هرم أباك ؟ قال: أبلاها الدهر ، قال: لكن الحلل التى كساها أبوك هرماً لم يُبلها الدهر .

وقال أبو زيد الطائى[1] : أنشد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قول زهير [من الطويل] .

(١) فى بعض النسخ « أبو زبيد الطائى »

ومهما يكنْ عندَ امرىء من خَليقةٍ ... وإنْ خالها تخفى على الناسِ تُعلمِ

فقال : أحسن زهير وصدق ، ولوأن الرجل دخل بيتاً فى جوف بيت لتحدث به الناس ، قال : وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تعمل عملا تكره أن يتحدث الناسُ به عنك » ، ومنه قول عمرو بن الأهتم [من الطويل] :

إذا المرء لم يُحْبِبكَ إلا تكرهاً ... بدَالك من أخلاقه ما يغالبُ

وقول أبى الطيب المتنبي [من الطويل] :

وللنفسِ أخلاقٌ تدلُّ على الفتى ... أكَانَ سخاء ماأتى أم تساخيا

وعن المدائنىّ أن عروة بن الزبير رضى الله عنه لحق بعبد الملك بن مروان رضى الله عنهما ، فكان إذا دخل عليه منفردا أكرمه ، وإذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخفّ به ، فقال له يوما : يا أمير المؤمنين ، بئس المزور أنت تكرم ضيفك فى الخلا وتهينه فى الملا ، ثم قال: لله در زهير حيث يقول [من الوافر] :

فَحُلى من ديارك إنّ قوماً ... متى يَدَعُوا ديارهمُ يهونوا

ثم استأذنه فى الرجوع إلى المدينة المنورة ، فقضى حوائجه وأذن له .

وقال ابن الأعرابى : كان لزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً ، وهو شاعر ، وخاله شاعر ، وابناه كعبٌ وبجيرٌ شاعران ، وأخته سلمى شاعرة ، وأخته الخنساء شاعرة ، وهى القائلة ترثيه [من الوافر] :

وما يغنى توَقّى المرء شيئاً ... ولا عقدُ التميم ولا الغضارُ

إذا لاقى منيتهُ فأمسى ... يساقُ به وقد حق الحذارُ

ولا قاهُ من الأيام يومٌ ... كما من قبلُ لم يخلد قدارُ

وكان زهيرٌ يضرب به المثل فى التنقيح ، فيقال « حوليات زهير » ، لأنه كان يعمل القصيدة فى ليلة ثم يبقى حولا ينقحها .

ومما يعدّ من محاسنه قوله [من الطويل] :

وأبيض فياض نداهُ غمامةٌ على معتفيه ما تُغِبّ فواضله
تَرَاهُ إذا ما جئته متهللا كأنكَ تعطيه الذى أنت سائله

وقوله أيضاً [من البسيط] :

كمْ زرتهُ وظلامُ الليلَ منسدلٌ مسهم راقَ إعجاباً بأنجمه
وأُبتُ والصبحُ منحور بكوكبهِ وسائق الشفق المحمر من دمهِ

ومحاسنه ومحاسن أولاده كثيرة ، وغرتها قصيدة كعب ، وهى :

* بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ *

المشرفة بمن قيلت فيه صلى الله عليه وسلم .

* * *

شاهد مساواة اللفظ المعنى

٦٢ — فإنكَ كالليل الذى هو مُدْرِكى وَإنْ خلتُ أنَّ المنتأى عنكَ واسعُ

البيت للنابغة الذبيانى ، من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا قابوس ، وهو النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وأولها[1] :

عَفَاذُ وحساً من فرْتنَى فالفوارعُ فجنبا أريك فالتلاع الدوافعُ[2]
فمجتمعُ الأشراج غيَّرَ رسمها مصايفُ قد مرتْ بنا ومرابعُ[3]
توهمتُ آيات لها فعرفتها لستةِ أعوامٍ وذا العامُ سابعُ

إلى أن قال فيها :

وَقد حال همٌ دون ذلك شاغلٌ مكان الشغاف تبتغيه الأصابعُ
وَعيدُ أبى قابوسَ فى غير كنهه أتانى ودونى را كسٌ فالضواجعُ

(١) ارجع إليها فى الديوان (٣٧)
(٢) فى المطبوعتين « الروافع » محرفا عما أثبتناه عن الديوان والأغانى
(٣) في الديوان « مصايف مرت بعدنا ومرابع » وكذلك في الأغانى

فَبتُّ كأنى ساوَرتنى ضَئيلةٌ … من الرُّقْش فى أنيابها السُّمُّ ناقعُ
يُسهَّدُ من ليل التَّمام سليمها … لحَلْى النساء فى يديه قَعَاقعُ (١)
تَنَاذَرها الراقونَ من سوءِ سمها … تُطلِّقُه طَوْراً وطَوْراً تراجعُ (٢)
أتانى أبَيْتَ اللعنَ أنكَ لُمْتَنى … وتلكَ التى تَسْتكَ منها المسامعُ (٣)
مقالةُ أن قد قلت سوف أنالُهُ … وذلكَ من تلقاءِ مثلكَ رائعُ

إلى أن قال فيها :

فان كنتَ لاذوالضِّغْنِ عنى مُكذَّب … ولا حَالِفى على البراءةِ نافعُ
ولا أنا مأمونٌ بشىء أقولُهُ … وأنت بأمرٍ لا محالةَ واقعُ

وبعده البيت ، وبعده :

خَطاطيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ متينة … تمدُّ بها أيدٍ إليكَ نوازعُ
سَتَبلغ عذراً أونجاحاً من امرىء … إلى رَبّهِ ربّ البريةِ راكعُ (٤)
أتوعِدُ عبداً لم يخُنكَ أمانةً … ويُتركُ عبدٌ ظالم وهو ظالعُ (٥)
وأنت ربيعٌ ينعش الناسَ سيبُهُ … وسيفٌ أُعيرتَهُ المنيةُ قاطعُ
أبى اللهُ إلا عدلَهُ ووفاءه … فلا النكرمعروفٌ ولاالعرفضائع

---

(١) فى الأصول « فقاقع » محرفا عما أثبتناه عن الديوان

(٢) فى الأصول « تبادرها » وهى رواية ، و « مطلقة طورا » وهو تحريف ما أثبتناه عن الديوان

(٣) فى الأصول « وتلك التى تستد »

(٤) هذا البيت لا يوجد فى الديوان ، وليس بملتئم مع بقية أبيات القصيدة

(٥) يروى « وهو ضالع » والضالع : الجائر المذنب . والظالع : الجائر عن الحق

وتَسقى إذا ما شئت غيرَ مُصَرَّد   بزوراء فى حافاتها المسكُ كانعُ (١)

والمنتأى : اسم موضع من انتأى عنه أى بعد ، وشبهه بالليل لأ نه وصفه فى حال سخطه وهوله

والمعنى : أنه لايفوت الممدوحَ وإن أبعد فى الهرب وصار إلى أقصى الأرض لسعة ملكه وطول يده ، ولأن له فى جميع الآفاق مطيعاً لأمره يرد الهارب إليه

وقد اعترض الأصمعى على النابغة فقال : أما تشبيه الادراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه ، وإنما كان سبيله أن يأتى بما لا قسيم له حتى يأتى بمعنى منفرد . فلو قال قائل إن قول النميرى فى ذلك أحسن منه لوجد مساغاً إلى ذلك حيث يقول [من الطويل] :

فلو كنتُ كالعنقاء أو كسموها   لَخِلْتُكَ إلا أن تَصدَّ ترانى

والشاهد فيه : مساواة اللفظ للمعنى المراد .

وفى معنى بيت النابغة قول على بن جبلة [من الطويل] :

وما لامرىء حاوَلْتَهُ منكَ مَهرَبٌ   ولو رَفَعتْهُ فى السماء المطالعُ

بَلى هاربٌ لا يَهتَدِى لمكانه   ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصبح ساطعُ

وأكثر الأدباء يرجحه على بيت النابغة . وفى هذا المعنى أيضاً قول سَلْم الخاسر [من البسيط] :

فأنتَ كالدهر مَبثوثاً حبائلُهُ   والدهرُ لا ملجأ منهُ ولا هربُ

ولو ملَكتُ عنانَ الريح أصْرِفها   فى كل ناحية ما فاتَكَ الطلَبُ

وتناوله البحترى أيضاً فقال [من الكامل] :

ولو أنّهم رَكبوا الكواكِبَ لم يكن   ينجيهمُ من خوفِ بأسِكَ مهربُ

---

(١) كانع : دان بعضه من بعض

وما أبدع قول أبي القاسم بن هانىء فيه [من الكامل] :

أين المفر ولا مفرَّ لهارب ولكَ البسيطانِ الثرَى والماء

وقول الآخر [من الطويل] :

فلو كُنتُ فوقَ الريح ثم طَلَبتني لكنتُ كمن ضاقت عليه المذاهِبُ

و بديع قول أبي العرب الصقلي [من الطويل] :

كأن بلادَ الله كفَّاكَ إن يَسِرْ بها هارب تُجمعْ عليه الأناملُ

وأين يَفِرُّ المرء عنك بجرمِهِ إذا كان تَطْوَى في يديكَ المراحلُ

ترجمة النابغة الذبياني

والنابغة (١) : اسمه زياد بن معاوية بن ضباب ، ينتهى نسبه إلى ذبيان ثم لمضر ، ويكنى أبا أمامة ، وإنما سمى النابغة لقوله :

* وقد نَبَغَتْ لهم منّا شؤون *

وهو أحد الأشراف الذين غضَّ منهم الشعر ، وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء .

عن ربعى بن خراش (٢) قال : قال لنا عمر رضى الله عنه : يا معشر غطفان من الذى يقول [من الوافر] :

أتَيتكَ عارياً خَلَقاً ثيابى على خوفٍ تُظن بىَ الظنونُ

قلنا : النابغة ، قال : ذاك أشعر شعرائكم .

وعن جرير بن يزيد (٣) بن جرير بن عبد الله البجلى ، قال : كنا عند الجنيد

---

(١) تجد ترجمة النابغة في الأغانى (٩ـ ١٦٢) وفى الشعراء لابن قتيبة (٧٠) .

(٢) في الأغانى «ابن حراش» مهملا

(٣) في الأغانى «جرير بن شريك بن جرير بن عبد الله البجلى»

ابن عبد الرحمن بخراسان ، وعنده بنو مرة وجلساؤه [من الناس] (١) فتذاكروا شعر النابغة ، حتى أنشدوا قوله * فانك كالليل الذى هو مدركى * البيتَ ، فقال شيخ من بنى مرة : وما الذى رأى فى النعمان حتى يقول مثل هذا ؟ وهل كان النعمان إلا على منظرة من مناظر الحيرة ؟ وقالت ذلك القيسية أيضاً فأكثرت فنظر إلىّ الجنيدُ فقال: يا أبا خالد ، لا يهولنك قولُ هؤلاء الأعاريب (٢) وأقسم بالله لو عاينوا من النعمان ما عاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ، ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون

وقال عمر (٣) بن المنتشر المرادى : وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر إليه من أمر وحلف عليه ، فقال له عبد الملك : ما كنت حَرِيًّا أن تفعل ولا تعتذر ، ثم أقبل على أهل الشام فقال : أيكم يروى من اعتذار النابغة إلى النعمان [من الطويل] :

حلَفتُ فلم أترك لنفسكَ ريبةً وليسَ وراء الله للمرء مذهَبُ

فلم يجد فيهم من يرويه ، فأقبل على فقال : أترويه ؟ قلت : نعم ، فأنشدته القصيدة كلها ، فقال : هذا أشعر العرب .

وعن أبى عبيدة وغيره أن النابغة كان خاصاً بالنعمان ، وكان من ندمائه وأهل أنسه ، فرأى زوجته المتجردة يوماً وقد غشيها شىء شبيه بالفجاءة ، فسقط نَصِيفُها فاستترت بيديها وذراعيها ، فكادت ذراعها تستر وجهها لعَبَالتها

(١) زيادة عن الأغانى
(٢) فى الأغانى « هؤلاء الأعاريض »
(٣) فى الأغانى « عمرو بن المنتشر »

وغلظها ، فقال قصيدته التى أولها (١) [من الكامل] :

من آلِ ميَّةَ رائحٌ أو مغتدى عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزوّدِ
زعم البوارحُ أن رحلتَنا غداً وبذاك تنعاب الغرابِ الأسودِ (١)
لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً بهِ إن كانَ تفريقُ الأحبةِ فى غدِ
أزفَ الترحلُ غيرَ أن ركابنا لما تزل برحالِنا وكأن قدِ
فى إثرِ غانيةٍ رمتك بسهمها فأصاب قلبكَ غيرَ أن لم تقصِدِ
بالدُّر والياقوت زيّنَ نحرُها ومفصّلٍ من لؤلؤٍ وزبرجدِ
سقط النصيفُ ولم ترد إسقاطَهُ فتناولتْهُ واتقتنا باليدِ
بمخضّبٍ رخْصٍ كأن بنانَهُ عنمٌ على أغصانه لم يُعقَدِ (٢)
وبفاحمٍ رجْلٍ أثيثٍ نبتُهُ كالكرم مالَ على الدِّعام المسنَدِ
نظرتْ إليكَ لحاجةٍ لم تقضها نظرَ السقيم إلى وجوهِ العوّدِ

وهى طويلة ، فأنشدها النابغة مُرة بن سعد القُريعى ، فأنشدهامُرة النعمانَ ، فامتلأ غضبا وأوعد النابغة وتهدده ، فهرب ، فأتى قومه ، ثم شخص إلى ملوك غسان بالشام فامتدحهم .

وقد اعترض الأصمعى على البيت الأخير من هذه الأبيات فقال : أما تشبيهه مرض الطرف فحسن إلا أنه هجنه بذكر العلة وتشبيهه المرأة بالعليل ،

---

(١) اقرأها فى الديوان (٦٣) وستة الأبيات الأولى منها فى الأغانى (٩ – ١٦٤) والأربعة بعدها فى (٩ – ١٦٥ منه) وفيها غناء

(٢) زعموا أن أصل الرواية فى عجز هذا البيت * وبذاك خبرنا الغراب الأسود * وأن النابغة أقوى فى هذا البيت ، ثم سمع جارية تغنى فيه فأصلحه

(٣) وزعموا أن أصل الرواية فى عجز هذا البيت:

* عنم يكاد من اللطافة يعقد *

وأحسن منه قول عدى بن الرقاع العاملى [من الكامل] :

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس بنائم

وأما قوله « سقط النصيف ــ البيت » فيروى أن عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه : أتعلمون أن النابغة كان مخنثا ؟ قالوا : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال : أو ما سمعتم قوله ، يعنى هذا البيت ، والله ما عرف هذه الاشارة إلا مخنث

وقد أخذ هذا المعنى أبو حية النميرى فقال [من الطويل] :

فألقت قناعاً دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كف ومعصم (١)

ثم أخذه الشماخ فقال [من الطويل] :

إذا مر من تخشى اتقته بكفها وسب بنضح الزعفران مضرج

وأظرف ما يعرف من هذا المعنى ما أنشده القاضى التنوخى لنفسه [من المنسرح] :

لم أنس شمس الضحى تطالعنى ونحن فى روضة على فرق
وجفن عينى بمائه شرق وقد بدت فى معصفر شرق
كأنه دمعتى ووجنتها حين رمتنا العيون بالحدق
ثم تغطت بكمها خجلا كالشمس غابت فى حمرة الشفق

رجع إلى أخبار النابغة

عن المفضل أن مرة الذى وشى بالنابغة كان له سيف قاطع يقال له ذو الريقة من كثرة فرنده وجودته ، فذكره النابغة للنعمان ، فاضطغن من ذلك مرة حتى وشى به إلى النعمان وحرضه عليه .

وقيل : إن الذى من أجله هرب النابغة من النعمان أنه كان هو والمنخل بن عبيد ابن عامر اليشكرى جالسين عنده ، وكان النعمان دميما أبرش قبيح المنظر ، وكان

---

(١) فى المطبوعتين « كفا ومعصما »

المنخَّل من أجمل العرب ، وكان يُرمى بالمتجردة زوجة النعمان ، وتتحدث العرب أن ابنى النعمان منها كانا من المنخَّل ، فقال النعمان للنابغة : يا أبا أمامة ، صف المتجردة فى شعرك ، فقال قصيدته هذه ووصف فيها بطنها وروادفها وفرجها ، فلحق المنخلَ من ذلك غيرةٌ ، فقال للنعمان : مايستطيع أن يقول هذا الشعر إلا مَنْ جرَّب ، فوقر ذلك فى نفس النعمان ، وبلغ النابغة فخافه فهرب فصار إلى غسان فنزل بعمرو بن الحارث الأصغر ومدحه ومدح أخاه النعمان ، ولم يزل مقيما مع عمرو حتى مات وملك أخوه النعمان ، فصار معه ، إلى أن استعطفه النعمان فعاد إليه .

وعن أبى بكر الهذلى قال : قال حسان بن ثابت رضى الله عنه : قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحته ، فأتيت حاجبه عصام بن شهبر ، فجلست إليه فقال : إنى أرى عربيا ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم ، قال : فكن قحطانيا ، قلت : فانى قحطانى ، قال : فكن يَثْرِبيا ، قلت : فانى يثربى ، قال : فكن خَزْرَجيا ، قلت : فانى خزرجى ، قال : فكن حسان بن ثابت ، قلت : فأنا هو ، قال : أجئت بمدحة الملك ؟ قلت : نعم ، قال: فانى سأرشدك ، إذا دخلت عليه فانه سيسألك عن جبَلَةَ بن الأيهم ويسبه ، فاياك أن تساعده على ذلك ، ولكن أمِرْ ذكره إمرارا لا توافق فيه ولا تخالف ، وقل : ما دخول مثلى أيها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وأنت منه ؟ فان دعاك إلى الطعام فلا تواكله ، فان أقسم عليك فأصب منه اليسير إصابة مُبِرٍّ قسَمَه متشرف بمواكلته ، لا أكل جائع سَغِب ، ولا تبدأه باخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك ، ولا تطل الاقامة فى مجلسه ، فقلت : أحسن الله رِفْدَك ، قد أوصيت واعيا ، ودخل ثم خرج إلى فقال: ادخل ، فدخلت وحييت بتحية الملك ، فجارانى فى أمر جبلة ما قاله لى عصام كأنه كان حاضرا ، فأجبت بما أمرنى ، ثم استأذنته فى الانشاد ، فأذن لى ، فأنشدته ، ثم دعا بالطعام ، ففعلت مثل ذلك ، فأمر لى بجائزة سَنِية ، وخرجت فقال لى عصام : بقيت عليك واحدة لم أوصك بها ، بلغنى أن النابغة الذبيانى

قادم عليه، وإذا قدم عليه فليس لأحد منه حظ سواه، فاستأذِنْ حينئذ وانصرف مكرما خير من أن تنصرف مُخُفوا . قال : فأقمت ببابه شهرا ، ثم قدم عليه خارجة ابن سنان ومنظور بن زبان (١) الفزاريان ، وكان بينهما وبين النعمان دُخْلُلُ ـ أى خاصة ـ وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسألة النعمان أن يرضى عنه ، فضرب عليهما قبة ولم يشعر أن النابغة معهما ، فدسَّ النابغة قينة تغنية بشعره

* يا دَارَ مَيَّةَ بالعلياء فالسَّنَدِ *

فلما سمع الشعر قال : أقسم بالله إنه لشعر النابغة ، وسأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريين ، وكلماه فيه فأمَّنه ، ثم خرج فى غِبِّ سماء فعارضه الفزاريان والنابغة بينهما قد خضب بحناء وأقنى خضابه . فلما رآه النعمان قال : هى بدم كانت أحْرَى أن تخضب ، فقال الفزاريان : أبيت اللعن لا تثريب قد أجرناه ، والعفو أجمل . قال: فأمَّنه واستنشده أشعاره ، فعند ذلك قال حسان بن ثابت : فحسدته على ثلاث لا أدرى على أيتهن كنت أشد له حسدا : على إدناء النعمان له بعد المباعدة ومسايرته له وإصغائه إليه ، أم على جودة شعره ، أم على مائة بعير من عصافيره أمر له بها .

قال : وكان النابغة يأكل ويشرب فى آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان وأبيه وجده ، لا يستعمل غير ذلك .

وقيل : إن السبب فى رجوع النابغة إليه بعد هربه منه أنه بلغه أنه عليل لا يرجى فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته وما خافه عليه ، وأشفق من حدوثه به ، فصار إليه فألفاه محمولا على سرير ينقل ما بين العمران وقصور الحيرة فقال لعصام حاجبه [من الوافر] :

---

(١) فى نسخة «منظور بن زياد» ولم يذكر أبو الفرج اسم الفزاريين وإن كان قد ذكر هذه القصة

ألم أُقسمْ عليكَ لتخبرُنى أَمحمولٌ على النَّعش الهمامُ
فإنى لاَ أُلامُ على دُخولى ولَكنْ ما وَراءكَ ياعِصامُ[1]
فإنْ يَهلكْ أبوقابوسَ يَهلك رَبيعُ النَّاسِ والشَّهرُ الحرامُ
ونُمسِكْ بعدهُ بذناب عَيش أَجبَّ الظَّهرِ لَيسَ لهُ سَنامُ

ومات النابغة الذبيانى على جاهليته، ولم يدرك الاسلام.

* * *

٦٣ — * أنا ابْنُ جلاَ . . . . . *

شاهد إيجاز الحذف

هو أول بيت لسحيم بن وثيل الرياحى، ولفظه :

أنا ابنُ جلاَ وطلاَّعُ الثَّنايا مَتى أضعِ العِمامةَ تعرفونِى

وهذا البيت من قصيدة[2] من الوافر أولها :

أفاطِمَ قبلَ بينِكِ متِّعيني ومنعُكِ ما سألتُ كأنْ تبيني

يقول فيها أيضاً :

فإنَّ عُلالتى وجرَاء حوْلىِ لذُو شقٍّ على الضرع الظَّنُونِ
أنا ابنُ الغرِّ من سلفى رياحٍ كنصلِ السيفِ وضاحِ الجبينِ

وبعده البيت، وبعده :

وإنَّ مكانَنا من حِميَرِىٍّ مكانُ الليثِ من وسطِ العرينِ

---

(١) فى الأغانى * فانى لا ألومك فى دخولى * وكان فى الأصل * لا ألام على دخول *

(٢) ارجع إلى خزانة الأدب (١ - ١٢٣) و (٣ - ٤١٤) وكامل المبرد (١ - ١٣٢ و ٣٢٤) والعقد الفريد (٤ - ١٢٠) والأغانى (١٢ - ١٤)

وإن قناتنا مَشِظٌ شظاها ... شديدٌ مدها عنقَ القرين(١)

وإنى لا يعودُ إلىَّ قرنى ... غداةَ الغبِّ إلا فى قرين(٢)

بذى لِبَدٍ يصدُّ الرَّكبَ عنهُ ... ولا تُؤتى فريستهُ لحين

عذرت البُزلَ إذ هىَ صاوَلتنى ... فما بالى وبالُ ابنىْ لَبون(٣)

وماذا يبتغى الشعراء منى ... وقد جاوزتُ حدَّ الأربعين(٤)

أخو الخمسين مجتمعٌ أشُدّى ... ونجذنى مُداورَةُ الشؤون(٥)

سأجنى ما جنيتُ وإنَّ ظهرى ... لذُوسندٍ إلى نضدٍ أمين

وكان السبب فى قوله هذه الأبيات أن رجلا أتى الأبيردَ الرِّياحىَّ وابن عمه الأحوص ـ وهما من ردف الملوك من بنى رياح ـ يطلب منهما قطرانا لإبله، فقالا له : إن أنت أبلغتَ سُحيم بن وُثيل الرياحى هذا الشعر أعطيناك قطراناً، فقال : قولا، فقالا : اذهب فقل له :

---

(١) أنشد صاحب اللسان هذا البيت (م ش ظ) عن ابن السكيت ثم قال: قوله مشظ شظاها مثل لامتناع جنابه : أى لا تمس قناتنا فينالك منها أذى .

(٢) غداة الغب ـ بغين مكسورة ـ هكذا فى الأصول، ومثله فى خزانة الأدب، ونص البغدادى على ضبطه وشرحه بقوله« وغداة الغب : اليوم الذى يسوقون إبلهم فيه» اهـ . ووقع فى الأغانى «غداة العبء» بعين مهملة وآخره همزة ـ ويمكن أن يفسر بأحد تفسيرين : الأول أن يكون أراد بالعبء الحمل الذى يثقل عليك ويبهظك، وكنى بذلك عن الحرب، لما فيها من التبعات الجسام، والآخر أن يكون أخذ من تعبئة الجيوش وتهيئة أماكن الفرسان والأبطال فيها

(٣) فى الخزانة « إن هى خاطرتنى »

(٤) فى اللسان (نج ذ) « وماذا يدرى » بتشديد الدال ومعناه يختل

(٥) فى الخزانة « أخو خمسين » وكذا فى العقد

فإن بُداهتى وجراء حَوْلى ... لذو شقٍّ على الحطِمِ الحَرُون

فلما أتاه وأنشده الشعر أخذ عصاه وانحدر فى الوادى يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ، ثم قال : اذهب فقل لهما ، وأنشد الأبيات ، قال : فأتياه فاعتذرا فقال : إن أحدكما لا يرى أنه صنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا وحسبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة المهر الأزب(١) فقالا له : فهل إلى النزع من سبيل ؟ فقال : إنا لم نبلغ أنسابنا

وذكر ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء(٢) مطلع هذه القصيدة فى أبيات أخر ، ونسبها للمثقب العَبْدىّ ، وقال : لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب على الناس أن يتعلموه ، وصورة ما أورده ابن قتيبة :

أفاطمَ قبلَ بينكِ متِّعينى ... ومنعُكِ ما سألتُ كأن تبينى

ولا تُبدى مواعدَ كاذبات ... تمرُّ بها رياحُ الصيفِ دونى(٣)

فإنى لو تُخالفنى شِمالى ... بنصرٍ لم تصاحبْها يمينى(٤)

إذاً لقطعتُها ولقلتُ بينى ... كذلك أجتوِى من يجتوينى

فإما أن تكون أخى بحق ... فأعرف منك غثِّى من سَمينى

وإلا فاطَّرِحْنى واتَّخِذْنى ... عدوًّا أتَّقيك وتتقينى(٥)

---

(١) فى الخزانة « استطافة البعير الأزب »

(٢) انظره (ص ٣٣٤)

(٣) فى الشعراء « ولا تعدى »

(٤) فى الشعراء فى ترجمة المثقب العبدى رواية البيت هكذا :

فإنى لو تعاندنى شمالى ... عنادك ما وصلت بها يمينى

ورواه فى ترجمة النابغة الذبيانى :

ولو أنى تخالفنى شمالى ... بنصر لم تصاحبها يمينى

(٥) فى الشعراء « وإلا فاطرحنى واتخذنى »

وَما أدرى إذا يممت أرضاً أريد الخير أيهما يلينى
أألخير الذى أنا أبتغيه أم الشرُّ الذى هو يبتغينى

والأبيات المارّة تقوّى أنها لسُحيم المذكور ، فلعل اتفاقهما فى المطلع من باب توارد الخواطر ، والله أعلم

و« جلا » هنا غير منوّن لأنه أراد الفعل فحكاه مقدراً فيه الضمير الذى هو فاعل ، والفعل إذا سمى به غيرَ منتزع عنه الفاعل لم يكن إلا حكاية ، كقول تأبط شرّاً [من الطويل] :

كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونها بنى شابَ قرناها تَصُرُّ وتُحْلَبُ(١)

وكقول الشاعر [من الرجز] :

وَالله مازيدٌ بنامَ صاحبهْ ولا مخالطِ اللّيانِ جانبهْ(٢)

وإنما أراد أنا ابنُ الذى جَلا ، وبنى التى يقال لها شاب قرناها ، ووالله مازيد بالذى يقال فيه نام صاحبه

وابن جلا يقال للرجل المشهور : أى ابن رجل قد انكشفَ أمرُه ، أو جلا الأمور أى كشفها . والثنايا : جمع ثَنِيَّة ، وهى العقبة ، يقال : فلان طلاّعُ الثنايا ، أى ركّاب لصعاب الأمور

والشاهد فيه : إيجاز الحذف ، والمحذوف موصوف ، وهو هنا « رجل » من قوله أنا ابن جلا

وهذا البيت تمثل به الحجاج على منبر الكوفة حين دخلها أميراً . حدث

---

(١) يروى « لا تنكحونها » مبنيا للمعلوم ، وبضم تاء المضارعة من المزيد بالهمزة ، وبفتح تاء المضارعة من المجرد ، والبيت فى كامل المبرد (١ – ٢٣٦)

(٢) يروى « والله ما ليلى » و « ولا مخالط الليان » والبيت فى كامل المبرد (١ – ٢٣٦)

عبد الملك بن عمير الليثى(١) قال : بينما نحن بالمسجد الجامع بالكوفة ، وأهلُ الكوفة يومئذ ذَوو حالة حسنة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه، إذ أتانا آت فقال : هذا الحجاج قدم أميراً على العراق ، و إذا به قد دخل المسجد معتماً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه ، متقلداً سيفاً متنكباً قوساً يؤمّ المنبر ، فمال الناس نحوه حتى صعد المنبر ، فمكث ساعة لا يتكلم ، فقال بعض الناس لبعض : قبّح الله بنى أمية ! كيف تستعمل مثل هذا على العراق ؟ حتى قال عُمير بن ضابئ البرجمىّ : ألا أحْصبه لكم ، فقالوا : أمهل حتى ننظر ، فلما رأى الحجاجُ أعينَ الناس تدور إليه حسر اللثام عن وجهه ونهض فقال : أنا ابن جلا ، وَأنشد البيت ، وقال : يا أهل الكوفة ، إنى لأرى رؤوساً قد أينعت ، وحان قطافها ، و إنى لصاحبها ، وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى :

قدوم الحجاج أميرا على العراق

هذا أوان الشدّ فاشتدّى زِيَمْ قد لفها الليـل بسواق حُطَمْ(٢)
ليس براعى إبل ولا غنم ولا بجزّار على ظهر وَضَمْ

ثم قال :

قد لفَّها الليـل بعصلبىّ أروعَ خرّاج من الدَّوِّىّ
مهاجر ليس بأعرابى معاودٍ للطعن بالخطّىّ

ثم قال أيضاً :

قد شمرت عن ساقها فشدّوا وجـدّتِ الحرب بكم فجدّوا
والقوس فيهـا وتر عُرُدُّ مثل ذراع البكر أو أشدُّ

إنى والله يا أهل العراق لا يقعقع لى بالشِّنان ، ولا يغمز جانبى كتغماز التنين(٣)

---

(١) انظر هذه الخطبـة فى كامل المبرد (١ ـ ٢٢٣) وفى العقد الفريد (٤ـ ١٢٠) .

(٢) فى الاصول « الشر »

(٣) المحفوظ « كتغماز التين »

ولقد فُرِرت عن ذكاء وفُتِّشت عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين نثل كنانته بين يديه فعجم عيدانها عوداً عوداً فرآنى أمرها عوداً وأصلبها مكسراً وأبعدها مرمى فرماكم بى ، لأنكم طالما أوضعتم فى الفتنة ، واضطجعتم فى مراقد الضلال ، والله لأحزمنكم حزم السلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب[1] الابل ، فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، وإنى والله ما أقول إلا وفيت ، ولا أهم إلا أمضيت ، ولا أخلق إلا فريت[2] ، وإن أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم أعطياتكم ، وأن أجهزكم إلى عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة ، وإنى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه ثلاثة أيام إلا ضربت عنقه ، يا غلام ، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين ، إلى من بالكوفة من المسلمين ، سلام عليكم ، فلم يقل أحد منهم شيئا ، فقال الحجاج : اكفف يا غلام ، ثم أقبل على الناس فقال : أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً ؟ هذا أدب ابن سمية[3] ، أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب ، أولتستقيمُنّ

(١) فى الأصول « ضرب غرابيب الابل » محرفا عما أثبتناه

(٢) فى الأصول «احلق» بحاء مهملة ، وكتب مصحح مطبوعة بولاق «فى بعض النسخ ولا أحلف إلا بريت » وكلاهما تحريف ما أثبتناه عن المبرد والأصل فى هذه العبارة قول زهير بن أبى سلمى المزنى

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ومعناه ينفذ مايعزم عليه ويؤيد بالعمل ما يقدره بالظن

(٣) فى كامل المبرد « هذا أدب ابن نهية » بكسر النون وسكون الهاء — وكتب أبو الحسن فى تعليقاته عليه ما نصه : « زعم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج » اهـ . قلت : والذين يروون «ابن سمية» يزعمون أنه أراد زياد بن أبيه

اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين . فلما بلغ إلى قوله سلام عليكم لم يبق فى المسجد أحد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام ، ثم نزل ، فوضع للناس أعطياتهم ، فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش كبراً ، فقال : أيها الأمير ، إنى من الضعف على ما ترى ، ولى ابن هو أقوى على الأسفار منى ، أفتقبله منى بدلا ؟ فقال له الحجاج : نفعل أيها الشيخ ، فلما ولى قال له قائل : أتدرى من هذا أيها الأمير ؟ قال : لا ، قال : هذا عمير بن ضابىء البرجمى الذى يقول أبوه:

هَمَمْتُ ولم أفعلْ وكدتُ وليتنى تركتُ على عثمان تبكى حلائلُهْ

ودخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه يوم الدار ، وهو مقتول ، فوطىء بطنه وكسر ضلعين من أضلاعه وهو يقول : أين تركت ضابئاً[1] يا نعثل ؟ فقال : ردوه ، فلما ردوه قال له الحجاج : أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ، إن فى قتلك لصلاحاً للمسلمين ، يا حَرَسِىُّ اضرب عنقه ، فسمع الحجاج ضوضاء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذه البراجم جاءت لتنصر عميراً فيما ذكرت ، فقال : أتحفوهم برأسه ، فرموهم برأسه ، فولوا هاربين ، وجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده ، وازدحم الناس على الجسر للعبور إلى المهلب بن أبى صفرة ، وفى ذلك يقول عبد الله بن الزَّبِير الأسدى[2] [من الطويل]:

أقولُ لابراهيم لما رأيتُهُ أرى الأمر أمسى داهياً متشعبا
تخير فإما أن تزور ابن ضابىء عميراً وإما أن تزور المهلبا

---

(١) نعثل : رجل من أهل مصر قريب الشبه من عثمان رضى الله عنه ، وكانوا إذا أرادوا أن ينالوا من عثمان أطلقوا عليه اسم هذا الرجل

(٢) روى هذه الأبيات ماعدا الأول منها : الكامل فى المبرد (١ - ٢٢٦) وروى ابن قتيبة فى الشعراء (٢٤٠) ثانيها ومايليه

هما خطتا خسف نجاؤك منهما ركوبك حولياً من الثلج أشهبا(١)
فأضحى ولو كانت خراسانُ دونهُ رآها مكان السوق أوهى أقربا

***

٦٤ — وإنّ صخراً لتأتمّ الهداةُ بهِ كأنه علَمٌ فى رأسهِ نارُ

شاهد الايغال

البيت للخنساء، من مرثية فى أخيها صخر، وهى قصيدة (٢) من البسيط، أولها:

قذًى بعينكِ أم بالعين عوّارُ أم ذرّفت إذخلت من أهلها الدارُ
كأنّ عينى لذكراهُ إذا خطرَتْ فيضٌ يسيل على الخدين مدرارُ
تبكى خناسُ على صخر وحق لها إذ رابها الدهرُ إنّ الدهر ضرّارُ
تبكى لصخر هى العبرى وقد ثكلت ودونهُ من جديد الترب أستارُ(٣)
لا بدّ من ميتةٍ فى صرفها غيرٌ والدهرُ فى صرفهِ حولٌ وأطوارُ
يا صخرُ وَاردَ ماء قدْ تناذرهُ أهلُ المواردِ ما فى وِردِه عارُ(٤)
مشى السبنتى إلى هيجاء معضلة لهُ سِلاحانِ أنياب وأظفار(٥)
فما عجول على بوٍّ تُطيفُ بهِ لهـا حنينانِ إصغارٌ وإكبارُ
ترعى إذا نَسِيت حتى إذا ذكرتْ فإنما هِىَ إقبال وإدبارُ(٦)

(١) فى الأصول «من البلج أشهبا» وما أثبتناه موافق لما فى الكامل والشعراء
(٢) ارجع إليها فى شرح الديوان (٧٣ بيروت) والأغانى (١٣ — ١٣٨ — ٣٧٩) ومنها ثمانية أبيات فى الكامل للمبرد (٢ — ٣٩)
(٣) فى الديوان «وقد ولهت» مكان «وقد ثكلت»
(٤) فى الديوان «ورّاد ماء» بصيغة المبالغة، «وتبادره» كذا فى الأصول موافقا لما فى الشريشى (٢ — ٢٠٤) وفى الديوان «تناذره»
(٥) السبنتى: النمر، و«هيجاء معضلة» موافق لما فى الأغانى وكامل المبرد، وفى الديوان مضلعة
(٦) فى الديوان «ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت»

لا تَسمنُ الدهرَ فى أرض وإن رُبعتْ ... فإنما هِيَ تَحْنانٌ وتسجارُ(١)
يوماً بأوجدَ منى حينَ فارقنى ... صخر، وللدهرِ إحلاء وإمرار
وإنّ صخراً لوالينا وسيدُنا ... وإنّ صخراً إذا نشتو لنحّارُ(٢)

وبعده البيت، وبعده:

لم تَرَهُ جارةٌ يمشى بساحتها ... لريبة حينَ يُخلِى بيتَهُ الجارُ(٣)
ولا تَراهُ وما فى البيت يأكلُهُ ... لكنهُ بارز بالصحن مِهمارُ(٤)
مِثلُ الرُّدَينىّ لم تنفد شبيبتهُ ... كأنه تحتَ طَىِّ البُرْدِ أسوارُ(٥)
فى جوف رمسٍ مقيمٍ قد تضمنهُ ... فى رمسهِ مقمطرّاتٌ وأحجارُ
طلقُ اليدين بفعلِ الخيرِ ذو فجر ... ضخم الدسيعة بالخيرات أمّارُ(٦)

والعلم: الجبل الطويل، وقيل: هو عام فى كل جبل.

والشاهد فيه: زيادة المبالغة فى الايغال، وهو قولها «فى رأسه نار»،

---

(١) فى الأصول «وإن رتعت» محرفا عما أثبتناه عن الديوان، وربعت: أصابها مطر الربيع

(٢) روى هذا البيت فى الأغانى (١٣ ـ ١٣٨) وفى الشريشى (٢ ـ ٢٥٢) كما هنا، وروى فى الديوان «وإن صخرا لكافينا»

(٣) فى الأصول «ولم تره» والواو زائدة عن الوزن

(٤) فى الديوان «وما تراه» وبارز: ظاهر فى خارج البيت، والصحن: الجفنة الضخمة، والمهمار: الذى يكثر لأضيافه من القرى، يعنى أنه لا يأكل طعامه فى داخل البيت مختفيا، ولكنه يبرز طعامه ليدعو إليه الضيفان ويكثر من قراهم

(٥) فى الأصل «لم تنفذ» محرفا عما أثبتناه عن الديوان، والأسوار بضم الهمزة

(٦) ذو فجر: يتفجر بالمعروف، ووقع فى الأصول «ذو نخر» وأثبتنا ما فى الأغانى والديوان، والدسيعة: العطية

فان قولها « علم » واف بالمقصود ، وهو تشبيه بما هو معروف بالهداية ، لكنها أتت بالتتمة إيغالا وزيادة للمبالغة .

وقد ضمن عز الدين الموصلي عجز البيت فى سامرى اسمه نجم ، فقال [من البسيط] :

وسامرىّ أعارَ البدرَ فضلَ سنًا   سمَّوْهُ نجماً وذاكَ النجمُ غرّارُ
تهتز قامتهُ من تحت عِمّتهِ   كأنهُ علم فى رأسهِ نارُ

ترجمة الخنساء

والخنساء (١) اسمها تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشَّريد ، ينتهى نسبها لمضر ، والخنساء : لقب غلب عليها ، وفيها يقول دريد بن الصِّمة ، وكان خطبها فردته وكان رآها تهنأ بعيراً (٢) [من الكامل] :

حيُّوا تماضرَ واربَعُوا صحبى   وقفوا فإنّ وقوفكم حسبى
أخُناسُ قد هامَ الفؤادُ بكم   وأصابه تبلٌ من الحبّ
ما إنْ رأيتُ ولاسمعتُ بهِ   كاليوم طالىَ أينقٍ جُرْبِ
متبذلا تبدو محاسنهُ   يضعُ الهناء مواضع النقبِ

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام : لما خطبها دُرَيد بعثت خادماً لها ، وقالت : انظرى إليه إذا بال ، فان كان بولهُ يخرق الأرض ويخدّ فيها ففيه بقية ، وإن كان بوله يسيح على الأرض فلا بقية فيه ، فرجعت إليها واخبرتها أن بوله ساحَ على وجه الأرض ، فقالت : لا بقية فى هذا ، وأرسلت إليه : ما كنتُ لأدع

---

(١) للخنساء ترجمة في الأغانى (١٣-١٣٦) والشعراء لابن قتيبة (١٩٧) وخزانة الأدب (١ - ٢٠٧) وفى مقدمة شرح ديوانها المطبوع في بيروت

(٢) الأبيات الأربعة في الأغانى والشعراء ، وزاد عليها فى مقدمة الديوان بيتين

بنى عمى وهم مثل عوالى الرماح ، وأتزوج شيخاً ، فقال[١] [من الوافر] :

وقاكِ اللهُ يا ابنة آل عمرو من الفتيان أشباهى ونفسى[٢]
وقالتْ إننى شيخٌ كبيرٌ وما نبأتها أنى ابنُ أمسِ[٣]
فلا تلدى ولا ينكحك مثلى إذا ما ليلةٌ طرقت بنحس
تريد شرنبث القدمين شثناً يباشرُ بالعشية كل كرسِ

فقالت الخنساء [من الوافر] :

مُعاذَ الله ينكحنى حبركى يقالُ أبوه من جُشم بن بكرِ
ولوْ أصبحتُ فى جُشم هديّا إذا أصبحتُ فى دنس وفقرِ

وكانت الخنساء فى أول أمرها تقول البيتين والثلاثة ، حتى قتل أخواها معاوية وصخر . وكان صخر أخاها لأبيها ، وكان أحبهما إليها ، لأنه كان حليما جواداً محبوباً فى العشيرة .

مقتل صخر أخى الخنساء

وكان من حديث قتله ما ذكره أبو عبيدة قال : غزا صخر بن عمرو وأنس ابن عباس الرعلىّ بنى أسد بن خزيمة فأصابوا غنائم وسبْياً ، وأخذ صخر يومئذ بديلة امرأة من بنى أسد ، وأصابته يومئذ طعنة طعنه بها رجل يقال له ربيعة بن ثور ويكنى أبا ثور ، فأدخل جوفه حلقاً من الدرع فاندمل عليه حتى شق عليه بعد سنين وكان ذلك سبب موته . وروى أن صخرا مرض من تلك الطعنة قريباً من حول

(١) الأبيات الأربعة فى الأغانى (١٣-١٣٦) وهى فيه ضمن قصيدة لدريد ابن الصمة (٩ - ١٢)

(٢) فى الأصول «من الفتيات» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ومقدمة الديوان ، ويروى « عن الأزواج أشباهي »

(٣) كذا فى الأغانى فى ترجمة الخنساء ، ورواه فى ترجمة دريد بن الصمة:
وتزعم أننى شيخ كبير وهل أخبرتها أنى ابن أمس

حتى مله أهله ، فسمع صخر امرأة تسأل سلمى امرأته : كيف بعلك ؟ فقالت : لا حيٌّ فيرجى ، ولا ميت فيسلى ، وقد لقينا منه الأمرين ، فقال صخر فى ذلك [من الطويل] :

أرى أمَّ صخرٍ لا تملُّ عيادتى ومَلَّتْ سُليمى مضجَعى ومكانى
وما كنتُ أُخشَى أن أكونَ جنازةً عليكِ ومن يغترُّ بالحدَثان
أهُمُّ بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حِيلَ بينَ العيرِ والنَّزَوان
لعمرى لقد نبَّهتَ من كان نائماً وأسمعتَ من كانت له أُذُنان
وللموتُ خيرٌ من حياة كأنها محلة يعسوب برأس سِنان
وأىُّ امرىء ساوى بأمٍّ حليلةً فلا عاش إلا فى شقاً وهوان

وزعم قوم أن التى قالت هذه المقالة بديلة الأسدية التى كان سباها من بنى أسد واتخذها لنفسه ، وأنشد مكان البيت الأول :

ألا تلكمُ عرسى بديلة أوْجَسَتْ فراقى وملت مضجعى ومكانى (١)

قال أبو عبيدة : فلما طال عليه البلاء ، وقد نتأت قطعة مثل اليد (٢) فى جنبه من موضع الطعنة فتدلت واسترخت ـ قالوا له : لو قطعتها لرجونا أن تبرأ ، فقال : شأنكم وهى ، فأشفق عليه بعضهم فنهاهم ، فأبى صخر وقال : الموت أهون على مما أنا فيه ، فأحموا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه ، قال : وسمع صخر أخته الخنساء وهى تقول : كيف كان صبره ؟ فقال صخر فى ذلك [من الطويل] :

أجارتنا إن الخطوبَ تنوب على الناس، كلُّ المخطئين تُصيبُ

---

(١) فى الأغانى «أوحشت فراق» محرفا عما هنا ، وأوجست : توقعت وارتقبت

(٢) فى الأغانى « مثل الكبد فى جنبه »

فان تسأليني هل صبرتُ فانني صبورٌ على ريب الزمان أريبُ[١]
كأنى وقد أدنَوْا إلىَّ شِفارهم من الصبردامى الصفحتين ركوب
أجارتنا لستُ الغداةَ بظاعنٍ ولكن مقيمٌ ما أقامَ عَسيبُ

فمات فدفن هناك فقبره قريب من عسيب ، وهو جبل بأرض بنى سليم إلى جنب المدينة المنورة .

وروى أنه لما طعن ودخلت حلق الدرع فى جوفه ضجر منها زماناً ، و بعث إلى ربيعة الأسدى الذى طعنه: إنك أخذت حلقاً من درعى بسِنانِكَ . فقال له ربيعة : اطلبها فى جوفك ، فكان ينفث الدم وتلك الحلق معه ، فملته امرأته وكان يكرمها و يعينها على أهله ، فمر بها رجل وهى قائمة ، وكانت ذات كفل وأوراك فقال لها : أيباع هذا الكفل ؟ فقالت : عما قليل ، وصخر يسمع ذلك ، فقال : لئن استطعت لأقدمنك أمامى ، ثم قال لها : ناولينى السيف أنظر هل تقلّه يدى ، فدفعته إليه فاذا هو لا يقله ، فعندها أنشد الأبيات السابقة ، ثم لم يلبث أن مات وكان أخوه معاوية قد قتل قبله ورثته الخنساء أيضا ، وكان صخر قد أخذ بثاره وقتل قاتله .

ثم لما كانت وقعة بدر وقتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، أقبلت هند بنت عتبة ترثيهم، و بلغها تسويم[٢] الخنساء هودَجَها فى الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها وأخويها، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سومت هودجها براية وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ، وأن العرب عرفت ذلك لها ، فقالت هند: بل أنا أعظم العرب مصيبة ، فأمرت بهودجها فسُوِّم براية أيضاً ، وشهدت الموسم بعكاظ ، وكانت عكاظ سوقا تجتمع فيه العرب ، فقالت :

(١) فى الأغانى « صليب » مكان « أريب »
(٢) تسويم الهودج : أن تجعل له علامة يتميز بها عن سائر الهوادج

اقرنوا جملي بجمل الخنساء ، ففعلوا ، فلما دنت منها قالت لها الخنساء : من أنت يا أُخية ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظمينهم ؟ قالت : بأبي عمرو بن الشريد وأخَوَيَّ صَخْر ومعاوية ، فبم تعاظمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عتبة وعمي شيبة وأخي الوليد ، قالت الخنساء : لسواهم عندك ، ثم أنشأت تقول (١) [من الطويل] :

أُبكِّي أبي عمراً بعينٍ غزيرةٍ قليلٍ إذا نام الخليُّ هُجودهَا
وصِنوَيَّ لا أنسى : معاوية الذى له من سَرَاة الحرتين وفودُهَا
وصخراً، ومن ذا مثل صُخر إذا غدَا بسَلْهَبَة الآطال قُبٍّ يقودُها (٢)
فذلك يا هِندُ الرَّزِيَّةُ فاعلمى ونيرانُ حربٍ حين شبَّ وقودهَا

فقالت هند بنت عتبة تجيبها [من الطويل] :

أُبـكِّي عَميدَ الأبْطَحين كليهمَا وحاميهَا من كل باغ يريدُهَا
أبى عُتبةُ الخيرات وَيحكِ فاعلمى وشَيْبةُ والحامى الذمار وليدهَا
أولئك آل المجد من آل غالب وفى العز منها حين يَنْمى عديدُهَا (٣)

وقالت الخنساء أيضاً يومئذ (٤) [من مجزوء الـكامل] :

من حس لى الأخوَين كالـــغُصْنين أو من رآهمَا (٥)

---

(١) اقرأها فى الديوان (٥٨) وفى الأغانى فى شرح موقعة بدر (٤ - ٣٥)
(٢) فى الديوان « بساهمة الآطال » وذكر فى شرحه أنه يروى « بسلهبة الآطال » والسلهبة : الجسيمة ، والآطال : جمع إطـل
(٣) فى شرح ديوان الخنساء « حين تثنى عديدها » ومثل ذلك فى الأغانى
(٤) ارجع إليها فى الديوان (٢٥٦)
(٥) فى الأصول روى هذا البيت محرفا هكذا :

من جش لى الأخوين كالعضين أو مذرآهما

قَرْمَين لا يتظالما ن ولا يُرام حِماهُما
وَيلي على الأخوين والـ قبرِ الذى واراهُما
لامِثلَ كَهلى فى الكُهو لِ ولا فتىً كفتاهُما
رُمحَين خَطِّيَين فى كَبِدِ السماء سَناهُما
ما خَلَّفا إذ ودَّعا فى سؤددٍ شَرْواهُما
سادا بغيرِ تَكلُّفٍ عَفواً يفيضُ نداهُما

وقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها .

ووفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بنى سُلَيم فأسلمت معهم ، وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها و يعجبه شعرها وكانت تنشده وهو يقول : هِيه ياخُنَاس ، و يومئ بيده صلى الله عليه وسلم .

وعن أبى وجرة عن أبيه قال : حضرتِ الخنساء بنت عمرو السليمية حربَ القادسية ومعها بنوها أربعة رجل رضى الله عنهم أجمعين فقالت لهم من أول الليل : يابنى ، إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هَجّنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعدّ الله تعالى للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، لقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فاذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى مساقها ، فتيمموا وَطيسها ، وجالدوا رئيسها، عند احتدام خَميسها ، تظفروا بالغنم والكرامة ، فى دار الخلد والمقامة . فخرج بنوها قابلين لنصحها ، عازمين على قولها ، فلما أضاء لهم الصبح بادروا مراكزهم وأنشأ أولهم يقول [من الرجز] :

يا إخوتى إنَّ العجوزَ النـاصحهْ قدْ نَصحتنـا إذْ دَعَتْنا البارحهْ
بِقالةٍ ذاتِ بيـانٍ واضحـهْ فبا كِرُوا الحربَ الضَّرُوسَ الكالحهْ
وَإنمـا تلقونَ عِندَ الصَّائحهْ من آل ساسان كِلابا نابحهْ
قدْ أيقنوا مِنكم بوقع الجائحهْ وَأنتمُ بينَ حيـاةٍ صالحـهْ
* وَميتةٍ تورثُ غنما رابحهْ *

وتقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى . ثم حمل الثانى وهو يقول [من الرجز] :

إنَّ العجوزَ ذاتُ حزْم وَجلَدْ والنَّظر الأوْفق والرَّأى السَّدَد
قَدْ أمرَتْنـا بالسَّداد وَالرَّشدْ نَصيحـةً مِنهـا وَبرًّا بالولَدْ
فَبا كِرُوا الحرْبَ كَماةً فى العُدَدْ إما بفوز باردٍ على الكبدْ
أوْ مِيتةٍ تورثكم غُنْم الأبدْ(١) فى جنةِ الفردَوْس وَالعيش الرَّغدْ

وقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى ، ثم حمل الثالث أيضا وهو يقول [من الرجز] :

واللهِ لا نَعصى العجوزَ حرْفا قدْ أمرَتْنا حرْباً وَعطفا(٢)
نُصحاً وَبراً صادقا وَلطفا فَبادِرُوا الحربَ الضَّرُوسَ زَحفا
حتى تَلفُّوا آلَ كِسرَى لفَّا أوْ تكشفوهمْ عنْ حِماكم كَشفا
إنا نرَى التقْصيرَ مِنكم ضَعفا وَالقتلَ فيكم نجدَةً وعرفا(٣)

وقاتل أيضاً حتى استشهد رحمه الله ، ثم حمل الرابع وهو يقول [من الرجز] :

---

(١) فى شرح الديوان * تورثكم عيش الأبد *
(٢) ذكر فى شرح الديوان أنه يروى « قد أمرتنا حذرا »
(٣) فى الأصول «أماتروا» ولا يستقيم عربية ، وما أثبتناه عن شرح الديوان

لَسنا لخنساء ولاَ للأحزَم ولاَ لعمرو ذِى السَّناء الأقدَمِ(١)
إن لم أرى فى الجيش جيش الأعجم ماض على هول خضم خضرم(٢)
إمـا لِفـوز عاجـل ومغنم أو لوفاةٍ فى السَّبيل الأكرم(٣)

وقاتل حتى قتل أيضاً رحمة الله عليه وعلى إخوته ، فبلغها الخبر رضى الله عنها فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى معهم فى مستقر رحمته !.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربعة ، لكل واحد منهم مائتى درهم ، إلى أن قُبض رحمه الله ورضى عنه .

وكانت وفاتها [فى زمن معاوية بن أبى سفيان نحو سنة خمسين من الهجرة(٤)]

* * *

شاهد الايغال

٦٥ — كأنَّ عيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ خبائِنَا
وَأرْحُلِنَا الجزْعُ الَّذِى لَمْ يُثَقَّبِ

البيت لامرىء القيس ، من قصيدة من الطويل (٥) أولها :

خليليَّ مُرَّابى على أمّ جُندب لِنقضىَ حاجاتِ الفؤادِ المعذَّبِ
فإنكما إنْ تَنظرانىَ ساعةً مِنَ الدَّهر تنفعنْى لدى أمِّ جُندبِ

---

(١) فى الأصول « ولا للأخرم » وأثبتنا رواية الديوان ، وفيها « ولا لعمرو فى السناء »
(٢) لم يستقم لنا هذا البيت وهو فى شرح الديوان مضطرب أيضا
(٣) فى الأصول « أو لوفاء » وأثبتنا ما فى شرح الديوان
(٤) سقط من جميع أصول هذا الكتاب تاريخ وفاة الخنساء وكتب بهامش مطبوعة بولاق «هكذا بياض بالأصل» وقد أثبتناه عن شرح الديوان
(٥) انظرها فى الديوان (ص ٢١) وقد مضت أبيات منها فى (ص ١٧٦ من هذا الجزء) ومضت ترجمة امرىء القيس فى شرح الشاهد (رقم ١)

أَلم تريانى كلما جئتُ طارقاً وَجدتُ بِها طِيباً وَإنْ لم تَطيبِ
عَقيلة أخدانٍ لها لاَ ذَميمةٌ وَلا ذاتُ خلقٍ إن تأملتَ جَانب

إلى أن يقول فيها :

وَقلتُ لِفتيانٍ كِرَام ألاَ انزلوا فَعالوا عَلينا فضلَ بُردٍ مُطنَّبِ(١)
فَفِئْنا إلى بَيت بعلياء مُرْدَحٍ سمـاوتهُ من أتحمىّ مُعَصَّبِ
وَأوتاده عـاديةٌ وعِمـادهُ رُدينيةٌ فيها أسِنةُ قَعضبِ(٢)
فلما دَخلناه أضفنا ظهورَنا إلى كل حارىّ جَديدٍ مُشطبِ(٣)
فَظل لَنـا يومٌ لذيذٌ بِنعمةٍ فَقل فى مَقيـلٍ نحسُهُ متغيبِ(٤)

و بعده البيت ، و بعده :

نمشُ بأعرافِ الجياد أكُفَّنا إذا نحنُ قمنا عنْ شِواء مضهَّبِ

وهى طويلة

قال الأصمعى : الظبى والبقرة إذا كانا حيين فعيونهما كلها سود ، فاذا ماتابدا بياضها ، وإنما شبهها بالجزع وفيه سواد و بياض بعد ما موّتت ، والمراد كثرة الصيد ، يعنى مما أكلناه كثرت العيون عندنا ، كذا فى شرح ديوان امرىء القيس ، و به يتبين بطلان ما قيل : إن المراد أنها قد طالت مسايرتهم حتى ألفت الوحوش رحالهم وأخبيتهم .

---

(١) فى الأصل «فقالوا علينا» محرفا عما أثبتناه عن الديوان ، ومعنى عالوا رفعوا ، والمطنب : المشدود بالحبال

(٢) فى الديوان « وأوتاده ماذية» والماذية : الدروع ، وهو أنسب بقوله «وعماده ردينية» والردينية : الرماح

(٣) فى الأصل «إلى كل عادى» وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، ولما فى اللسان (ض ى ف) وفيه «قشيب» مكان «جديد»

(٤) هكذا فى الاصول موافقا لما فى الديوان وشروحه وفى البيت الاقواء، وهو عيب وقع فيه بعض فحول الجاهلية .

والشاهد فيه : تحقيق التشبيه فى الايغال ؛ لأنه شبه عيون الوحش بالجزع وهو بفتح الجيم وتكسر الخرز اليمانى الصينى فيه سواد و بياض تشبه بهعيون الوحش ، لكنه أتى بقوله « لم يثقب » إيغالا وتحقيقا للتشبيه ، لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون .

وقد اشتمل هذا البيت على نوع من أنواع البديع يسمى التبليغ والتتميم ، ويسمى الايغال أيضاً ، وهو : أن يتم قول الشاعر دون مقطع البيت ويبلغ به القافية ، فيأتى بما يتمم به المعنى و يزيد فى فائدة الكلام ، لأن للقافية محلا من الأسماع والخواطر ، فاعتناء الشاعر بها آكد ، ولا شىء أقبح من بنائها على فضول الكلام الذى لا يفيد .

ومن الشواهد عليه قول ذى الرمة أيضاً [من الطويل] :

قِف الصبر فى أطْلَال مَيَّة فأسألِ رُسوما كأخلاقِ الرِّداء . . . .

فتمَّ كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المسلسل » فزاده شيئا ثم قال :

أظُن الذِى يُجدِى عَليكَ سؤالها دُموعاً كتَبديدِ الجُمانِ . . . .

فتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصَّلِ » فزاده شيئا

قيل : وكان الرشيد يعجب بقول مسلم بن الوليد [من الطويل] :

إذَا ما علت مِنَّا ذؤابةَ شاربٍ تَمشَّتْ بهِ مشى المُقيَّدِ فى الوحلِ

وكان يقول : قاتله الله ! أما كفاه أن يجعله مقيدا حتى جعله فى وحل ؟

ومنه قول ابن الرومى [من المنسرح] :

لها صَرِيحٌ كأنهُ ذَهبٌ وَرغوةٌ كاللآلىء الفلق

فزاد بقوله « الفلق » تمكينا فى التشبيه

ومن أبدع ما وقع فيه لمتأخر قول أبى بكر بن مجير [من مجزوء الكامل] :

وخليفة ابن خليفة ابــن خليفة وَستَفعَلُ

فقوله « وستفعل » تبليغ بديع أفادبه بشارة الممدوح بأن سلسلة الخلافة في عقبه .

وحكى أن بعض الشعراء قال لأبي بكر بن مجير هذا : إنى نظمت قصيدة مقصورة الروى ، وأعجزنى منها روى بيت واحد ، فما أدرى كيف أتممه ، فقال له أبو بكر : أنشدنيه ، فأنشده قوله [من المتقارب] :

سَليلُ الإمام وصنو الإمام * وعمُّ الإمام ......

فقال له من غير تفكير ولا روية قل * ولا منتهى * فوضعه فى قصيدته على ما تممه له ، وكان أمكن قوافيه وأقواها

وللسيد أبى القاسم شارح مقصورة حازم فى هذا النوع قوله [من البسيط] :

لم يبرح المجدُ يسمو ذاهباً بهمُ حتى أجاز الثريَّا ، وهو ما قنعا

فقوله « وهو ماقنعا » من التبليغ الذى أفاد زيادة فى المعنى ظاهرة

***

شاهد التذييل

٦٦ — وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لاتَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ أىُّ الرِّجالِ الْمُهَذَّبُ

البيت للنابغة الذبيانى ، من قصيدة من الطويل(١) يخاطب بها النعمان ، أولها :

أرسماً جديداً من سعاد تَجَنَّبُ عفت روضة الأجداد منها فيثقبُ(٢)

(١) اقرأ أبياتا منها فى الديوان (٥٦) ، والأول والثانى وحدهما فيه (٩٦) والأبيات التى رواها المؤلف هاهنا ليست على نسقها فى الديوان ولا هى على نسق ما تقتضيه معانيها من الترتيب

(٢) الأجداد : أرض لبنى مرة وأشجع وفزارة ، قال عروة بن الورد :

فلا وألت تلك النفوس ولا أتت على روضة الأجداد وهى جميع

وقال فى اللسان : يثقب موضع فى البادية .

عفا آيَهُ نسجُ الجنوب مع الصَّبا وأسحمُ دانٍ مزنُه متصوِّبُ (١)

يقول فيها أيضاً :

فلا تتركنّى بالوعيد كأننى إلى الناس مطلىٌّ به القارُ أجرب

ألم ترَ أن الله أعطاك سَوْرَةً يُرى كل مَلْك دونها يتذبذب

فانك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وبعده البيت ، وبعده :

فإن يكُ مظلوماً فعبدٌ ظلمتَهُ وإن تكُ ذا عُتْبى فمثلك يُعتِبُ

أتانى أبيتَ اللعنَ أنكَ لمتنى وتلك التى أهتم منها وأنصبُ

والشَّعثُ : انتشار الأمر . والمهذَّب : المنقح الفعال المرضى الخصال

والمعنى لا تقدر على استبقاء مودة أخ حال كونك ممن لا تلمه ، ولا تصلحه على تفرق وذميم خصال .

ذكرتُ هنا قول الشاعر ، معارضا للنابغة فى هذا البيت ، وهو [من الطويل] :

ألومُ زياداً فى ركاكة عقله وفى قوله أىُّ الرجال المهذبُ (٢)

وهلْ يحسنُ التهذيبُ منكَ خلائقاً أرقُّ من الماء الزلال وأطيب

تكلمَ والنعمانُ شمسُ سمائه وكل مليك عند نعمانَ كوكبُ

ولو أبصرتْ عيناه شخصكَ مرةً لأبصرَ منه شمسَهُ وهو غيهبُ

وهذا نوع من البديع ، يسمى التوليد ، وسيأتى الكلام على شىء منه فى الفن الثالث إن شاء الله تعالى .

---

(١) يروى «عفت آيه ريح الجنوب»

(٢) زياد : هو النابغة الذبيانى صاحب البيت الشاهد

والشاهد فيه : التذييل لتأكيد مفهوم ، فصَدْرُ البيت دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال ، وعجزه تأكيد لذلك وتقرير ، لأن الاستفهام فيه إنكارى : أى لا مهذب فى الرجال .

وفى معنى البيت قولُ أبى الحسن محمد الموقت المكى [من الطويل] :

إذا المرء لم يبرحْ يمارى صديقهُ ولم يحتمل منه فكيف يعايشُهْ
وأنَّى يدومُ الوُد والعهدُ بينهُ وبين أخ فى كل وقت يناقشُهْ

وما أحسن قول مؤيد الدين الطغرائى [من الوافر] :

أخاكَ أخاكَ فهوَ أجلُّ ذُخرٍ إذا نابَتْكَ نائبـةُ الزمانِ
فإنْ رابَتْ إساءتهُ فهَبْها لما فيه من الشِّيَم الحسانِ
تُريد مُهذَّباً لا عيبَ فيـهِ وهلْ عُودٌ يفوحُ بلا دُخانِ

وبديعٌ قولُ ابن الحداد أيضاً [من الكامل] :

واصلْ أخاكَ وإن أتاكَ بمنكر فخلوص شىء قلما يتمكنُ
ولكل حُسْنٍ آفةٌ موجودة إنّ السِّراجَ على سناهُ يدخّنُ

وما أحسن قول ابن شرف أيضاً [من البسيط] :

لا تسألِ الناس والأيامَ عن خبر هما يبثَّانِكَ الأخبارَ تفصيلاَ
ولاَ تعاقِبْ على نقص الطباع أخاً فإنّ بدرَ السما لم يُعْطَ تكميلاَ

ومن النفيس قولُ ابن حَمْديس [من مجزوء الكامل] :

أكرمْ صديقكَ عنْ سؤا لكَ عنهُ واحفظ منهُ ذِمَّهْ
فلربمـا استخبرتَ عَنـــهُ عـدوّه فسمعتَ ذَمَّهْ

وقول عمر الخراط ، وهو رجل من القيروان [من مجزوء الكامل] :

لا تسألنّ عن الصديـــق وسلْ فؤادكَ عنْ فؤادهْ

فلربما بحثَ السؤا لُ على فسادكَ أو فسادهْ

ولمؤلفه فى معناه [من الرمل] :

لستُ عن ود صديق سائلا غيرَ قلبى فهو يدرى وده
فكما أعلم ما عندى له فكذا أعلمُ مالى عندهُ

وما أحسن قول بعضهم [من الكامل] :

عتبى عليكَ مقارنُ العذر قدْ ردَّ عنكَ حفيظتى صبرى
فمتى هفوتَ فأنتَ فى سعَةٍ ومتى جفوتَ فأنتَ فى عذرِ
تركُ العتابِ إذا استحق أخٌ منكَ العتابَ ذريعةُ الهجرِ

وقول بعضهم [من الطويل] :

إذا أنتَ لم تغفر ذنوباً كثيرة تَريبكَ لم يسلم لكَ الدهرَ صاحبُ
ومن لم يغمضْ عينه عن صديقهِ وعن بعض مافيه يمتْ وهوعاتبُ

وقول أبى الفتح البستى [من المتقارب] :

تحمّلْ أخاكَ على ما بهِ فما فى استقامته مطمعُ
وأنىَّ له خُلقٌ واحد وفيه طبائعه الأربعُ

وما أحسن قول بعضهم [من مجزوء الرمل] :

لا تثقْ من آدمىّ فى ودادٍ بصفاء
كيفَ ترجو منه صفواً وَهوَ من طين وماء

وهو كقول الآخر [من الوافر] :

ومن يكُ أصلهُ ماء وطيناً بعيدٌ من جِبلَّتهِ الصفاء

وما أبدع قول الجمال بن نُباتةَ [من البسيط] :

يامشتكى الهمَّ دعهُ وانتظرْ فرَجاً ودارِ وقتكَ من حين إلى حين

ولاَ تعانِدْ إذا أمسيتَ فى كدَر   فإنمَا أنتَ من ماء ومن طينِ

وللصلاح الصفدىّ فيه أيضا [من الوافر] :

دعِ الاخوانَ إن لم تَلْقَ منهم   صفاء واستغِنْ واستْغنِ باللهْ
ألَيس المرء من ماء وَطينٍ   وأىُّ صفا لهاتيك الجِبلَّهْ

ومما ينظر إلى معنى البيت المستشهد به قول بعضهم [من الطويل] :

إذا أنتَ لم تترك أخاكَ وزلةً   أرادَ لها أوشكَما أن تفرَّقا

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

صديقَكَ مهما جَنى غَطُّه   ولا تُخفِ شيئاً إذا أخْسنا
وكن كالظلامِ معَ النَّار إذ   يوارِى الدُّخانَ ويُبْدِى السَّنا

ولمؤلفه [من مجزوء المتقارب] :

أخاكَ اغتفر ذنبه   وسامِحْ إذا ما هفَا
وغطٌّ على عيبه   يدُمْ منهُ عهدُ الوفا
وإن رُمْتَ تقويمه   تجد وُده قد عفا

* * *

٦٧ — فَسَقَى دِيارَكِ غيرَ مُفْسِدِهَا   صَوْبُ الربيع وديمَةٌ تَهْمِى

شاهد التكميل

البيت لطَرَفةَ بن العبد ، من قصيدة من الكامل يمدح بها قتادة بن مسلمة الحنفى (١) وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم ، وأولها :

إن امرأً سَرِفَ الفؤادِ يرى   عَسَلاً بماء سحابة شَتْمِى

---

(١) فى الأصول «قتادة بن سلمة» وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ٦١

وأنا امرؤ أكوى من القصر الـ بادى وأغشى الدُّهمَ بالدهم [١]
وأصيبُ شاكلة الرَّمية إذ صدّت بصفحتها عن السهم
وأُجِرُّ ذا الكفل القَنَاةَ على أنسائه فيظل يَستدمى
وتَصد عنك مَخيلةُ الرَّجل الـ ـعريض موضِحةً عن العَظْمِ
بحُسام سيفك أو لِسانكَ والـ كلِمُ الأصيل كأرغَبِ الكَلْمِ
أبلغ قتادةَ غيرَ سائله منى الثوابَ وعاجلَ الشكم [٢]
إنى حَمِدتُكَ للعشيرةِ إذ جاءت إليك مُرِقّة العَظم
ألقوْا إليك بكل أرْمَلَةٍ شعثاء تَحمل مِنْقَعَ البرم [٣]
وفتحْتَ بابكَ للمكارم حيـ ـنَ تواصَتِ الأبوابُ بالأزم

و بعده البيت [٤] وهو آخرها .

وصوب الربيع : نزول المطر ووقعه فى الربيع . والديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق أو يدوم خمسة أيام أو ستة أو سبعة أو يدوم يوماً وليلة أو أقله ثلث النهار أو الليل وأكثره ما بلغت ، وجمعها دِيَم ودُيُوم . ومعنى تهمى : تسيل .

والشاهد فيه : التكميل ، ويسمى الاحتراس أيضا ، وهو : أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه ، وهو هنا قوله « غير مفسدها » فان نزول المطر قد يكون سبباً لخراب الدنيا وفسادها ، فدفع ذلك بتوسط قوله « غير مفسدها » .

---

(١) فى الأصول « وأنا امرؤ ألوى » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان
(٢) فى الأصول « منه الثواب »
(٣) فى الأصول « مقنع البرم » وما أثبتناه موافق لما فى الديوان
(٤) فى الديوان بيت بينهما ــ ولم يروه الأعلم ــ وهو :
وأهنت إذ قدموا التلاد لهم وكذلك يفعل مبتنى النعم

وفى معنى البيت قول جرير [من الكامل] :

فَسقاكِ حيثُ حلَلتِ غير فقيدةٍ هَزَجُ الرياح وديمةٌ لا تُقلعُ

ومن الاحتراس قول زهير بن أبى سلمى [من البسيط] :

من يلقَ يوماً على علاَّته هرِماً يلق السماحةَ منهُ والندى خُلُقا

وقول امرىء القيس أيضاً [من الطويل] :

على هيكلٍ يُعطيك قبلَ سؤالِهِ أفانينَ جرىٍ غير كزٍّ ولا وانى

وقول نافع بن خليفة الغنوى [من الطويل] :

رجالٌ إذا لم يَقبلِ الحق منهمُ ويُعطوهُ عادوا بالسيُوفِ القواضبِ

ومثله قول عنترة العبسى [من الكامل] :

أثنى علىَّ بما علمت فاننى سَهلٌ مُخالقتى إذا لم أُظلَمْ

وقول الآخر [من الوافر] :

فانى إن أَفُتْكَ يفُتك منى فلا تُسبَقْ به عِلقٌ نَفيس

ومن مليح الاحتراس قول الرّمادى فى وصف فرس [من الكامل] :

قامَتْ قوائمُه لنا بطَعامنا غضاً وقام العُرْفُ بالمنديلِ

فقوله « غضا » احتراس عجيب ، إذ لو لم يذكر لتُوُهِّم أنهم ينقلون عليه أزوادهم .

ترجمة طرفة بن العبد

وطرفة بن العبد [1] : هو ابن سفيان بن سعد بن مالك بن عباد بن صعصعة ابن قيس بن ثعلبة ، ويقال : إن اسمه عمرو ، وسمى طرفة بسبب بيت قاله ،

---

(١) لطرفة ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة (٨٨) وفى خزانة الأدب للبغدادى (١ - ٤١٢)

وأمه وردة من رهط أبيه ، وفيها يقول لأخوالها وقد ظلموها حقها [من الكامل]:

ما تنظرون بحقِّ وردةَ فيكمُ صغُرَ البنونَ ورهط وردة غُيَّبُ

وكان أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمراً ، قتل وهو ابن عشرين سنة ، فيقال له : ابن العشرين ، وقيل : قتل وهو ابن ست وعشرين سنة ، وإلى ذلك تشير أخته حيث قالت ترثيه [من الطويل] :

عددنا له سِتا وعشرينَ حِجةً فلما توفَّاها استوى سيداً ضخْما

فُجِعنا به لما رَجونا إيابَهُ على خيرِ حالٍ لا وليداً ولا قَحْما

وكان السبب فى قتله أنه كان ينادم عمرو بن هند فأشرفت ذات يوم أخته فرأى طرفة ظلها فى الجام الذى فى يده فقال [من الهزج] :

ألا يا ثَانِىَ الظبيُ الـ ـذى يبرُقُ شِنفاهُ(١)

ولولا الملكُ القاعـ ـدُ قد ألثمنى فاهُ

فحقد عليه ، وكان قد قال أيضاً قبل ذلك [من الوافر] :

وليتَ لنا مكانَ الملكِ عمرٍو رَغوثاً حول قُبَّتنا تخورُ(٢)

لعمرُكَ إن قابوسَ بن هندٍ ليَخلطُ ملكَهُ نوكٌ كثير

وقابوس هذا هو أخو عمرو بن هند ، وكان فيه لين ، ويسمى قينة الفرس(٣) فكتب له عمرو بن هند إلى الربيع بن حوثرة عامله على البحرين كتاباً أوهمه فيه أنه أمر له بجائزة ، وكتب للمتلمس بمثل ذلك ، فأما المتلمس ففك كتابه ،

---

(١) فى الشعراء لابن قتيبة «ألا يا بأبى الظبى»

(٢) فى الأصول « تدور » موافقا لما فى نسخة من الشعراء ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ٦ وما فى الشعر لابن قتيبة ٨٩

(٣) فى الشعراء لابن قتيبة «قينة العرس» وهو الصواب

وعرف ما فيه فنجا، كما سيأتى فى خبره، وأما طرفة فمضى بالكتاب، فأخذه الربيع فسقاه الخمر حتى أثمله، ثم فصد أكحله، فقبره بالبحرين. وكان لطرفة أخ يقال له معبد فطالب بديته فأخذها من الحوائر.

قال أبو عبيدة: مر لبيد بمجلس لنَهْدٍ بالكوفة، وهو يتوكأ على عصا، فلما جاوز أمروا فتى منهم أن يلحقه فيسأله: مَنْ أشعر العرب؟ ففعل، فقال له لبيد: الملك الضليل — يعنى امرأ القيس — فرجع فأخبرهم، فقالوا له: ألا سألته ثم مَنْ، فرجع فسأله، فقال له: ابن العشرين — يعنى طرفة — فلما رجع قالوا: ليتك سألته ثم من، فرجع فقال: صاحب المِحْجَن - يعنى نفسه - قال أبو عبيدة: طرفة أجودهم، وأجده لا يلحق بالبحور، يعنى امرأ القيس وزهيرا والنابغة، ولكنه يوضع مع أصحابه الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وسُوَيد بن أبى كاهل.

ومن شعر طرفة وهو صبى(١) قوله [من الطويل]:

فَلولاَ ثَلاَثٌ هنَّ مِنْ عِيشةِ الفتى ... وَجدِّكَ لم أحفِلْ مَتى قامَ عُوَّدِى
فمنهنَّ سبقى العاذِلاتِ بشَرْبةٍ ... كُميتٍ مَتى ما تُعلَ بِالماء تزْبِدِ
وَكَرِّى إذَا نادَى المُضافُ مُحنبا ... كَسِيدِ الغضا نَبَّهتهُ المتوردِ
وَتقصيرُ يَوْمِ الدَّجنِ والدَّجنُ مُعجبٌ ... بِبهكنةٍ تحتَ الخِباءِ المُعمَّدِ

وقد أخذه عبد الله بن نهيك بن إساف الأنصارى فقال(٢) [من الطويل]

ولولا ثلاثٌ هنَّ مِنْ عيشةِ الفتى ... وجدكَ لم أحفِلْ متى قامَ رامسُ
فمنهنَّ سبقى العاذلات بشَرْبةٍ ... كأن أخاها مطلعَ الشمس ناعسُ
ومنهنَّ تجريد الكواعب كالدُّمى ... إذا ابتُزَّ عن أكفالهنَّ الملابسُ

(١) هى أبيات من قصيدته المعلقة
(٢) الأبيات فى الشعراء ٩٣

ومنهنّ تقريطُ الجوادِ عِنانَهُ إذا استبقَ الشخصَ القويَّ الفوارسُ (١)

وقد ناقض عبد الحميد بن أبى الحديد البغدادى أبيات طرفة السابقة فقال [من السريع]:

لولا ثلاث لم أخَفْ صرْعتى ليستْ كما قال فتى العبدِ
أن أنْصُرَ التوحيدَ والعدلَ فى كل مكانٍ باذلاً جهدِى
وأنْ أناجى اللهَ مُستمتعاً بخلوةٍ أحلى من الشهدِ
وأنْ أتيهَ الدهرَ كِبراً على كلِّ لئيم أصعرِ الخدّ
لذاكَ أهوَى لا فتاةٍ ولا خمرٍ ولا ذِى ميعةٍ نهدِ

ومما سَبق إليه أيضا، وكان يتمثل به النبي صلى الله عليه وسلم قوله (٢) [من الطويل]:

ستبدِى لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخبارِ منْ لم تزوِّدِ

وقال غيره (٣) [من الطويل]:

ويأتيكَ بالأخبارِ منْ لم تبعْ لهُ بتاتاً ولم تضربْ لهُ وقتَ موعدِ

ومما يستجاد من قصيدته التى منها البيت السابق على هذا (٤) قوله [من الطويل]:

ألا أيُّهاذا الزّاجرِى أحضرَ الوغى وأنْ أشهدَ اللّذّاتِ هلْ أنتَ مُخلدِى

---

(١) فى الشعراء «إذا استبق الشخص الخفى الفوارس»
(٢) هو من قصيدته المعلقة أيضا
(٣) ليس هذا البيت لغير طرفة، بل هو له نفسه، بل هو تال للبيت الذى ذكره قبله
(٤) هذه الأبيات أيضا من قصيدته المعلقة

فإن كنتَ لا تسطيعُ دفعَ منيتى فذرنى أبادِرْها بما ملكتْ يدِى
أرَى قبرَ نحّام بخيلٍ بماله كقبرِ غوىٍّ فى البطالةِ مُفسدِ
أرَى العيشَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ وما تنقص الأيامُ والدَّهرُ ينفدِ
لعمركَ إنّ الموتَ ما أخطأ الفتى لكالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنياهُ باليدِ

ومما يعاب من شعره قوله يمدح قوما [من الرمل] :

أسدُغيل فإذا ما شربوا وَهبوا كلَّ أمونٍ وطمرّ
ثم راحوا عَبَقُ المسكِ بهم يُلحفونَ الأرضَ أهدابَ الأزُرْ (١)

ذكر أنهم يُعْطون إذا سكروا ، ولم يشترط ذلك فى صحوهم كما قال عنترة [من الكامل] :

وإذا شربتُ فإننى مُستهلكٌ مالى وعِرضى وافرٌ لم يكلم
وإذا صحوتُ فما أقصرُ عن ندًى وكما علمتِ شمائلى وتكرمى

قالوا : والجيد هو قول زهير بن أبى سلمى [من الطويل] :

أخو ثقةٍ لا يُتلفُ الخمرُ مالَهُ ولكنهُ قد يُتلفُ المالَ نائلُهْ

وقال بعض المحدثين [من الطويل] :

فتى لا يلوكُ الخمرُ شحمةَ مالهُ ولكنْ عطاياهُ ندًى وبوادِر

وما ألطف قول ابن حمديس فى معنى قول عنترة [من الطويل] :

يعيدُ عطايا سكرِهِ عندَ صحوهِ ليُعلم أنّ الجودَ منهُ على علم
ويسلم فى الإنعام مِنْ قول قائل تكرمَ لما خامرتهُ ابنةُ الكرم

(١) فى الديوان « هداب الأزر »

شاهد الاعتراض

٦٨ — إنَّ الثمانينَ وَبُلِّغْتَها قَدْ أحْوَجَتْ سمعى إلى تَرْجُمَانْ

البيت لعَوْف بن مُحَلِّم الشيبانى ، من قصيدة من السريع[١] ، قالها لعبد الله بن طاهر ، وكان قد دخل عليه فسلم [عليه عبد الله] [٢] فلم يسمع ، فأعلم بذلك ، فدنا منه ، ثم ارتجل هذه القصيدة ، وأولها :

يا ابنَ الذِى دانَ له المشرقانْ طُرًّا وقدْ دانَ له المغربانْ

وبعده البيت ، وبعده :

وبدَّلتْنِى بالشَّطاط انحنا وكنتُ كالصَّعدة تحت السِّنانْ [٣]

وعوَّضتنى منْ زماع الفتى وهمتى همَّ الجبان الْهِدَنْ [٤]

وقارَبتْ منى خُطاً لم تكن مقاربات وثنتْ منْ عنان

وأنشأتْ بينى وبين الوَرَى سحابةً لَيستْ كنسج العنان [٥]

ولم تدعْ فىَّ لِمُستمتع إلا لسانى وبحسبى لِسان

أدْعو به الله وأثنى به على الأمير المُصعَبِىِّ الهجان [٦]

---

(١) اقرأها — ما عدا تاسعها والبيتين الآخيرين — فى أمالى أبى على القالى (١ — ٥٠)

(٢) زيادة عن الأمالى يتضح بها المراد

(٣) الشطاط — بزنة السحاب — الاعتدال وحسن القوام ، والصعدة — بفتح الصاد وسكون العين — القناة المستوية التى تنبت كذلك فلا تحتاج إلى تثقيف

(٤) فى الأمالى « وبدلتنى من زماع الفتى » والزماع : المضاء فى الأمر والعزم ، عليه ، والهدان — بزنة الكتاب — الجافى الأحمق

(٥) فى الأمالى « عنانة من غير نسج العنان » والعنان : مثل السحاب وزنا ومعنى ، واحده عنانة كسحابة

(٦) الهجان — بكسر الهاء — الكريم

وهِمتُ بالأوْطان وجداً بها وبالغوانِي ، أينَ مِنى الغوان؟
فقـرِّبانى ، بـأبى أنتما ! مِنْ وطنى قبلَ اصفرار البنان
وقبلَ منْعايَ إلى نِسوةٍ مَسكَنُها حرَّان والرَّقتان[١]
سقى قُصورَ الشاذياخ الحيا مِنْ بعدِ عهدِى وقصورَ الميان
فكم وكم مِنْ دَعوةٍ لى بها أنْ تتخطاها صُروفُ الزَّمان

و « الترجمان » يقـال بضم تائه وجيمه ، وفتحها ، وفتح التاء وضم الجيم ، وهو المفسر للسان ، يقال : ترجمه ، وعنه ، والفعل يدل على أصالة التاء .

ولقد أجاد الغزى فى تضمينه صدر البيت بقوله [من السريع] :

طُولُ حياةٍ مالهـا طائلٌ تُغصُ عندِى كلَّ ما يُشتهى
أصبحتُ مثلَ الطفلِ فى ضعفهِ تشـابهَ المبـدأُ والمُنتهى
فلاَ تَلُمْ سَمعى إذا خاننى إنَّ الثمانينَ وبُلغتهـا

ولطيف قول الشهاب المنصورى رحمه الله [من السريع] :

نحو ثمـانينَ منَ العمر قدْ قَطَعتُها مثلَ عقود الجمانْ
ما أحوجتْ يوماً يمينى إلى عصاً ولاسَمْعى إلى ترجمان

والشاهد فيه : الاعـتراض ، ويسمى : الالتفات[٢] ، وهو : أن يؤتى فى أثناء الكلام ، أو بين كلامين متصلين معنى ، بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب ، لنكتة سوى دفع الايهام ، وهو هنا الدعاء فى قوله « وبلغتها » لأنها جملة معترضة بين اسم إنّ وخـبرها ، والواو فيه اعتراضية : ليست عاطفة ، ولا حالية .

---

(١) فى الأغانى « أوطانها حران والرقتان »
(٢) انظر كتاب العمدة لابن رشيق (٢ – ٤٢ بتحقيقنا)

ومن الاعتراض أيضا قول كثير عزة [من الكامل] :

ولوأنّ عزة حاكَمَتْ شمسَ الضحى ... فى الحسن عندَ موفَّقٍ لقضى لها

وهو معترض ، إذ لا بد فيه من ذكر موفَّق، لأنه لا يتم المعنى بدونه ، ومنه قول كثير أيضا [من الوافر] :

لوَ انّ الباخلينَ وأنتِ منهم ... رأوكِ تعلَّموا منكِ المِطالا

ومن مليح ما سمع فيه قول نُصَيب ، وكان أسود [من الطويل] :

فكدتُ ولم أُخلَقْ من الطيرِ إن بدَا ... سنَا بارق نحـو الحجاز أطير(١)

يروى أن التى قيل فيها هذا البيت لما سمعته تنفست نفسا شديداً ، فصاح ابن أبي عتيق : أوَّهْ ، قد والله أجابته بأحسن من شعره ، والله لو سمعك لنعق وطار ، فجعله غرابا لسواده .

ومن المستحسن فيه أيضا قول العباس بن الأحنف [من المنسرح] :

قدْ كنتُ أبكى وأنتِ راضية ... حِذارَ هذا الصدود والغضبِ

إن تمَّ ذا الهجرُ يا ظلومُ ولا ... تَمَّ فمالى فى العيش من أربِ

وما أحسن قول أبى الفتح البستى [من الوافر] :

أرَاحَ الله قلبى من زمان ... محَتْ يدهُ سرورى بالاساءهْ

فإنْ حَمِدَ الكريمُ صباح يوم ... وأنى ذاكَ لم يحمَدْ مساءهْ

والمتأخرون يسمون هذا الاعتراض حشو اللوزينج ، وما أبدع قول ابن الساعاتى فيه [من الرمل] :

---

(١) روى ابن رشيق هذا البيت هكذا :

وددت ـ ولم أخلق من الطير ـ أننى ... أعار جناحي طائر فأطير

وحكى معه نفس القصة التى حكاها المؤلف

حالَ من دونكِ ياأختَ الكِللْ مُقَلُ الحىّ وفُرْسان الأَسَلْ
ومواضٍ مُرْهَفاتٌ فتكتْ بى وحاشاكِ ولا مثل الكَحَلْ

وقول أبى الحسين الجزار [من الطويل] :

ويهتز للجَدْوَى إذا ما مدحتهُ كما اهتز،حاشا وصفه،شاربُ الخمر

وقد أخذه من ابن الساعاتى فانه قال [من البسيط] :

يهزُّهُ المدح هز الجود سائلَه أولا وحاشاهُ هزَّ الشارب الثَّمِل

وما أحسن قول الفقيه عمارة اليمنى [من الطويل] :

لهُ راحةٌ ينهلُّ جوداً بنانُها ووَجهٌ إذا قابلتَه يتهلَّلُ
يرَى الحق للزوار حتى كأنهُ عليهم وحاشا قدره يتطفلُ

والكل أخذوا لفظة حاشا من أبى الطيب المتنبى حيث يقول [من الطويل] :

ويحتقرُ الدنيا احتقارَ مجرِّبٍ يرَى كل ما فيها وحاشاه فانيا

وما أحسن أيضا قوله فيه [من الكامل] :

وخُفُوقُ قلبٍ لو رأيتَ لهيبهُ يا جنتى لوَجَدْتَ فيه جهنما

وللقاضى مهذب الدين الغسانى [من الطويل] :

ومالى إلى ماءٍ سوى النيل غلةٌ ولو أنه أستغفر الله زمزمُ

وبديع قولُ أبى الوليد محمد بن يحيى بن حزم [من الطويل] :

أتجزع من دمعى وأنتَ أسلتهُ ومن نار أحشائى ومنك لهيبها
وتزعمُ أنَّ النفس غيركَ علَّقتْ وأنتَ ولا منٌّ عليكَ حبيبها

ومن الحشو الذى زاد حلاوة قول الجمال بن نُبَاتة [من البسيط] :

لوْ ذُقتَ بَرْدَ رُضاب من مقبَّلِهِ يا حارِ ما لمتَ أعطافى التى ثملتْ

وقول السراج الوراق [من الرمل] :

إنَّ عينى وهى عضوٌ دَنِفٌ ما على ما كابدَتْهُ جلدُ
ما كفاها بُعدُها عنك إلى أن دَهاها ، وكُفيتَ ، الرمدُ

وما أحسن قول ابن اللبَّانة فى ناصر الدولة صاحب ميورقة [من الكامل] :

وغمرْتَ بالاحسان أهل ميورقة وبنيتَ فيها ما بنى الاسكندر
فكأنها بغدادُ أنتَ رَشيدها ووزيرها ، وله السلامة ، جعفرُ

قوله « وله السلامة » من أملح الحشو وأحلاه ، قالوا : وهو أملح وأوضح من قول المتنبى « ويحتقر الدنيا — البيتَ المار » .

ومن المضحك فيه قول الجزار [من الطويل] :

لئنْ قطعَ الغيثُ الطريقَ فبغلتى وحاشاكَ قبقابى وجوختىَ الدارُ
وإن قيلَ لى لا تخشَ فهو عبورة خشيتُ على علمى بأنىَ جزارُ

وما ألطف قوله فى معنى « رقة الحال » وإنْ لم يكن من هذا الباب [من الخفيف] :

أبيات فى معنى رقة الحال

لى منَ الشمسِ حلة صفراء لا أُبالى إذا أتانى الشتاء
ومنَ الزمهريرِ إن حدثَ الغيـ ـمُ ثيابى وطيلسانى الهواء
بيتىَ الأرضُ والفضافيه سورٌ لى مدار وسقفُ بيتى السماء
شَنَّعَ الناسُ أننى جاهلىٌّ ثانوىَّ وما لهم أهواء
أخذُونى بظاهرِى إذ رأونى عبدَ شمس تسوءنى الظلماء

وما ألطف قول البهاء زهير فى هذا المعنى [من الخفيف] :

أدرِكونى فبى منَ البردِ همٌّ ليسَ يُنْسَى وفى حشاى التهابُ
كلما ازرقَ لونُ جسمى منَ البرْ دِ تخيَّلْتُ أنه سِنجابُ

عود إلى الاعتراض

رجع إلى الاعتراض .

ومنه قول أبى محمد الميطرانىّ ، وكتب به إلى صديق له رأى عنده غلاماً استخدمه [من المنسرح] :

رأيتُ ظبيا يطوف فى حرَمكْ   أغرَّ مستأنسا إلى كرَمكْ
أطمعنى فيهِ أنهُ رَشأ   يرشى ليخشى وليس من خدمك
فاشغَلْهُ بى ساعة إذا فرَغتْ   دوَاتهُ إن رَأيت من قلمكْ

ومن بديعه مع الرقة والانسجام قولُ ريسم بن شادلويه صاحب أذربيجان [من الوافر] :

سُعادُ تسُبُّنى ذُكرَت بخير   وتزعُم أننى ملِقٌ خبيثُ
وأن موَدَّتى كذبٌ ومَيْنٌ   وأنى بالذى أهوى بثُوثُ
ولَيس كذا ولا ردٌّ عليها   ولكنَّ الملولَ هو النكوثُ (١)
رأت شغَفى بهـا ونحولَ جسمى   فصدَّت ، هكذا كان الحديثُ

وما ألطف قول البهاء زهير يهجو [من الوافر] :

صديقٌ لى سأذكرُهُ بخيرٍ   وإن عرَفتُ باطنهُ الخبيثا
وحاشا السامعينَ يُقالُ عنهم   وبالله اكتموا هذا الحديثا

وبالغ ابن الساعاتى بقوله [من الطويل] :

تودُّ نجوم الليـل لو نَصلَت بهـا   وإن لقِيتْ بؤساً ذوابلُ ملْدِهِ
ولو تملكُ الحكمَ الأهلَّةُ لم تكن   ويا فخرها إلا نعالاً لجردِهِ

(١) فى ب « ولكن الملوك هم النكوث » محرفا

ترجمة عوف بن محلم الخزاعى

وعوف (١) بن محلم الخزاعى أبو المنهال (٢) : هو أحد العلماء الأدباء ، الرواة الفهماء الندماء الظرفاء الشعراء الفصحاء . وكان صاحب نوادر وأخبار ومعرفة بأيام الناس ، واختصه طاهر بن الحسين بن مصعب لمنادمته ومسامرته ، فلا يسافر إلا وهو معه فيكون زميله وعَديله و يعجب به . وقال محمد بن داود : إن سبب اتصاله بطاهر أنه نادى على الجسر بهذه الأبيات أيام الفتنة ببغداد وطاهرٌ منصرِف فى حَرَّاقة له بدجلة ، فأدخله معه ، وأنشده إياها ، وهى [من المتقارب] :

عجبتُ لحرَّاقَةَ ابن الحسَيــــــن كيفَ تَعومُ ولا تغرقُ
و بحرانِ من تحتها واحدٌ وآخرُ من فوقها مُطبقُ
وأعجَبُ من ذاكَ عيدانُها وقد مَسَّها كيف لا تورِقُ

وأصله من حران ، و بقى مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه ، وكلما استأذنه فى الانصراف إلى أهله ووطنه لا يأذن له ، فلما مات ظن أنه تخلص وأنه يلحق بأهله ، فقرّبه عبد الله بن طاهر وأنزله منزلته من أبيه ، وأفْضَلَ عليه حتى كثر ماله وحسنت حاله ، وتلطف بجهده أن يأذن له فى العَوْد إلى أهله ، فاتفق أنه خرج عبد الله من بغداد إلى خراسان ، فجعل عوفا عديله ، فلما شارف الرى سمع صوت عندليب يغرد أحسن تغريد ، فأعجب ذلك عبد الله ، والتفت إلى عوف وقال : يا ابن محلم ، هل سمعت بأشجَى من هذا ؟ فقال : لا والله ، فقال عبد الله : قاتل الله أبا كبير حيث يقول (٣) [من الطويل] :

ألا يا حَمامَ الأيكِ إلفُكَ حاضِرٌ وغُصنـكَ ميَّاد ففيمَ تَنوحُ

---

(١) لعوف بن محلم ترجمة فى فوات الوفيات (٢ - ١٤٩) وعنها نقل

(٢) فى ب «أبو المناهل»

(٣) نسب أبو على في الأمالى (١ - ١٣٣) هذه الأبيات الثلاثة إلى عوف ابن محلم رواية عن المبرد ، ولعل سر ذلك هذه القصة التى حكاها المؤلف هنا

أفِقْ لا تَنُحْ من غير بينٍ فإننى بَكَيْتُ زماناً والفؤادُ صَحيحُ
وَلوعا فَشَطَّتْ غُربةً دارُ زينب فها أنا أبكى والفؤادُ قريحُ

فقال عوف : أحسن والله وأجاد أبو كبير ، إنه كان فى الهذليين مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مُفْلق ، وما كان فيهم مثل أبى كبير ، وأخذ يصفه ، فقال له عبد الله : أقسمت عليك إلا أجزْتَ قوله ، فقال له : قد كبر سنى ، وفنى ذهنى وأنكرت كُلَّ ما كنت أعرفه ، فقال عبد الله : بحق طاهر إلا فعلت ، فابتدر عوف فقال [من الطويل] :

أفى كل عام غُربَةٌ ونُزُوحُ أما للنوى من ونْيَةٍ فتريحُ
لقد طَلَّحَ البينُ المُشِتُّ ركائبى فهل أرَيَنَّ البينَ وهو طليحُ
وأرَّقَنى بالرىِّ نوحُ حمامة فَنُحتُ وذو اللبِّ الغريبُ ينوحُ
على أنها ناحَتْ ولم تُذرِ دمعَةً ونحتُ وأسرابُ الدموع سفُوحُ
وناحت وفَرْخاها بحيثُ تَراهما ومن دون أفراخى مَهامِهُ فِيحُ
ألا يا حمام الأيك إلفُكَ حاضر وغصنك مياد ففيم تنوح
عسى جُودُ عبد الله أن يعكس النوى فَتُلقَى عصا التطواف وهى طريحُ
فان الغنى يُدْنى الفتى من صديقه وعُدْمُ الفتى بالمغربين طَروحُ

فاستعبر عبد الله ورق له ، وجرت دموعه ، وقال : والله إنى لضنين بمفارقتك شحيح على الفائت من محاضرتك ، ولكن والله لا أعملت معى خفاً ولا حافراً إلا راجعاً إلى أهلك ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، فقال عوف الأبيات المشهورة وسار راجعاً إلى أهله فلم يصل إليهم ومات فى حدود العشرين والمائتين .

ومن شعره رحمه الله تعالى قوله [من الوافر] :

وكنتُ إذا صَحِبت رجالَ قوم صحبتُهُمُ ونيَّتى الوفاء

فأحسِنُ حين يحسنُ محسنوهم وأجتنب الاساءةَ إن أساءوا
وأبصر ما يريبُهُم بعينٍ عليها من عُيوبِهِمُ غطاء

ومنه قوله [من مجزوء الكامل] :

وصَغيرَة عُلِّقتُها كانت من الفِتنِ الكِبارِ
بلْهاء لم تَعرف لغرٍ تها اليمينَ من اليسارِ
كالبدرِ إلاّ أنها تبقى على ضوءِ النهار

***

من شواهد الاعتراض

٦٩ — واعلَمْ فعلمُ المرءِ ينفَعُهُ أن سوْفَ يأتى كل ما قُدِرا

البيت من السريع ، وأنشده أبو على الفارسى ، ولم يعزه إلى أحد .

و « أن » هنا مخففة من الثقيلة ، وضمير الشأن محذوف ، يعنى أن المقدور آتٍ لا محالة وإن وقع فيه تأخير . وفى هذا تسلية وتسهيل للأمر .

والشاهد فيه : الاعتراض بالتنبيه ، وهو قوله « فعلم المرء ينفعه » وهو جملة معترضة بين « أعلم » ومعموليه ، والفاء اعتراضية وفيها شائبة من السببية .

***

٧٠ — * يَصدُّ عن الدنيا إذا عَنّ سؤدد *

شاهد الايجاز

هو من الطويل ، وتمامه :

* ولو برزَتْ فى زِىّ عذراء ناهِدِ *

وقائله أبو تمام من قصيدة (١) يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم ، أولها :

قفوا جدّدوا من عهدكم بالمعاهدِ وإن هى لم تَسمع لِنِشدان ناشِدِ (٢)

(١) ارجع إليها في الديوان (١١٦)

(٢) في الأصول «وإن لم تكن تسمع» ولا يستقيم عربية ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

لقد أطرق الربع المحيلُ لفقدهم وبَيْنَهُمُ إطراقَ ثَكْلانَ فاقد
وأبقَوْا لضيف الشوقِ منِّىَ بعدهم قرى من جوًى سارٍ وطيفٍ مُعَاود[1]
سقته ذعافا عادة الدهر فيهمُ وسم الليالى فوق سم الأساود[2]
به علة صماء للبين لم تُصِخْ لبرء ولم توجِبْ عيادةَ عائد
وفى الكِلَّةِ الوردِيَّةِ اللون جؤذر من العينِ وردى الخدود المجاسد[3]
رمته بخلف بعد ما عاش حِقْبَةً له رَسَفَانٌ فى قيود المواعد[4]
غدَتْ مُغْتَدَى الغضبى وأوصت خيالها بهجران نِضْوِ العيسِ نِضْوِ الخرائد[5]
وقالتْ نكاحُ الحب يفسد شكلَهُ وكم نكحوا حباً وليسَ بفاسد

وهى طويلة ، يقول فى مديحها :

---

(١) فى الديوان «لضيف الحزن»

(٢) فى الأصول «سقته ذعافا غارة الدهر» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، والذعاف : السم السريع القتل ، وأراد بعادة الدهر الرحلة والافتراق وألا يجتمع شمله بشمل أحبابه

(٣) فى الديوان « ورد اللون ورد المجاسد » والكلة ـ بكسر الكاف ـ الستر الرقيق ، والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، والعين ـ بكسر العين ـ جمع أعين أو عيناء ، وهى الواسعة العين ، ويراد بها بقر الوحش ، والمجاسد : الثياب المزعفرة

(٤) أراد بالخلف خلف الوعد بالوصال ، والحقبة : المدة من الزمان ، والرسفان ـ بفتحتين ـ مشى المقيد

(٥) فى الأصول «بحران نضو العيش» محرفا ، فى عدة مواضع ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، والنضو ـ بكسر النون وسكون الضاد ـ المهزول ، والعيس : جمع أعيس أو عيساء ، وأراد بها النوق ، وأراد بنضو العيس الذى أهزله طول السفر ، والخرائد : جمع خريدة ، وهي فى الأصل اللؤلؤة التى لم تثقب ، وأراد بها الفتيات الأبكار

هُمُ حسدوهُ لا ملُومينَ مجدَهُ ... وماحاسدٌ في المكرُماتِ بحاسدِ
قرَاني اللُّهى والوُدَّ حتى كأنما ... أفادَ الغنى من نائلي وفوائدي(١)
فأصبحتُ يلقاني الزمانُ منَ أجلهِ ... بإعظامِ مولود وإشفاقِ والدِ(٢)

وبعده البيت، وبعده:

إذا المرءُ لم يزهدْ وقد صُبِغَتْ لهُ ... بعصفُرِها الدنيا فليس بزاهد(٣)
فوَا كَبِدِي الحرَّى ووا كَبِدَ النوَى ... لِأيامهِ لو كنَّ غيرَ بوائدِ
وَهيهاتَ ما ريبُ الزمانِ بمخلِدٍ ... غريباً ولا ريبُ الزمان بخالد

والزيّ — بكسر الزاي — الهيئة. والعذراء: البكر. والناهد: التي نهد ثديها، أي ارتفع.

والشاهد فيه: وصفه بالإيجاز بالنسبة إلى كلام آخر مساوٍ له في أصل المعنى، وهو البيت الآتي بعده، وهو «إذا المرء لم يزهد - إلخ».

***

٧١ — ولستُ بميَّالٍ إلى جانبِ الغنى ... إذا كانت العَلياءُ في جانبِ الفقرِ ‏ شاهد الاطناب

البيت من الطويل، وهكذا رويته، وإن كان في التلخيص بلفظ «نظار» بدل «ميال». وقائله المعذَّل بن غيلانَ أبو عبد الصمد، أحد الشاعرين المشهورين، روى ذلك عنه الأخفش عن المبرد، ومحمد بن خلف المرزبان عن الربعي(٤)، وبعد البيت:

---

(١) قراني: أصله من القرى وهو ما يقدم للضيفان، وأراد منحني وأعطاني. واللهى - بضم اللام - العطايا

(٢) في الديوان «يلقاني الزمان لأجله»

(٣) في الديوان «بزبرجها الدنيا»

(٤) ذكر ذلك كله وأنشد البيتين أبو الفرج في الأغاني (١٢ - ٥٧)

وإنى لَصبَّارٌ على ما ينوبنى وَحبسكَ أن الله أثنى على الصبر

ورواه صاحب الدرّ الفريد، لأبى سعيد المخزومى، يخاطب به امرأته، وأول الأبيات :

ثِقِى بجميل الصبرِ منى على الهُجْرِ ولا تثق بالصبر منى على الْهَجْرِ

وأراد بالغنى مسَبِّبه، أعنى الراحة، وبالفقر المحنة، يعنى أن السيادة مع التعب والمشقة أحبُّ إليه من الراحة والدَّعَة بدونها.

والشاهد فيه : وصفه بالإطناب بالنسبة إلى مصراع أبى تمام، لأنه مساوٍ له فى أصل المعنى مع قلة حروفه.

ومثل ذلك قول الشَّمَّاخ [من الوافر] :

إذَا مارايةٌ رُفعَتْ لمجد تلقاها عَرَابَةُ باليمينِ

وقول بشر بن أبى خازم [من الوافر] :

إذا ما المكرماتُ رُفعن يوماً وقصَّرَ مُبْتَغُوها عن مَدَاهَا
وَضاقَتْ أذرُعُ الْمُثْرِينَ فيها سما أوسٌ إليها فاحتواهَا

ترجمة المعذل ابن غيلان

وَالمعذل[1] : هو ابن غَيْلَانَ بن الحكم بن البحترى، وكان أبوه غيلان شاعراً أيضاً.

حدث عمارة قال : مرّ المعذل بن غيلان بعبد الله بن سوّار العنبرىّ القاضى، فاستنزله عبد الله، وكان من عادة المعذل أن ينزل عنده، فأبى وأنشده [من الوافر] :

أَمِنْ حق المودة أن نُقضَّى ذِمامكمُ ولا تقضوا ذِماما

(١) من ثنايا ترجمة عبد الصمد بن المعذل من الأغانى (١٢ : ٥٧ - ٧٢) أخذ المؤلف ما ذكره عن أبيه المعذل

وقد قال الأديبُ مقال صدقٍ　　رآهُ الآخرون لهم إماما
إذا أكرمتكم وأهنتمونى　　ولم أغضبْ لذلِكمْ فداما

قال : وانصرف ، فبكر إليه عبد الله بن سوّار ، فقال له : رأيتك أباعبدالله مُغضَباً ، فقال : أجل ، ماتت بنت أُختى ولم تأتنى . قال : ما علمت ذلك ، قال: ذنبك أيسرُ من عذرك ! ومالى أنا أعرف خبر حقوقك ، وأنت لا تعرف خبر حقوقى ؟ فما زال عبدالله يعتذر إليه حتى رضى عنه .

وحدث الجماز قال : هجا أبانُ اللاحِقِيُّ المعذَّلَ بن غيلان ، فقال [من الخفيف] :

كنتُ أمشى مع المعذل يوماً　　ففسا فَسْوَةً فكدتُ أطيرُ
فتلفَّتُّ هل أرَى ظَرِباناً　　من ورائى والأرضُ بى تستديرُ
فإذا ليسَ غيره وإذا إعـــصارُ ذاكَ الفساء منهُ يفورُ
فتعجبتُ ثم قلتُ لقدْ أعــرِقَ فى ذَا فيما أرى خنزيرُ(١)

فأجابه المعذل بقوله [من الرمل] :

صحفَتْ أمُّكَ إذ سمــتكَ فى المهد أبانا
صيرت باء مكان التــاء فاللهُ أعانا(٢)
قطعَ اللهُ وشيكاً　　من مسميكَ اللسانا

وقد رُوى عن المعذل وأبيه شيء من الأخبار والحديث واللغة ليس بالكثير

ومن شعره [من الطويل] :

---

(١) فى الأغانى «لقد أعرف هذا فيما أرى خنزير» وأراه محرفا عما هنا
(٢) فى الأغانى « والله أهانا »

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى أرى صالح الأعمال لا أستطيعها
أرى خَلَّةً فى إخوة وقرابة وذى رحم ما كان مثلى يضيعها
فلو ساعدَتْنِي فى المكارم قدرة لفاضَ عليهم بالنوال ربيعها

ترجمة عبد الصمد بن المعذل

وأما ابن المعذل(١) عبد الصمد ، فكان شاعراً فصيحاً من شعراء الدولة العباسية ، وكان هجّاء خبيث اللسان ، شديد المعارضة ، وكان أخوه أحمد شاعرا أيضا ، إلا أنه كان عفيفا ذا مروءة ودين ، وتقدم عند المعتزلة ، وجاه واسع فى بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه ، وكان يحسده ويهجوه ، فيحلم عنه ، وعبد الصمد أشعرهما ، ومن هجاء أحمد لأخيه عبد الصمد قوله ، وهو فى غاية الأذى مع مافيه من اللطافة [من الرمل] :

قالَ لى أنتَ أخو الكلب وفى ظنّهِ أن قد هجانى واجتهدْ
أحمدُ الله تعالى أنهُ ما درى أنى أخو عبد الصمدْ

***

من شواهد الاطناب

٧٢ — ونُنْكِرُ إن شئنا على الناس قولَهُمْ ولا ينكرون القولَ حين نقولُ

البيت للسَّمَوْأل بن عادياء اليهودى من قصيدة(٢) من الطويل ، أولها :

إذا المرء لم يَدْنَسْ من اللؤم عرضُهُ فكل رداء يرتديه جميلُ
وإنْ هُوَ لم يحمل على النفس ضَيْمَهَا فليس إلى حسن الثناء سبيلُ
تُعيِّرنا أنا قليل عديدُنا فقلت لها إن الكرام قليلُ

(١) فى الأصول « وما أبو المعذل عبد الصمد » محرفا عما أثبتناه ، فأبو المعذل هو غيلان بن الحكم على مامر للمؤلف ، وعبد الصمد بن المعذل شاعر مشهور يذكر أبوه من أجله ، وقد كتب بهامش مطبوعة بولاق كلام لا يقضى العجب منه

(٢) اقرأها في الأمالى لأبى على القالى (١ ـ ٢٦٩)

وما قلَّ مَنْ كانت بقاياه مثلنا شباب تسامت للعلا وكهولُ(١)
وإنا لَقَوْمٌ لا نرى القتل سُبَّة إذا ما رأته عامر وسلولُ(٢)
يقربُ حبُّ الموتِ آجالَنَا لنا وتكرهه آجالهم فتطولُ
وما ماتَ منّا سيدٌ فى فِراشهِ ولاطُلَّ منّا حيثُ كانَ قتيلُ
تَسيلُ على حدِّ الظُّبات نفوسُنَا وليس على غير السُّيوف تسيلُ(٣)

إلى أن يقول فيها :

فنحنُ كماءِ المُزن مافى نِصالنا كَهَامٌ ولا فِينا يعدُّ بخيلُ

وبعده البيت ، وبعده :

إذا سيدٌ منّا خلاَ قامَ سيدٌ قئولٌ لما قالَ الكرامُ فعولُ
وما أُخمِدتْ نارٌ لنا دُون طارق ولا ذمَّنا فى النَّازلينَ نَزيلُ
وأيامُنا مشهورَةٌ فى عدُونا لها غُرَرٌ معرُوفة وحُجُولُ
وأسيافُنَا فى كلّ شرقٍ ومغرب بها من قِراع الدَّارعينَ فلولُ
مُعَوَّدة أنْ لا تُسلَّ نِصالها فتغمدَ حتى يُستباحَ قتيلُ(٤)
سلى إنْ جهلتِ النَّاسَ عنّا وعنهمُ فليسَ سواءٌ عالم وجهولُ

ومعنى البيت : إنا نغير ما نريد تغييره من قول غيرنا ، ولا يجسر أحد على الاعتراض علينا انقيادا لهوانا واقتداء بحزمنا . يصف رياستهم ، ونفاذ حكمهم ، ورجوع الناس فى المهمات إلى رأيهم .

---

(١) حفظى «شباب تسامى للعلا» وهو الموافق لما فى الأمالى
(٢) في الأمالى «ما نرى القتل» وبين هذا البيت والذى قبله في الأمالى ثلاثة أبيات
(٣) فى الأمالى «وليست على غير السيوف»
(٤) فى الأمالى «يستباح قبيل» وهو الموافق لمقام الفخر

والشاهد فيه : وصفه بالاطناب بالنسبة إلى قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) ووصف الآيات الكريمة بالايجاز بالنسبة إليه .

الاستطراد وبعض شواهده

وفى قوله من القصيدة « وإنا لقوم لا نرى القتل سبة — البيت » نوع من البديع يسمى الاستطراد [١] ، وهو : أن يرى الشاعر أنه يريد وصف شيء وهو إنما يريد غيره ، ومنه قول الفرزدق [من الطويل] :

كأنَّ فقاحَ الأزْدِ حَوْلَ ابنِ مِسمعٍ   إذا اجتمعوا أفْوَاهُ بكرِ بنِ وائلِ

وقول جرير [من الكامل] :

لما وضعتُ على الفرزْدقِ مِيسمى   وضغا البعيثُ جدعتُ أنفَ الأخطلِ

ويروى أن الفرزدق وقف على جرير بالبصرة وهو ينشد قصيدته التى هجا فيها الراعى ، فلما بلغ إلى قوله

* بها برصٌ بأسفل أسكتيها *

وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقته ، فقال جرير :

* كعَنْفقَةِ الفرزْدقِ حينَ شابا *

فانصرف الفرزدق وهو يقول : اللهم اخزه ، والله لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ، ولكننى طمعت أن لا يأتى به ، فغطيت وجهى فما أغنى ذلك شيئا ، ويقال : إن يونس كان يقول : ماأرى جريرا قال هذا المصراع إلا حين غطى الفرزدق عنفقته فانه نبهه عليه بتغطيته إياها .

ومن الاستطراد قول أبى تمام فى وصف فرس [من البسيط] :

فلوْ تراهُ مُشيحاً والحصا فِلقٌ   تحت السنابكِ مِنْ مَثْنَى ووُحدانِ

---

(١) انظر كتاب العمدة لابن رشيق (٢ — ٣٧ بتحقيقنا) فأكثر ما ذكر المؤلف هنا من شواهد هذا الفن مروية هناك ، ثم انظر خزانة ابن حجة (٥٦) ونفحات الأزهار للنابلسى (١٥٠)

حلفتَ إنْ لم تثبُتْ أنَّ حافِرهُ   من صخرٍ تدمُرَ أو منْ وجهِ عثمانِ

وقول بكر بن النطاح (١) فى مالك بن طوق [من الطويل]:

عرضتُ عليها ما أرادتْ من المُنى   لترْضى فقالتْ قمْ فجئنى بكوكبِ
فقلتُ لها هـذا التعنُّتُ كلُّه   كمَن يشتهى من لحم عنقاء مُغربِ (٢)
سلى كلَّ أمرٍ يستقيمُ طِلابُهُ   ولا تذهبي يادرّ بى كلَّ مذهبِ
فأقسمُ لوْ أصبحتُ فى عزِّ مالكٍ   وقدرتهِ أعيا بما رُمتِ مطلبى
فتى شقيَتْ أمـوالُه بعفُـاتهِ   كماشقيتْ قيسٌ بأرماح تغلبِ

وقول بعضهم يمدح الوزير المهلبى [من الخفيف]:

بأبى منْ إذا أرادَ سِرارى   عبَّرَتْ لى أنفاسهُ عنْ عبيرِ
وسبانى ثغرٌ كدرٍّ نظيم   تحتـهُ منْطقٌ كَـدرٍّ نثيرِ
ولهُ طَلعـةٌ كنيْلِ الأمانى   أوْ كشعرِ المهلبى الوزيرِ

وقول أبى الطاهر الخزاعى (٣) [من الطويل]:

وليلٍ كوجهِ البرْقعيدى ظلمةً   وبردِ أغانيـهِ وطول قرُونهِ (٤)

---

(١) في الأصل «أبي بكر النطاح» محرفا
(٢) في العمدة «كمن يتشهي لحم عنقاء مغرب»
(٣) قد نسب هذه الأبيات ابن حجة الحموى فى خزانة الأدب (٥٦) إلى أبى محمد بن مكرم ، ونسبها صاحب نفحات الأزهار (١٥٠) نقلا عن الباخرزى فى الدمية إلى الطاهر الحرصى ، وقد بحثت فى دمية الباخرزى من أوله إلى آخره فلم أعثر عليها ، وظاهر أن أحد العلمين اللذين نسب الشعر إليهما هنا وفى النفحات محرف عن الآخر
(٤) فى الأصول «وبردا أغانيه» محرفا من وجهين ، وما أثبتناه موافق لما فى خزانة الأدب لابن حجة الحموى

قَطَعْتُ دَيَاجيهِ بنوْمٍ مُشرَّدٍ كعقل سُليمانَ بن فَهْدٍ ودِينهِ (١)
على أوْلَقٍ فيهِ التفاتٌ كأنهُ أبو جابرٍ فى خبْطه وجنونهِ (٢)
إلى أنْ بدا ضوء الصباح كأنهُ سنا وجهِ قِرْواشٍ وضوء جبينهِ

وقول إسحاق بن إبراهيم يهجو أحمد بن هشام [من الطويل] :

وصافيةٍ يغشى العُيونَ صفاؤها رهينــةِ عامٍ فى الدِّنان وعامِ
أدَرْنابها الكأسَ الرَّويةَ مَوْهِناً منَ اللّيلِ حتى انجابَ كلُّ ظلامِ
فماذرَ قرْنُ الشَّمس حتى رأيتُنا منَ العِيِّ نحكى أحمدَ بنَ هِشامِ

وقول الحسين بن على القمى (٣) [من الكامل]

جاوزتُ أجبالاً كأنَّ صخورها وَجَناتُ نجم ذِى الحياء الباردِ
والشَّوْكُ يعملُ فى ثيابى مثلَ ما عملَ الهجاء بعرض عبدِ الواحدِ (٤)

وقول أبى الفرج الببغاء (٥) [من الطويل] :

لنا روْضة فى الدّار صيغَ لزهرها قلائدُ مِنْ حلى النَّدَى وشُنُوفُ (٦)
يطيفُ بنا مِنها إذا ما تنفستْ نسيمٌ كعقل الخالدِىِّ ضعيفُ

ومن ظريف الاستطراد وغريبه قول بعضهم [من الخفيف] :

اكْشفى وجهكِ الذِى أوْ حلَتْنى فيهِ منْ قبل كَشفهِ عينــاكِ

---

(١) فى الخزانة * قطعت فنومى عن جفونى مشرد *
(٢) الذى فى الخزانة * بذى أولق فيه اعوجاج.... * وهو خير مما هنا
(٣) رواهما ابن حجة فى الخزانة (٥٦)
(٤) فى الخزانة « يفعل . . . فعل الهجاء »
(٥) نسبهما ابن حجة (٥٧) إلى السرى الرفاء
(٦) فى الأصول « قلائد من حمل الندى » وما أثبتناه موافق لما فى الخزانة

غَلَطِي فى هواكِ يشبهُ عندى غلطى فى أبى على بن زاكى

وقول أبى بكر الخوارزمى [من الطويل] :

وصفراء كالدّينار بنتِ ثلاثةٍ شَمَالٍ وأنْهار ودهرٍ مُجرّمِ

مَسَرّةِ محزونٍ وعُذْرِ مُعربدٍ وكنزِ مجوسىٍّ وفتنةِ مُسلمِ

مماتٌ لأحياء حياةٌ لميتٍ وعُدْمٌ لمن أثرَى ثراءٌ لمعدمِ

يدورُ بها ظبىٌ تدورُ عيونُنا على عينه من شرطِ يحيى بن أكثم

ينزّهنا مِنْ ثغرهِ ومُدامه وخدّيه فى شمسٍ وبدرٍ وأنجُمِ

نهضتُ إليها والظلامَ كأنهُ معاشُ فقيرٍ أوْ فؤاد معلّمِ

وقوله [من الكامل] :

ولقدْ بكيتُ عليكَ حتى قدْ بدَا دَمعى يُحاكِى لفظكَ المنظوما

ولقد حزنتُ عليكَ حتى قد حكى قلبى فؤادَ حسودِكَ المحموما

ومنه قول ابن رشيق وكتب به إلى بعض الرؤساء [من المقتضب] :

إنى لَقيتُ مَشقّهْ فابعث إلىّ بشُقّهْ

كمثلِ وجهك حسناً ومثلِ دينىَ رِقّهْ

فقال له الرئيس : أما مثل دينك رقة فلا يوجد بوزن أمثال ومال الرقة

ولشرف الدين ابن عنين الشاعر على هذا الأسلوب فى فقيهين كانا بدمشق يدعى أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس [من الكامل] :

البغلُ والجاموسُ فى جدَليهما قد أصبحا عظةً لكل مُناظرِ

برزَا عَشيّةَ ليلةٍ فتباحثَا هذا بقَرْنَيْهِ وذَا بالحافرِ

ما أتقنا غيرَ الصِّياح كأنما لقيا جدالَ المرتضى بن عساكرِ

لفظٌ طويلٌ تحتَ معنى قاصرٍ كالعقل فى عبدِ اللّطيف النّاظرِ

اثنان مالَهُمَا وحقكَ ثالثٌ   إلاّ رَقاعة مدْلَوَيْهِ الشاعر

ومنه قول ابن جابر الأندلسى [من الطويل] :

تطولُ بهِ للمجدِ أشرفُ هِمةٍ   فما باعهُ عنْ غايةٍ بقصير

سما لاقتناص المكرُمات كما سَمَا   بعمرٍو إلى الزَّبَّاء سعىُ قصير

وقوله أيضاً [من الطويل] :

سراةٌ كِرامٌ من ذُؤابةِ هاشمٍ   يقولونَ للأضيافِ أهلاً ومَرْحبا

ويفعلُ فى فقر الْمقلّينَ جودهمْ   كفعل علىّ يومَ حارب مَرْحَبا

ترجمة السموأل

والسموأل (١) : هو ابن غريض (٢) بن عادياء ، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكرى عن الطوسى وأبى حبيب ، وذكر أن الناس يدرجون غريضاً فى النسب وينسبونه إلى عادياء جده ، وقال عمرو بن شيبة : هو السموأل ابن عادياء ، ولم يذكر غريضا ، وقد قيل : إن أمه كانت من غسان ، وكلهم قال: إنه صاحب الحِصْن المعروف بالأبلق بتَيْماء ، وقيل : بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وكان هذا الحصن لجده عادياء واحتفر فيه بئراً عذبة روية ، وقد ذكرته الشعراء فى أشعارها ، قال السموأل [من المتقارب] :

فبالأبلق الفردِ بيتى بهِ   وبيت النضير سوَى الأبلق

وكانت العرب تنزل به فيضيفها ، وتمتار من حصنه ، ويقيم هناك سوقا . وبه يضرب المثل فى الوفاء لأنه رضى بقتل ابنه ولم يخن أمانته فى أدراع أودعها وكان السبب فى ذلك أن امرأ القيس بن حجر الكندى لما سار إلى الشام يريد قيصر نزل على السموأل بن عادياء بحصنه الأبلق بعد إيقاعه ببنى كنانة على أنهم

(١) له ترجمة فى الأغانى (١٩ - ٩٨)
(٢) فى الأصول «عريض» بالعين مهملة فى كل المواضع، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

بنو أسد وكراهة من معه لفعله، وتفرقهم عنه، حتى بقى وحده واحتاج إلى الهرب، وطلبه المنذر بن ماء السماء ووَجَّه إلى طلبه جيوشا، وخذلته حمير وتفرقت عنه، فلجأ إلى السموأل بن عادياء، وكان معه خمسة أدراع: الفضفاضة، والضافية، والمحصنة، والخريق (١)، وأم الذيول. وكانت لبنى آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك، ومعه ابنته هند، وابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث، وسلاح ومال وكان بقى مما (٢) كان معه رجل من بنى فزارة يقال له الربيع، وهو الذى قال فيه امرؤ القيس [من الطويل]:

بكى صاحبى لما رَأى الدَّربَ دُونهُ ... وأيقنَ أنَّا لاحِقانِ بقيصرَا

فقلتُ لهُ لا تبكِ عينكَ إنما ... نحاولُ ملكا أو نموتَ فنعذرَا

فقال له الفزارى: قل فى السموأل شعراً تمدحه به فان الشعر يعجبه، فقال فيه امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها [من الكامل]:

طَرَقَتْكَ هند بعدَ طولِ تَجَنُّبِ ... وَهْناً ولم تكُ قبلَ ذلكَ تطرقُ

فقال له الفزارى: إن السموأل يمنع منها (٣) وهو فى حصن حصين ومال كثير، فقدم به على السموأل وعرفه إياه وأنشده الشعر، فعرف لهما حقهما، وضرب على هند قبة من أدم، وأنزل القوم فى مجلس له، فأقاموا عنده ما شاء الله ثم إن امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث ابن أبى شمر الغسانى

---

(١) فى الأصول «الحريق» بالحاء مهملة، وأثبتنا ما فى الأغانى

(٢) من حق التعبير أن يقول «ممن كان معه» ولكنه أخذ عبارة الأغانى وأسقط منها كلمات فجاءت العبارة كما ترى، وأصل العبارة في الأغانى «وسلاح ومال كان بقى معه، ورجل من بنى فزارة - إلخ»

(٣) فى الأصول «يمنع منك» وما أثبتناه عن الأغانى، وفيه زيادة «حتى يرى ذات عينيك» والمعنى أنه يحميها إلى أن تعود بنفسك

أن يوصله إلى قيصر ، ففعل ، واستصحب رجلا يدله على الطريق ، وأودع ابنته وماله وأدراعه السموأل ، ورحل إلى الشام ، وخلف ابن عمه مع ابنته هند .

قال : ونزل الحارث بن ظالم فى بعض غاراته بالأبلق ، ويقال : بل كان المنذر وَجّهه فى خيل وأمره بأخذ مال امرىء القيس من السموأل ، فلما نزل به تحصن منه ، وكان له ابن قد يَفَعَ وخرج إلى قَنَصٍ له ، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم ، ثم قال للسموأل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم هذا ابنى ، فقال : أفتسلم ما قبلك أو أقتله ؟ قال : شأنك به فلست أخفر ذمتى ولا أسلم مال جارى ، فضرب الحارث وسط الغلام فقتله وقطعه قطعتين ، وانصرف عنه ، فقال السموأل فى ذلك [من الوافر] :

وفيتُ بأدْرعِ الكندِىِّ إنى ... إذا ما ذمّ أقوامٌ وفيتُ

وأوْصى عادِيا يوماً بِأن لا ... تُهدِّمَ يا سموألُ ما بنيتُ

بنى لى عادِيا حِصناً حصيناً ... وبئراً كلما شئتُ استقيتُ

وفى ذلك يقول الأعشى — وكان قد استجار بشريح بن السموأل من رجل كَلْبى قد هجاه ، ثم ظفر به فأسره وهو لا يعرفه ، فنزل بابن السموأل فأحسن ضيافته ، ومر بالأسرى فناداه الأعشى من جملة أبيات [من البسيط] :

كنْ كالسموأل إذ طافَ الهمامُ بهِ ... فى عسكر كسوادِ الليل جرَّار

إذ سامه خُطَّتَىْ خَسْفٍ فقال لهُ ... قُل ما تشاء فإنى سامعٌ حار[١]

فقال غدْرٌ وثُكلٌ أنتَ بينهما ... فاخترْ ، وما فيهما حَظٌّ لمختار

فشكَّ غيرَ طويلٍ ثمَّ قال لهُ ... اقتلْ أسيركَ إنى مانعٌ جارى

---

(١) فى الأصول « فانى سامع جارى » محرفا ، وما ثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وحار : مرخم حارث

وسوف يُعْقبنيهِ إنْ ظفِرْتَ بهِ رب كريم وبيض ذاتُ أطْهار
لا سرُّهنَّ لدينا ذاهبٌ أبداً وحافظات إذا استُودِعْنَ أسراري (١)
فاختارَ أدْراعهُ كيلا يُسَبَّ بها ولم يكنْ وعدهُ فيها بختَّارِ

فجاء شريح إلى الكلبي فقال له : هب لى هذا الأسير المضرور ، فقال : هو لك ، فأطلقه ، وقال له : أقم عندى حتى أكرمك وأجيزك ، فقال له الأعشى : إن تمام صنيعك أن تعطيني ناقة نجيبة ، فأعطاه ناقة ناجية ، فركبها ومضى من ساعته ، و بلغ الكلبي أن الذى وهب لشريح هو الأعشى ، فأرسل إلى شريح : ابعث إلى الأسير الذى وهبته لك حتى أحبوه وأعطيه ، فقال : قد مضى ، فأرسل الكلبي و راءه فلم يلحقه

وشعية بن غريض (٢) أخو السموأل شاعر أيضا ، ومن شعره [من السريع] :

إنا إذا مالتْ دَواعي الهوَى وأنصتَ السامعُ للقائل
لا نجعلُ الباطلَ حقًّا ، ولا نُلِظُّ دُون الحق بالباطل (٣)
نخاف أنْ تَسْفَهَ أحلامُنا فنخملَ الدَّهرَ معَ الخامل

عن العتبي قال : كان معاوية رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل إذا اجتمع الناس فى مجلسه بهذا الشعر

وعن يوسف بن الماجشون قال : كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه فأنشده هذه الأبيات ، ثم يجتهد فى الحق بين الخصمين .

---

(١) فى الأصول « لاتشرهن لدنيا » محرفا من عدة وجوه وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى الأصول « وسعيد بن عريض » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى معجم الشعراء للمرزبانى ، ووقع فى الأغانى « سعية بن غريض » بالسين المهملة ، وهو تحريف أيضا .

(٣) فى الأصول « نلط » بالطاء مهملة

قد تم — بعون الله تعالى وحسن تيسيره — طبع الجزء الأول من كتاب « معاهد التنصيص، على شواهد التلخيص » للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى ويتلوه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثانى، مفتتحاً بشواهد الفن الثانى، وهو علم البيان، نسأل الذى بيده مقاليد الأمور أن يعين على إكماله، ويُيَسّر سبيل اختتامه، آمين ؟

معاهد التنصيص

على شواهد التلخيص

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي

المتوفى في عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه

محمد محيي الدين عبد الحميد

مفتش العلوم الدينية والعربية

بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

الجزء الثاني

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط ، وبإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها
مصطفى محمد

شواهد الفن الثانى ، وهو علم البيان

٧٣ — وكأنَّ مُحْمرَّ الشَّقيـــقِ إذا تصوَّبَ أوتصعَّدْ
أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ نَ على رماح من زَبَرْجَدْ

شاهد التشبيه الخيالى

البيتان من الكامل المجزوء المرفل ، ولم أقف على اسم قائلهما ، ورأيت بعض أهل العصر نسبهما فى مصنف له إلى الصنوبرى الشاعر .

والشقيق: أراد به شقائق النعمان، وهو النَّوْرُ المعروف ، و يطلق على الواحد والجمع ، وسمى بذلك لحمرته تشبيها بشقيقة البرق ، وأضيف إلى النعمان بن المنذر — وهو آخر ملوك الحيرة — لأنه خرج إلى ظهر الحيرة وقد اعتم نبته ما بين أصفر وأحمر وأخضر ، و إذا فيه من هذه الشقائق شىء كثير ، فقال: ماأحسنها! احْمُوها ، فكان أول من حماها ، فنسبت إليه .

وكان أبو العَمَيْثَل يقول : النعمان اسم من أسماء الدم ، ولذلك قيل شقائق النعمان نسبت إلى الدم لحمرتها . قال : وقولهم « إنها منسوبة إلى النعمان بن المنذر » ليس بشىء . قال : وحدثت الأصمعى بهذا فنقله عنى ، انتهى . والذى قدمناه هو الذى ذكره أرباب اللغة .

والشاهد فيهما : التشبيه الخيالى ، وهو المعدوم الذى فرض مجتمعاً من أمور كلٌ واحدٍ منها مما يدرك بالحس ، فان الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية مما لايدركه الحس ، إنما يدرك ما هو موجود فى المادة حاضر عند المدرك على هيآت محسوسة مخصوصة ، لكن مادته التى تركب منها كالأعلام والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر .

وقريب من هذا النوع قول بعضهم [من المقتضب] :

كلنا باسِطُ اليدِ نحوَ نَيلو فَرَندى
كدَبابيسِ عسجَدٍ قُضْبُها من زَبَرْجَدِ

هذا الصنوبري أيضاً !! انتظم

ومثله قول أبى الغنائم الحمصى [من مجزوء الكامل] :

خودٌ كأنّ بنانها في خُضْرَةِ النقْشِ المزَرَّدْ
سمكٌ من البلورِ في شَبَكٍ تَكَوَّنَ من زبرجد

وقد تفنن الشعراء في وصف الشقائق : فمما ورد من ذلك قول ابن الرومى أو الأخيطل الأهوازى [من البسيط] :

وصف الشعراء للشقائق

هذى الشقائِقُ قد أبصرْتُ حُمْرَتها مع السواد على قُضبانها الذُّبُلِ
كأنها أدمعٌ قد غسلت كُحُلاً جادت بها وقفة فى وَجْنَتَيْ خَجِلِ

وقول سيدوك الواسطى [من مجزوء الكامل] :

انظر إلى مُقَلِ العقيق تَضَمَّنَتْ حدق السبج
من فوق قامات حُسُنٍ وما سَمِجْنَ من العوَجْ

وقول الخباز البلدى من أبيات [من الوافر] :

إلى الروض الذى قد أضْحكتْهُ شآبيبُ السَّحائِبِ بالبكاءِ
كأن شقائق النعمانِ فيه ثيابٌ قد رَوِينَ من الدماء

وقول ولد القاضى عياض رحمهما الله تعالى [من السريع] :

انظر إلى الزَّرع وخاماته تحكى وقد ولَّتْ أمام الرياحْ
كتيبةً خضراء مهزومةً شقائق النعمان فيها جِراحْ

وقول الخالدى أيضاً [من الوافر] :

وصبغ شقائق النعمان يحكى يواقيتاً نُظِمْنَ على اقترانِ
وأحياناً تُشبِّهها خدُوداً كساها الرَّاحُ ثوباً أرجوانى
شقائق مثلُ أقداحٍ مِلاء وخشخاشٌ كفارغةِ القنانى
ولما غازَلَتْنا الرِّيح خِلْنا بها جَيْشَيْ وغىً يتقاتلانِ

وقول الصنوبرى [من الوافر] :

وجوهُ شقائقٍ تبدو وتخفى على قُضُبٍ تميسُ بهنَّ ضعفا
تراها كالعذارى مُسبلاتٍ عليها من حميمِ الشَّعْرِ سِجفا
إذا طلعت أرتكَ السُرجَ تذكى وان غربت أرتك السرج تطفا
تخالُ إذا هى اعتدلت قَواماً زُجاجاتٍ ملئنَ الراحَ صِرفا
تنازعتِ الخدودَ الحمر حُسناً فما قد أخطأتْ منهن وصفا

وقول ابن الدويدة [من المتقارب] :

كأن الشقائق والأقحُوانَ خُدُود تقبِّلُهنَّ الثُغُور
فهاتيكَ أخجلَهن الحياء وهاتيكَ أضحكهن السُرور

وقول أبى الحسن بن وكيع من أرجوزة [من الرجز] :

يضحك فيهـا زَهَرُ الشقيق كأنه مداهِنُ العقيـقِ
مُضَمَّنات قطعاً من السَّبَجْ فأشرقت بين احمرار ودعَجْ
كأنما المحمَرُّ فى المسوَدِّ منهُ إذا لاح عيونُ الرُّمْدِ

وقول أبى الفضل الميكالى [من الطويل] :

تَصوغُ لنا أيدى الرَّبيع حدائقاً كعِقد عقيقٍ بين سِمطِ لآلِ
وفيهن أنوارُ الشقائق قد حكَتْ خدودَ عذارَى نُقِّطَتْ بغوَالى

وقول الخبزأرزى أيضاً [من المنسرح] :

وروضَةٍ راضَها النَّدى فَغَدَتْ لها من الزَّهْرِ أنجُمٌ زُهُرُ
تَنْشُر فيها أيدى الربيع لنـا ثوباً من الوَشْيِ حاكه القَطْرُ
كأنما شُقَّ من شـقائقِها على رُباها مطارفٌ خُضُرُ
ثم تبـدَّتْ كأنهـا حَدَقٌ أجفانُها من دِمائهـا حُمُـرُ

* * *

٧٤ — * ومَسْنُونة زُرْق كأنياب أغوالِ *

شاهد التشبيه الوهمى

هو من الطويل ، وصدره :

* أيقتلنى والمشرفىُّ مضاجعى *

وقائله امرؤ القيس الكندىّ ، من قصيدة (١) أولها :

ألاَ عِمْ صباحاً أيها الطَّلَلُ البالى ... وهلْ يعِمَنْ من كان فى العُصُرِ الخالى

وهلْ يَعِمَنْ إلا سعيدٌ مُخَلَّدٌ ... قليلُ همُومٍ ما يبيتُ بأوجالِ (٢)

وهلْ يعمنْ مَنْ كان آخرُ عهدِه ... ثلاثين شهراً أو ثلاثةَ أحوالِ (٣)

دِيارٌ لسلمَى عافياتٌ بِذِى الخالِ ... أَلَحَّ عليها كلُّ أسْحَمَ هطّالِ

وتحسبُ سلمَى لا تزال كعهدنا ... بِوادى الخُزامى أوعلى رأسِ أوعالِ

ألاَ زعمتْ بسباسةُ اليومَ أننى ... كبرْتُ وأن لايشهدَ اللهوَ أمثالى (٤)

بلَى رُبَّ يومٍ قدْ لهوتُ وليلةٍ ... بآنسةٍ كأنها خطُّ تمثالِ

يُضِئُ الفراشَ وَجْهُها لضجيعها ... كمصباحِ زَيْتٍ فى قناديل ذُبّالِ

إذا ما الضجيعُ ابتزّها منْ ثيابها ... تميلُ عليه هونةً غيرَ معطالِ (٥)

كدعصِ النقَا يمشى الوَليدانِ فوقهُ ... لما احتسبا من لين مسٍّ وتسهالِ (٦)

---

(١) انظرها فى الديوان (١٣٧)

(٢) فى الديوان «قليل الهموم»

(٣) فى الديوان «أحدث عهده» وفيه «فى ثلاثة أحوال»

(٤) فى الديوان « وألا يحسن السر أمثالى»

(٥) فى الديوان « غير مجبال » وغير مجبال : أى ليست فظة ولا غليظة

(٦) فى الديوان « كحقف النقا » وفيه « بما احتسبا»

إذا ما استحمّتْ كانَ فيضُ حميمِها على مَتْنتَيها كالجُمان لدى الجالى (١)
تنوّرتُها من أذرعاتٍ وأهلُها بيثربَ أدنى دارِها نظرٌ عالى
نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصابيحُ رُهبانٍ تُشَبُّ لِقُفّالِ (٢)
سَمَوْتُ إليها بعدَ ما نامَ أهلُها سُمُوَّ حَبابِ الماء حالاً على حالِ
فقالت سباكَ اللهُ إنكَ فاضِحِي ألست ترى السُّمّارَ والناسَ أحوالى
فقلتُ يمينُ اللهِ لا أنا بارحٌ ولو قطعوا رأسى لديكِ وأوصالى (٣)
فلما تنازعنا الحديثَ وأسمحَتْ هصرتُ بغصنٍ ذى شَماريخَ ميالِ
فصرنا إلى الحُسنى ورقّ كلامُنا ورُضْتُ فذَلت صعبة أىّ إذلال
حلفتُ لها باللهِ حلفةَ فاجرٍ لناموا فما إن من حديثٍ ولاصالى
فأصبحْتُ معشوقاً وأصبحَ بعلُها عليهِ قَتامٌ كاسفُ اللونِ والبالِ (٤)
يَغُطُّ غطيطَ البكرِ شُدَّ خناقُهُ ليقتلَنى والمرء ليسَ بقتّالِ

وبعده البيت، وبعده :

وليسَ بذى سيف فيقتلنى بهِ وليسَ بذى رُمحٍ وليسَ بنبّالِ
أيقتلنى وقدْ قطرتُ فؤادها كما قطرَ المهنوءةَ الرّجلُ الطالى (٥)

---

(١) فى الأصل « لدى الحالى » بالحاء مهملة، وليس بشىء. وما أثبتناه عن الديوان، والجالى : صراف الدراهم

(٢) تشب : توقد، والقفال : جمع قافل من قفل من الغزو والسفر إذا رجع

(٣) فى الديوان « يمين الله أبرح قاعدا » وهذا هو المحفوظ، وهو من شواهد النحاة على حذف حرف النفى بعد القسم، وما فى الأصل ضعيف فى العربية

(٤) فى الديوان « عليه القتام سىء الظن والبال »

(٥) فى الديوان :

ليقتلنى أنى شغفت فؤادها كما شغف المهنوءة الرجل الطالى

وقدْ علمَتْ سلمَى وَإن كان بعلها ... بأنَّ الفتى يهذى وليس بفعَّالِ
وما ذَا عليه إن ذكرتُ أوَانساً ... كغزلان رملٍ فى محاريب أقوالِ (١)

وهى طويلة .

والمشرفىّ — بفتح الميم والراء — نسبة إلى مشارف الشام ، وهى قرى من أرض العرب ، تدنو من الريف ، منها السيوف المشرفية . والمسنون : المحدد المصقول ، ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها ، وكونها مَجْلُوة ، وأراد بقوله « أنياب أغوال » أى شياطين ، وإنما أراد أن يُهَوّل . قال أبو نصر : سألت الأصمعىّ عن الغول ، فقال : همرجة من همرجة الجنّ .

والشاهد فيه : التشبيه الوهمىّ ، وهو الغير المدرك (٢) بإحدى الحواس ، ولكنه بحيث لو أُدركَ لكان مدركا بها ، فإن أنياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم تحققها ، مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر .

وذكرت بأول القصيدة ما حكاه ناشب بن هلال الحرّانى الواعظ البديهى — وكان يلقب به لقوله الشعر بديهاً — قال : قصدت ُديار بكر متكسباً بالوعظ ، فلما نزلت قلعة ماردين دعانى بها صاحبها تمرداس بن المغان بن أرتق للإفطار عنده فى شهر رمضان ، فحضرت إليه ، فلم يرفع مجلسى ولم يكرمنى ، وقال بعد الافطار لغلام عنده : إئتنا بكتاب ، فجاء به ، فقال له : ادفعه إلى الشيخ ليقرأ فيه ، فازداد غيظى لذلك ، وفتحت الكتاب ، فإذا هو ديوان امرىء القيس ، وإذا أول ما فيه :

ألاَ عِمْ صباحاً أيها الطَلَلُ البالى ... وهل يَعِمَنْ من كانَ فى العُصُرِ الخالى

---

(١) الأقوال : جمع قيل ، وهو من يلى الملك من ملوك حمير

(٢) من حق الاستعمال العربى أن يقال « غير المدرك باحدى الحواس »

فقلت فى نفسى : أنا ضيف وغريب ، وأستفتح ما أقرأه على سلطان كبير وقد مضى هزيع من الليل ألاعِمْ صباحاً ، فقلت :

ألاَ عِمْ مساء أيها الملكُ العالى ... ولاَ زلْتَ فى عز يدومُ و إقبالِ

ثم أتممت القصيدة ، فتهلل وجه السلطان لذلك ، ورفع مجلسى ، وأدنانى إليه ، وكان ذلك سبب حظوتى عنده .

***

شاهد التشبيه التخييلى

٧٥ — وكأنّ النُّجُومَ بينَ دُجاها ... سُنن لاحَ بينهنَّ ٱبتداعُ

البيت للقاضى التنوخىّ ، من أبيات من الخفيف ، أولها[٢] :

رُبّ ليلٍ قطعتُهُ بِصدُودِ ... أو فراقٍ ما كانَ فيه وَدَاعُ

موحشٍ كالثقيلِ تقذَى بهِ العيـــنُ ... وتأبى حديثَه الأسماعُ

و بعده البيت ، و بعده :

مُشْرِقاتٌ كأنهنّ حجاجٌ ... تقطعُ الخصمَ والظلامَ انقطاعُ

وكأنّ السماء خيمةُ وَشْيٍ ... وكأنّ الجوزاء فيها شراعُ

والدجى : جمع دُجْية ، وهى الظلمة ، والضمير راجع إلى الليالى أو النجوم ، و الابتداع : الحدث فى الدين بعد الكمال ، أو ما استحدث بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الأهواء والأعمال .

والشاهد فيه : التشبيه التخييلى ، وهو أن لا يوجد فى أحد الطرفين أو فى كليهما إلا على سبيل التخييل والتأويل ، ووجهه فى هذا البيت هو : الهيئة

---

(١) اقرأها فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢ — ٣٣٦ بتحقيقنا) وفيها بيت سادس ، وهو قوله :

كان ليلا فصيرته نهارا ... كتب تكبت العدى ورقاع

الحاصلة من حصول أشياء مُشْرِقة بيض فى جوانب شىء مظلم أسود ، فتلك الهيئة غير موجودة فى المشبه به إلا على طريق التخييل ، وذلكَ أنه لما كانت البدعة وكل ما هو جهل تجعل صاحبها كمن يمشى فى الظلمة فلا يهتدى للطريق ولا يأمن أن ينال مكروها شبهت بالظلمة ، ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكل ما هو علم بالنور ، لأن السنة والعلم تقابل البدعة والجهل ، كما أن النور يقابل الظلمة .

ترجمة القاضى التنوخى

والقاضى (١) التنوخى : هو على بن محمد بن داود ، ابو القاسم التنوخى ، قدم بغداد ، وتفقه على مذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى ، وكان حافظاً للشعر ، ذكيا وله عروض بديع ، وولى القضاء بعدة بلدان ، وهو والد أبى على المحسن (٢) التنوخى صاحب « نشوار المحاضرة » وكتاب « الفرج بعد الشدة » وغيرهما . وكان أبو القاسم هذا بصيراً بعلم النجوم ، قرأ على الكسائى المنجم ، ويقال : إنه كان يقوم بعشرة علوم ، وكان يحفظ للطائيين سبعمائة قصيدة ومقطوعة ، سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين وغيرهم ، وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً كثيراً ، وكان فى الفقه والفرائض والشروط غاية ، واشتهر بالكلام والمنطق والهندسة ، وكان فى الهيئة قدوة .

وقال الثعالبى فى حقه رحمهما الله تعالى : هو كما قرأته فى فصل للصاحب (٣) إن أردت فانى سبحة ناسك ، أو أحببت فانى تفاحة فاتك ، أو اقترحت فانى مدرعة راهب ، أو آثرت فانى نخبة شارب .

وكان الوزير المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جدا ، ويتعصبون له ، ويَعُدُّونه ريحانة الندماء وتاريخ (٤) الظرفاء ، ويعاشرون منه من تطيب عشرته

---

(١) له ترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢ - ٣٣٥ - ٣٤٥ بتحقيقنا)

(٢) فى الأصول « أبى على الحسن » محرفا ، ولأبى على ترجمة فى اليتيمة تتلو ترجمة والده

(٣) يريد الصاحب بن عباد

(٤) كذا فى الأصول ونسخ اليتيمة ، وأحسبه محرفا عن « ونارنج الظرفاء »

وتلين قشرته ، وتكرم أخلاقه [وتحسن أخباره][١] ، وتسير أشعاره [ناظمة][٢] حاشيتي البر والبحر، وناحيتي الشرق والغرب .

ويحكى أنه كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده فى الأسبوع ليلتين على آطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة ، وهم ابن قريعة وابن معروف والأيذجي وغيرهم ، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبي ، فاذا تكامل الأنس ، وطاب المجلس ، ولذ السماع ، وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا أثواب الوقار للعقار ، وتقلبوا فى أعطاف العيش ، بين الخفة والطيش ، ووضع فى يد كل منهم طاس من ذهب ألف مثقال مملوء شراباً قطربليا أو عكبريا ، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ثم يرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون بأجمعهم ، وعليهم المصبغات ومخانق البرم ، وإياهم عنى السرى الرفاء بقوله [من المنسرح] :

مَجالسٌ تَرقُصُ القضاةُ بها   إذا انتَشَوْا فى مَخانِقِ البُرَمِ
وصاحبٌ يَخلط المجونَ لنا   بِشيمةٍ حُلوَةٍ من الشِّيَمِ
تَخضِبُ بالراح شَيبهُ عَنَبَا   أناملٌ مثل حمرة العَنَمِ
حتى تَخالَ العيونُ شيبتَهُ   شيبةَ عثمانَ ضُرِّجت بدَمِ

فاذا أصبحوا عادوا لعادتهم من التزام التوقر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء .

وكان له غلام يؤثره على غيره من غلمانه يسمى نسيما ، فكتب إلى القاضى التنوخى بعضُ أصحابه [من الرمل] :

هل علىَّ لامهُ مُدْغمةٌ   لاضطرار الوَزنِ فى ميمِ نَسيمِ ؟

---

(١) الزيادة عن يتيمة الدهر

فوقع تحته، نعم، ولم لا؟!

وقال منصور الخالدى: كنت ذات ليلة عند التنوخى فى ضيافة، فأغفى إغفاءة فخرج منه ريح، فضحك بعض القوم، فانتبه بضحكه وقال: لعل ريحاً، فسكتنا من هيبته، فمكث ساعة ثم قال: [من الطويل]:

إذ نامت العينانِ من مُتَيَقِّظ ... تراخَتْ بلاشكٍ تشاريجُ فقحتهْ

فمن كانَ ذا عقلٍ فيعذر نائماً ... ومن كان ذا جهل ففى جَوفِ لحيته

وهذه نبذة من شعره.

قال من قصيدة كثيرة العيون، وكان الصاحب بن عباد يفضلها على سائر شعره [ويرى أنها من أمهات قلائده][(١)] وهى [من الكامل]:

أُحْببْ إلىَّ بنهر مَعْقِلٍ الذى ... فيـهِ لقَلبى من همومى معقِلُ

عَذْبٌ إذا ما عبَّ منـهُ ناهلٌ ... فكأنه من ريق حِبٍّ يَنْهَلُ[(٢)]

متَسَلسلٌ وكأنهُ لِصَفَائه ... دمعٌ بخدَّى كاعبٍ يتسلسلُ

وإذا الرِّياح جَرَين فوق متونه ... فكأنه دِرْعٌ جلاها صيقلُ[(٣)]

وكأنَّ دجلةَ إذ تغطغط مَوْجها ... ملك يُعظِّم خيفةً ويبجل

وكأنه ياقوتة أو أعين ... زرق يلاءم بينها ويوصل[(٤)]

---

(١) الزيادة عن يتيمة الدهر فان هذه الترجمة نقلت بحذافيرها عنها، وإن لم تكن مساقتها على ترتيبها هناك

(٢) فى اليتيمة «إذا ماعب فيه»

(٣) فى الأصل «فكأنها درع» محرفا، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة، والضمير يعود إلى النهر وهو مذكر، وفى اليتيمة «علاها صيقل» وأراها محرفة عما هنا

(٤) فى اليتيمة «وكأنها ياقوتة» ولكل منهما وجه، فان الضمير هنا يجوز أن يعود إلى النهر، وإلى دجلة ولفظها مؤنث

عذبت فما ندري أماء ماؤها عند المذاقة أم رَحيقٌ سَلْسَل
ولها بمدٍّ بعد جَزْر ذاهبٍ جيشان يُدْبر ذا وهذا يقْبل
وإذا نظرت إلى الأُبُلَّةِ خلتها من جنة الفردوس حين تخيَّلُ
كم منزل فى نهرها آلى السرو ر بأنه فى غيره لا ينزل
وكأنما تلك القصور عرائس والروض حَلْى فهى فيه تَرْفُل
غنَّتْ قِيان الوُرْق فى أرجائها هَزَجاً يقلُّ له الثقيلُ الأولُ
وتعانقت تلك الغصون فأذكرت يومَ الوداع وعِيرُهُمْ تترحَّلُ
ربع الربيع بها فحاكت كفُّه حللا بها عقَدُ الهموم تحلل
فمدبَّج وموشَّح ومدنَّر ومعمد ومحبر ومهلهل
فتخال ذا عيْناً وذا ثغراً وذا خَدًّا يعضض مرة ويقبل

ومن شعره أيضاً قوله [من السريع] :

كأنما المرِّيخُ والمشتَرِى أمامَهُ فى شامِخ الرِّفعه (١)
مُنصَرِف بالليل عن دَعوة قد أُوقدَتْ قُدامَهُ شمعه (٢)

ومثله قول أبى عتيق السفار [من الرمل] :

وكأنَّ البدرَ والمرِّيـخ إذْ وافى إليهِ
ملكٌ توقدُ ليلاً شمْعةٌ بين يديه

رجع إلى شعر القاضى التنوخى رحمه الله ، قال [من الطويل] :

---

(١) فى اليتيمة « قدامه » فى مكان « أمامه » وكذا فى كتب البيان ، وفى التلخيص فيما يأتى

(٢) فى اليتيمة « قد أسرجوا » فى مكان « قد أوقدت »

وليلة مشتاق كأن نجومها قد اغتصبت عيني الكرى فهي نُوَّمُ(١)
كأنّ سَوَادَ الليلِ والفجر ضاحكٌ يلوحُ ويخفى أسودٌ يتبسمُ

وله أيضاً في غور الكواكب عند الصباح [من البسيط] :

عهدِي بها وضياء الصبح يطفئها كالسُّرْج تُطفأ أو كالأعينِ العورِ
أعجبْ بها حينَ وافى وهيَ نيرةٌ فظلَّ يطمسُ منها النورُ بالنورِ

وكتب إلى الوزير المهلبي ، وقد منعه المطر من خدمته [من الطويل] :

سَحابٌ أتى كالأمن بعد تخوفٍ له في الثرى فعلُ الشفاء بمدْنَفِ
أكبَّ على الآفاق إطراقَ مطرقٍ يفكرُ أو كالنادمِ المتلهف(٢)
ومدَّ جناحيه على الأرض جانحاً فراحَ عليها كالغراب المرفْرِفِ
غدَا البرُّ بحراً زاخراً وانثنى الضحى بظلمته في ثوب ليلٍ مُسجَّفِ
يعبسُ عنْ برْقٍ به مُتبسمٍ عبُوسَ بخيلٍ في تبسم مُعتفى
تُحاولُ منهُ الشمسُ في الجوّ مخرَجاً كما حاولَ المغلوبُ تجريدَ مرْهَفِ

***

أين هذا من قول ابن المعتز رحمه الله [من الوافر] :

تحاولُ فتقَ غيمٍ وهوَ يأبى كعنينٍ يريدُ نكاحَ بكرِ

***

أسلسال ماء أمْ سُلافةُ قرْقفٍ فأفرغَ ماء قالَ واردُ حوضه(٣)

---

(١) في اليتيمة «وهي قوم» وبين البيتين في اليتيمة بيت آخر ، وهو
كأن عيون الساهرين لطولها إذا شخصت لأنجم الزهر أنجم
(٢) في الأصل « أو كالنائم المتلهف » وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة
(٣) في اليتيمة « فأترع ماء»

أَبى رحمةً للناس غيرى ، فإنه عليَّ عذاب ماله من تَكَشُّفِ
سحاب عدَا بى عن سحاب، وعارضٌ مُنعتُ بِهِ من عارض متكفكِفِ

أخذه من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك الزيات [من الخفيف] :

لستُ أدرى ما ذا أذمّ وأشكو مِنْ سماء تعوقنى عن سَماء

ومن شعر القاضى التنوخىّ أيضاً [1] [من البسيط] :

أَما ترى البردَ قد وافتْ عساكرُه وعسكر الحرّ كيف انصاع منطلقَا
فالأرض تحت ضريب الثلج تحسبُها قد أُلبستْ حُبُكاً أو غُشيت ورقَا
فانهض بنار إلى فحم كأنهما فى العين ظلمٌ وإنصافٌ قد اتفقا
جاءتْ ونحن كقلب الصب حين سلا برداً فصرنا كقلب الصب إذ عشقا

ومنه أيضاً [2] [من الطويل] :

رضاكَ شبابٌ لا يليه مشيبُ وسخطكَ داء ليس منه طبيبُ
كأنك من كل النفوس مُرَكبٌ فأنت إلى كل النفوس حبيبُ

وله فى مُعَذِّر [من السريع] :

قلتُ لأصحابى وقد مرّ بى منتقبا بعد الضياءِ بالظُّلَم
باللهِ يا أهلَ ودادِى قفُوا كى تبصروا كيف زوالُ النِّعَمْ

ومحاسنه رحمه الله كثيرة ، وهذا الأنموذج كافٍ فيها . وكانت وفاته سنة اثنتين وأربعين وثلثمائه

(١) أنشد الشيخ عبد القاهر هذه الأبيات الأربعة فى أسرار البلاغة (٢٠٠ طبعة ثالثة)

(٢) قال الثعالبى قبل إنشاد هذين البيتين : « ومما أنشدت له ولم أجده فى ديوانه »

شاهد المركب الحسى

٧٦ – وقدْ لاحَ فى الصبح الثُّرَيَّا لمن رأى ... كعنقود مُلَّاحية حين نَوَّرَا(١)

البيت لأبى القيس(٢) بن الأسلت، من الطويل.

والملاحى — بضم الميم وتخفيف اللام، وقد تشدد — عنب أبيض فى حبّه طول. ومعنى نوّرَ: تفتح نَوْره. والثريا: مصغرة، قيل: تصغير تعظيم، وقيل: تصغير تقريب إعلاماً بأن نجومها قريب بعضها من بعض، ومكبرها ثَرْوَى، وهى الكثرة. وسميت هذه النجوم المجتمعة بالثريا لكثرة نورها، وقيل: لكثرة نجومها مع صغر مرآها، فكأنها كثيرة العدد بالاضافة إلى ضيق المحل. وعدد نجومها سبعة أنجم: ستة ظاهرة، وواحد خفى تختبر به الناس أبصارهم، وذكر القاضى عِيَاضُ رحمه الله تعالى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يراها أحدَ عشرَ نجماً.

والشاهد فيه: المركب الحسى فى التشبيه الذى طَرَفاهُ مفرَدَان، الحاصل من الهيئة الحاصلة من تقارُن الصور البيض الصغار المقادير فى المرأى وإن كانت كباراً فى الواقع على الكيفية المخصوصة منضمة إلى المقدار المخصوص، والمراد بالكيفية المخصوصة أنها لا مجتمعة اجتماعَ التضامّ والتلاصق، ولا هى شديدة الافتراق، بل لها كيفية مخصوصة من التقارب والتباعد على نسبة قريبة مما نجدُهُ فى رَأى العين بين تلك الأنجم. والطرَفان المفرَدَان هما: الثريا، والعنقود.

أبيات فى وصف الثريا

ومما جاء فى وصف الثريا أيضاً قولُ امرىء القيس [من الطويل]:

إذا ما الثريّا فى السماء تَعرَّضتْ ... تعرُّضَ أثناء الوِشاحِ المفَصَّلِ

---

(١) المحفوظ فى هذا البيت * وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى *

(٢) أنشده الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (٧٥) ونسبه إلى قيس بن الخطيم، ولبس بشىء

وقد أبدعَ المتأخرون فى وصفها : فمن ذلك قول ابن المعتز (١) [من المنسرح] :

قَدِ انقضَتْ دولةُ الصيامِ وقَدْ ... بَشَّرَ سُقمُ الهلالِ بالعيدِ
يَتلُو الثريا كفاغرٍ شَرِهٍ ... يفتحُ فاهُ لأكلِ عنقودِ

ومثله قوله أيضاً [من الخفيف] :

زارَنى والدُّجى أحمُّ الحواشى ... والثريا فى الغربِ كالعنقودِ
وهلالُ السماء طوقُ عروسٍ ... باتَ يُجْلَى على غلائلَ سُودِ

وقول ابن بابك [من مجزوء الرجز] :

وليلةٍ جوزاؤها ... مثلُ الخباء المنهتِكْ
قطعتُها والبدرُ عنْ ... سَمْتِ الثريا منفركْ
كأنها فى عرْضِهِ ... بازٍ على كفِّ ملكْ

وقول سهل بن المرزبان [من الكامل] :

كمْ ليلةٍ أحييتها ومؤانسى ... طُرَفُ الحديثِ وطيبُ حثّ الأكوسِ (٢)
شُبِّهتُ بدرَ سمائها لما دَنتْ ... منهُ الثريا فى قميصٍ سندُسى
ملِكاً مَهيباً قاعداً فى روضةٍ ... حيّاهُ بعضُ الزائرينَ بنرْجسِ

ومثله قول ابن المعتز أيضاً [من الطويل] :

أتانىَ والإصباحُ يرْفُلُ فى الدُّجى ... بِصفراءَ لم تفسدْ بطبْخٍ وإحراقِ

---

(١) أنشدهما الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (٧٦ الطبعة الثالثة)

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة مانصه « قوله حث الأكوس هكذا فى النسخ ، ومعناه شربها ، ولم أجده بهذا المعنى فى القاموس ، فلعله محرف عن حسو ، فتدبر » اهـ

فناوَلَنيها والثريا كأنها جَنَى نَرجسٍ حيّا الندامى به الساقى

ومثله قول الناشىء الأصغر [من الطويل] :

وليل تَوارى النجمُ من طُولِ مُكثه كما ازْوَرّ محبوبٌ لخوف رقيبه
كأنّ الثريا فيه باقةُ نرجسٍ يُحيّى بها ذُو صبوةٍ لحبيبه

وقول أبى الفرج الببغاء من أبيات [من المنسرح] :

تَرَى الثريا والبدر فى قَرَنٍ كما يُحَيَّا بنرجسٍ مَلِكُ

وقول الوزير أبى العباس الضبى [من مجزوء الرجز] :

خلتُ الثريا إذ بدَتْ طالعةً فى الحِندِسِ
مرسلةً من لؤلؤ أو باقةً من نرجسِ

وقوله أيضاً [من مجزوء الرجز] :

إذا الثريا اعترضتْ عندَ طلوعِ الفجرِ
حسبتَها لامعةً سَبيكةً من دُرّ

ونفيسٌ قولُ ابن حمديس أيضاً من قصيدة [من الرمل] :

فاسقِنى عن إذنِ سُلطانِ الهوى ليس يَشفى الرُّوحَ إلا كاسُ راحْ
وانتَظِر للحلم منى كرّةً كم فَسادٍ كانَ عُقباهُ صَلاحْ
فالقضيبُ اهتزّ والبدرُ بدا والكثيبُ ارتَجّ والعنبرُ فاحْ
والثريا زجّج الجو بها كابنِ ماء ضَمّ للوَكْرِ جَناحْ
وكأنّ الغربَ منها ناشقٌ باقةً من ياسمينٍ أو أقاحْ

وقول الصاحب بن عباد [من الطويل] :

تُنيرُ الثريا وهى قُرْطٌ مُسَلسلٌ وَيَعقلُ منها الطرْفَ دُرٌّ مُبدد

وما ألطف قول ابن حصن [من المقتضب] :

عليَّ أن أتذلَّلْ له وأنْ يتدلَّلْ
خدّ كأن الثريا عليهِ قُرْط مُسلسل

وقول أبي الفرج الببغاء [من البسيط] :

خُذُوا من العيشِ فالأعمارُ فانيةٌ والدهر منصَرِفٌ والعيشُ منقرِضُ
فى حاملِ الكأس من بدرِ الدجَى خلف وفى المدامةِ من شمس الضُّحى عِوضُ
كأن مجم الثريا كفٌّ ذى كرم مبسوطةً للعطايا ليسَ تنقبِض

وقول ابن سكرة الهاشمى [من المنسرح] :

ترى الثريا والغربُ يجذبها والبدر يَسرى والفجرُ ينفجرُ
كفُّ عروسٍ لاحتْ خواتمُها أو عِقْدَ دُرٍّ فى الجو ينتثرُ

ومثله قول أبى القاسم على بن جلبات [من الطويل] :

وَخِلتُ الثريا كفَ عذراء طفلةٍ مختَّمةٍ بالدر منها الأناملُ
تخيلتُها فى الأفقِ طرَّةَ جعبة مُكوكَبَة لم تعتلقها حبائِلُ

وقول أبى القاسم بن هانىء الأندلسى [من الطويل] :

وولتْ نجومٌ للثريا كأنها خواتم تبدو فى بنانِ يد تخفى

وما أحسن قول محيى الدين بن عبد الظاهر [من الطويل] :

ملأتَ الليالى من علاً وختمتَها فقد أصبحتْ محشوَّةً من مكارمكْ
ختمت عليها بالثريا فقُلْ لنا أهذا الذى فى كفِّها من خواتِمكْ

وقد أحسن الصنوبرى فى تشبيه الثريا فى جميع أحوالها حيث يقول من أبيات [من المنسرح] :

قُم فاسقنى والظلام منهزِمُ والصبح بادٍ كأنه علَمُ
والطيرُ قد طرَّبتْ فأفصحتْ الألحان طرًّا وكلُّها عجم

وميّلت رأسها الثريا لاستسرارٍ إلى الغرب وهي محتشمُ
فى الشرق كأس وفى مغاربها قُرط وفى أوسطِ السما قدَمُ

وقد وصفها الوأواء الدمشقى فى حالتى الشروق والغروب فقط فقال [من مجزوء الرمل] :

قد تأمّلتُ الثريا فى شروقٍ وغُروبِ
فهى كأس فى شروق وهى قرط فى غروب

وما أبدع قول بعضهم أيضاً [من مجزوء الكامل] :

وكأنما نجم الثريا إذ تعرّضَ كالوشاحْ
كأس بكفّ خريدةٍ تسقى المَسَا بيدِ الصباح

وقول الوأواء الدمشقى [من مجزوء الكامل] :

وجلا الثريا فى ملا ءةِ نُورِهِ بدرُ التمامْ
فكأنها كأسٌ ليشـ ربها الدجَى والبدرُ جامْ
وكأن زُرْقَ نجومها حَدَقٌ مفتّحة نيامْ

وبديع قول عبد الوهاب الأزدى المشهور بالمثقال [من مخلع البسيط]

ياساقىَ الكأس اسق صحبى وأسقنى إننى أُواسِى
وانظر إلى حيرةِ الثريا والليلُ قد سُدَّ باندماسِ
ما بين بهرامها المُلاحى وبين مرِّيخها المواسِى
كأنها راحةٌ أشارتْ لأخذِ تفّاحةٍ وكاس

وقوله أيضاً [من مخلع البسيط]

رأيت بهرام والثريا والمشترى فى القِران كرّهْ
كراحةٍ حبّرتْ يداها ما بين ياقوتة ودُرّهْ

قال عبد الوهاب المذكور هذين البيتين لما أنشده ابن رشيق قوله [من الخفيف] :

والثريا قُبالَةَ البدر تحكى ... باسطاً كفّه ليأخذ جاما

وللوأواء الدمشقى [من الخفيف] :

رُبَّ ليلٍ ما زلتُ ألثم فيه ... قمراً لابساً غُلالَةَ وردِ
والثريا كأنها كفُّ خَوْدٍ ... داخلتها للبين رِعْدَةُ وَجدِ

ومثله قول بعضهم [من الطويل] :

كأن الثريا بين شَرْقٍ ومغرب ... وقد سَلَّمَتْ للصبح طَوعاً عِنانها
مُرَوَّعة بالبين نحوَ أليفِها ... تقَلّب من خوف الفراق بنانها

وقول الآخر [من الكامل] :

والليلُ قد ولىَّ يقلّصُ بُرْدَهُ ... كدًا ويَسحب ذيله فى المغرب
وكأنما نجم الثريا سُحْرَةً ... كفٌّ تمسّح عن مَعاطِفِ أشهب

ولابراهيم بن العباس الصولى فى اقتران الثريا والهلال [من البسيط] :

وليلةٍ من ليالى الأنس بتُّ بها ... والرَّوضُ ما بينَ منظوم ومنضودِ
والنسرُ قد حام فى الظلماءِ من ظمإٍ ... وللمَجَرَّةِ نهرٌ غيرُ مَوْرودِ
وابن الغزَالةِ فوق النجم منعطفٌ ... كما تأوَّدَ عُرجُونٌ بعنقود

ولأبى عاصم البصرى فى اقتران الهلال والثريا والزهرة [من المتقارب] :

رأيتُ الهلال وقد أحدقته ... نجوم السماء لكى تَسْبقَهْ
فشبّهته وهو فى إثرها ... وبينهما الزهرة المشرقة
بقوسٍ لرامٍ رمى طائراً ... فأتبعَ فى إثرِهِ بُندُقَهْ

ولأبى الحسن الكرخى فى مثله [من الطويل] :

كأنَّ الهلالَ المستنيرَ وقد بدَا ونجم الثريا واقفٌ فوقَ هالَتهْ
مليكٌ على أعلاهُ تاجٌ مرصَّعٌ ويُزْهى على من دونهُ بجلالتهْ

وما أحسن قول ابن طباطبا العلوى [من الطويل] :

أمَا والثريا والهلال جلتْهُمَا لِىَ الشمسُ إذودّعت كُرْهاً نهارَها
كأسماء إذ زارتْ عشياً وغادَرَتْ دَلالاً لدينا قرْطها وسِوَارَها

وقول أبى على الحاتمى [من الطويل] :

وليلٍ أقمنا فيه نُعملُ كأسنا إلى أن بدَا للصبح فى الليل عسكرُ
ونجمُ الثريا فى السماء كأنهُ على حُلةٍ زرقاء جَيْبٌ مُدَنرُ

ومن بديع أوصاف الثريا قول البديع القليوبى الكاتب [من الطويل] :

وصافية باتَ الغلامُ يديرُها على الشرْبِ فى جنحٍ من الليل أدعجِ
كأنَّ حَبابَ الماء فى وَجَناتها فرائدُ دُرّ فى عقيق مُدَحرجِ
ولاَ ضوء إلاّ من هلالٍ كأنما تفرّقَ عنه الغيمُ عن نصف دُملجِ
وقدْ حال دونَ المشترى من شعاعهِ ومِيضٌ كمثْلِ الزئبقِ المُتَرجرجِ
كأنَّ الثريا فى أواخرِ ليلها تَجية وَرْدٍ فوقَ زَهرِ بَنفسَجِ

وما أحسن قول ابن فضال [من السريع] :

كأنَّ بهرَامَ وقد عارضَتْ فيه الثريا نظرَ المبصرِ
ياقوتةٌ يعرضها بائعٌ فى كفه والمشترى المشترِى

و بديع قول الشهاب محمود فى تشبيه الثريا والهلال والدارة [من الطويل] :

كأنَّ الثريا والهلالَ ودارَةً حوتْهُ وقد زان الثريا التئامُهَا
حَبابٌ طَفَا من فوقِ زورقِ فضة بكَفٌ فتاة طاف بالرّاح جامُهَا

وقد أغرب ابن عون بقوله [من مجزوء الرمل] :

رُبَّ ليلٍ لم أنمهُ ونجوم الليل تَشْهَدْ
والثريا في مَدَاها حين تَنْحَطّ وتَصْعَدْ
عقربٌ يسعى من الدُّ رِّ على صحن زَبَرْجد
خلفها طالبُ نار وشهابٌ ليس يَخْمَدْ
فهي حيرى ما أراها من سبيل الغي ترشد

وبديع قول ظافر الحداد [من الطويل] :

كأن الثريا تَقْدُمُ الفجرَ والدجى يَضُمُّ حواشي سِجْفِهِ للمغاربِ
مقدَّمُ جيش الرومِ أومأ بكفِّهِ لتبديدِ جيش من بني الزنج هارب

وقوله أيضاً [من الطويل] :

كأن نجوم الليل لما تَنَحَّلت تَوَقُّدُ جمرٍ في سَوادِ رَمادِ
حكى فوقَ ممتدِّ المجرّة شكلُها فواقعَ تَطْفو فوق لجةِ وادِ
وقد سَبَحَتْ فيه الثريا كأنها بَقيةُ وشْيٍ في قميص حِدَادِ
ولاحتْ بنو نعْش كتنقيط كاتِبٍ بيُسْراه للتعليم هيئةَ صادِ
إلى أن بدا وجهُ الصباح كأنهُ رداء عَروسٍ فيه صِبْغُ مِدادِ

وقوله أيضاً [من البسيط] :

وليلةٍ مثلِ عين الظَّبْي داجيةٍ عَسَفْتها ونجوم الليل لم تَقِدِ
كأن أنجمَهَا في الليل زاهرةً دراهمٌ والثريا كفّ منتقِدِ

وظريف قول بعضهم في شكاية طول الليل [من الطويل] :

كأن الثريا راحةٌ تَشْبرُ الدجى لتعلم طال الليل أم لي تعرّضا
عجبت لليلٍ بين شرق ومغرب يُقاسُ بشبرٍ كيف يُرْجَى له انقضا

ولبعضهم [من الخفيف] :

والثريا كأنها رأسُ طِرْفٍ أدهم زين باللجام المحلى

ومثله قول ابن المعتز [من الطويل] :

ألا فاسقنيها والظلام مقوّض ونجم الدجى فى لجة الليل يركضُ
كأن الثريا فى أواخر ليلها مفتحُ نورٍ أو لجامٌ مفضض [١]

والاطلاع على تفنن الأدباء فى أوصاف الثريا يغتفر الاطالة هنا .

ترجمة أبى قيس ابن الأسلت

وأبو قيس [٢] لم يقع لى إلى الآن اسمه ، والأسلت : لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم بن وائل ، ينتهى نسبه للأوس ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية ، وأسلم ابنه عقبة بن أبى قيس رضى الله عنه واستشهد يوم القادسية ، وكان يزيد بن مرداس السُّلَمى أخو عباس بن مرداس السُّلَمى الشاعر قتل قيس بن أبى قيس فى بعض حروبهم ، فطلب بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت حتى تمكن من يزيد ابن مرداس فقتله بقيسٍ ابنِ عمه ، ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت المذكور [من الوافر] :

أقيسٌ إن هلكتُ وأنت حىٌّ فلا تَعْدَم مواصلَةَ الفقير

وقال هشام الكلبى : كانت الأوس قد أسندوا أمرهم فى يوم بعاث [٣] إلى

---

(١) أنشد الشيخ عبد القاهر هذا البيت فى أسرار البلاغة (١٤٣)

(٢) تجد لأبى قيس بن الأسلت ترجمة فى الأغانى (١٥ - ١٦٠) ومن العجيب أن أبا الفرج هو الذى يقول «لم يقع لى اسم أبى قيس » وأن المؤلف ينقل بعد تطاول القرون هذه العبارة ولا يكلف نفسه البحث عن اسمه ، واسم أبى قيس - فى أرجح الأقوال - صيفي وقد كتب بهامش نسخة الأغانى مانصه « وبهامش نسخة هكذا : اسمه صيفى ، وهو أشهر من أن لا يقع لأحد » اه

(٣) بعاث - بزنة غراب - بالعين المهملة ، وبالغين المعجمة - موضع قرب المدينة وقع فيه يوم مشهور بين الأوس والخزرج

أبى قيس بن الأسلت الوائلى ، فقام بحربهم ، وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ، ولبث أشهراً لا يقرب امرأته ، ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته وهى كبشة بنت ضمرة بن مالك من بنى عمرو بن عوف ، ففتحت له ، فأهوى بيده إليها ، فأنكرته ودفعته ، فقال : أنا أبو قيس ، فقالت : والله ماعرفتك حتى تكلمت فقال فى ذلك أبو قيس [1] [من السريع] :

قالتْ ولم تقصِدْ مقال الخَنَا مَهلاً فقد أبلَغْتَ أسماعى [2]

استَنكرتْ لوناً له شاحباً والحرب غولٌ ذاتُ أوجاع [3]

مَنْ يَذُقِ الحرب يجد طعمها مُرًّا وتتركْهُ بجَعْجاع [4]

لا نألم القتل ونجزى به الأعداء كيلَ الصَّاع بالصَّاع [5]

ولما قتل عبدُ الملك بن مروان مصعبَ بن الزبير رضى الله عنهما خطب الناس بالنخيلة فقال فى خطبته : أيها الناس، دعوا الأهواء المضلة والآراء المشتتة ولا تكلفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها ، فقد جاريتمونا إلى السيف برأيتم كيف صنع بكم ، ولا أعرفنكم بعد الموعظة تزدادون جراءة ، فانى لا أزداد فعدها إلا عقوبة ، وما مثلى ومثلكم إلا كما قال أبو قيس بن الأسلت [6] :

---

(١) الأبيات من أول قصيدة له فى المفضليات ، وفى الأغانى

(٢) فى المفضليات «ولم تقصد لقيل الخنا» وكذلك هو فى الأغانى

(٣) فى المفضليات « أنكرته حين توسمته » وفى الأغانى مثل ما هنا

(٤) فى المفضليات « وتحبسه بجعجاع » والجعجاع : المحبس فى المكان الضيق الغليظ ، وفى الأغانى مثل ما هنا

(٥) بين هذا البيت والذى قبله فى المفضليات سبعة أبيات لم يروها المؤلف وروى أبو الفرج هذا البيت متصلا بالذى قبله فى صوت

(٦) القصة والأبيات فى الأغانى (١٥ – ١٦٧)

مَنْ يَصْلَ نارى بلا ذنبٍ وترِلاةٍ — يصلَ بنارِ كريمٍ غيرِ غدّارِ (١)
أنا النذيرُ لكمْ منى مجاهرةً — كيلاَ ألامَ على نهْيٍ وإعذارِ
فإن عصيتم مقالى اليومَ فاعترفوا — أنْ سوفَ تلقون خزياً ظاهرَ العارِ
لتُتْركُنّ أحاديثاً وملعبةً — عندَ المقيمِ وعند المُدْلِجِ السارى
وصاحبُ الوترِ ليس الدهرَ يدركهُ — عندى و إنى لطلاّبٌ لأوتارِ
أقيم عوْجته إن كان ذا عوجٍ — كما يُقوِّمُ قدحَ النبْعةِ البارى (٢)

وعن الهيثم بن عدىّ ، قال : كنا جلوسا عند صالح بن حسان ، فقال لنا : أنشدونى بيتاً خفراً فى امرأة خفرة ، فقلنا قول حاتم [من الطويل] :

يُضىء بها البيتُ الظليلُ خَصاصهُ — إذا هى يوماً حاولَتْ أن تبَسّما (٣)

فقال : هذه من الأصنام ، أريد أحسن من هذا ، فقلنا : قول الأعشى [من البسيط] :

كأنّ مشيتها من بيت جارتها — مرُّ السحابة لا رَيْثٌ ولا عجَلُ

فقال : هذه خرّاجة ولاّجة كثيرة الاختلاف ، فقلنا : ما عندنا شىء ، فقال : قول أبى القيس بن الأسلت [من الطويل] :

ويُكرِمُها جاراتُها فيزرْنَها — وتعتلّ عن إتيانهنّ فتعْذَرُ
وليسَ لها أن تستهينَ بجارةٍ — ولكنها منهنّ تحْيا وتخفرُ

---

(١) فى الأصل «غير عوار» محرفا وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى الأصل « أقيم نخوته » وفيه « كما يقيم لقدح النبعة » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٣) فى الأغانى « يضىء لها »

ثم قال : أنشدونى أحسن بيت وصفت به الثريا ، فقلنا : بيت الزبير الأسدى وهو [من الطويل] :

وقد لاحَ فى الغور الثريا كأنما به رايةٌ بيضاء تخفقُ للطعنِ

فقال: أريد أحسن من هذا ، فقلنا : بيت امرىء القيس [من الطويل] :

إذا ما الثريا فى السماء تعرَّضتْ تعرُّضَ أثناءِ الوشاحِ المُفصَّلِ

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : بيت ابن الطثرِية(١) [من الطويل] :

إذا ما الثريا فى السماء كأنها جُمانٌ وَهَى من سلكه فتسرعا

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : ما عندنا شىء ، قال : قول أبى قيس ابن الأسلت [من الطويل] :

وقد لاحَ فى الصبح الثريا لمن رَأى كعنقودِ مُلَّاحيةٍ حين نوَّرا

قال : فحكم له بالتقدم عليهم فى هذين المعنيين ، والله أعلم .

* * *

شاهد المركب الحسى

٧٧ — كأنّ مُثارَ النقْعِ فوقَ رُؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

البيت لبشار بن برد ، من قصيدة من (٢) الطويل يمدح بها ابنَ هُبَيرة ، وأولها :

جَفا ودُّه فازْورَّ أو مَلَّ صاحبُهْ وأزرى به أن لا يزال يعاتبُهْ

خليلىَّ لا تستكثرا لوعة الهوَى ولاسلوةَ المحزون شطَّتْ حبائبُهْ

---

(١) فى الأصل « ابن الطبرية » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) انظر أبياتا منها فى حماسة ابن الشجرى (٥٧ و ١٤٣ و ٢٣٤) وأبياتا منها فى المختار من شعر بشار (١ و ٧٤) وأبياتا منها فى حماسة البحترى (٧٢)

يقول فيها :

إذا كنتَ فى كل الأمور معاتباً صديقكَ لم تلقَ الذى لا تعاتبه
فعش واحداً أوصِلْ أخاكَ فإنه مُقارفُ ذنبٍ مرةً ومُجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذَى ظمئتَ وأىُّ الناس تصفو مشاربه
رُوَيدا نصاهل بالعراق جيادنا كأنك بالضحاك قد قام نادبه

ومنها :

وَسام لمروان ومن دونه الشَّجا وهولٌ كلُجّ البحر جاشت غواربه
أحلت به أمُّ المنـايا بناتها بأسيافنا إنا رَدَى مَنْ نحاربه
وكنا إذا دبّ العدوُّ لسخطنا وراقبنا فى ظاهرٍ لا نراقبه
رَكبنا له جهراً بكلِّ مثقفٍ وأبيضَ تستسق الدماء مضاربه
وجيشٍ كجنح الليل يزحف بالحصا وبالشوك والخطِّىُّ حمراً ثعالبه

ومنها :

غدونا له والشمسُ فى خِدْر أمها تطالعها والطلّ لم يجر ذائبه
بضربٍ يذوقُ الموتَ من ذاق طعمه وتدركُ من نجّى الفرارُ مثالبه

و بعده البيت ، و بعده :

بعثنا لهم موت الفُجاءة إننا بنو الموت خفّاقٌ علينا سبائبه
فراحوا فريقٌ فى الأسارَى ومثلهُ قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحر هاربه
إذا الملكُ الجبارُ صعَّر خدَّهُ مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

وهى طويلة ، فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم ، وكانت أول عطية سَنِيَّة أعطيها بشار بالشعر ورفعت من ذكره .

والنقع : الغبار ، ومعنى « تهاوى كواكبه » يتساقط بعضها فى إثر بعض والأصل « تتهاوى » فحذفت إحدى التاءين .

والشاهد فيه : المركب الحسى فى التشبيه الذى طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هُوِىّ أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم ، فوجه الشبه مركب كما ترى ، وكذا طرفاه ، كما فى أسرار البلاغة .

يروى أنه قيل لبشار ، وقد أنشد هذا البيت : ما قيل أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ، ولم تر الدنيا قط ولا شيئاً منها ؟ فقال : إن عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته ، وأنشدهم قوله [من الطويل] :

عميتُ جنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم مَوْئلا
وغاضَ ضياء العين للعلم رافداً لقلب إذا ما ضيعَ الناسُ حَصَّلا
وشعرٍ كنَوْر الروض لاءمْتُ بينهُ بقول إذا ما أحزن الشعرُ أسهلا

وحدث أبو يعقوب الخريمىّ الشاعر أن بشاراً ، قال : لم أزل منذ سمعت قول امرىء القيس فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد ، حيث يقول [من الطويل] :

كأنّ قلوب الطيرِ رَطْباً ويابساً لدى وكرها العُنّابُ والحشفُ البالى

أعمل نفسى فى تشبيه شيئين بشيئين ، حتى قلت :

* كأنّ مثار النقع — البيت *

وقد كرره بشار ، فقال [من الطويل] :

خلقت سماء فوقنا بنجومها سيوفاً ونقعاً يقبض الطرف أقتما

أبيات في وصف إثارة النقع

وقد أخذ هذا المعنى منصور النمري [1] فقال وأحسن [من البسيط] :

ليلٌ من النَّقْع لا شمسٌ ولا قمرٌ إلا جَبينُكَ والمذْرُوبةُ الشُّرَعُ

ومسلم بن الوليد أيضاً حيث يقول [من البسيط] :

في عَسكرٍ تُشرق الأرض الفضاء به كالليل أنجمُهُ القضبانُ والأسَلُ

ولمؤلفه رحمه الله من قصيدة عثمانية مظفرية [من البسيط] :

والنقع ليلٌ سماءٌ لا نجومَ له إلا الأسِنَّةُ والهِنْدِيةُ البُتُرُ

وله في معناه من قصيدة مظفرية أيضا مع زيادة مخترعة فيما يظن [من الخفيف]:

يَعقدُ النقعُ فوقَها سحباً كالليـــل فيهِ السيوفُ أضحَتْ نجوماَ

فمتى ما رأت سواد شَيَاطيـــنِ بغاةِ الحروب عادت رجوماَ

وابن المعتز حيث قال [من الطويل] :

إذا شئتُ أوقرْتُ البلاد حَوافِراً وسارت ورائى هاشِمٌ ونزارُ

وعمَّ السماءَ النقعُ حتى كأنه دُخانٌ وأطرافُ الرِّماح شَرَارُ

وبعضهم أيضاً حيث قال [من الكامل] :

نَسجتْ حوافرُهَا سماء فوقها جعلتْ أسِنَّتَها نجومَ سمائها

وأبو الطيب المتنبي حيث قال [من الكامل] :

فكأنما كُسِيَ النهار بها دجى ليلٍ وأطلعَت الرماحَ كواكبا

وقد نقله إلى مثال آخر فقال [من الطويل] :

تزور الأعادى في سماءِ عجاجةٍ أسنَّتُها في جانبيها الكواكبُ

---

(١) في الأصل «النميرى»

وقد ضمنه سيف الدين بن المشد فقال [من الطويل] :

كأن دُخان العود والنَّد بيننا وأقداحنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ
ولاحَتْ لنا شمسُ العُقارِ فمزَّقت دُجى الليل حتى نَظَّمَ الجزعَ ثاقبُهْ

والبرهان القيراطى ضمن المصراع الأخير، وإن كان من غير هذه القصيدة بقوله وأجاد [من الطويل] :

ولما بدَا والليلُ أسْوَدُ فاحمٌ قد انْتَشَرت فى الخافقَينِ ذَوائبُهْ
أضاء ببدْرِ الثغر عندَ ابتسامهِ دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

* * *

شاهد المركب الحسى فى الهيآت

٧٨ — * والشَّمْسُ كالمرْآةِ فى كَفِّ الأشَلّ *

هو من الرجز ، واختلف فى قائله ، فقيل : الشماخ ، وقيل : ابن أخيه (٣) وقيل : أبو النجم ، وقيل : ابن المعتز .

والأشل : هو الذى يَبِست يده أوذهبت.

والشاهد فيه : مجىء المركب الحسى فى الهيآت التى تقع عليها الحركة من الاستدارة والاستقامة وغيرها ، ويعتبر فيها التركيب ، ويكون ما يجىء فى تلك الهيآت على وجهين : أحدهما أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل

---

(٢) ضمن هذا البيت من قول أبى الطمحان القينى :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوهم دجي الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(٣) فى ديوان الشماخ بن ضرار (١٠٩) أرجوزة منسوبة إلى جبار بن جزء بن ضرار بن أخى الشماخ ، وأولها قوله :

قالت سليمى لست بالحادى المدل مالك لا تملك أعضاد الابل

وفيها هذا الشاهد. وليس فى هذا الديوان مما ينسب إلى الشماخ نفسه هذا الشاهد ، بل ولا كلمة على رويه

واللون ، والثانى : أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها ، فالأول كما فى البيت ، ووجه الشبه من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الاشراق واضطرابه بسبب تلك الحركة حتى يرى الشعاع كأنه يهمُّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له فيرجع من الانبساط إلى الانقباض ، فالشمس إذا أحدَّ الانسانُ النظرَ إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية إلى هذه الهيئة ، وكذلك المرآة إذا كانت فى كف الأشل .

أبيات فى وصف حركة الشمس والنجوم

وما أعدل قول المعوج الشاعر فى معناه [من الطويل] :

كأن شُعاعَ الشمسِ فى كل غُدْوةٍ ... على ورَقِ الأشجارِ أول طالع
دنانيرُ فى كف الأشلِّ يَضمُها ... لقَبْضٍ فتَهْوِى من فُروج الأصابع

وهو مأخوذ من قول أبى الطيب المتنبى [من الوافر] :

وألقى الشرق منها فى ثيابى ... دنانيراً تفِرُّ من البَنَان

وأخذه أيضاً القاضى عبد الرحيم الفاضل فقال [من الكامل] :

والشمسُ من بين الأرائكِ قدحكتْ ... سيفاً صقيلاً فى يدٍ رعشاء

وما أبدع قول الشهاب التلعفرى [من البسيط] :

أفدِى الذى زارنى فى الليل مُستتراً ... أحلى من الأمنِ عندَ الخائفِ الدهِشِ
ولاحتِ الشمس تحكى عندمطْلعها ... مرآةَ تبرٍ بدَتْ فى كف مرتعِشِ

و بديع قول إدريس بن اليمانى العبدى [من المديد] :

قُبلةٌ كانَتْ على دهَشٍ ... أذهبَتْ ما بى من العَطَش
ولها فى القلْبِ منزِلةٌ ... لو عدَتْها النفسُ لم تَعِشِ
طرقَتنى والدجى لابسٌ ... خِلَعاً من جِلدَةِ الحَبَشِ
وكأنَّ النجمَ حين بدا ... درهمٌ فى كف مُرتَعِشِ

وقول النامى [من الطويل] :

سماء غصونٍ تحجبُ الشمسَ أن تُرى على الأرضِ إلا مثلَ نثرِ الدراهمِ

* * *

شاهد تجرد الحركة عن غيرها

٧٩ — وكأنَّ البرق مصحفُ قارٍ فانطِبَاقًا مرةً وانفتاحا

البيت لابن المعتز ، من قصيدة (١) من المديد (٢) ، وأولها :

عَرَفَ الدار فحيَّا وناحا بعدما كان صحا واستراحَا

ظَلَّ يلحاه العَذُولُ ويأبى فى عِنَانِ العَذْلِ إلا جِمَاحا

علِّمونى كيف أسلُو وإلا فخذوا من مقلَتَىَّ المِلاحَا (٣)

من رأى برْقًا يُضىء التماحا ثقَبَ الليلَ سَنَاهُ فلاحَا

وبعده البيت ، وبعده (٤) :

لم يزل يلمعُ بالليل حتى خِلتُه نَبَّه فيه صبَاحَا

وكأن الرَّعْدَ فحلُ لِقَاحٍ كلما يُعْجِبُهُ البرق صاحَا

---

(١) اقرأ هذه القصيدة فى مفتتح حرف الحاء المهملة من الباب الثالث من ديوان ابن المعتز (١٣٢ بيروت) والبيت فى أسرار البلاغة ١٣١ و١٣٦

(٢) فى الأصل « من الرمل » خطأ ، والقصيدة من بحر المديد ، وأجزاؤه « فاعلاتن فاعلن فاعلاتن »

(٣) فى الديوان « فخذوا عن مقلتى »

(٤) فى الديوان زيادة بيت بين البيت المستشهد به والذى ذكر المؤلف أنه بعده ، وهو قوله :

فى ركام ضاق بالماء ذرعا حينما مالت به الريح ساحا

والبرق : واحد بروق السحاب ، أو هو ضَرْبُ ملكٍ السحاب وتحريكه إياه لينساق فترى النيران .

والشاهد فيه : الوجه الثانى ، وهو تجرد الحركة عن غيرها من الأوصاف مع اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له ، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين و بعضه إلى الشمال و بعضه إلى العلو و بعضه إلى السفل ؛ ليتحقق التركيب وإلا لكان وجه الشبه مفرداً وهو الحركة لا مركباً ، فحركة المصحف الشريف فى انطباقه وانفتاحه فيها تركيب لأن المصحف يتحرك فى الحالتين إلى جهتين فى كل حالة إلى جهة .

أبيات فى وصف البرق والسحب

ومثله قول القلعى المغربى [من الكامل] :

والسحبُ تلعبُ بالبروق كأنها ... قارٍ على عجلٍ يقلبُ مصحفا
قد قلدت بالنَّوْر أجيادَ الرُّبا ... حَلْياً وألبست الخمائل مُطْرَفا

وما أحسن قول بعضهم فى وصف البرق [من الرمل] :

عارضٌ أقبلَ فى جنح الدُّجى ... يتهادى كتهادى ذى الوجَى
أتلفتْ ريحُ الصبا لؤلؤهُ ... فانبرَى يوقد عنها سُرُجا
وكأنَّ الرعد حادِى مُصْعَبٍ ... كلما صالَ عليه وشجا
وكأنَّ البرقَ كأسٌ سكبتْ ... فى لهاه المزنُ حتى لهجا
وكأنَّ الجوَّ ميدان وغىً ... رَفعتْ فيه المذاكى رَهَجَا

وما أحسن قول ابن المعتز فيه أيضا (١) [من الرجز] :

رأيتُ فيها برقها منذُ بدتْ ... كمثل طرف العين أو قلبٍ وجب (٢)

---

(١) اقرأها فى الديوان (١٦ بيروت)
(٢) فى الديوان «لما وثب» فى مكان «منذ بدت» وفيه «أو قلب يجب»

ثم حدا بها الصبا حتى بدا فيها لِىَ البرقُ كأمثال الشُّهُبْ (١)

تحسبه فيها إذا ما انصدعتْ أحشاؤها عنه شجاعا يضطربْ (٢)

وتارةً تحسبُهُ كأنهُ أبلقُ مالَ جُلُّهُ حين وثبْ (٣)

حتى إذا ما رفعَ اليوم الضحى حسبته سلاسلاً من الذهبْ (٤)

وقد ولدَ أبو العباس بن أبى طالب العربى من تشبيه البرق بالسلاسل توليداً بديعاً ، فقال يصف ممدوحه ببرعة البديهة إذا كتب [من المتقارب] :

له قلم لو يجارى البروقَ لخلتَ السلاسل فيه قيودا

وللأديب أبى حفص أحمد بن برد فى السحاب والبرق [من المتقارب] :

ويوم تفنن فى طيبِهِ وجاءتْ مواقيته بالعجبْ

تجلّى الصباح به عن حيًا قد اسقى وعن زَهَر قد شرب

ومازلت أحسب فيه السحاب ونار بوارِقه تلتهبْ

بخاتيّ تُوضِعُ فى سيرها وقد قُزِّعتْ بسياط الذهب

ولأبى عثمان الخالدىّ فى مثله [من المنسرح] :

أدْنِ من الدنِّ لى فداكَ أبى واشربْ وأسق الكبير وانتخبِ

أما ترى الطَّلَّ وهو يلمع فى عيون نَوْرٍ تدعو إلى الطربِ

---

(١) هذا البيت يروى فى الديوان :

ثم حدت بها الصبا كأنها فيها من البرق كأمثال الشهب

(٢) يروى هذا البيت فى الديوان :

إذا تعرى البرق فيها خلته بطن شجاع فى كثيب يضطرب

(٣) فى الديوان «وتارة تبصره»

(٤) يروى هذا البيت فى الديوان :

وتارة تخاله إذا بدا سلاسلا مصقولة من الذهب

والصبح قد جُرِّدَتْ صوَارمُهُ   والليــــل قد همّ منـه بالهرب
والجوُّ في حلَّةٍ ممسّكةٍ   قدْ كتبتها البروقُ بالذهب

وللسريّ الرفاء في مثله [من المتقارب] :

غيومٌ تمسِّك أفقَ السماء   وبرقٌ يكتبها بالذهبْ

وله أيضاً ، وينسب للخالديّ [من الوافر] :

وبرقٍ مثلُ حاشيتي رِداءٍ   جديدٍ مُذْهَبٍ في يوم ريحِ

وللخالديّ فيه أيضا وأجاد [من الطويل] :

ألا فاسقني والليل قدغابَ نوره   لغيبة بدرٍ في الظلام غريق
وقد فَضَحَ الظلماء برقٌ كأنه   فؤاد مَشُوقٍ مولعٌ بخفوق

وقد سرقه من قول ابن المعتز [من الطويل] :

أمنك سرى يابشر طيفٌ كأنه   فؤاد مشوق مولعٌ بخفوق

وسرقه السريّ الرفاء أيضا ، فقال من قصيدة [من البسيط] :

أما ترى الصبح قد قامت عساكرهُ   في الشرق تنشر أعلاماً من الذهب
والجوُّ يختال في حُجْبٍ ممسكةٍ   كأنما البرق فيها قلبُ ذي رُعُبِ

وما أحسن قوله فيه أيضا [من الكامل] :

وحدائقٍ يَسبيكَ وشيُ برودها   حتى تشبهها سَبائبَ عَبقَرِ
يجري النسيمُ خلالها فكأنما   غُمِسَتْ فُضُولُ رِدائه في عنبرِ
باتتْ قلوب المَحْلِ تخفقُ بينها   بخفوقِ راياتِ السحاب الممطرِ
من كل نائي الحجزتين مولعٍ   بالبرق داني الظلتين مُشَهَّرِ (١)

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هذا البيت بهامش النسخة مانصه=

تُحْدَى بألسنة الرعود عِشارهُ فتسير بين مُغَرِّدٍ ومزَمْجِرِ
طارتْ عقيقةُ برقه فكأنما صَدَعَتْ بمسكَ غيمه بمعصفرِ

ولأبي القاسم الزاهي فيه أيضا [من البسيط] :

الريح تَعصفُ والأغصان تعتنقُ والمزنُ باكيةٌ والزهرُ معتبقُ
كأنما الليلُ جفنٌ والبروقُ له عينٌ من الشمس تبدو ثم تنطبقُ

ولبعضهم [من السريع] :

برقٌ أطارَ القلبَ لما استطارْ أنارَ جنحَ الليل لما استنارْ
ذابَ لجينُ المزنِ لما رَمى معدنه منهُ بمقباسِ نارْ

ترجمة ابن المعتز

وابن المعتز (١) : هو عبد الله بن محمد — وقيل الزبير — المعتز بالله ابن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي ، الأمير الأديب ، صاحب النظم البديع والنثر الفائق . أخذ الأدب والعربية عن المبرد وثعلب ، ومؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي . ومولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين ، وهو أول من صنف في صنعة الشعر ، وضع كتاب البديع ، وهو أشعر بني هاشم على الإطلاق ، وأشعر الناس في الأوصاف والتشبيهات ، وكان يقول : إذا قلت « كأن » ولم آت بعدها بالتشبيه ففضَّ الله فاي (٢) .

= « قوله الظلمتين ، في بعض النسخ الطلتين ، وفي بعضها الطلبتين ، ولعله الكليتين ، ودنوهما كناية عن ضيق ما بين الحرقفتين وتضامه ، والبيت كناية عن كون السحاب المشبه بالابل واسعا من جهة حسبما أشار له بقوله نائي الحجزتين متضاما من جهة أخرى كما أشار له بقوله داني الكليتين ، فليتأمل وليراجع » اهـ

(١) تجد بعض أخباره في الأغاني (٩ — ١٤٠)

(٢) هذا التعبير خطأ في العربية ، والصواب أن يقال « ففض الله في » بتشديد الياء ، لأن شرط إعراب الأسماء الخمسة بالألف نصبا أن تكون إضافتها لغير ياء المتكلم

وحدث جعفر بن قدامة ، قال : كنت عند ابن المعتز يوماً ، وعنده سرية[١] ، وكان يحبها ويهيم بها ، فخرجت علينا من صدر البستان فى زمن الربيع وعليها غلالة معصفرة ، وفى يدها جنابى من با كورة باقلاء ، والجنابى : لعبة للصبيان ، فقالت له : ياسيدى ، تلعب معى جنابى ؟ فالتفت إلينا ، وقال على بديهته غير متفكر ولا متوقف [من البسيط] :

فديتُ من مر يمشى فى معصفرة عشيةً فسقانى ثم حيانى
وقال تلعبُ جنابى فقلت له من جدَّ بالوصل لم يلعب بهجران

وأمر فغنى به .

وحدث جعفر قال : كان لعبد الله بن المعتز غلام يحبه ، وكان يغنى غناء صالحاً ، وكان يدعى بنشوان ، فجُدِرَ ، فجزع عبد الله لذلك جزعا شديداً ثم عوفى ولم يؤثر الجُدَرِى فى وجهه أثراً قبيحاً ، فدخلت عليه ذات يوم فقال لى : يا أبا القاسم قد عوفى فلان بعدك وخرج أحسن مما كان ، وقلت فيه بيتين ، وغنت زرياب فيهما رملا ظريفا فاسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعهما غناء ، فقلت : يتفضل الأمير ـ أبده الله ! ـ بانشادى إياهما ، فأنشدنى [من السريع] :

بى قمرٌ جدِّرَ لما استوى فزادهُ حسناً وزالت همُومْ
أظنُّه غَنَّى لشمس الضُّحى فنقطتْهُ طرباً بالنجومْ

فقلت : أحسنت والله أيها الأمير ، فقال : لو سمعته من زرياب كنت أشد استحساناً له ، وخرجت زرياب فغنته لنا فى طريقة الرمل غناء شربنا عليه عامة يومنا .

قال : وغضب هذا الغلام عليه ، فجهد أن يترضاه ، فلم تكن له فيه حيلة ، ودخلتُ عليه فأنشدنى فيه [من مجزوء الخفيف] :

---

(١) سماها فى الأغانى باسمها فقال « وعنده نشر وكان يحبها ويهيم بها » وأظن أن اسمها « بشر » كما ورد فى شعره ، وانظر (ص ٣٧ من هذا الجزء)

بأبى أنتَ قد تما دَيتَ فى الهجْرِ والغضَبْ
واصْطبارى على صدُو دِكَ يوماً من العجَبْ
ليسَ لى إن فقدْت وجـــهكَ فى العَيْش من أربْ
رحمَ الله من أعا ن على الصُّلْح واحتَسَبْ

قال : فمضيت إلى الغلام ، ولم أزل أداريه وأرفق به حتى ترضيته له وجئته به ، فمر لنا يومئذ أطيب يوم وأحسنه وغنتنا زرياب [1] فى هذا الشعر رملا عجيباً .

وحدث عبد الله بن موسى الكاتب ، قال: دخلت على عبد الله بن المعتز وفى داره طبقات من الصناع [2] وهو يبنيها ويبيضها ، فقلت له : ما هذه الغرامة الجادة [3] والكلفة ؟ فقال : السيل الذى جاء من ليالٍ أحدثَ فى دارى ماأحوج إلى هذه الغرامة الجادة [3] والكلفة ، فقلت [4] [من المتقارب] :

ألا من لنفسٍ وأحزانها ودار تداعَى بحيطانها [5]
أظلُّ نهارىَ فى شمسها شقيًّا معنًّى ببُنيانها
أُسوِّدِ وجهى بتَبييضها وأهدمُ كيسى بعُمرانها [6]

---

(١) فى الأغانى «وغنتنا هزار» وهو فى بعض أصول مطبوعة بولاق
(٢) فى مطبوعة بولاق «طبقات من الصاع» وهو تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى
(٣) فى الأغانى «ما هذه الغرامة الحادثة»
(٤) فى الأغانى «وقال» والأبيات لابن المعتز ، وهى فى ديوانه (٢٨٤)
(٥) فى الديوان «ودار تداعت»
(٦) فى الديوان «لتبييضها» وفيه «لعمرانها» وفى الديوان بيت بين هذا والذى قبله وهو قوله :

ولا أحد من ذوى قربتى يساعدنى عند إتيانها

ومن هنا أخذ أبو الحسين الجزار قوله [من الطويل] :

أُكلِّفُ نفسى كلَّ يوم وليلةٍ شروراً على من لا أفوز بخيرِه
كما سوَّدَ القصَّارُ فى الشمس وجهَهُ ليَجْهَدَ فى تَبْييض أثواب غيره

وحدث جعفر بن قدامة قال : كنت عند عبد الله بن المعتز ، ومعنا النميرى ، فحضرت الصلاة ، فقام النميرى فصلى صلاة خفيفة جداً ، ثم دعا بعد انقضاء صلاته وسجد سجدة طويلة جدا حتى استثقله جميع من حضر بسببها ، وعبد الله ينظر متعجبا ، ثم قال [من المتقارب] :

صَلاتُكَ بين الملا نَقْرَةٌ كما اختلس الجَرْعَةَ الوالغُ
وتسجُدُ من بعدِها سجْدةً كما خُتِمَ المزودُ الفارغ

وقال : كنا عند عبد الله بن المعتز يوما ، ومعنا النميرى ، وعنده جارية لبعض بنات المعتز تغنيه ، وكانت محسنة إلا أنها كانت فى غاية القبح ، فجعل عبد الله يجمشها ويتعاشق ، فلما قامت قال له النميرى : أيها الأمير ، سألتك بالله أتعشق هذه التى ما رأيت قط أقبح منها ؟ فقال وهو يضحك [من السريع] :

قلبِيَ وثَّابٌ إلى ذا وذا ليسَ يرى شيئاً فيأباهُ
يهيمُ بالحسن كما ينبغى ويرْحَم القبحَ فيهواهُ

وقال : كنت أشرب مع عبد الله بن المعتز فى يوم من أيام الربيع بالعباسية والدنيا كالجنة المزخرفة فقال عبد الله [من مجزوء الرمل] :

حبَّذا آذارُ شهراً فيهِ للنور انتشارُ
ينقص الليلُ إذا حَلَّ ويمتدُّ النهارُ(١)

---

(١) فى الأغانى « ينقص الليل إذا جاء »

وعلى الأرض اصفرارٌ واخضرارٌ واحمرارُ
فكأنّ الرَّوضَ وشْيٌ بالَغتْ فيه التِّجَارُ
نَقْشه آسٌ ونَسْرِينُ ووَرْدٌ وبهارُ

وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف مؤنس ابنه محمد بن عبيد الله على شرطة بغداد [من الطويل] :

فَرِحْتُ بما أضعَافُهُ دون قَدْرِكُمْ وقلتُ عَسَى قدهَبَّ من نومه الدهرُ
فترجعُ فينا دَولةٌ طاهِرِيَّةٌ كما بدَأَت والأمرُ من بعده الأمرُ
عسى الله إنَّ اللهَ ليسَ بغافِلٍ ولابدَّ من يُسْرٍ إذاما انتهى العُسْرُ

فكتب إليه عبيد الله قصيدة منها [من الطويل] :

ونحن لكم إن نالنا مَسُّ جفْوة فمنَّا على لأوائها الصَّبْرُ والعذْرُ
فإن رَجَعت من نعمةِ الله دَولةٌ إلينا فمنا عندَها الحمد والشكرُ

وجاء محمد بن عبيد الله المذكور بعقب هذا شاكراً لتهنئته ، ولم يعد إليه مدة طويلة ، فكتب إليه ابن المعتز يقول [من المنسرح] :

قد جئتنا مرة ولم تَكَدِ ولم تَزُرْ بعدَها ولم تَعُدِ
لست تُرَى واجداً بنا عِوضاً فاطلب وجَرِّبْ واستقص واجتهِدِ
ناولْتَني حبلَ وصلِهِ بيَدٍ وهجرُهُ جاذبٌ له بيَدِ
فلم يكن بينَ ذا وذا أمَدٌ إلا كما بين ليلةٍ وغدِ

ولم يزل فى طيب عيش ودَعَة من عوادى الزمان إلى أن قامت الدولة ووثبوا على المقتدر وخلعوه ، وأقاموا ابن المعتز ، فقال : بشرط أن لايقتل بسببى مسلم ، ولقبوه « المرتضى بالله » وقيل « المنصف » وقيل « الغالب » وقيل « الراضى » فحدث المعافى بن زكريا الجريرى قال : لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز

دخلوا على شيخنا محمد بن جرير رحمه الله، فقال: ما الخبر؟ فقيل له: بويع ابن المعتز، قال: فمن رشح للوزارة؟ فقيل: محمد بن داود، قال: فمن ذكر للقضاء؟ قيل: الحسن بن المثنىّ، فأطرق ثم قال: هذا الأمر لا يتم، قيل: وكيف؟ قال: كل واحد ممن سميتم متقدم فى معناه، عَلىُّ الرتبة، والدنيا مولية، والزمان مدبر، وما أرى هذا إلا لاضمحلال، وما أرى لمدته طولا.

وبعث ابن المعتز إلى المقتدر يأمره بالتحول إلى دار محمد بن طاهر، لكى ينتقل هو إلى دار الخلافة، فأجاب، ولم يكن بقى معه غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن وغريب خاله وجماعة من الخدم، فباكر الحسين بن حمدان دار الخلافة فقاتلها، فاجتمع الخدم فدفعوه عنها بعد أن حمل ما قدر عليه من المال وسار إلى الموصل، ثم قال الذين عند المقتدر: ياقوم نُسلِّم هذا الأمر، ولا نجرب أنفسنا فى دفع مانزل بنا، فنزلوا فى الزوارق، وألبسوا جماعة منهم السلاح، وقصدوا المخرم وبه عبد الله بن المعتز، فلما رآهم مَنْ حوله أوقع الله فى قلوبهم الرعب فانصرفوا منهزمين بلا حرب، وخرج ابن المعتز فركب فرساً ومعه وزيره محمد بن داود وحاجبه يمن، وقد شهر سيفه وهو ينادى: معاشر العامة ادعوا لخليفتكم، وأشاروا إلى الجيش ليتبعوهم إلى سامرا ليثبتوا أمرهم، فلم يتبعهم أحد، فنزل ابن المعتز عن دابته ودخل دار ابن الجصاص الجوهرى، واختفى الوزير ابن داود والقاضى الحسن بن المثنى، ونُهبت دورهم، ووقع النهب والقتل فى بغداد، وقبض المقتدر على الأمراء والقضاة الذين خلعوه، وسلمهم إلى مؤنس الخازن، فقتلهم، واستقام الأمر للمقتدر، واستوزر ابن الفرات، ثم بعث جماعة فكبسوا دار ابن الجصاص وأخذوا ابن المعتز وابن الجصاص، فصودر ابن الجصاص، وحبس ابن المعتز، ثم أخرج فيما بعدُ ميتا، ورثاه على بن محمد بن بسام بقوله [من البسيط]:

لِلّهِ دَرُّكَ من مَلْكٍ بمضيعة ناهيكَ فى العقل والآداب والحسبِ

حرفة الأدب

ما فيه لَوٌّ ، لا ، ولا ليتٌ تنقصهُ وإنما أدركتهُ حرفـةُ الأدبِ

وهو مأخوذ من قول أبى تمام الطائى [من البسيط] :

ما زلتُ أرمى بآمالى مطالبها لم يخلقِ العرضَ منى سوء مُطّلَبِ
إذا قصدتُ لشأوٍ خلتُ أنّى قدْ أدركته أدركتنى حرفة الأدب

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى ، فقال ابن الساعاتى [من البسيط] :

عِفتُ القريضَ فلا أسمو له أبداً حتى لقد عِفتُ أن أرويه فى الكتب
هجرْتُ نظمى لهُ لاَ من مهانتهِ لكنها خيفةٌ من حرفةِ الأدَبِ

وقال ابن قلاقس [من البسيط] :

لا أقتضيكَ لتقديمٍ وعدْتَ بهِ من عادةِ الغيث أن يأتى بلا طلبِ
عيونُ جاهكَ عنى غيرُ نائمةٍ وإنما أنا أخشى حرفَةَ الأدبِ

وذكرتُ بهذا ما أنشدنيه بعض أدباء العصر متسليا ، حين قعدت الأحوال ، وقامت الأهوال ، وهو الشهاب ابن محمود النابلسى ، رحمه الله تعالى [من المجتث] :

عبدَ الرّحيم أضاعُوا بِدَولة ضَـيَّعَتْهُ
ما فيه لوٌّ ولا ليـ ـتٌ إنما أدْرَكَتْهُ (١)

رجع إلى أخبار ابن المعتز رحمه الله .

قال بعض من كان يخدمه : إنه خرج يوماً يتنزه ومعه ندماؤه ، وقصد باب الحديد ، وبستان الناعورة ، وكان ذلك آخر أيامه ، فأخذ خزَفَةً ، وكتب على الجص [من المجتث] :

---

(١) فى الأصول « مافيه لولا وليت وإنما » محرفا عما أثبتناه

سَقياً لِظلّ زَمانى ودهرىَ المحمودِ
وَلَّى كليلةِ وصلٍ قدّامَ يومِ صُدُود

قال : وضرب الدهر ضرباته ، ثم عُدْتُ بعد قتله ، فوجدتُ خطه خفياً ، وتحته مكتوب [من المجتث] :

أفٍّ لظلّ زَمانى وعيشىَ المنكودِ
فارَقتُ أهلى وإلفى وصاحبى وودُودى
ومن هَويتُ جفانى مطاوعاً لِحسودى
يا ربّ موتاً وإلا فراحةً من صُدُودِ

ويقال: إنه لما سلم لمؤنس الخادم ليهلكه أنشد(١) [من البسيط] :

يا نفسُ صبراً لعل الخيرَ عقباكِ خانتك من بعد طول الأمن دنياكِ
مرّتْ بنا سحَراً طيرٌ فقلتُ لها : طُوباكِ يا ليتنى إياكِ طُوباكِ
إن كان قَصْدُكِ شوقاً بالسلام علىَ شاطئ الفرات ابلغى إن كان مثواكِ
مِنْ موثَقٍ بالمنايا لا فكاكَ لهُ يبكى الدماء على إلفٍ له باكى

إلى أن قال :

أظنهُ آخرَ الأيام من عُمُرِى وأوشكَ اليوم أن يبكى له الباكى

ومن نثره الجارى مجرى الحكم والأمثال : من تجاوز الكفاف لم يغنه الإكثار . ربما أوردَ الطمع ولم يصدر . من ارتحل الحرص(٢) أضناه الطلب(٣).

---

(١) فى الديوان (٣٣٩) بيتان أولهما أول هذه الأبيات وثانيهما :
لكن هو الدهر لقياه على حذر فرب حارس نفس تحت أشراك

(٢) ارتحله : اتخذه راحله يركبها فى سيره ، والمراد من اتخذ الحرص وسيلة إلى أغراضه

(٣) أضناه : أورثه الضنى ، يريد أتعبه

الحظ يأتى من لا يأتيه . أشقى الناس أقربهم من السلطان كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها إلى الاحتراق . من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة . يكفيك للحاسد غمه بسرورك .

ومن شعره (١) [من الطويل] :

وإنى لمعذورٌ على طولِ حبها ... لأن لها وجهاً يدلّ على عُذْرِى
إذا ما بدَتْ والبدرُ ليلةَ تِمِّهِ ... رأيتَ لها فضلا مبيناً على البدرِ
وتهتز من تحت الثياب كأنها ... قضيبٌ من الريحان فى الورق الخضرِ
أبى الله إلا أن أموت صبابةً ... بِساحرةِ العينين طيبةِ النشْرِ

ومنه [من السريع] :

من لى بقَلبٍ صيغَ من صخرةٍ ... فى جسدٍ من لؤلؤٍ رَطْبِ
جرحتُ خديه بلحظى فما ... برحتُ حتى اقتص من قلبى

ومنه ، ويعزى لغيره [من المتقارب] :

تفقدْ مساقط لحظ المريبِ ... فإن العيونَ وجوه القلوبِ
وطالعْ بوادرهُ فى الكلام ... فإنكَ تجنى ثمار الغيوب

ومنه [من السريع] :

سابقْ إلى مالكَ وُرّاثهُ ... ما المرء فى الدنيا بلَبَّاثِ
كم صامتٍ تخنقُ أكياسهُ ... قدْ صاح فى ميزان ميراثِ

ومنه [من البسيط] :

ياطارقى فى الدُّجى والليلُ منبسطٌ ... على البلاد بهيم ثابتُ الدُّعَمِ
طرقتَ بابَ غنىٍّ طابتْ موارده ... ونائلا كانهمال العارض السجم

---

(١) هذه الأبيات لاتوجد فى ديوانه المطبوع

حكم الضيوف بهذا الربع أنفذُ من   حكم الخلائف آبائى على الأمم
فكل ما فيه مبذولٌ لطارقه   ولا زمام لهُ إلا على الحرمِ

ومنه قوله فى القلم [من الخفيف] :

أبيات فى وصف القلم

قلم ما أراهُ أم فَلَكٌ يجـ   ـرى بما شاء قاسمٌ ويسيرُ
راكعٌ ساجدٌ يقبل قرطا   ساً كما قبل البساطَ شكُورُ

ومنه قول ابن طباطبا [من الكامل] :

قلمٌ يدُورُ بكفه فكأنهُ   فلكٌ يدورُ بنحسِه وسعُوده

وقوله فيه أيضا ، وأجاد [من الكامل] :

أقسمْتُ بالقلم الحسام فلَمْ يزلْ   يرْدَى به حَىٌّ وينْتاش الرَّدِى
وإذا رَضيتَ فريقُهُ أرْبى وإن   أضمَرت سُخطا مجَّ سم الأسْوَدِ
فكأنه فلك بكفك دائرٌ   يُجرى النجوم بأنحُسٍ وبأسعُدِ

وما أحسن قول الآخر فيه [من الكامل] :

قلم يفل الجيش وهو عرمْرَمٌ   والبيض ما سُلَّت من الأغماد
وهبت له الآجامُ حين نشا بها   كرمَ السيول وصولةَ الآساد

وقول التهامى فيه أيضا [من الكامل] :

قلم يقلِّم ظفْرَ كل ملمة   ويكفُّ كفَّ حوادث الأيام

وقول أبى سعيد بن بوقة [من الكامل] :

قلم يمجُّ على العداة سمامهُ   لكنه للمرتجين سماء
كم قد أسلتَ به لعبدك ريقةً   سوداء فيها نعمةٌ بيضاء

ومحاسن ابن المعتز كثيرة ، وكان قتلهُ فى ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين ، رحمه الله وسامحه !!

***

شاهد التركيب في هيئة السكون

٨٠ — * يقْعِي جلوس البَدَوِيّ المصطَلِي *

قائله المتنبي ، من أرجوزة (١) قالها ارتجالا فى مجلسه يصف كلبا أخذ ظبيا وحده بغير صقر ، وأولها :

ومنزل ليسَ لنا بمنزل ... ولا لِغَيرِ الغَاديات الهُطَّلِ (٢)
نَدِي الخزامىَ ذَفِرِ القَرَنفُلِ ... مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشِ لم يحَلَّلِ
عَنَّ لنا فيه مُرَاعِى مغزَلِ ... مُحَيَّنُ النفس بعيدُ المَوْئِلِ (٣)
أغناهُ حسنُ الجيدِ عن لبس الحلى ... وعادَةُ العُرْىِ عن التفضُّلِ
كأنهُ مُضَمَّخٌ بصَنْدَلِ ... معترضا بمثل قَرْنِ الأَيِّلِ
يحول بين الكلبِ والتأمُّلِ ... فحلَّ كَلاَّبِى وَثاقَ الأَحْبُلِ
عنْ أشدقٍ مُسَوْجَرٍ مُسلسلِ ... أقَبَّ ساطٍ شَرِسٍ شَمَرْدَلِ (٤)
منها إذا يُثْغَ له لا يغزلِ ... مُؤَجَّدِ الفِقْرَةِ رخو المفصلِ (٥)
له إذا أدبر لحظُ المقبِلِ ... يعدو إذا أحزن عَدْوَ المُسْهِلِ

* إذا تلاَ جاء المدَى وقدْ تُلِى *

وبعده البيت ، وبعده :

---

(١) اقرأها فى الديوان (٣ — ٢٠١)
(٢) الغاديات : السحب ، والهطل : جمع هاطلة ، وهي الكثيرة الماء .
(٣) أراد بالمراعى الظبى ، والمغزل : التى معها غزالها ، ومحين النفس : هالك
(٤) الأشدق : الواسع الشدق ، والمسوجر : الذى فى رقبته ساجور ، والمسلسل : الذى فى رقبته سلسلة . والأقب : الضامر البطن ، والساطى : الذى يسطو على الصيد .
(٥) مأخوذ من الثغاء ، وهو الصياح ، ولا يغزل : لايتلهف ولايتحير .

بأربع مجدولة لم تُجدَلِ ... فُتْلِ الأيادى رَبِذاتِ الأرجُلِ
آثارُها أمثالُها فى الجندَلِ ... يكادُ فى الوثبِ من التفتُّلِ
يجمعُ بين متنهِ والكلكلِ ... وبين أعلاهُ وبين الأسفلِ

وهى طويلة

والإقعاء : الجلوس على الأليتين ، والمصطلى : المتدفىء بالنار .

والشاهد فيه : وقوع التركيب فى هيئة السكون لوجه الشبه من الهيئة الحاصلة من موقع كل عضو من الكلب فى إقعائه ، فإنه يكون لكل عضو منه موقع خاص ، والمجموع صورة خاصة ، مؤلفة من تلك المواقع ؛ وكذلك صورة جلوس البدوى عند الاصطلاء بالنار الموقَدَة على الأرض .

أبيات فى وصف المصلوب

وفى مثل ذلك قول الأخيطل الأهوازى يصف[1] مصلوباً [من البسيط] :

كأنه عاشقٌ قد مدَّ صفحتهُ ... يومَ الفراق إلى توديع مرتحلِ
أو قائم من نُعاس فيه لُوثَتُهُ ... مُواصلٌ لتمطّيهِ من الكسل

شبهه بالمتمطى المواصل لتمطيه مع التعرض لسببه ، وهو اللوثة والكسل ، فنظر إلى الجهات الثلاث ، فلطف بحسب التركيب والتفصيل ؛ بخلاف تشبيهه بالمتمطى ، فإنه قريب التناول ، يقع فى نفس الرائى للمصلوب ، لكونه أمراً جلياً .

وقد أحسن ابن الرومى فى وصف المصلوب[2] بقوله [من الطويل] :

كأنّ له فى الجوّ حبلاً يَبُوعهُ ... إذا ما انقضى حبلٌ أُتيح له حبلُ
يُعانقُ أنفاسَ الرياحِ مُودِّعاً ... وَدَاعَ رحيلٍ لا يحطّ له رحلُ

(١) أنشدهما الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (١٦٣) بدون نسبة

(٢) أنشدهما الشيخ في أسرار البلاغة (١٦٤) منسوبين لابن الرومى أيضا

وللبحترى فيه [من الكامل] :

فتراهُ مطرداً على أعوادهِ مثلَ اطرادِ كواكبِ الجوزاء
مستشرفاً للشمس منتصباً لها فى أخريات الجذعِ كالحرْباءِ

ولابن المعتز فيه [من الوافر] :

أرانيكَ الالهُ قرينَ جذعٍ يضمكَ غيرَ ضم الالتزام
كلوطىٍّ لهُ أيرٌ طويل يفخذ للمواجر منْ قيام

ولابراهيم بن المهدى فيه [من البسيط] :

كأنه شِلوُ كبشٍ والهجيرُ له تنورُ شاوية والجذعُ سَفُّودُ

ولابن حمديس فيه [من الطويل] :

ومُرتفع فى الجذع إذ حُطَّ قدرُهُ أساء إليـه ظالمٌ وهو محسنُ
كذى غرَقٍ مدَّ الذراعين سابحاً من الجو بحراً عومهُ ليس يمكنُ
وتحسبهُ من جنـة الخلد دانيـاً يعانقُ حوراً لا تراهنَّ أعـينُ

وما أحسن قول ابن الأنبـارى فى ابن بقيـة (١) الوزير لمـا صلب من أبيات [من الوافر] :

كأنَّ الناس حولكَ حين قاموا وُفُودُ يديكَ أيامَ الصِّلاتِ
كأنكَ قائمٌ فيهمْ خطيباً وكلهمُ قيـامٌ للصلاة

وقد أخذ معنى البيت الأول من قول ابن المعتز [من الطويل] :

وصلَّوْا عليهِ خاشعين كأنهمْ وُفُودٌ وُقوفٌ للسلام عليهِ

(١) أنشـد الشيخ عبد القـاهر ستة عشر بيتا من هذه المرثية فيها هذان البيتان ، فى أسرار البلاغة (٣٠٠)

ولعمر الخراط فيه [من الكامل] :

انظرْ إليهِ كأنه فى وصفهِ مُتظلم لَحْظَ السماء بطرفهِ

بسطَ اليدين كأنهُ يدعو على من قد أشارَ على الأمير بحتفهِ

وللفقيه عمارة اليمنى فيه [من الوافر] :

ومدَّ على صَليبِ الصَّلْبِ منهُ يميناً لا تَطولُ إلى شمالِ

ونكَّسَ رأسهُ لعتابِ قلب دَعاهُ إلى الغَوايةِ والضَّلالِ

ومن العجيب أنه صلب بعد قوله هذا بقليل ، صلبه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فكانت هذه الكلمات كالفأل عليه ، وله فى معناه أيضاً [من الكامل] :

ورأت يَداهُ عظيمَ ما جَنَتا ففَرَرْنَ ذى شرْقاً وذى غرْبا

وأمالَ نحوَ الصدرِ منهُ فماً ليلومَ فى أفعالِهِ القلبا

* * *

٨١ — كما أبرقتْ قوماً عِطاشاً غمامةٌ فلما رأوْها أقشعَتْ وتجلَّتِ

شاهد المركب العقلى المنتزع من متعدد

البيت من الطويل ، ولا أعرف قائله (١) .

والمعنى : أبرقت الغمامة للقوم ، فحذف الجار وأوصل الفعل ، ومعنى أقشعت وتجلت : تفرقت وانكشفت .

والشاهد فيه : المركب العقلى من وجه الشبه ، وأنه قد ينتزع من متعدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر ، كما إذا انتزع وجه الشبه من الشطر الأول من البيت ، فانه يكون خطأ لوجوب انتزاعه من جميعه ، فان المراد تشبيه الحالة

---

(١) أنشده الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (٨٨ الطبعة الثالثة)

المذكورة فى الأبيات السابقة على هذا البيت بظهور الغمامة لقوم عطاش ثم تفرقها وانكشافها بواسطة اتصال مُطْمع بانتهاء موئس، لأن البيت مثل فى أن يظهر للمضطر إلى الشيء الشديد الحاجة إليه أمارة وجوده ثم يفوته ويبقى تحسره وزيادة ترجيه.

وفى معناه قول مسلم بن الوليد [من الطويل]:

وشِمْتُكَ إذ أقبلت فى عارض الغِنَى فأقلَعْتَ لم تَنْبض بِرِيّ ولا مَحْل

آيات فى وصف السحاب الذى لا يعقبه المطر

وقول بشار بن برد [من الطويل]:

أظَلَّتْ علينا منكَ يوماً سَحابةٌ أضاءت لنا برقاً وأبطا رَشاشُها

فلا غَيْمُها يُجلى فييأسَ طامعٌ ولا غيثها يأتى فيروَى عِطاشُها

وقوله [من الوافر]:

لمرْوانٍ مَوَاعدُ كاذباتٌ كبرق الحياء وما استهلاّ

والأصل فيه قول الأحوص [من الطويل]:

وكنتُ وما أمّلتُ منكَ كبارقٍ لوى قَطْرَهُ من بعد ما كان غيّما

وما أحسن قول بعضهم [من الطويل]:

ألا إنما الدنيا كَظِلِّ غمامةٍ إذا ما رَجاها المستَهِلُّ اضمحلّتِ

فلا تكُ مِفْراحاً إذا هى أقبلَتْ ولا تكُ مِحْزاناً إذا ما تولَّتِ

ولابن الطراوة النحوى فى معنى البيت وقد خرجوا ليستسقوا على إثر قحط فى يوم غامتْ سماؤه فزال ذلك عند خروجهم [من الكامل]:

خرجوا ليَستَسقُوا وقد نَشأت بَحْرِيَّةٌ قَمِنٌ بها السحُّ

حتى إذا اصطفُّوا لدعوتهم وبدا لأعينهم بها نَضحُ

كُشِفَ الغمامُ إجابةً لهمُ فكأنهم خرجوا ليَستَصحوا

وقد سبقه إلى ذلك أبو على المحسن التنوخى فقال [من الطويل]:

خرجنا لنستسقى بيُمْنِ دُعائه وقد كادهُدْبُ الغيم أن يلبس الأرضا
فلما بدا يدعو تَقَشَّعت السما فما تم إلا والغمامُ قد ارْفَضَّا

ومنه قول بعضهم [من الكامل] :

لما بدا وجهُ السماء لهمْ مُتَجهِّماً لم يُبْدِ أنواء
قاموا ليَستسقوا الالهَ لهم غَيْثاً فلم يَسقيهم الماء(١)

***

٨٢ — فان تَفُقِ الأنامَ وأنتَ مِنهُمْ فانَّ المسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزالِ

شاهد إمكان وجود المشبه

البيت لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة (٢) من الوافر ، يرثى بها والدة سيف الدولة بن حمدان ، أولها :

نُعِدُّ المشْرَفيَّةَ والعَوالى وتَقْتلنا المَنونُ بلا قِتالِ
ونَرْتَبطُ السَّوابِقَ مقْرَباتٍ وما يُنْجِينَ من خَبَبِ الليالى

وهى طويلة ، وقبل البيت قوله يخاطب سيف الدولة :

رَأيتُكَ فى الذين أرى ملُوكا كأنكَ مُستقيمٌ فى مُحالِ

حكى أن المتنبى قيل له : إن المحال لا يطابق الاستقامة ، ولكن القافية ألجأتك إلى ذلك ، فلو فرض أنك قلت « كأنك مستقيم فى اعوجاج » كيف كنت تصنع فى الثانى ؟ فقال ولم يتوقف « فان البيض بعض دم الدجاج » فاستحسن هذا من بديهته .

والشاهد فيه : بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود ، وذلك فى كل أمر غريب يمكن أن يخالَفَ فيه ويُدَّعى امتناعه ، فانه أراد أن يقول : إن الممدوح

(١) كذا ، وفيه أنه أثبت حرف العلة مع وجود عامل الجزم ، وله نظائر فى العربية

(٢) اقرأها فى الديوان (٣ – ٧)

قد فاق الناس ، بحيث لم يبق بينه وبينهم مشابهة بوجه ، بل صار أصلا برأسه وجنسا بمفرده ، وهذا فى الظاهر كالممتنع ، لاستبعاد أن تتناهى بعض آحاد النوع فى الفضائل الخاصة بذلك النوع إلى أن يصير كأنه ليس منها ، فاحتجّ لهذه الدعوى وبين إمكانها بأن شبه حاله بحال المسك الذى هو من الدماء ثم إنه لا يعد منها لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا توجد فى الدم ، ويسمى مثل هذا تشبيها ضمنيا أو مكنيا عنه ، لدلالة البيت عليه ضمنا ،

وقد أحسن السراج الوراق تضمينه بقوله [من الوافر] :

أبيات فى معنى انفراد الشىء عن جنسه بفضيلة

وأَصْيَدَ ظلَّ يدركُ يومَ صَيْدٍ طَرَائدَهُ بجُرْدٍ كالسَّعَالى
فان عَبَقَتْ لنا يمناهُ مِسْكا فان المسكَ بعضُ دم الغزَالِ

والشهاب ابن بنت الأعز بقوله [من الوافر] :

وقالوا بالعذارِ تَسَلَّ عنه وما أنا عن غزالِ الحسنِ سَالى
وإنْ أبدَتْ لنا خدَّاهُ مسكا فان المسك بعض دم الغزال

ويشبه قول أبى الطيب المتنبى هنا فى سيف الدولة قوله فى عضد الدولة [من الوافر] :

ولولا كونكم فى الناسِ كانوا هُرَاءً كالكلام بلا معانِ[1]

ومثله قول يحيى بن بقى [من البسيط] :

هل يَسْتَوى الناس قالوا كلُّنا بَشَرٌ فالمنْدَلُ الرطبُ والطرفاءُ أعْوَادُ

وللغزى فى مثله [من المتقارب] :

فلاَ غروَ إن كنتَ بعضَ الورَى فإنّ اليَلَنْجُوجَ بعضُ الحطَبْ

---

(١) فى الأصل « هذاء كالكلام بلا معان» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان (٤ - ٢٦٢) والهراء - بزنة الغراب - الفاسد من الكلام .

ومنه قول خلف بن عبد العزيز النحوى [من الكامل] :

ماأنتَ بعضَ الناس إلاّ مثل ما بعضُ الحصا الياقوتةُ الحمراء

وللحصرى فيه [من الطويل] :

أبا بكرٍ ان أصبحت بعضَ ملوكهم فإن الليالى بعضها ليلةُ القدرِ

ومثله قول ابن قلاقس وأجاد [من الكامل] :

أنشرْتَ من آبائكَ الصيدِ الأُولى ذكراً لسانُ الدهر ناشرُ نَشْرِهِ

كرُموا فزدتَ عليهم فكأنّهم شهرُ الصيام وأنتَ ليلةُ قدرِهِ

ومثله قول التهامى [من الطويل] :

لقدْ شرَّفَ الرحمنُ قدركَ فى الورى كما فى الليالى شُرِّفَتْ ليلةُ القدرِ

وإن كنتَ من جنس البرايا وفقتهُمْ فللمسك نشرٌ ليسَ يوجَدُ فى العطرِ

وما أحسن قول شيخ الشيوخ رحمه الله [من البسيط] :

فَاقَتْ بيوسفُها الدنيا وفاحَ لها طيبٌ طوى المسكَ من نشرِها أرجِ

فان يُشارِكْهُ فى اسم الملك طائفةٌ فان شمس الضحى من جملة السُّرُجِ

ومثلهُ قول عبد الصمد بن بابك [من الطويل] :

تقاعسَ عنكَ الفاخرون فأحجموا وخيلُ المغانى غيرُ خيل المواكبِ

فان زَعمَ الأملاكُ أنَّكَ منهمُ فَخاراً فان الشمس بعضُ الكواكب

ومن البديع فى معناه قول ابن شرف القيروانى [من الكامل] :

سلكَ الورى آثارفضلكَ فانثنى متكلف عن مسلكٍ مطبوعِ

أبناءَ جنسكَ فى الحلى لافى العلا وأقولُ قولاً ليسَ بالمدفوعِ

أبداً ترى البيتين يختلفان فى الـمعنى ويتفقان فى التقطيعِ

وفى مقلوب معنى البيت قول الصاحب بن عباد يهجو [من الوافر] :

أبوكَ أبو علىّ ذُو اعتلاء إذا عدّ الكرامُ وأنتَ نجلُهْ

وإن أباكَ إذ تُعزَى إليه لكالطاوُوس تقبُحُ منهُ رجلُهْ

***

شاهد ندرة حضور المشبه به فى الذهن عند حضور المشبه

٨٣ — ولاَ زَوَرْدِيةٍ تزهو برُزْقتِها وسْطَ الرياض على حُمْرِ اليواقيت

كأنها وضعافُ القُضْبِ تحملها أوائلُ النارفى أطراف كبريتِ (١)

البيتان لابن الرومى يصف البنفسج ، وقبلهما :

بنفسجٌ جُمِعَتْ أوْرَاقُهُ فحكَى كُحلاً تَشَرَّبَ دَمعاً يوم تشتيتِ

وهى من قصيدة من البسيط : (٢)

والشاهد فيهما : كون المشبه به نادر الحضور فى الذهن عند حضور المشبه فان صورة اتصال النار بأطراف الكبريت يندر حضورها فى الذهن عند حضور صورة البنفسج ، فيُستطرف لمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية التباعد فانه أراكَ شبها لنبات غَضّ يرفّ ، وأوراق رطبة من لهب نارٍ ، استولى عليه اليبس ، ومبنى الطبائع على أن الشىء إذا ظهر من موضع لم يعهد ظهوره منه كان ميل النفوس إليه أ كثر ، وهى بالشغف به أجدر .

وهذان البيتان من نادر التشبيه وغريبه ، وليس يَنْدِ لهما إلا قول النميرى [من البسيط] :

---

(١) الذى فى نسخ التلخيص

كـأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار فى أطراف كبريت

(٢) لاتوجد فى ديوانه المطبوع كلمة على هذا الوزن والروى

بَنفسجٌ بذكِيِّ المسكِ مخصوصُ ما فى زمانكَ إن وافاكَ تنغيصُ
كأنما شُعَلُ الكبريت منظرهُ أوخدُّ أغيدَ بالتخميش مقروصُ

وقول الآخر [من الكامل] :

ما زلتُ من شغفى ألمُ كفهَا وذراعها بالقرْص والآثارِ
حتى جعلتُ أديمَهَا وكأنما غُرِسَ البنفسجُ فى نقَا الجمارِ

وقد لطف ابن كيغلغ فى استعارة المعنى ، فقال [من الكامل] :

لما التقينا للوداعِ وأعربَتْ عبراتُنا عنا بدمعٍ ناطقِ
فرّقنَ بينَ محاجرٍ ومعاجرٍ وجمعنَ بينَ بَنفسجٍ وشقائقِ

واستعاره أبو تمام فى قوله [من الوافر] :

لها من لوعة البينِ التدامٌ يُعيدُ بنفسجاً وردَ الخدودِ

وقوله « التدام » مما أخذ عليه به فى جملة ما أخذ .

***

٨٤ — وبَدَا الصباحُ كأنَّ غُرّتَهُ وَجْهُ الخليفة حين يُمتدحُ

شاهد التشبيه المقلوب

البيت لمحمد بن وهيب الحميرى ، من قصيدة من الكامل ، يمدح بها المأمون ، أولها :

العذرُ إن أنصفتَ متضحُ وشهودُ حبكَ أدمعٌ سفحُ (٢)

---

(١) اقرأ كل ما أورده المؤلف من أبيات هذه القصيدة فى الأغانى (١٧ — ١٤٨ بولاق)

(٢) فى الأغانى «وشهيد حبك»

وإذا تكامت العيونُ على إعجامها فالسرُّ مفتضحُ
فضحت ضميرَك عن ودائعه إن الجفون نواطقٌ فُصُحُ(١)
رُبَّما أبيتُ مُعانقي قمرٌ للحسن فيه مخايلٌ تَضِحُ(٢)
نشرَ الجمالُ على محاسنه بِدَعاً وأذهبَ همّه الفرحُ
يختالُ فى حُلَلِ الشباب ، به مَرَحٌ وداؤُكَ أنه مَرِحُ
مازالَ يُلثمنى مَراشفهُ ويعلّنى الإبريقُ والقدحُ
حتى استردَّ الليلُ خلعتَهُ ونشا خلالَ سوادِهِ وَضَحُ

وبعده البيت ، ثم إنه يقول فيها :

نشرَتْ بكَ الدُّنيا محاسنها وتزَينتْ بصفاتكَ المِدَحُ
وَكأنَّ ماقدغابَ عنكَ لهُ بإزاء طرفكَ عارضاً شبَحُ(٣)
وإذا سلمْتَ فكلُّ حادثة جَلَلٌ ، فلاَ بُؤسٌ ولا ترَحُ(٤)

والشاهد فى البيت : إيهام أن المشبه به أتمّ من المشبه(٥) ، ويسمى التشبيه

---

(١) فى الأغانى « نواطق فضح »

(٢) فى الأصل « مهما أبيت » وفى الأغانى « وبما أبيت » وكلاهما محرف عما أثبتناه

(٣) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

وكأنما مذ غاب عنك له بازاء طرفك عارض سحح

وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٤) جلل هاهنا بمعنى هين يسير

(٥) الأصل فى كل تشبيه أن يكون المشبه به أتم فى وجه الشبه من المشبه وعلى ذلك فالعبارة غير وافية بأداء ما يريد المؤلف ، والذى يريده هو أن الذى من حقه أن يكون مشبها وهو وجه الخليفة فى هذا البيت يراد إيهام أنه أتم فى وجه الشبه من الذى حقه أن يكون مشبها به وهو الصباح ، فيعمد إلى قلب التشبيه بأن يجعل المشبه مشبها به والمشبه به مشبها

المقلوب ، فانه قصد إيهام أن وجهَ الخليفة أتمُّ من الصباح فى الوضوح والضياء ، وفى قوله « حين يمتدح » دلالة على اتصاف الممدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه عند الحاضرين بالاصغاء إليه والارتياح له ، وعلى كونه كاملا فى الكرم ، يتصف بالبشر والطلاقة عند استماع المديح .

وفى معناه قول البحترىّ [من الطويل] :

كأن سَنَاها بالعشِىِّ لصُبحها تبَسُّمُ عيسى حين يلفظُ بالوعْدِ

وتقدم ذكر ابن وهيب فى شواهد المسند [1] .

* * *

٨٥ ـ تَشَابَهَ دَمْعِي إِذْ جَرَى وَمُدَامَتِي فَمِنْ مِثْلِ مَا فِى الكَأْسِ عَيْنِيَ تَسْكُبُ
فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَبِالْخَمْرِ أَسْبَلَتْ جُفُونِيَ أَمْ مِنْ عَبْرَتِي كُنْتُ أَشْرَبُ

شاهد الحكم بالتشابه

البيتان لأبى إسحاق [2] الصابى ، من الطويل ، ورأيت فى اليتيمة البيت الأول بلفظ « تورد » بدل « تشابه » .

والشاهد فيهما : ترك التشبيه والعدول إلى الحكم بالتشابه ، ليكون كل واحد من الشيئين مشبها ومشبها به ، احترازا من ترجيح أحد المتساويين فى وجه الشبه ، فان الشاعر لما اعتقد التساوى بين الخمر والدمع ولم يعتقد أن أحدهما زائد فى الحمرة والآخر ناقص يلحق به حكم بينهما بالتشابه وترك التشبيه .

وفى معناه قول الصاحب بن عباد [3] [من الكامل] :

---

(١) انظر ترجمته فى شرح الشاهد (رقم ٤٠ ص ٢١٥ ج ١)
(٢) انظرهما فى يتيمة الدهر فى ترجمة الصابى (٢ ـ ٢٣٣)
(٣) انظر هذين البيتين وثلاثة الأبيات بعدهما فى أثناء ترجمة الصاحب بن عباد من يتيمة الدهر (٣ ـ ٢٣٦)

رقَّ الزجاجُ وراقتِ الخمرُ وتشابها فتشاكلَ الأمرُ[١]
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدح ولا خمرُ

وقوله أيضاً من أبيات [من الكامل] :

مُتغايرات قد جمِعْنَ وكلُّها مُتشاكلٌ أشباحُها أرْواحُ
وإذا أردتَ مُصَرِّحاً تفسيرها فالرَّاحُ والمِصباحُ والتُّفاحُ
لم يَعلم السَّاقى وقد جُمِعَن لى من أى هٰذى تملأ الأقداحُ[٢]

ومثله ما كتب به أبو الوليد بن زيدون إلى المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية مع تفاح أهداه إليه [من مجزوء الكامل] :

يامن تزينت السيا دةُ حين أُلبسَ ثوبها
جاءتكَ جامِدَةَ المُدا م فخذ عليها ذَوْبها

وهو مأخوذ من قول الخليع [من السريع] :

الرَّاحُ تفاحٌ جرى ذائباً كذلك التُّفاحُ راحٌ جمَدْ
فاشْرَب على جامده ذَوْبَهُ ولا تَدَعْ لذة يوم لغَدْ

وللسرى الرفاء فى معناه [من المنسرح] :

وقد أضاءت نجومُ مجلسنا حتى اكتسى غرَّةً وأوْضاحا
لو جمدَتْ راحُنا اغتدت ذهباً أوذابَ تفاحنا اغتدى راحا

ولطاهر العتابى فى هذا المعنى [من الطويل] :

أيا ليلةً قد بت أهزمُ بردَها بجيشين من خمر عتيق ومن جمْرِ

---

(١) فى اليتيمة « ورقت الخمر » وما هنا أحسن
(٢) فى اليتيمة « لو يعلم الساقى » وما هنا أحسن

فطوراً أظن الخمر من ذوب جمرها وطوراً أظن الجمر من جمد الخمر

والصابى (١) هو إبراهيم بن هلال بن هارون الحرانى (٢). قال فى حقه أبو منصور الثعالبي: هو أوحد العراق فى البلاغة، ومَنْ به تُثْنَى الخناصر فى الكتابة، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة فى الصناعة. وكان قد بلغ التسعين فى خدمة الخلفاء، وخلافة الوزراء، وتقلد الأعمال الجلائل، مع ديوان الرسائل، وحَلَب الدهرَ أشْطُره، وذاق حلوه ومره، ولابس خيره ومارس شره، ورُئِس ورأس، وخُدم وخَدَم، ومدحه شعراء العراق فى جملة الرؤساء، وشاع ذكره فى الآفاق، وَدون له من الكلام البهى النقى العلوى ما تناثرت درره وتكاثرت غرره، وفيه يقول بعض أهل العصر [من الكامل]:

أصبحتُ مُشتاقاً حَليفَ صَبابةٍ بِرَسائلِ الصابى أبى إسحاقِ
صَوبُ البلاغةِ والحلاوةِ والحِجَى ذَوْبُ البراعةِ سَلوةُ العُشاقِ
طَوْراً كما رَقّ النسيمُ وتارةً يحكى لنا الأطواقَ فى الأعناقِ
لا يَبْلُغ البُلغاء شأوَ مبرز كتبَتْ بدائعه على الأحداقِ

ويقول أيضاً [من الكامل]:

يا بؤس من يُمْنَى بدمع ساجم يَهْمِي على حُجُبِ الفؤاد الواجم
لولا تعلله بكأسٍ مُدامةٍ ورَسائل الصابى وشِعْرِ كُشاجم

(١) للصابى ترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢ - ٢١٨ مصر) وفى وفيات الأعيان لابن خلكان (١ - ٢٠ النيل بمصر)

(٢) هكذا وقع فى أصول هذا الكتاب موافقا لما فى يتيمة الدهر، وفى ابن خلكان «هو إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن حبون» وضبط زهرون - كعادته - بفتح الزاى وسكون الهاء، وحبون بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة

ويحكى أن الخلفاء والملوك والوزراء راودوه(١) كثيراً على الاسلام ، وأداروه بكل حيلة وتمنية جميلة (٢) حتى إن السلطان بختيار عرض عليه الوزارة إن أسلم فلم يهده الله تعالى للاسلام ، كما هداه إلى محاسن الكلام ، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكابر أوقع (٣) خدمة، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن الكريم حفظا يدور على طرف لسانه وسن قلمه ، وكان فى أيام شبابه واقتباله أحسنَ حالا وأرخَى بالا منه فى أيام استكماله ، وفى زمن اكتهاله أورى زنداً وأسعد جدًّا منه حين مَسَّه الكبر وأخذ منه الهرم ، ففى ذلك يقول من قصيدة فى فنها فريدة كتب بها إلى الصاحب يشكو بثه وحزنه ويستمطر سحابه ومُزْنه ، بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء (٤) [من الكامل] :

عجباً لحظى إذ أراهُ مُصالحى ... عَصْرَ الشباب وفى المشيب مغاضبى
أمنَ الغوانى كانَ حتى خاننى ... شيخاً وكانَ لدى الشبيبةِ صاحبى (٥)
أمَعَ التضعضع ملَّنِى متجنباً ... ومع الترعرع كان غير مجانبى
ياليت صَبْوَته إلىَّ تأخَّرَت ... حتى تكون ذخيرةً لعواقبى

وكان المهلبي لا يرى الدنيا إلا به ، ويحن إلى براعته (٦) ، وتقدم قدمه ، ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه فى أوقات أنسه . فلما مات المهلبى ، وأبو إسحاق

---

(١) فى اليتيمة « أرادوه » وهى أوفق
(٢) فى اليتيمة «جليلة » وهى أدق
(٣) فى اليتيمة «أرفع خدمة»
(٤) فى الأصل « الاكاف » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٥) فى اليتيمة « حتى ملنى » وفيها « وكان على صباى مصاحبى »
(٦) في الأصل « ويحن على » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

يلى ديوان الرسائل والخلافة على ديوان الوزارة اعتقل فى جملة عمال المهلبى وأصحابه ، فمن قوله فى ذلك الاعتقال من قصيدة [من الكامل] :

يأيها الرُّؤساء دعوةَ خادمٍ أوْفَتْ رسائلهُ على التعديد
أيجوزُ فى حكمِ المُروءةِ عندكمْ حبسى وطُولُ تهدُّدى ووعيدى
أنسيتم كُتباً شحنتُ فصولَها بفصول دُرٍّ عنكمُ منضودِ
ورسائلاً نَفَذَتْ إلى أطرافكمْ عبدُ الحميد بهنّ غيرُ حميدِ (١)
يهتزُّ سامعهُنّ من طَرَبٍ كما هزّ النديمَ سَماعُ صوتِ العودِ (٢)

ومنها :

قصرتْ خُطاهُ خلاخلٌ من قيده فتراه فيها كالفتاة الرُّودِ
يمشى الهوينى ذِلةً لا عزةً مشىَ النزيفِ الخائفِ المزؤدِ

ولما خُلى عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يطير ويقع ، وينخفض ويرتفع ، إلى أن دُفع فى أيام عضد الدولة إلى النكبة العظمى ، والطامة الكبرى ، إذ كان فى صدره حزازات كثيرة من إنشا آت له عن الخليفة ، وعن (٣) بختيار نقمها منه واحتقدها عليه . قيل : كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة على أبى إسحاق بعد ميله إليه وضنه به فصلٌ له من كتاب أنشأه عن الخليفة فى شأن بختيار ، وهو « وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعى السوابق ، والمعالى

(١) فى الأصل « ورسائلا نفدت » بالدال مهملة ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة ولانسجام البيت

(٢) فى اليتيمة « ضرب العود »

(٣) فى اليتيمة « من إنشاءات له عن الخليفة الطائع في شأن عز الدوله بختيار » وهو المناسب لما يلى ذلك بثلاثة أسطر .

السوامق ، التى يلزم كلّ دان وقاص ، وعام وخاص ، أن يعرف له حق ما أكرم به منها ، ويتزحزح عن رتبة المماثلة فيها » فان عضد الدولة أنكر هذه اللفظة أشد إنكار ، ولم يشك فى التعريض به ، وأسرّها فى نفسه ، إلى أن ملك بغداد وسائر العراق ، وأمر أبا إسحاق بتأليف كتاب فى أخبار الدولة الديلمية يشتمل على ذكر قديمه وحديثه ، وشرح سيره وحروبه وفتوحه ، فامتثل أمره ، وافتتح كتابه المترجم بالتاجى ، واشتغل به فى منزله ، وأخذ يتأنق فى تصنيفه وترصيفه ، وينفق من روحه على تقريظه وتشنيفه ، فرُفع إلى عضد الدولة أن صديقاً للصابى دخل إليه ، فرآه فى شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبيض ، فسأله عما يعمل من ذلك ، فقال : أباطيل أنمقها ، وأكاذيب ألفقها ، فانضاف تأثيرُ هذه الكلمة فى قلب عضد الدولة إلى ما كان فى نفسه من أبى إسحاق ، وتحرك من ضغنه الساكن ، وثار من سخطه الكامن ، فأمر أن يلقى تحت أرجل الفيلة ، فأكب جماعة من أرباب الدولة على الأرض ، يقبلونها بين يديه ، ويشفعون إليه فى أمره ، ويتلطفون فى استيهابه ، إلى أن أمر باستحيائه مع القبض عليه وعلى أسبابه ، واستصفاء أمواله ، فبقى فى ذلك الاعتقال بضع سنين إلى أن تخلص فى آخر أيام عضد الدولة ، وقد رزحت حاله وتهتك ستره .

وكان الصاحب ابن عباد يحبه أشد الحب ، ويتعصب له ويتعهده على بعد الدار بالمنح ، والصابى يخدم حضرته بالمدح ، وكان الصاحب يتمنى انحيازه إليه وقدومه عليه ، ويضمن له الرغائب على ذلك إما تشوقا أو تشرفا وكان هو يحتمل ثقل الخلة ، وسوء أثر العطلة ، ولا يتواضع للاتصال بجملة الصاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة فى أيامه .

وكان الصاحب كثيراً ما يقول : كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة ،

الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحاق الصابى ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعنى نفسه .

فأما الترجيح بين هذين الصادين [١] — أعنى الصاحب والصابى — فقد خاض فيه الخائضون ، وخَبَّ فيه المخبون ، [٢] ومن أشف ما سمعته من ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد ، والصابى يكتب كما يؤمر : أى كما يراد ، و بين الحالين بَوْنٌ بعيد ، وكيف جرى الأمر فهما هما ، ولقد وقف فلك البلاغة بعدهما .

ولنذكر نبذا من نثره ونظمه ، لتكون كالعنوان على محاسنه .

فمن ذلك فصل له من كتاب إلى عضد الدولة فى التهنئة بتحويل سنة « أسأل الله مبتهلا لديه ، مادا يدى إليه ، أن يحيل [٣] على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات ، والزيادات الغامرات ، ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه ، موفيا على المتقدم له ، قاصراً عن المتأخر عنه ، و يوفيه من العمر أطوله وأبعده ، ومن العيش أعذبه وأرغده ، عزيزا منصوراً ، محميا موفورا ، باسطا يده لا يقبضها إلا على نواصى أعداء وحساد ، ساميا طَرْفُه فلا يغضه إلا على لذة غمض ورقاد ، مستريحة ركابه فلا يُعملها إلا لاستضافة عز وملك ، فائزة قِداحُه فلا يُجيلها إلا لحيازة مال وملك ، حتى ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنيــة صالحة ، وتسمو له همة طامحة » .

فصل من رسالته فى وصف المتصيد والصيد « وخيلنا كالأمواج المتدفقة ، والأطواد الموثقة ، متشوقة عاطية ، مستبقة جارية [٤] تشتاق الصيد وهى لا تطعمه ، ونحن إليه كأنه قضيم تَقْضِمه ، وعلى أيدينا جوارح مؤللة المخالب والمناسر ،

---

(١) فى اليتيمة « بين هذين الصدرين »
(٢) فى الأصل « وأطنب المخلصون » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٣) فى الأصل « أن يجعل » وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة
(٤) فى الأصل «متشنفة جارية» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

مذربة النصال والخناجر ، طامحة الألحاظ والمناظر ، بعيدة المرامى والمطارح ، ذكية القلوب والنفوس ، قليلة القطوب والعبوس ، سابغة الأذناب ، كريمة الأنساب ، صلبة الأعواد ، قوية الأوصال ، تزيد إذا طعمت [١] شَرَهًا وقَرَمًا ، وتتضاعف إذا شبعت كلباً ونهما ، فبينا نحن سائرون ، وفى الطلب مُمْعِنون ، إذ وردنا ماء زُرْقًا جمامُه ، طامية أرجاؤه ، يبوح بأسراره صفاؤه ، وتلوح فى قراره حصباؤه ، وأفانين الطير به مُحْدِقة ، وغرائبه عليه واقعة ، متغايرة الألوان والصفات ، مختلفات الأصوات واللغات ، فمن صريح خلص وتهذب نوعه ، ومن مشوب تهجن أو أقرف عرقه ، فلما أوفينا عليها ، أرسلنا الجوارح إليها ، كأنها رسل المنايا ، أو سهام القضايا ، فلم نسمع إلا مُسَمِّيًا ، ولم نر إلا مُذَكِّيا ، ثم عُدْنا لشأننا دفعات ، وأطلقنا مرات » .

ومن فصل منها « ثم عدلنا عن مطارح الخيام ، إلى مسارح الآرام ، نستقرى ملاعبها ، ونؤم مجامعها . حتى أفضينا إلى أسراب لاهية بأطلائها ، راتعة بأكلائها [٢] ، ومعنا فهود أخطف من البروق ، وأثقف من الليوث ، وأمكر من الثعالب ، وأدبُّ من العقارب ، وأنزى من الجنادب ، خُمْص الخصور ، قُبُّ البطون ، رُقْش المتون ، حمر الآماق ، خُزْر الأحداق ، هرت الأشداق ، عراض الجباه ، غلب الرقاب ، كاشرة عن أنياب كالحراب » .

وله فصل فى ذكر الأقدار « لله تعالى أقدار تَرِدُ فى أوقاتها ، وقضايا تجرى إلى غاياتها ، لا يرد شىء منها عن شأوه ومداه ، ولا يُصَدُّون مطلبه ومنحاه ، فهى كالسهام التى لا تثبت إلا فى الأغراض ، ولا ترجع بالاعتراض [٣] والناس

(١) فى الأصل « تزيد إذا ألحمت » محرفا ، والخيل لا تعلف اللحم وفى اليتيمة « إذا طمعت »

(٢) في اليتيمة « راتعة فى أكلائها » وهى أحسن

(٣) فى الأصل « ولا ترجع إلا بالاعتراض » وبديهي أن كلمة « إلا » هاهنا تفسد المعنى غاية الفساد ، وليست ثابتة فى اليتيمة

فيها بين عطية يجب الشكر عليها ، ورزيّةٍ يوثق بالعوض عنها » .

وله من فصل عن بختيار إلى سبكتكين الغزنى (١) « ليت شعرى بأى قدم توافينا(٢) ورايانا خافقة على رأسك ، ومماليكنا عن يمينك وشمالك ، وخيلنا الموسومة بأسمائنا تحتك ، وثيابنا المنسوجة فى طرزنا على جسدك ، وسلاحنا المشحوذ لأعدائنا فى يدك » .

ومن فصل فى ذكره « هو أرق دينا وأمانة ، وأخفض قدراً ومكانه ، وأتم ذلا ومهانة ، وأظهر عجزاً وزمانة ، من أن تستقل به قدم فى مطاولتنا ، أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا ، وهو فى نشوزه عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشودة ، وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردودة » .

ومن ملح شعره قوله فى الغزل ، وهو فى معنى البيتين المستشهد بهما [من الكامل] :

جَرَتِ الدموع دَماً وكأسِى فى يدى شَوْقاً إلى من لَج فى هِجْرَانى
فَتَخالفَ الفعلانِ شارب قَهْوَةٍ يبكى دماً وتَشابَهَ اللوْنانِ
فكأن ما فى الجِفْنِ من كأسى جرى وكأن ما فى الكأس من أجفانى

وقال [من الخفيف] :

لَسْتُ أشكو هواكَ يا من هَوَاهُ كلُّ يوم يُرَوِّعُنى منه خطبُ
مُرُّ ما مَرَّ بى من أجلك حلوٌ وعذابى فى مثل حبكَ عَذْبُ

وقال [من البسيط] :

إن نحن قِسناكَ بالغُصْنِ الرَّطيب فقدْ جِفْنَا عليكَ به ظلماً وعدْوانَا
الغُصْنُ أحسنُ ما نلقاهُ مكتسياً وأنتَ أحسن ما نلقاكَ عُرْيانا

(١) فى الأصل « سبكتكين المعزى » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٢) فى اليتيمة « بأى قدم توافقنا » ولعلها أحسن .

وقال [من الوافر] :

مَرِضتُ من الهوَى حتى إذا ما … بَدَا ما بى لإخوانى الحُضُورِ
تَكنَّفَنى ذوو الاشفاق منهم … ولاَذُوا بالدعاء وبالنُّـــذُورِ
وقالوا للطبيبِ : أشِرْ ، فانَّا … نُعِدُّكَ للمهمّ من الأمورِ
فقالَ : شفاؤه الرُّمانُ مما … تضمنَهُ حشاهُ من السعيرِ
فقلتُ لهم : أصابَ بغيرِ عمدٍ … ولكنْ ذاكَ رُمانُ الصدُورِ

وقال [من المنسرح] :

ما أنسَ لا أنسَ ليلةَ الأحد … والبدرُ ضَيْفى وأمرُهُ بيدِى
قبلتُ منهُ فماً مُجاجَتُهُ … تجمعُ بينَ المدَامِ والشُّهُدِ
كأنَّ مجرَى سِوَاكِه بَرَدٌ … وَرِيقهُ ذَوْبُ ذلكَ البردِ

وقال فى شمامة كافور [من الطويل] :

وشمَّامة كالبدرِ عندَ اعتراضهِ … وكالكوكبِ الدرىِّ عندَ انقضاضهِ
يودُّ سوَادُ العين من شغفٍ بها … لو اعتاضَهَا مُستَبدِلاً ببياضهِ

وقال [من الطويل] :

ومخرُورَةِ الأحشاء تحسبُ أنها … متيمةٌ تشكو من الحبِّ تبريحا
تُناجيكَ نجوَى يسمعُ الأنفُ وَحْيها … وتجهله الأذْنُ السميعة إذ يُوحَى
تحرق فيها الندَّ عوْداً وبدْأةً … فتأخذهُ جسما وتنفثُهُ رُوحا

وقال فى غلام له أسود اسمه (١) رُشْد [من الكامل] :

أبصرتُ فى رُشْد وقد أحببتهُ … رُشْدى، ولم أحفل بمن قدْ يُنكرُ

---

(١) ذكر ابن خلكان أن اسم الغلام يمن ، ونقل ذلك عن الثعالبى في كتاب الغلمان ، والذى فى اليتيمة موافق لما هنا

يا لأبي ، أعلىَ السواد تلومني ... من لونه ، وبه عليكَ المفخرُ ؟
دَعْ لي السوادَ وخذ بياضكَ ، إنني ... أدْرَى بما آتي وما أتخيَّرُ
مثوى البصيرةِ في الفؤاد سوادُه ... والعينُ بالمسودِّ منها تُبصرُ
فالدينُ أنتَ مُناظرٌ فيه بدا ... وكذاكَ في الدنيا بِهذي تنظرُ
بسواد ذَيْنِكَ تستضىء ولوهما ابْـيضا تغشَّاكَ الظلامُ الأكدرُ
فغدا بياضُكَ وهو ليلٌ دامسٌ ... وغدا سوادي وهو فجرٌ أنورُ

وقال فيه أيضا [من الكامل] :

قد قال رشدٌ وهو أسودُ للذي ... ببياضه يعلو علوَّ الخائنِ(١)
مافخرُ خَدِّكَ بالبياض وهل ترى ... أن قد أفدت به مزيد محاسنِ
لو أنَّ مني فيه خالاً زانهُ ... ولو انّ منهُ فيَّ خالاً شانني

آيات في مدح السودان

ولقد تفنن الشعراء في مدح السودان وأكثروا ، فمن ذلك قول ابن الرومي من قصيدة طويلة [من المنسرح] :

أكسبها الحبُّ أنها صُبِغَتْ ... صِبْغَةَ حَبِّ القلوب والحدقِ

وقول ابن خفاجة الأندلسي أيضا [من السريع] :

وأسودٍ يسبحُ في لجةٍ ... لا تكتمُ الحصباء غُدْرانُها
كأنها في شكلها مقلة ... زرقاء والأسودُ إنسانها

وقول الآخر [من السريع] :

يا أسودا يسبح في بركةٍ ... فقتَ الورى حسناً وإحسانَا

---

(١) الأبيات في ابن خلكان ، وفيه « قد قال بمن » وكان في الأصل « يعلو علو الخائن » محرفا وفي اليتيمة * ببياضه استعلى علو مباين *

كنتَ لحسن الخدِّ خالاً وقدْ ... صرتَ لعينِ العين إنسانا

وقول شرف الدين بن عنين [من الطويل] :

وماذا عليهم أن كلفتُ بأسودٍ ... محلَّته بالقلب والعين منهمُ
وقد عابنى قوم بتقبيل خده ... وماذاكَ عيبٌ ، أسودُ الركنِ يُلثمُ
وما شانهُ ذاكَ السوادُ لأنهُ ... لغير الثنايا والخلائق معلَمُ

وقال ابن رياح الملقب بالحجام [من البسيط] :

يالعُبةً بذوى الألباب لاعبةً ... فى أصلِ حسنكَ معنًى غير متفقِ
خُلقتِ بيضاء كالكافور ناصعةً ... فصرتِ سوداء من مثواكِ فى الحدق

وقال أحمد بن بكر الكاتب [من المجتث] :

يا من فؤادىَ فيها ... متيما لا يزالُ
إن كان لليل بدرٌ ... فأنتِ للصبح خالُ

وقال الوزير المغربى [من مخلع البسيط] :

يا رُبَّ سوداء تيمتنى ... يَحْسُن فى مثلها الغرامُ
كالليل تُستسهَلُ المعاصى ... فيه ويستعذبُ الحرامُ

وقريب منه قول ابن أبى الجهم [من مخلع البسيط) :

غُصنٌ من الآبنوس أهدَى ... من مسك دارينَ لى ثمارا
ليلُ نعيمٍ أظلُّ فيه ... للطيب لا أشتهى نهارا

وما أحسن قول بعضهم مضمناً [من الوافر] :

وسوداءِ الأديم إذا تبدَّتْ ... ترى ماء النعيم جرَى عليهِ
رآها ناظرى فَصبَا إليها ... وشِبهُ الشئِ منجذب إليه

وقال نجم الدين يعقوب بن صابر [من المتقارب] :

وَجارية من بنات الحُبُوش ذات جفون صحاح مراضِ
تعشقتها للتصابى فشِبْتُ غراماً ولم أكُ بالشيب راضى
وكنتُ أُعَيِّرُها بالسواد فصارت تعيرنى بالبياضِ

وقد أغرب ابن دفترخوان بقوله [من السريع]:

إن لمعتْ ليلاً نجومُ السما بيضاً على أدهم مُرْخَى الإزارْ
وأوجبَ العكسُ مثالاً لها فى الأرض فالسود نُجومُ النهارْ

رجع إلى شعر الصابى .

قال يرثى ابنه سنانا [من الخفيف] :

أسعدانى بالدمعة الحمراء جلَّ ماحلَّ بى عن البيضاء[1]
يُؤلم القلبَ كلُّ فقدٍ ولاَ مِثْـلَ افتقادِ الآباء للأبناء
كُنتَ مِنى وكُنتُ مِنكَ اتفاقاً والتئاماً مِثلَ العصا واللحاء
كُنتَ لِليتْم فى أجلَ مِنِّى فيكَ للثُّكلِ فى أوَانِ فنائى[2]
ولئنْ كان مِنْ أخيكَ وأولا دِكَما ما يَغُضُّ مِنْ بُرحائى
فلعَمْرى لرُبما هيجوا الشوْ قَ فزادوا فى لوْعتى وبُكائى[3]

ألم فيه بقول ابن الرومى ولم يحسن إحسانه [من الطويل] :

---

(١) فى الأصل « حل ما حل بى » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة .

(٢) فى اليتيمة « كنت فى اليتم » والمراد أنه كان يرجو أن يموت قبل ابنه فإن موته يصير به ابنه يتيما ، وذلك أجمل من أن يموت ابنه فيصير هو ثاكلا وما فى اليتيمة أظهر

(٣) فى الأصل « ولعمرى لربما هيج الشوق » محرفا عما أثبتناه عن اليتيمة

وإنى وإنْ مُتِّعْتُ بابنىَّ بعدهُ ... لذا كِرُهُ ما حَنَّتِ النِّيبُ فى نجدِ
وأولادنا مِثل الجوارح أيُّما ... فقدناه كانَ الفاجعَ البينَ الفَقْدِ
لكلٍّ مكانٌ لا يسدّ اختلالَه ... مكانَ أخيه من جَزوعٍ ومن جَلْدِ
هل العين بعد السمعِ تكفى مكانه ... أم السمعُ بعدَ العين يَهدِى كما تَهدى

وقال الصابى مفتخرا من قصيدة [من الطويل] :

وقدْ علم السُّلطان أنِّى أمينُه ... وكاتبُه الكافى السَّديدُ الموفق (١)
أوازره فيما عرَى وأمُدّه ... برأى يُريه الشمسَ والليلُ أغسقُ
يُجدِّدُ بى نَهجَ العلا وهْوَ دارسٌ ... ويفتح بى بابَ الهدَى وهْوَ مُغْلَق (٢)
فَيُمناىَ يُمناه ولَفظىَ لفظهُ ... وعينى له عينٌ بها الدّهرَ يَرْمُقُ
ولى فِقرٌ تُضحى الملوك فقيرةً ... إليها لدَى أحداثِها حينَ تَطرُقُ
أردُّ بها رأسَ الجموح فينثنى ... وأجعلها سَوْطَ الحرون فيُعْنِقُ
فإنْ حاولتْ لطفاً فماء مُرَوَّقٌ ... وإنْ حاولتْ عنفاً فنارٌ تألق
يسلم لى قُسٌّ وسحبانُ وائلٍ ... ويَرضَى جرير مَذهبى والفرزدق
فيغضى لنثرى خاطبٌ وهوَ مِصقعٌ ... ويعنو لنظمى شاعرٌ وهوَ مُفْلِقُ
مَقالٍ لو الأعشى رآهنُ لم يَقُلْ ... «وباتَ على النارِ الندَى والمحلق» (٣)

---

(١) فى اليتيمة « أنى لسانه »
(٢) فى اليتيمة « يجدد بى نهج الهدى » وفيه « ويفتح بى باب النهى »
(٣) فى الأصل « مقال لو الأعشى رآهن » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة . وعجز هذا البيت من كلام الأعشى ميمون بن قيس فى المحلق وصدره من كلام الأعشى :

* تشب لمقرورين يصطليانها *

وقال فى المهلبى الوزير [من الكامل] :

قـلْ للوزير أبى محمدٍ الذى قدْ أعجزَتْ كلَّ الورَى أوْصافُهُ
لكَ فى المحافلِ منطقٌ يشفى الجوَى ويسوغ فى أذُنِ الأديب سُلافُهُ
فكأنَّ لفظكَ لؤلؤ متنخَّلٌ وكأنما آذاننا أصدافُهُ

وقال أيضا [من الوافر] :

تلوح نواجذِى والكأس شربى وأشربُها كأنى مستطيب
وفوق السرِّ لى جهرٌ ضحوكٌ وتحتَ الجهرِ لى سرٌّ كئيب
سأثبتُ إذ يُصادمنى زمانى بركنيهِ كما ثبتَ النجيب [١]
وأرْقب ما تجىء به الليالى ففى أثنائهِ فرجٌ قريب

وقال أيضا فى عضد الدولة [من الكامل] :

لاتحسبِ الملكَ الذى أُوتيتَهُ يفضى وإنْ طالَ الزمان إلى مدَى
كالدَّوحِ فى أفُقِ السماء فروعُهُ وعروقه متولِّجاتٌ فى الندَى
فى كل عامٍ يستجدّ شبيبةً فيعود ماء العُودِ فيهِ كما بدَا
حتى كأنكَ دائر فى حلقةٍ فلكيةٍ فى منتهاها المبتدَا

وكتب إلى عضد الدولة فى يوم مهرجان مع اصطرلاب أهداه إليه [من البسيط] :

أهدَى إليكَ بنو الأموالِ واختلفوا فى مهرجانٍ جديدٍ أنتَ مُبْليهِ [٢]
لكنَّ عبدكَ إبراهيمَ حينَ رأى علوَّ قدركَ عنْ شىء يُدانيهِ

(١) فى اليتيمة « سأثبت إن يصادمنى زمانى »
(٢) فى اليتيمة * أهدى إليك بنو الآمال واحتفلوا *

لم يرضَ بالأرض مُهْدَاةً إليكَ فقدْ أهدَى لكَ الفلكَ الأعلى بما فيهِ

ومن لطيف شعره قوله [من الخفيف] :

دَفْتَرِى مُؤْنسى وفكرى سميرى ويدِى خادِمِى وحِلْمِى ضجيعى
ولسانِى سَيْفِى و بطشى قريضى ودَوَاتِى غَيْثِى ودرْجِى رَبيعى (١)

ومثله قول أبى محمد الخازن [من المنسرح] :

فدفترى رَوضتى ومحبرَتى غديرُ علمى وصارِمِى قلَمِى
وَراحتى فى قرَارِ صَوْمَعَتِى تُعلمنى كيفَ موقعُ النعم

وقال أبو إسحاق الصابى وهو فى الحبس [من الطويل] :

إذا لم يكنْ للمرء بدٌّ من الرّدى فأسهلُهُ ما جاء والعيشُ أنكد
وأصعبهُ ما جاءه وَهْوَ راتِعٌ تطيف بهِ اللذاتُ والحظُّ مُسْعِد
فإن أكُ سوء العيشتينِ أعيشُها فإنى إلى خيرِ المماتينِ أقصد (٢)
وسِيَّانِ يوماً شقوةٍ وسعادةٍ إذا كانَ غِبًّا واحداً لهما الغد

وقال [من المتقارب] :

لقدْ أخلقتْ جِدَّتِى الحادثاتُ ومَنْ عاشَ فى رَيْبها يَخلق
وبَدّلنى صَلَماً شاملاً من الشَّعَرِ الفاحِمِ الأغْسَقِ (٣)

---

(١) فى الأصل « ودواتى عينى » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة ، و « غيثى » هى التى تناسب « ربيعي »

(٢) فى اليتيمة « فان أك شر العيشتين » وما هنا أتم فى المقابله

(٣) في الأصل « من الصلع الفاحم الأغسق » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة

وقد كنتُ أمرَدَ مِنْ عارضى فقد صرت أمرد من مفْرِقى[١]

وكتب إلى قاضى القضـاة ابن معروف ـ وكان قد زاره فى معتقله ـ رقعـة نسختها :

قوى دخول قاضى القضاة إلى نفسى ، وجدد أنسى ، وأغربَ نحسى ، ووسَّع حبسى ، فدعوت الله له بما قد ارتفع إليه وسمعه ، فان لم أكن أهلا لأن يستجاب منى فهو أيده الله تعالى أهلٌ لأن يستجاب فيه ، وأقول مع ذلك [من البسيط]

دخلتَ حاكمَ حكام الزّمان إلى صَنيعةٍ لك رَهْنِ الحبس ممتَحَنِ
أخْنَتْ عليه خطوبٌ جارَ جائرُها حتى توفاهُ طولُ الهم والحَزَنِ
فَعاشَ عن كلماتٍ مِنكَ كنّ لهُ كالرُّوح عائدةً منهُ إلى البَدَنِ

وكتب إلى بعض الرؤساء: عرفت أن سيدنا الأستاذ الجليل أطال الله بقاءه يشتكى التياثا [من الكامل] :

فلو استطَعْتُ أخذتُ علةَ جسمِه فقَرنتُها منى بعلةِ حالى
وجَعلتُ صحتىَ التى لم تَصفُ لى صفواً له معَ صحة الاقبَالِ
فتكونُ عندى العلتانِ كِلاَهُمَا والصّحّتانِ له بغيرِ زَوالِ

وقال [من المنسرح] :

عهدِى بشعرى وكله غزَلُ يضحكُ عنهُ السرُورُ والجذَلُ
أيامَ همِّى أحبةٌ بِهِمُ الـــقلبُ عن النّائباتِ يشتغلُ
والآنَ شِعرى فى كلّ داهيةٍ نيرانُها فى الضلوعِ تشتعلُ
أخرجُ منّ نكبةٍ وأدخلُ فى أُخرَى فنحسى بهِنّ متصلُ

---

(١) فى اليتيمة « وقد كنت أصلع » وفيها « وقد صرت أصلع »

كأنها سُنَّةٌ مؤكدةٌ لا بدَّ من أنْ تقيمها الدولُ
فالعيشُ مرٌّ كأنهُ صَبِرٌ والموتُ حلو كأنه عَسَلُ

وقال يهجو [من الخفيف] :

أيها النابحُ الذِى يتصدى بِقبيح يقوله لجوَابى *
لاتؤمِّلْ أنِّى أقولُ لكَ اخسأ لستُ أسخو بهالكلِّ الكلابِ

وحكى أبو القاسم بن برهان قال : دخلت على أبى إسحاق الصابى ، وكان قد لحقه وجع المفاصل ، وقد أبلَّ ، والمجلس عنده حافل ، وأراد أن يريهم أنه قادر على الكتابة ، ففتح الدواة ليكتب ، فتطاولوا بالنظر إلى كتابته ، فوضع القلم وقال بديها [من الكامل] :

وجعُ المفاصل وهوَ أيسرُ ما لقيتُ منَ الأذَى
جعل الذِى استحسنتهُ واليأسَ منْ حظى كذا(١)
والعمرُ مثلُ الكاسِ يرْ سبُ فى أواخرِهِ القذَى

وقد ألم بهذا المعنى أمين الدولة سبط التعاويذى وزاد فيه فقال [من المتقارب] :

فمن شبَّه العمر كأساً يقرَّ قَذَاهُ ويرسب فى أسفلِه
فانى رأيتُ القذَى طافياً على صفحة الكأس من أوله

والأمير سيف الدين بن المشد بقوله [من الخفيف] :

إن ترق إلى المعالى أولو الفضـ ـل وَساخت تحت الثرى السفهاء
فحَبَابُ المدام يعلو على الكأ س محلاً وترسب الأقذاء

---

(١) فى الأصل « والناس من حظى » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة .

وما أحسن قول ابن زياد فيه أيضا [من الخفيف] :

باضطراب الزمان ترتفع الأنـ ـذال فيه حتى يعم البلاء

وكذا الماء راكداً فاذا حـ ـرك ثارت من قعره الأقذاء

وقول الآخر [من البسيط] :

بادر إلى العيش فالأيام راقدة ولا تكن لصروف الدهر تنتظر

فالعمر كالكأس يبدو فى أوائله صفواً وآخره فى قعره كدر

ولما مات أبو إسحاق الصابى رثاه الشريف أبو الحسن الموسوى بقوله [من الطويل] :

أعلمت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادى

جبل هوى لو خر فى البحر اغتدى من وقعه متتابع الإزباد

ما كنت أعلم قبل حطك فى الثرى أن الثرى يعلو على الأطواد

ومنها :

بعداً ليومك فى الزمان فإنه أقذى العيون وفت فى الأعضاد

لا تطلبى يا نفس خلاً بعده فلمثله أعيا على المرتاد

فقدت ملاءمة الشكول بفقده وبقيت بين تباين الأضداد

ما مطعم الدنيا بحلو بعده أبداً ، وما ماء الحياة ببادى

لك فى الحشا قبر وإن لم تأوه ومن الدموع روائح وغوادى

سلوا من الأبراد جسمك فانثنى جسمى يسل عليك فى الأبراد(١)

(١) في الأصول «جسمي يسيل» محرفا ، وما أثبتناه موافقا لما في اليتيمة وديوان الشريف الرضى

ومنها :

الفضلُ ناسبَ بيننا إذ لم يكنْ شَرَفى مناسبهُ ولا ميلادِى

إنْ لم تكنْ من أسرتى وعشيرتى فلأنتَ أعقلهمْ يداً بفؤادى[1]

أولاَ تكنْ عالى الأصولِ فقدْ وَفَى عظمُ الجدود بسودَدِ الأجدَاد

وهى طويلة ، ورثاه بغير ذلك أيضاً ، وقال وقد ليم على رثائه له : إنى رَثَيْت علمه ، وكان سنه أربعا وثمانين سنة . ومات ابنه المحسن على كفره أيضاً ، وابن ابنه هلال أسلم بآخرة . وتوفى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة[2]

* * *

شاهد تشبيه المركب بالمفرد

٨٦ — يا صاحِبيّ تقَصّيَا نظرَيكما تريا وجوهَ الأرضِ كيف تصوَّرُ

تريَا نهاراً مُشمِساً قدْ شَابَهُ زَهْرُ الرُّبا فكأنّما هُوَ مُقمِرُ

البيتان لأبى تمام الطائى ، من قصيدة[3] من الكامل يمدح بها المعتصم ، أولها :

رقّتْ حوَاشي الدهرِ فهى تمَرْمَرُ وغدا الثرى فى حلْيِهِ يتكسرُ

---

(١) في اليتيمة * فلأنت أعلقهم يدا بودادى * وهو المستقيم معنى

(٢) كذا في أصول هذا الكتاب ، والذى في اليتيمة أنه « توفي يوم الخميس لاثنتى عشرة ليله من شوال سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وكانت سنه إحدى وتسعين سنة قمرية » وفى ابن خلكان أنه توفي سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وأن سنه كانت إحدى وسبعين سنه . وفيه نقلا عن الفهرست لابن النديم أن وفاته كانت قبل سنة ثمانين ، وولادته كانت سنه نيف وعشرين وثلثمائة

(٣) اقرأها فى الديوان (١٥٦)

بذلتْ مقدمة المصيف حميدةً ... ويد الشتاء جديدة لا تكفر (١)
لولاَ الذى غرس الشتاء بكفّهِ ... قاسى المصيفُ هشائماً لا تُثْمرُ
كم ليلةٍ آسى البلاد بنفسه ... فيها ويوم وبلهُ متفجر (٢)
مطرٌ يذوب الصخرُ منه وبعده ... صحوٌ يكاد من الغضارة يقطر (٣)
غَيْثان فالأنواء غيثٌ ظاهرٌ ... لكَ وجهه والصَّحو غيث مضمرُ
وَنَدًى إذا ادّهنَتْ به لِممُ الثرى ... خلتَ السحاب أتاه وَهو معذرُ
أربيعنا فى تسع عشرة حجةً ... حقاً لَهِنَّكَ لَلرَّبيعُ الأزهر (٤)
ما كانت الأيامُ تسلب بهجةً ... لو أن حسن الروض كان يُعَمَّرُ
أولا ترى الأشياء إن هى غيرتْ ... سمجتْ وحسن الأرض حين تغير (٥)

وبعده البيتان، وبعدهما:

دنيا مَعاش للورى حتى إذا ... حَلَّ الربيعُ فإنما هىَ منظرُ
أضْحَتْ تصوغُ بطونُها لظُهُورِها ... نَوْراً تكادُ له القلوبُ تَنَوَّرُ
من كل زَاهرةٍ ترقرقُ بالنَّدى ... فكأنها عينٌ لديكَ تحَدَّرُ

وهى طويلة.

---

(١) فى الأصل «نزلت مقدمة المصيف» وما أثبتناه عن الديوان، وبذلت: امتهنت

(٢) فى الديوان «وبله مثعنجر» والمثعنجر: السائل المنسكب

(٣) فى الأصل «يكاد من الغضارة يمطر» وما أثبتناه عن الديوان

(٤) في الديوان * حقالهنك للربيع الأزهر * وهي أجود عربية. واللام فى «لهنك» هى الواقعة فى جواب القسم، والهاء مبدلة من الهمزة، والأصل «لأنك» واللام فى «للربيع» هى لام الابتداء التى تتصل بخبر إن

(٥) فى الأصل «أولا ترى الأشتاء» محرفا، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

ومعنى « تقصيا نظريكما » أبلغا أقصى نظريكما وغاية ما تبلغانه ، واجتهدا في النظر . و « تصور » أصلها تتصور فحذف إحدى التاءين .

والشاهد فيهما : تشبيه المركب بالمفرد ، فانه شبه المشمس الذى اختلط به أزهار الربوات فنقصت باخضرارها من ضوء الشمس حتى صار يضرب إلى السواد ، بالليل المقمر ، فالمشبه مركب ، والمشبه به مفرد ، قيل : ولا يخلو هذا من تسامح .

* * *

شاهد التشبيه الملفوف

٨٧- كأن قُلوبَ الطَّيرِ رَطْباً ويابساً لَدَى وكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البالى

البيت من الطويل ، وقائله امرؤ القيس من قصيدته السابقة (١) في أول هذا الفن ، وقبله :

كأنى بفتْخَاء الجناحين لِقْوَةٍ على عجَلٍ منها أُطأطِىء شِمَالى (٢)

تخطَّفُ خِزَّانَ الأُنَيْعِمِ بالضحى وقد حجرت منها ثعالبُ أورال (٣)

---

(١) انظرها في الديوان (١٣٨) وارجع إلى الشاهد رقم (٧٤)

(٢) أراد بفتخاء الجناحين لقوة عقابا لينة الجناحين سريعة الاختطاف وفى الديوان «صيود من العقبان طأطأت شملال» والصيود : الحاذقة بالصيد وطأطأت : طامنت رأسى لأ تمكن من ضرب الفرس كى يسرع . والشملال : السريعه القوية . وهى على هذه الرواية - صفه لفتخاء الجناحين ، و «شِمالى» فى رواية المؤلف تبعا لجماعة من أهل اللغة أصلها «شمالى» فأشبعت الكسرة من الشين فتولدت عنها الياء ، و «شِمالى» على هذا مفعول لأطأطيء ، وهو مضاف لياء المتكلم

(٣) تخطف : أصلها تتخطف ، وخزان : جمع خزز ، وهو ذكر الأرانب ويروى «خزان الشربة» والأنيعم والشربة : موضعان . وأورال : موضع أيضا

و بعده البيت ، و بعده :

فلوْ أنَّ ما أسْعَى لأدنى مَعِيشَةٍ كَفاني ولم أطلبْ قليلٌ من المالِ
ولكنما أسْعَى لمجدٍ مُؤثَّلٍ وقد يُدْرِكُ المجدَ المؤَثَّلَ أمثالى
وَمَا المرْءُ مادامتْ حُشَاشةُ نفسه بمُدْرِكِ أطرافِ الخطوب ولا آلى (١)

والحشف : أردأ التمر ، والضعيف الذى لا نوَى له ، أو اليابس الفاسد .

والشاهد فيه : التشبيه الملفوف ، وهو : أن يؤتى على طريق العطف أوغيره بالمشبهات أولاً ثم بالمشبه بها ، فهنا شبَّه الرطب الطرىَّ من قلوب الطير بالعُنَّاب واليابس العتيق منها بالحَشَف البالى ، إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يُعتدُّ بها ويقصد تشبيهها ، ولذا قال الشيخ عبد القاهر : إنه إنما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه ، لا أنَّ للجمع فائدةً فى عين التشبيه .

وذكرت بهذا البيت ماضمنه الجمال ابنُ نُباتة مجوناً ، وهو [من الطويل] :

دنوْتُ إليها وهوَ كالفرْخ راقِدٌ فوَاخجلتى لما دنوت وإذلالى
وقلتُ امعَكيه بالأنامِل فالتقى لدَى وكرها العنابُ والحشف البالى

* * *

شاهد التشبه الفروق

٨٨ — النَّشْر مِسْكٌ ، والوجُوهُ دَنَا نيرٌ ، وأطرَافُ الأكُفِّ عَنَمْ

البيت لمرقش الأكبر ، من قصيدة من السريع (٢) ، قالها فى مرثية عم له ، أولها :

هل بالديار أن تجيبَ صَمَمْ لو أن حياً ناطِقاً كلَّمْ

---

(١) فى نسخة « مادامت هشاشة نفسه »
(٢) اقرأها فى المفضليات والأصمعيات

الدارُ وحشٌ والرسُوم كما رقَّشَ فى ظَهْرِ الأديمِ قلَمْ(١)

ديارُ أسماءَ التى سَلَبَتْ قلبى فعَينى ماؤها يَسْجُمْ(٢)

أضحتْ خلاءً نبتُها ثئِد نوَّرَ فيها زهرُهُ فاعتَمْ(٣)

بل هل شجَتكَ الظُّعْنُ باكرةً كأنهن النخْلُ من مَلهَم

و بعده البيت ، ومنها :

لسنا كأقوامٍ خلائقُهمْ نثُّ الحديثِ ونَهكةُ المحرَمْ(٤)

إن يُخصِبُوا يبغُوا بخصبهمُ أو يُجدِبوا فهمْ به ألأمْ(٥)

وهى قصيده طويلة ليست بصحيحة الوزن ، ولا حسنة الروى ، ولا متخيرة اللفظ ، ولا لطيفة المعنى ، قال ابن قتيبة : ولا أعلم فيها شيئا يُستحسن إلا قوله « النشر مسك ـ البيت » .

ويستجاد منها أيضاً قوله :

ليس على طولِ الحياةِ نَدَم ومن وراء المرْءِ ما يعلَمْ

---

(١) فى المفضليات « الدار قفر »

(٢) فى الأصل « ديار سلمى » ولا يستقيم بها الوزن ، وما أثبتناه موافق لما فى المفضليات ، والمرقش هذا كان يتغزل فى أسماء ابنة عمه عوف بن مالك.

(٣) ثئد ـ بالثاء المثلثة ـ أى أصابه الندى ، واعتم : كثر ، وفى المفضليات «نور فيها زهوه» وهو لونه من أبيض وأصفر وأحمر

(٤) فى المفضليات «مطاعمهم كسب الخنا» . ونث الحديث : نقله وإذاعته والزيادة فيه ، ووقع فى الأصل « ونكهة المحرم » وما أثبتناه موافق لما فى المفضليات ، ونهكة المحرم : انتهاك الحرمات ، وأراد لانهجو الناس ليعطونا وفى الأغانى * نث أحاديث وهتك حرم *

(٥) فى المفضليات « إن يخصبوا يعيوا بخصبهم »

النشر : الريح الطيبة ، أو أعم ، أو ريح فم المرأة وأعطافها بعد النوم . والعنَم : شجر لين الأغصان يشبه بنان الجوارى . وقيل : هى أطراف الخروب[1] الشامى عن أبى عبيدة . وقيل : هو شجر له أغصان حمر ، وقيل : هو ثمر العوْسَج يكون أحمر ثم يسود إذا عقد ونضج .

والشاهد فيه : التشبيه المفروق ، وهو : أن يؤتى بمشبه ومشبه به ، ثم آخر وآخَرَ ، وهو واضح فى البيت .

ونظيره قول المتنبى [من الوافر] :

بدَتْ قمراً ومالَتْ خُوطَ بانٍ　　وفاحَتْ عنبراً ورنَتْ غزالا

وتبعه أبو القاسم الزاهى فقال [من الطويل] :

سفَرْنَ بدوراً وانتقَبْنَ أهـلّةً　　ومِسْنَ غصوناً والتفَتْنَ جآذرا
وأطْلَعْنَ فى الأجياد بالدرِّ أنجماً　　جعلن لحبَّاتِ القلوبِ ضرائرا

وممن نسج على هذا المنوال إسماعيل الشاشى فانه قال من قصيدة [من الطويل] :

رأيت على أكوارنا كلَّ ماجدٍ　　يرى كل ما يبْقَى من المال مَغْرَما
ندومُ أسيافا ونعلو قَواضباً　　ونَنْقَضُّ عقباناً ونطلعُ أنجما

وقال أبو الحسن الجوهرى فى وصف الخمر إلا أنه ثلَّثَ التشبيه [من الطويل]:

يقولونَ بغدادُ التى اشتُقَّتْ نزهةٌ　　تباكِرُها والعبقَرِىَّ المقيَّرا
إذا فُضَّ عنه الختْمُ فاح بنفسجاً　　وأشرق مصباحا ونوَّرَ عُصفُرا

ولبعض الشعراء فى غلام مغنّ [من الوافر] :

---

(١) نص بعض أهل اللغة على أن صواب هذا اللفظ « الخرنوب »

فَدَيتكَ يا أَتَمَّ الناس ظَرْفاً ... وأصلحهم لمتَّخذٍ حبيبا
فوجْهك نُزهة الأبْصَارِ حسناً ... وشَدْوك مُتعةُ الأسماع طيبا
وسائلةٍ تسائل عنك قلنا ... لها فى وصفك العجب العجيبا
رنا ظبياً وغَنَّى عندَليباً ... ولاح شقائقاً ومَشَى قضيبا

ولابن الأثير الجزرى [من البسيط] :

منوَّع الحسن يبدى من محاسنه ... لأعيُنِ النَّاس أوْصافاً وأشكالا
فلاح بَدْراً ووافى دُمْيَةً وذكا ... مسكاً وعلَّ طلاً وازورَّ رئبالا
وافتر دُرًّا وغَنَّى بلبلاً وسطا ... عَضْباً وماس نقاً واهتزَّ عسَّالاَ

وما أحسن قوله أيضا [من البسيط] :

إنَّ التى ملكتنى فى الهوى ملكت ... مجامع الحسن حتى لم تدَعْ حسَنَا
رنت غزالاً وفاحت رَوْضةً وبدتْ ... بدراً وماجت غديرا وانثنت غُصُنَا

ولابن سكرة الهاشمى أيضا [من المنسرح] :

فى وجْهِ إنسانةٍ كلِفتُ بها ... أربعةٌ ما اجتمعْنَ فى أحدِ
الخدُّ وردٌ، والصدغ غالية ... والرِّيق خمرٌ، والثغْرُ من بَرَدِ

ترجمة المرقش الأكبر

والمرقش(١) اسمه عمرو، وقيل : عَوْف بن سعد بن مالك، ينتهى نسبه لبكر بن وائل، وهو أحد من قال شعراً فلقب به، وهو أحد المتيمين، كان يهوى ابنة عم له ـ وهى أسماء بنت عوف بن مالك ـ وكان المرقش الأصغر ابن أخى(٢)

---

(١) تجد للمرقش الأكبر ترجمة فى الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٠٣) وفى الأغانى (٥ ـ ١٨٩) وحكى ابن قتيبة قولا آخر أن اسمه ربيعة بن سعد ابن مالك، وتجد خبره مع أسماء فى تزيين الأسواق (١ ـ ١٠٠)

(٢) وحكى ابن قتيبة قولا آخر أن المرقش الأصغر أخو المرقش الأكبر

المرقش الأكبر ، واسمه ربيعة وقيل عمرو ، وهو عم طَرَفَةَ بن العبد ، وهو أيضا أحد المتيمين ، كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك ، ويشبّب بها ، وكان للمرقِّشَيْنِ جميعا موقع فى بكر بن وائل وحروبها مع بنى تغلب وبأسٌ وشجاعة ونجدة وتقدم فى المشاهد ونكاية فى العدو وحسن أثر .

وكان من خبر المرقش الأكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بنت عوف ، وهو غلام ، فخطبها إلى أبيها ، فقال : لا أزوجك إياها حتى تُعرف بالبأس ، وكان يَعِده فيها المواعيدَ الكاذبة ، ثم انطلق مرقش إلى ملك من الملوك ، وكان عنده زماناً ومدحه فأجازه ، وأصاب عوفاً زمانٌ شديد ، فأتاه رجل من مراد ، فأرغبه فى المال ، فزوجه أسماء على مائة من الإبل ، ثم تنحَّى عن بنى سعد ابن مالك ، ورجع مرقش ، فقال إخوته : لا تخبروه إلا أنها ماتت ، فذبحوا كبشاً ، وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفوها فى ملحفة ثم قبروها ، فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت ، وأتوا به موضع القبر ، فنظر إليه ، وصار بعد ذلك يعتاده ويتردد إليه ويزوره ، فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما فى كَعْب ، فقال أحدهما : هذا كعبى ، أعطانيه أبى من الكبش الذى دفنوه ، وقالوا : إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء ، فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام — وكان قد ضَنِيَ ضَنًى شديداً — فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزوج المرادى أسماء ، فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من عقيل كان عشيرَ المرقش ، فأمرها بأن تدعو له زوجها ، فدعته ، وكان له رواحل ، فأمره باحضارها ليطلب المرادىّ ، فأحضره إياها ، فركبها ، ومضى فى طلبه ، فمرض فى الطريق حتى ما يُحمل إلا معروضاً . ثم إنهما نزلا كهفاً بأسفل نجران — وهى أرض مراد — ومع العقيلى امرأته وليدة مرقش ، فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هلك سقماً وهلكنا معه ضراً وجوعاً ، فجعلت الوليدة تبكى من ذلك . فقال لها زوجها : أطيعينى وإلا فانى

تاركك وذاهب . قال : وكان مرقش يكتب ، كان أبوه دفعه وأخاه حرملة — وكانا أحب ولده إليه — إلى نصرانى من أهل الحيرة فعلمهما الخط ، فلما سمع مرقش قول العقيلى للوليدة كتب مرقش على مؤخر الرحل هذه الأبيات [من الكامل]:

يَا صاحبى تلبَّثا لا تعجلاَ ... إنّ الرّوَاحَ رَهينٌ أن لا تفعلاَ

فلعلّ لُبْثَكما يفرّط سَيِّئاً ... أو يحدثُ الاسراعُ سيْباً مثقلاَ(١)

يا رَاكباً إماوصلتَ فبلغنْ ... أنس بن سعدإن لقيتَ وحرملاَ(٢)

لِلّهِ دَرُّكما ودرُّ أبيكما ... إن أفلتَ العبدان حتى يُقتَلاَ(٣)

من مبلغُ الأقوام أنَّ مرقِّشاً ... أضحى على الأصحاب عِبْئاً مُثقلاَ(٤)

وكأنما تَردُ السباعُ بشِلْوِهِ ... إذ غاب جمع بنى ضُبيعةَ مَنْهَلاَ

قال : فانطلق العقيلى وامرأته حتى رجعا إلى أهليهما ، فقالا : مات المرقش ، ونظر حرملة إلى الرحل وجعل يقلبه وقرأ الأبيات ، فدعاهما وخوّفهما ، وأمرهما أن يصدقاه ، فأخبراه الخبر ، فقتلهما . وكان العقيلى قد وصف له الموضع ، فركب فى طلب المرقش حتى أتى المكان ، فسأل عن خبره وعرف أن مرقشا كان فى الكهف ، ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذى هو فيه ، وأقبل

---

(١) فى الأغانى « أو يسبق الاسراع سيبا مقبلا » ويفرط : يقدم ، يريد لعل انتظاركما يقدم عنكما مكروها

(٢) فى الأغانى « يا راكبا إما عرضت » ومثله فى الشعراء

(٣) فى الأصل « أن يفلت العقلى حتى يقتلا » وليس بشىء وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وفى الشعراء « إن أفلت الغفلى »

(٤) زادصاحب المفضليات بين هذا البيت والذى بعده بيتا ، وهوقوله:

ذهب السباع بأنفه فتركنه ... أعثى عليه بالجبال وجيئلا

ويعنى بالأعثى الضبعان وهو ذكر الضباع ، والجيئل : انثى الضباع

راعيها إليها ، فلما بَصُر به قال له : من أنت؟ وما شأنك؟ فقال له مرقّش: أنا رجل من مراد . وقال له : فراعى من أنت ؟ قال : راعى فلان ، فاذا هو راعى زوج أسماء ، فقال له مرقش : أتستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتينى جاريتها كلَّ ليلة فأحلب لها عنزا فتأتيها بلبنها ، فقال له : خذ خاتمى هذا ، فاذا حلبت فألقه فى اللبن فانها ستعرفه وإنكَ مصيبٌ به خيراً لم يصبه راعٍ قط إن أنت فعلت ذلك ، فأخذ الراعى الخاتم وفعل ذلك ، ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنز طرح الخاتم فيه ، فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها . فلما سكنت الرغوة أخذته فشربته ؟ وكذلك كانت تصنع ، فقرع الخاتم ثَنِيَّتها ، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته ، فقالت للجارية : ماهذا الخاتم ؟ قالت : مالى به علم ، فأرسلتها إلى مولاها وهو فى شَرَفٍ بنجران[1] فأقبل فزعاً ، فقال لها : لم دعوتنى ؟ فقالت له : ادع عبدك راعى غنمك ، فدعاه ، فقالت : سله أين وجد هذا الخاتم . فقال : وجدته مع رجل فى كهف خبان[2] ، وقال لى : اطرحه فى اللبن الذى تشرب به أسماء فانك تصيب به خيراً ، وما أخبرنى مَنْ هو ، ولقد تركته بآخر رمق ، فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم ؟ قالت : خاتم مرقش ، فاعجل الساعة فى طلبه ، فركب فرسه وحملها على فرس آخر ، وسارا حتى طرقاه من ليلتهما ، فاحتملاه إلى أهليهما ، فمات عند أسماء ، فدفن فى أرض مراد .

وحدث التوزى[3] قال : كان مساور الوراق وحماد عجرد وحفص بن أبى بردة مجتمعين على شراب ، وكان حفص مرميا بالزندقة ، وكان أعمش أفطس

---

(١) فى المفضليات « وهو فى شرب بنجران » والشرب : جمع شارب

(٢) فى الأصل « خبار » وفى الأغانى « جبان » وصوابهما ما أثبتناه عن معجم البلدان وشرح المفضليات

(٣) فى المطبوعتين « التوزرى »

أغضف متبح الوجه ، فجعل حفص يعيب شعر المرقش ويلحنه ، فأقبل عليه مساور[١] ، فقال [من الطويل] :

لقد كانَ فى عينيك ياحفص ُشاغلٌ وأنفٍ كثيل العَوْد عما تتبعُ
تَتَبَّعْتَ لحناً فى كلام مرقش ووجهك مبنىٌّ على اللحن أجمعُ
فأذناك إقواء وأنفك مُكفأ وعيناك إيطاء فأنت المرقعُ

فقام حفص من المجلس خجلا وهجره مدة .

* * *

شاهد تشبيه التسوية

٨٩ – صُدغُ الحبيبِ وحالى كلاهما كالليالى

هو من المجتث ، ولا أعرف قائله .

والشاهد فيه : تشبيه التسوية ، وهو تعدد طرف المشبه ، وهو هنا الصدغ والحال ، دون المشبه به ، وهو الليالى .

ومثله قول أبى محمد المطرانى [من الوافر] :

مُهفهفةٌ لها نصفٌ قصيفٌ كخُوط البان فى نصف رداحِ[٢]
حكتْ لوناً وليناً واعتدالاً ولحظاً قاتلاً سُمْرَ الرِّماحِ

* * *

٩٠ – كأنما يبسمُ عن لؤلؤٍ مُنَضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ

البيت للبحترى ، من قصيدة من السريع[٣] ، يمدح بها أبا نوح عيسى ابن إبراهيم ، أولها :

بات نديماً لىَ حتَّى الصباحْ أغيدُ مجدولُ مكان الوِشَاحْ
كأنما يضحكُ عن لؤلؤ منظَّمٍ أو بردٍ أو أقاح

(١) الأبيات فى الأغانى (١٣ – ٨٧) منسوبة إلى حماد عجرد
(٢) كذا فى عامة أصول الكتاب ولعله « لها نصف قضيب »
(٣) اقرأها فى الديوان (١ – ١١٢)

هكذا وجدت البيت فى ديوانه (١) :

تحسبهُ نَشْوانَ أنّى رَنَا ... للفتر من أجفانه وهو صاحْ(٢)

بِتُّ أفدِّيه ولا أرْعوى ... لنَهْىِ ناه عنه أو لَحْىِ لاحْ

أمزجُ كأسى بجَنَى ريقه ... وإنما أمزج راحاً براح

يساقطُ الوردَ علينا وقد ... تبلَّج الصبحُ نسيمُ الرياح

أغضيت عن بعض الذى يُتَّقى ... من حَرَج فى حبه أو جُناحْ

سحرُ العيون النُّجْل مستهلكٌ ... لُبّى وتوريدُ الخدود الملاحْ

والمنضد : المنظم ، والبرد : حب الغمام ، والأقاح : جمع أقحوان ، وهو ورد له نور .

والشاهد فيه : تعدد طرف المشبه به ـ وهو هنا اللؤلؤ والبرد والأقاح ـ دون المشبه ، وهو الثغر

وقد جاء تشبيه الثغر بخمسة فى قول الحريرى [من البسيط] :

يفترُّ عن لؤلؤ رطبٍ وعن بَرَدٍ ... وعن أقاح وعن طَلْع وعن حَبَبِ

ومثل البيت المستشهد به قول امرىء القيس [من المتقارب] :

كأنَّ المدامَ وصَوْبَ الغمام ... وريحَ الخزامى ونشر العطر

* يُعَلّ به بردُ أنيابها ... إذا غرَّدَ الطائرُ المستحر *

ومن محاسن تعدد التشبيه قول الصاحب ابن عباد ، فى وصف أبيات أهديت إليه [من المتقارب] :

أتتنى بالأمس أبياتهُ ... تُعلّل روحى برَوْح الجنانِ

---

(١) وكذلك هو فى نسخ الديوان التى بين يدى

(٢) الذى فى الديوان « إمارنا » وهى أفضل مما هنا

كبُرْد الشباب وبرْد الشراب ... وظلِّ الأمان ونَيْل الأمانى
وعهد الصبا ونسيم الصبا ... وصفْو الدِّنان ورَجْع القِيان

وقول الثعالبى فى الأمير أبى الفضل الميكالى [من الكامل] :

لكَ فى المحاسن معجزاتٌ جمّةٌ ... أبداً لغيرك فى الورى لم تجمعِ
بحران بحرٌ فى البلاغة شابهُ ... شِعرُ الوليد وحسنُ لفظ الأصمعى
كالنورِ أو كالسحرِ أو كالدُّرِّ أو ... كالوشى فى بُرْدٍ عليه مُوَشَّعِ

* * *

شاهد التشبيه المجمل

٩١ — صَدَفْتُ عنهُ ولم تَصْدِفْ مواهبهُ ... عنى، وعاوَدَهُ ظنى فلم يخبِ
كالغيثِ إنْ جئتهُ وافاكَ رَيِّقُهُ ... وإنْ ترحلْتَ عنهُ لجَّ فى الطلبِ

البيتان لأبى تمام، من قصيدة من البسيط (١) يمدح بها الحسن بن رجاء ابن الضحاك، أولها :

أبدَتْ أسىً أن رأتنى مُخْلِسَ القصبِ ... وآلَ ما كان من عُجْبٍ إلى عَجَبِ
ستٌّ وعشرونَ تدعونى فأتبعها ... إلى المشيبِ ولم تظلم ولم تحبِ(٢)
يَوْمى من الدهر مثلُ الدهر تجربةً ... حزماً وعزماً وساعى منه كالحِقَبِ(٣)
وأصغرى أنَّ شيباً لاحَ لى حدثاً ... وأكبرى أننى فى المهد لم أشبِ
ولا يؤرّقكِ إيماضُ القتيرِ بهِ ... فإنَّ ذاكَ ابتسامُ الرأى والأدبِ

---

(١) اقرأها فى الديوان (١٥) وفيه أن الممدوح بها الحسن بن سهل
(٢) فى الأصل « ولم تخب » بالخاء معجمة، وهو تصحيف ما أثبتناه، و «لم تحب» بالحاء مهملة معناه لم تأثم ولم تذنب، من الحوب وهو الاثم والذنب
(٣) في نسخ الديوان التى بين يدى

* يومى من الدهر مثل الدهر مشتهر *

والساع : جمع ساعة

يقول فى مديحها :

ستصبحُ العيسُ بى والليل عندَ فتىً كثير ذ كرالرّضى فى ساعة الغضب(١)

و بعده البيتان

ومعنى « صدفت » أعرضت ، ورَبِّق كل شىء : أوله وأصله ، والرواية فى ديوان أبى تمام « مروءته » بدل « مواهبه »(٢) ، و« كان » بدل « لج » .

وذكرت بقوله « فان ذاك ابتسامُ الرأى والأدب » قول أبى الحسن على بن طاهر بن منصور [من الخفيف] :

أعرَضَتْ حينَ أبصرَتْ شعراتٍ فى عِذَارِى كأنهنّ الثغامُ
قلتُ : هذا تبسمُ الدّهرِ ، قالتْ : قدسعى فى صدُودِكَ الابتسامُ

والشاهد فى البيتين : التشبيه المجمل المذكور فيه وصف المشبه والمشبه به ، فانه وصف الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أولم يعرض ، وكذا وصف الغيث بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه ، وهذان الوصفان مشعران بوجه الشبه ، أعنى الافاضة فى حالتى الطلب وعدمه ، وحالتى الاقبال عليه والاعراض عنه .

* * *

٩٢ — وثَغرُه فى صفاءٍ وأدْمُعِي كاللآلى

شاهد التشبيه المفصل

البيت من المجتث ، وهو كالبيت السابق .

والشاهد فيه : التشبيه المفصل ، وهو ما ذكر فيه وجه الشبه ، وهو هنا الصفاء .

---

(١) فى نسخة من الديوان

* ستصبح العيس فى ذا الليل عند فتى *

(٢) فى نسخة من الديوان « ولم تصدف مواهبه » وفي أخرى « ولم تصدف مودته » وفى كلتيهما « لج فى الطلب »

شاهد تفصيل التشبيه

٩٣ — حملتْ رُدَيْنياً كأنّ سنانَهُ سنا لهبٍ لم يتّصلْ بدُخانِ

البيت لامرىء القيس، من قصيدة (١) من الطويل، أولها :

لمنْ طللٌ أبصرْتُهُ فشجاني كخطّ زَبورٍ فى عسيبِ يمانِى (٢)

دِيار لهندٍ والرّباب وفَرْتَنَى ليالينا بالنّعفِ من بدلانِ

ليالِيَ يدعونى الصبا فأجيبهُ وأعيُنُ مَنْ أهوى إلىّ رَوانى (٣)

فإنْ أمسِ مكرُوباً فيارُبّ بهمة كشفتُ إذا مااسودّ وجهُ جبان (٤)

وإنْ أمسِ مكْرُوباً فيارُبّ قينةٍ مُنعمةٍ أعملتها بكرانِ (٥)

لها مِزْهرٌ يعلو الخميسَ بصوتهِ أجشّ إذا ما حرّكتْهُ يدانِ (٦)

وهى طويلة .

والرّدينى : الرمح، نسبة إلى امرأة كان تعمل الرماح اسمها ردينة .

والشاهد فيه : تفصيل التشبيه، وهو على وجوه، أعرفها أن يأخذ بعضاً من الأوصاف، ويَدَعَ بعضا كما فعل امرؤ القيس هنا حيث عزل الدخان عن السنا وجرّده .

---

(١) اقرأها فى الديوان (١٨٦)

(٢) فى الديوان

* كخط الزبور فى العسيب اليمانى *

والزبور : الكتاب المزبور أى المكتوب، والمزبر، بزنة المنبر : القلم، والعسيب : سعف النخل

(٣) فى الديوان « يدعونى الهوى » وروانى : نواظر، جمع رانية

(٤) البهمة : الأمر المنبهم، أو الشجاع الذى ينبهم أمره على قرنه

(٥) الكران : عود الطرب

(٦) المزهر : العود، ويعلو : يغلب، والخميس : الجيش اللجب، وفى الديوان « حركته اليدان »

وذكرت بأبيات امرىء القيس هذه تضمين أبى الحسين الاشبيلى لبعضها وكان قد تناول من يد معذرٍ الأشعار الستة ، فأول ما وقعت عينه على قصيدة امرىء القيس هذه ، قال [من الطويل] :

وذى صَلَفٍ خطَّ العذارُ بخدّه ... كخطّ زَبورٍ فى عسيبِ يمانى
فقلتُ له مستفهماً كُنْهَ حالهِ ... لمنْ طللٌ أبصرته فشجانى
فقالَ ولم يملك عزاءً لنفسه ... تمتع من الدنيا فإنك فانى
فما كانَ إلا برْهةً إذ رأيتهُ ... كتيسِ ظباء الحُلبِ العَدَوَانِ (١)

* * *

٩٤ — لم تَلْقَ هذا الوَجْهَ شمسُ نهارِنا ... إلاّ بوجهٍ ليسَ فيهِ حياء

شاهد التصرف فى التشبيه المبتذل

البيت للمتنبى، من قصيدة(٢) من الكامل يمدح بها هارون بن عبد العزيز الأوارجى ، وأولها :

أمنَ ازديارَكِ فى الدُّجى الرُّقباء ... إذ حيثُ كنتِ منَ الظلامِ ضياء
قلق المليحة وهى مسكٌ هتكها ... ومَسيرُها فى الليل وهىَ ذُكاء
أسَفِى على أسَفِى الذى دَلّهتِنى ... عن علمه فبهِ علىَّ خفاء
وشَكيّتى فَقدُ السَّقام لأنهُ ... قد كانَ لمّا كان لى أعْضاء
مثّلت عينكِ فى حشاىَ جراحةً ... فتشابها كلتاهما نجْلاء
نَفَذَتْ علىَّ السابرىَّ وربما ... تندق فيه الصَّعْدة السمراء(٣)
أنا صخْرةُ الوادى إذا ما زُوحِمتْ ... فإذا نَطَقتُ فإننى الجوْزاء

---

(١) الحلب — بزنة سكر — نبات تأكله الوحوش فتضمر عليه بطونها، وفى الأصل « الحلب والعدوان »، والعدوان : الجرىء .
(٢) اقرأها فى الديوان (١ — ١٢)
(٣) السابرى : الدرع الحصينة ، والصعدة : القناة المعتدلة

وإذا خَفيتُ على الغَبِيِّ فَعاذرٌ ... أن لا تراني مُقْلةٌ عمياء

ومنها :

فاذا سُئِلْتَ فلا لأنكَ محوجٌ ... وإذا كُتِمتَ وشَتْ بك الآلاء

وإذا مُدِحتَ فلا لتكسِبَ رفعةً ... للشاكرينَ على الإله ثَنَاء

وإذا مُطِرتَ فلا لأنك مُجْدِبٌ ... يُسْقَى الخصيبُ وتمطر الدَّأْماء

والشاهد فى البيت : التصرف فى التشبيه القريب المبتذل بما يجعله غريبا ويخرجه عن الابتذال ، فان تشبيه الوجه بالشمس قريب مبتذل ، لكن حدوث الحياء عنه قد أخرجه عن الابتذال إلى الغرابة لاشتماله على زيادة دقة وخفاء ، ثم إن كان قوله « لم تلق » من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه فيه مكنى غير مصرح ، وإن كان بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل ينبيء عن التشبيه : أى لم تقابله ولم تعارضه فى الحسن والبهاء إلا بوجه ليس فيه حياء .

ومثله قول الآخر[1] [من البسيط] :

إن السَّحابَ لَتَسْتَحْيِي إذا نظَرَتْ ... إلى نَدَاكَ فَقاستهُ بما فيها

***

شاهد التشبيه المشروط

٩٥ — عزَماتهُ مِثْلُ النُّجوم ثَواقِباً ... لو لم يكن للثاقِبَاتِ أُفُولُ

البيت لرشيد الدين الوطواط ، من قصيدة من الكامل .

والثواقب : جمع ثاقب ، وهو النجم المرتفع على النجوم ، والأفول : الغيبة .

والشاهد فيه : كما فى البيت الذى قبله ، فان تشبيه العزم بالنجم مبتذل ، لكن الشرط المذكور أخرجه إلى الغرابة ، ويسمى هذا التشبيه المشروط ، وهو

---

(١) البيت لأبى نواس . وذكره العكبرى فى شرح ديوان المتنبي عند الكلام على البيت المستشهد به .

أن يقيد المشبه أو المشبه به أو كلاهما بشرط وجودى أو عدمى يدل عليه بصريح اللفظ أو سياق الكلام.

وسيأتى ذكر الوطواط فى شواهد التفريق، إن شاء الله تعالى.

***

شاهد التشبيه المؤكد

٩٦- وَالرِّيحُ تَعْبَثُ بِالغُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ المَاءِ

البيت من الكامل، ولا أعرف قائله.

وعبث الريح بالغصون عبارة عن إمالتها إياها، والأصيل: هو الوقت من بعد العصر إلى الغروب، ويوصف بالصفرة، قال الشاعر [من الطويل]:

وَرُبَّ نَهارٍ للفراقِ أَصِيلُهُ ووجهى كِلا لونَيْهِما مُتَنَاسِبُ

أبيات فى وصف الأصيل والأنهار

وما أحسن قول الخطيب أبى القاسم بن معاوية فيه [من الوافر]:

كأنَّ الموجَ فى عُبْرَيْهِ تُرْسٌ تُذَهِّبُ مَتْنَهُ كَفُّ الأَصِيلِ

وقوله أيضاً [من الطويل]:

فجَدْوَلُهُ فى سَرْحَةِ الماءِ مُنْصُلٌ ولكنه فى الجِذْعِ عِطْفُ سِوارِ
وأمْوَاجُهُ أردافُ غِيدٍ نَوَاعِمٍ تَلَفَّفْنَ بالآصالِ رَيْطاً نُضَارِ

ومثله لابن الأبار [من الطويل]:

ونَهْرٍ كما ذابَتْ سَبائِكُ فِضَّةٍ حكى بمَحانِيهِ انعِطافَ الأَراقِمِ
إذا الشَّفَقُ استولى عليه احمرارُهُ تَبَدَّى خَضِيباً مثلَ دامِي الصَّوارِمِ

ولابن قلاقس فى تشبيه الشمس وقت الأصيل [من مجزوء الكامل]:

والشمسُ فى وقتِ الأصيـ ـلِ بَهارَةٌ لُفَّتْ بِوَرْدِ

وله أيضاً فى معنى ما سبق [من المتقارب]:

كأنَّ الشُّعاعَ على مَتْنِهِ فِرِنْدٌ بصفحةِ سيفٍ صَدِى

وأشْبَهَ إذ درَّجَتْه الصَّبا   بُرادَةَ تِبْرٍ على مِبْرَدِ

ومن بديع ما وقع لشاعر فى وصف نهر جعَّده النسيم قول ابن حمديس وقد جلس فى متنزه باشبيلية ومعه جماعة من الأدباء وقد هبت ريح لطيفة صنعت من الماء حبكا جميلة فأنشد [من الرمل] :

* حاكتِ الرِّيحُ من الماء زردْ *

واستجاز الحاضرين ، فأتوا بما لم يَرْضَ ، إلى أن قال الشاعر المشهور بالحجام مجيزاً له :

* هوَ دِرْعٌ لقِتالٍ لوْ جَمَدْ *

ومن الأندلسيين من ينسب هذا البيت إلى أبى القاسم بن عباد .

ولابن حمديس المذكور مطلع قصيدة من وزن هذا البيت وقريب من معناه وهو [من الرمل] :

نَشَرَ الجوُّ على التُّرْبِ بردْ   هو درٌّ لنُحُورٍ لو جَمَدْ
لؤلؤ أصْدَافهُ السُّحْبُ التى   أنجز البارقُ فيها ما وعدْ

ومن بديع ما وقع له فيها من التشبيه أيضاً قوله [من الرمل] :

وكأن الصبحَ كفٌّ حَلَّلَتْ   من ظلام الليل بالنور عقَدْ
وكأن الشمس تجرى ذهبا   طائراً من جيده فى كل يد

ومن بديع ما يذكر فى معنى البيت المستشهد به قول عبد العزيز بن المنفتل القرطبى ، أو ابن الحداد [من الكامل] :

إنى أرى شمس الأصيل عليلةً   ترتاد من بين المغارب مغرِبا
مالت لتحجبَ شخصها فكأنها   مدَّتْ على الدنيا بساطا مُذْهَبَا

وما أحسن قول ابن لؤلؤة الذهبى [من الطويل] :

وما ذَهَبَتْ شمسُ الأصيل عشيةً ... إلى الغرب حتى ذَهَّبَتْ فضةَ النهر

وما أبدع قول الآخر أيضا [من الطويل] :

ونهرٍ إذا ما الشمسُ حانَ غروبُها ... عليهِ ولاحت فى ملابسها الصفْرِ

رأينا الذى أبقتْ به من شعاعها ... كأنا أرقْنا فيه كأساً من الخمرِ

وقول إبراهيم بن خفاجة أيضا [من المتقارب] :

وقدْ غَشِيَ النبتُ بطحاءهُ ... كبدو العذارِ بخدٍّ أسيلِ

وقد ولّتِ الشمسُ مُحتثّةً ... إلى الغرب ترْنو بطرْف كحيل

كأنَّ سناهَا على نهْرِهِ ... بقايا نجيعٍ بسيفٍ صقيلِ

وبديعٌ أيضا قول ابن سارة هنا [من الكامل] :

النهرُ قدْ رقّتْ غلالةُ صفوه ... وعليه من صِبْغ الأصيل طرازُ

تترقرقُ الأمواجُ فيه كأنها ... عُكَنُ الخصور تهزها الأعجازُ

وما أعذب قول الحسن بن سراج فيه [من الكامل] :

عمرى أبا حسنٍ لقد جئتَ التى ... عطفَتْ عليكَ ملامةَ الاخوانِ

لما رأيتُ اليومَ ولّى عمرهُ ... والليل مُقْتبِل الشبيبة دانى

والشمسُ تنفضُ زعفراناً بالرُّبا ... وتَفُتُّ مِسْكتها على الغيطان

أطلعتها شمسا وأنتَ صَباحها ... وحففتها بكواكب الندمان

وأتيت بِدْعاً فى الأنام مخلداً ... فيما قرَنتَ ولاتَ حين قِرانِ

وما أبدع قول عيسى بن لبون أيضا [من البسيط] :

لو كنتَ تشهدُ يا هذا عشيّتنا ... والمزنُ يسكبُ أحيانا وينحدرُ

والأرضُ مصفرةٌ بالمزن كاسيةٌ ... أبصرتَ تبراً عليه الدُّرُّ ينتثرُ

وبديع أيضا قول أبى العلاء المعرى [من الخفيف] :

ثمَّ شابَ الدُّجى وَخافَ من الهَجـــرِ فغطى المشيبَ بالزعفرانِ

وقول أسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة [من الكامل] :

لو كنتَ شاهدنا عشية أُنسها والمزنُ يبكينا بعينَىْ مُذْنبِ
والشمسُ قدمدّتْ أديمَ شعاعها فى الأرض تجنحُ غيرَ أنْ لم تذهبِ
خِلتَ الرَّذاذَ بُرادةً من فضة قد غربلتْ من فوق نطعٍ مذهبِ

ولابن حمديس فى وصف نهر ألقت الشمس عليه حمرتها عند الشروق من أبيات [من البسيط] :

ومشرقٍ بكيمياء الشمس فى يده ففضةُ الماء من إلقائها ذَهبُ

ومثله أيضاً قول أبى العلاء المعرى [من الطويل] :

يُظَنُّ به ذوبُ اللجين فإنْ بدَتْ له الشمسُ أُجرتْ فوقَهُ ذوبَ عسجدِ

وبديع قول الشريف أبى القاسم شارح مقصورة حازم [من الكامل] :

وغريبةِ الانشاء سرنا فوقها والبحرُ يسكن تارةً ويموجُ
عُجنا نؤمُّ بها معاهدَ طالما كرمَتْ فعاج الحسنُ حين تعوجُ
وامتدَّ من شمس الأصيل أمامنا نورٌ له مرأى هنـاكَ بهيجُ
فكأنَّ ماء البحر ذائبُ فضةٍ قد سالَ فيه من النضار خليجُ

وبديع قول ابن العطار ، وهو فى معنى قول ابن حمديس السابق ، وهو [من الطويل] :

مرَرْنا بشاطى النهر بينَ حدائقٍ بها حدقُ الأزهار تستوقف الحدقْ
وقد نسجت كفُّ النسيم مفاضةً عليه وما غيرُ الحباب لها حلقْ

وقوله أيضا [من الخفيف] :

هبَّتِ الريح بالعشىِّ فحاكتْ زَرَداً للغـدير ناهيكَ جُنَّهْ

فانجلى البَدْر بعد هَذْء فصاغت كفه للقتال فيه أسِنَّة

والشاهد فى البيت : حذف أداة التشبيه ، ويسمى التشبيه المؤكد ، وهو هنا تشبيه صفرة الأصيل بالذهب و بياض الماء وصفائه باللجين ، وهو الفضة .

تشبيهات منوعة من غير أداة

ومن محاسن التشبيه من غير أداته قول الوأواء الدمشقى [من البسيط] :

قالوا وقد فتكتْ فينا لواحظُها مهلاً أما لقتيل الحب من قَوَدِ

وأسبلَتْ لؤلؤاً من نرجسٍ وسقتْ وَرْداً وعضّتْ على العُنّاب بالبَرَدِ

ومثله قول الحريرى [من البسيط] :

سألتها حين زَارتْ نَضْوَ برقعها الـ ـقانى و إيداعَ سمعى أطيبَ الخبرِ

فزحزحَت شفقاً غشّى سنا قمرٍ وساقطتْ لؤلؤا من خاتم عطِرِ

وقوله أيضاً [من البسيط] :

وأقبلت يوم جد البين فى حُللٍ سودٍ تَعَضُّ بنان النادم الحَصِرِ

فلاحَ ليلٌ على صبحٍ أقلّهما غصنٌ وضَرّست البلّورَ بالدُّررِ

وقول الغزى الشاعر [من البسيط] :

وما نسيتُ وما أنسى تبسُّمَهَا وملبسُ الجوّ غفلٌ غيرُ ذى علم

حتى إذا طاح عنها المِرْط من دَهَشٍ وانحلّ بالضم عقدُ السلك فى الظلم

تبسمتْ فأضاء الجوّ فالتقطتْ حبّات منتثر فى ضوء منتظم

وقول أبى طالب المأمونى [من الكامل] :

عزماتهم قُضُبٌ ، وفيضُ أكفهم سحبٌ ، وَبِيضُ وجوهم أقمارُ

وقول صَرّ دُرّ [من البسيط] :

البـاذلى العرفِ والأنواء باخلةٌ والمانعى الجارِ والأعمارُ تُختَرمُ

حيث الدجى النقع والفجر الصوارمُ والـ أُسْدُ الفوارس والخطّيّةُ الأجَمُ

وقول محمد بن حمدون القنوع من قصيدة فى شبل الدولة بن صالح لما هَزَم ملك الروم [من الكامل] :

لبسوا دروعا من ظباكَ تقيهم ُ   كانت عليهم للحتوف شِباكا
نالت بك العربُ الغنى من مالهم   وتقاسمت أتراكك الأتراكا
لو لم يَفِرّ جعلت صفحة خده   نعلا وقوسَىْ حاجبيه شِراكا

أردت البيت الأخير، ومنه قول أبى حفص عمر المطوعى [من الوافر] :

ومعسولِ الشمائل قامَ يسعى   وفى يده رحيقٌ كالحريق
فأسقانى عقيقاً حَشْوَ درّ   ونقّلنى بدُرّ فى عقيق

وما أبدع قول أبى الحسن العقيلى [من البسيط] :

وللأقاحى قصورٌ كلها ذَهبٌ   من حولها شُرُفاتٌ كلها دُرَرُ

ولنذكر هنا طرفا من التشبيهات على اختلاف أنواعها، وغريب أسلوبها واختراعها، فمن ذلك قول منصور بن كيغلغ، وهو [من الكامل] :

طرف من التشبيهات المختلفة الانواع

عادَ الزمانُ بمن هويتُ فأعتبا   ياصاحبىّ فأسقيانى واشربا
كم ليلةٍ سامرتُ فيها بدرَها   مِن فوق دِجلةَ قبلَ أن يتغيبا
قامَ الغلامُ يُديرها فى كفه   فحسبت بدر التم يحمل كوكبا
والبدر يجنح للغروب كأنه   قد سلّ فوق الماء سيفاً مُذْهبا

وأحسن ما سمع فى هذا المعنى قول التنوخى [من الكامل] :

أحسنْ بدجلةَ والدُّجى متصوبٌ   والبدر فى أُفق السماء يغرب
فكأنها فيهِ بساطٌ أزرقٌ   وكأنه فيها طِرازٌ مُذْهَبُ

ولأبى فراس فى وصف الجلنار [من مجزوء الرجز] :

وجلنارٍ مُشرق   على أعالى شَجَرَهْ

كأنَّ في رؤوسهِ أحمرهُ وأصفرهْ
قُراضةٌ من ذهبٍ في خِرَقٍ مُعصفرَهْ

ولأبي الفرج الببغاء في وصف كانون نار من أبيات ، وتُعزى إلى السريّ الرفاء [من المتقارب] :

وذى أربعٍ لا يُطيقُ النُّهوض ولا يألفُ السَّيْرَ فيمَنْ سَرَى
تُحمِّلهُ سَبجاً أسْوَداً فيَجعلهُ ذهباً أحْمَرا

وله في معناه أيضا [من مجزوء الوافر] :

وأحْدقنا بأزْهَرَ خا فِقاتٍ حَوْله العَذَبُ
فما يَنفكُّ عَنْ سَبَجٍ يعُودُ كأنه ذَهَبُ

وله فيه أيضا [من المنسرح] :

والتَهبَتْ نارُنا فمنظرُها يُغنيك عن كُلِّ منظرٍ عجبِ
إذا رَمَت بالشَّرارِ واضطرَمتْ على ذرَاها مطارفُ اللَّهبِ
رأيتَ ياقوتةً مُشبكةً تَطيرُ منْها قُراضةُ الذَّهبِ

ولأبي محمد الخالديّ في معناه [من المنسرح] :

ومُقعدٍ لا حِراكَ يُنهضُهُ وهْو على أربعٍ قد انتصبا
مُصفرٍّ مُحْرق تنفسُهُ تخالُه العيْنُ عاشقاً وصبا
إذا نَظمْنا في جِيدهِ سَبَجاً صيَّرهُ بَعد ساعةٍ ذهبا

ولأبي بكر[1] الخالديّ في وصف الصباح من هذه القصيدة أيضا

طوَى الظَّلامُ البنودَ مُنصرفاً حين رأى الفَجْرَ يَنشُرُ العذَبا
واللَّيلُ مِن فتْكةِ الصَّباح به كرَاهبٍ شق جيْبَهُ طَربا

وللسريّ الرفاء في مثله [من المنسرح] :

---

(١) كذا ، وقد ذكره أولا بكنية « أبي محمد »

كراهبٍ جُنّ للهوى طرباً فشقّ جلبابهُ من الطربِ

وله فى معناه أيضاً [من السريع] :

والفجرُ كالراهب قد مزّقتْ من طرب عنهُ الجلابيبُ

وما أحسن قول ابن حيان الكاتب أيضا [من المنسرح] :

كأنما الفحمُ والزنادُ وما تفعله النارُ فيهما لهبَا

شيخٌ منَ الزنج شابَ مفرقهُ عليه درعٌ منسوجة ذهبَا

وقول مجير الدين بن تميم [من الكامل] :

وكأنما النارُ التى قد أُوقدتْ ما بيننا ولهيبها المتضرّمُ

سوداء أُحرقَ قلبُها فلسانُها بسفاهةٍ للحاضرين يكلّم

وقوله أيضاً [من المنسرح] :

كأنما نارُنا وقد خمدتْ وجمرها بالرمادِ مستورُ

دمٌ جرى منْ فواختٍ ذُبحتْ من فوقها ريشهنّ منشور

وقوله أيضاً [من المنسرح] :

كأنما النار فى تلهّبها والفحمُ منْ فوقها يغطّيها

زنجيّة شبّكتْ أناملَها من فوق نارنجةٍ لتخفيها

وقول الآخر [من مخلع البسيط] :

كأنّ كانوننا سماءٌ والجمر فى وسْطهِ نجوم

ونحنُ جنٌّ بحافتيْهِ والشررُ الطائرُ الرّجومُ

و بديع أيضاً قول ابن مكنسة [من المنسرح] :

إبْريقنا عاكف على قدحٍ كأنهُ الأمُّ ترضع الولدَا

أو عابد منْ بنى المجوس إذا توهّمَ الكأسَ شعلةً سجدَا

وفى معنى البيت الثانى قول القاضى أبى الفتح بن قادوس [من البسيط] :

وليلةٍ كاغتماض الجفن قصَّرها وصلُ الحبيب ولم تَقْصُر عن الأمل
وكلّما رام نطقاً فى مُعاتبتى سَدَدْت فاه بنظم اللّثم والقُبل
وبات بَدْر تمام الحسْن مُعْتنِق والشمْس فى فلكِ الكاسات لم تفل
فبتُّ مِنْها أرى النّار التى سَجَدَت لها المجوسُ مِن الأباريق تسْجدُ لى

ومن بديع التشبيه وغريبه قول ابن حمديس من أبيات [من الكامل] :

حمراء تَشْرَبُ بالأنوفِ سلافها لطفاً مَع الأسماع والأحدَاق
بزُجاجةٍ صُوَرُ الفوارس نَقشها فترى لها حرباً بكفِّ السّاقى
وكأنما سفكتْ صوارمُها دماً لبستْ به عرقاً إلى الأعناق
وكأنّ لِلكاسات حُمْر غلائلٍ أزرارها دُرَرٌ على الأطواق

وما أحسن قول ابن عطية أيضاً [من السريع] :

بتنا نُديرُ الرّاح فى شاهق ليلاً على نَغمةِ عودَين
والنّار فى الأرض التى دوننا مثْلُ نجوم الجوِّ فى العيْن
فيا له مِنْ مَنظرٍ مونِق كأننا بيْنَ سَماءيْن

وما أحسن قول الخالدىّ من قصيدة أولها [من الكامل] :

لو أشْرَقتْ لك شمْسُ ذاك الهوْدجِ لأرَتْكَ سالفَتى غزَال أدْعج
أرْعَى النجومَ كأنّها فى أُفْقها زَهرُ الأقاحى فى رياض بَنفسْج
والمُشْترى وَسط السَّماءِ تخالُهُ وَسَناهُ مِثْلُ الزّئبق المترجرج
مِسمارَ تِبْرٍ أصفرَ ركّبتَهُ فى فَصِّ خاتَم فِضّةٍ فيْرُوزَج
وتمايلُ الجوزاءِ يحْكى فى الدُّجى مَيلانَ شاربِ قهوةٍ لم تُمْزَج
وتنقّبت بخفيفِ غيْم أبْيض هِىَ فيهِ بين تخفُّرٍ وتبرُّج

كتنفس الحسناء في المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج

وهذا تشبيه بديع لم يسبق إليه. ومثله قول أبي حفص بن بُرْد [من الكامل]:

والبدرُ كالمرآةِ غيَّرَ صقلَهَا عبثُ الغواني فيه بالأنفاسِ

وقول ابن طباطبا العلوي [من الوافر]:

متى أبصرتَ شمساً تحتَ غيمٍ ترى المرآةَ في كفِّ الحسودِ

يقابلها فيلبسها غِشاءً بأنفاسٍ تزايَدُ في الصُّعُودِ

وللخالدي في وصف النجوم [من المنسرح]:

كأنما أنجمُ السماء لمن يرمقُهَا والظلامُ منطبقُ

مالُ بخيلٍ يظلُّ يجمعهُ من كل وجهٍ فليس يفترقُ

ولأخيه أبي عثمان الخالدي في وصف النجوم أيضا [من مجزوء الرجز]

وليلةٍ ليلاء في اللونِ كلونِ المفرقِ

كأنما نجومُهَا في مغرب ومشرقِ

دراهمٌ منثورة على بساطٍ أزرقِ

ومن التشبيه النفيس قول ابن حمديس في وصف خضاب الشيب [من الخفيف]:

وكأنَّ الخِضابَ دُهمةُ ليلٍ تحتَهُ للمشيبِ غرَّةُ صُبْحِ

وقوله أيضاً في تشبيه العذار من أبيات [من المنسرح]:

أو دبَّ بالحسن فوقَ عارضه نملٌ أصابَ المدادُ أرجلَهَا

وقوله أيضا في وصف الشمعة [من السريع]:

كأنها راقصةٌ بيننا لم تنتقِل بالرقص منها قدمْ

قائمة فى ملْبسٍ أصفرَ قد حرَّكت منه لنا فرْدكمْ

وبديع قوله أيضا فى وصف الشيب [من مخلع البسيط] :

ولىَّ شبابى وراعَ شيْبى منىَ سِرْبُ المَها وفضّهْ
كأنما المُشْطُ فى يمينى يجرُّ منهُ خيوطَ فِضَّهْ

وللوأواء الدمشقى [من الكامل] :

ولربَّ ليلٍ ضلَّ عنهُ صباحهُ وكأنَّه بك خطْرةَ المتذكرِ
والبدْرُ أوّلَ ما بدا متلثِّما يبدِى الضياء لنا بخدٍ مُسْفِرِ
فكأنما هوَ خوذَةٌ من فضةٍ قد ركِّبَتْ فى هامةٍ من عنبرِ

ولأبى طالب الرفاء فى وصف أترجة مقنعة [من الرجز] :

مُصفَرَّةُ الظاهر بيضاء الحشَى أبدعَ فى صنعتها ربُّ السما
كأنها كفُّ مُحِبٍّ دنِفٍ مبسَّد يحسُب أيام الجفا

ولابن لنكك البصرى [من الوافر] :

ورَوْضٍ عبقَرِيِّ الوشى غضٍّ يُشاكل حين زُخْرِفَ بالشقيق
سماء زبرْجَدٍ خضْراء فيها نجومٌ طالعات من عقيقِ

وللنفرى الكاتب فى الباقلاء الأخضر [من الوافر] :

فُصوصُ زبرجد فى غلفِ دُرّ بأقماع حكت تقليمَ ظفْرِ
وقد صاغَ الإله لها ثياباً لها لونانِ من بيضٍ وخُضرِ

ولعبدان الخوذى فى قينة [من الطويل] :

لنا قينةٌ تحمى من الشُرْب شرْبَنا فقد أمِنوا سكراً وخوْفَ خُمارِ
تكشِّرُ عن أنيابها فى غنائها فتحكى حماراً شمَّ بوْلَ حمارِ

وما ألطف قول عبد الله بن النطاح فى أحدب [من الكامل] :

وقصيرٍ قد جمّعت أعضاؤه ليكونَ فى باب الخلاعةِ أطبعا
قَصُرَتْ أخادعه وغاصَ قذاله فكأنه متوقع أن يُصفعا
وكأنه قد ذاقَ أولَ صفعةٍ وأحسَّ ثانيةً لها فتجمّعا

وبديع قول السراج المحار يهجو امرأة سوداء زامرة [من الكامل]:

ولربَّ زامرة تهيج بزَمْرِها ريحَ البطونِ فليتها لم تزمر
شُبّهتْ أنملها على صرنابها وقبيح مبسَمِها الشنيع الأبخر
بخنافس قصدت كنيفاً واغتدتْ تسعَى إليه على خيارِ الشنبر

وهو من قول الأول يهجو زامراً أسود أيضاً [من الرجز]:

فكأنها فى حالةِ العيانِ خنافس دبت على ثعبانِ

وقول محمد بن الحسن المصرى الكاتب [من السريع]:

رأيت يحيى إذ أفادَ الغنى هاجَ به ذكر ووسْواس
كأنه كلب على جيفةٍ يخاف أن يطرده الناس

وقول البسامى فى رجل لبس خلعة تطول عليه ويقصر عنها [من السريع]

كأنه لما بدا طالعاً فى خلعة يقصر عن لبسها
جاريةٌ رعناء قد قدّرتْ ثياب مولاها على نفسِها

ولطيف قول ابن قلاقس فى عواد اسمه حسن [من الكامل]:

حسن ملاوى عوده مهْما تناوله مساوى
وكأنه إن جسّهُ من بعدِ تحريرِ الملاوى
كلبٌ تجاذبُ كفُّه أنشوطةَ والكلب عاوى

ولأبى طالب المأمونى فى رمانة تفت [من السريع]:

رمانةٌ ما زلت مستخرجاً فى الجام من حقّتِها جوهرا

فالجام أرض و بنانى حياً ... يُمْطر منها ذهباً أحمرا

وللصادع بالحق الواثقى وأجاد [من السريع] :

وليلةٍ شاب بها المفرِقُ ... بل جمّد الناظر والمنطقُ

كأنما فحمُ الغضا بيننا ... والنار فيه ذهبٌ محرق

أو سبج فى ذهب أحمر ... بينهما لينوفر أزرق

وللامام أبى عامر التميمى رحمه الله تعالى [من الرجز] :

يارُب كوْماء خَضَبْتُ نحرَها ... بِمدية مثل القضاء السابق

كأنها والدمُ حبس حولها ... سَوْسَنة زرقاء فى شقائقِ

وله فى وصف الرمان [من الطويل] :

خذوا صفة الرُّمان عنى فانَّ لى ... لساناً عن الأوصاف غيرَ قصيرِ

حِقاق كأمثالِ الكُرات تضمنتْ ... فصوصَ بلخش فى غِشاء حرير

وله فى النرجس [من الكامل] :

يانرجسًا لم تَعْدُ قامتَه ... سهم الزمرذ حين تنتسب

فرصافُهُ عظم وقدَّته ... قطع اللجينِ وفوقه ذهب

ولأبى منصور البغوى رحمه الله تعالى [من الطويل] :

تراءتْ لنا من خدْرِها بسوالفٍ ... كما لاحَ بدرٌ من خلالِ سحاب

وهزَّ الصبا صدغاً لها فوقَ خدِّها ... كما روَّحت نارٌ بريش غرابِ

ولنصر بن يسار المروى فى تفاحة معضوضة [من الكامل] :

تفاحة قد عضَّها قمر ... عمدًا ومسَّك موضع العضَّة

وكأن عضته ممسكة ... صدغٌ أحاط بوجنةٍ غضه

وكأنما نونان قد كتبا ... بالمسك فى كرةٍ من الفِضه

وله أيضاً [من الكامل] :

وبدا لنا بدر الدجى والليل قد تَمِلَ الأنام بفاضل الجلباب
غطى الكسوف عليه إلا لمعةً فكأنه حسناء تحتَ نقابِ

وله فى النرجس [من الرجز] :

ونرجسٍ غادرنى مابين عُجْب وعَجَبْ
كطبقٍ من فضةٍ عليه كأس من ذهب

وما أبدع قول أسعد بن إبراهيم بن بليطة [من المنسرح] :

أحببْ بنَوْر الأقاح نوّارا عسجدُه فى لُجينه حارا
كأن ماأصفرَ من مُوَسَّطه عليلُ قوم أتوه زوّارا
كأن مُبْيَضّه صقالبة كانوا مجوساً فاستقبلوا نارا
كأنه ثغر مَنْ هَويت وقد وضعت فيه بفِيَّ دينارا

ومن بديع ما قيل فيه قول ابن عباد الاسكندرى أيضاً [من البسيط] :

كأن شمعته من فضةٍ حُرِست خوف الوقوع بمسمارٍ من الذهب

وقول ظافر الحداد الاسكندرى أيضاً [من البسيط] :

والأقحوانة تحكى ثغرَ غانيةٍ تبسمت فيه من عُجْب ومن عَجَب
كشمسة من لجيْن فى زبرجدة قد شرفت تحت مسمار من الذهب
وللشقائق جَمْرٌ فى جوانبها بقيةُ الفحم لم تستره باللهب

ومن لطيف التشبيه قول محمد بن عبد الله بن طاهر فى الورد [من البسيط] :

أما ترى شجرات الورد مظهرة منها بدائع قد رُكبن فى قضب
أوراقها حمر أوساطها جمم صفر ومن حولها خضر من الشطب
كأنهن يواقيت يطيف بها زمرُّد وسطه شذر من الذهب

ولأبى الحكم مالك بن المرحل يصف قِصَرَ الليل ، وأجاد [من الكامل] :

وعشيةٍ سبق الصباحُ عشاءها   قِصَراً فما أمسيت حتى أسفرا
مسكيَّةٌ لبست حُلًى ذهبيةً   وجلا تبسُّمُها نقاباً أحمرا
وكأن شُهْبَ الرجمِ بعضُ حليها   عثرت به من سرعةٍ فتكسرا

وما أحسن قول صفوان بن إدريس من أبيات [من الكامل] :

والوردُ فى شطِّ الخليج كأنه   رَمَد ألمَّ بمقلةٍ زرقاء

وما ألطف قول بعضهم [من السريع] :

وشادنٍ أبصرتُه راكباً   فى كفه جوكانه يلعب
كالبدرفوق البرق فى كفه   هلالةٌ والكرة الكوكب

ومثله قول الصفى الحلى ، ولم أدر أيهما أخذ من الآخر [من الكامل] :

ملك بروضٍ فوق طرف ضارباً   كرةً بجوكان حناه ضِرابا
فكأن بدراً فى سماء راكباً   برْقاً يزحزح بالهلال شهابا

ومن بديع التشبيه قول الأستاذ على بن الحسن بن على بن سعد الخير فى دولاب [من الكامل] :

لله دولابٌ يفيضُ بسلسل   فى روضة قد أينعتْ أفنانا
قد طارحتْهُ بها الحمائم شَجْوَها   فيجيبها وَيرجِّع الألحانا
فكأنه دَنِفٌ يدور بمعهدٍ   يبكى ويسأل فيه عمَّنْ بانا
ضاقت مجارى طَرْفه عن دمعه   فتفتحت أضلاعـه أجفانا

وباب التشبيه واسع جداً ، تضيق الطاقة عن حصره ، وهذا القدر كاف فيه .

شواهد الاستعاره

شاهد الاستعارة التحقيقية

٩٧ - لدى أسدٍ شاكى السلاح مُقذَّفٍ

قائله زهير بن أبى سُلْمَى ، من قصيدته السابقة فى شواهد الايجاز ، وسيأتى كاملا فيما بعد[١] وقبله

لعمرى لنِعْمَ الحىُّ جرَّ عليهمُ ... بما لايواتيهم حُصَيْنُ بن ضَمْضَمِ
وكانَ طوَى كشحاً على مُسْتكنةٍ ... فلا هُوَ أبداها ولم يتقدّمِ [٢]
وقال سأقضِى مأربى ثم أتقى ... عدوّى بألفٍ من ورائىَ مُلجمِ [٣]
فشدَّ ولم ينظر بيوتاً كثيرةً ... لدى حيثُ ألقَتْ رَحْلَها أم قَشْعَمِ [٤]

وبعده البيت ، والقصيدة طويلة يقول منها أيضاً:

سئمت تكاليفَ الحياة ومن يَعِشْ ... ثمانين عاماً لا أبالكَ يَسْأمِ [٥]
رأيت المنايا خَبْطَ عَشْواء من تُصِبْ ... تُمِتْهُ ومن تُخطىء يعمر فيهرم
ومهما تكن عند امرىء من خليقةٍ ... وإن خالها تخفَى على الناس تُعلَمِ

وشاكى السلاح وشاكُه وشائكه : حديده ، والمقذف : الذى يقذف به كثيراً إلى الوقائع ، أو الذى رمى باللحم رميا .

والشاهد فيه : الاستعارة التحقيقية ، فالأسد هنا مستعار للرجل الشجاع وهو أمر متحقق حسا .

---

(١) الشاهد صدر بيت ، وعجزه قوله
* له لبد أظفاره لم تقلم *

(٢) فى الأصول « على مستكينة » وفيها « ولم تتقدم » وأثبتنا ما فى ديوان زهير ، وحكى فى شرح الديوان رواية أخرى « ولم يتجمجم »

(٣) فى الديوان « سأقضى حاجتى »

(٤) في الديوان « فشد ولم يفزع » وحكى في الشرح أنه يروى ولم ينظر كما هنا

(٥) فى نسخ المعلقات والديوان « ثمانين حولا »

شاهد ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به

٩٨ — قامَتْ تُظَلِّلُني مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أعزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قَامتْ تُظَلِّلُني وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

البيتان لابن العميد، وهما من الكامل، قالهما فى غلام حسن قام على رأسه يظلله من الشمس[1]، وقال ابن النجار فى تاريخه: قرأت على إسماعيل بن سعد الله أنبأنا بكر بن على التاجر، قال: أنشدنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمى الواعظ فى ولده أبى العباس، لأنه كان يقوم إذا جاءت عليه الشمس ويظلله فقال:

قامت تظللنى من الشمس نفسٌ أعزُّ على من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب شَمْسٌ تظللنى من الشمس
لمَّا رَأَيْتُ الشمسَ بارزةً سَتَرتُ عين الشمس بالخَمْسِ
ثم استَعَنتُ على التى اختَلَست منى الفؤاد بآيَةِ الكرسى

وقال ياقوت فى معجم الأدباء: كان أبو إسحاق الصابى واقفا بين يدى عضد الدولة وعلى رأسه غلام تركى جميل، فكان إذا رأى الشمس عليه حجبها عنه، فقال للصابى: هل قلت شيئا يا إبراهيم؟ فقال:

وَقَفتْ لتحجُبنى عن الشمس نفسٌ أعزُّ علىّ من نَفْسى
ظلَّتْ تظللنى ومن عجب شَمْسٌ تُغيِّبنى عن الشمس

فسُرَّ بذلك.

والشاهد فيهما: أن إطلاق المشبه به على المشبه إنما يكون بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به، وإذا كان كذلك فيكون استعمال الاستعارة فى المشبه

---

(١) رواهما أبو منصور الثعالبى فى اليتيمة (٣-١٦٠) لابن العميد، وروى الثانى هكذا:

فأقول: واعجبا، ومن عجب شمس تظللنى من الشمس

استعمالا فيما وضعت له، فهنا لولا أنه ادعى له معنى الشمس الحقيقى وجعله شمسا لما كان لهذا التعجب معنى، إذ لا تعجب فى أن إنسانا حسنا يظلل إنسانا آخر.

وقريب من معنى البيتين ما حكى أن سيماء التركى غلام المعتصم كان أحسن تركى على وجه الأرض فى وقته، وكان المعتصم لا يفارقه ولا يصبر عنه محبة له ووجدا به، فاتفق أن المعتصم دعا أخاه المأمون ذات يوم إلى داره، فأجلسه فى بيت على سقفه جامات، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيماء فصاح المأمون لأحمد بن محمد اليزيدى فقال: انظر ويلك إلى ضوء الشمس على وجه سيماء، أرأيت أحسن من هذا قط؟ وقد قلت [من السريع]:

قد طَلَعت شمسٌ على شَمْسٍ ... وزَالَتِ الوحْشَةُ بالأُنْسِ

فأجز، فقال اليزيدى بعده:

قد كُنْتُ أشْنا الشَّمْسَ من قبل ذا ... فصِرْتُ أرْتاحُ إلى الشمس [١]

قال: وفطن المعتصم فعض شفتيه لأحمد، قال أحمد للمأمون: والله يا أمير المؤمنين لئن لم يعلم الأمير حقيقة الأمر منك لأقعَنَّ منه فيما أكره، فدعاه المأمون فأخبره الخبر، فضحك المعتصم، فقال له المأمون: كثر الله يا أخى فى غلمانك مثله.

ويقرب من هذا ما حكى أن المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية جلس يوما وبين يديه جارية تسقيه، فخطف البرق، فارتاعت منه، فقال ابن عباد فى ذلك [من السريع]:

روَّعها البرقُ وفى كفِّها ... برقٌ من القَهْوَةِ لَمَّاعُ

عجبت منها وهْىَ شمس الضحى ... من مثل ما تحمل ترتاعُ

(١) أشنا: أصله أشنأ ـ مهموز الآخر ـ فسهلت الهمزة، فصارت حرف مد من جنس حركة ما قبلها

ثم أنشد الأول لعبد الجليل بن وهبون المرسى واستجازه فقال :

ولَنْ ترى أعجب من آنسٍ ... من مثل ما يُمْسِكُ يرتاع

ترجمة ابن العميد

وابن العميد [١] هو: أبو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ، ولسان الجبل ، وعماد ملك آل بويه ، وصدر وزرائهم ، قال فى حقه أبو منصور الثعالبى كان أوحد العصر فى الكتابة ، وكان يدعى الجاحظ الآخر ، والأستاذ والرئيس ، ويضرب به المثل فى البلاغة [وينتهى إليه فى الاشارة بالفصاحة والبراعة مع [٢]] حسن الترسل وجزاله الألفاظ وسلاستها ، مع براعة المعانى ونفاستها ، وما أحسن [وأصدق] ما قاله الصاحب وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها : بغداد فى البلاد كالأستاذ فى العباد . وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد . وقد أجرى ذكرهما معاً [٢] أبو محمد [عبد الله بن أحمد] الخازن فى قصيدة مدح بها الصاحب بن عباد حيث وصف بلاغته فقال [من البسيط] :

دعوا الأقاصيصَ والأنباء ناحيةً ... فما على ظهرها غير ابن عبَّادِ

والى بيانٍ متى يُطْلق أعِنّتَه ... يدَعْ لسان إيادٍ رهْنَ أقْيادِ [٣]

ومُورِدٌ كلِماتٍ عطِلَتْ زهراً ... على رياضٍ ودرّاً فوقَ أجْيادِ [٤]

وتاركٌ أولاً عبدَ الحميدِ بها ... وابنَ العميد أخيراً فى أبى جادِ

---

(١) تجد لأبى الفضل بن العميد ترجمة ضافية فى يتيمة الدهر للثعالبى (٣ - ١٣٧ - ١٦٢ مصر) وفى ابن خلكان (٢ - ٤٦٣)

(٢) زيادة عن يتيمة الدهر

(٣) أشار بلسان إياد إلى قس بن ساعدة الايادى خطيب العرب فى الجاهلية ومضرب المثل فى الفصاحة

(٤) فى الأصل « كلمات عطرت زهرا » وأثبتنا ما فى اليتيمة

ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كَلاَلة ، بل كان كما قال ذو الرمة فى وصف صائد حاذق [من البسيط] :

* ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب *

لأن أباه أبا عبد الله الملقب بكله كان فى الرتبة الكبرى من الكتابة ، وكان قد تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر ، وكان يحضر ديوان الرسائل فى محفة لسوء أثر النقْرِس فى قدمه ، وفيه يقول أبو القاسم الاسكافى وكان يكتب فى ديوانه إذ ذاك ويرى نفسه أحق منه برتبته ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه [من الكامل] :

يا ذا الذى رَكِبَ المحفَّـ ـةَ جامعاً فيها جهازهْ
أترى الإله يُعِيشُنى حتَّى يرينيها جنازهْ[(١)]

ولم تطل الأيام حتى أتت على أبى عبد الله منيته ، ووافت أبا القاسم أمنيته وتولى ديوان الرسائل ، فسبق من قبله وأتعب من بعده ، ولم يزل أبو الفضل هذا فى حياة أبيه و بعدوفاته بالرى وكورة الجبل وفارس يتدرج إلى المعالى ، و يزداد فضلا و براعة على الايام والليالى ، حتى بلغ ما بلغ واستقر فى الذروة من وزارة ركن الدولة ورياسة الجبل وخدمة الكبراء ، وانتجعه الشعراء ، وورد عليه أبو الطيب المتنبى عند صدوره من حضرة كافور الاخشيدى فمدحه بتلك القصيدة المشهورة التى منها يقول [من الكامل] :

من مبلغ الأعرابِ أنّىَ بعدها شاهدت رسطاليس والاسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافنى من ينحر البِدَرَ النُّضار لمن قرى
وسمعتُ بطليموسَ دَارِسَ كتبِهِ مُتملكاً متبدياً متحضرًا[(٢)]

---

(١) فى الأصول « الاله يغيثنى » محرفا، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٢) فى الأصل « مارس كتبه » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة وديوان المتنبى ، وثلاثة الأبيات ليست متصلة فى الديوان

ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنما ... رَدَّ الإلهُ نفوسهم والأعصرا

ومنها:

نسقوا لنا نَسق الحساب مقدماً ... وأتى فذلكَ إذ أتيت مؤخَّرا (١)

بأبي وأمي ناطقٌ في لفظه ... ثمن تباعُ له القلوبُ وتشترَى (٢)

قطفَ الرجالُ القولَ قبلَ نباته ... وقطفتَ أنتَ القول لما نوّرا

ومدحه الصاحب بن عباد بقصائد كثيرة استفرغ فيها جهده، فمنها قوله فيه (٣) [من الخفيف]:

من لقلب يهيم في كل وادى ... وقتيلٍ للحب من غير وادى

إنما أذكر الغوانيَ والمقصـ ... ـدُ سعدى تكثُّراً للسوادِ

وإذا ماصدقتُ فهيَ مرامي ... ومُرادي ورَوْضتي ومَرادي (٤)

ونَدَى ابنِ العميد إني عميدٌ ... من هواها أليةَ الأمجاد

لوْ دَرَى الدهرُ أنه من بنيه ... لازْدرى قدرَ سائر الأولاد

أوْرأى الناسُ كيف يهتزُّ للجو ... دِ لما عدّدوهُ في الأطوادِ

---

(١) في الأصل «وأتوافدى لك» محرفا، وما أثبتناه موافق لما في الديوان قال الواحدى: معناه جمع لنا الفضلاء في الزمان، ومضوا متتابعين متقدمين عليك في الوجود، فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضل ما كان فيهم، مثل الحساب يذكر تفاصيله أولا، ثم تجمل تلك التفاصيل، فيكتب في آخر الحساب: فذلك كذا وكذا، فيجمع في الجملة ما يذكر في التفصيل، كذلك أنت جمع فيك ماتفرق فيهم من الفضائل والعلم والحكمة.

(٢) في الديوان واليتيمة «ثمن تباع به القلوب»

(٣) الأبيات في اليتيمة (٣ ـ ١٤٠) ضمن ثلاثة عشر بيتا

(٤) في اليتيمة «ومنائى وروضني» وما هنا أحسن

وله أيضا (١) [من الكامل] :

قالوا رَبيعك قد قَدِمْ فلكَ البشارةُ بالنِّعَمْ

قلتُ الربيعُ أخو الشتا ء أم الربيع أخو الكرمْ ؟

قالوا الذى بنواله يُغْنِى المقلّ من العدَمْ

قلتُ الرئيسُ ابنُ العميـ ـد إذاً فقالوا لى نعمْ

ولبعضهم (٢) فيه عند انتقاله إلى قصرٍ جديد قد بناهُ ، وهو مُستبدع [من البسيط] :

لا يعجبنْكَ حسنُ القصر تنزلهُ فضيلة الشمس ليستْ فى منازلها

لو زِيدتِ الشمسُ فى أبراجها مائةً ما زاد ذلك شيئاً فى فضائلها

وهذه نبذة من محاسن نثره :

فصل من رسالة كتب بها إلى أبى العلاء السروى - كتابى ، جعلنى الله تعالى فداكَ ، وأنا فى جد وتعب منذ فارقت شعبان ، وفى جهد ونصب من رمضان ، وفى العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم ومرتهن بتضاعف حرّ ، لو أن اللحم يَصْلَى ببعضه غريضا ، أتى أصحابه وهو منضج ، وممتحن بهواجر ، يكاد أُوراها يذيبُ دِماغ الضبِّ ، ويصرف وجه الحرباء عن التحنف (٣) ، ويزويه عن التنصر ، ويقبض يده عن إمساك ساق وإرسال ساق .

ويترك الجأبَ فى شغل عن الحقب ويقدح النارَ بين الجلد والعصب

(١) أربعة الأبيات فى اليتيمة (٣ - ١٤١)

(٢) البيتان فى اليتيمة (٣ - ١٤٢) وقد نسبهما أبو منصور إلى أبى على مسكويه

(٣) فى اليتيمة « عن التحنق » وفيها « ويزويه عن التبصر »

ويغادر الوحش قد مالت هواديها [من الطويل] :

سجوداً لدى الأرطى كأنّ رؤسها علاها صداعٌ أوفواقٌ يصورها

كما قال الفرزدق [من الطويل] :

ليوم أتى دون الظلال شموسه تظل المها صُوراً جماجمُها تَغْلِي (١)

وكما قال مسكين الدارمي [من الطويل] :

وهاجِرَةٍ ظلت كأنّ ظباءها إذا ما اتقتها بالقُرون سجودُ

تلوذ بشؤبوب من الشمس فوقها كما لاذ من وَخْزِ السنان طريدُ

ومَمْنوٌّ بأيام تحاكى ظل الرمح طولا ، وليال كإبهام القطاة قصراً ، ونوم كلاولا قلة ، وكحسو الطائر من الماء الثماد دقة ، وكتصفيقة الطائر المستحر خفة :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فلما رأَوها أقشعت وتجلتِ (٢)

وكنَقْر العصافير ، وهى خائفة من النواطير يانعَ العنب (٣) ، وأحمد الله تعالى على كل حال ، وأسأله أن يعرفنى بَرَكته ، ويلقينى الخير فى أيامه وخاتمته ، وأرغب إلى الله أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويعجل نهضته ، وينقص مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة الطول من ساعاته ، ويردّ علىّ غرة شوال ، فهى أسرّ سائر الغرر عندى ، وأقرها لعينى ، وَيسمعنى النعرة فى قفا شهر رمضان ، ويعرض علىّ هلاله أخفى من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بنى عامر ، وأضنى من قيس

---

(١) في اليتيمة « أتت دون الظلال شموسه » والبيت ليس في ديوان الفرزدق

(٢) فى اليتيمة « فلما رجوها »

(٣) هذه الجملة مأخوذة من لفظ بيت من المنسرح وهو :

نقر العصافير وهى خائفة من النواطير يانع العنب

ابن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور ، ويرسل على رقاقته التي يغشى العيون ضوءها ، ويحط من الأجسام نوءها ، كلفا يغمرها ، وكسوفا يسترها ، ويريئه مغمور النور ، مقمور الظهور ، قد جمعه والشمس برجٌ واحد ودرجة مشتركة ، وينقص من أطرافه كما تنقص النار من أطراف الزند ، ويبعث إليه الأرضة ، ويهدى إليه السوس ، ويغرى به الدود ، ويبليه بالفأر ، ويخترمه بالجراد ، ويبيده بالنمل ، ويجتحفه بالذر[1] ، ويجعله من نجوم الرجم ، ويرمى به مسترق السمع ، ويخلصنا من معاودته ، ويريحنا من دوره ، ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكتان[2] ، ويصنع به صنيعه بالألوان ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق إذا افتضح بضوئه ، وهتك بطلوعه ، ويرحم الله عبداً قال آمينا ، وأستغفر الله جل وجهه مما قلته إن كرهه ، وأستعفيه من توفيق لما يذمه ، وأسأله صفحا يفيضه ، وعفواً يسبغه ، وحالى بعد ما شكوت صالحة ، وعلى ما تحب وتهوى جارية ، ولله الحمد تقدست أسماؤه والشكر .

ومن فصوله القصار الجارية مجرى الأمثال ، قوله : متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى ؟ . خير القولُ ما أغناك جده ، وألهاك هزله . الرتب لا تبلغ إلا بتدرّج وتدرب ، ولا تدرك إلا بتجشم كلفة وتصعب . المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه . المرء يبذل ماله فى إصلاح أعدائه ، فكيف[3] يذهل العاقل عن حفظ

(١) فى الأصل « ويحتجنه » وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة

(٢) فى الأصل «فعله بالشكلان» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة والعرب تعتقد أن ضوء البدر يبلى الكتان وعلى هذا جاء قول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر

وهو الشاهد (رقم ٩٩) من الشواهد المشروحة فى هذا الكتاب فارجع إلى شرحه

(٣) فى الأصل « فكيف يذهب العاقل من حفظ أوليائه » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

أوليائه ؟. هل السيد إلا من تهابه إذا حضر، وتغتابه إذا أدبر . اجتنب سلطان الهوى وشيطان الميل . المرح والهزل[١] بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر، وفحلان إذا لقحا لم ينتجا غير الشر .

ومما أخرج له من الشعر[٢] قوله [من الكامل] :

أخ الرجالَ من الأبا ... عد، والأقاربَ لا تُقارِب

إن الأقارب كالعقا ... رب بل أضر من العقاربْ

وكتب إلى العلوى[٣] [من المقتضب] :

يا من تخلى وولى ... وصدّ عنى وملاّ

وأوسع العهد نَكْثاً ... وأتبع العقد حلاّ

ما كان عهدك إلا ... عهد الشبيبة ولى

أوْ طائفاً منْ خيالٍ ... ألمّ ثمَّ تولّى

أو عارضاً لاحَ حتّى ... إذا دَنا فتَدلّى

ألوَتْ بهِ نَسمات ... من الصبا فتجلّى

أهْلاً بِما تَرْتضيهِ ... فى كلّ حالٍ وسَهلاَ

ليَجزيَنّكَ وُدّى ... بمثْل فعْلِكَ فعْلاَ

إنْ شِئْتَ هَجراً فهجراً ... أو شئتَ وَصْلاً فوَصلا

صَبرْتَ عنّى فانظرْ ... ظفِرتَ بالصَّبر أمْ لا

---

(١) فى اليتيمة « المزح والهزل » ولكل واحدة من العبارتين وجه

(٢) هذان البيتان فى ابن خلكان عن أبى الفضل الميكالى فى كتابه المنتحل وفى اليتيمه (٣ - ٢٤ بيروت)

(٣) هذه الأبيات فى اليتيمة (٣ - ١٩ بيروت)

إني إذا الخِــلُّ ولّى وليتُــهُ ما تولّى

وكتب إلى أبي الحسن بن هندو وأرسلها إليه صبيحة عرسه [من الكامل]:

انعمْ أبا حسنٍ صباحاً وازددْ بزوجتِكَ ارتياحا
قدْ رضتَ طرفَكَ خالياً فهل استلنتَ لهُ جِماحا
وقدحتَ زَنْدَكَ جاهِداً فهل استبنْتَ لهُ انقِداحا
وطرقتَ منغلقاً فهلْ سنّ الإلـه له انفتاحا
قدْ كنتُ أرسلتُ العيو نَ صباحَ يومِكَ والرّواحا
وبعثتُ مُصغيــةً تبيت لديْكَ ترتقِبُ النجاحا
فعَدَتْ عليّ بجملةٍ لم تُولني إلاّ افتِضاحا
وشَـكتْ إليّ خلاخلاً خرساً وأوشحةً فِصاحا
منعت وساوسُها المنا مع أن تحسَّ لكمْ صياحا

وللصاحب ابن عبّاد في هذا المعنى إلا أنه أقرب في التصريح [من السريع]

قلبي على الجمرة يا ابا العلا فهل فتحتَ الموضع المقفلا
وهل فـككت الختم عن كيسه وهل كحلت النّاظر الأكحلا
إن قلتَ يا هـذا نعم صادقاً أبعث نثاراً يملأ المنزلا(١)
وإنْ تجبني مِنْ حياء بِلاً أبعَثْ إليْكَ القطنَ والمِغزلاَ

ولابن العميد في المغنى القرشيّ [من الوافر]:

إذا غنّانيَ القُرشيُّ يوماً وعنّاني برؤيتــهِ وضربهْ
وَدِدتُ لوَ انّ أُذني مثلُ عيني هناكَ وأنّ عيني مثلُ قلبِهْ

(١) في اليتيمة * إنك إن قلت نعم صادقا *

وللوزير المهلبي فيه أيضاً [من مجزوء الوافر] :

إذا غنّانيَ القُرَشي دعوْتُ اللهَ بالطَّرَش
وَإن أبصرْتُ طَلعتهُ فَوَالهفي على العَمَش

واجتمع عند ابن العميد يوما أبو محمد [بن] هندو ، وأبو القاسم بن أبى الحسين ، وأبو الحسين بن فارس ، وأبو عبدالله الطبرى ، وأبو الحسن البديهيّ ، فحياه بعض الزائرين بأترجة حسنة فقال لهم : تعالوا نتجاذب أهداب وصفها ، فقالوا : إن رأى سيدنا أن يبتدئ فعل ، فابتدأ وقال [من الطويل] :

* وأُتْرُجَّةٍ فيها طبائعُ أرْبعُ *

فقال أبو محمد :

* وفيها فُنونُ اللّهْوِ والشرب أجْمَعُ *(١)

فقال أبو القاسم :

* يُشبهُها الرَّائى سَبيكةَ عَسْجَدٍ *

فقال أبو القاسم بن أبى الحسين(٢) :

* على أنها منْ فَارَةِ المِسْكِ أضْوَعُ *

فقال أبو عبد اللهِ :

* وما اصفَرَّ منْها اللَّوْنُ للعشق والهوى *

فقال أبو الحسن :

* ولَكِنْ أرَاها لِلْمحبِّين تَجْمَعُ *

وكان ابن العميد متفلسفاً متّهماً برأى الأوائل ، ويقال : إنه كان مع فنونه لا يدرى الشرع ، فاذا تكلم أحد بحضرته فى أمر الدين شق عليه وخَنَسَ ثم

(١) فى اليتيمة * وفيها فنون اللهو للشرب أجمع *
(٢) هكذا فى أصول الكتاب ، وأظنه « فقال أبو الحسين بن فارس »

قطع على المتكلم فيه ، وكان قد ألف كتابا سماه الخلق والخلق ولم يبيضه ، ولم يكن الكتاب بذاك ، ولكن جعس الرؤساء خبيص ، وصنان الأغنياء ند .

وتوفى فى سنة ثلثمائة وستين[١] .

ترجمة أبى الفتح ابن ابن العميد

وقام ابنه علىّ أبوالفتح ذو الكفايتين[٢] مقامه ، إذ هو ثمرة تلك الشجرة ، وشبل ذلك القسوره * وحقّ على ابن الصقر أن يشبه الصقرا * وما أصدق قول الشاعر [من الكامل] :

إنّ السّرىّ إذا سرا فبنفسه ... وابنُ السّرىّ إذا سرا أسراهما

وكان نجيباً ، ذكياً لطيفا سخياً رفيع الهمة ، كامل المروءة ، تأنق أبوه فى تأديبه وتهذيبه ، وجالس به أدباء عصره وفضلاء وقته ، وخرج حسن الترسّل متقدّم القدم فى النظم ، آخذا من محاسن الأدب بأوفر الحظ ، ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال ، وعلى مدى بعيد من الاكتهال ، وجمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة بن بويه لُقّب بذى الكفايتين ، وعلا شأنه ، وارتفع قدره ، وطاب ذكره ، وجرى أمره أحسن مجرى ، إلى أن توفى ركن الدولة وأفضت حال أبى الفتح إلى ما سيذكر قريباً بمشيئة الله تعالى وعونه .

ومن طرف أخباره أن أباه كان قد قيّض جماعة من ثقاته فى السرّ يشرفون على ولده الأستاذ أبى الفتح فى منزله ومكتبه ، ويشاهدون أحواله ، ويعدّون أنفاسه وأفعاله ، وينهون إليه جميع ما يأتيه ويذره ، ويقوله ويفعله ،

---

(١) ذكر ابن خلكان هذا وقولا آخر أنه توفى فى سنة تسع وخمسين وثلثمائه

(٢) تجد ترجمة أبى الفتح ذى الكفايتين على بن محمد بن الصاحب بن عباد فى يتيمة الدهر للثعالبى تالية لترجمة أبيه (٣ - ١٦٢ مصر) وقد أبى المؤلف إلا أن يقرنهما هنا مع أن صلة الموضوع بأبى الفتح بعيدة

فرفع إليه بعضهم أن أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث المترفون من عقد مجلس أنس واتخاذ الندماء وتعاطى ما يجمع شمل اللهو فى خفية شديدة واحتياط تام ، وأنه فى تلك الحال كتب رقعة إلى بعض أصدقائه فى استهداء الشراب ، فحمل إليهم مايصلح لهم من المشروب والنَّقْل والمشموم ، فدس أبوه إلى ذلك الانسان مَنْ أتاه بالرقعة ، فاذا فيها بخطه : بسم الله الرحمن الرحيم ، قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاك ياسيدى ومولاى رقدةً من عين الدهر ، وانتهزت فرصة من فُرَص العمر ، وانتظمت مع أصحابى فى سمط الثُّريَّا ، فان لم تحفظ علينا النِّظام باهداء المدام ، عدنا كبنات نعش والسلام ، فاستطير الأستاذ فرحاً وإعجابا بهذه الرقعة البديعة ، وقال : الآن ظهر لى أمر براعته ، ووثقت بجريه فى طريقى ، ونيابته منابى ، ووقَّع له بألفى دينار .

وحكى أبو الحسين بن فارس قال : كنت عند الأستاذ أبى الفتح فى يوم شديد الحر ، فرمت الشمس بجمرات الهاجرة ، فقال لى : ماقول الشيخ فى قلبه ؟ فلم أُحِرْ جوابا لأنى لم أفطن لما أراد ، ولما كان بعد هُنَيَّة أقبل رسول والد الأستاذ يستدعينى إلى مجلسه ، فلما مثلت بين يديه تبسم ضاحكا إلىّ ، وقال : ما قول الشيخ فى قلبه ؟ فبُهِتُّ وسكت وما زلت متفكراً حتى تنبهت أنه يريد الخيش وكأنّ مَنْ يشرف على أبى الفتح من جهة أبيه أتاه بتلك اللفظة فى تلك الساعة ، فأفرط اهتزازه لها ، وقرأت صحيفة السرور فى وجهه ، ثم أخذت أتحفه بنكت نظمه ونثره ، فكان مما أعجب به واستضحك له رقعة له وردت على ، وصدرها : وصلت رقعة الشيخ أصغر من عنفقة بقة ، وأقصر من أنملة نملة .

قال أبو الحسين : وجرى فى بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الرئيس الأستاذ وزنها واستحلى رويها ، وأنشد كل من الحاضرين ما حضره على ذلك وهو قول القائل [من المقتضب] :

لئن كَفَفْتَ وَإلاَّ شققتُ منك ثيابى[1]

فأصغى الأستاذ أبو الفتح ثم أنشد فى الوقت وقال :

يا مولَعاً بعذابى أما رحمتَ شبابى
تركتَ قلبى قريحاً نَهْبَ الأسى والتصابى
إن كنت تُنْكِرُ مابى من ذِلّتى واكتئابى
فارفعْ قليلا قليلا عن العظامِ ثيابى

وله من نوروزية[2] [من الكامل] :

أبشر بنورُوزٍ أتاكَ مبشرا بسعادةٍ وزيادةٍ ودوامِ
واشربْ فقدحلَّ الربيعُ نقابَهُ عن منظرٍ متهللٍ بسّامِ
وهديّتى شعر عجيب نظمُهُ ومديحهُ يبقى على الأيامِ
فاقبلْهُ وأقبل عذرَمن لم يستطعْ إهداء غير نتيجة الأفهامِ

ومن بدائعه المشهورة قوله من قصيدة [من الكامل] :

عُودى وماء شبيبتى فى عودى لا تَعمدى لِمَقَاتِلِ المعمودِ
وصِليهِ مادامتْ أصائلُ عيشه تُؤويه فى ظلٍّ لهـا ممدودِ[3]
مادام من ليلِ الصِّبا فى فاحمٍ رجل الذرى متهدلِ العنقودِ[4]
قبلَ المشيبِ وطارقاتُ جنودِهِ يبذِلْنَهُ يققا بِسُخْم سُودِ[5]

ومن شعره [من الخفيف] :

---

(١) فى الأصل «لئن كففت عنى وإلا » ولا شك أن كلمة «عنى» مزيدة لامحل لها ، وهى تخل بالوزن ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة (٣ - ١٦٤)

(٢) يريد من قصيدة قيلت فى عيد النيروز

(٣) فى اليتيمة « تؤويه فى فىء »

(٤) فى اليتيمة « فينان كالعنقود »

(٥) فى اليتيمة « قبل المشيب فطارقات جنوده» وما هنا أدق

أين لى من يفى بشكر الليالى إذْ أضافتْ خيالها وخيالى
لم يكنْ لى على الزمانِ اقتراحٌ غيرَها منيةً فجاد بها لى

ومنه [من الطويل] :

إذا أنا بلغتُ الذى كنت أشتهى وأضعافَهُ ألفاً فكِلنى إلى الخمر
وقل لنديمى قمْ إلى الدهر واقترح عليه الذى يهوى وكلنى إلى الدهر

يحكى أنه سر يوماً وطلب الندماء وهيأ مجلساً عظيما بآلات الذهب والفضة والمغانى والفواكه ، وشرب بقية يومه وعامة ليلته ، ثم عمل شعراً وغنّوْه به وهو هذا [من المتقارب] :

دعوتُ الغِنا ودعوت المنى فلما أجابا دعوتُ القَدَحْ
إذا بلغ المرء آمالَهُ فليس له بعدها مُقْتَرَحْ

وكان ذلك بعد تدبيره على الصاحب و إبعاده عن ركن الدولة وانفراده بالدست كما سنذكره ، ثم طرب بالشعر وشرب إلى أن سكر ، وقال : غطوا المجلس لأصطبح عليه غداً ، وقال لندمائه : باكرونى ، ثم نام ، فدعاه مؤيد الدولة فى السحر وقبض عليه وأخذ ما يملكه ثم قتله ، وكان من خبر ذلك أنه لما توفى ركن الدولة وقام بعده ولده مؤيد الدولة مقامه خليفةً لأخيه عضد الدولة أقبل من أصبهان إلى الرى ، ومعه الصاحب أبو القاسم بن عباد فخلع على أبى الفتح هذا خلع الوزارة ، وألقى إليه مقاليد المملكة والصاحب على حالته فى الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص به وشدة الحظوة لديه ، فكره أبو الفتح مكانه ، وأساء به الظن ، فبعث الجندَ على أن يشغبوا عليه ، وهموا بما لم ينالوا منه ، فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان ، وأسرَّ فى نفسه الموجدة على أبى الفتح ، وانضاف إلى ذلك تغير عضد الدولة واحتقاده عليه أشياء كثيرة فى أيام أبيه و بعدها ، منها ممايلته عز الدولة بختيار ، ومنها ميل القواد إليه بل غلوهم فى موالاته ومحبته ، ومنها ترفعه عن التواضع له فى مكاتباته ، واجتمع رأى الأخوين على اعتقاله وأخذ أمواله ، ولما قبض عليه بَدَرَتْ منه كلمات

أيضا نقلت إلى عضد الدولة فزادت فى استيحاشه منه ، وأنهض من حضرته من طالبه بالأموال وعذبه بأنواع العذاب ، ويقال : إنه سَمَلَ إحدى عينيه ، وقطع أنفه وجز لحيته .

وفى تلك الحال يقول وقد أيس من نفسه واستأذن فى صلاة ركعتين ودعا بدواة وقرطاس وكتب [من السريع] :

بدَّلَ من صورَتىَ المنظرُ ... لكنَّهُ ما غيرَ المخبرُ

ولستُ ذا حُزْنٍ على فائتٍ ... لكن على من باتَ يستعبرُ

ووالِه القلب لما مسنى ... مستخبرٌ عنى ولا يُخبَرُ

وحدث أبو جعفر الكاتب ، قال : كان أبو الفتح قبل النكبة التى أتت على نفسه قد لهج بانشاد هذين البيتين فى أكثر أوقاته ولست أدرى أهُماله ، أم لغيره ، وهما [من الرمل] :

سكنَ الدُّنيا أناسٌ قبلنا ... رَحلوا عنها وخلَّوها لنا

ونزلناها كما قد نزلوا ... ونُخلِّيها لقومٍ بعدنا

ولما تيقن بهلاكه وأنه لاينجومنهم ببذل المال مد يده إلى جيب جبة كانت عليه ففتقه عن رقعة فيها مكتوب مالا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره وألقاها فى كانون كان بين يديه ، ثم قال للموكل به المأمور بقتله : اصنَعْ ما أنت صانع ، فوالله لا يَصِلُ من أموالى المستورة إلى صاحبك الدرهمُ الواحد ، فما زال يَعْرِضه على العذاب ويُمثل به حتى تلف .

وفيه يقول بعضُ الشعراء المتعصبين له :

آلَ العميدِ وآلَ برْمك مالكُمْ ... قلَّ المُعينُ لكُمْ وقلَّ الناصِرُ

كان الزمان يحبكم فبَدَا له ... إنَّ الزمان هو المحبُّ الغادرُ

ورثاه كثير من الشعراء بغرر القصائد

من شواهد ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به

٩٩ — لاَ تَعْجبوا مِنْ بِلَى غِلاَلَتِهِ قَدْ زُرَّ أَزْرارهُ عَلَى القَمرِ

البيت لأبى الحسن بن طباطبا العلوى ،من المنسرح ، وقبله :

يا منْ حكى الماء فرطَ رقّتِهِ وقلبهُ فى قساوة الحجرِ
يا ليتَ حظى كحظِّ ثوبكَ منْ جسمكَ يا واحداً من البشر

و بعده البيت ، ورأيته بلفظ :

* قد زُرَّ كِتّانُها على القمرِ *

ولعله أبلغ فى المراد ، والغِلالة — بكسر الغين المعجمة — شعار يلبس تحت الثوب .

والشاهد فيه : ما فى البيت الذى قبله ، لأنه لو لم يجعله قمراً حقيقياً لما كان للنهى عن التعجب معنى ، لأن الكتان إنما يُسْرع إليه البِلَى بسبب ملازمته للقمر الحقيق ، لا بسبب ملابسة إنسان كالقمر حسنا ، ورُدَّ كون الاستعارة مجازاً عقليا : بأن ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به لا يقتضى كونها مستعملة فيما وضعت له ، للعلم الضرورى بأنها مستعملة فى الرجل الشجاع مثلا ، والموضوع له هو السبب المخصوص ، وأما التعجب والنهى عنه فى البيت والذى قبله فللبناء على تناسى التشبيه ، قضاءً لحق المبالغة ، ودلالة على أن المشبه بحيث لا يتميز عن المشبه به أصلا ، حتى إن كل ما يترتب على المشبه به من التعجب والنهى عنه يترتب على المشبه أيضا .

ترجمة ابن طباطبا العلوى

وأبو الحسن ابن طباطبا ، اسمه محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، طباطبا ، بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، رضى الله تعالى عنهم ! وهو شاعر مفلق ، وعالم محقق ، مولده بأصبهان ، وبها مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وله عقب كثير بأصبهان فيهم علماء ،

وأُدباء ، ومشاهير . وكان مذكورا بالفطنة والذكاء وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد .

وَله من المصنفات كتاب « عيار الشعر » ، وكتاب « تهذيب الطبع » ، وكتاب « العروض » ، ولم يسبق إلى مثله .

ومن شعره قصيدة تسعة وثلاثون بيتا ، ليس فيها راء وَلا كاف ، أولها [من الكامل] :

يا سيداً دَانتْ له السادَاتُ وتتابعت فى فعله الحسناتُ

يقول منها فى وصف القصيدة :

ميزانها عندَ الخليلِ مُعَدَّلٌ متفاعلنْ متفاعلن فَعِلاَتٌ

لو واصلُ بنُ عطاء البانى لها تُليتْ تُوُهِّم أنها آياتُ

ومن شعره يهجو أبا على الرستمى ويرميه بالدعوة والبرص [من الخفيف] :

أنتَ أعطيتَ من دلائل رُسل الله آيًابها علوتَ الرُّؤسَا

جئتَ فردًا بلاَ أبٍ ، وبيمنا كَ بياضٌ ، فأنتَ عيسى وموسى

أبيات فى معنى إبلاء القمر لثياب الكتان

وما أحسن قول أبى المطاع ناصر الدولة ابن حمدان فى معنى البيت المستشهد به [من البسيط] :

ترَى الثيابَ من الكتان يلمحها نورٌ من البدر أحياناً فيُبْليها

فكيفَ تُنْكر أن تبلَى معاجرُها والبدرُ فى كل وقتٍ طالعٌ فيها

وقال منصور البستى ، المعروف بالغزال ، فيه من قصيدة ، يصف الساقى [من الكامل] :

ومشى بكتانٍ تخلتُ عناكبا نسجت على الياقوت ثوب فَتَام

أعجِبْ ببدرٍ سالمٍ كتانهُ وبه يحرق أنفسَ الأقوامِ

وَمثله قول الآخر [من المديد] :

كيفَ لا تبْلَى غلائلهُ وَهْوَ بَدْرٌ وهيَ كتانُ

* * *

١٠٠ — فان تعافُوا العدلَ والايمانا فانَّ فِي إيمَانِنَا نيرَانَا

شاهد القرينة اللفظية للاستعارة

قائله بعض العرب ، من الرجز .

والشاهد فيه : ذكر القرينة فى الاستعارة ، لأنها مجاز ، ولا بد لها من قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له ، وهى : إما أمر واحد أو أكثر ، وهو هنا قوله « تعافوا » فان تعلقه بكلٍّ من العدل والايمان قرينة دالة على أن المراد بالنيران السيوف : أى سيوفا تلمع كشعل النيران ، لدلالته على أن جواب هذا الشرط تحاربون وتُلْجَئُون إلى الطاعة بالسيوف .

* * *

١٠١ — وصاعقةٍ من نَصْلِهِ تَنْكَفِى بها على أرْؤُسِ الأقران خمسُ سَحَائِبِ

شاهد مجىء القرينة معانى ملتئمة

البيت للبحترى ، من قصيدة[١] من الطويل ، أولها :

هَبِيهِ لِمنهلِّ الدموع السوا كِبِ وهَبَّاتِ شوقٍ فى حَشاه لوَاعِبِ

وإلا فرُدِّى نَظرَةً فيه تَعْجَبِى لمـا فيه أو لاَ تَحفلى بالعجائب[٢]

وهى طويلة ، والرواية فيه « وصاعقة فى كفه » كما فى الديوان[٣] وبعده :

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ - ٧٢)

(٢) فى الديوان « أو لاتحفلى للعجائب »

(٣) فى نسخة الديوان المطبوعة بمصر « وصاعقة من نصله » كما فى نسخ التلخيص

يكادُ الندى منها يفيض على العدَا لدَى الحرب في ثنيَيْ قنا وقوَاضبِ

والصاعقة : الموت ، وكل عذاب مهلك ، وصيحة العذاب ، والمحراق الذى بيد الملك سائقِ السحاب ، ولا يأتى على شىء إلا أحرقه ، أو نار تسقط من السماء ، والانكفاء : الانقلاب ، والأروس : جمع رأس ، والأقران: جمع قرن ، وهو الكفْء.

والشاهد فيه : مجىء القرينة معانى ملتئمة ، مربوطة بعضها ببعض ، يكون الجميع قرينة ، لا كل واحد ، فهنا أراد بخمس سحائب أنامل الممدوح الخمس التى هى فى الجود وعموم العطاء سحائب : أى يَصُبُّهَا على أكفائه فى الحرب فيهلكهم بها ، وأراد بأروس الأقران جمع الكثرة بقرينة المدح ، لأن كلا من صيغة جمع القلة والكثرة يستعار للآخر ، فهنا لما استعار السحائب لأنامل الممدوح ذكر أن هناك صاعقة وبَيَّن أنها من نصل سيفه ، ثم قال «على أروس الأقران» ثم قال « خمس » ، فذكَّر العدد الذى هو عدد الأنامل ، فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الخمس الأنامل.

* * *

شاهد الاستعارة الغريبة

١٠٢ — * وإذا احْتَبَى قَرَبُوسهُ بِعِنَانِهِ *

قائله يزيد بن مَسلمة بن عبد الملك بن مروان ، من قصيدة من الكامل يصف فرسا له بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه وألقى عنانه فى قربوسِ سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه ، وتمامه :

* عَلَكَ الشَّكيمَ إلى انْصِرَافِ الزائِرِ *

والقربوس — بفتح الراء ، ولا تسكن إلا فى ضرورة الشعر — وهو حِنْوُ السَّرْجِ ، وهما قربوسان ، والعنان — بكسر العين — سير اللجام الذى تمسك

به الدابة ، والشكيم ، والشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس فيها الفأس ، وأراد بالزائر نفسه بدليل ما قبله ، وهو :

عَوَّدْتهُ فيما أزُورُ حبَائبى إهْمالَه وكَذَاكَ كلُّ مُخاطِرِ

والشاهد فيه : الاستعارة الخاصة ، وهى : الغريبة ، والغرابة قد تكون فى نفس الشبه كما فى البيت ، فانه شبه هيئة وقوع العنان فى موقعه من قربوس السرج ممتدا إلى جانبى فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبة المحتبى ، ممتدا إلى جانبى ظهره وساقيه بثوب[1] أو غيره كوقوع العنان فى قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة كغرابة المشبه .

أبيات من الاستعارات الغريبة

ومن الاستعارات الغريبة قول طُفَيل الغَنَوى [من الكامل] :

وجَعَلْتُ كُورى فَوقَ نَاجِيةٍ يقْتَاتَ شَحْمَ سنامِها الرَّحْلُ

وكذا قول الأستاذ ابن المعتز [من الرجز] :

حتى إذا ما عَرَفَ الصَّيْدَ انْصَارْ وأَذِنَ الصُّبحُ لنا بالابصارْ

وقول جرير [من الكامل] :

تُحْيِى الرَّوَامِسُ رَبْعَهَا فَتُجِدُّهُ بعدَ البِلَى وتُمِيتُهُ الأمطارُ

وقول أبى نواس [من السريع] :

بِصَحْنِ خَدٍّ لم يَغِضْ مَاؤُهُ ولم تَخُضْهُ أعينُ الناسِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله بثوب إلى قوله السرج ثابت فى جميع النسخ ، وهو زائد بلا فائدة ، فلعل الصواب إسقاطه » اه

فإذا بدا اقتادت محاسنُهُ قسراً إليه أعينةَ الحدقِ

* *

١٠٣ — * وسالَتْ بأعناقِ المطىِّ الأباطِحُ *

شاهد التصرف فى الاستعارة العامية حتى تصير غريبة

قائله كُثَير عزة، من قصيدة من الطويل ، وصدره :

* أخَذْنا بأطْرافِ الأحاديثِ بيننَا *

وقبله [١] :

ولما قضَيْنَا من مِنىً كل حاجةٍ ومسَّحَ بالأركانِ مَنْ هوَ ماسحُ

وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهَارى رحالُنَا ولم يَنْظُرِ الغَادِى الذى هو رائحُ

وقيل : الأبيات لابن الطثرية . وذكر الشريف الرضى فى كتابه « غرر الفرائد » قال : أنشدنى ابن الأعرابى للمضرب [٢] ، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبى سلمى رحمهم الله تعالى :

وما زلْتُ أرجو نَفْعَ سَلْمى ووُدَّها وتبعُدُ حتى ابْيَضَّ منى المسائحُ

وحتى رأيْتُ الشَّخْصَ يَزْدَادُ مِثْلُهُ إليهِ وحتى نصفُ رأسى واضحُ

---

(١) أنشد ثلاثة الأبيات أبو هلال العسكرى فى الصناعتين (٤٢ الآستانة) وابن قتيبة فى الشعر والشعراء (٨ أوربا) والشيخ عبد القاهر الجرجانى فى أسرار البلاغة (١٦ طبعة ثالثة) وروى أولها وثالثها أبو على القالى فى ذيل الأمالى (١٦٦) وأبو الفتح ابن جنى فى الخصائص (١ ــ ٢٢٥) وروى ثلاثة الأبيات فى ضمن ثمانية أبيات الشريف المرتضى فى أماليه (٢ ــ ١١٠) وهى الأبيات التى رواها المؤلف فيما بعد، بنفس ترتيبها هنا . ونسبها إلى المضرب عقبة بن كعب ابن زهير بن أبى سلمى المزنى ، وأسند روايتها إلى ابن الأعرابى كما هو فى كلام المؤلف

(٢) فى الأصل «للمضرى» ونحسبه محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى أمالى الشريف المرتضى الذى نقل عنه المؤلف

علَا حاجِبَيَّ الشيبُ حتى كأنَّهُ ... ظِباءٌ جرَتْ منها سَنِيحٌ وبارحُ
وهِزَّةَ أظعَانٍ علَيهِنَّ بهجةٌ ... طَلَبتُ ورَيْعانُ الصبَّا بى جامحُ
فلما قضينـا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطى الأباطحُ
وشُدَّت على حدب المهارى رحالها ... ولم ينظر الغادى الذى هو رائحُ
فَقُلْنا على الخوصِ المراسيل وارْتَمتْ ... بِهِنَّ الصَّحارى والصِّفَاحُ الصَّحَاصِحُ(١)

والأباطح : جمع أبطح ، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

والمعنى : لما فرغنا من أداء مناسك الحج ، ومسحنا أركان البيت الشريف عند طواف الوداع ، وشددنا الرحال على المطايا ، وارتحلنا ولم ينظر السائرون فى الغداة السائرين فى الرواح للاستعجال ، أخذنا فى الأحاديث وأخذت المطايا فى سرعة السير .

والشاهد فيه : حصول الغرابة فى الاستعارة العامية بتصرف فيها ، فانه استعار سيلان السيول الواقعة فى الأباطح لسير الابل سيراً عنيفاً حثيثا فى غاية السرعة المشتملة على لين وسلاسة ، والشبه فيها ظاهر عامى ، لكنه تصرف فيه بما أفاد اللطف والغرابة حين أسند الفعل ـ وهو سالت ـ إلى الأباطح ، دون المطىّ أو أعناقها ، حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الابل ، وأدخل الأعناق فى السير لأن السرعة والبطء فى سير الابل يظهران غالبا فى الأعنـاق ، ويتبين أمرهما فى الهوادى، وسائر الأجزاء يستند إليها فى الحركة ويتبعها فى الثقل والخفة .

ومثل هذه الاستعارة فى الحسن وعلوّ الطبقة فى هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز رحمه الله تعالى حيث يقول [من البسيط] :

سَالَتْ عليهِ شِعَابُ الحيِّ حينَ دعا ... أنصارهُ بوُجوهٍ كالدَّنانيرِ

(١) فى الأصل «والسناح الصحاصح» محرفا وما أثبتناه موافق لما في أمالى الشريف المرتضى

أراد أنه مُطَاع فى الحى ، وأنهم يسرعون إلى نصرته كالسيل، وكما أن إدخال الأعناق فى السير أكد كلا من الرقة والغرابة فى الأول أكده هنا تعدية الفعل إلى ضمير الممدوح بعلى لأنه يؤكد مقصوده من كونه مطاعا فى الحى .

ترجمة كثير عزة

وكُثَيِّر عزة[١] هو [كثير بن][٢] عبد الرحمن بن أبى جمعة الأسود بن عامر ابن عويمر ، أبو صخر ، الخزاعى الشاعر المشهور ، أحد عشاق العرب ، و إنما صغروه لأنه كان شديد القصر . حدث الوقاصى[٣] قال : رأيت كثيراً يطوف بالبيت فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فلا تصدقه ، وكان إذا دخل على عبد الملك ابن مروان أو أخيه عبد العزيز رحمهما الله تعالى يقول له : طاطئ رأسك لئلا يصيبه السقف ، وكان يلقب زب الذباب .

وعن أبى عبيدة قال : كان الحزين الكنانى قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين فى كل شهر ، منهم ابن أبى عتيق ، فجاءه لأخذ درهميه على حمار له أعجف ، قال : وكثير مع ابن أبى عتيق ، فأمر ابن أبى عتيق للحزين بدرهمين فقال الحزين لابن أبى عتيق : من هذا الذى معك ؟ قال : أبو صخر كثير بن أبى جمعة ، قال : وكان قصيراً دميما ، فقال له الحزين : أتأذن لى فى أن أهجوه ببيت من الشعر ؟ قال . لعمرى لا آذن لك أن تهجو جليسى ، ولكنى أشترى عرضه منك بدرهمين ، ودعا له بهما ، فأخذهما وقال : لا بد لى من هجائه ببيت ، قال : وأشترى ذلك منك بدرهمين آخرين ، فدعا له بهما ، فأخذهما أيضا ، وقال : ما أنا بتاركه حتى أهجوه ، قال : وأشترى ذلك منك بدرهمين أيضا ، فقال له كثير :

---

(١) تجد لكثير عزة ترجمة فى الأغانى (٨ - ٢٧ و ١١ - ٤٦) وفى الشعر والشعراء (٣١٦) وفى تزيين الأسواق (١ - ٤٧) وفى ابن خلكان (٢-١٨٩) وفى خزانة الأدب للبغدادى (٢ - ٣٧٦)

(٢) زيادة لابد منها ، وهى ثابتة فى جميع المراجع ، وعبد الرحمن اسم أبيه ، واسم جده الأسود ، وأبو جمعة كنية الأسود

(٣) كذا ، ولم أعثر له على تعريف ، ولعله محرف .

ايذن له ، وما عسى أن يقول فى بيت واحد ، قال : فأذن له ابن عتيق ، فقال [من الطويل] :

قَصيرُ القَميصِ فاحِشٌ عندَ بَيْتِهِ يَعَضُّ القُرَادُ باسْتِهِ وهو قائمُ

قال : فوثب إليه كثير ، فلكزه فسقط عن الحمار ، فخلص ابن أبى عتيق بينهما ، وقال لكثير : قبحك الله ! أتأذن له وتسفه عليه ؟ فقال كثير : وأنا ما ظننت أن يبلغ بى فى بيت واحد هذا كله .

وكان كثير يقول بتناسخ الأرواح ، وكان يدخل على عمة له يزورها فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها ، فقال لها يوما : لا والله ما تعرفيننى ولا تكرميننى حق كرامتى ، قالت : بلى والله إنى لأعرفك ، قال : فمن أنا ؟ قالت : فلان ابن فلان وابن فلانة ، وجعلت تمدح أباه وأمه ، فقال : قد علمت أنك لا تعرفيننى ، قالت : فمن أنت ؟ قال : أنا يونس بن متى ، وكان يقرأ [١] (فى أى صورة ماشاء ركبك) وكان يؤمن بالرجعة ، ودخل عليه عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم يعوده فى مرضه الذى مات فيه ، فقال له كثير : أبشر فكأنك بى بعد أربعين ليلة قد طلعتُ عليك على فرس عتيق ، فقال له عبد الله بن حسن رضى الله عنه : مالك ؟ عليك لعنة الله ! فوالله لئن مت لا أشهدك ! ووالله لا أعودك ولا أكلمك أبدا . وكان شيعيا غاليا فى التشيع ، وكان يأتى ولد حسن بن حسن رضى الله عنهم إذا أخذ العطاء فيهب لهم الدراهم ، ويقول : بأبى الأنبياء

(١) عبارة الأغانى أوضح حيث يقول « وكان كثير شيعيا غاليا ، وكان يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقول الله تعالى : (فى أى صورة ما شاء ركبك) ويقول : ألا ترى أنه حوله من صورة فى صورة .

الصغار [1] .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى : إنى لأعرف صالح بنى هاشم من فاسدهم بحب كثير ، مَنْ أحبه منهم فهو فاسد ، ومن أبغضه فهو صالح ، لأنه كان خشبيا يؤمن بالرجعة .

وحدَّث رجل من مُزَينة قال : ضِفْتُ كثيراً ليلةً وبتُّ عنده ، ثم تحدثنا ونمنا ، فلما طلع الفجر تضور ، ثم قمت فتوضأت وصليت وكثير نائم فى لحافه ، فلما طلع قرن الشمس تضور ثم قال : ياجارية اسْجِرى [2] لى ماء ، أى سخِّنى ، قال : فقلت : تباً لك سائر اليوم و بعده ، وركبت راحلتى وتركته .

وكان كثير عاقا لأبيه ، وكان أبوه قد أصابته قرحة فى أصبع من أصابع يديه فقال له كثير : أتدرى لم أصابتك القرحة فى أصبعك ؟ قال : لاأدرى ، قال : مما ترفعها إلى الله فى يمين كاذبة .

وعن طلحة بن عُبيدالله قال : مارأيت أحمق من كثير ، دخلت عليه فى نفر من قريش وكنا كثيراً مانهزأ به وكان يتشيع تشيعا قبيحا ، فقلت له : كيف تجدك يا أباصخر ؟ وهو مريض ، فقال : أجدنى ذاهباً ، فقلت : كلا ، فقال : هل سمعتم الناس يقولون شيئا ؟ قلت : نعم يتحدثون بأنك الدجال ، قال: أما إذ قلت ذاك فانى لأجد فى عينى هذه ضعفا منذ أيام .

---

(١) فى الأصل « ويقول أنانبى الأنبياء الصغار » محرفا عما أثبتناه ،وعبارة الأغانى تؤيد هذا التصحيح ونصها « نظر كثير إلى بنى حسن بن حسن وهم صغار ، فقال : يا بأبى أنتم هؤلاء الأنبياء الصغار » وفى رواية أخرى « كان شيعيا وكان يأتى ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه فيهب لهم الدراهم ويقول : وا ، بأبى الأنبياء الصغار »

(٢) فى الأصل « أنجزى » محرفا وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى، ويؤيده التفسير

وعن عبدالعزيز بن عمر رحمهما الله أن أناسا من أهل المدينة المنورة كانوا يهزأون بكثير فيقولون وهو يسمع : إن كثيرا لايلتفت من تيهه ، فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ، ويمضى فى قميص .

وكان عبدالملك بن مروان معجبا بشعره ، قال له يوماً : كيف ترى شعرى يا أميرالمؤمنين ؟ قال : أراه يسبق السحر ، ويغلب الشعر .

وقال عبد الملك له يوما : مَنْ أشعر الناس يا أبا صخر ؟ قال : مَنْ يروى أمير المؤمنين شعره ، فقال له عبدالملك : إنك لمنهم .

وحدّث كثير قال : ماقلت الشعر حتى قُوّلته ، قيل له : وكيف ذاك ؟ قال : بينا أنا نصفَ النهار أسيرُ على بعيرٍ لى بالغُمَيم ، أو بقاع حمران ، إذ راكب قد دنا إلىّ حتى صار إلى جنبى ، فتأملته فاذا هو من صفر وهو يجر نفسه فى الأرض جرًا ، فقال لى : قل الشعر ، وألقاه على ، قلت : من أنت ؟ قال : قرينك من الجن ، فقلت الشعر .

وكان أول أمره مع عزة التى يتعشقها أنه مر بنسوة من بنى ضمرة ومعه جلب غنم فأرسلن إليه عزة وهى صغيرة فقالت له : يقلن لك النسوة بعنا كبشاً من هذه الغنم وأنسئنا بثمنه إلى أن ترجع ، فأعطاها كبشا ، وأعجبته ، فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه ، فقال : وأين الصبية التى أخذت منى الكبش ؟ قالت : وما تصنع بها ؟ هذه دراهمك ، قال : لا آخذ دراهمى إلا ممن دفعت[1] إليه ، وولى وهو يقول [من الطويل] :

قَضَى كلُّ ذى دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ وعَزَّةُ ممطولٌ مُعَنًّى غَرِيمُهَا

فقلن له : أبيت إلا عزة ، وأبرزنها له وهى كارهة ، ثم إنها أحبته بعد ذلك أشد من حبه لها .

---

(١) عبارة الأغانى « لا آخذ دراهمى إلا ممن دفعت الكبش إليها »

وعن الهيثم بن عدى أن عبدالملك سأل كثيرا عن أعجب خبر له مع عزة فقال : حججت سنة من السنين وحج زوج عزة بها ، ولم يعلم أحدمنا بصاحبه ،فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن يصلح به طعاما لأجل رفقته ، فجعلت تدور الخيام خيمة خيمةً حتى دخلت إلى وهى لاتعلم أنها خيمتى ، وكنت أبرى سهماً لى ، فلما رأيتها جعلت أبرى وأنظر إليها ولا أعلم حتى بريت ذراعى وأنا لا أشعر به ، والدم يجرى ، فلما تبينت ذلك دخلت إلى فأمسكت بيدى ، وجعلت تمسح الدم بثوبها ، وكان عندى نِحْىٌ من سمن ، فحلفت لتأخذُنَّهُ ، فجاءت به إلى زوجها ، فلما رأى الدم سألها عن خبره ، قال : فكاتمته ، حتى حلف عليها لتصدُقنّه ، فلما أخبرته ضربها وحلف لتشتمنى فى وجهى ، فوقفت علىَّ وهو معها ، فقالت لى : يا ابن الزانية ، وهى تبكى ، ثم انصرفا ، فذلك حيث أقول [من الطويل] :

أسيئى بنا أو أحسنى لامَلومةً لدينا ولا مَقْلِيَّةً إن تَقَلَّتِ
هَنيئاً مَرِيئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ لعَزّةَ من أعراضنا ما استحلتِ

ومنه قوله فيها أيضا [من الطويل]:

وددت وحَقِّ الله أنك بكْرَةٌ وأنى هَجانٌ مُصْعَبٌ ثم نَهْرُب
كلانا به عرٌّ فمن يرَنا يقلْ على حُسنِها جرباء تُعْدِى وأجْرَب
نكون لذى مالٍ كثيرٍ مغفَّلٍ فلاَ هوَ يرعانا ولا نحْنُ نُطْلَب
إذا ما وردْنا منْهلاً صاح أهله علينا فما تنفَكُّ نُرْمَى و نُضْرَبُ

يحكى أن عزة لما بلغها ذلك وحضر إليها أنشدته الأبيات وقالت له: ويحك! لقد أردت بى الشقاء ، أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ، فخرج من عندها خجلا

وأسوأ من هذه الأمنية أمنية الفزارى(١) حيث قال [من البسيط] :

(١) فى هامش مطبوعة بولاق ـ تعليقا على هذه الكلمة ـ ما نصه . قوله الفزارى كذا فى نسخة وفى أخرى العذرى

من حبها أتمنى أنْ يُلاقِيني من نَحْو بلدتها ناعٍ فينعاها
كيما أقول فراقٌ لا لقاء له وتضمرَ النفسُ يأساً ثم تسلاها

ولـكنه استدرك بعد ذلك فقال :

ولو تموتُ وراعتنى لقلت لها : يا بؤس للموت ليت الدهر أبقاها

وقال الآخر [من الطويل] :

تمنيت من حبى بثينــةَ أننا وُئِدْنا جميعا ثم تحيا ولا أحيا
فترجع دنياها عليها وإننى بساعة ضمّتها رضيتُ من الدنيا

وكل امرىء أمانيه تليق بمعاليه ، قيل للامام أحمد بن حنبل رحمة الله تعالى عليه : ما تتمنى؟ قال: سندا عاليا و بيتا خاليا ، وقيل لبعض الوراقين : ما تتمنى؟ قال : قلما مشاقا ، وحبرا برّاقا ، وجلودا وأوراقا ، وقيل لبعض الصوفية : ماتتمنى؟ قال : دقنا[1] ودلقا ، ولا أريد رزقا ، وقال بعضهم [من مخلع البسيط] :

أبيات في أنواع من الأمانى

لوْ قالَ لى خالِقى تمنى قلْتُ لهُ سائِلاً بصِدْق
أُريدُ فى صُبحِ كلَّ يومٍ فُتُوحَ خبزٍ يأتى برزْقِ
كف حشيش ورِطل لحم ومَنّ خبز ونيكَ عِلق

وقول الآخر [من البسيط] :

لوْ قيلَ ما تتَمَنَّى قلتُ فى عجَل أخاً صدُوقا أميناً غيرَ خوّان
إذا فعَلت جميلاً ظل يشكرنى وَإن أسأتُ تلَقانى بغفران

وما أحسن قول ابن سارة فى الأمانى [من الطويل] :

أمانِىَّ منْ ليلى حِسان كأنما سقَتنى بها ليلى على ظمإٍ بردا

---

(١) كـتب مصحح مطبوعة بولاق مانصه : قوله دقنا كـذا في النسخ ولعله دفئا

مُنًى إن تكن حقًّا تكن أحسنَ المنى ... وإلا فقدْ عِشْنا بها زمناً رَغْدَا

وبديع قول الوزير مؤيد الدين الطغرائى رحمه الله تعالى [من البسيط] :

أُعلِّلُ النفسَ بالآمال أرقُبها ... ما أضيقَ العَيْشَ لولا فُسْحَةُ الأمل

وقد أخذه العماد الكاتب فقال [من الطويل] :

وما هٰذهِ الأيام إلاّ صحائفٌ ... نؤرِّخُ فيها ثم تُمحَى وتُمحق

ولم أرَ عيشاً مِثلَ دائرةِ المنى ... توسِّعُها الآمالُ والعيش ضَيِّقُ

وقال العفيف إسحاق بن خليل كاتب الانشاء للناصر داود [من البسيط] :

لولا مواعيدُ آمالٍ أعيشُ بها ... لَمُتُّ يا أهلَ هذا الحىِّ من زَمَنِ

وإنما طِرْفُ آمالى به مرحٌ ... يَجْرِى بوعدِ الأمانى مطلقَ الرسنِ

وقال آخر [من الخفيف] :

فى المنى راحةٌ وإن عللتنا ... مِنْ هَوَاها ببعض مالا يكونُ

وقال أبو الوليد بن زيدون أيضاً [من الكامل] :

أمَّا مُنَى قلبى فأنتِ جميعُهُ ... يا ليتنى أصبحتُ بعضَ مُناكِ

يُدْنى مزاركِ حين شطَّ به النوى ... وهْمٌ أكادُ به أقبلُ فاكِ

ومن هنا أخذ الحاجرى قوله [من الطويل]

يمثِّلُكَ الشوقُ الشديدُ لناظرى ... فأطرقُ إجلالا كأنك حاضر

وقال ابن رزين من شعراء الذخيرة [من مجزوء الكامل] :

لأُسَرِّحَنَّ نواظرى ... فى ذلك الروضِ النضير

ولآكلنَّكَ بالمنى ... ولأشرَبَنَّكَ بالضمير

وقال علم الدين أيدمر المحيوى [من مجزوء الخفيف] :

كم لَدَيْنا أمانياً ... قد حَوَتْ محكم العملْ

فارغاتٍ من الدُّنا ... نيرِ مَلأى من الأمل

وهو عكس قول الآخر [من الطويل] :

وإنَّ رجاء كامناً فى نواله لكالمال فى الأكياس تحت الخواتم

وقال أبو الحسين الجزار [من الخفيف] :

ليتَ شِعرى ما العذرُ لولا قضاء الله فى رزقِهِ وفى حرمانى

ولقد كدت أن أهيمَ بحمل الهم لولا تعلُّلى بالأمانى

وله أيضا [من الكامل] :

حَسْبُ الفتى حسن الأمانى إنه لا يعتريه مدى الزمان زوال

وقال أبو البركات محمد بن الحسن الحاتمى [من الخفيف) :

لى حبيبٌ لو قيل ما تتمنى ما تعدَّيْتُه ولو بالمنونِ

أشتهى أن أحلَّ فى كل طَرْفٍ فأراه بِلحظ كُلُّ العيونِ

وقال غيره [من الوافر] :

أُعلل بالمنى قلبى لأنى أُفرجُ بالأمانى الهمَّ عنى

وأعلم أن وصلك لا يرجَّى ولكن لا أقل من التمنى

وقال الآخر وهو أصرح مما قبله [من الوافر] :

إذا ما عنَّ ذكرك فى ضميرى وقابلنى محيَّاكَ الجميلُ

أصير لفرطِ أشواقى أيوراً لِعلمى أنَّ نيككَ مستحيل

وهو يشبه قول الصفى الحلى أيضا [من الوافر] :

إذا صدَّ الحبيب لغير ذنبٍ وقاطعنى وأعرض عن وصالى

أمثله وأنكسح عند صلحى بأيْرِ الفكر فى ثُقْب الخيال

وقد سد ابن المعتز باب المنى بقوله [من البسيط] :

لا تأسفنَّ من الدنيا على أمل فليس باقيه إلا مثل ماضيه

وتابعه الخالدى فقال [من السريع] :

ولا تكن عبد المنى فالمنى رءوس أموال المفاليس

وقال الآخر [من السريع] :

من نال من دنياه أمنيَّةً أسقطت الأيامُ منها الألِفْ

وقال شرف الدين القيرواني أيضا [من الكامل] :

غلف تمنوا في البيوت أمانياً وجميعُ أعمارِ اللئامِ أماني

وقال الآخر [من الوافر] :

ألا يا نفسُ إن تَرْضَى بقوتٍ فأنت عزيزة أبداً غنيَّهْ

دعى عنك المطامع والأماني فكم أمنيةٍ جلبت مَنِيَّهْ

وقال أبو الحسين الجزار [من الخفيف] :

أنا في راحةٍ من الآمال أينَ من همتى بلوغُ المعالى

لىَ عجز أراح قلبى من الهم ومن طول فكرتى في المحال

ما لباسُ الحرير مما أرجّيه فيُرْجَى ولا ركوبُ البغال

راحة السر فى التخلف عن كل محلٍّ أضحى بعيدَ المنالِ

وقال بعضهم [من الطويل] :

وأكثر ما تلقى الأماني كواذبا فإن صدقت جازت بصاحبها القدرا

وقال آخر [من الطويل] :

ولى من تمنِّي النفس دُنْيَا عريضةٌ ومستفتِحٌ يغدو علىَّ ويَطْرُقُ

فقدت المنى إلا النفسُ تلهو عن المنى لتجربةٍ منها ولا هى تصدُقُ

وقال الصلاح الصفدى [من الطويل] :

ألا فاطرِح عنك التمنى ولا تَبِتْ بكاساته نَشْوَان غير مُفيقِ

فانْ كان مما لا غِنَى عنه فليكن وفاةَ عدوٍّ أو حياةَ صديقِ

وقد أكثرنا فى طول الأمل وضده فلنرجع إلى أخبار كثير عزة

عود إلى أخبار كثير عزة

يحكى أنه خرج فى الحج بجمل يبيعه، فمر بسكينة بنت الحسين رضى الله عنهما، ومعها عزة وهو لا يعرفها، فقالت لها سكينة: هذا كثير سُومِيه بالجمل، فسامته، فاستام بمائتى درهم، فقالت: ضع عنا كذا وكذا، لشىء قليل، فأبى، فدعت له بتمر وزبد فأكل، فقالت له: ضع عنا كذا وكذا، لشىء قليل، فأبى أيضا، فقالتا له: قد أكلت بأكثر مما نسألك، فقال: ما أنا بواضع شيئا، فقالت سكينة: اكشفوا، فكشفوا عنها وعن عزة، فلما رآها استحيا وانصرف وهو يقول: هو لكم، هو لكم

وحدث محمد بن سلام قال: كان كثير يتقول، ولم يكن عاشقا، وكان جميل صادق الصبابة والعشق، وقال أبو عبيدة: كان جميل يصدق فى حبه، وكان كثير يكذب فى حبه

ويروى أنه نظر ذات يوم إلى عزة وهى تَمِيسُ فى مشيتها، فلم يعرفها، فاتبعها وقال لها: يا سيدتى، قفى لى أكلمك فإنى لم أر مثلك قط، فمن أنت؟ قالت: ويحك! وهل تركت عزة فيك بقيةً لأحد؟ فقال: بأبى أنت! لو أن عزة أمة لوهبتها لك، قالت: فهل لك فى المخالة؟ قال: وكيف لى بذلك؟ قالت: وكيف بما قلته فى عزة؟ قال: أقلبه كله وأُحوله إليك، فكشفت عن وجهها وقالت: أغدراً يا فاسق، وإنك لهكذا؟ فأبلس ولم ينطق وبهت، فلما مضت أنشأ يقول [من الطويل]:

ألا ليتنى قبل الذى قلتُ شِيبَ لى — من السم جرعاتٌ بماء الذَّرارحِ
فمتُّ ولم تعلم علىَّ خيانةً — وكم طالب للربح ليس برابحِ
أبوء بذنبى إننى قد ظلمتُها — وإنى بباقى سِرِّها غير بائحِ

وكان كثير بمصر وعزة بالمدينة المنورة، فاشتاق إليها فسافر ليلقاها، فصادفها فى الطريق وهى متوجهة إلى مصر، فجرى بينهما كلام طويل الشرح، ثم إنهما

انفصلت عنه وقدمت مصر ، ثم عاد كثير إلى مصر فوافاها توفيت والناس منصرفون عن جنازتها ، فأتى قبرها وأناخ راحلته ومكث ساعة ثم رحل وهو يقول أبياتا منها قوله [من الطويل] :

أقولُ ونِضْوى واقف عند قبرها عليك سلام الله والعينُ تسفحُ
وقد كنت أبكى من فراقك حيةً فأنتِ لعمرى الآن أنأى وأنزحُ

وقال له عبد الملك بن مروان يوما : بحق على بن أبى طالب هل رأيت أحداً أعشق منك ؟ قال : ياأمير المؤمنين ، لو أنشدتنى(1) بحقك لأخبرتك ، بينا أنا أسير فى بعض الفلوات إذ أنا برجل قد نصب حِباله ، فقلت له : ما حبسك هاهنا ؟ فقال : أهلكنى وأهلى الجوعُ فنصبت حِبالتى هنا لأصيب لهم شيئا يكفينا ويعصمنا يومنا هذا ، قلت : أرأيت إن أقمت معك فأصبت صيدا تجعل لى جزءا منه ؟ قال : نعم ، فبينا نحن كذلك وقعت ظبية فى الحِبالة فخرجنا نبتدر فبدرنى إليها فحلها وأطلقها ، فقلت : ما حملك على هذا ؟ قال : دخلتنى لها رقة لشبهها بليلى وأنشأ يقول [من الطويل] :

أيا شِبه ليلى لا تُرَاعِى فإننى لكِ اليوم من وحشيَّةٍ لصديقُ
أقولُ وقد أطلقتُها من وِثاقِها فأنت لليلىَ ما حييت طليقُ

وحدث عبد الرحمن بن عبد الله الزهرى قال : بكى بعض آل كثير عليه حين نزل به الموت ، فقال له كثير : لا تبك فكأنى بك بعد أربعين يوماً تسمع خشفة نعلى من تلك الشعبة راجعا إليكم

وحدث يزيد بن عروة رحمهم الله تعالى قال : مات كثير وعكرمة رحمه الله تعالى فى يوم واحد ، فقيل : مات اليوم أعلم الناس وأشعر الناس ، ولم تتخلف امرأة ولا رجل عن جنازتيهما ، وغلب النساء على جنازة كثير يبكينه ويذكرن عزة فى ندبهن ، فقال أبو جعفر محمد بن على : افرجوا لى عن جنازة كثير لأرفعها

(١) كذا والمحفوظ أن هذا الفعل ثلاثى ، فالهمزة أوله لا محل لها

قال : فجعلنا ندفع عنها النساء ، وجعل محمد بن على رضى الله عنهما يضربهن بكمه ويقول : تَنَحَّيْنَ يا صويحبات يوسف ، فانتدبت له امرأة منهن فقالت : يا ابن رسول الله لقد صدقت ، إننا لصويحباته ، وقد كنا خيراً منكم له ، فقال أبو جعفر لبعض مواليه : احتفظ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفنا ، فلما انصرف أتى بتلك المرأة كأنها شرر النار ، فقال لها : إيه أنت القائلة : إنكن لِيوسفَ خيرٌ منا ؟ قالت: نعم ، تؤمننى غضبك يا ابن رسول الله ، قال: أنت آمنة من غضبي فأبينى ، قالت : نحن يا ابن رسول الله دعوناه إلى اللذات من المطعم والمشرب والمتمتع والمتنعم ، وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه فى الجب و بعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه فى السجن ، فأينا كان عليه أحن و به أرأف ؟ فقال لها محمد : لله درك لن تغالَبَ امرأة إلا غلبت ، ثم قال : ألك بعل ؟ فقالت: لى من الرجال مَنْ أنا بعله ، فقال لها: ما أصدقك مثلك من تملك زوجها ولا يملكها ، فلما انصرفت قال رجل من القوم : هذه ربيبة فلانة بنت معيقب الأنصارية

وكانت وفاة كثير سنة خمس ومائة ، فى ولاية يزيد بن عبد الملك ، رحمهم الله تعالى !

* * *

مدار الاستعارة التبعية على المفعول

١٠٤ — * قَتَلَ البُخْلَ وأحيا السَّماحا *

هو لابن المعتز، من قصيدته السابقة فى التشبيه (١) وصدره :

* جُمِعَ الحقُّ لنا فِى إمامٍ *

و بعده قوله :

إن عفا لم يُلْغِ لله حقاً ... أو سطا لم يخش منه جناحا

---

(١) ارجع إلى شرح الشاهد رقم(٧٩ فى ص ٣٤ من هذا الجزء) .

ألف الهيجاء طفلا وكهلاً يحسبُ السيفَ عليه وشاحا

والشاهد فيه: مدار قرينة الاستعارة التبعية على المفعول فان القتل والإحياء الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل والجود

***

١٠٥ — نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٍ

مدار التبعية على المفعول

قائله القطامى ، ولفظه :

نقريهمُ لهذميات نَقُدُّ بهَا ما كانَ خاطَ عليهم كلُّ زرّادِ

وهو من قصيدة (١) من البسيط يمدح بها زفر بن الحارث الكلابى أولها :

ما اعتادَ حبُّ سُليمَى غيرَ مُعتادِ ولا تَقَضَّى بوافى دينها الطَّادِى (٢)

بيضاء محطُوطَةُ المتنَينِ بِهْكَنَةٌ ريَّا الرَّوادِفِ لم تُمغِلْ بأولادِ (٣)

ما للكواعِبِ ودَّعنَ الحياةَ كما ودَّعنَنِى واتَّخذنَ الشَّيبَ ميعادِى

أبصارُهُنَّ إلى الشبانِ مائلةٌ وقد أراهُنَّ عنى غيرَ صُدَّادِ

إذ باطِلِى لم تَقَشَّعْ جاهِلِيَّتُهُ عنى ولم يترُكِ الخُلاَّنُ تَقوادِى

كَنِيَّةِ الحىِّ مِن ذى اليَقْظَةِ احتملوا مُستَحقِبينَ فؤاداً ما له فادى (٤)

---

(١) اقرأها فى ديوان القطامى (٧ أوربا)

(٢) فى الديوان « حين معتاد » وفى الأصل * ولا تقضى بوافى دينها الصادى * محرفا ، وما أثبتنـاه موافق لما فى الديوان . والطادى : الثابت القديم .

(٣) فى الأصل « مخطوطة » محرفا . ومحطوطة المتنين : لطيفتهما . ولم تمغل : من قولهم « أمغلت الشاة » إذا ولدت فى السنة مرتين .

(٤) فى نسخة من الديوان « من ذى الغضبة » وفى نسخة أخرى كما هنا وثمة روايات أخرى ، وفى الديوان « مستحقبين أسيرا » وعنى به فؤاده

بانوا وكانت حياتى فى اجتماعهم ... وفى تفرقهم قتلى وإقصادى
يقتلننا بحديث ليس يعلمه ... من يتقين ولا مكنونه بادى [١]
فهن ينبذن من قول يصبن به ... مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وهى طويلة .

واللهذم : القاطع من الأسنة ، وأراد بلهذميات طعنات منسوبة إلى الأسنة القاطعة ، أو أراد نفس الأسنة ، والتشبيه للمبالغة ، والقد : القطع ، والزراد : صانع الدروع

والشاهد فيه : أن مدار قرينة الاستعارة التبعية فى الفعل وما يشتق منه على الفاعل أو المفعول كما هنا ، فان المفعول الثانى — وهو اللهذميات — قرينة على أن « نقريهم » استعارة .

وقد تقدم ذكر القطامى [٢] فى شواهد القلب ، والله أعلم .

***

١٠٦ — * غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا *

شاهد الاستعارة المجردة

هو من الكامل ، وتمامه:

* غلقت لضحكته رقاب المال *

وهو من قصيدة لكثير عزة ، وأراد بغمر الرداء كثير العطاء

والشاهد فيه : الاستعارة المجردة ، وهى ما قرنت بملائم المستعار له ، فانه استعار الرداء للعطاء ، لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه، ثم وصفه بالغمر الذى يلائم العطاء دون الرداء تجريدا للاستعارة ، والقرينة سياق

---

(١) فى نسخة من الديوان و « لا مكتومه بادى » .

(٢) ارجع إلى ترجمة القطامى فى شرح الشاهد (رقم ٣٢ فى ج ١ ص ٧٩١ من هذه المطبوعة) .

الكلام ، وهو قوله « إذا تبسم ضاحكاً » أى شارعاً فى الضحك آخذا فيه ، غلقت لضحكته رقاب المال ، يقال « غلق الرهن فى يد المرتهن » إذا لم يقدر على انفكاكه ، وهو يريد فى البيت أن ممدوحه إذا تبسم غلقت رقابُ أمواله فى أيدى السائلين

ومن استعارة الرداء قوله [من الوافر] :

يُنَازعنى ردائى عَبْدُ عمرٍو رُوَيدَكَ يا أخا عمرِو بن بكرِ
لِىَ الشطرُ الذى مَلَكت يمينى فَدُونك فاعتجر منه بشَطْرِ

فانه استعار الرداء للسيف ، وأثبت له الاعتجار وهو من صفة الرداء .

وما أحسن استعارة الرداء فى قول أبى الوليد بن الجنان الشاطبى وهو [من مجزوء الرمل] :

فَوقَ خدِّ الوَرْدِ دَمْعٌ من عيونِ السُّحْبِ يَذْرِفْ
برداء الشمس أضْحَى بعدَ ما سالَ يُجَفَّفْ

وفى معنى عجز البيت قول امرىء القيس [من الطويل] :

غلقن برَهْنٍ من حَبيبٍ به ادَّعَتْ سُليمى فأضْحَى حَبلُها قد تبترا

وقول زهير [من البسيط] :

وفارَقَتكَ برَهنٍ لا فكاكَ له يومَ الوداعِ فأمْسَى الرهنُ قد غَلِقَا

وقول الوليد [من الطويل] :

* ومن يَكُ رهناً للحوادثِ يَغْلَقِ *

وقول عمر بن أبى ربيعة [من الطويل] :

وكم من قتيلٍ لا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ ومن غلِقٍ رهن إذا ضمه مِنى[1]

وقول أبى جعفر بن مسلمة بن وضاح يخاطب ساجع حمام من أبيات [من السريع] :

وهاجَ مبْكاك بِبُسْتان إبــراهيمَ للنَّجدِىِّ ذِكْرُ القَطِنْ

(١) كذا ، ولم اجده فى ديوان عمر

فرج فَساعِدْنى على لوْعتى فانَّ رهنى غَلِقٌ فى الرهونْ

وقول أبى نصر الساجى [من الرجز] :

تشكو إليك جُمْلتى ما نالها فيالهَا إن صبَرَتْ ويالهَا

لأنها مرْهونةٌ بحُبكم طوبَى لها إن غلِقَتْ طوبَى لها

وما ألطف قول الصلاح الصفدى مع زيادة إيهام وإيهام الطباق [من المجتث] :

سهامُ لحظِكِ أصْمَتْ قَلْبي ولم تتَرفَّقْ

ماتَفتحُ الجفن إلاَّ ورهن قلبى يغلق

* * *

لدى أسدٍ شاكى السِّلاحِ مُقَذَّفٍ له لبد أظفارُهُ لم تُقَلَّم

شاهد اجتماع التجريد والترشيح

تقدم قريباً [١] أن قائله زهير بن أبى سلمى ، من قصيدة من الطويل

واللبد ـ بالكسر [٢] شَعْر زبرة الأسد ، وكنيته أبو لبد ، والتقليم : مبالغة القلم وهو قطع الأظفار

والشاهد فيه : اجتماع التجريد والترشيح فى الاستعارة ، فالتجريد قد عرف قبله ، والترشيح هو : ماقرن بملائم المستعار منه ، فقوله هنا « لدى أسد شاكى السلاح » تجريد ، لأنه وصف يلائم المستعار له وهو الرجل الشجاع ، وباقى البيت ترشيح لأنه وصف يلائم المستعار منه ، وهو الأسد الحقيقى

ومعنى البيت أخذه زهير من قول أوس بن حجر [١] حيث قال [من الطويل]

---

(١) هو الشاهد رقم (٩٧) الذى مضى شرحه فى (ص١١٢من هذا الجزء)

(٢) يريد بكسر أوله ، وأما ثانيه فمفتوح .

(٣) انظر حديث هذا الأخذ عن الأصمعي فى الشعر والشعراء (١٠١ أوربا)

لَعَمْرُكَ إنَّا والأحاليفَ هؤلاَ لفى حِقْبَةٍ أظفارها لم تُقَلَّم (١)

أى : نحن فى حرب ، وكذلك أخذه النابغة حيث قال أيضا [من الكامل]:

وبنو قُعَيْنٍ لا محالة إنهم آتوكَ غيرَ مقلَّمى الأظفارِ

***

مبنى الترشيح على تناسى التشبيه

١٠٧- ويَصْعَدُ حتى يَظُنَّ الجهُولُ بأنَّ له حاجَةً فى السماء

البيت لأبى تمام الطائى ، من قصيدة (٢) من المتقارب يرثى بها خالد بن يزيد الشيبانى ويذكر أباه ، وأولها :

نَعاءِ إلى كلِّ حَيٍّ نعاء فتى العَرَب اخْتَطَّ رَبْعَ الفناء

أُصِبْنا جميعاً بسهمِ النِّضال فهلا أُصبنا بسهم الغِلاَء (٣)

ألا أيها الموْتُ فجّعْتَنَا بماءِ الحياةِ وماءِ الحيَاء

فماذا حبوتَ به حاضراً وماذا خبأتَ لأهلِ الخِباء (٤)

نعاء نعاء شقيقَ النَّدى إليه نعيًا قليلَ الجَدَاء

وكانا زَماناً شريكىْ عِنان رَضيعىْ لِبانٍ خليلىْ صفاء (٥)

إلى أن قال يخاطب ولده :

---

(١) فى الأصل « لفى جعبة » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الشعراء .

(٢) اقرأها فى ديوان أبى تمام (٣٤٧ بيروت) وقد أثبتت هذه الأبيات المروية هنا وكأنها مبنية على الألف اللينة ، بدون همزة فى رويها وهو خطأ

(٣) فى الأصل « بسهم النصال » وفيه « بسهم العلاء » وكلاهما تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، والغلاء : مجاوزة الحد .

(٤) فى الأصل « وماذا حضرت به حاضرا »

(٥) فى الديوان « وكانا جميعا ».

أبا جعفر ليعرك الزما ن عزاً ويكسك طول البقاء (١)
فما مزنك المرتجى بالجهام ولا ريحنا منك بالجربياء (٢)
فلا رجعت فيك تلك الظنون حيارى ولا انشعب الرجاء
وقد نكس الثغر فابعث له صدور القنا فى ابتغاء الشفاء
فقد مات جدك جد الملوك ونجم أبيك حديث الضياء
ولم يرض قبضته للحسام ولا حمل عاتقه للواء
فما زال يقرع تلك العلا مع النجم مرتديا بالعماء (٣)

وبعده البيت ، وهى قصيدة طويلة ، وهذا البيت فى مدح أبيه وذكر علوه

والشاهد فيه : أن مبنى الترشيح على تناسى التشبيه ، حتى إن المرشح يبنى على علو القدر الذى يستعار له علو المكان ماينبى على علو المكان والارتقاء إلى السماء ، فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصر على إنكاره فيجعله صاعدا فى السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه

ومثله قول بشار [من مجزوء الوافر] :

أتتنى الشمس زائرة ولم تك تبرح الفلكا

وقول ابن الرومى يمدح به بنى نوبخت [من المنسرح] :

شافهتم البدر بالسؤال عن الـ أمر إلى أن بلغتم زحلا

وقول أبى الطيب المتنبى أيضاً [من الكامل] :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

---

(١) فى الديوان « ليعرك الزمان * عزاء ».
(٢) المزن : السحاب ، والجهام : الذى لا ماء فيه ، والجربياء : ريح الشمال
(٣) العماء : السحاب المرتفع .

وقول الآخر [من الطويل] :

ولم أرَ قبلى مَنْ مشى البدرُ نحوهُ ولا رَجلاً قامتْ تعانقهُ الأسْدُ

وقد اتفق علماء البديع على تقديم الاستعارة المرشَّحة على غيرها فى هذا الباب ، وأنه ليس فوق رتبتها رتبة ، ولنذكر نبذة منها ومن غيرها ، فمن محاسن ماورد فيها قول أبى جعفر الشقرىّ [من السريع] :

ياهلْ ترى أظرفَ منْ يوْمنا قلدَ جيدَ الأفقِ طوْقَ العقيقْ

وأنقَ الورق بِعيدانِهِ مُرْقصةً كل قضيبٍ وَريقْ

والشمس لاتشربُ خمرَ الندَى فى الروض إلا بكؤوس الشقيقْ

ومثله فى الرشاقة قول ابن رشيق [من السريع] :

باكِرْ إلى اللذات واركبْ لها سوَابقَ اللهوِ ذواتِ المزَاحْ

من قبلِ أن ترشفَ شمسُ الضحى رِيقَ الغوَادى من ثغور الأقاحْ

ولطيفٌ قولُ بعضهم أيضاً [من السريع] :

شَرَابُنَا الرِيقُ وكاساتُنا شفاهُنا والقُبَلُ النُّقْلُ

ويقرُب من البيت الأول ، من قول ابن رشيق ، قولُ ابن المعتزّ ، [من الوافر] :

وقدْ رَكضتْ بنا خيلُ الملاهى وقد طِرْنا بأجنحةِ السُرُورِ

وبديعٌ أيضاً قول ابن وكيع [من الرمل] :

غرّدَ الطيرُ فنبِّهْ من نعسْ وأدرْ كأسكَ فالعيشُ خلسْ

سُلّ سيفُ الفجرمن غِمْدِ الدجى وتعرّى الصبحُ من ثوبِ الغلَسْ

وانجلى عنْ حلَلٍ فضيّةٍ نالها من ظلَمِ الليلِ دنسْ

وقول أبى نُوَاس [من السريع] :

بصحن خدّ لم يغض ماؤه ولم تخضْهُ أعين الناس

وقوله أيضاً [من الكامل] :

فإذا بدا اقتادت محاسنه قسراً إليه أعنة الحدق

وقوله أيضاً ، وهو عجيب هنا [من البسيط] :

مازلت أستل روح الزق فى لطف وأستقى دمه من جفن مجروح
حتى انثنيت ولى روحان فى جسدى والزق منطرح جسم بلا روح

وقول البدر الذهبى ، وأجاد [من مخلع البسيط] :

ما نظرت مقلتى عجيباً كاللوز لما بدا نواره
اشتعل الرأس منه شيباً واخضر من بعد ذا عذاره

وقول ابن خفاجة الأندلسى [من الطويل] :

وقد جال من حول الغمامة أدهم له البرق سوط والشمال عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة عليه من الطل السقيط جمان
ونمت بأسرار الرياض خميلة لها النور ثغر والنسيم لسان

وقول ابن قرناص [من الخفيف] :

قد أتينا الرياض حين تجلت وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما سقطت من أنامل الأغصان

و بديع أيضاً قول ابن نباتة السعدى [من الطويل] :

خرقنا بأطراف القنا لظهورهم عيوناً لها وقع السيوف حواجب
لقوا نبلنا مرد العوارض وانثنوا لأوجههم منها لحى وشوارب

وقول الشريف أبى الحسن العقيلى [من المتقارب] :

وفـرتق تيجانَ نَوْارِهِ فلم ينس مَن غُصُنٍ مفرِقَا

وَقوله أيضاً [من الوافر] :

إذا أبدَى مُؤامرَةَ التجنى أقمتُ لهُ وُجوه الاحتمالِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

خَلَصْ بجاه الوصلِ قلبَ متيّمٍ غمزَ الصدُودُ عليهِ أعوانَ الضنَى

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

كلما لاحَ وَجهُهُ بمكانٍ كثرت زحمةُ العيون عليهِ

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

فلما تبدّى لنا وجههُ نَهبْنَا محاسنهُ بالعيُون

وقول السرى الرفاء فى يوم بارد من أبيات [من مجزوء الكامل] :

متلون يبـدى لنـا طرفاً بأطراف النهارِ

فهواه مُنكسبُ الرّدا ء وغيمهُ جافى الإزارِ

يبكى فيجمدُ دمعهُ والبرقُ يكحله بنارِ

وقول أبى القاسم الدينورى [من مجزوء الرمل] :

من عذيرى من بديع الـ حسنِ ذِى قدٍّ رشيقِ

أنبتَتْ فى فمـهِ اللـؤ لؤَ أرضٌ من عقيقِ

وما ألطف قول أبى زكرياء المغربى من قصيدة أولها [من الرمل] :

نامَ طفلُ النبتِ فى حجرِ النعامى لاهتزاز الطلِّ فى مهدِ الخُزامَى

يقول فيها :

كحلَ الفجرُ لهم جفنَ الدّجى وغدَا فى وجنة الصبح لثامَا

تحسبُ البـدرَ مُحَيّاً ثَمِلٍ قد سقتهُ راحـةُ الفجرِ مدامَا

وقول السلامى ، وهو بديع [من البسيط] :

والكأس للسُّكْرِ التبرى صائغةٌ وَالمـاء للحَبَبِ الدرّى نَظّامُ

بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا كأننا فى حجور الروض أيتام

وما أبدع قوله أيضاً [من الوافر] :

تبسطنا على الآثام لما رأينا العفو من ثمر الذنوب

قيل : كان الصاحب بن عباد يستحسن هذا البيت ، وكان يستشهد به كثيراً ، ويقول : مادرى قائله أى درة رمى بها ، وأى غرة سيرها وخلدها .

وقول التنوخى وهو من غريب الاستعارات [من الخفيف] :

ورياض حاكت لهن الثريا حللاً كان غزلها للرعود

نثر الغيث در دمع عليها فتحلت بمثل در العقود

أقحوان معانق لشقيق كثغور تعض ورد الخدود

وعيون من نرجس تتراءى كعيون موصولة التسهيد

وكأن الشقيق حين تبدى ظلمة الصدغ فى خدود الغيد

وكأن الندى عليها دموع فى عيون مفجوعة بفقيد

وقول السيد أبى الحسن على بن أبى طالب البلخى ، من أبيات [من الطويل] :

وكم قد مضى ليل على أبرق الحمى مضىء ويوم بالمشرق مشرق

تسرقت فيه اللهو أملس ناعماً وأطيب أنس المرء ما يتسرق

ويا حسن طيف قد تمرض موهناً وقلب الدجى من صولة الصبح يخفق

وقول ابن الساعاتى [من الطويل]

ولولا وشاة بل رواة تخرصوا أحاديث ليست فى سماع ولا نقل

لثمت ثغور النور فى شنب الندى خلال جبين النهر فى طرر الظل

وقول القاضى كمال الدين بن النبيه [من الطويل] :

تبسّم ثغرُ الروضِ عن شنبِ القطرِ ... ودبّ عِذارُ الظلّ فى وجنةِ النهرِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

والنهرُ خدٌّ بالشعاعِ مورّدٌ ... قد دبّ فيه عذارُ ظلّ البانِ

والماء فى سُوقِ الغصون خلاخلٌ ... من فضةٍ والزهرُ كالتيجانِ

وقول ابن قرناص أيضاً [من الوافر] :

لقد عقدَ الربيعُ نطاقَ زهرٍ ... يضمُّ بغصنه خصراً نحيلاً

ودبُّ مع العشىّ عذارُ ظلّ ... على نهرٍ حكى خدّاً أسيلاً

وكلهم قد أخذوا الوجه والعذار من ابن خفاجة ، حيث قال [من الطويل] :

وإنى وإن جئتُ المشيبَ لمولعٌ ... بطُرّة ظلّ فوق وجه غديرِ

وما أحسن قول الشهاب محمود الوراق [من البسيط] :

إذا الكرى ذرّ فى أجفاننا سِنةً ... من النعاس نفضناها عن الهُدُبِ

وقول ابن نباتة المصرى أيضاً [من الطويل] :

ولما جنى طرفى رياضَ جمالكمْ ... جعلتُ سُهادى فى عقوبته مَنْ جَنَى

أأحبابَنا إن عفتمُ السفحَ منزلاً ... وأخليتمُ من جانب الجذع موطنا

فقد حزتمُ دمعى عقيقاً ومُهجتى ... غَضًى وسكنتم من ضلوعى مُنحنَى

وقوله أيضاً [من الكامل] :

هذِى الحمائم فى منابر أيكها ... تُملى الغنا والطلُّ يكتبُ فى الورقْ

والقضبُ تخفض للسلام رؤوسها ... والزهرُ يرفعُ زائريه على الحدَقْ

وهو أحسن من قول الأمير مجير الدين بن تميم [من الكامل] :

إنى لأشهدُ للحمَى بفضيلةٍ ... من أجلها أصبحتُ من عشاقهِ

ما زارهُ أيامَ نرجسهِ فتىً ... إلا وأجلسهُ على أحداقهِ

وقول مجد الدين الاربلى [من الكامل] :

أصغِى إلى قول العذولِ بجملتى ... مستفهماً عنكم بغير ملالِ
لتلقُّطِى زهرات وَردِ حديثكم ... من بين شوكِ ملامةِ العذّالِ

وقول مانى الموسوس [من المتقارب] :

دعتنى إلى وصلها جؤذرةٌ ... ولم تدر أنى لها أعشقُ
فقمتُ وللسكر من مفرقى ... إلى قدمى ألسنٌ تنطقُ

وما أجود قول أبى طاهر البغدادى فى نار القرى [من الكامل] :

خطرتْ فكادَ الوُرقُ تَسْجَعُ فوقها ... إنَّ الحمامَ لمولعٌ بالبانِ
من معشرٍ نَشَرُوا على تاج الرُّبا ... للطارقين ذوائبَ النيرانِ

وهو مأخوذ من قول الأول [من الطويل] :

يبيتون فى المَشْتَى خِماصاً وعندهُمْ ... من الزاد فضلاتٌ تعدُّ لمن يَقْرَى
إذا ضلَّ عنهم طارقٌ رفعوا له ... من النار فى الظلماء ألويةً حمرا

وقول صر در فيها [من الكامل] :

قومٌ إذا حيا الضيوفُ جفانَهُمْ ... رَدَّتْ عليهم ألسنُ النيرانِ

ومنه قول التهامى [من الكامل] :

نادَتهُ نارُكَ وهى غيرُ فصيحةٍ ... وهنَّا بخَفْقِ ذوائب النيرانِ

وقد بالغَ مهيار الديلمى فى قوله [من الكامل] :

ضربوا بمَدْرَجة الطريقِ قبابَهم ... يتقارعونَ على قِرى الضيفانِ
ويكادُ موقدُهمْ يجُودُ بنفسهِ ... حُبَّ القِرَى طَرَباً على النيرانِ

وما أحسن قول ابن سُكَّرة ، وهو صاحب البيتين الجامعين لكافات الشتاء [من مجزوء الرمل] :

قيلَ ما أعددتَ للبرْ د فقد جاء بشدّهْ
قلتُ دُرّاعةَ عُرْيٍ تحتها جبّةُ رِعْدَهْ

وما ألطف قول ابن عمار [من الكامل] :

أدرِ الزجاجة فالنسيم قد انبرَى والنجمُ قد صرف العِنانَ عن السُّرَى
والصبحُ قد أهدى لنا كافورهُ لما استردّ الليلُ منّا العنبرا

ومن بديع الاستعارة - على سخفه ومجونه - قولُ سعيد بن سناء الملك ، [من مجزء الكامل] :

يا هذه لا تستحي منى قد انكشف المُغَطَّى
إن كان كُسُّكِ قد تثا ءَبَ إنّ أيرِى قد تمطّى

فاستعارة التثاؤب والتمطى هنا من أحسن الاستعارات . قال ابن جبارة : أنشدنى هذا ابنُ سناء الملك ، وزاد فى الاعجاب به ، فلما عدتُ إلى البيت أخذت جزءاً من البصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدى ، فوجدت فيه أن بغدادية قالت لأخرى : خرجت اليوم إلى العيد ؟ قالت : إى وحياتك ، قالت لها : فما رأيت ؟ قالت : أحراحاً تتثاءب وأيوراً تتمطى ، فلما اجتمعتُ به قلت له : قد عرفتُ وعثرت على الكنز الذى انتهبته ، وحكيت له الحكاية قال : سيدنا يفتش عن أمرى .

ومن ظريف الاستعارات قول الأمير مجير الدين بن تميم [من الكامل] :

كيفَ السبيلُ لأنْ أُقبّلَ خدَّ مَنْ أهوى وقد نامت عيونُ الحرّسِ
وأصابعُ المنثور تومِى نحونا حسداً وتغمزها عيون النرجسِ

وبديع قول السلامى أيضاً فى وصف الحرب [من الكامل] :

والنقعُ ثوبٌ بالنُّسُورِ مُطَرَّزٌ والأرضُ فَرْشٌ بالجياد مخيلُ
وسطورُ خيلكَ إنمـا ألِفاتها سمرٌ تنقط بالدماء وتشكلُ

وأجاد البدر بن يوسف الذهبي بقوله [من السريع] :

هلمّ يا صاح إلى روضةٍ يجلو بها العانى صدَا همِّهِ
نسيمها يعثر فى ذيلِهِ وزَهرها يضحكُ فى كمِّهِ

ومن ظريف الاستعارة أيضاً قول ابن الغويرة [من مجزوء الكامل] :

عاينتُ حبـةَ خالِهِ فى رَوضةٍ من جُلّنارِ
فغـدا فؤادِى طائراً فاصطاده شركُ العِذارِ

وما أبدع أيضاً قول الشريف الرضى الموسوى [من البسيط] :

أرسى النسيمُ بواديكمْ ولابرِحتْ حواملُ المزنِ فى أجداثـكم تضعُ
ولا يزالُ جنينُ النبتِ تُرْضـعهُ على قبـورِكُمُ العرّاضـةُ الهمعُ

وقد أخذه ابن أسعد الموصـلى ، فقال من قصيدة ، يتشوق فيها إلى دمشق [من البسيط] :

سقى دمشقَ وأياماً مضتْ فيها حواملُ السُّحب باديها وعاديها
ولا يزالُ جنين النبتِ تُرضعهُ حواملُ المزن فى أحشا أراضيها

ومحاسن هذا الباب كثيرة ، والاقتصار على هذه النبذة أولى .

***

شاهد جواز البناء على الفرع

١٠٨ — هىَ الشَّمْسُ مَسكنهافى السماء فعزِّ الفـؤادَ عزاء جميـلاَ
فلنْ تستطيعَ إليها الصُّعودَ ولنْ تستطيعَ إليكَ النزولاَ

البيتان للعباس بن الأحنف ، من المتقارب

والشاهد فيهما : جواز البناء على الفرع — وهو المشبه به — مع جحد الأصل وهو المشبه ، لأنه هنا طوى ذكر الأصل ، وجعل الكلام خلوا منه ، ويسمى هذا المجاز المفرد ، ومنه قول الفرزدق [من الطويل] :

أبى أحمدُ الغيثين صعصعةُ الذى ... متى تبخلِ الجوزاء والدَّلْو يُمْطِرِ

وقول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشيين [من الكامل] :

يتعاوَرانِ من الغبارِ مُلاَءةً ... بيضاء محكمةً إذا نسجاها

تُطوَى إذا وَرَدَا مكاناً محزناً ... وإذا السنابكُ أسهلت نشراها

وقول سعيد الكاتب التسترى النصرانى [من مجزوء الخفيف] :

قلتُ زورى فأرسلتْ ... أنا آتيك سُحرَهْ

قلتُ فالليلُ كان أخـ ... ـفى وأدنى مسرَّهْ

فأجابتْ بحجةٍ ... زَادتِ القلبَ حسرَهْ

أنا شمسٌ وإنما ... تطلعُ الشمسُ بكرَهْ

وله فى معناه أيضاً [من الخفيف] :

وعدَ البدرُ بالزيارة ليلاً ... فاذا ما وفى قضيتُ نذورى

قلتُ ياسيدى فَلِم تؤثر الليـ ... ـلَ على بهجةِ النهار المنيرِ

قال لى لا أحبُّ تغيير رسمى ... هكذا الرَّسم فى طلوع البدُورِ

وقال فى معناه أيضاً [من الخفيف] :

قلتُ للبدر حينَ أعتبَ زَرنى ... واشمت الوصلَ بالقلا والتجافى

قالَ إنى معَ العشاء سآتى ... فانتظرنى ولا تخفْ من خلافِ

قلتُ يا سيدى فزرنى نهاراً ... فهو أدنى لقربةِ الايلافِ

قالَ لا أستطيعُ تغييرَ رسمى ... إنما البدرُ فى الظلام يوافى

وقد جمع أبو العلاء المعرى المعنيين فى قوله [من الخفيف] :

هيَ قالت لما رأت شيبَ رأسى وأرادتْ تنكراً وازورارَا
أنا بدرٌ وقد بدا الصبحُ من شيبكَ والصبح يطرد الأقمارَا
قلتُ لا بل أراكِ فى الحسن شمساً لا ترَى فى الدُّجى وتبدو نهارَا

* * *

١٠٩ — وإذا المنيةُ أنشبتْ أظفارَهَا ألفيتَ كل تميمةٍ لا تنفعُ شاهد الاستعارة بالكناية

البيت لأبى ذؤيب الهذلى ، من قصيدة (١) من الكامل ، قالها وقد هلك له خمسُ بنين فى عام واحد ، وكانوا فيمن هاجر إلى مصر ، فرثاهم بهذه القصيدة ، وأولها :

أمِنَ المنونِ ورَيبها تتوجعُ والدهرُ ليسَ بمعْتِبٍ مَنْ يجزَعُ
قالتْ أمامةُ ما لجسمكَ شاحباً منذُ ابتذلتَ ومثلُ مالكَ ينفعُ
أمْ ما لجسمكَ لا يلائم مضجعاً إلا أقضَّ عليكَ ذاكَ المضجعُ (٢)
فأجبتها أمَّا لجسمىَ إنهُ أودَى بَنِىَّ من البلاد فودَّعوا (٣)
أودَى بَنِىَّ فأعقبونى حسرةً عندَ الرُّقاد وعَبْرةً لا تقْلعُ
فالعينُ بعدَهُم كأنَّ حداقَها كُحِلت بشوكٍ فهى عُورٌ تدمعُ (٤)

---

(١) انظرها فى ديوان أبى ذؤيب فى مجموعة شعر الهذليين (١ — ١ طبع دار الكتب المصرية) وانظرها أيضا فى المفضليات ، ولم يراع المؤلف ترتيبهما
(٢) فى المفضليات « أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا » وكذلك فى الديوان
(٣) فى الأصل « فأجبتها أرثى لجسمي » وأثبتنا ما فى المفضليات والديوان
(٤) فى المفضليات « سملت بشوك » وكذلك فى الديوان

فَغَبَرْتُ بعدهم بعيش ناصبٍ وإخالُ أنى لاحقٌ مستتبعُ
سبقوا هَوَىّ وأعنقوا لهواهم فتُخُرِّموا ولكل جنبٍ مَصْرَعُ
ولقد حرصتُ بأن أُدافعَ عنهم فاذا المنية أقبلتْ لا تُدْفَعُ

وبعده البيت، وبعده :

وتجلُّدِى للشامتين أُريهمُ أنى لريب الدهرِ لا أتضعضعُ
حتى كأنى للحوادث مَرْوَةٌ بصفا المشرّقِ كلَّ يومٍ تُقْرَعُ
والدَّهرُ لا يَبْقَى على حَدَثانِهِ جَوْنُ السَّراةِ له جدائد أربعُ(١)

يروى أن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما استأذن على معاوية فى مرض موته ليعوده، فادّهن واكتحل، وأمر أن يقعد ويسند، وقال : ائذنوا له، وليسلم قائما ولينصرف، فلما سلم عليه وولى، أنشد معاوية قول الهذلى فى هذه القصيدة * وتجلدى للشامتين . . . البيت * فأجابه ابن عباس على الفور : * وإذا المنيةُ أنشبتْ . . . البيت * ثمّ ماخرج من دارهِ حتى سمع الناعية عليه .

والشاهد فيه : الاستعارة بالكناية، والاستعارة التخييلية، فهو هنا شبه فى نفسه المنية بالسبع فى اغتياله النفوسَ بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفّاع وضَرّار ولا رقة لمرحوم، فأثبت لها الأظفار التى لا يكمل الاغتيال فى السبع بدونها تحقيقا للمبالغة فى التشبيه، فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية، وَإثباتُ الأظفار لها استعارة تخييلية .

---

(١) فى الأصل «جون السحاب» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى المفضليات والديوان والأغانى وخزانة الأدب ــ وأراد بجون السراة حمارا وحشيا، والسراة ــ بفتح السين ــ أعلى الظهر، والجدائد : الأتن اللواتى خفت ألبانهن واحدهن جدود .

ترجمة أبي ذؤيب الهذلي

وأبو ذؤيب (١) اسمه : خويلد بن خالد بن محرث (٢) بن زبيد بن مخزوم ، ينتهى نسبه لنزار ، وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والاسلام ، ولم تثبت له رؤية .

وحدّث أبو ذؤيب قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، فاستشعرت حزناً ، وبتُّ بأطول لَيلة لا ينجاب ديجورها ، ولا يطلع نورها ، فظلت أُقاسى طولها ، حتى إذا كانَ قربَ السحر أغفيتُ ، فهتفَ بى هاتفٌ ، وهو يقولُ [من الكامل] :

خطبٌ أجلَ أناخَ بالاسلام بين النخيل ومعقدِ الآطامِ

قبضَ النبىُّ محمدٌ فعيوننا تذرِى الدُّموعَ عليهبالتَّسْجَامِ

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومى فزعا ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سعد الذابح ، فتفاءلت به ذبحا يقع فى العرب ، وعلمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قبض ، فركبت ناقتى وسرت ، فلما أصبحت طلبت شيئا أزجر به ، فعنّ لى شَيْهمٌ — يعنى القنفذ — قد قبض على صِلٍّ — يعنى الحية — فهى تلتوى عليه ، والشيهم يقضمها حتى أكلها ، فزجرت ذلك ، وقلت : شيهم شىء مهمّ والتواء الصل : التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيهم إياها غلبةَ القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر ، فحثثت ناقتى ، حتى إذا كنت بالغابة زجرت الطائر ، فأخبرنى بوفاته ، ونعَبَ غراب سانح ، فنطق بمثل ذلك ، فتعوذت بالله من شر ماعنّ

---

(١) لأبى ذؤيب ترجمة فى الأغانى (٦ – ٥٨) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥ – ١٧٩) وخزانة الأدب (١ – ٢٠٣) والشعراء لابن قتيبة

(٢) كذا ، وفى الأغانى « خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد بن مخزوم » وهو تحريف وما هنا موافق لما فى الخزانة ومطلع ديوانه

لى فى طريق ، وقدمت المدينة المنورة ، ولها ضجيج بالبكاء ، كضجيج الحجيج إذا انطوى بالإحرام ، فقلت : مَهْ ؟ قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت إلى المسجد ، فوجدته خاليا ، فأتيت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبت بابه مُرْتجًا ، وقيل : هو مُسَجًّى ، وقد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ فقيل : فى سقيفة بنى ساعدة صاروا إلى الأنصار ، فجئت إلى السقيفة ، فوجدت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وسالماً وجماعة من قريش ، و رأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة ، وفيهم شعراؤهم : حسان ابن ثابت ، وكعب بن مالك ، وملأ منهم ، فأويت إلى قريش ، وتكلمت الأنصار ، فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب ، وتكلم أبو بكر ، فلله درُّهُ من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخصام ، والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلا مال إليه وانقاد له ، ثم تكلم عمر بعده بكلام دون كلامه ، ومدّ يده ، فبايعه وبايعوه . ورجع أبو بكر ورجعت معه ، فشهدت الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشهدت مدفنه صلى الله عليه وسلم . ثم أنشأ أبو ذؤيب يبكى النبى صلى الله عليه وسلم (١) [من الكامل] :

لما رأيتُ الناس فى عسلانهم ... ما بين ملحودٍ له ومُضَرَّحِ

متبادرين لشرجع بأكفهم ... نصَّ الرقاب لفقد أبيض أروحِ

فهناك صرتُ إلى الهموم ومَنْ يبتْ ... جارَ الهموم يبيتُ غيرَ مُروَّحِ (٢)

(١) لا توجد هذه الأبيات فى ديوان أبى ذؤيب المطبوع و ديوان الهذليين بدار الكتب المصرية ، و توجد ما عدا ثانيها فى تاريخ دمشق باختلاف يسير فى ألفاظها

(٢) فى تاريخ دمشق « يبيت غير مرزح » محرفا

كسفتْ لمصرعه النجومُ و بدرها | وتضعضعت آطامُ بطن الأبطحِ [١]
وتزعزعتْ أجبالُ يثرب كلُّها | ونخيلها لحلول خطبٍ مفدحِ [٢]
ولقدْ زَجرتُ الطيرَ قبل وفاته | بمُصابهِ وزجرتُ سعد الأذبحِ
وزَجرتُ أن نعَبَ المشحجُ سانحاً | متفائلاً فيه بفألٍ أقبحِ [٣]

ثم انصرف أبو ذؤيب رحمه الله تعالى إلى باديته، فأقام بها.

وقال محمد بن سلام: كان أبو ذؤيب شاعراً فحلا لا غميزة فيه ولا وهن. وسئل حسان بن ثابت: من أشعر الناس؟ قال: أحيًا أم رجلا. قالوا: حياء قال: أشعر الناس حيا هذيل، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب. وقال محمد بن معاذ العمرى: فى التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زوراء، وكان اسم الشاعر بالعبرانيـة مؤلف زوراء، فأخبرت بذلك بعض أصحاب العبرانية، - وهو كثير بن إسحاق - فعجب منه، وقال: قد بلغنى ذلك.

وكان أبو ذؤيب يهوى امرأة، يقال لها: أم عمرو، وكان يرسل إليها خالد ابن زهير، فخانه فيها، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل، يقال له: عويمر ابن مالك بن عويمر، وكان رسوله إليها، فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صَرَمَها فأرسلت تترضاه، فلم يفعل، وقال فيها [٤] [من الطويل]:

تُريدين كيما تجمعينى وخالداً | وهلْ يُجمعُ السيفان ويحك فى غمدِ؟
أخالدُ ما راعيتَ من ذى قرابةٍ | فتحفظنى بالغيب أو بعض ماتبدِى
دعاكَ إليها مقلتاها وَجيدُها | فملتَ كما مالَ المحبّ على عمدِ

---

(١) فى تاريخ دمشق «وتزعزعت آطام»
(٢) وفيه * وتحركت آكام يثرب كلها *
(٣) وفيه *وزجرت إذ نعب . . . *
(٤) انظرها فى الديوان (١٥٩) والأغانى (٦-٦٢)

وكنت كرقراق السراب إذا جرى ... لقوم وقد بات المطىّ بهم تَخْدِى(١)

فآليتُ لا أنفكُّ أحذو قصيدةً ... تكون وإياها لها مثلا بعدى(٢)

وقال أبو زيد عمرو بن شيبة : تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية ، يعنى قصيدته المثبتة قريباً .

وعن ابن عياش — بالياء التحتية والشين المعجمة — قال : لما مات جعفر الأكبر بن المنصور مشى فى جنازته من المدينة إلى مقابر قريش ، ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه ، ثم انصرف إلى قصره ، فأقبل على الربيع ، فقال : يا ربيع ، انظر مَنْ فى أهلى ينشدنى :

* أمِنَ المنون ورَيبها يتوجعُ *

حتى أتسلى عن مصيبتى ، قال الربيع : فخرجت إلى بنى هاشم ، وهم بأجمعهم حضور ، فسألتهم عنها ، فلم يكن فيهم أحد يحفظها ، فرجعت فأخبرته ، فقال : والله لمصيبتى بأهل بيتى ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذه القصيدة لقلة رغبتهم فى الأدب أعظمُ وأشد علىّ من مصيبتى بابنى ، ثم قال : انظر هل فى القواد والعوام من يعرفها؟ فانى أحب أن أسمعها من إنسان ينشدها ، فخرجت فاعترضت الناس ، فلم أجد أحدا ينشدها إلا شيخا مؤدِّبا قد انصرف من تأديبه ، فسألته : هل يحفظ شيئا من الشعر ، قال : نعم ، شعر أبى ذؤيب ، فقلت : أنشدنى ،

---

(١) فى الأصل (تحدى) وفى الأغانى (يحدى) كلاهما بالحاء مهملة ، وأثبتنا الصواب عن الديوان

(٢) فى الأصل «لا أنفك أحدو» وكذا فى الأغاني ، بالدال مهملة ، وهى رواية ، ومعناها أغنى بها ، وأثبتنا أوثق الروايتين ، ومعنى « أحذو » بالذال معجمة — أقول

فابتدأ بهذه القصيدة العينية ، فقلت : أنت بغيتى ، فأوصلته إلى المنصور، فأنشده إياها ، فلما قال :

* والدَّهرُ ليسَ بمعتب منْ يجزعُ *

قال: صدق والله ، فأنشدنى هذا البيت مائة مرة لترددهذا المصراع على ، فأنشده ، ثم مر فيها فلما انتهى إلى قوله :

* والدهرُ لا يبقى على حدثانِهِ إلخ *

قال : سلا أبو ذؤيب عند هذا القول ، ثم أمر الشيخ بالانصراف ، فاتبعته فقلت : أمر لك أمير المؤمنين بشىء ؟ قال : نعم ، وأرانى صرة فى يده فيها مائة درهم

وعن الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى قال : كان أبو ذؤيب الهذلى خرج فى جند عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح أحد بنى عامر بن لؤى إلى إفريقية سنة ست وعشرين غازيا فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، و بعث معه نفراً منهم أبو ذؤيب ، ففى عبد الله يقول [من المتقارب] :

وصاحِبِ صِدْقٍ كسِيدِ الضَّرَا ءِ ينهضُ فى الغزوِ نهضا نجيحا (١)

فى قصيدة له (٢) ، فلما قدموا إلى مصر مات أبو ذؤيب بها

وعن أبى عمرو عبد الله بن الحارث الهذلى من أهل المدينة المنورة قال : خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له (٣) أبو عبيد حتى قدموا على عمر

---

(١) فى الأصل « كسيد الغضا » وأثبت ما فى الديوان . والضراء ـ بفتح الضاد ـ ما وارك من الشجر

(٢) انظرها فى الديوان (١٢٩ ـ ١٣٦)

(٣) فى الأغانى « يقال له أبو عقيل » وسماه بعد ذلك فى كل موضع جرى فيه اسمه من هذه القصة أبا عبيد ، وفى تاريخ دمشق كما هنا

ابن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : أى العمل أفضل يا أمير المؤمنين ؟ قال : الايمان بالله ورسوله ، قال : قد فعلت فأيه أفضل بعده ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قال : ذلك كان عملى ولا أرجو جنة ولا أخاف ناراً ، ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين ، فلما قفلوا أخذه الموت ، فأراد ابنه وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعا ، فمنعهما صاحب الساقة وقال : ليتخلف عليه أحدكما وليعلم أنه مقتول ، فكلاهما أراد أن يتخلف عليه ، فقال لهما أبو ذؤيب : اقترعا ، فطارت القرعة لأبى عبيد فتخلف عليه ومضى ابنه مع الناس ، فكان أبو عبيد يحدث قال : قال لى أبو ذؤيب ، يا أبا عبيد ، احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعضد من الشجر بسيفك ، ثم اجررنى إلى هذا النهر فانك لاتفرغ حتى أفرغ ، فاغسلنى وكفنى بكفنى ثم اجعلنى فى حفيرتى ، وانثل على الجرف برمحك ، وألق على الغصون والحجارة ، ثم اتبع الناس فان لهم رهجة تراها فى الأفق إذا أمسيت كأنها جهامة ، قال : فما أخطأ مما قال شيئا ، ولولا نعته لم أهتد لأثر الجيش ، وقال وهو يجود بنفسه [من الرجز] :

أبا عُبيدٍ رُفِعَ الكتابُ واقترَب الموعودُ والحسابُ(١)

وعندَ رِجلى جملٌ نجابُ أحمرُ فى حارِكه انصِبابُ

ثم مضيت حتى لحقت بالناس ، فكان يقال : إن أهل الاسلام أبعدوا الأثر فى بلاد الروم ، فما كان وراء قبر أبى ذؤيب قبر يعلم لأحد من المسلمين ، وهذا يخالف رواية الزبير بن بكار السابقة ، والله أعلم أى ذلك كان

* * *

من شواهد الاستعارة بالكناية

١١٠ — ولئن نطقتُ بشكرِ بِرِّكَ مُفصِحا فلسانُ حالى بالشِّكايةِ أنطقُ

البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله

---

(١) فى الأغانى « واقترب الموعد »

والشاهد فيه: مافى البيت قبله، فانه شبه الحال بانسان متكلم فى الدلالة على المقصود، وهذا هو الاستعارة بالكناية، فأثبت لها اللسان الذى به قوام الدلالة فى الانسان المتكلم، وهذه الاستعارة التخييلية

وقريب من معناه قول ابن الخيمى [من الكامل] :

أبداً أحِنُّ إلى محيَّاك الذى يُصبى البعيد إليه نورٌ مشرقُ
وأرومُ شكوى موجعات الحب لا استحظا بها لكن لعلك تشفقُ
فأرى لسانى بالصبابة أخرساً ولسانُ حالى بالشكاية ينطقُ
وأفوه باسمك والمسافة بيننا قصوى فيضحى الجو طيباً يعبقُ

* * *

١١١ — صحا القلبُ عن سلمى وأقصر باطلُهْ وعرّى أفراس الصبا ورواحلُهْ

من شواهد الاستعارة بالكناية

البيت لزهير بن أبى سلمى، وهو أول قصيدة (١) من الطويل، وبعده:

وأقصرتُ عما تعلمين وسُدِّدتْ علىَّ سوى قصد السبيل معادِلُهْ

إلى أن يقول فيها:

فقلنا له أبصر وسَدِّد طريقهُ وما هو فيه عن وَصاتىَ شاغلُه (٢)
وقلت تعلم أن فى الصيد غِرَّةً وإن لا تضيعه فانك قاتلُه (٣)
فأتبع آثار الشياه وليدُنا كشؤبوب غيث يحفش الأكمَ وابلُه (٤)

---

(١) انظرها فى ديوان زهير (١٢٤ طبع دار الكتب المصرية)

(٢) فى رواية الأعلم الشنتمرى « فقلت له » وفى الديوان « سدد وأبصر طريقه »

(٣) فى الديوان وشرح شواهد النحو « تعلم أن للصيد غرة » والغرة — بكسر الغين المعجمة — الغفلة، ووقع فى الأصل « عزه » محرفا عما أثبتناه

(٤) الشؤبوب: الدفعة من المطر، ويحفش: يسيل ويخرج، يقال: حفش فلان لك الود، إذا أخرج كل ماعنده، والمراد يكثر السيل حتى يحفش ما فى الأكم

نظرت إليـه نظرة فرأيته على كل حال مرة وَهْوَ حاملُهْ

وهى طويلة .

يقال : أقصر عن الشيء ، بمعنى انتهى أو عجز عنه

والشـاهد فيه : ما فى البيت قبله أيضاً ، فانه أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه من المحبة زمن الجهل والغى ، وأعرض عن معاودته فبطلت آلاته ، فشبه فى نفسه الصبا بجهة من جهات المسيرَ كالحج والتجارة قضى منها الوطر فأهملت آلاتها .

ووجه الشبه : الاشتغال التام به وركوب المهامه والمسالك الصعبة غير مبال بمهلـكة ولامتحرز عن معركة .

وهذا التشبيه المضمر فى النفس استعارة بالـكناية أثبت له بعض ما يختص بتلك الجهة ـ وهى الأفراس والرواحل التى بها قِوامُ السير والسفر ـ فاثبات الأفراس والرواحل استعارة تخييلية ، والصبا على هـذا من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوة ، ويحتمل أنه أراد بالأفراس والرواحـل دواعى النفس وشهواتها والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات ، أو أراد بها الأسباب التى قلما تتخذ فى اتباع الغى إلا أوانَ الصبا وعنفوان الشباب فتـكون استعارة الأفراس والرواحل تحقيقية لتحقق معناها عقلا إذا أريد بها الدواعى وحساً إذا أريد بها اتباع أسباب الغى

* * *

من شواهد الكناية

١١٢ ـ * والطاعنينَ مَجامعَ الأضغانِ *

هو من الـكامل ، ولا أعرف[1] قائله ، وصدره :

---

(١) نسبه فى الموازنة (٢٨٢ بتحقيقنا) إلى عمرو بن معديكرب الزبيدى ، ولم أجده فى ديوان عمرو ولا فى زياداته

* الضاربينَ بكل أبيض مخذمٍ *

والمخذم ـ بالذال المعجمة ـ السيف ، والأضغان : جمع ضغن ، وهو الحقد

والشاهد فيه : القسم الأول من أقسام الكناية، وهو : أن يكون المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ، وتكون لمعنى واحد كما هنا ، وتكون لمجموع معان ، فقوله : « بمجامع الأضغان » معنى واحد كناية عن القلوب

ونحوه قول البحترى [من الطويل] :

فأتبعتُهَا أخرى فأضْلَلْتُ نَصْلها بحيثُ يكون اللبُّ والرُّعْبُ والحقدُ

* * *

من شواهد الكناية

١١٣ — إن السماحةَ والمروءةَ والندى في قبةٍ ضُرِبت على ابن الحشرج

البيت لزياد الأعجم ، من أبيات (١) من الكامل، قالها فى عبد الله بن الحشرج ، وكان قد وفد عليه ، وهو أمير على نيسابور فأمر بإنزاله وألطفه وبعث إليه بما يحتاجه ، فغدا إليه فأنشده البيت ، و بعده :

ملك أغر متوجٌ ذو نائلٍ للمعتفينَ يمينُهُ لم تشنج

ياخيْرَ من صعد المنابر بالتُّقَى بعد النبى المصطفى المتحرَّجِ

لما أتيتك راجياً لنوالكم ألفيْتُ باب نوالكم لم يُرْتجِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم

والمروءة : كمالُ الرجولية .

والشاهد فيه : القسم الثالث من أقسام الكناية ، وهو أن يكون المطلوب بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، فهو هنا أراد أن يثبت اختصاص ممدوحه بهذه الصفات ، وترك التصريح باختصاصه بها إلى الكناية بأن جعلها فى قبة ضربت

(١) انظرها فى الأغاني (١٤ ـ ١٠٥ بولاق)

عليه ، تنبيها على أن محلها ذو قبة ، وهى تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء ،
قال أبو تمام [من الكامل] :

لولا بنو جُشَم بن بكر فيكمُ ... كانت خيامكم بغير قِبابِ

وإنما احتاج فى هذا البيت إلى هذا لوجود ذوى قباب فى الدنيا كثيرين،
فأفاد إثبات الصفات المذكورة له ، لأنه إذا أثبت الأمر فى مكان الرجل وحَيِّزه
فقد أثبته له

وفى معنى البيت قول زياد أيضاً فى مرثية المغيرة بن المهلب [من الكامل]:

إن السماحة والمروءة ضُمِّنا ... قبراً بمَرْوَ على الطريق الواضح

وقريب منه قول ابن خلاد يمدح ابن العميد [من الوافر]

لقد شهدَتْ عقولُ الخلق طراً ... وحسْبُكَ بالبصائر من شهود
بأنّ محاسنَ الدنيا جميعاً ... بأفنيَةِ الرئيس ابن العميد

وقول الآخر يمدحه [من الكامل] :

والمجدُ يدعو أن يدوم بجيدِهِ ... عقدٌ مساعِى ابن العميدِ نظامُهُ

وابن الحشرج الممدوح : اسمه عبد الله ، وكان سيداً من سادات قيس ،
وأميراً من أمرائها ، ولى كثيرا من أعمال خراسان ، ومن أعمال فارس وكرمان[(١)] ترجمة عبد الله ابن الحشرج
وكان جوادا ممدوحا ، وفيه يقول زياد أيضا [من الطويل] :

إذا كنت مرتاد السماحة والندى ... فسائل تُخَبَّرْ عن ديار الأشاهب

وكان عبدالله كثير العطاء ، أعطى بخراسان حتى أعطى فراشه ولحافه ، فقالت
له امرأته : لشد ما تلاعَبَ بك الشيطان وصرت من إخوانه مبذرًا كما قال الله

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة ما نصه « قوله وكرمان ، فى نسخة همذان بدل كرمان » اهـ

تعالى (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) فقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة ابن درى النهدى وكان أخا له وصديقا : ألا تسمع ما تقول هذه النَّوكى وما تتكلم به ؟ فقال له رفاعة : صدقْتَ والله و برُتَ و إنك لمبذر ، و إن المبذرين لإخوان الشياطين ، فقال ابن الحشرج فى ذلك [من الطويل] :

متى يأتنا الغيث المغيث تجدْ لنا ... مكارم ما تعيى بأموالنا التُّلْدِ
مكارم قد جُدْنَا بها إذ تمنعت ... رجالٌ وضنت فى الرخاء وفى الجهد(١)
أردنا بما جُدْنَا به من تِلادنا ... خلافَ الَّذى يأتى خيار بنى نَهد
تلوم على إتلافىَ المال خلَّتى ... ويُسعدها نهد بن زيد على الزهد
أنَهْدَ بن زيدٍ لست منكم فتُشفقوا ... علىَّ ولا منكم غوانى ولا رشدى
أتيتُ صغيرا ناشئاً ما أردتم ... وكهلا وحتى تُبصرونىَ فى اللحد(٢)
سأبذل مالى ، إنَّ مالى ذخيرة ... لِعَقْبى وما أجنى به ثمر الخلد
ولست بمبكاء على الزاد باسل ... يهر على الأزواد كالأسَدِ الوَرْدِ
ولكننى سَمْحٌ بما حزت باذلٌ ... لما كلفت كفاى فى الزمن الجْحدِ
بذلك أوصانى الرقاد وقبله ... أبوه بأن أعطى وأُوفىَ بالعهد

والرقاد : كان أحد عمومته ، وكان سيدا جوادا .

(١) فى الأصل « مكارم ماجدنا بها » وظاهر أنه محرف عما أثبتناه
(٢) كذا ، ولعله

* أتيت صغيرا ناشئا ما كرهتم *

أو نحو ذلك

ويقول الآخر يمدحه [من الكامل]:

ترجمة عبد الله ابن الحشرج

وابن الحشرج الممدوح: أبو عبد الله ... وكان سيداً من سادات قيس، وأميراً من أمرائها، ولي كثيراً من أعمال خراسان، ومن أعمال فارس وكرمان (١).

وكان جواداً ممدوحاً، وفيه يقول زياد أيضاً [من الطويل]:

إذا كنت مرتاد السماحة والندى ... فسائل تُخبَّر عن زياد الأشاهب

وكان عبد الله كثير العطاء ...

(١) ... وكرمان، وفي نسخة ...

شواهد الفن الثالث، وهو علم البديع

شاهد طباق التدبيج

١١٤ — تردَّى ثيابَ الموتِ حُمراً فما أتَى   لها الليلُ إلا وهي من سندسٍ خُضْرُ

البيت لأبي تمام الطائي، من قصيدة من الطويل(١)، يرثي بها أبا نهشل محمد بن حُميد حين استشهد، وأولها :

كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ   وليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذرُ(٢)

تُوفيتِ الآمالُ بعد محمدٍ   فأصبح في شغل عن السفرِ السفرُ(٣)

وما كان إلا مالَ من قلَّ مالهُ   وذُخراً لمن أمسى وليسَ له ذُخرُ

وما كانَ يدري مَنْ بَلاَ يُسْرَ كفهِ   إذا ما استهلَّتْ أنهُ خُلق العسرُ(٤)

يقول فيها :

غدَا غدوةً والحمدُ نسجُ ردائهِ   فلم ينصرفْ إلا وأكفانهُ الأجرُ

وبعده البيت، وبعده :

كأنَّ بني نبهان يومَ وفاتهِ   نجومُ سماء خرَّ من بينها البدرُ

يُعزَّوْنَ عن ثاوٍ تُعزَّى بهِ العلاَ   ويبكي عليه البأسُ والجودُ والنصرُ(٥)

وأنَّى لهم صبرٌ عليه وقد مضى   إلى الموتِ حتى استشهدَا هو والصبرُ

ومعنى البيت أنه ارتدى الثياب الملطخة بالدمِ، فلم ينقض يومُ قتله، ولم

---

(١) اقرأها في الديوان (٣٦٨) وهي في رثاء بني حميد الطوسي محمد وقحطبة وأبي نصر

(٢) في الديوان « فليس لعين »

(٣) في الديوان « وأصبح في شغل »

(٤) في الديوان

* وما كان يدري مجتدي جود كفه *

(٥) في الديوان « والشعر » مكان « والنصر »

يدخل فى ليلته إلا وقد صارت الثياب خضراً من سندس الجنة .

أقول : ولو قال أبو تمـام :

تردَّى ثياب الموت حمراً فما اختفى   عن العين إلا وهى من سندسٍ خضرُ

لـكان أبلغ فى القصـد وأبدع ، فانه جعل غاية تبديلها بالسندس دخوله فى الليل ، وهذا ليس بمعلوم ، فان الميت إذا غُيِّب بالدفن عن الأعين تبدلت أحواله إلى خير أو شر ، والعيـاذ بالله تعالى . ويشهد لذلك ما ورد أن الميت بمجرد ستره عن الأعين يأتيه مَلَـكا السؤال .

وفى معنى بيت أبى تمـام قولُ القاضى الفاضل عبد الرحيم ، رحمـه الله ، [من مجزوء الـكامل] :

لهـفى لمقتـولٍ تلا   حظهُ عيونُ البيض شزْرَا

متضرِّجاً بـدمٍ رأتـــهُ الحورُ فى الجنات عطرا

متـكفنٌ بمـلابسٍ   حمراء وهى تعودُ خضرا

يروى أنه لمـا ورد نعى هذا المرثىّ غمس أبو تمام طرف ردائه فى مداد ، ثم ضرب به كفيه وصدره ، وأنشد هذه القصيدة .

وإلى ذلك أشـار ابن زنجى الـكاتب المغربى فى قوله يرثى الشيخ أبا على ابن خلدون [من الـكامل] :

لولا الحياء وأن أجىء بفعلةٍ   تنفى علىَّ بها سيوفُ ملامِ

وأكون متبعاً لأشنع سنةٍ   قد سنها قبلى أبو تمامِ

للبست لبس الثاكلات وكنت فى   سود الوجوهِ كأننى من حامِ

والشاهد فى البيت : الطباق المسمى بالتدبيج ، وهو : أن يذكر الشاعر أو الناثر فى معنى من المدح أو غيره ألوانا لقصد الـكناية أو التورية ، ويسمى

تدبيج الكناية أيضاً ، فانه هنا ذكر لون الحمرة والخضرة ، والمراد من الأول الكناية عن القتل ، ومن الثانى الكناية عن دخول الجنة .

ومن طباق التدبيج قول عمرو بن كلثوم [من الوافر] :

بأنَّا نوردُ الراياتِ بيضاً ونُصْدِرهُنَّ حمراً قد رَوِينا

ولو اتفق له أن يقول :

من الأسل الظِّماء يردنَ بيضاً ونُصدرهنَّ حمرا قد روينا

لكان أبدع بيت للعرَب فى الطباق ، لأنه يكون قد طابق بين الايراد والاصدار ، والبياض والحمرة ، والظمأ والرى ، وقد تمَّ لأبى الشيص ، فقال [من الطويل] :

فأوردَها بيضاً ظماء صدورُها وأصدرَها بالرىِّ ألوانُها حُمْرا

فصار أخذه مغفورا بكمال معناه ، وما أحسن قول ابن حيوس [من الكامل] :

وتملكِ العلياءَ بالسعى الذى أغناكَ عن متعلم الأنسابِ

ببياض عِرْضٍ واحمرار صوارمٍ وسواد نَقْع واخضرارِ رحابِ

وافخر بعمٍّ عمَّ جودُ نوالِهِ وأبٍ لأفعال الدنية آبي

وقوله أيضا [من الخفيف] :

إنْ تردْ عِلمَ حالهم عن يقينٍ فالقَهُمْ فى مكارمٍ أو نزالِ

تلقَ بيضَ الأعراض سمرَ مثار النقع خضرَ الأكناف حمر النصالِ

وقد أخذه ابن النبيه فقصر عنه فى قوله [من السريع] :

لهمْ بنانٌ طافحٌ بالندَى فهنَّ إما دِيَمٌ أوْ بِحارْ

بيضُ الأيادى خضرُ رَوض الرُّبا حُمْرُ المواضى فى العَجاج المُثارْ

وقول بعضهم [من الكامل] :

الغصنُ فوقَ الماء تحت شقائقٍ مثلُ الأسنة خُضِّبَتْ بدماء
كالصَّعْدةِ السمراءِ تحتَ الرايةِ الـ حمراء فوقَ اللَّأْمة الخضراءِ

وقريب من لفظه قول الصلاح الصفدى رحمه الله تعالى [من الكامل] :

ما أبصرَتْ عيناكَ أحسنَ منظراً فيما يُرَى من سائر الأشياءِ
كالشامةِ الخضراءِ فوقَ الوجنةِ الـ حمراءِ تحتَ المقلةِ السوداءِ

ولابن النبيه [من المتقارب] :

دَع النوحَ خلفَ حُدُوجِ الركائبْ وسَلّ فؤادكَ عن كل ذاهبْ
ببيضِ السوالف حمر المراشـ ـف صفرِ الترائبِ سودِ الذوائبْ
فما العيشُ إلاَّ إذا ما نظمتَ بثغر الحَباب ثنايا الحبائبْ

ولابن الساعاتى [من الكامل] :

من معشر ويجلُّ قدرُ علائهِ عن أن يقالَ لمثلهِ من معشرِ
بيض الوجوه كأن زُرْقَ رماحهم سر يحلُّ سواد قلب العسكرِ

ولابن دبوقاء العماد من أبيات [من المتقارب] :

أرَى العقدَ فى ثغرهِ محكماً يرينا الصِّحاح منَ الجوهرِ
وتكملةُ الحسن إيضاحها رويناه عن وجهك الأزهرِ
ومنثورُ دمعى غدًا أحمرًا على آس عارضكَ الأخضرِ
وبعتُ رشادى بغىِّ الهوى لأجلكَ يا طلعةَ المشترِى

ولأبى الحسن محمد بن القنوع من أبيات [من الطويل] :

ويخترمُ الأرواحَ والموتُ أحمرُ بأبيضَ يتلوه لدى الطعن أزرقُ

وما أحسن ما قال بعده :

ويُجْرِى عتاقَ الخيل قبًّا شوازبًا تبارى هبوبَ الريح بل هى أسبقُ

إذا حفرت منها الحوافر فى الصفا محاريبَ ظلتْ بالنجيع تخلّقُ

ولأبى الفرج الببغاء فى قريب من معناه [من الكامل] :

وكأنما نقشتْ حوافرُ خيله للناظرين أهلةً فى الجلمد

وما أحسن قوله بعده :

وكأن طَرْفَ الشمس مطروفٌ وقدْ جعلَ الغبارُ لهُ مكان الاثمدِ

ولأبى سعيد الرستمى [من الطويل] :

منَ النفر العالينَ فى السلم والوغى وأهلِ المعالى والعوالىَ والنُّهَا

إذا نزلوا اخضرَّ الثرَى من نزولها وإن نازلوا احمرَّ القنا من نزالها

ولابن جابر الأندلسى [من الخفيف] :

تشتكى الصفرُ من يديه وترضى السـمرُ من راحتيه عندَ الحروبِ

أحمرُ السيف أخضرُ السيب حيث الأرض غبراء من سواد الخطوبِ

ولأبى القاسم عبد الصمد بن على الطبرى من قصيدة [من السريع] :

حمَّر يدى بالكأس فالروضُ مخـضرُّ الرُّبا قبل اصفرار البنانْ

ولأبى بكر الخالدى [من الكامل] :

ومدامة صفراءَ فى قارورةٍ زرقاء تحملها يدٌ بيضاء

فالراحُ شمسٌ والحَبَاب كواكب والكفّ قُطْبٌ والاناء سماء

ولنجم الدين البارزى فى وصف قلم [من الكامل] :

ومثقف للخَطّ يحكى فعلَ سمـرِ الخط إلا أن هذا أصغرُ

فى رأسهِ المسودِّ إن أجروه فى المبيض للأعداء موتٌ أحمر

ومن المضحك فيه قول ابن لنكك البصرى يهجو أبا رياش ، وكان نهما شرها على الطعام [من الوافر] :

يَطيرُ إلى الطعام أبو رياشٍ مبادرةً ولو واراهُ قبرُ
أصابعهُ من الحَلْوَاء صفرٌ ولكنَّ الأخادِعَ منه حُمْرُ

وكان أبو رياش هذا باقعة فى حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها، غاية بل آية فى هذّ دواوينها وسَرْد أخبارها، مع فصاحة وبيان، و إعراب و إتقان، ولكنه كان عديم المروءة، وسخ اللبسة، كثير التقشف، قليل التنظف، وفيه يقول أبو عثمان الخالدى [من الرجز] :

كأنما قمْلُ أبى رياشٍ ما بين َصِئْبانٍ قفَاهُ الفاشى
وذا وذا قد لج فى انتِفاشٍ شهدانج يُذَرُّ فى خشْخَاشِ

وفيه يقول ابن لنكك وقدولى عملا بالبصرة [من الكامل] :

قل للوَضيع أبى رياش لا تُبَلْ تِهْ كلُّ تِيهِكَ بالولايةِ والعمَلْ
ما ازْدَدتَ حين وَلِيتَ إلا خِسةً كالكلب أنجسُ مايكون إذا اغتسَل

وله فيه أيضاً [من الكامل] :

نُبِّئْتُ أن أبا رياش قد حوَى علم اللغات وفاقَ فيما يدَّعى
مَنْ مُخْبرى عنهُ فانى سائلٌ من كان حنَّكه بأير الأصْمَعى

وله فيه أو فى غيره من الأدباء [من الكامل] :

يا مَنْ تَطَيَّبَ وهو من خَرْقِ استِهِ قَلِقٌ يكابِدُ كل داء مُعْضِلِ
فشل الصيال وما عهدنا دبره مذ كان يفشل عن صيال الفيشل
وأراهُ فى الكُتُبِ الجليلةِ زاهدا لا يَستجيد سوى كتابِ المَدْخَلِ
قَبَّلتهُ ولثمتُ فاهُ مُسلِّماً لثم الصَّديقِ فم الصديق المجملِ (١)

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق بهامش النسخة « فى نسخة : الصديق المقبل »

فدَنا إلىّ على المكانِ وقالَ لى أفديكَ من متمعشقٍ متغزلِ
إن كنتَ تلثمنى بودٍّ فاشفِنى بلِسانِ بطنِكَ فى فمى من أسفلى

وقد زاغ القلم وطاش ، بجريرة أبى رياش ، وأنا أستغفر الله من ذلك .

* * *

شاهد إيهام التضاد

١١٥ — لا تَعجَبِي يا سلْمَ من رَجلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسِهِ فبَكى

البيت لدِعْبِل من قصيدة (١) من الكامل أولها :

أينَ الشبابُ وأيةً سلَكا لا ، أين يطلَبُ ؟ ضلَّ ، بل هلكا

و بعده البيت ، و بعده :

يا سَلْمَ ما بالشيبِ منْقصةٌ لا سوقةً يبْقى ولا ملِكا
قَصرَ الغَوايةَ عن هوَى قمرٍ أجدُ السَّبيلَ إليهِ مُشتركا
يا ليْتَ شعرى كيْفَ نومكما يا صاحِبَيَّ إذا دمى سُفِكا
لا تأخذا بظُلامتى أحداً قلبي وطرْفى فى دمى اشتركا

حدث أبو هفان قال : قال مسلم بن الوليد [من السريع] :

مُستَعبِر يبكى على دِمنَةٍ ورأسُهُ يضحكُ فيهِ المشيبُ

فسرقه دعبل فقال ، وأنشد البيت ، فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار أحق به منه .

وحدث أبو المثنى قال : كنا فى مجلس الأصمعى فأنشده رجل لدعبل « لا تعجبى يا سلم ... البيت » فاستحسناه ، فقال الأصمعى : إنما سرقه من قول الحسين

---

(١) اقرأ أكثر هذه الأبيات فى الأغانى (١٨ - ٣٢ وما بعدها)

ابن مطير الأسدى [من الخفيف] :

أين أهلُ القِبابِ بالدَّهناء أين جيراننا على الأحساء

فارقونا والأرضُ مُلْبَسَةٌ نَوْ رَ الأقاحى تُجَادُ بالأنْوَاء

كلَّ يوم بأُقْحُوَانٍ جديدٍ تضحكُ الأرضُ من بكاء السماء

وروى عن أبى العباس المبرد أنه قال : أخذ ابن مطير قوله « تضحك الأرض من بكاء السماء » من قول دكين الراجز [من الرجز] :

جُنَّ النباتُ فى ذُراها وزَكا وضَحِكَ المزنُ به حتى بكى

وقال أبو هفان : أنشدت يوما بعض البصريين الحمقاء قول دعبل « ضحك المشيب برأسه فبكى » فجاءنى بعد أيام فقال : قد قلت أحسن من البيت الذى قاله دعبل ، فقلت : يا هذا وأى شىء قلت؟ فتمنع ساعة ثم قال [من الرجز] :

* قَهْقَهَ فى رأسِهِ القَتِيرُ *

وقد تداول الشعراء معنى بيت دعبل ، فمنه قول الراضى القرطبى [من مجزوء الكامل] :

ضحك المشيب برأسِهِ فَبَكَى بأعينِ كأسِهِ

رجلٌ تخوَّنه الزما نُ ببؤسِهِ وبيأسِهِ

فجرى على غُلوائِهِ طَلَقَ الجموحِ بفأسِهِ

أخذاً بأوفرِ حظِّهِ لرجائه من يأسِهِ

ومنه أيضاً قول ابن نباتة المصرى رحمه الله تعالى [من السريع] :

تبسُّمُ الشيب بذقْنِ الفتى يوجِبُ سَحَّ الدمعِ من جفْنِهِ

حسبُ الفتى بعد الصباذلَّةً أن يضحك الشيب على ذقنه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى أيضاً فى هذا المعنى [من مجزوء الرمل] :

ضحك الشيب برأسى فبكتْ عينى الشَّبَابا

أبيات فى البكاء على الشباب

ومن البكاء على الشباب ، وهو أبكى بيت قيل فى فقده ، وينسب لأبى الغصن الأسدى [من الوافر] :

أتأمُلُ رجْعَةَ الدنيا سفَاهاً وقدسار الشبابُ إلى الذهابِ

فَليْتَ البا كياتِ بكلِّ أرضٍ جُمِعْنَ لنا فَنُحْن على الشبابِ

وما أحسن قول أبى العلاء المعرى فيه أيضاً [من البسيط] :

وقد تعوَّضْتُ عن كلّ بمشْبِهِهِ فما وجدتُ لأيام الصبَا عِوَضا

وقول الآخر [من الكامل] :

شيَآنِ لو بكتِ الدماءَ عليهما عيناىَ حتى تؤْذنا بذهاب

لم تبلُغا المعشار من حقَّيهما فقْدُ الشباب وفُرقةُ الأحبابِ

ولأبى بكر بن مجير [من الكامل] :

رَحَلَ الشباب وماسمعتُ بعَبْرةٍ تجرى لمثْلِ فِرَاقِ ذاكَ الرَّاحِلِ

قد كنتُ أزْهَى بالشباب ولم أخَلْ أن الشَّبيبةَ كالخِضَاب الناصِلِ

ظِلُّ صفا لى ثم زَالَ بسرعةٍ يا ويحَ مغْتَرٍّ بظلٍ زائلِ

ولابن حمديس فى قريب من معناه [من الطويل] :

ولم أرَ كالدنيا خؤوناً لصاحبٍ ولا كمصابى بالشَّباب مصَابا

فَقَدْتُ الصبَا فابيضَّ مُسْوَدُّ لمَّتى كأنَّ الصبا للشيب كان خِضابا

ولأبى الفتح البستى فيه [من الخفيف] :

دعْ دموعى تَسيلُ سَيْلاً بدارا وضُلوعى يَصْلَيْنَ بالوَجْدِ نارا

قد أعادَ الأسَى نهارىَ لَيْلاً مذْ أعاد المشيبُ ليلى نَهارا

ولعلى بن محمد الكوفى فى البكاء من المشيب والبكاء عليه [من الوافر]:

بكى للشَّيبِ ثم بكى عليه فكانَ أعزَّ من فَقْدِ الشبابِ
فقلْ للشيب لا تبرحْ حميداً إذا نادى شبابى بالذهابِ

ومثله قول مسلم بن الوليد [من البسيط] :

الشيب كُرْهٌ وكُرْهٌ أن يُفارقنى فاعجبْ لشىءٍ على البغضاء مَوْدُود
يمضى الشباب وقد يأتى له خَلَفٌ والشيب يذهَبُ مفقوداً بمفقود

وقد أعاد مسلم بن الوليد هذا المعنى فقال [من البسيط] :

لا يرحل الشيبُ عن دار أقام بها حتى يُرَحِّلُ عنها صاحِبُ الدار

و يقال: إن مسلماً أخذ هذا المعنى من قول بعض الأعراب [من الرجز]:

أستغفر الله وأستقيله ما أنا ممن شَيبُهُ يَهُولُه
* أعظم من حلوله رحيلُهُ *

ومثل قول مسلم قول البحترى [من الوافر] :

يعيبُ الغانياتُ علىَّ شيبى ومَنْ لى أن أُمتَّعَ بالمشيبِ
ووجْدِي بالشباب و إن تقضَّى حميداً دونَ وجدى بالمشيب

وما أحسن قول كشاجم الكاتب [من الطويل] .

تفكرتُ فى شَيبِ الفتى وشبابه فأيقنتُ أن الحق للشيب واجبُ
يصاحِبنى شرخُ الشباب فينقضى وشيبى إلى حين الممات مُصاحب

و بديع قول الغزى [من الكامل] :

ذهبَ الشباب ذهابَ سهم مارقٍ لا يُستطاعُ مع التأسفِ ردُّهُ
وأتى المشيب بقضّه وقضيضه وأشدُّ من وجدانِ ذلك فقدُه
أنا فى السُّرى والسَّيْر كالطفل الذى يجدُ السكونَ إذا تحرَّكَ مهدُه
من يقتدحْ زنداً بكفٍّ مالها زندٌ فكيف تراه يقدح زنده

وبديع أيضاً قول حسن بن النقيب رحمه الله تعالى [من الكامل]:

لا تأسفَنَّ على الشباب وفقْده فعلى المشيب وفقْده يُتأسَّف
هاذاك يخلُفه سواه إذا انقضى ومضَى، وهذا إن مضى لا يُخلَف

وقوله أيضا [من المنسرح]:

عجبت للشيب كنت أكرَهه فاصبحَ القلب وهوَ عاشقُه(١)
وكنت لا أشتَهِى أراه وقد أصبَحْتُ لا أشتَهِى أفارقُه

وما أحسن قول الصفى الحلى [من الخفيف]:

لو تيقَّنْتُ أن شَيْبَ بياض الشيب يبقى لما كرِهت البياضا
غيرَ أنِّى علمتُ من ذلك الزَّا يِرِ ما يقتضى وما يتقاضى

ولأبى الفتح البستى رحمه الله تعالى فيه [من الكامل]:

يا شَيْبتى دومى ولا تترحَّلى وتيقَّنِى أنى بوصلك مُولَع
قد كنت أجزَعُ من حلولك مرة والآن من خوف ارتحالك أجزع

ولأبى اليمن الكندى فيه أيضاً [من الطويل]:

عفا الله عما جرَّه اللهو والصبا وما مرَّ من قَالِ الشباب وقيله
زمانٌ صحبناه بأرغد عيشة إلى أن مضى مستكرهاً لسبيله
وأعقبَنَا من بعدهِ غير مُشْتَهى مَشيباً نَفَى عنَّا الكَرَى بحلوله
لئن عَظُمَتْ أحزَانُنا بقُدومهِ فأعْظَمُ منها خوْفُنا من رَحيله

وقد خالف ابن الرومى حيث يقول [من المنسرح]:

---

(١) فى الأصول كلها
* عجبت للشيب كيف أكرهه *
كبر الظن أنه محرف عما أثبتناه

من كانَ يبكي الشبابَ من أسَفٍ فَلَستُ أبكي عليه من أسَفِ
كيفَ وشَرْخُ الشباب عرَّضني يومَ حِسَابي لِمَوْقفِ التلَفِ
لا صُوحِبَتْ شِرَّةُ الشباب ولا عدِمتُ ما في المَشِيبِ مِنْ خلَفِ

ومثله قول بعضهم [من الخفيف] :

لم أقُلْ للشبـاب في دعةَ الله ولا حفظـِهِ غَدَاةَ استَقَلاّ
زائرٌ زارنا أقامَ قَليلا سوَّدَ الصُّحْفَ بالذنوبِ وولى

ومن الجيد أيضا قول العلوى [من الوافر] :

لَعَمْرُكَ لَلمشيبُ عليَّ مما فَقَدْتُ من الشباب أجَلُّ فوتا
تَمَليتُ الشباب فصارَ شيباً ومُلِّيتُ المشيبَ فصار موْتا

وما أحسن أيضا قول الآخر [من البسيط] :

والمرء إن حَلَّ شَيْبٌ في مفارقه فما يفارِقُهُ أو يرحلانِ معا

وما أحسن قول المعرى في مدح الشيب [من الخفيف] :

خبرِيني ماذا كرِهتِ من الشيْـب فلا علم لى بذَنْبِ المشيب
أضِياءَ النهارِ أم وضَحَ اللؤ لؤِ أم كونَهُ كثغر الحبيبِ
أخبرِيني فضلَ الشباب وماذا فيه من مَنْظر يَسُرُّ وطيبِ
غَدْره بالخليل أم حبهُ للـ غي أم كونُهُ كعيش الأديبِ

وبالجملة فما أحسن قول الحافظ بن سهل بن غانم الأصفهاني وأصدقه [من مخلع البسيط] :

من شابَ قد ماتَ وهوَ حَيٌّ يمشي على الأرضِ مَشْيَ هالِكِ
لو كانَ عمرُ الفتى حِساباً لكان في شيبه فذلك

والشاهد في البيت : الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معنَيَاهما الحقيقيان ، فانه هنا لا تقابل بين البكاء وظهور الشيب ، لكنه عبر

عن ظهوره بالضحك الذى يكون معناه الحقيقى مضاداً لمعنى البكاء، و يسمى إيهام التضاد، لأن المعنيين المذكورين و إن لم يكونا متقابلين حتى يكون التضاد حقيقيا، لكنهما قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد، نظرا إلى الظاهر والحمل على الحقيقة.

ومن الشواهد على إيهام التضادّ قول أبى تمام الطائى [من الكامل] :

وتَنَظَّرِى خَبَبَ الركاب ينصها مُحْيِي القريض إلى مميت المال

فليس بين محيي ومميت هنا تضاد بالمعنى، إلا بما يتوهم من اللفظ، لأن محيي القريض هنا كناية عن مُجيده، ويعنى به نفسه، ومميت المال كناية عن مفنيه فى الكرم، وليس بينهما تضاد.

ومنه قول الشاعر [من الكامل] :

يبدى وِشاحاً أبيضاً من سيفه والجوُّ قد لبس الرداء الأغبَرا

فإن الأبيض ليس بضد الأغبر، و إنما يوهم بلفظه أنه ضده.

ترجمة دعبل الخزاعى

ودعبل [١] : هو ابن على بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعى، ويكنى أبا على. وهو شاعر مطبوع متقدم هَجَّاء خبيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء، ولا من وزرائهم، ولا من أولادهم، ولا ذو نباهة: أحْسَنَ إليه، أو لم يحسن، ولا أفلتَ منه كبير أحد.

وحدّث أبو هفان قال: قال لى دعبل: قال لى أبو زيد الأنصارى: مِمّ اشتق دعبل؟ قلت: لا أدرى، قال: الدعبل الناقة التى معها أولادها.

وحدّث محمد بن أيوب، قال: دعبل اسمه محمد، وكنيته أبو جعفر، ودعبل لقبٌ لقب به.

(١) تجد ترجمة دعبل فى الأغانى (١٨ : ٢٠ ـ ٦٠)

وعن أبي عمرو الشيباني قال : الدعبل البعير المسن .

وحدث دعبل قال : كنت جالسا مع بعض أصحابنا ذات يوم ، فلما قمت سأل رجل لم يعرفني أصحابنا عني ، فقالوا : هذا دعبل ، قال : قولوا في جليسكم خيراً ، كأنه ظن اللقب شتماً .

وقال دعبل : صُرِع مجنون مرةً ، فصحت في أذنه : « دعبل » ثلاث مرات ، فأفاق .

وكان سبب خروجه من الكوفة أنه كان يتشطر ، ويصحب الشطار ، فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة ، كان يروح كل ليلة بكيسه إلى منزله ، فلما طلع مقبلا عليهما وثبا عليه وجرحاه وأخذا ما في كيسه ، فإذا هي ثلاث رمانات في خرقة ولم يكن كيسه معه ليلتئذ ، ومات الرجل في مكانه ، واستتر دعبل وصاحبه ، وجدّ أولياء الرجل في طلبهما ، وجدّ السلطان أيضا في ذلك ، فطال على دعبل الاستتار ، فاضطر إلى أن يهرب من الكوفة ، فما دخلها حتى كتب إليه أهله أنه لم يبق من أولياء الرجل أحد .

وحدث أحمد بن أبي كامل قال : كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع ، وقد أفاد وأثرى ، وكانت الشراة [1] والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ، ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه ، وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه ، ودعا بغلاميه نفنف وشنغف [2] — وكانا مغنيين — فأقعدهما يغنيان ، وسقاهم وشرب معهم ، وأنشدهم ، فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة

---

(١) في الأصل « السراة » بالسين مهملة محرفا عما أثبتناه موافقا لما في الأغاني والشراة في الأصل جمع شار ، ثم أطلق على قوم من الخوارج

(٢) في الأغاني « ودعا بغلاميه ثقيف وشعف »

أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويَصِلونه . قال : وأنشدنى دعبل لنفسه فى بعد أسفاره [من الطويل] :

حللتُ محلاً يَقْصُر البرقُ دونهُ ويعجز عنه الطيفُ أن يتجشَّما

وحدث محمد بن عمر الجرجانى قال: دخل دعبلٌ الرى فى أيام الربيع ، فجاءهم ثلج لم ير مثله فى الشتاء ، فجاء شاعر من شعرائهم ، فقال شعراً ، وكتبه فى رقعة وهو [من الخفيف]

جاءنا دِعبلٌ بثلج من الشعـــر فجادت سماؤنا بالثلوج
نزل الرى بعد ما سكن البر دُ وقد أينعت رياضُ المروجِ
فكسانا ببرده لا كساه الله ثوباً من كرسفٍ محلوجِ

وألقى الرقعة فى دهليز دعبل ، فلما قرأها ارتحل عن الرى .

وحدث أحمد بن خالد ، قال : كنا يوما عند دار رجل ، يقال له صالح [ابن على](١) ابن عبد القيس ببغداد ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على كنيسة فى سطحها ديك طار من بيت دعبل ، فلما رأيناه قلنا هذا صيد ، فأخذناه ، فقال صالح: ما نصنع به ؟ قلنا: نذبحه ، فذبحناه وشويناه يومنا ، وخرج دعبل فسأل عن الديك ، فعرف أنه سقط فى دار صالح ، فطلبه منا فجحدناه ، وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دعبل ، فصلى الغداة ، ثم جلس على باب المسجد ، وكان ذلك المسجد مجمع الناس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، ونبهاء الناس ، فجلس دعبل على باب المسجد ، وقال [من الكامل] :

أسَرَ المؤذِّنَ صالحٌ وضيوفُهُ أسْرَ الكميِّ هفا خلالَ المأقط

---

(١) زيادة عن الأغانى (١٨ ـ ٣٣) وقال فى رواية أخرى لهذا الخبر : وهو صالح بن بشر بن صالح بن الجارود العبدى

بَعثُوا عليه بناتِهمْ وبنيهمُ ... مابينَ ناتفةٍ وآخر سامطِ
يتنازعون كأنهم قد أوثقوا ... خاقان أوهزموا كتائب ناعط
نهشوه فانتزعتْ له أسنانهمْ ... وتهشمتْ أقفاؤهمْ بالحائطِ

قال: فكتبها الناس عنه ومضوا، فقال لى أبى، وقد رجع إلى البيت: ويحكم! ضاقت عليكم المآكل، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل ثم أنشدنا الشعر، وقال لى: لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليها إلا اشتريت ذلك لدعبل و بعثت به إليه، و إلا أوقعتنا فى لسانه، ففعلتُ ذلك.

قال: وناعط: قبيلة من همدان، وأصله جبل نزلوا به فنسبوا إليه.

وقال دعبل: كنا يوما عند سهل بن هارون الكاتب البليغ، وكان: شديد البخل، فأطلنا الحديث واضطره الجوع إلى أن دعا بغداء له، فأتى بقصعة فيها ديك جاسٍ هَرِم، لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرس، فأخذ كسرة خبز، فخاض بها مرقته وقلب جميع مافى القصعة ففقد الرأس، فبقى مطرقا ساعة ثم رفع رأسه، وقال للطباخ: أين الرأس؟ فقال: رميت به، فقال: ولم؟ قال: ظننتك لا تأكله، قال: بئس ما ظننت! والله إنى لأمقُتُ من يرمى برجليه، فكيف من يرمى برأسه، والرأس رئيس، وفيه الحواسّ الأربع، ومنه يصيح ولولا صوته لما فضل، وفيه فرقه الذى يتبرك به، وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل، فيقال: شَرابُ كعين الديك، ودماغه عجب لوجع الكليتين، ولم ير عظم قط أهشّ من عظم رأسه، أوما علمت أنه خير من طرف الجناح، ومن الساق، ومن العنق، فان كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله [فانا نأكله][1]، فانظر أين هو؟ قال: لا أدرى والله أين هو، رميتُ به، قال: لكنى أدرى أين هو، رميت به فى بطنك فالله حَسيبُكَ.

وحدّث إبراهيم بن المدبر، قال: لقيت دعبل بن علىّ، فقلت له: أنت

(١) زيادة لابد منها.

أخبر الناس عندى وأقدمهم حيث تقول ، يعنى فى حق المأمون [من الكامل] :

إنى من َالقوم الذين َ سيوفهم ْ قتلت ْ أخاك َ وشر ّفتك َ بمقعد ِ
رفعوا مَحلك َ بعد طول خُموله ِ واستنقذوك َ من الحضيض الأوهد ِ

فقال لى : يا أبا إسحاق ، أنا أحمل خشبتى منذ أربعين سنة ، فلا أجد من يصلبنى عليها بعد .

وبات دعبل ليلة عنـد صديق له من أهل الشأم ، وبات عندهم رجل من أهل بيت لهيان ، يقال له حوى بن عمرو السكسكى ، وكان جميل الوجه ، فدبّ إليه صاحب البيت ، وكان شـيخا كبيراً فانياً قد أتى عليه حين ، فقال فيه دعبل [من السريع] :

لولا حوىّ لبيت لهيان ما قام َ أير ُ العزب الفانى
له ُ دَواة ُ فى سراويله ِ يليقها النازح ُ والدانى

وشاع هذان البيتان ، فهرب حوىّ من ذلك البلد ، وكان الشيخ إذا رأى دعبلا سبه ، وقال : فضحتنى أخزاك الله ! ! .

وحدّث محمد بن الأشعث قال : سمعت دعبلا يقول : ما كانت لأحد عندى منة قط إلا تمنيت موته .

وكان دعبل قد مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، فأنشده ماقاله فيه ، وهو جالس وفى يده طومار قد جعله على فيه كالمتكىء [عليه] (١) وهو جالس ، فلما فلما فرغ أمر له بشىء قليل لم يرضه ، فقال [من البسيط] :

يا من ْ يقبـل ُ طوماراً ويلثمه ُ ماذا بقلبك َ من حُب ّ الطوامير ِ
فيه مَشابه ُ من شىء تُسَر ّ به ِ طولاً بطول ٍ وتدويراً بتدوير ِ

---

(١) زيادة عن الأغانى (١٨ – ٣٨)

لو كنتَ تجمعُ أموالاً كجمعكها ... إذاً جمعتَ بيوتاً من دنانيرِ

وقال دعبل فى الفضل بن مروان [من الطويل] :

نصحتُ فأخلصتُ النصيحة فى الفضلِ ... وقلتُ فسيرت المقالة فى الفضلِ

ألا إنَّ فى الفضلِ بن سهلٍ لعبرةً ... إذا اعتبرَ الفضل بن مروانَ بالفضلِ

وللفضلِ فى الفضلِ بن يحيى مواعظٌ ... إذا فكرَ الفضلُ بن مروان فى الفضلِ

فأبْقِ جميلاً من حديثٍ تفزْ به ... ولا تدعِ الاحسانَ والأخذَ بالفضلِ

فإنكَ قدْ أصبحتَ للملكِ قَيِّماً ... وصرتَ مكانَ الفضلِ والفضلِ والفضلِ

ولم أرَ أبياتاً منَ الشعرِ قبلها ... جميعُ قوافيها على الفضلِ والفضلِ

وليسَ لها عيبٌ إذا هىَ أنشدَتْ ... سوى أنَّ نصحى الفضلَ كان من الفضلِ

فبعث إليه الفضلُ بدنانير ، وقال له : قد قبلت نصحك ، فاكفنى خيرك وشرك .

وحدّث محمد بن حاتم المؤدب ، قال : قيل للمأمون : إن دعبلا قد هجاك ، فقال : وأىّ عجب فى هذا ؟ هو يهجو أبا عباد فلا يهجونى أنا ، ومَنْ أقدمَ على جنون أبى عباد أقدم على حلمى ، ثم قال لجلسائه : من كان فيكم يحفظ شعره فى أبى عباد فلينشده ، فأنشده بعضهم [من الكامل] :

أولى الأمورِ بضيعةٍ وفسادِ ... أمرٌ يدبرُهُ أبو عبادِ

خرقٌ على جلسائه فكأنهم ... حضروا لملحمة ويوم جلادِ

يسطو على كتابه بدواته ... فمضمخ بدمٍ ونضحِ مدادِ

وكأنه من دير هِرقلَ مفلتٌ ... حَرِدٌ يجرُّ سلاسلَ الأقيادِ

فاشددْ أميرَ المؤمنين وثاقهُ ... فأصحُّ منه بقيةُ الحدَّادِ

قال : وكان بقية هذا مجنونا فى المارستان ، فضحك المأمون ، وكان إذا

نظر إلى أبي عباد يضحك ، ويقول لمن يقرب منه : والله ما كذب دعبلٌ في قوله .

وحدّث أبو ناجية ، قال : كان المعتصم يبغض دعبلا لطول لسانه ، وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب إلى الجبل ، وقال يهجوه ، [من الطويل] :

بكى لشتات الدين مكتئبٌ صبٌّ وفاضَ بفرط الدمع من عينه غَرْبُ

وقامَ إمامٌ لم يكنْ ذا هِدايةٍ فليسَ له دينٌ وليس لهُ لبُّ

وما كانت الأنباء تأتي بمثلهِ يُملَّكُ يوماً أوتدينُ لـهُ العُرْبُ

ولكن كما قال الذين تتابعُوا من السلف الماضي إذاعظمَ الخَطبُ

ملوكُ بني العباسِ في الكتبِ سبعةٌ ولم تأتنا عن ثامنٍ لهمُ كتبُ

كذلكَ أهلُ الكهف في العدّ سبعةٌ خيارٌ إذا عُدُّوا ، وثامنهم كلبُ

وإني لأُعلِي كلبهمْ عنكَ رفعةً لأنكَ ذو ذنبٍ وليسَ لهُ ذَنبُ

لقدضاعَ ملكُ الناسِ إذساسَ ملكهمْ وصيفٌ وأشناسٌ وقدعظم الكربُ(١)

وفضلُ بنُ مَرْوان سيثلمُ ثلمةً يظلّ لها الاسلامُ ليسَ لهُ شَعْبُ(٢)

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة هنا ما نصه « قوله وأشناس ، كذا في النسخ ، وفي نسخة وأشناف ، ولعل الصواب وأصناف » اه . وما ظنه صوابا أبعد ما يكون عن الصواب . ووصيف وأشناس غلامان من غلمان الأتراك الذين جلبهم المعتصم ليستعين بهم على الفرس والعرب ، فكانوا علة العلل في ضياع سلطان الخلافة ، وقد وصل كل واحد منهما إلى رتبة القائد في عهد المعتصم

(٢) في الأصل « يظل له الاسلام » وما أثبتناه موافق لما في الأغاني (١٨ : ٤٠) .

ولما مات المعتصم قال ابن الزّيات يرثيه [من المنسرح] :

قد قلتُ إذ غيبوهُ وانصرفوا   في خير قبرٍ لخير مدفونِ
لن يجبر الله أمة فقدتْ   مثلك إلا بمثل هرونِ

فقال دعبل يعارضه [من المنسرح] :

قد قلتُ إذ غيبوه وانصرفوا   في شرّ قبرٍ لشرّ مدفونِ
اذهبْ إلى النار والعذاب فما   خلتك إلا من الشياطينِ
مازلتُ حتى عقدْتَ بيعةَ منْ   أضرَّ بالمسلمين والدينِ

وحدّث محمد بنُ جرير ، قال : أنشدَني عبد الله بنُ يعقوب هذا البيت وحده لدعبل ، يهجو به المتوكل ؛ وما سمعت له غيره فيه ، [من الوافر] :

ولستُ بقائلٍ بدعا ولكنْ   لأمرٍ ما تَعَبَّدَكَ العبيدُ

قال : يرميه في هذا البيت بالأبنة .

وحدّث محمد بن جرير قال : كنت مع دعبل بالصيمرة ، وقد جاءنا نعى المعتصم ، وقيام الواثق ، فقال لى دعبل : أمعك ما تكتب فيه ؟ قلت : نعم ، فأخرجت قرطاسا ، فأملى على بديها [من البسيط] :

الحمد لله لا صبرٌ ولا جلدُ   ولا عزاءٌ إذا أهلُ البلا رقدُوا
خليفةٌ ماتَ لم يحزن له أحدٌ   وآخر قامَ لم يفرح به أحدُ

وكان المأمون قد تطلب دعبلا ، وجدّ في ذلك وهو طائر على وجهه ، حتى دسّ إليه قوله [من الكامل] :

علم وتحكيمٌ وشيب مفَارق   تطميسُ ريعان الشباب الرائقِ
وإمارةٌ في دولةٍ ميمونةٍ   كانت على اللذات أشغبَ عائقِ

نَمَوْا ابن شكلةَ بالعراقِ وأهلِهِ فهَفَا إليـه كلُّ أخرقَ مائقِ(١)
أنَّى يكونُ ولا يكونُ ولم يكنْ يرثُ الخلافةَ فاسقٌ عن فاسقِ(٢)
إن كان إبراهيم مضطلعا بها فلتصلُحَنْ من بعـده لمخـارقِ

ولما قرأها المأمون ضحك ، وقال : قد صفحت عن كل ما هجانا به إذ قرن إبراهيم بمخارق فى الخلافة وولاه عهده ، ثم إنه كتب إلى دعبل أمانا ، فلما دخل وسلم عليه تبسم فى وجهه ، وقال أنشدنى :

* مدارسُ آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ *

فجزع ، فقال له : لك الأمان ، فلا تخف ، وقد رويتها ، ولكنى أحب سماعها من فيك ، فأنشده إياها إلى آخرها والمأمون يبكى ، حتى اخضلت لحيته بدمعه ، ثم إنه أحسن إليه وانسرّ به ، حتى كان أول داخل إليه ، وآخر خارج من عنده ، ثم عاد إلى خباثته ، وشاعت له أبيات بعدها أيضا ، يهجو بها المأمون .

وحدَّث دعبل قال : دخلت على علىّ بن موسى الرضى ، فقال : أنشدنى مما أحدثت ، فأنشدته [من الطويل] :

مَدَارِسُ آياتٍ خلَتْ مِنْ تِلَاوَةٍ ومنْزِلُ وحْيٍ مُقْفِرُ العَرَصَاتِ

---

(١) فى الأصل «ابن شكلة» محرفا عما أثبتناه ، والبيت ساقط من الأغانى وابن شكلة : إبراهيم بن المهدى عم المأمون ، وكان قد خرج عليه وطلب الخلافة لنفسه ، وكان يحسن الغناء ويجيده . ثم أخذه المأمون وعفا عنه ، ومخارق : مغن معروف

(٢) فى الأغانى

« أنى يكون وليس ذاك بكائن *

حتى انتهيت إلى قولي فيها:

إذا وُتِروا مدُّوا إلى واتِريهمُ أكُفًّا عن الأوتارِ مُنقبِضاتِ

قال: فبكى عنده حتى أغمى عليه، فأومأ إلىَّ خادم كان على رأسه أن أسكت فسكتُ، فمكث ساعة ثم قال لى: أعد، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت فأصابه مثل الذى أصابه فى المرة الأولى، وأومأ الخادم أيضاً إلىَّ أن أسكت، فسكت، ثم مكث ساعة أخرى ثم قال لى: أعد، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها، فقال: أحسنت أحسنت، ثلاث مرات، ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه، ولم تكن دفعت إلى أحد بعدُ، وأمر لى مَنْ فى منزله بحلى كثير أخرجه إلىَّ الخادم فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة، اشتراها منى الشيعة، فحصل لى مائة ألف درهم، فكان أول مال اعتقدته.

ثم إن دعبلا استوهب من على بن موسى الرضى رضى الله عنهما ثوبا قد لبسه ليجعله فى أكفانه، فخلع جبة كانت عليه فأعطاه إياها وبلغ أهلَ قُمٍّ خبرُها فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم، فلم يفعل، فخرجوا عليه فى طريقه فأخذوها غصبا، وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل، وإلا فأنت أعلم، فقال لهم: إنى والله لا أعطيكم إياها طوعا، ولا تنفعكم غصباً، وأشكوكم إلى الرضى، فصالحوه على أن أعطوه ثلاثين ألف درهم وفرد كُمٍّ من بطانتها، فرضى بذلك.

وحدث دعبل قال: لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدى، وعزمت على أن أعمل قصيدة فى عبد الله بن طاهر فى تلك الليلة، فانى لفى ذلك إذ سمعت والباب مردود على قائلا يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أألج يرحمك الله؟ فاقشعر بدنى من ذلك، ونالنى أمر عظيم، فقال لى: لا تَرُعْ فإنى رجل من إخوانك من الجن من ساكنى اليمن طرأ علينا طارىء من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك * مدارس آيات.. إلى آخرها * فأحببت أن أسمعها منك،

قال : فأنشدته إياها ، فبكى حتى خر ثم قال : يرحمك الله ألا أحدثك بحديث فى نيتك ويعينك على التمسك بمذهبك ؟ قلت : بلى ، قال : مكثت حيناً أسمع بجعفر بن محمد رحمهما الله تعالى ، فصرت إلى المدينة المنورة فسمعته يقول : حدثنى أبى عن أبيه عن جده رضى الله عنهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « على وشيعته هم الفائزون » ثم ودعنى لينصرف فقلت : يرحمك الله ! إن رأيت أن تخبرنى باسمك فافعل ، قال : أنا ظبيان بن عامر .

وحدث إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : بويع إبراهيم بن المهدى ببغداد وقد قل المال عنده ، وكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوباش الناس وأوغادهم ، فاحتبس عليهم العطاء ، فجعل إبراهيم يسوّفهم وهم لا يرون لوعده حقيقة ، إلى أن خرج رسوله إليهم يوماً وقد اجتمعوا وضجوا فصرّح إليهم بأنه لا مال عنده ، فقال قوم من غوغاء أهل بغداد : أخرجوا إلينا خليفتنا ليغنّى أهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون عطاءهم ولأهل هذا الجانب مثلها ، قال إسحاق : فأنشدنى دعبل بعد أيام [من السريع] :

يامَعْشَرَ الأَجْنَادِ لا تَقْنَطُوا وارْضَوْا بِمَا كانَ ولاتَسْخَطُوا[1]
فَسَوْفَ تُعْطَوْنَ حُنَيْنِيَّةً يَلْتَذُّهَا الأَمْرَدُ والأَشْمَطُ
والمَعْبَدِيَّاتُ لِقُوَّادِكُمْ لا تَدْخُلُ الكِيسَ ولا تُرْبَطُ
وهَكَذَا يَرْزُقُ قُوَّادَهُ خَلِيفَةٌ مُصْحَفُهُ البَرْبَطُ

ودخل عبدالله بن طاهر على المأمون فقال له : أى شىء تحفظ ياعبدالله لدعبل ؟ قال: أحفظ أبياتاً له فى أهل بيت أمير المؤمنين ، قال : هاتها ، فأنشده عبدالله قوله [من البسيط] :

(١) فى الأصل « ألا معشر الأجناد » ولا يستقيم به وزن البيت ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٨ ـ ٤٣)

سقياً ورعياً لأيام الصبابات أيام أرفل فى أثواب لذاتى
أيام غصنى رطيب من ليانته أصبو إلى غير جارات وكنات
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه واقذف برجلك عن متن الجهالات
واقصد بكل مديح أنت قائله نحو الهداة بنى بيت الكرامات

فقال المأمون : إنه وجد والله مقالا فقال ، ونال ببعيد ذكرهم مالا يناله فى وصف غيرهم ، ثم قال المأمون : لقد أحسن فى وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه [من الطويل] :

ألم يأن للسفر الذين تحملوا إلى وطن قبل الممات رجوع
فقلت ولم أملك سوابق عبرة نطقن بما ضمت عليه ضلوع
تبين فكم دار تفرق شملها وشمل شتيت عاد وهو جميع
كذاك الليالى صرفهن كما ترى لكل أناس جدبة وربيع (١)

ثم قال المأمون : ماسافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عينى وهجيراى ومسليتى حتى أعود .

ومن شعره يهجو [من مجزوء الخفيف] :

رفع الكلب فاتضع ليس فى الكلب مصطنع
بلغ الغـاية التى دونها كل ما ارتفع
إنما قصر كل شئ إذا طار أن يقع
لعن الله نخوة صار من بعدها ضرع

ومن شعره يهجو أيضاً [من البسيط] :

---

(١) في مطبوعة بولاق * طوال الليالي صرفهن كما ترى * وقد أثبتنا ما في الأغانى ، إذكان كل ماهنا مأخوذا عنه

سُمْتُ المَدِيحَ رجالاً دون مالهمُ ردٌّ قبيحٌ وقولٌ لَيْسَ بالحَسَن
فلم أفُزْ مِنْهُمْ إلا بما حَمَلَتْ رِجْلُ البَعُوضةِ مِنْ فخَّارةِ اللَّبَن

ومنه قوله فيمن استشفع به فى حاجة فاحتاج إلى شفيع يشفع له [من السريع]:

يا عَجَباً لِلْمُرتَجِى فَضْلَهُ لَقَدْ رَجا ما لَيْسَ بالنافع
جئنا به يَشْفَعُ فى حاجةٍ فاحْتاجَ فى الاذنِ إلى شافع

وحدث دعبل قال : خرجت إلى الجبل هارباً من المعتصم ، فكنت أسير فى بعض طريقى والمُكارى يسوق بى بغلا تحتى وقد أتعبنى تعبا شديداً ، فتغنى المكارى بقولى [من الكامل] :

لا تَعْجَبِى يا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِهِ فبكى

فقلت له وأنا أريد أن أتقرب إليه ليكف ما يستعمله من الحث للبغل لئلا يتعبنى : تعرف لمن هذا الشعر يافتى ؟ قال : لمن ناك أمه وغرم درهمين ، فما أدرى من أى أموره أعجب : أمن هذا الجواب ، أم من قلة الغرم على عظم الجناية .

وحدث على بن عبدالله بن مسعدة قال : قال لى دعبل وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة فى عيسى بن البراء النصرانى [من الرجز] :

زُنَّارُه فى خَصْرِهِ مَعْقُود كأنه مِنْ كَبِدِى مَقْدُودُ

والله ما أعلم أنى حسدت أحداً كما حسدت بكراً على قوله * كأنه من كبدى مقدود * وكان بكر هذا وراقا ضيقا عيشه معاقرا للشراب فى منازل الخمارين وحاناتهم وكان طيب الشعر مليحا مطبوعا حسنا ماجنا خليعاً ، وكانت الخمرة قد أفسدت عقله فى آخر عمره ، فصار يهجو ويمدح بالدرهم والدرهمين ونحو هذا ، فاطرح

وحدث بعض الكوفيين قال : حضرنا دعوة ليحيى بن أبى يوسف القاضى وبتنا عنده ونمت ، فما أنبهنى إلا صياح بكر يستغيث من العطش ، فقلت له : مالك؟ قم فاشرب فالدار ملأى ماء ، قال : أخاف ، قلت : من أى شىء؟ قال : فى الدار

كلب كبير فأخاف أن يظننى غزالا فيثب على ويقطعنى ويأكلنى ، فقلت له : خرب الله بيتك ! أنت والله بالخنازير أشبه منك بالغزلان ، قم فاشرب إن كنت عطشانا وأنت آمن ، وكان عقله قد فسد من كثرة الشرب .

وحدث أحمد بن عثمان الطبرى قال : سمعت دعبل بن على يقول : لما هاجيت أبا سعد المخزومى أخذت معى جوزاً ودعوت الصبيان فأعطيتهم منه وقلت لهم : صيحوا به قائلين [من مجزوء الخفيف] :

يا أبا سعد قوصره زانى الأخت والمرهْ
لو تراه مجيبا خلته عقد قنطرهْ
أو ترى الأير فى استه قلت ساق بمقطره

فصاحوا به فغلبته

ولأبى سعد المخزومى يهجو دعبلا ، وكان قد دعاه إلى بيته ، وأضافه [من المنسرح] :

لدعبلٍ منةٌ يمنُّ بها فلستُ حتى الممات أنساها
أدخلنا بيتَهُ فأكرمنا ودسّ امراتهُ فنكناها

وحدث أبو سعد المخزومى ، واسمه عيسى بن خالد الوليد ، قال : أنشدت المأمون قصيدتى الدالية التى رددتُ فيها على دعبل قوله [من الكامل] .

ويَسومنى المأمونُ خُطةَ عاجز أو ما رأى بالأمس رأسَ محمدِ

وأول قصيدتى [من الكامل] :

أخذَ المَشيبُ من الشباب الأغيد والنائباتُ من الأنام بمرصدِ

ثم قلت له : يا أمير المؤمنين ائذن لى أن أجيئك برأسه ، فقال : لا ، هذا رجل قد فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا ، فأما قتله فلا حجة فيه

وكان الرشيد قد غنى بقول دعبل :

* لا تعجبي يا سَلم مِنْ رَجُل ...... الأبيات *

فطرب لها وسأل عن قائلها ، فقيل : لدعبل غلام نشأ من خُزَاعة فأمر له بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه ومركب من مراكبه ، وجهز له ذلك مع خادم من خدمه إلى خزاعة ، فأعطاه الجائزة وأشار عليه بالمسير إليه ، فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس فجلس ، واستنشده الشعر ، فأنشده إياه ، فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقا سنيا ، فكان أول من حرضه على قول الشعر ، ثم إنه مابلغه أن أن الرشيد مات حتى كافأه على فعله بأقبح مكافأة وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت رضى الله عنهم وهجا الرشيد [من البسيط] :

وليْسَ حيٌّ من الأحياء نَعلمه … من ذى يَمانٍ ولا بكرٍ ولا مُضَرِ
إلا وهم شركاء فى دمائهم … كما تشارك أيسارٌ على جُزُرِ
قتلٌ وأسْرٌ وتحريقٌ ومنهبة … فعلُ الغزاة بأرض الروم والخزَرِ
أرى أمية معذُورين إن قتلوا … ولا أرَى لبنى العَباس من عذُرِ
أرْبع بطوس على القبْر الزكى إذا … ما كنْتَ تربع من دير إلى وطر (١)
قبْران فى طوس خيرُ الناس كلهم … وقبر شرُّهم ، هذا من العبَرِ
ماينفعُ الرِّجس من قرب الزكى ولا … على الزكى بقرب الرِّجس من ضرر (٢)
هيهات كل امرىء رَهْنٌ بما كسبت … له يداه ، فخذْ ما شئت أو فَذَرِ

يعنى قبر الرشيد وقبر موسى الكاظم ، ولعمرى لقد هذا هذا ، ولنفسه ظلم وآذى

(١) فى مطبوعة بولاق * . . . من دين على وطر * وأثبتنا ما فى الأغانى

(٢) فى مطبوعة بولاق * ما ينفع الرجس من قبر الزكى . . * وقد أثبتنا ما في الأغانى ، وهو أتم مقابلة مع عجز البيت

وحدث أبو حفص النحوى مؤدب آل طاهر ، قال : دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو ببغداد [من المنسرح] :

جئتُ بلا حُرْمةٍ ولا سَبَبِ إليك إلا بحُرْمة الأدبِ
فاقْضِ ذِمَامِى فإننى رَجُلٌ غيرُ مُلِحٍّ عليك فى الطلبِ

قال: فانتقل عبد الله ودخل إلى الحرم ووجَّه إليه بصُرّة فيها ألف درهم ، وكتب إليه معها [من الكامل] :

أعجلتَنا فأتاك عاجلُ برِّنا ولوِ انتظرتَ كثيرَه لم يقلِلِ
فخُذِ القليلَ وكن كأنك لم تسل ونكون نحنُ كأننا لم نفعَلِ

وكان دعبل قد قصد مالك بن طوق ومدحه فلم يرض ثوابه فخرج عنه وقال فيه [من السريع] :

إنَّ ابنَ طوْق وبنى تغلب لو قُتلوا أوجُرِحُوا قصره
لم يأخذوا من دية درهما يوما ولا من أَرْشِهِم بعْرَهْ
دماؤهم ليسَ لها طالبٌ مطلولة مِثْلَ دم العذره
وجوهُهُم بيضٌ وأحسابهُمْ سودٌ وفى آذانهم صفره

وقال فيه أيضا [من السريع] :

سألت عنكم يابنى مالك فى نازح الأرْضِينَ والدانيه
طرًّا فلم نعرف لكم نسبة حتى إذا قلتُ بنى الزّانيهْ
قالوا فَدَعْ داراً على يمنةٍ وتلكَ هادارُهُم ثانيهْ

فبلغت الأبيات مالكا، فطلبه، فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العباس ابن محمد بن على العباسى ، وكان قد بلغه هجاء دعبل وعبدالله بن عيينة نزارا فأما ابن عيينة فانه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه ، وأما دعبل فانه حين دخل البصرة بعث إليه فقبض عليه ، ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه فحلف

بالطلاق على جحدها وبكل يمين تُبرىء من الدم أنه لم يقلها ، وأن عدوًّا له قالها ـ إما أبو سعد المخزومى أو غيره ـ ونسبها إليه ليغرى بدمه ، وجعل يتضرع إليه ، ويقبل الأرض ويبكى بين يديه فرقا له ، فقال : أما إذا أعفيتك من القتل فلابد أن أشهرك ، ثم دعا له بالعصى فضرب به حتى سلح ، وأمر به فألقى على قفاه وفتح فمه ، فرد سلحه فيه ، والمقارع تأخذ رجليه ، وهو يحلف أن لا يكف عنه حتى يستوفيه و يبلعه أو يقتله ، فما رفعت عنه حتى بلع سلحه كله ، ثم خلاه فهرب إلى الأهواز ، و بعث مالك بن طوق رجلا حصيفا مقداما وأعطاه سُمًّا وأمره أن يغتاله كيف شاء ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يطلبه حتى وجده فى قرية من نواحى السوس ، فاغتاله فى وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة ، فضرب ظهر قدمه بعكاز لها زج مسموم ، فمات من الغد ، ودفن بتلك القرية ، وقيل : بل حمل إلى السوس فدفن فيها .

وكانت ولادته فى سنة ثمان وأربعين ومائة . ووفاته فى سنة ست وأربعين ومائتين .

ولما مات ـ وكان صديق البحترى ، وكان أبو تمام قد مات قبله ـ رثاهما البحتريّ بقوله [من الكامل] :

قدْ زادَ فى كلفى وأوقدَ لوعتى ... مثْوَى حبيب يوم مات ودعبلِ
أخوىّ لا تزلِ السماء مخيلةً ... تغشا كما بسماء مزنٍ مُسْبَلِ
جدثٌ على الأهواز يبعدُ دُونهُ ... مسرَى النعىّ ورِمَّةٌ بالموصلِ (١)

وَدعبل ـــ بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة .

---

(١) فى الأصل « ورمسه بالموصل » محرفا عما أثبتناه ، وانظر هذه الأبيات فى هبة الأيام (٥٠) ، ثم انظرها فى خمسة أبيات ، فى أخبار أبى تمام (٢٧٤ ـ ٢٧٥) وفي الموازنة (٤٢) ولا توجد هذه الأبيات فى ديوان البحترى .

١١٦ — ما أحسن الدين وَالدُّنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والافلاسَ بالرّجُلِ — شاهد المقابلة

البيت من البسيط ، وَيُعْزَى لأبى دُلَامة .

يحكى أن أبا جعفر المنصور سأل أبا دُلامة عن أشعر بيت قالته العرب فى المقابلة ، فقال : بيت يلعب به الصبيان ، قال : وما هو على ذاك ؟ قال : قول الشاعر ، وَأنشده البيت .

قال ابن أبى الأصبع : لا خلاف فى أنه لم يقَلْ قبله مثله ، فانه قابل بين أحسن وأقبح ، والدين والكفر ، والدنيا والافلاس ، وهو من مقابلة ثلاثة بثلاثة وَكلما كثر عدد المقابلة كانت أبلغ .

وأحسن من بيت أبى دُلامة قول المتنبى [من الطويل] :

فلا الجودُ يفنى المالَ والجدّ مقبلٌ ولا البخلُ يبقى المالَ والجدُّ مدبرُ

ومن المقابلة قول النابغة الجعدى [من الطويل] : — أمثلة من حسن المقابلة

فتى تمّ فيه ما يَسُرُّ صديقَـهُ على أن فيه ما يسوء الأعاديا

وقول الفرزدق [من الطويل] :

و إنا لنمضى بالأكف رماحنا إذا أُرعشتْ أيديكمُ بالمعالقِ

وقول عبد الله بن الزّبير الأسدى [من الوافر] :

فردّ شعورهنّ السودَ بيضاً وَرَدّ وُجوههن البيضَ سودَا

وقول أبى تمـام [من البسيط] :

يا أُمةً كان قبحُ الجور يسخطها دَهراً فأصبح حسنُ العدل يُرْضِيها

وقول البحترى [من الخفيف] :

فإذا حاربوا أذلّوا عزيزاً وإذا سالموا أعزّوا ذَليلاً

وقول يزيد بن محمد المهلبى لسليمان بن وهب [من الطويل] :

فمنْ كانَ للآثامِ والذّلّ أرضهُ فأرضكُمُ للأجرِ والعزّ معقِلُ

وقول العباس بن الأحنف [من السريع] :

اليومُ مِثلُ الحولِ حتى أرى وَجهكَ والساعةُ كالشهرِ

لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثنى عشر .

ولمؤلفه من أبيات [من السريع] :

لو كانَ ذا الكاشحُ فى بلدتى لم يستطعْ يُومِضُني ومَضًا[1]
وكنتُ فى العزِّ سماءً لهُ وكانَ لى مِنْ ذلهِ أرْضًا

وحسنٌ فى المقابلة قول الشريف الموسوى [من البسيط] :

ومنظرٍ كانَ بالسرَّاء يضحكُني ياقربَ ما عادَ بالضرَّاء يُبكيني

وقول أبى عبد الله الغوَّاص [من البسيط] :

جَهلُ الرئيسِ وحقِّ اللهِ يضحكُنا وفعلهُ وإلهِ الناسِ يُبكينا

وقول ابن شمس الخلافة [من الرمل] :

طالتِ الشقوَةُ للمرءِ إذا قصرَ الرزقُ وطالَ العمرُ

وقول السرىّ الرفاء [من مجزوء الرجز] :

وصاحب يقدحُ لى نارَ السرُورِ بالقدَح
فى روضةٍ قد لبستْ من لؤلؤ الطلَّ سبحْ
والجوُّ فى مُمسَّكٍ طرازُهُ قوسُ قزَحْ
يبكى بلاَ حزنٍ كماً يضحكُ من غيرِ فرحْ

وقوله وقد شرب ليلة فى زورق [من الطويل] :

ومعتدلٍ يسعى إلىَّ بكأسهِ وقد كادَ ضوءُ الصبحِ بالليلِ يفتكُ

---

(١) في مطبوعة بولاق « لو كان ذاك الكاشح » بزيادة الكاف التى يختل بها الوزن .

وقد حجبَ الغيمُ السماءَ كأنّما يُزَرُّ عليها منه ثوبٌ ممسّكُ
ظَلِلْنا نبثُّ الوجدَ والكأسُ دائرٌ ونهتكُ أستارَ الهوى ونُهتّكُ
ومجلسنا فى الماءِ يهوى ويرتقى وإبريقنا فى الكأس يبكى ويضحك

وقول التمام الحداد المصرى [من المنسرح]:

أما ترى الغيثَ كلما ضحكتْ كمائمُ الزهرِ فى الرياض بكَى
كالحِبِّ يبكى لديهِ عاشقهُ وكلما فاضَ دمعُهُ ضحكا

وما أحسن قول الأرَّجانى وأرشقه [من مخلع البسيط]:

شبتُ أنا والتحى حبيبى حتى برغمى سلوتُ عنهُ
وابيضّ ذاكَ السوادُ منى واسودّ ذاكَ البياضُ منهُ

وما أصفى قول الصفى الحلى [من الطويل]:

مليحٌ يغيرُ الغصنَ عنداهتزازهِ ويخجلُ بدرَ التمّ عندَ شُروقهِ
فما فيهِ معنى ناقصٌ غيرُ خصرهِ ولا فيهِ شىءٌ باردٌ غيرُ ريقهِ

وما أشرق قول الشمس التلمسانى [من الطويل]:

فكم يتجافى خصرُهُ وهو ناحلٌ وكم يتحالى ريقهُ وهو باردُ
وكم يدعى صونًا وهذِى جفونهُ بفترتِها للعاشقينَ تواعدُ

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبي [من البسيط]:

أزورُهم وسوادُ الليل يشفعُ لى وأنثنى وبياض الصبح يغرى بِى

وقد أخذه بعضهم أخذًا مليحًا، فقال [من الكامل]:

أقلى النهارَ إذا أضاء صباحهُ وأظلُّ أنتظرُ الظلامَ الدامسا
فالصبح يشمتُ بى فيقبلُ ضاحكًا والليلُ يرثى لى فيدبر عابسا

والمتنبي أخذ معنى بيته من مصراع بيت لابن المعتز، وهو قوله [من البسيط]:

لاتلقَ إلا بليلٍ مَنْ تواعدهُ ... فالشمسُ نمّامةٌ والليلُ قوّادُ

إلا أن ابن المعتز هجن هذا المعنى بذكر نمامة وقواد ، وأبو الطيب سبكه أحسن سبك وأبدعه ، فصار أحق به منه .

وقال عبد الله بن خميس من شعراء المغاربة [من الكامل] :

باتتْ له الأهواء أدهم سابقاً ... وغدتْ بهِ الأيامُ أشهبَ كابى

فأحسن ما شاء ، لمقابلته الأدهم بالأشهب ، والسابق بالكابى ، على أنه مأخوذ من قول ذى الوزارتين أبى عبد الله بن أبى الخصال ، رحمه الله تعالى [من الطويل] :

وقد كنتُ أسرى فى الظلام بأدهم ... فهاأنا أغدو فى الصباح بأشهبِ

وفى بيت كل منهما زيادة على الآخر .

ومن مقابلة ستة بستة ما أورده الصاحب شرف الدين مستوفى إربل ، وهو [من الطويل] :

على رأس عبدٍ تاجُ عِزٍّ يزينهُ ... وفى رِجلِ حرٍّ قيد ذُلٍّ يَشينهُ

حكى غرس الدين الأربلى ، أن الصاحب المذكور لما أنشد لغيره هذا البيت ، قال هو بديها [من الطويل] :

تسر لئيماً مكرماتٌ تزينهُ ... وتبكى كريماً حادثاتٌ تُهينهُ

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول القائل فى ذى أبنة [من الكامل] :

يأتى إلى الأحرار يجلسُ فوقهمْ ... وينامُ من تحت العبيد ويُوتَى

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول النميرى الغرناطى [من الكامل] :

هنَّ البدورُ تغيرتْ لما رأتْ ... شعراتِ رأسى آذنتْ بتغيرِ

راحتْ تحبُّ دُجى شباب مظلم ... وغدتْ تعاف ضحى مشيب نيرِ

وأبو دلامة(١) اسمه زند بن الجون ، وأكثر الناس يصحف اسمه ، ويقول : زيد بالياء التحتية ، وهو خطأ ، وإنما هو بالنون ، وهو كوفى أسود ، مولى لبنى أسد ، وكان أبو دلامة عبداً لرجلٍ منهم ، يقال له : قضاقض(٢) ، فأعتقه وأدرك آخر أيام بنى أمية ، ولم يكن له فيها نباهة ، ونبغ فى أيام بنى العباس ، فانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدى ، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره ، ولم يصل لأحد من الشعراء ما وصل لأبى دلامة من المنصور خاصة . ترجمة أبى دلامة

وكان أبو دلامة فاسد الدين ردىء المذهب ، مرتكبا للمحارم مجاهراً بذلك . وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله . وكان أول ما حفظ من شعره وأسنيت له الجائزة به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور ، وذكر قتله أبا مسلم ، وفيها يقول [من الطويل] :

أبا مسلم خوّفتنى القتلَ فانتَحَى ... عليكَ بماخوفتنى الأسدُ الوَرد

أبا مسلم ما غير اللهُ نعمةً ... على عبده حتى يغيرها العبدُ

وأنشدها المنصورَ فى محفل من الناس ، فقال له : احتكم ؟ فقال له : عشرة آلاف درهم . فأمر له بها . فلما خلا به قال له : أما والله لو تعديتها لقتلتك .

وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يلقوا السيوف فى المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فدخل عليه أبو دلامة فى هذا الزى ، فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شرّ حال ، وجهى فى وسطى ، وسيفى فى استى ، وقد صبغت بالسواد ثيابى ، ونبذت كتاب الله وراء ظهرى ، فضحك منه وأعفاه ، وحذره من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع منك هذا أحد ، وفى ذلك يقول أبو دُلامة

---

(١) تجد ترجمة أبى دلامة فى الأغانى (٩ - ١٢٠)

(٢) فى الأغانى « فضافض » بفاءين

[من الطويل]:

وكنا نرجّى منحةً من إمامنا فجاءتْ بطُولٍ زادهُ فى القلانسِ

تراها على هام الرجال كأنّها دِنانُ يهود جُلِّلتْ بالبرانسِ

وحدث الجاحظ، قال: كان أبو دلامة واقفاً بين يدى المنصور — أو السفاح — فقال له: سلنى حاجتك. قال أبو دلامة: كلب صيد. قال: أعطوه إياه. قال: ودابة أتصيد عليها. قال: أعطوه. قال: وغلام يقود الكلب. قال: أعطوه غلاما. قال: وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه. قال: أعطوه جارية. قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال فلا بد من دار يسكنونها. قال: أعطوه داراً تجمعهم. قال: وإن لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون؟ قال: قد أقطعتك مائة جريب عامرة، ومائة جريب غامرة. قال: وما الغامرة؟ قال: مالا نبات فيه من الأرض. قال: قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيا فى بنى أسد، فضحك وقال: اجعلوا المائتين كلها عامرة. قال: فأذَنْ لى أن أقبل يدك. قال: أما هذه فدعها فانى لا أفعل. قال: والله مامنعت عيالى شيئاً أقل ضررا عليهم منها!.

قال الجاحظ: فانظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها، حيث ابتدأ بكلب فسهَّل القضية، وجعل يأتى بما يليه على ترتيب فكاهة، حتى نال مالو سأله بديهة لما وصل إليه.

وحدث الهيثم بن عدى قال: دخل أبودلامة على المنصور، فأنشده قصيدته التي أولها [من البسيط]

إنّ الخليط أجدَّ البين فانتجعُوا وزوّدوكَ خبالاً، بئس ماصنعُوا (١)

(١) فى الأصل «بان الخليط أجدالبين» وماأثبتناه موافق لما فى الأغانى

إلى أن قال فيها يهجو زوجته :

لاَ والذى يا أميرَ المؤمنين قضىَ لكَ الخلافةَ فى أسبابها الرُّفَعُ
مازلتُ أُخلصها كسبى فتأكلهُ دونى ودون عيالى ثم تضطجعُ
شوهاء مَشْنِيَّةٌ فى بطنها بجَرٌ وفى المفاصل من أوصالها فدعُ(١)
ذكرتها بكتاب الله حرمتنَا ولم تكن بكتاب الله ترتدعُ(٢)
فاخرَنطمت ثمّ قالتْ وهى مغضبةٌ أأنت تتلو كتاب الله يالُكَعُ(٣)
اخرجْ لتبغِ لنا مالاً ومزرعةً كمَاَ لجيراننا مالٌ ومُزْدرَعُ
واخدعْ خليفتنا عنَّا بمسألةٍ إنّ الخليفة للسؤَّالِ ينخدعُ

فضحك المنصور ، وقال : أرضوها عنه ، وا كتبوا لها سبعمائة جريب عامرة وغامرة ، فقال : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف ؛ وإن شئت زدتكَ ، فضحك وقال : اجعلوها كلها عامرة .

وشهد أبو دلامة لجارة له عند ابن أبى ليلى القاضى ، على أتان نازعها فيه رجلٌ ، فلما فرغ من الشهادة قال لابن أبى ليلى : اسمع ما قلت قبل أن آتيك ، ثم اقض بما شئت قال هات : فأنشده [من الطويل] :

إنِ الناسُ غطونى تغطَّيت عنهمُ وإن بَحَثُوا عنى ففيهم مَباحث
وإن حفَروا بئرى حفرت بئارهم ليعلم يوماً كيف تلك النبائث(٤)

---

(١) فى مطبوعة بولاق « فى بطنها بخل » وفى الأغانى « فى بطنها بحل » وكلاهما تحريف ما أثبتناه ، والبجر - بفتحتين - أن يعظم البطن ، وتخرج السرة ويغلظ أصلها .

(٢) فى الأغانى * ولم تكن بكتاب الله تنتفع *
ولكل منهما معنى صحيح

(٣) اخرنطمت : غضبت

(٤) النبائث : جمع نبيثة ، وهى تراب البئر أو النهر أو ما حول أحدهما من التراب .

فأقبل القاضى على المرأة ، وقال : أتبيعيننى الأتان ؟ قالت : نعم ، قال : بكم ؟ قالت : بمائة درهم ، قال : ادفعوها إليها ، ففعلوا ، وأقبل على الرجل فقال : قد وهبتها لك . وقال لأبى دلامة : قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابتعت ممن شهدت له ووهبت ملكى لمن رأيت ، أرضيت ؟ قال : نعم ، وانصرف .

ودخل أبو عطاء السندى يوما إلى أبى دلامة ، فاحتبسه ، ودعا بطعام وشراب فأكلا وشربا ، وخرجت إلى أبى دلامة صبية له ، فحملها على كتفه ، فبالت عليه ، فنبذها عن كتفه ، ثم قال [من الوافر] :

بَلَتْ علىّ لا حُيِّيتِ ثوبى ... فبالَ عليكِ شيطانٌ رجيمُ (١)
فما وَلَدَتكِ مريمُ أمُّ عيسى ... ولا ربَّاكِ لقمانُ الحكيمُ

ثم التفت إلى أبى عطاء فقال له : أجز يا أبا عطاء ، فقال [من الوافر] :

صدقتَ أبا دُلامة لم تلدها ... مُطهَّرةٌ ولا فحلٌ كريمُ
ولكنْ قد حوتها أمُّ سوءٍ ... إلى لَبَّاتها ، وأبٌ لئيمُ

فقال له أبو دلامة: عليك لعنة الله ! ما حملك على أن بلغت بى هذا كله ؟ والله لا أنازعك بيت شعر أبدا ، فقال له أبو عطاء : يكون الذى من جهتك أحب إلىّ ثم غدا أبو دلامة إلى المنصور فأخبره بقصة ابنته ، وأنشده الأبيات ، ثم اندفع فأنشده بعدها [من البسيط] :

لو كان يَقعُدُ فوقَ الشمسِ مِن كَرَمٍ ... قومٌ لَقِيلَ اقعُدوا يا آلَ عبّاسِ
ثم ارتقوا فى شُعاع الشمس كلكمُ ... إلى السماءِ فأنتمْ أكرمُ النّاسِ (٢)
وقدِّموا القائمَ المنصورَ رأسَكُمُ ... فالعينُ والأنفُ والأذنانِ فى الرّاسِ

فاستحسنها ، وقال : بأى شىء تحب أن أعينك على قبح ابنتك هذه ؟

---

(١) فى مطبوعة بولاق * بلت على ثوبى لاحييت *
(٢) فى الأغانى « فأنتم أطهر الناس »

فأخرج خريطة قد خاطها من الليل ، وقال : تملأ لى هذه دراهم ، فوسعت أربعة آلاف درهم

ولما توفى أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس يُعزُّونه فأنشأ أبو دلامة يقول :

أمسَيتَ بالأنبار يا ابنَ مُحمّدٍ لم تَستطعْ عن عُقرِها تحويلا(١)

وَيلى عليكَ وَوَيل أهلى كلّهم ويلاً وعوْلا فى الحياةِ طويلاً

فلتبكِيَنَّ لكَ السّماء بعَبْرةٍ ولتبكِيَنَّ لكَ الرِّجالُ عويلا(٢)

ماتَ الندَى إذ مُتَّ يا ابن محمّدٍ فجعلْتَهُ لكَ فى التُّرابِ عَديلا

إنّى سألْتُ النّاسَ بَعْدَكَ كلّهمْ فوَجَدْتُ أسمحَ مَنْ سألتُ بخيلا

ألِشقْوَتى أُخِّرْتُ بَعْدَكَ للّتى تدَعُ العزيزَ مِنَ الرِّجال ذليلاً

فلأحلِفَنَّ يَمينَ حقٍّ بَرّةً باللهِ ما أُعطِيتُ بَعْدَكَ سولاً

فأبكى الناسَ قولُه ، وغضب المنصور غضباً شديداً وقال : لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك ، فقال أبو دلامة : ياأمير المؤمنين ، إن أبا العباس كان لى مكرما ، وهو الذى جاءنى من البدو كما جاء الله عز وجل بإخوة يوسف عليه السلام إليه ، فقل أنت كما قال يوسف (لا تثريبَ عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) فسُرِّىَ عن المنصور ، وقال : قد أقلناك يا أبا دلامة فسل حاجتك ، فقال : ياأمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا

---

(١) فى مطبوعة بولاق

* لم تستطع عن غيرها تحويلا *

وليس بشىء ، و أثبتنا ما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى * فلتبكين لك النساء بعبرة *

وهو أتم لمقابلته بالرجال فى عجز البيت

وهو مريض ولم أقبضها ، فقال المنصور: ومن يعلم ذلك ؟ قال: هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممن حضر ، فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا : صدق ياأمير المؤمنين فنحن نعلم ذلك ، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ : [يا سليمانُ](١) ادفع إليه وسيِّره إلى هذا الطاغية (٢) يعنى عبد الله بن علىّ ، وكان قد خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف ، فوثب أبو دلامة فقال: ياأمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن أخرج معهم فإنى والله لمشؤم ، فقال له المنصور : امض فإن يُمْنِي يغلب شؤْمك فاخرج ، فقال: والله ياأمير المؤمنين ما أحِبُّ لك أن تجرب ذلك منى على مثل هذا العسكر فانى لاأدرى أيهما يغلب يُمنك أو شؤمى إلاأنى بنفسى أدرى وأوثق وأعرف وأطول تجربة ، فقال: دعنى من هذا فمالك من الخروج بدّ ، قال: فانى أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلها هزمت وكنت سببها ، فان شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل ، فاستفرغ(٣) المنصور ضحكا ، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة

وحدث أبودلامة قال: أتى بى إلى المنصور أو إلى المهدى وأناسكران ، فحلف ليخرجنى فى بَعْثِ حرب ، فأخرجنى مَع روح بن عدىّ بن حاتم(٤) المهلبى لقتال الشُّراة ، فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثراً ترتضيه منى ، فضحك وقال: والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك ، ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلىَّ ودعا له بغيرهما فاستبدل به ، فلما حصل ذلك فى يدى وزالت عنى حلاوة الطمع(٥)

---

(١) زيادة عن الأغانى

(٢) فى مطبوعة بولاق « هذه الطاغية » وأثبتنا ما فى الأغانى

(٣) في الأغانى « فاستغرب »

(٤) فى الأغانى « روح بن حاتم المهلبى » باسقاط عدى

(٥) فى مطبوعة بولاق « وزالت عنه حلاوة الطمع » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في الأغانى

قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذبك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما ، فقال : هات ، فأنشدته [من الكامل] :

إِنِّى اسْتَجَرْتُكَ أَنْ أُقَدَّمَ فى الوَغى ... لِتَطَاعُنٍ وَتَنَازُلٍ وَضِرَابِ
فَهَبِ السُّيُوفَ رَأَيْتُهَا مَشْهُورَةً ... فَتَرَكْتُهَا وَمَضَيْتُ فى الهُرَّابِ
مَاذَا تَقُولُ لِمَا يَجِيءُ وَلَا يُرَى ... مِن وَارِدَاتِ الْمَوْتِ فى النُّشَّابِ(١)

فقال : دع عنك هذا وستعلم ، فبرز رجل من الخوارج يطلب المبارزة ، فقال : اخرج إليه يا أبا دلامة ، فقلت : أنشدك الله أيها الأمير فى دمى ، فقال : والله لتخرجن ، قلت: أيها الأمير إنه أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وأنا والله جائع ماتنبعث منى جارحة من الجوع فمر لى بشىء آكله ثم أخرج ، فأمر لى برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت من الصف ، فلما رآنى الشارى أقبل نحوى وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل وأصابته الشمس فاقفعل وعيناه تقدان ، فأسرع إلى ، فقلت : على رسلك ياهذا كما أنت ، فوقف ، فقلت : أتقتل مَنْ لايقاتلك ؟ قال : لا ، قلت : أفتستحلّ أن تقتل رجلا على دينك ؟ قال : لا ، قلت : أفتستحل ذلك قبل أن تدعو مَنْ يقاتلك إلى دينك ؟ قال : لا فاذهب عنى إلى لعنة الله ، فقلت : لاأفعل أو تسمع منى ، قال : قل ، قلت : هل كان بيننا عداوة قط أوترة أو تعلم بين أهلى وأهلك وترا ؟ قال : لا والله ، قلت : ولا أنا والله لك إلا على جميل ، وإنى لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين بدينك

---

(١) روى هذا البيت فى الأغانى

ماذا تقول لما يجىء وما يرى ... من واردات الموت فى النشاب

ووقع فى مطبوعة بولاق

ماذا تقول لمن يجىء ولا يرى ... لما درأت الموت فى النشاب

وأثبتناه كما ترى

وأريد الشر لمن أراده لك ، قال : ياهذا جزاك الله خيراً فانصرف ، قلت : إن معى زاداً وأريد أن آكله وأريد مواكلتك لتتأكد المودة بيننا ونُرِى أهل العسكرين هوَانهم علينا ، قال : فافعل ، فتقدمت إليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها وجعلنا نأكل ، والناس قد غُلبوا ضحكا ، فلما استوفينا ودَّعنى ، ثم قلت له : إن هذا الجاهل إن أقمت على طلب المبارزة ندَبنى لك فتتعب وتتعبنى ، فان رأيت أن لا تبرز اليوم فافعل ، قال : قد فعلت ، ثم انصرف وانصرفت ، فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتك قرنى فقل لغيرى يكفيك قرنه ، قال : ثم خرج آخر يريد البراز ، فقال : اخرج إليه ، فقلت [من البسيط] :

إنى أعوذ بِروح أن يُقدمنى إلى القتَال فتَخزَى بى بنو أسد
إنَّ البرَاز إلى الأقرَان أعلَمُهُ مما يُفرِّق بينَ الرُّوح والجَسَد
قدْ حالفَتْكَ المنَايا إذ صمَدْتَ لها وأصبحَتْ لجميع الخلْق بالرَّصد
إنَ المُهلَّبَ حُبَّ المَوْت أوْرثكم وماورِثتُ اختيارَ المَوت عن أحد
لو أن لى مُهجةً أخرى لجدتُ بها لكنّها خُلقَتْ فَرْداً فلم أجد

فضحك وأعفانى

وعزم موسى بن داود على الحج فقال لأبى دلامة : احجج معى ولك عشرة آلاف درهم ، فقال : هاتها ، فدفعت إليه ، فأخذها وهرب إلى السواد ، فجعل ينفقها هناك ويشرب الخمر ، وطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشى فوات الحج ، فخرج فلما شارف القادسية إذا هو بأبى دلامة(١) خارجا من قرية إلى قرية أخرى وهو سكران ، فأمر بأخذه وتقييده وطرحه فى المحمل بين يديه ، ففُعِل به ذلك ، فلما سار غير بعيد أقبل أبو دلامة على موسى وناداه بقوله [من البسيط] :

---

(١) فى مطبوعة بولاق « فاذا هو بأبى دلامة » وحذفنا الفاء وفاقا لما فى الأغانى

يا أيها النّاس قُولوا أجمعينَ معاً ... صلّى الأله على مُوسى بنِ داود
كأن ديباجتى خدّيه من ذَهبٍ ... إذا بدَالكَ فى أثوابه السُّود
إنّى أعُوذُ بداوُدٍ وأعظمه ... مِنْ أن أُكلَّفَ حجًّا ياابنَ داوُدِ (١)
أنبِئْتُ أن طرَيق الحجّ معْطَشَةٌ ... منَ الشّراب وماشرْبى بتصريد (٢)
والله مافىّ منْ أجرٍ فتَطلبهُ ... ولاَ الثنَاء على دينى بمحْمُود

فقال موسى : ألقوه لعنه الله عن المحمل ودعوه (٣) ينصرف ، فألقى وعاد إلى قصفه بالسواد حتى نفدت العشرة آلاف (٤).

ودخل أبو دلامة يوما على المنصور فأنشده [من الوافر] :

رأيتك فى المنَام كسَوْتَ جلدى ... ثيَابا جمّةً وقضَيْتَ دَيْنى
وكانَ بنفْسَجىُّ الخز فيها ... وسَـاجٌ ناعمٌ فأتمّ زَيْنى
فَصدّق يا فدَتكَ النفْسُ رُؤيا ... رَأتهَا فى المنَام كذاكَ عينى

فأمر بذلك ، وقال : لاعُدْت تتحلّم على ثانية فأجعل حلمك أضغاثا ولاأحققه ثمّ خرج من عنده ومضى فشرب فى بعض الحانات فسكر وانصرف وهو ثمل فلقيه العسس فأخذ فقيل له : من أنت ؟ وما دينك ؟ فقال [من الرجز] :

دينى علَى دين بنى العبّاس ... ماختم الطّينُ على القرْطاس (٥)
إذا اصطبَحتُ أرْبعاً بالكاس ... فقَدْ أدارَ شُرْبُها براسى
فهَلْ بمَا قلْتُ لكُمْ من باس ؟

(١) فى مطبوعة بولاق «عن أن أكلف» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى
(٢) فى الأغانى « خبرت أن طريق الحج »
(٣) فى مطبوعة بولاق «ودعوه فينصرف» وحذفنا الفاء وفاقا لمافى الأغانى
(٤) الصواب عربية أن يقول « عشرة الآلاف » والكوفيون يجيزون «العشرة الآلاف » فأما مافى الأصل فخطأ
(٥) فى مطبوعة بولاق « فاختم الطين » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في الأغانى ، وأراد بقوله « ماختم الطين ـ الخ » معنى الدوام

فأخذوه ومضوا به فخرقوا أثوابه وساجه ، وأتوا به إلى المنصور ، وكان يؤتى بكل من أخذه العسس ، فحبسه مع الدجاج فى بيت ، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته مرة فلا يجيبه أحد ، وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزُقاء الديكة ، فلما أكثر قال له السجان : ما شأنك ؟ قال : ويلك ! من أنت ؟ وأين أنا؟ قال : فى الحبس ، وأنا فلان السجان ، قال : ومَن حبسنى ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : : ومن خرّق طيلسانى ؟ قال : الحرس ، فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس ، ففعل ، فكتب إلى المنصور [من الوافر] :

أميرَ المؤمنينَ فدَتكَ نفسى ... علامَ حبستنى وخرَّقتَ ساجى
أمِنْ صهباءَ صافيةِ المزاجِ ... كأنَّ شُعاعها لهبُ السراجِ
وقد طبختْ بنارِ الله حتى ... لقد صارتْ من النطفِ النضاجِ
تَهشُّ لها القلوب وتشتهيها ... إذا برزت ترقرقُ فى الزجاجِ
أقاد إلى السجون بغير جرْمٍ ... كأنى بعضُ عمالِ الخراجِ
ولو معهم حُبستُ لكانَ سهلاً ... ولكنى حُبستُ معَ الدجاجِ
وقد كانت تخبرنى ذنوبى ... بأنى من عقابكَ غيرُ ناجى
علىَ أنى وإن لاقيتُ شرًّا ... لخيركَ بعدَ ذاكَ الشر راجى

فدعا به ، وقال له : أين حُبست يا أبا دلامة ؟ فقالَ : مع الدجاج ، قال : فما كنت تصنع؟ قال : أقوقىء معهم حتى أصبحت ، فضحك وخلى سبيله ، وأمر له بجائزة . فلما خرج قال له الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ، أما سمعت قوله : * وقد طبخت بنار الله * يعنى الشمس ، فأمر برده . ثم قال له : يا خبيث ، شربتَ الخمر ؟ قال : لا . قال : أفلم تقل : * طبخت بنار الله * تعنى الشمس . قال : لا ، والله ما عنيت إلا نار الله المؤصدةَ التى تطلع على فؤاد الربيع ، فضحك وقال : خذها يا ربيع ، ولا تعاود التعرض له .

ولما قدمَ المهدىّ منَ الرّىّ ، دَخل عليه أبو دلامة ، فأنشأ يقولُ [من الكامل] :

إنى نذَرتُ لئن لقيتُكَ سالماً ... بِقُرَى العرَاق وأنتَ ذو وفرِ

لتصلينّ عَلى النبىّ محمدٍ ... ولتملأن دَرَاهِماً حِجرِى

فقال : صلى الله على النبى محمد وسلم ، وأما الدرَاهم فلا ، فقال له : أنت أكرم من أن تفرق بينهما ، ثم تختار أسهلهما ، فضحك ، وأمر بأن يملأ حجره دراهم .

ودخل أبو دُلامة على أم سلمة زوج السفاح بعد موته ، فعزاها به وبكى ، فبكت معه ، فقالت أم سلمة : لم أجد أحداً أصيب به غيرى وغيرك ياأبا دلامة قال : ولا سواء[1] يرحمك الله! لك منه ولد ، وما ولدت أنا منه قط ، فضحكت ، ولم تكن ضحكت منذ مات السفاح إلا ذاك الوقت ، وقالت له : لو حَدّثْتَ الشيطان لأضحكته .

ودخل يوما على المهدى ، وهو يبكى ، فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أم دلامة ، وأنشد لنفسه فيها [من الطويل] :

وكنا كزوج من قَطًا فى مفازةٍ ... لدَى خَفْض عيشٍ مونقٍ ناضرٍ رغدِ

فأفردَنى رَيب الزمان بصرفهِ ... وَلم أرَ شيئاً قطُّ أوحشَ من فردِ

فأمر له بطيب وثياب ودنانير ، وخرج ، فدخلت أم دلامة على الخيزران وأعلمتها أن أبا دلامة قدمات ، فأعطتها مثل ذلك ، وخرجت . فلما التقى المهدى والخيزران عرفا حيلتهما ، فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه .

---

(١) فى مطبوعة بولاق «ولا سواى يرحمك الله» محرفا وما أثبتناه موافق لما في الأغانى

وحدث المديني قال : دخل أبودلامة على المهدى وعنده جماعة من بنى هاشم فقال المهدى له : أنا أعطى الله تعالى عهداً ، لئن لم تهجُ واحداً ممن فى البيت لأضربَنّ عنقك ، فنظر إليه القوم ، وغمزوه بأن عليهم رضاه . قال أبو دلامة : [فعلمت (١)] أنى وقعت ، وأنها عزمة من عزماته ، ولا بد منها ، فلم أر أحداً أحقّ بالهجاء منى ، ولا أدعى إلى السلامة من هجائى نفسى ، فقلت : [من الوافر] :

إلا أبلغْ لديكَ أبا دُلامهْ — فليس من الكرام ولا كرامهْ
إذا لبس العمامة قلت قردٌ — وخنزيرٌ إذا وضع العمامهْ (٢)
جمعت دمامةً وجمعت لؤماً — كذاك اللؤم تتبعهُ الدمامـهْ
فإن تكُ قد أصبتَ نَعِيم دُنيا — فلا تفرحْ فقد دنت القيامهْ

فضحك القوم ، ولم يبق منهم أحد إلا أجازه .

وخرج المهدى وعلى بن سليمان إلى الصيد . فسنح لهما قطيع من ظباء ، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، فرمى المهدى سهماً فصرع ظبياً ، ورمى على بن سليمان فأصاب كلباً فقتله ، فقال فى ذلك أبو دلامة [من مجزوء الرمل] :

قد رمى المهدىُّ ظبياً — شكَّ بالسهم فؤادهْ
وعلىُّ بن سليما — ن رمى كلباً فصادهْ
فهنيئاً لهما كلُّ — امرىء يأكلُ زاده

فضحك المهدى حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة وأمر له بجائزة . ولقب على بن سليمان بصائد الكلب ، فعلق به .

---

(١) زيادة عن الأغانى
(٢) فى الأغانى « كان قرداً وخنزيراً إذا »

وتوفيت حمادة بنت عيسى ، وحضر المنصور جنازتها . فلما وقف على حفرتها قال لأبى دلامة : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال: بنت عمكَ يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى ، يُجاء بها الساعة فتدفن فيها ، فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه .

وحدث الهيثم بن عدى قال : حجت الخيزران ، فلما خرجت صاح أبو دلامة: جعلنى الله فداكِ ! الله الله فى أمرى ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قالوا : أبو دلامة ، قالت : اسألوه ما أمره . قال : أدنونى من محملها ، فأدنى ، فقال : أيها السيدة ، إنى شيخ كبير وأجرك فىّ عظيم . قالت : فه ؟ قال: تهبين لى جارية من جواريك تؤنسنى وترفق بى وتريحنى من عجوز عندى قد أكلت رفدى ، وأطالت كدى ، فقد عاف جلدى جلدها ، وتمنيت بُعْدها ، وتشوقت فَقْدها . فضحكت ، وقالت: سوف آمر لك بما سألت ، فلما رجعت تلقاها وأذكرها وخرج معها إلى بغداد وأقام حتى سئم ، ثم دخل على عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع إليها رقعة قد كتبها إلى الخيزران فيها [من مجزوء الرمل] .

أبلغى سيدتى بالله يا أم عبيدَهْ
أنها أرشدَها الله وإن كانت رَشيدهْ
وَعدتنى قبلَ أن تخـ ـرج للحج وليدهْ
فتأتيت وأرسلت بعشرين قصيدهْ
كلما أخلقنَ أخلفـ ـتُ لها أخرى جديده
ليس فى بيتى لتمهيـ ـد فراشى من قعيدهْ
غيرُ عجفاء عجوز ساقُها مثل القديده
وجهها أقبح من حو ت طرىّ فى عصيده
ما حياتى مع أنثى مثل عِرْسى بسعيده

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت ، واستعادت قوله : * وجهها أقبح من حوت إلى آخره * وجعلت تضحك ، ودعت بجارية من جواريها فائقة . فقالت لها : خذى كل مالك فى قصرى ، ففعلت ، ثم دعت بخادم وقالت له : سلمها إلى أبى دلامة . فانطلق الخادم بها فلم يصبه فى منزله . فقال لامرأته : إذا رجع فادفعيها إليه وقولى له : تقول لك السيدة أحسن صحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها . فقالت له : نعم . فلما خرج دخل إليها ابنها دلامة فوجد أمه تبكى ، فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت : إن أردت أن تبر بى يوما من الدهر فاليوم ، قال قولى : ماشئت فانى أفعله ، قالت : تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها فتطؤها وتحرمها عليه ، وإلا ذهبت بعقله وجفانى وجفاك ، ففعل ودخل على الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه وخرج ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ فقالت : فى ذلك البيت فدخل إليها شيخ محطم ذاهب فمد يده إليها وذهب ليقبلها ، فقالت له : مالك ويلك تنحَّ عنى وإلا لطمتك لطمة دققت بها أنفَكَ . فقال : أبهذا أوصتك السيدة ؟ فقالت : إنها بعثت بى إلى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت ، وقد كان عندى آنفاً ونال منى حاجته ، فعلم أنه قد دهى من أم دلامة وابنها ، فخرج إلى دلامة فلطمه وتلبب به وحلف أنه لا يفارقه إلى المهدى ، فمضى به متلبباً حتى وقف على باب المهدى . فعرف خبره وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة ، فأمر بادخاله فلما دخل قال له : مالك ويلك؟ قال : عمل هذا الخبيث ابن الخبيثة ما لم يعمله ولد بأبيه ولا يرضينى إلا أن تقتله . فقال : ويلك ! فما فعل بك؟ فأخبره الخبر . فضحك حتى استلقى على قفاه ثم جلس . فقال له أبو دلامة : أعجبك فعله فتضحك منه ؟ فقال على بالسيف والنطع . فقال له دلامة : قد سمعت قوله ياأمير المؤمنين فاسمع حجتى ، قال: هات . قال : هذا الشيخ أصفق الناس وجهاً ، وهو ينيك أمى منذ أربعين ما غضبت نكت أنا جاريته مرة واحدة فغضب وصنع بى ماترى ، فضحك المهدى أشد من ضحكه الأول . ثم قال: دعها له وأنا أعطيك خيرا منها . قال: على أن

تخبأها لى بين السماء والأرض وإلا نا كها والله كما ناك هذه ، فتعهد المهدى إلى أبى دلامة أن لا يعاود دلامة مثل فعله ، وحلف أنه إن عاود قتله ، وأمر له بجارية أخرى كما وعده .

ودخل أبو دلامة على المهدى وسلمة الوصيف واقف ، فقال : إنى قد أهديت لك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لأحد مثله ، فان رأيت أن تشرفنى بقبوله ، فأمر بادخاله إليه ، فخرج أبو دلامة وأدخل فرسه الذى كان تحته ، فاذا هو برذون؟ محطم أعجف هرم ، فقال له المهدى : أى شىء ويلك هذا ، ألم تزعم أنه مهر فقال له : أو ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائماً ، تسميه الوصيف ، وله ثمانون سنة ، وهو بعد عندكَ وصيفاً ، فان كان سلمة وصيفا فهذا مهر ، فجعل سلمة يشتمه والمهدى يضحك . ثم قال لسلمة : ويحك ! إن لهذه منه أخوات ، وإن أتى بمثلها فى محفل يفضحك ، فقال أبو دلامة : إى والله يا أمير المؤمنين لأفضحنَّه فليس فى مواليك أحد إلا وقد وصلنى غيره ، فانى ما شربت له الماء قط ، قال : فقد حكمت عليه أن يشترى نفسه منك بألف درهم حتى يتخاص من يدك ، قال : قد فعلت على أن لا يعاود ، قال : أفعل ، ولولا أنى ما أخذت منه شيئا قط ما استعملت معه مثل هذا ، فمضى سلمة فحملها إليه وسامه إياها .

وجاء دلامة يوما إلى أبيه وهو فى محفل من جيرانه وعشيرته جالسا فجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة ، فقال لهم : إن شيخى كما ترون قد كبر سنه ، ودق عظمه ، وبنا إلى حياته حاجة شديدة ، ولا أزال أشير عليه بالشىء يمسك رمقه ويبقى قوته فيخالفنى ، وإنى أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لى أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته ، فأسعفونى بمسألته معى ، فقالوا : نفعل وحبا وكرامة ، ثم أقبلوا على أبى دلامة بألسنتهم ، فتناولوه بالعتاب حتى رضى ابنه وهو ساكت ، فقال : قولوا لهذا الخبيث فليقل ما يريد ، فستعلمون أنه لم يأتِ إلاّ ببليّة ، فقالوا : قل ، فقال : إن أبى ما يقتله إلا كثرة الجماع ،

فتعاونوني[1] عليه حتى أخصيه فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء فيكون أصح لجسمه وأطول لعمره، فعجبوا مما أتى به، وعلموا أنه أراد أن يعبث بأبيه ويخجله حتى يشيع ذلك عنه ويرتفع له به ذكر، فضحكوا منه، ثم قالوا لأبي دلامة: قد سمعت فأجب قال: قد سمعتم أنتم وعرفتم أنه لم يأت بخير، قالوا: فما عندك في هذا؟ قال: قد جعلت أمه حكما بيني وبينه. فقوموا بنا إليها، فقاموا بأجمعهم ودخلوا إليها، وقص أبو دلامة القصة عليها وقال: قد حكمتك فأقبلت على الجماعة فقالت: إن ابني هذا أبقاه الله قد نصح أباه وبرّه ولم يأل جهدا وما أنا إلى بقاء أبيه بأحوج مني إلى بقائه، وهذا أمر لم تقع به تجربة ولا جرت بمثله عادة ولا أشك في معرفته بذلك فليبدأ بنفسه أولا فليخصها، فاذا عوفي ورأينا ذلك قد أثر عليه أثراً محموداً استعمله أيضا أبوه، فجعل أبوه يضحك منه، وخجل ابنه دلامة، وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبثهم جميعا واتفاقهم في ذلك المذهب.

وكان عند المهدي رجل من بني مروان قد جاءه مسلّما، فأتى المهدي بعلج، فأمر المرواني أن يضرب عنقه، فأخذ السيف وقام فضربه فنبا عنه، فرمى به المرواني وقال: لو كان من سيوفنا ما نبا، فسمعها المهدي فغاظه حتى تغير وجهه وبان فيه، فقام يقطين فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن هذه السيوف سيوف الطاعة ولا تعمل إلا في أيدي الأولياء، ولا تعمل في أيدي أهل المعصية، ثم قام أبودلامة فقال: ياأمير المؤمنين، قد حضرني بيتان أفأقول؟ قال: قل، فأنشده [من الخفيف]:

أَبِهَذَا الامامُ سَيْفُكَ ماضٍ ... وَبِكَفِّ الوَلِيِّ غيرُ كَهَامِ

فاذا ما نبَا بِكَفٍّ عَلِمْنَا ... أنه كَفُّ مُبْغِضٍ للإِمَامِ

فقام المهدي من مجلسه، وسُرِي عنه، وأمر حجابه بقتل المرواني، فقتل

وقال ابن النطاح: دخل أبودلامة على المهدي، فأنشده قصيدته في بغلته

---

(١) هكذا بحذف نون الرفع من غير تقدم ناصب أو جازم

المشهورة يهجوها ويذكر معايبها، فلما أنشده قوله [من الوافر] :

أتاني خائبٌ يستامُ مني عريقاً في الخسارةِ والضلال
فقالَ تبيعُها قُلْتُ ارتبِطْها بحُكمِكَ إن بَيْعِي غيرُ غالي
فأقبلَ ضاحكاً نحوِي سُروراً وقالَ أراكَ سهلاً ذا جَمال
هَلُم إليَّ يخلو بي خِداعاً وما يدري الشقي لِمَنْ يُخالي
فقلتُ بأربعينَ فقالَ أحسِنْ إليَّ فانَّ مِثلكَ ذُو سِجال
فأتْرُكُ خمسةً مِنْهَا لِعلمي بما فيهِ يَصيرُ مِنَ الخبالِ

فقال له المهدي : لقد أفلت من بلاء عظيم ، فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها علي ، قال : ثم أنشده [من الوافر] :

فأبدِلني بِها يا ربِّ طِرْفاً يكُونُ جَمالُ مَرْكبِهِ جَمالي

فقال المهدي لصاحب دوابه : خيره بين مركبين من الاصطبل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان الاختيار إلي وقعت في شر من البغلة ، ولكن مُرْه أن يختار لي ، فقال : اختر له

وأخبار أبي دلامة كثيرة ، وقد أثبتنا منها طرفا صالحا .

وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائة ، رحمه الله تعالى !

***

١١٧ — كالقِسِيِّ المُعطَّفاتِ بَلِ الأسْهُمِ مَبْرِيَّةً بَلِ الأوْتارِ — شاهد مراعاة النظير

البيت للبحتري ، من قصيدة من الخفيف[١] يمدح بها أباجعفر بن حُمَيد ويستوهبه غلاما ، ومنها قوله :

أبُكاءً في الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ وَسُلوًّا بِزَيْنَبٍ عَنْ نَوَارِ

---

(١) اقرأها في الديوان (٢ - ٢٤ مصر)

لاهناكَ الشغلُ الجديدُ بحزوى عن رُسُوم برامتين قفارِ
ما ظننتُ الأهواءَ قبلكَ تمحى في صُدُور العشّاق محوَ الديار(١)

إلى أن قال منها في وصف النوق :

يترقرقن كالسّراب وقد خُضْنَ غماراً من السّراب الجاري

وبعده البيت ، والقصيدة طويلة ، يقول منها في تشكيه من الغلام الأجير ويسأل مخدومه في هبته غلاما ويصفه :

قدْ مللناكَ ياغلامُ فغادِ بِسلام أوْ رائحٌ أوْ سارى
سرقات منّى خصوصاً ، فهلا من عدُو أوْصاحبٍ أوْ جار(٢)
أنا من ياسرٍ وسعدٍ وفتحٍ لستُ من عامرٍ ولاَ عمار
لا أُحبُّ النظيرَ يُخْرِجهُ الشّمُّ إلى الاحنجاج والافتخار
فاذَا رُعتهُ بناحيةِ السوْ ط على الذنبِ راعني بالفرار
ما بأرْض العِراق يا قوْم حرٌّ يشتريني من خدمةِ الأحرار(٣)
هلْ جوَاد بأبيض من بنى الأصفرِ محض الجدُود محْض النجار
لم يرُمْ قومهُ السّرَايا ولم يغزُهُم غيرُ جحفلٍ جرّار(٤)
فحوته الرّماح أغيدَ مجدُو لا قصيرَ الزّنار وافي الأزار(٥)
فوْق ضعفِ الصغار إن وكلَ الأمرَ إليه ودون كبر الكبار(٦)

---

(١) في الأصل « فيك تمحى » وما أثبتناه موافق لما في الديوان

(٢) في الأصل «سروا نأى عنى» ولم تتجه لها عندنا ضبط ، وما أثبتناه موافق لما في الديوان

(٣) في الديوان « يفتديني » في مكان يشتريني

(٤) في الديوان « لم يرع قومه السرايا » ولما هنا وجه

(٥) في الأصل « توجته الرياح » محرفا عما أثبتناه موافقا لما في الديوان

(٦) في الديوان « ودون كيد الكبار » وهو خير مما هنا

لك من ثغره وخدّيه ما شئتَ من الأقحوان والجُلّنار
وكأنّ الذكاء يبعثُ منهُ في سوادِ الأمورِ شعلةَ نار
يا أبا جعفر وما أنتَ بالمَدْعوِّ إلا لِكلِّ أمرٍ كُبَار
ولعمْري للجُودُ بالناس للنا سِ سِواهُ بالثّوبِ والدِّينار
وقليلٌ إلاّ لَديكَ بهـذا الفج أخذُ الغلمان بالأشعار(١)

أبيات في وصف الابل بالنحول

ومعنى البيت أنه يصف إبلا أنحلها السرى بحيث صارت من الهزال كالقسى بل السهام بل الأوتار

وقد تداول الشعراء هذا المعنى، وتجاذبوا أطرافه، فمن ذلك قولُ الشريف الموسوى [من الكامل] :

هُنّ القسيُّ مِنَ النُّحُول فان سَما خَطْبٌ فهُنّ منَ النّجاءِ الأسهُم

وقد أخذه ابن قلاقس فقال أيضاً [من الكامل] :

خُوصٌ كأمثال القسيِّ نَوَاحلا وإذا سَمَا خطبٌ فهُنّ سِهامُ

وقال أيضاً [من الوافر] :

طَرحنَا العجز عَنْ أعجاز عيس نُوشّحُها على الحزم الحزاما
وندْفعُ بالسُّرَى مِنْهـا قِسِيًا فنَقْذِفُ بِالنَّوَى مِنْها سِهاما

وقال ابن خفاجة أيضاً [من الطويل] :

وقدْ مابرتْ مِنْها قِسِيًا يدُ السُّرَى وفوّق منها فوْقَها المَجْدُ أسهُما

وقال ابن النبيه [من الخفيف] :

إنّ خوْضَ الظّلماءِ أطيَبُ عندِي مِنْ مَطايا أمْسَتْ تَشكى كَلاَلَهْ
فَهْيَ مِثلُ القِسىِّ شكْلاً ولكِنْ هِيَ في السّبْقِ أسْهُمٌ لا مَحَالَهْ

---

(١) في الديوان « وعزيز إلا لديك »

والشاهد فى البيت : مراعاة النظير، ويسمى : التناسب ، والتوافق ، والائتلاف ، والمؤاخاة ، وهو : جمع أمر وما يناسبه مع إلغاء التضاد لتخرج المطابقة فهو هنا قصد المناسبة بالأسهم والأوتار لما تقدم من ذكر القسى ، وهذه المناسبة هنا معنوية لا لفظية كما فى قول مهيار [من الخفيف] :

ومُدِير سيّانِ عيناهُ والابريقُ فَتْكاً ولحظُهُ والمُدامُ

والابريق هنا السيف سمى بذلك لبريقه ، وكان يصح أن يقال سيان عيناه والصمصام أو الهندى ، فاختار الابريق لمناسبته لفظاً للمدام ، إذ الابريق يطلق على إناء الخمر ، وليس هذا من المعنى فى شىء ، وإنما هو مراعاة مجرد اللفظ

أبيات فى مراعاة النظير

ومن أحسن ماورد فى مراعاة النظير قول ابن خفاجة يصف فرسا وهو [من السريع] :

وأشقَرَ تضرم منهُ الوَغى بشُعْلَةٍ مِنْ شُعلِ البَاس
مِنْ جلّنار ناضِرٍ خدُّهُ وأذنُهُ مِنْ وَرَق الآسِ
تَطْلُعُ للغرّةِ فى وَجهِهِ حبابة تَضحكُ فى الكاس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة ·

وقول ابن الساعاتى من أبيات فى وصف الثلج [من الكامل] :

السُّحْبُ راياتٌ ولمعُ بُرُوقها بيضُ الظُّبى والأرْضُ طِرْفٌ أشهبُ
والنَّدُّ قَسطلُهُ وَزَهرُ شمُوعنا صُمُّ القَنا والفحْمُ نَبْلٌ مُذْهَبُ

وما أبدع قول بعضهم فى آل النبى صلى الله عليه وسلم [من الكامل] :

أنتُمْ بنُو طهَ ونَ والضُّحى وبنُو تبارَكَ والكِتابِ المُحكَمِ
وبنو الأباطِح والمَشاعِرِ والصَّفا والرُّكْنِ والبَيتِ العتيقِ وزَمزَمِ

فانه أحسن فى المناسبة فى البيت الأول بين أسماء السور ، وفى الثانى بين الجهات الحجازية ، وما أعجب قول السلامى [من الكامل] :

أوما ترى طرر البروق توسطت ... أفقاً كأن المزن فيه شنوف
واليوم من خجل الشقيق مضرج ... خجل ومن مرض النسيم ضعيف
والأرض طرس والرياض سطوره ... والزهر شكل بينها وحروف

وقوله فى وصف النارنج والسماريات فى نهر طلعت عليه الشمس [من الوافر]:

تنشط للصبوح أبا على ... على حكم المنى ورضا الصديق
بنهر للرياح عليه درع ... يذهب بالغروب وبالشروق
إذا اصفرت عليه الشمس صبت ... على أمواجه ماء الخلوق
وقفت به فكم خد رقيق ... يغازلنى على قد رشيق
وجمر شب فى الأغصان حتى ... أضاع الماء فى وهج الحريق
فدهم الخيل فى ميدان تبر ... يصاغ لها كرات من عقيق

وقوله أيضاً فى وصف الحب [من البسيط]:

الحب كالدهر يعطينا ويرتجع ... لا اليأس يصرفنا عنه ولا الطمع
صحبته والصبا تغرى الصبابة بى ... والوصل طفل غرير والهوى يفع
أيام لا النوم فى أجفاننا خلس ... ولا الزيارة من أحبابنا لمع
إذ الشبيبة سيفى والهوى فرسى ... وراتبى اللهو واللذات لى شيع

وما أحسن قول السرى الرفاء [من الوافر]:

وغيم مرهفات البرق فيه ... عوار والرياض بها كواسى
وقد سلت جيوش الفطر فيه ... على شهر الصيام سيوف باس
ولاح لنا الهلال كشطر طوق ... على لبات زرقاء اللباس

وبديع قول أبى طالب البغدادى النحوى من أبيات [من البسيط]:

ومهمه سرت فيه والبساط دم ... والجو نقع وهامات الرجال ربا

وقولُ أبى حنيفة الاسترابادى غايةٌ هنا ، وهو [من السريع] :

هَلْ عثَرَتْ أقلامُ خطِّ العذار في مشقِها فالخالُ نضخُ العِثارْ
أو استدارَ الخطّ لما غدَتْ نقطته مركزَ ذاكَ المدارْ
وَريقُه الخمْرُ فهَلْ ثغرُهُ دُرُّ حَبابٍ نظمَته العقارْ

وقوله وهو بديع [من البسيط] :

أنا الرمىّ بسهْم اللحظ إذ رشقَا فلم تدرّع من أصْداغِهِ الحَلقا

وقول أبى على الحسن الباخرزى والد صاحب دمية القصر [من الطويل] :

وذِى زَجَلٍ والى سِهامَ رُهامه وَوَلّى فألقَى قوسه فى انهزامِهِ
ألم ترَ خدّ الوَرْدِ مُدْمىً لوقعها وأنصُلها مَخْضوبةٌ فى كمامِهِ

وما أحسن قول الحسين بن على النميرى من قصيدة [من الكامل] :

رَوضٌ إذا جرَت الرياحُ مريضةً فى زهرِهِ استشفتْ بهِ مرضاهَا
و إذا تقابلت الندامى وسْطَهُ سكرَ الصحاة كما صحَا سكرَاهَا

وما أزهر قول بعضهم يرثى فقيهاً حنفياً [من الخفيف] :

رَوضة العلم قطّبي بعدَ بشرٍ والبَسِى من بنفسج جِلبَابَا
وَهْيَ النائحات منثورَ دَمعٍ فشقيقَ النعمانِ بَانَ وغابَا

ولأبى العصب الملحى [من مجزوء الرمل] :

ذَرَفتْ عينُ الغَمَامِ فاستهلت بِسجامِ
وبكى الابريق فى الكأ سِ بِدَمعٍ من مُدامِ
فاسقنى دَمعاً بدمعٍ من مدَامٍ وغمامِ
واعصِ من لامك فيهِ ليس ذا وقت الملامِ

ولأبى العلاء المعرى [من البسيط] :

دَع اليراعَ لقومٍ يفخرون بهاَ   وبالطوال الرُّدَينيَّاتِ فافتخرِ
فهن أقلامكَ اللاتى إذا كتبت   مجداً أتت بمداد من دَم هدرِ

وما أحسن قول الوأواء الدمشقى [من البسيط] :

سقياً ليـوم غـدا قوسُ الغمام به   والشمسُ مشرقةٌ والبرقُ خلاسُ
كأنهُ قـوسُ رامٍ والبـرُوقُ لهُ   رَشقُ السهام وعين الشمس برجاسُ

وما أبدَع قول السلامى [من الطويل] :

وقد خالطَ الفجرَ الظلامُ كما التقى   على رَوضـةٍ خضراء وَردٌ وأدهمُ
وعهدى بها والليلُ ساقٍ ووصلنا   عُقارٌ وَفوها الكأسُ أو كأسهاَ الفمُ

ولبعض شعراء الذخيرة [من الطويل] :

بدارٍ سقتها ديمـةٌ إثر ديمـةٍ   فمالت بها الجدران شطراً على شطرِ
فمن عارضٍ يسقى ومن سقف مجلسٍ   يغنى ومن بيتٍ يميلُ من السكرِ

ومن الغايات فى هـذا الباب قول البديع الهمذانى من قصيدة يصف فيها طول السرى [من الطويل] :

لكَ الله من عزم أجوبُ جيوبهُ   كأنىَ فى أجفان عين الردى كحلُ
كأن السرى ساقٍ كأن الكرى طلاً   كأنا لهـا شَربٌ كأن المنى نَقْلُ
كأنا جيـاعٌ والمطىُّ لنـا فمٌ   كأن الفلاَ زادٌ كأن السرى أكلُ
كأنَ ينابيع الثرى ثدىُ مرضعٍ   وفى حجرها منّى ومن ناقتى طفلُ
كأنا على أرجوحـةٍ فى مسـيرنا   لِغَورٍ بنا تهوِى ونجدٍ بنا تعلوُ

ومنها فى المديح ولم يخرج عن حسن المناسبة [من الطويل] :

كأن فى قوسٌ لسانى لهُ يدٌ   مديحى لهُ نزعٌ به أملى نبلُ
كأن دواتى مُطْفِـلٌ حبشيةٌ   بنانى لها بعلٌ ونقشى لها نسلُ

كأن يدى فى الطِّرْس غوَّاص لجةٍ   بها كلى دُرٌّ به قيمتى تغلو

وله أيضاً فى قريب منه يمدح الممدوح فى القصيدة قبله ، وهو الملك خلف ابن أحمد صاحب سجستان [من الطويل] :

وليلٍ كذكراه كمعناه كاسمه   كدين ابن عباد كادبار فائقِ
شققنا بأيدى العيس بُرْدَ ظلامه   وبتنا على وعدٍ من السير صادقِ
تزجُّ بنا الأسفارُ فى كل شاهقٍ   وترمى بنا الآمالُ فى كل حالقِ
كأن مطايانا شفار كأنما   تمدُّ إليهنَّ الفلاَ كفَّ سارقِ
كأن نجوم الليل نَظّارةٌ لنا   تعجب من آمالنا والعوائقِ
كأن نسيم الصبح فرصة آيسٍ   كأن سراب القيظ خجلةُ وامقِ

ومن الغريب هنا قول ابن الرومى يصف أينقاً [من البسيط] :

تطوى الفلاَ وكأن الآلَ أرديةٌ   ونارةً وكأنَّ الليل سيجانُ
كأنها فى ضَحَاضيح الضحى سفنٌ   وفى الغمار من الظلماء حيتانُ

وما أرشق قول ابن رشيق [من الطويل] :

أصح وأقوى ماسمعناهُ فى الندى   من الخبر المأثور منذ قديمِ
أحاديث ترويها السيول عن الحيا   عن البحر عن كف الأمير تميمِ

ومن المستحسن فى هذا النوع قول ابن زيلاق فى غلام معه خادم يحرسه [من الطويل] :

ومن عجبٍ أن يحرسوكَ بخادمٍ   وخدّامُ هذا الحسن من ذاكَ أكثرُ
عذاركَ ريحانٌ وثغرك جوهرٌ   وخدُّكَ ياقوت وخالكَ عنبرُ

وما أبدع قول ابن مطروح [من مجزوء المتقارب] :

وليلة وصلٍ خلَتْ   فيا عاذلى لا تسَلْ

لبسنا ثياب العناق مزررة بالقبل

ومثله قول العماد السلماسى (١) [من مجزوء الكامل]:

شَقَّت عليكَ يدُ الأسى ثوبَ الدموع إلى الذيولِ

وعجيب قول ابن الخشاب فى المستضىء وأجاد [من الكامل]:

وَرَدَ الورى سلسال جودكَ فارتوَوْا ووقفت دون الوِرْد وقفة حائمِ

ظمآن أطلبُ خفة من زحمةٍ والورد لا يزداد غير تزاحمِ

وقول ابن شرف فى اجتماع البعوض والذباب والبراغيث فى مجلس، مخاطبا لصاحبه يستهزىء به [من الكامل]:

لكَ مجلسٌ كملتْ ستارتنا بهِ للهو، لكن تحتَ ذاكَ حديثُ

غنَّى الذبابُ وظلَّ يزمر حولهُ فيه البعوض ويرقص البرغوثُ

ومن النهايات هنا قول القاضى عبد الرحيم الفاضل [من الكامل]:

فى خدّه فخ كعطفة صُدْغهِ والخالُ حَبَّتهُ وقلبى الطائرُ

وقول مجير الدين بن تميم [من الكامل]:

لو كنتَ تَشهَدُنى وقدحمىَ الوغَى فى موقفٍ ما الموت عنه بمعزلِ

لترَى أنابيبَ القناة على يدى تجرى دَماً من تحت ظلّ القسطلِ

وقد أغرب الأديب بدر الدين حسن الزغارى بقوله [من الطويل]:

كأنَّ السحابَ الغرَّ لمَّا تجمعتْ وقد فرقتْ عنا الهمومَ بجمعهَا

نياقٌ ووجهُ الأرض قعبٌ وثلجها حليبٌ وكف الريح حالب ضرعها

والباب واسع، ولا بد من مراعاة الاختصار هنا.

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة هنا ما نصه «قوله السلماسى، كذا فى نسخة وفى أخرى السلمانى».

* * *

شاهد الارصاد أو التسهيم

١١٨ — إذَا لم تستطعْ شيئاً فدعهُ وجاوِزهُ إلى ما تستطيعُ

البيت لعمرو بن معدِي كرب الزبيدى ، من قصيدة (١) من الوافر ، وأولها :

أمِنْ رَيحانةَ الدّاعى السميعُ يؤَرّقنى وأصحابى هُجُوعُ
سبَاهَا الصمّةُ الجشمىُّ غصباً كأنّ بياضَ غرّتها صديعُ
وحالت دونها فرسانُ قيسٍ تكشفُ عن سواعدها الدروعُ

و بعده البيت ، و بعده :

وصلهُ بالزمان فكلُّ أمرٍ سمَا لكَ أو سموتَ لهُ ولوعُ

وهى طويلة .

قال المدائنى : حدثنى رجل من قريش قال : كنا عند فلان القرشى ، فجاءه رجلٌ بجارية ، فغنته [من السريع] :

بالله يا ظبيَ بنى الحارثِ هلْ مَنْ وفى بالعهد كالناكث

وغنّته أيضا بغناء ابن سريج [من المنسرح] :

---

(١) اقرأها فى الأصمعيات (٤٣ ـ ٤٥ أوربة) وليست الأبيات التى رواها المؤلف هنا متوالية فى رواية الأصمعيات ، وليس البيت الثانى فيها بهذه الألفاظ ، وقد روى ابن قتيبة فى الشعراء المطلع ، ثم روى أربعة أبيات فيها بيت الشاهد والذى بعده . وقد روى صاحب الأغانى (١٤ ـ ٣٣) أربعة أبيات من أول القصيدة بترتيب المؤلف هاهنا ، وآخرها بيت الشاهد ، ولكن الأغانى لا يروى الشعر على ترتيبه فى كلام قائليه ، وإنما يرويه على ترتيب الغناء

يا طولَ ليلى وبتُّ لم أنمِ   وسادىَ الهمُّ مُبطنٌ سقمِي

فأعجبته ، واستامَ مولاها فاشتط عليـه فأبى شراءها ، وأعجبت الجارية بالفتى ، فلما امتنع مولاها من البيع إلا بشطط قال القرشى : فلا حاجـة لنا فى جاريتك ، فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتها ، تقول :

* إذا لم تستطع شيئا فدعهُ * البيتَ .

قال : فقال الفتى القرشى : أفأنا لا أستطيع شراءك ؟ والله لأشترينك بمـا بلغت ، قالت الجارية : فذلك أردتُ . قال القرشى : إنى لا أخيبك، وابتاعها من ساعته .

والشاهد فيه : الارصاد ، ويسميه بعضهم التسهيم ، وهو : أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ، مايدل على العجز إذا عرف الروىّ — وهو الحرف الذى تبنى عليـه أواخر الأبيات أو الفقر — ويجب تـكراره فى كل منها فانه قد يكون منها مالا يعرف منه العجز لعدم معرفة حرف الروى كقول البحترى [من الطويل]:

أحلَّت دمى من غير جرم وحرَّمت   بلا سبب يوم اللقـاء كلامى
فليس الذى قد حللت بمحلل   وليس الذى قد حرمت بحرام

فانه لو لم يعرف أن القافية مثل سـلام وكلام لربمـا توهم أن العجز بمحرم ، وقول جنوب أخت عمرو ذى الـكَلْب [من المتقارب] :

وخرق تجاوزت مجهـوله   بوجناء حرف تشكَّى الكلالا
فـكنت النهار به شمسه   وكنت دجى الليل فيه الهلالا

والقول فيه كالذى قبله

(١) روى ابن حجة فى البحث التسهيم من خزانة الأدب (١٥٧) كثيرا من الشواهد التى ذكرها المؤلف هنا

ومما اختير من شواهد هذا النوع قول الراعي [من الوافر] :

وإن وَزِنَ الحصى فوزَنْتُ قومي وجدتُ حصى ضريبتهم وزينا

وقد حكى أن عمر بن أبي ربيعة المخزومي جلس إلى ابن عباس رضي الله عنهما فابتدأ ينشده :

* تشطُّ غداً دارُ جيرانِنا *

فقال ابن عباس رضي الله عنه :

* وللَدارُ بعدَ غدٍ أبعدُ *

وكان كذلك ولم يَسْمع غير الشطر الأول .

وكذلك يحكى عن عدى بن الرِّقاع أنه أنشد في صفة الظبية وولدها [من الكامل] :

* تُزْجى أغَنَّ كأن إبرة رَوْقِهِ *

وغفل الممدوح عنه فسكت ، وكان جرير حاضراً فقيل له : ما تراه يقول؟ فقال جرير :

* قلم أصابَ من الدواة مدادَها *

وأقبل عليه الممدوح فقال كما قال جرير لم يغادر حرفا

ومنه قول الخنساء [من المتقارب] :

ببيض الصفاح وسمر الرماح فبالبيض ضرباً وبالسمر وخزا

وقول دعبل [من الرمل] :

وإذا عاندنا ذو قــوةٍ غضب الروح عليه فعرجْ

فعلى أيماننا يجرى النَّدَى وعلى أسيافنا تجرى المُهَجْ

ومن جيده قول بعضهم [من الطويل] :

ولو أنني أعطيتُ من دهرىَ المنى وما كل من يُعْطَى المنى بمسَدَّدِ

لقلت لأيامٍ مضينَ ألا ارجعي وَقلت لأيام أتَيْنَ ألا ابْعُدى

وما أحسن قول البحترى [من الكامل] :

أبكيكما دمعاً ولو أنى على قَدْرِ الجوى أبكى بكيتكما دَمَا

وحدث إبراهيم بن أبى محمد اليزيدى قال : كنت عند المأمون يوما وبحضرته عريب فقالت له على سبيل الولع : يا سلعوس ، وكانت جوارى المأمون يلقبننى بذلك عبثا ، فقلت [من الطويل] :

وقل لعريب لا تكونى مسلعسه وكونى كتعريف وكونى كمؤنسه

فقال المأمون :

فان كثرت منك الأقاويل لم يكن هنالك شىء ، إن ذا منك وسوسه

فقلت : كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول ، وعجبت من ذهن المأمون وطبعه وفطنته

ولمؤلفه من أبيات [من الكامل] :

ليس التقدم بالزمان مقدِّماً أحداً ولا التأخير فيه يؤخِّرُ

فلكل عصر مستجد تُبَّعٌ ولكل وقت مقبل إسكندر

ومدح أبو الرجاء الأهوازى الصاحب ابن عباد لما ورد الأهواز بقصيدة منها [من السريع] :

إلى ابن عبادٍ أبى القاسم الـ صاحب إسماعيل كافى الكفاة

فاستحسن جمعه بين اسمه وَلقبه وكنيته واسم أبيه فى بيت واحد ، ثم ذكر وصوله إلى بغداد وملكه إياها فقال :

* ويشربُ الجندُ هنيئاً بها *

فقال له ابن عباد : أمسك أمسك ، أتريد أن تقول :

* من بعد ماء الرى ماء الفراة *

فقال : هكذا والله أردت ، وضحك

وعمرو[1] بن معدى كرب هو: أبو عبد الله، وقيل: أبو ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عاصم[2] بن عمرو بن زبيد ، ينتهى نسبه لقحطان ، ويكنى أبا ثور ، وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرهم[3] فيما ذكر ، وهى معدودة من المنجبات ، وعن أبى عبيدة قال: عمرو بن معدى كرب فارس اليمن ، وهو مقدم على زيد الخيل فى الشدة والبأس

ترجمة عمرو بن معديكرب الزبيدى

وعن زيد بن قحيف الكلابى قال : سمعت أشياخنا يزعمون أن عمرو بن معدى كرب كان يقال له مائق بنى زبيد ، فبلغهم أن خثعم تريدهم ، فتأهبوا لهم وجمع معدى كرب بنى زبيد ، فدخل عمرو على أخته فقال لها : أشبعينى إنى غدا آتى الكتيبة ، فجاء معدى كرب فأخبرته ابنته فقال: هذا المائق يقول ذلك ؟ قالت : نعم ، قال : فسليه ما يشبعه ، فسألته فقال : فرق من ذرة وعنز رباعية ، قال : وكان الفرق يومئذ ثلاثة آصع، فصنع له ذلك وذبح العنز وهيأ الطعام ، قال : فجلس عمرو عليه فسلته جميعا ، وأتتهم خثعم الصباح، فلقوهم، وجاء عمرو فرمى بنفسه ثم رفع رأسه فاذا لواء أبيه قائم ، فوضع رأسه ثم رفعه فاذا هو قد زال ، فقام كأنه سرحة محرقة فتلقى أباه وقد انهزموا ، فقال له : انزل عنها ، فقال : إليك يا مائق ؟ فقال له بنو زبيد : خله أيها الرجل وما يريد فان قتل كفيت مؤنته وإن ظهر فهو لك ، فألقى إليه سلاحه ثم ركب فرمى خثعم بنفسه حتى خرج من

(١) تجد ترجمة عمرو بن معديكرب الزبيدى فى الشعراء لابن قتيبة (٢١٩) وفى الأغانى (١٤ : ٢٥ - ٤١) وفى خزانة الأدب للبغدادى (١ - ٤٢٢ و ٣ - ٤٦٠)

(٢) في الأغانى « ابن عصم »

(٣) فى الأغاني « من جرم » وهو الصواب .

بين أظهرهم ، ثم كرعليهم ، وفعل ذلك مرارا ، وحملت عليهم بنوز بيد ، فانهزمت خثعم وقهروا فقيل له يومئذ : فارس بنى زبيد

إسلام عمرو بن معد يكرب

وكان من خبر إسلام عمرو بن معدى كرب الزبيدى ما حكاه المدائنى عن أبى اليقظان عن جويرية بن أسماء ، قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من غَزاة تَبُوكَ يريد المدينة ، فأدرك عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى رجال من بنى زبيد ، فتقدم عمرو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسك عنه حتى أوذن به ، فلما تقدم ورسول الله يسير قال : حياك إلهك أبيت اللعن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، فآمن بالله يؤمنك الله يوم الفزع الأكبر » فقال عمرو ابن معدى كرب: وما الفزع الأكبر ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه فزع ليس كما تحسب وتظن ، إنه يُصاح بالناس صيحة لا يبقى حى إلا مات إلا ماشاء الله تعالى من ذلك ، ثم يصاح بالناس صيحة لا يبقى ميت إلا نشر ، ثم تلج تلك الأرض بدوى تنهد منه الأرض وتخر منه الجبال وتنشق السماء انشقاق القبطية الجديدة ماشاء الله من ذلك ، ثم تبرز النار فينظر إليها حمراء ،ظلمة قد صار لها لسان فى السماء ترمى بمثل رؤوس الجبال من شرر النار ، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه وَذكر ذنبه ، أين أنت ياعمرو » ؟ فقال : إنى أسمع أمرا عظيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عمرو أسلم تسلم » فأسلم وبايع لقومه على الاسلام وذلك مُنْصَرَفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تَبُوكَ ، وكانت فى رجب سنة تسع

وعن أبى عبيدة قال : لما ارتد عمرو بن معدى كرب مع من ارتد عن الاسلام من مذحج استجاش فروة(١) النبيّ صلى الله عليه وسلم فوجَّه إليهم خالد

(١) فروة : هوفروة بن مسيك المرادى ، وكان قد قدم معه عمرو بن معديكرب على النبى صلى الله عليه وسلم وأسلموا وبعث رسول الله صلى=

ابن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد وقال لهما: إذا اجتمعتم فعلى بن أبى طالب أميركم وهو على الناس ، ووجه عليا رضى الله عنه ، فاجتمعوا بكسر من أرض اليمن ، فاقتتلوا وقتل بعضهم ونجا بعض ، فلم تزل جعفر وزبيد وأدد بنو [1] سعد العشيرة بعدها قليلة [2] يروى أنه لما بلغ عمرو بن معدى كرب قربُ مكانهم أقبل فى جماعة من قومه ، فلما دنا منهم قال: دعونى حتى آتى هؤلاء القوم فانى لم أسَمَّ لأحد قط إلا هابنى،فلما دنا منهم نادى: أنا أبو ثور ، أنا عمرو بن معدى كرب فابتدره على وخالد وكلاهما يقول لصاحبه : خلنى وإياه، ويفديه بأبيه وأمه ، فقال عمرو إذ سمع قولهما : العرب تفزع منى ، وأرانى لهؤلاء جزراً ، فانصرف عنهما ثم رجع إلى الإسلام ، وفى هذا الوجه وقعت الصمصامة [3] إلى آل سعيد ، وكان سبب وقوعها إليهم أن ريحانة بنت معدى كرب ، وهى المعنية أول القصيدة ، سبيت يومئذ فأفداها [4] خالد ، وأثابه عمرو الصمصامة ، فصار إلى أخيه سعيد فوجد سعيد جريحا يوم قتل عثمان رضى الله عنه حين حصر (أى فى الدار) وقد ذهب السيف والغمد ، ثم وجد الغمد ، فلما قام معاوية جاءه أعرابى بالسيف بغير غمد ، وسعيد حاضر، فقال سعيد: هذا سيفى ، فجحد الأعرابى مقالته ، فقال سعيد: الدليل على أنه سيفى أن تبعث إلى غمده فتغمده فيكون كفافه ، فبعث معاوية إلى الغمد فأتى به من منزل سعيد فاذا هو عليه ، فأقر الأعرابى أنه أصابه يوم الدار ، فأخذه سعيد منه وأثابه ، فلم يزل عندهم حتى أصعد المهدى من البصرة

= الله عليه وسلم فروة على صدقات من أسلم منهم ، وأمره أن يدعو الناس ويتألفهم وأنه إذا وجد الفرصة ينتهزها ويغزو المشركين .

(١) فى مطبوعة بولاق «وأود بن سعد العشيرة» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى مطبوعة بولاق « قبيلة » وأثبتنا ما فى الأغانى

(٣) الصمصامة : سيف عمرو بن معد يكرب

(٤) فى الأغانى « ففداها خالد »

[فلما كان بواسط [١]] فأرسل إلى آل سعيد فيه ، فقالوا : إنه للسبيل ، فقال : خمسون سيفا قاطعا أغنى من سيف واحد ، فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه

وعن الشعبي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرض لعمرو بن معدى كرب فى الفىء ألفين فقال له : يا أمير المؤمنين ألف ههنا ، وأومأ إلى شق بطنه الأيمن ، وألف ههنا ، وأومأ إلى شق بطنه الأيسر ، فما يكون ههنا ؟ وأومأ إلى وسط بطنه ، فضحك عمر من كلام عمرو رضوان الله تعالى عليهما ، وزاده خمسمائة .

وقال أبو اليقظان : قال عمرو بن معدى كرب : لو سرت بظعينة وحدى على مياه معد كلها ما خفت أن أغلب عليها مالم يلقنى حراها وعبداها ، فأما الحران فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان فأسود بنى عبس - يعنى عنترة - والسُّلَيك بن السُّلَكة ، وكلهم لقيت ، فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت ، وأما عتيبة بن الحرث فأول الخيل إذا غارت وآخرها إذا آبت ، وأما عنترة فقليل النبوة شديد الكَلَب ، وأما السليك فبعيد الغارة كالليث الضارى

وعن قيس أن عمر رضى الله عنه كتب إلى سعد بن أبى وقاص : إنى قد أمددتك بألفى رجل عمرو بن معدى كرب وطليحة بن خويلد وهو طليحة الأسدى ، فشاورهما فى الحرب ولا تولّهما شيئا

وعنه قال : شهدت القادسية ، وكان سعد على الناس ، فجاء رستم فجعل يمر بنا وعمرو بن معدى كرب الزبيدى يمر على الصفوف ويحض الناس ويقول : يا معشر المهاجرين ، كونوا أسداً ، أعنى عباسا [٢] فإنما الفارسى تيس بعد أن

(١) زيادة عن الأغانى

(٢) فى الأغانى « كونوا أسدا أعنى ثابتة »

يلقى يبرُك (١) ، قال : وكان مع رستم أسوار لا تسقط له نشابة ، فقيل له : يا أبا ثور اتق ذلك ، فانا لنقول له ذلك إذ رماه رمية فأصاب فرسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه ثم ذبحه وسلبه سوارَىْ ذهبٍ كانا عليه ، وقباء ديباج ، قال غير قيس: ورجع بسلبه وهو يقول [من الرجز] :

أنا أبو ثور وسيفي ذُو النونْ أضربهم ضربَ غلامٍ مجنونْ

* يالَ زَبيدٍ إنهم يموتونْ *

وفي رواية عن أبي زيد أن عمراً شهد القادسية ، وهو ابن مائة وست سنين وقيل : بل ابن مائة وعشر ، ولما قتل العلج عبر نهر القادسية (٢) هو وقيس ابن مكشوح المرادى ، ومالك بن الحارث الأشتر ، وكان عمرو آخرهم ، وكانت فرسه ضعيفة ، فطلب غيرها ، فأتى بفرس فأخذ بعكوة (٣) ذنبه وأخلد به (٤) إلى الأرض ، فأقعى الفرس ، فرده وأتى بآخر ، ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع ، فقال هذا على كل حال أقوى من ذلك ، وقال لأصحابه : إنى حاملٌ وعابرٌ الجسر ، فان أسرعتم بمقدار جزْر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتل به تلقاء وجهى وقد عقرنى القوم وأنا قائم بينهم ، وقد قتلت وجردت ، وإن أبطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم وقد قتلت وجردت ، ثم انغمس فحمل فى القوم ، فقال بعضهم : يابنى زبيد علىَ مَ تدَعُونَ صاحبكم؟ والله ما نرى أن تدركوه حياً ، فحملوا ، فانتهوا إليه وقد صرع عن فرسه ، وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها ، وإن الفارس

---

(١) فى مطبوعة بولاق « بعد أن يلقى نيزكه » و أثبتناما فى الأغاني

(٢) فى الأصل «عبر بنهر القادسية» وماأثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٣) فى الأصل « بعكدة ذنبه » وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني ، والعكوة ــ بضم العين ، وتفتح ــ أصل الذنب

(٤) فى الأغانى « وأجلد به »

ليضرب الفرس فلا تقدر أن تتحرك من يده ؛ فلما غشينا رمى الأعجمى بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور، كدتم والله تفقدوننى ؛ قالوا : أين فرسك ؟ قال : رمى بنشابة فشب فصرعنى وعار [1]

وعن أبان بن صالح قال : قال عمرو بن معدى كرب يوم القادسية : ألزموا خراطيم الفيلة السيوف فانه ليس لها مقتل إلا خراطيمها ، ثم شد على رستم وهو على الفيل فضرب فيله فجذم [2] عرقوبيه فسقط وحمل رستم على فرس ، وسقط من تحته خرج فيه أربعون ألف دينار فحازه المسلمون، وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله وانهزم المشركون . وقيل : إن الخرج سقط عليه فقتله

وعن الشعبي قال : جاءت زيادة من عند عمر يوم القادسية فقال عمرو بن معدى كرب لطليحة : أما ترى أن هذه الزعانف [3] تزاد ولا نزاد ، انطلق بنا إلى هذا الرجل حتى نكلمه ، فقال : هيهات ، والله لا ألقاه فى هذا أبداً ، فلقد لقينى فى بعض فجاج مكة فقال : يا طليحة ، أقتلت عكاشة ؟ فتوعدنى وعيداً ظننت أنه قاتلى ، ولا آمنه ، قال عمرو : ولكننى ألقاه ، قال : أنت وذاك ، فخرج إلى المدينة ، فقدم على عمر رضى الله عنه وهو يُغَدِّى الناس ، وقد جَزَّنَ لعشرة

---

(١) فى الأصل « وغار » بالغين معجمة ـ وهو تحريف ما أثبتناه ، ويقال عار الفرس والكلب ـ بالعين مهملة ـ إذا ذهب وانفلت

(٢) فى الأصل « فجزم » بالزاى محرفا

(٣) فى الأصل « أما ترى هذه الزعانق تزاد ولا تزاد » وفيه تحريف فى موضعين ، وما أثبتناه موافق لما في الأغانى ، والزعانف : جمع زعنفة ـ بكسر الزاى والنون بينهما عين ساكنة ـ وأصلها القطعة من الثوب ، ثم تطلق على الرذل من الناس ، وأراد بهذه العبارة أن الخليفة قد منح أراذل الناس من المقاتلة ولم يمنحهما .

عشرة ، فأقعده عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو، فأقعد معه تكملة عشرة(١) حتى أكل مع ثلاثين ، ثم قام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لى مآكل فى الجاهلية منعنى منها الاسلام ، وقد صررت فى بطنى صرتين وتركت بينهما هواء فسده ، فقال : عليك حجارة من حجارة الحرة فسده بها ياعمرو ، إنه بلغنى أنك تقول : إن لى سيفاً يقال له : الصمصامة ، وعندى سيف اسمه المصمم(٢) وإنى إن وضعته بين أذنيك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك .

وحدث يونس وأبو الخطاب ، قالا : لما كان يوم فتح القادسية ، أصاب المسلمون أسلحة ، وتيجاناً ، ومناطق ، ورقاباً، فبلغت مالا عظيما ، فعزل سعد الخمس ، ثم فض البقية . فأصاب الفارس ستة آلاف ، والراجل ألفان . وبقى مال دَثْر(٣) ، فكتب إلى عمر رضى الله عنه بما فعل ، فكتب إليه [أن رُد على المسلمين الخمس ، وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ، ففعل ، فأجراهم مجرى من شهد ، وكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه](٤) أن فض مابقى على حملة القرآن ، فأتاه عمرو بن معدكرب ، فقال له سعد : ما معك من كتاب الله؟ فقال عمرو : إنى أسلمت باليمن ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن، قال: مالك فى هذا المال نصيب ، وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمى ، وصاحب جباية بشر(٥)

---

(١) فى الأصل « ولم يقم عمرو فأقعد مع عشرة » وهى محرفة عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى « أسميه المصمم »

(٣) دثر ـ بفتح الدال وسكون الثاء المثلثة ـ كثير

(٤) هذه الزيادة ساقطة من الأصل ، وهى فى الأغانى عن يونس وأبى الخطاب اللذين أسند المؤلف الرواية إليهما

(٥) فى الأصل «بشر بن ربيعة الخثعمي صاحب جبانة بشر» محرفا وساقط الواو ، وأثبتنا ما فى الأغانى

فقال : ما معك من كتاب الله ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فضحك القوم ، ولم يعطه شيئاً ، فقال عمرو فى ذلك [من البسيط] :

إذَا قُتلنَا ولا يبـكى لنا أحدٌ   قالتْ قرَيش ٌألا تلكَ المقـادير ُ
نُعْطَى السوية منْ طعن لهُ نَفَذٌ   ولا سـويةَ إذ تعطى الدنانيرُ

وقال بشر بن ربيعة [من الطويل] :

أَنَختُ بباب القادسية ناقتى   وسـعدُ بن وقاص علىَّ أميرُ
وسعدٌ أميرٌ شرُّهُ دونَ خيرهِ   وخـيرُ أميرٍ بالعراق جَرِيرُ
وعنـدَ أمير المؤمنين نوافلٌ   وعندَ المثنَّى فضـةٌ وحَرِيرُ
تذكرْ هداكَ اللهُ وقعَ سيوفنا   بباب قديس والمكرُّ عسيرُ
عشيةَ ودّ القومُ لوأن بعضهم   يُعار جناحَىْ طائرٍ فيطـيرُ
إذَا مافرغنامن قراع كتيبةٍ   دَلَفنا لأخرى كالجبال تسيرُ
ترَى القوم فيها واجمين كأنهمْ   جمـالٌ بأحمالٍ لهـنّ زفيرُ

فـكتب سـعدٌ إلى عمر رضى الله عنـه بمـا قال لهما وما رَدَّا عليه ، وبالقصيدتين ، فـكتب أن أعطهما على بلائهما ، فأعطى لـكل واحد منهما ألفى درهم .

وعن ابن قتيبة أن سعداً كتب إلى عمر رضى الله عنـه يُثنى على عمرو ابن معدى كرب ، فسأل عمر عمراً عن سعد ، فقال : هو لنا كالأب ، أعرابىٌّ فى نمرته ، أسد فى تامُورته ، يقسم بالسوية ، ويعدل فى القضية ، وينفر(١) فى السرية ، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة ، فقال عمر رضى الله عنه : لشدَّ ما تقارضتما الثناء .

---

(١) فى الأصل «وينعر» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الشعراء لابن قتيبة الذى نقل عنه المؤلف

وجاء رجل وعمرو بن معدى كرب واقف بالكناسة على فرس له ، فقال : لأنظرن ما بقى من قوة أبى ثور ، فأدخل يده بين ساقه و بين السرج ، ففطن عمرو ، فضمها عليه وحرك فرسه فجعل الرجل يعدو مع الفرس ، لا يقدر أن ينزع يده ؛ حتى إذا بلغ منه قال : يا ابن أخى ، مالك ؟ قال : يدى تحت ساقك ، فخلى عنه ، وقال : يا ابن أخى إن فى عمك لبقية بعد .

وكان عمرو ـ مع شجاعته ومواقفه ـ مشهوراً بالكذب ، فحدث المبرد قال : كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظهرها يتناشدون الأشعار و يتحدثون ، ويتذاكرون أيام الناس . فوقف عمرو إلى جانب خالد بن الصقعب النهدى ، فأقبل عليه يحدثه ، ويقول : أغرت على بنى نهد ، فخرجوا إلى مسترعفين بخالد بن الصقعب يقدمهم فطعنته طعنة فوقع ، وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسه، فقال له الرجل : يا أبا ثور إن مقتولك الذى تذكره هوالذى تحدثه ، فقال : اللهم غفراً ! إنما أنت محدَّث فاستمع ، إنما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لنرهب هذه المَعَدِّية (١)

وقال محمد بن سلام : أبت العرب إلا أن عمرا كان يكذب ، قال : وقلت لخلف الأحمر ، وكان مولى للأشعريين ، وكان يتعصب لليمانية : أكان عمرو يكذب؟ قال : كان يكذب باللسان و يصدق بالفعال

وعن زياد مولى سعد قال : سمعت سعداً يقول ـ و بلغه أن عمرو بن معدى كرب وقع فى الخمر ، وأنه قد دله ـ : لقد كان له موطن صالح يوم القادسية عظيم (٢) الغناء شديد النكاية للعدو ، فقيل له : فقيس بن مكشوح ؟ فقال : هذا أبذل لنفسه من قيس ، و إن قيساً لشجاع

(١) يريد بالمعدية العدنانيين من العرب أبناء معد بن عدنان
(٢) فى الأصل « عظيم العناء » بالعين مهملة ، وهو محرف عما أثبتنا

وعن أبى محمد المرهبي قال : كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير فسمعته يحدث قال : قدم عيينة بن حصن الكوفة ، فأقام بها أياما ، ثم قال : والله مالى بأبى ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط ، يعنى بأبى ثور عمرو بن معدى كرب ، أسرجْ لى ياغلام ، فأسرج له فرساً أنثى من خيله ، فلما قرَّبها إليه ليركبها ، قال له : ويحك ! أرأيتنى ركبت أنثى فى الجاهلية فأركبها فى الاسلام ، فأسرج لى حصاناً فأسرجه ، فركبه وأقبل إلى محلة بنى زبيد . فسأل عن محلة عمرو بن معدى كرب ، فأرشد إليها ، فوقف ببابه ، ونادى : أى أبا ثور آخرج إلينا ، فخرج إليه مؤتزراً كأنما كسر وجبر ، فقال : انعم صباحاً أبا مالك . قال : أو ليس قد أبدلنا الله بهذا السلام عليكم ! قال : دعنا مما لا نعرف ، انزل فان عندى كبشاً شنَاَحاً (١) فنزل فعمد إلى الكبش فذبحه ، ثم كشط جلده عنه ، وعَضاهُ (٢) وألقاه فى قدر جماع وطبخه حتى إذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها وألقى القدر عليها ، فقعدا فأكلاه ، ثم قال له : أىُّ الشراب أحبُّ إليك: اللبن ، أم ما كنا نتنادم عليه فى الجاهلية ؟ قال : أو ليس قد حرمها الله عز وجل علينا فى الاسلام ؟ قال: أنت أكبر سناً أم أنا ؟ قال: أنت ، قال : أفأنت أقدمُ إسلاما أم أنا ؟ قال : أنت ، قال: فانى قد قرأت ما بين دفتى المصحف ، فوالله ما وجدت لها تحريما ، إلا أنه قال (فهل أنتم منتهون) فقلنا : لا ، فسكت وسكتنا ، فقال له : أنت أكبر سنا وأقدم إسلاما ، فجاء بها ، فجلسا يتنادمان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا ، فلما أراد عيينة

(١) فى الأصل « كبشا ساحا » وفى الأغانى « كبشا سياحا » وأحسبهما جميعاً محرفين عما أثبتناه ، فانه يقال : بكر شناح - بزنة ثمان - إذا كان فتيا ، والشناح والشناحى والشناحية - بتخفيف الياء - الجسيم الطويل من الابل .

(٢) عضاه - بتشديد الضاد - قطعه أجزاء

الانصراف قال عمرو بن معدى كرب : ولئن انصرف أبو مالك بغير حِباء إنها لَوَصمةٌ علىّ ، فأمر بناقة له أرْحَبِيّة كأنها جبيرة لجين ، فارتحلها وحمله عليها ، ثم قال : يا غلام ، هات المزوَد ، فجاء بمزود فيه أربعة آلاف درهم ، فوضعها بين يديه ، فقال : أما المالُ فوالله لا قبلته ؛ قال : فوالله إنه لمن حباء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلم يقبله عيينة ، وانصرَف ، وهو يقول [من الطويل] :

جُزِيتَ أبا ثورٍ جزاء كرَامةٍ ... فنعمَ الفتى المُزْدَارُ والمتضيِّف
قرَيتَ فأكرَمتَ القِرَى وأفدتنَا ... خَبيةَ عِلمٍ لم تكنْ قطُّ تُعرَفُ(١)
وقلتَ حلالٌ أن نُديرَ مدامةً ... كلونِ انعقاقِ البرْقِ والليلُ مسدفُ
وقدَّمتَ فيها حجةً عربيةً ... تردُّ إلى الانصافِ من ليس ينصفُ
وأنتَ لنا والله ذى العرشِ قدوةٌ ... إذا صدَّنا عن شربها المتكلفُ
نقولُ أبو ثورٍ أحلَّ حرامها ... وقولُ أبى ثور أسدُّ وأعرَفُ(٢)

وغزا عمرو بن معدى كرب هو وأبىّ المرادى فأصابوا غنائم ، فادّعى أبى أنه قد كان مسانداً ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئا ، وبلغ عمراً أنه يتوعّدُه ، فقال عمرو فى ذلك قصيدة أولها [من الوافر] :

أعاذِلَ شكتى بدنى ورُمحى ... وكل مقلّص سَلسِ القيادِ(٣)
أعاذل إنمـا أفنى شبابى ... وأقرحَ عاتقى ثقلُ النجادِ(٤)

---

(١) فى الأغانى « تحية علم » وأراه محرفا عما هنا
(٢) في الأصل « تقول أبا ثور أحل حرامها » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى
(٣) فى الأصل « أعاذل سكنى » محرفا وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٤ - ٣٣) والشعراء لابن قتيبة (٢٢٢)
(٤) روى ابن قتيبة عجز هذا البيت
* ركوبى فى الصريخ إلى المنادى *

تمنَّانى ليلقانى أُبَىٌّ … وددت وأينما منى ودادى
ولو لاقيتنى ومعى سلاحى … تكشَّفَ شحمُ قلبك عن سواد
أريد حياته ويريد قتلى … عذيرَك من خليلك من مراد(١)

وهذا البيت كان يتمثل به على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا أعطى الناس ورأى ابن ملجم قاتله الله

وكان سبب موت عمرو بن معدى كرب ما حكاه ابن قتيبة وغيره قالوا : كانت مغازى العرب إذ ذاك الرى ودستى فخرج عمرو مع شباب من مذحج حتى نزل الخان الذى دون روذة ، فتغذى القوم ثم ناموا وقام كل رجل منهم لقضاء حاجته ، وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يجترىء أحد أن يدعوه وإن أبطأ ، فقام الناس للرحيل وترحلوا إلا من كان فى الخان الذى فيه عمرو ، فلما أبطأ صحنا به : يا أبا ثور ، فلم يجبنا ، وسمعنا علزا شديدا(٢) ومراساً فى الموضع الذى دخله ، فقصدناه وإذا به محمرة عيناه مائلا شدقه مفلوجا فحملناه على فرس ، وأمرنا غلاما شديد الذراع فارتدفه ليعدل ميله ، فمات بروذة ، ودفن على قارعة الطريق ، فقالت امرأته الجعفية ترثيه [من الطويل]

لقد غادر الركبُ الذين تحملوا … بروذة شخصاً لا ضعيفاً ولا غمرا
فقل لزبيد بل لمذحج كلها … فقدتُمْ أبا ثور سنانكم عَمْرَا
فإن تجزعوا لا يُغْنِ ذلك عنكم … ولكن سلوا الرحمن يُعقبكم صبرا

---

(١) فى الأغانى « أريد حباءه » وهو المعروف فى رواية هذا البيت

(٢) العلز ـ بفتح العين واللام جميعا ـ قلق وخفة وهلع المريض والأسير والحريص والمحتضر وفعله من باب فرح ، وهو علز كفرح أى قلق ، والمراس ـ بكسر الميم ـ الشدة ومعالجة الأمر

شاهد المشاكلة ١١٩ — قالوا اقْتَرِحْ شيئاً نُجِدْ لكَ طَبْخَهُ قلت اطْبُخُوا لى جُبَّةً وقميصا

البيت من الكامل ، وقائله أبو الرقعمق ، يروى أنه قال : كان لى إخوان أربعة ، وكنت أنادمهم أيام الأستاذ كافور الإخشيدى ، فجاءنى رسولهم فى يوم بارد ، وليست لى كسوة تحصننى من البرد ، فقال : إخوانك يقرأون عليك السلام ويقولون لك : قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة فاشْتَهِ علينا ما نطبخ لك منها ، قال : فكتبت إليهم [من الكامل] :

إخوانَنا قصدوا الصبوحَ بسحرةٍ فأتى رسولُهُمُ إلىَّ خصوصا
قالوا اقترح شيئاً نُجِدْ لك طبخه قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

قال : فذهب الرسول بالرقعة ، فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر فى كل صرة عشرة دنانير ، فلبست إحدى الخلع وصرت إليهم

والشاهد فيه : المشاكلة ، وهى : ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا ، وهى هنا قوله اطبخوا فانه أراد خيطوا فذكر خياطة الجبة والقميص بلفظ الطبخ لوقوعها فى صحبة طبخ الطعام

ومثل البيت قول ابن جابر الأندلسى [من الكامل] :

قالوا اتخذ دُهناً لقلبك يَشْفِهِ قلتُ ادهنوه بخدها المتوردِ

وذكرت باشتهاء أبى الرقعمق قول بعضهم [من الخفيف] :

قال لى عُوَّدى غَدَاةَ أتونى ما الذى تشتهيه واجتهدوا بى
قلتُ مُغْلًى فيه لسانُ وشاةٍ قطّعوه فيه بصنع عجيب
وَأضيفت إليه كبدُ حسودٍ فُقِئت فوقها عيون الرقيبِ

وقول الآخر [من الكامل] :

عندى لكم يوم التواصُلِ فرحةٌ يا معشر الجلساء والندماء

من أمثلة المشاكلة

أشوى قلوبَ الحاسدينَ بها وألــسنةَ الوشاة وأعينَ الرُقباءِ

ومن أمثلة المشاكلة قول عمرو بن كلثوم فى معلقته [من الوافر] :

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا فنجهل فوقَ جهل الجاهلينا

أرادَ : فنجازيه على جهله ؛ فجعل لفظة « فنجهل » موضع « فنجازيه » لأجل المشاكلة .

ومثل الأول ما حكى عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، أنه كان يشرب فى متنزه ، وعنده مانى الموسوس ، فقال عبيد الله [من الوافر] :

أرى غيماً تؤلفهُ جنوبٌ وأحسب أن ستأتينا بهطلِ

فحزمُ الرأى أن تأتى برطلٍ فتشربهُ وتأتينى برطلِ

فقال : ما هكذا قال الشاعر ، وإنما هو :

أرَى غيماً تؤلفهُ جنوبٌ أراهُ على مساءتنا حريصاً

فحزمُ الرأى أن تأتى برطلٍ فتشربهُ وتكسونى قميصاً

ترجمة أبي الرقعمق

وأبو الرقعمق [1] هو أحمد بن محمد الأنطاكىّ الشاعر المشهور ، ذكره الثعالبى فى اليتيمة فقال : هو نادرة الزمان ، وجملة الاحسان ، ممن تصرف بالشعر [الجزل [2]] فى أنواح الجد والهزل ، وأحرزَ قصبات الفضل ؛ وهو أحد المداح المجيدين ، والشعراء المحسنين ، وهو بالشام كابن حجاج [3] بالعراق . ومدح ملوك مصر ووزراءها : فمن غرر شعره قوله يمدح الوزير يعقوب بن كلّس ؛ [من الخفيف] :

---

(١) تجد ترجمة أبى الرقعمق فى يتيمة الدهر (١ ـ ٢٦٩ مصر)

(٢) زيادة عن اليتيمة

(٣) فى الأصل « كابن الحجاج » وقد أثبتنا ما ورد فى اليتيمة

قد سمعنا مقاله واعتذاره وأقلناه ذنبه وعثاره
والمعانى لمن عنيت ولكن بك عرضت فاسمعى ياجاره

منها:

سحرتنى ألحاظه وكذا كل مليح عيونه سحاره
ما على مؤثر التباعد والاعراض لو آثر الرضا والزياره

وهى طويلة، وأكثر شعره جيد على هذا الأسلوب. مثل صريع الدلاء والقصار.
ومن شعره على طريق ابن حجاج قوله [من مجزوء الكامل]:

كتب الحصير إلى السرير أن الفصيل ابن البعير
فلأمنعن حمارتى سنتين من أكل الشعير
لاهم إلا أن تطير من الهزال مع الطيور
ولأخبرنك قصتى فلقد سقطت على الخبير(١)
إن الذين تصافعوا بالقرع فى زمن القشور
أسفوا على لأنهم حضروا ولم أك فى الحضور
لو كنتم لقيل هل من آخذ بيد الضرير
ولقد دخلت على الصديق البيت فى اليوم المطير
متشمراً متبختراً للصفع بالدلو الكبير
فأدرت حين تبادروا دلوى فكان على المدير(٢)
يا للرجال تصافعوا فالصفع مفتاح السرور

---

(١) فى اليتيمة «فلقد وقعت على الخبير» وما هنا أقرب إلى قولهم فى المثل «على الخبير بها سقطت»

(٢) فى الأصل «فأردت حين تبادروا» وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة ويقتضيه عجز البيت

هو في المجالس كالبخو ر وكالقلائدِ في النحورِ[١]

وله قصيدة طويلة مشهورة أولها [من مجزوء الرجز] :

وقوقتى وقوقتى هدية في طبقِ[٢]

أما ترون بينكم تيساً طويل العنق

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين وثلثمائة

* * *

١٢٠ — إذا ما نهى النَّاهى فلَجَّ بى الهوى
أصاخت إلى الواشى فلَجَّ بها الهجرُ

شاهد المزاوجة

البيت للبحترى ، من قصيدة[٣] من الطويل فى الفتح بن خاقان ، أولها

متى لاح برقٌ أو بدا طللٌ قفرُ جرى مُسْتَهِلٌّ لا بطىء ولا نَزْرُ

وما الشوق إلا لوعةٌ بعد لوعةٍ وغُزْرٌ من الآماقِ تتبعُها غزرُ

فلا تذكرا عهدَ التصابى فانه تقضَّى ولم يشعرْ به ذلك العصر[٤]

إلى أن يقول فيها :

هل العيش إلا أن تساعفنا النوى بوَصْلِ سُعَادَ أو يساعدَنا الدهرُ

إلى أن يقول فيها :

---

(١) فى اليتيمة روى هذا البيت :

هو فى المجالس كالبخو ر فلا تملوا من بخورى

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله وقوقتى إلخ ، هو كالذى قبله من قبيل المجون الذى قد يؤتى فيه بألفاظ خالية من المعانى » اهـ

(٣) اقرأها فى الديوان (١ — ٢١٧)

(٤) فى الديوان * تقضى ولم نشعر به ذلك العصر * وهو أرق

على أنها ما عندها لمُوَاصِلٍ   وِصالٌ ولا عنها لمصطبرٍ صبرُ

وبعده البيت ، وهى طويلة يقول منها فى المخلص :

لعمْرُكَ ما الدنيا بناقصة الجَدَا   إذا بقىَ الفتحُ بن خاقان والقطرُ (١)

ومعنى أصاخت استمعت ، والواشى : النمام الذى يشى حديثه و يزينه

والشاهد فيه : المزاوجة ، وهى : أن يزاوج المتكلم بين معنيين فى الشرط والجزاء ، فهنا زاوج بين نهى الناهى وإصاختها إلى الواشى الواقعين فى الشرط والجزاء فى أن يترتب عليهما لجاج شىء .

من أمثلة المزاوجة

ومثله قوله أيضا [من الطويل] :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤُها   تذكرت القربى ففاضت دموعُها(٢)

فزاوج بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين فى الشرط والجزاء فى ترتب فيضان شىء عليهما .

ومن المزاوجة قول أبى تمام [من المتقارب] :

وكنا جميعاً شريكى عنانٍ   رضيعى لِبانٍ خليلى صفاء

وفى معنى صدر البيت قول أبى نواس [من البسيط] :

دَعْ عَنْكَ لومى فان اللَّوْمَ إغراء   وداوِنى بالتى كانت هى الداء

وقول ابن زريق البغدادى [من البسيط] :

لا تعذِليه فانَّ العذل يُولِعُهُ   قد قلتِ حَقًّا ولكن ليس يسمعه

وقول ابن شرف القيروانى [من الكامل] :

قلْ للعذول لو اطلعت على الذى   عاينته لعناكَ ما يعنينى (٣)

(١) الجدا بر نة الفتى ـ الخبر ، والقطر ـ بفتح فسكون ـ المطر
(٢) احتربت : أراد حاربت
(٣) فى الأصل « أعناك ما يعنينى » وعندنا أنه محرف عما أثبتناه

أتصدُّنى أم للغرَام تردُّنى وتلومنى فى الحب أمْ تُغْرِينى

دَعْنى فلستَ مُعَاقباً بجنايتى إذ ليس دينك لى ولالك دينى

وقول الصابى [من الخفيف] :

أيها اللائمُ المضيِّقُ صدرى لاتلمنى فكثرةُ اللوم تُغْرِى

قَدْ أقامَ القوَامُ حجةَ عشقى وأبانَ العذارُ فى الحب عذرى

***

١٢١ — قِفْ بالديار التى لم يعفها القدمُ بلَى وغيرَها الأرواحُ والدِّيَمُ شاهد الرجوع

البيت من البسيط، وهو أول قصيدة لزهير[١] بن أبى سلمى، يمدح بها هرم بن سنان، و بعده :

لاَ الدارُ غيرَها بعدُ الأنيسُ ولاَ بالدارِ لوكَلَّمَتْ ذا حاجة صممُ

دارٌ لأسماء بالغمرَين ماثلةٌ كالوحى ليس لها من أهلها أرِمُ[٢]

يقول منها فى مدحه :

إن البخيلَ ملومٌ حيثُ كان ولــكنّ الجوادَ على علاّته هرِمُ

---

(١) اقرأها فى الديوان (ص ١٤٥ طبع دار الكتب)

(٢) الغمر - بفتح فسكون - اسم موضع، وقد ثناه باعتبار ناحيتيه او أنه ضم إليه مكانا يجاوره فغلب اسم هذا على ذلك، وكثيرا ما يفعل الشعراء ذلك لأحد هذين الوجهين. والماثل، هنا : الذاهب الذى لا يرى له شخص، وليس بها أرم : أى ليس بها أحد، وتقول : ليس بهذه الدار أحد، ولا أرم، ولا عريب، ولا دبيح - بزنة سكين - ولا كتيع، ولا ديار، ولا نافخ ضرمة، وابن درستويه يقول : ليس بها آرم، من الأرم - بزنة سبب - وهو العلم، والمراد ليس بها ناصب علم.

هو الجوادُ الذى يعطيكَ نائلهُ عفواً ويُظلمُ أحيـاناً فيظَّلِمُ
فإن أتاهُ خليلٌ يومَ مسألةٍ يقولُ لا غائبٌ مالى ولاحَرِمُ

وهى طويلة.

والأرواح : جمع ريح ، ويجمع على أرياح أيضا ، ورياح ، وريح — بكسر الراء وفتح الياء — والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون.

والشاهد فى البيت : الرجوع ، وهو العوْد إلى الكلام السابق ، بالنقض والابطال لنكتة ، فهنا دل صدر البيت على أن تطاول الزمان وتقادم العهد لم يعف الديار ، ثم عاد إليه ونقضه فى عجز البيت بأنه قد غيرتها الرياح والأمطار(١) لنكتة ، وهى هنا : إظهار الكآبة والحزن والحيرة والدهش ، كأنه أخبر أولا بما لم يتحقق ، ثم رجع إليه عقله وأفاق بعض الافاقة فنقض كلامه السابق.

من أمثلة الرجوع

ومثله قول الشاعر(٢) [من الطويل] :

فأفٍّ لهذا الدهر لا بلْ لأهلهِ

وقول ابن الطثرية [من الطويل] :

أليسَ قليلاً نظرةٌ إن نظرتها إليك؟ وكلاّ ليسَ منكِ قليلُ

وقول أبى البيداء [من الطويل] :

---

(١) هذا قول ذهب إليه أبو عبيدة ، وتبعه عليه جمهرة العلماء ، وكان أبو زياد يقول : معنى البيت أن بعض الديار قد عفا ولم يعف بعض آخر

(٢) مثل هذا من قول الشعراء قول الطهوى :

فلا تبعدن ياخير عمرو بن جندب بلى إن من زار القبور ليبعدا

وقول سلامة بن جندل السعدى :

لمن طلل مثل الكتاب المنمق عفا عهده بين الصليب فمطرق
أكب عليه كاتب بدواته وحادثه للعين جدة مهرق

ومالىَ انتصارٌ إن غدَا الدهرُ جائرًا علىّ ، بلى إن كان من عندكَ النصرُ

وقول المتنبى [من الطويل] :

لِجنيَّةٍ أم غادةٍ رُفعَ السجفُ لِوَحشيةٍ ، لاَما لِوَحشيةٍ شَنْفُ

وما أحسن قول أبى بكر الخوارزمى فى شمس المعالى قابوس بن وشمكير (١) ، صاحب جرْجان [من البسيط] :

لم يبقَ فى الأرض من شىء أهابُ لهُ فلمْ أهابُ انكسارَ الجفن ذى السقمِ

أستغفرُ اللهَ من قولى ، غلطتُ ، بلىَ أهابُ شمسُ المعالى أمةَ الأممِ

وله فيه أيضا [من المتقارب] :

إذَا ماظمئتُ إلى ريقـهِ جعلتُ المدامةَ منهُ بديلاَ

وأينَ المـدامةُ من ريقهِ ولـكن أُعللُ قلباً عليلا

وبديع قول السراوندى [من الكامل] :

كالبدر بلْ كالشمس بلْ ككليهما كالليث بلْ كالغيث هطالِ الديمْ

وما ألطف قول ابن سناء الملك [من الكامل] :

ومليةٍ بالحسن يسخرُ وجهها بالبدر يهزأ ريقها بالقرْقفِ (٢)

لا أرتضى بالشمس تشبيها لها والبدرِ بل لاأ كتفى بالمكتفى

وهو من قول ابن المعتز [من الكامل] :

واللهِ لا كلمتها لو أنها كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفى

---

(١) فى المطبوعتين « بن وشكمير » محرفا

(٢) القرقف ـ بفتح القافين وسكون الراء بينهما ـ الخمر

شاهد الاستخدام

١٢٢ — إذا نزل السماء بأرض قوم ‏ رَعيناه وإن كانوا غِضابَا

نسب غالب شارحى التلخيص هذا البيت لجرير، وهو من قصيدة (١) من الوافر، أولها :

أقلى اللومَ عاذلَ والعتابَا ‏ وقولى إن أصبتُ لقد أصابَا

أجدَّك ماتذكر عهدِ نجدٍ ‏ وحيًّا طالما انتظروا الايابَا

بلى فارفض دمعُكَ غير نزْرٍ ‏ كما عيَّنْتَ بالسرَب الطبابَا (٢)

وهاجَ البرق ليلةَ أذرعاتٍ ‏ هوى ما تستطيع لهُ طلابا

وهى طويلة، والسماء : الغيث .

ونسبه المفضل فى اختياراته لمعاوية بن مالك بن جعفر معود الحكماء (٣)، وساقه فى قصيدة طويلة أولها :

أجدَّ القلبُ من سلمى اجتنابَا ‏ وأقصرَ بعد ما شابَتْ وشابَا

---

(١) اقرأ هذه القصيدة فى ديوان جرير (٦٤) والبيت الرابع ورد أيضا مطلع قصيدة له أخرى (ص ٢٢) وروى العينى أبياتا من هذه الكلمة من أولها وليس فيها البيت الرابع، وانظره بهامش الخزانة (١ — ٩٢)

(٢) فى الأصل «كما نميت بالشرب الظنابا» وأثبتنا ما فى الديوان والعينى «عينت» أصله أنهم كانوا يصنعون أوعية الماء من الجلد، فكانوا حين يتمون صنعها أو حين يشترون أحدها يضعون فيه الماء ينظرون هل ينصب منه الماء فهذا هو التعيين، ويقول أحدهم لصاحبه : عين إناءك. والسرب : السيلان، والطباب جمع طبابة — بكسر الطاء فيهما — قال الأصمعي: هى الجلدة التى يغطي بها الخرز، وهي معترضة على موضع الخرز كالاصبع

(٣) فى الأصل «معوذ» بالذال معجمة وهو تحريف وإنما سمى معاويه معود الحكماء لقوله فى هذه القصيدة :

اعود مثلها الحكماء بعدى ‏ إذا ما الحق فى الأشياع نابا

وشابَ لِدَاتُه وعدلنَ عنهُ كما أنضيتُ من لُبْسٍ ثيابا
فإن يكُ نبلها طاشتْ ونبلى فقد نرمى بها حقبا صيابا [١]
فتصطادُ الرجالَ إذا رمتهمْ وأصطادُ المخبأةَ الكعابا

منها :

وكنتُ إذا العظيمةُ أفزعتْهمْ نهضتُ ولا أدبُّ لها دبابا [٢]
بحمدِ الله ثم عطاء قومٍ يفكونَ الغنائمَ والرقابا
إذا نزَلَ السماء بأرضِ قوم رَعيناهُ وإن كانوا غضابا [٣]
بكلِّ مقلّصٍ عَبْلٍ شَوَاهُ إذا وُضعتْ أعنتهنَّ ثابا [٤]

ويدل على أن هذا البيت من هذه القصيدة أنه لم يوجد فى قصيدة جرير على اختلاف رواة ديوانه

والشاهد فيه : الاستخدام ، وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدُهما ثم يراد بضميره الآخر ، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما ، ثم يراد بالآخر الآخر ، فالأول كما فى البيت هنا ، فانه أراد بالسماء الغيث ، وبالضمير الراجع إليه من « رعيناه » النبت .

---

(١) طاشت : عالت وعدلت عن الهدف فلم تصبه . والحقب : جمع حقبة وهى البرهة من الدهر ، وصيابا : جمع صائب ، وهو الذى يصيب الهدف ، وموقع « صيابا » حال من الضمير المجرور فى « بها » أى نرمى بنبالنا حال كونها صائبة أزمنة متطاولة من الدهر

(٢) فى المفضليات « إذا العظيمة أفظعتهم »

(٣) فى المفضليات « إذا نزل السحاب »

(٤) فى الأصل « إذا وضعت أعنتهن سابا » وما أثبتناه موافق لما فى المفضليات . وثاب : رجع إلى جرى جديد لعتقه وفضله

وجرير[١] هو ابن: عطية بن الْخَطَفَى ، وهو لقبه ، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة[٢] بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مرة ، ينتهى نسبه لنزار ، ويكنى أبا حَزْرَةَ بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة ، وهى المرة الواحدة من الحزر

وهو والفرزدق والأخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعاً ، ومختلَفٌ فى أيهم المقدم ، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط

وكان أبو عمرو يشبه جريرا بالأعشى ، والفرزدق بزهير ، والأخطل بالنابغة

وقد حكم مروان بن أبى حفصة بين الثلاثة بقوله [من الكامل] :

ذهب الفرزْدقُ بالفخار ، وإنما حلْوُ الكلام ومرهُ لجرير
ولقد هجا فأمضَّ أخطلُ تغلبٍ وحوَى اللُّهى[٣] بمديحه المشهورِ
كلٌ الثلاثةِ قد أبرَّ بمدحهِ وهجاؤُه قد سارَ كلَّ مسيرِ

فهو كما تراه حكم للفرزدق بالفخار ، وللأخطل بالمدح والهجاء ، وبجميع فنون الشعر لجرير .

وقال أبو العلاء بن جرير العنبرى ، وكان شيخا قد جالس الناس : إذا لم يجىء الأخطل سابقا فهو سُكَيْتٌ ، والفرزدق لا يجىء سابقا ولا سكيتا ، وجرير يجىء سابقا ومصليا وسكيتا

وحدث مولى لبنى هاشم قال : امترى أهل المجلس فى جرير والفرزدق أيهما

---

(١) تجد ترجمة جرير فى الأغانى (٧ : ٣٨ – ٧٧) وفى الشعراء لابن قتيبه (٢٨٣)

(٢) فى الأصل «بن سلم» وأثبتنا ما فى الأغانى

(٣) اللهي : العطايا .

أشعر ، فدخلت على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى نادى : يا نوَار ، أدركت برنيتك يا نوار ؟ قالت : قد فعلت أو كادت ، قال : فابعثي بدرهم فاشتري لحما ، ففعلت وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل ، ثم قال : هات برنيتك ، فشرب قدحاً ثم ناولني ، وشرب آخر ثم ناولني ، ثم قال : هات حاجتك يا ابن أخي ، فأخبرته ، فقال : أعن ابن الخطفى تسألني ؟ ثم تنفس حتى انشقت حيازيمه ، ثم قال: قاتله الله فما أحسن ناجيته (١) ، وأشرد قافيته ، والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها ، والشابة على أحبابها ، ولكنهم هرُّوه فوجدوه عند الهراش نابحا ، وعند الجد قادحا ، ولقد قال بيتا لأن أكون قلتهُ أحبُّ إلى مما طلعت عليه الشمس ، وهو [من الوافر] :

إذا غضبَتْ عليك بنو تميم لقيت القومَ كلهمُ غضابا(٢)

وقال إسحاق بن يحيى بن طلحة : قدم علينا جرير المدينة ، فحشدنا له ، فبينا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته ، فجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا: قام آنفا ، ما تريد منه ؟ قال: أخزيه، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف، فأقبل جرير علينا، وقال : من الرجل؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح ،قال: هذا الخبيث بن الطيب ، ثم أقبل عليه فقال : قد قلت [من الطويل] :

يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العينُ قَرَّتْ

فانه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أفيقر ذلك بعينك ؟ قال: وكان الأحوص يرمى بالأبنة ، فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة

---

(١) في الأغاني « فما أخشن ناحيته » ولعله محرف عما هنا ، وناجيته : مناجاته يريد أن غزله عذب مستحسن

(٢) المحفوظ * رأيت القوم كلهم غضابا *

وكان راعى الإبل الشاعر يقضى للفرزدق على جرير ويفضله ، وكان راعى الإبل قد ضخم أمره ، وكان من أشعر الناس ، فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال : هل تعجبون لهذا الرجل الذى يقضى للفرزدق علىّ وهو يهجو قومه وَأنا أمدحهم ؟ قال جرير : فضربت رأيى فيه ، ثم خرج جرير ذات يوم يمشى ولم يركب دابة وقال : والله ما يسرنى أن يعلم أحد ، وكان لراعى الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بالمربد بالبصرة يجلسون فيها ، قال: فخرجت أتعرض إليه لعلى ألقاه على حياله حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه ، وما يسرنى أن يعلم أحد ، حتى إذا هو قد مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له أحوَى محذوف الذنب ، وإنسان يمشى معه يسأله عن بعض النسيب فلما استقبلته قلت : مرحبا بك يا أبا جندل ، وضربت بشمالى على مَعْرفة بغلته ، ثم قلت له: يا أبا جندل ، إن قولك يستمع ، وإنك تفضل الفرزدق على تفضيلا قبيحاً ، وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم ، وهو ابن عمى دونك، ويكفيك عن ذلك إذ ذكرنا أن تقول: كلاهما شاعر كريم ، ولا تحتمل منى ولا منه لائمة ، قال: فبينا أنا معه وهو كذلك واقفاً على وما ردّ على بذلك شيئا حتى لحق ابنه جندل فرفع كرمانية معه فضرب بها عجز بغلته ، ثم قال: لا أراك واقفا على كلب من كُلَيب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً ، وضرب البغلة ضربة فرمحتنى رمحة وقعت منها قلنسوتى ، فوالله ما عرج على الراعى فيقول سفيه عوى[1] يعنى جندلا ابنه ، ولكن لا والله ما عاج على ، فأخذت قلنسوتى فمسحتها ثم أعدتها على رأسى ثم قلت [من الوافر] :

أجندلُ ما تقولُ بنو نميرٍ إذا ما الأيْرُ فى استِ أبيكِ غابَا

---

(١) فى الأغانى « فوالله لو يعرج على الراعي لقلت سفيه غـوى ، يعنى جندلا ابنه »

فسمعت الراعى قال لابنه : أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة ، قال جرير : ولا والله ما القلنسوة بأغيظ أمره لى، لو كان عاج على، فانصرف جرير غضبان ، حتى إذا صلى العشاء ومنزله فى علية له قال : ارفعوا لى باطية من نبيذ وأسرجوا لى ، فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ ، قال : فجعل يهينم ، فسمعت صوته عجوز فى الدار ، فاطلعت فى الدرجة فنظرت إليه فاذا هو يحبو على الفراش عريانا لما هو فيه ، فانحدرت فقالت : ضيفكم مجنون ، رأيت منه كذا وكذا ، فقالوا لها : اذهبى لطيتك فنحن أعلم به وبما يمارس ، فما زال كذلك حتى كان السحر ، ثم إذا هو يكبر ، قد قالها ثمانين بيتا يهجو بنى نمير ، فلما ختمها بقوله :

فغضَّ الطرف إنك من نُميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

كبر ، ثم قال : أخزيته ورب الكعبة ، ثم أصبح حتى علم أن الناس قد أخذوا مجالسهم بالمربد ، وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق ، دعا بدهن فادهن وكف رأسه ، وكان حسن الشَّعْر ، ثم قال : يا غلام أسرج لى ، فأسرج له حصانا ثم قصد مجلسهم حتى إذا كان موقع السلام قال : يا غلام ، ولم يسلم، قل لعبيد(١) بعثتك نسوتك تكسبهن المال بالعراق ؟ أما والذى نفسى بيده لترجعنَّ إليهن بميرة تسوءهن ولا تسرهن ، ثم اندفع فيها فأنشدها ، فنكس الفرزدق وراعى الابل ، وأزم القوم ، حتى إذا فرغ منها وسار وثَبَ راعى الابل ساعتئذ فركب بغلته بشر وعر ، وخلا المجلس ، حتى أوفى إلى المنزل الذى ينزله ثم قال لأصحابه: ركابكم ركابكم فليس لكم هنا مُقام ، فَضحكم والله جرير ، فقال له بعض القوم : ذاك شؤمك وشؤم ابنك ، قال : فما كان إلا ترحُّلهم فساروا إلى أهلهم سيراً ما ساره أحد ، وهم بالشريف ـ وهو أعلى دار بنى نُمير ـ فيحلف بالله راعى الابل إنا وجدنا فى أهلنا :

(١) عبيد : هو الراعى ، اسمه عبيد بن حصين النميرى

* فغضَّ الطرفَ إنك من نُميرٍ *

وأقسم بالله ما بلغه إنسى قط ، وإن لجرير لأشياعا من الجن ، فتشاءمت به بنو نمير وسبُّوه وابنَه ، فهم يتشاءمون به إلى الآن

وحدث أبو عبيدة قال : التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير [من الطويل] :

فإنك لاقٍ بالمنازل من مِنىً فَخَاراً فخبرنى بمَنْ أنتَ فاخرُ

فقال له جرير : لبيك اللهم لبيك ، قال : فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويتعجبون منه

وعن العتبى، قال : قال جرير : ما عشقت قط ، ولو عشقت لنسبت نسيبا فتسمعه العجوز فتبكى على ما فاتها من شبابها ، وإنى لأروى من الرجز أمثال آثار الخيل فى الثرى ، ولولا أنى أخاف أن يستفرغنى لأكثرت منه

وعن أبى عبيدة قال : رأت أم جرير وهى حامل به كأنها ولدت حبلا من شَعْر أسود ، فلما خرج منها جعل ينزو فيقع فى عنق هذا فيقتله وفى عنق هذا فيخنقه ، حتى فعل ذلك برجال كثيرين ، فانتبهت فزعة فأوّلت الرؤيا فقيل لها: تلدين غلاما أسود شاعراً ذا شدة وشر وشكيمة وبلاء على الناس، فلما ولدته سمته جريراً باسم الحبل الذى رأت أنه خرج منها ، قال : والجرير الحبل

وحدث بلال بن جرير أن رجلا قال لجرير : مَنْ أشعر النـاس ؟ قال : قم حتى أعرفك الجواب ، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيـه عطية وقد أخذ عنزاً له فاعتقلها وجعل يمص ضَرْعَهَا ، فصاح به : اخرج يا أبت ، فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته ، فقال : أترى هذا ؟ قال : نعم ، قال : أو تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبى ، أفتدرى لم كان يشرب لبن العنز ؟ قلت: لا ، قال : مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن ، ثم قال : أشعر الناس

من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم به فغلبهم جميعا

وحدث المدائنى قال : كان جرير من أعق الناس بأبيه ، وكان ابنه بلال أعق الناس به ، فراجع جرير بلالا الكلام ، فقال له بلال : الكاذب منى ومنك ناك أمه ؟ فأقبلت أمه عليه فقالت له : يا عدو الله ، أتقول هذا لأبيك ؟ فقال جرير : دعيه فوالله لكأنى أسمعها وأنا أقولها لأبى

ونظير ذلك ماحكى عن يونس بن عبد الله الخياط أنه مر به رجل وهو يعصر حلق أبيه ، وكان عاقا به ، فقال له : ويحك! أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلصه من يده ، ثم أقبل على الأب يعزيه ويسكنه ، فقال له الأب : أخى لا تلمه ، واعلم أنه ابنى حقاً ، والله لقد خنقت أبى فى هذا الموضع الذى خنقنى فيه ، فانصرف الرجل وهو يضحك ولأبيه يقول [من الرجز] :

ما زال بى ما زال بى طَعْنُ أبى فى النسبِ
حتى تربيتُ وحتى ساء ظنى بأبى

ونشأ ليونس ولد يقال له دحيم فكان أعق الناس به ، فقال يونس فيه [من المنسرح] :

جلادُحيمٌ عماية الريبِ والشكُّ منى والظنُّ فى نسبى
ما زال بى الظنُّ والتشكك حتى عقنى مثل ما عققت أبى

وقال يونس بن عبد الله الخياط : جئت يوماً إلى أبى وهو جالس وعنده أصحاب له ، فوقفت عليهم لأغيظه وقلت : ألا أنشدكم شعرا قلته بالأمس ؟ قالوا : بلى ، فأنشدتهم [من البسيط] :

يا سائلى مَن أنا أو مَن يناسبُنى أنا الذى لا له أصلٌ ولا نسبُ
الكلب يختال فخراً حين يبْصرنى والكلب أكرمُ منى حين ينتسب
لوقال لى الناس طرًّا أنت ألأمنا ماوهمَ الناس فى ذاكم ولا كذبوا

قال : فوثب إلى أبى ليضربنى ، وعَدَوْتُ من بين يديه ، فجعل يشتمنى وأصحابه يضحكون

رجع إلى بقية أخبار جرير

حدث أبو العراف قال : قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو فى قصره بجرين البصرة : ائتيانى بلباس أبيكما فى الجاهلية ، فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد فى قبة، وشاور جرير دُهَاة بنى يربوع ، فقالوا له : مالباس آبائنا إلا الحديد فلبس جرير درعا وتقلد سيفا وأخذ رمحا وركب فرسا لعباد بن الحصين يقال له المنحاز ، وأقبل فى أربعين فارساً من بنى يربوع ، وجاء الفرزدق فى هيئته ، فقال جرير [من الطويل] :

لبست سلاحى والفرزدق لعبة ... عليه وشاحا كُرَّجٍ وجلاجلهُ (١)
أعِدَّ مع الحلى المَلَابَ فانما ... جرير لكم بعل وأنتم حلائله (٢)

ثم رجعا ، فوقف جرير فى مقبرة بنى حصن ، ووقف الفرزدق فى المربد ونُعِي الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده، فقال [من الكامل] :

مات الفرزدق بعدما جدعتُهُ ... ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر: بئس لعمر الله ما قلت فى ابن عمك! أتهجو ميتا؟ أما والله لو رثيته لكنت أكرم العرب وأشعرها ، فقال : إن رأى الأمير أن يكتمها على فانها سوءة ، ثم قال من وقته البيتين السابقين فى ترجمة الفرزدق فى شواهد المقدمة ، ثم بكى ، وقال : أما والله إنى لأعلم أنى قليل البقاء بعده ، ولقد كان نجمنا واحدا ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه ، فكان كذلك ، مات بعد سنة

---

(١) كرج ـ بزنة سكر ـ لعبة كهيئة المهر ، ووقع فى الأصل « كرجى وخلاخله » واثبتنا ما فى النقائض واللسان (كرج)

(٢) فى النقائض « اعدوا مع الحلى »

قال ابن الجوزى : مات سنة إحدى عشرة ومائة ، وكانت وفاته باليمامة ، وعُمِّرَ نيفا وثمانين سنة ، وقال ابن قتيبة فى المعارف : إن أمه حملت به سبعة أشهر .

* * *

من شواهد الاستخدام

١٢٣ — فَسقَى الغضَا والسا كِنِيهِ وإن هُمُ
شبُّوهُ بينَ جوانحٍ وقلوبِ

البيت للبحترى ، وهكذا هو فى ديوانه — وإن كان فى كثير من نسخ التلخيص ، بل وفى كثير من كتب هذا الفن بلفظ (١) « بين جوانحى وضلوعى » — وهو من قصيدة من الكامل أولها (٢)

كم بالكثيب من اعتراض كثيبِ ... وقوام غصنٍ فى الثياب رطيبِ
تأبى المنازلُ أن تجيبَ ومن جوًى ... يوم الديارِ دعوتُ غيرَ مُجيب

وبعده البيت ، وهى طويلة

والغضا : شجر معروف ، واحدته غضَاة ، وأرض غَضْيَانة : كثيرته

والشاهد فيه : الاستخدام أيضاً، فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين إلى الغضا وهو المجرور فى الساكنيه المكانَ وهو أرض لبنى كلاب وواد بنجد ، وبالآخر وهو المنصوب فى شبوه النارَ أى أوقدوا فى جوانحى نار الغضا، يعنى نار الهوى التى تشبه نار الغضا، وخص الغضا دون غيره لأن جمره بطىء الانطفاء

وقد استخدم كثير من الشعراء لفظة الغضا فقال ابن أبى حصينة [من الطويل]:

---

(١) وكذلك هو فى خزانة الأدب لابن حجة [٦٦]

(٢) اقرأها فى ديوان البحترى (١ – ٥٧) وبين البيتين اللذين أنشدهما المؤلف من أولها فى الديوان بيتان آخران ، وبعدهما قبل البيت المستشهد به بيتان أيضاً ، ورواية بيت الشاهد فى الديوان * فسقى الغضا والنازليه . . . *

أمثلة من استخدام الشعراء لفظ الغضا

أما والذى حجّ الملبّون بيته ... فمن ساجدٍ لله فيه وراكعِ
لقد جرّعتنى كأس بينٍ مريرةً ... من البعد سلمى بين تلك الأجارع
وحلّتْ بأكناف الغضا فكأنما ... حشتْ ناره بين الحشى والأضالع

وقالَ ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

إنّ الغضا لستُ أنسى أهلهُ فهمُ ... شبّوهُ بين ضلوعى يومَ بينهمِ
جرَى العقيقُ بقلبى بعدَما رحلوا ... ولو جرَى من دموع العين لم ألمِ

وقال ابن قلاقس الاسكندرى [من الكامل] :

حلتْ مطاياهم بملتفّ الغضا ... فكأنما شبّوه فى الأكبادِ

و بديع قول البدر بن لؤلؤ الذهبى [من الكامل] :

أحمامةَ الوادى بشرقىّ الغضا ... إن كنتِ مسعِدةَ الكئيب فرجّعِى
ولقد تقاسمنا الغضا فغصونُهُ ... فى راحتيكِ وجمرُهُ فى أضلُعى

ولمؤلفه من قصيدة [من الطويل] :

وحقّكِ إنى للرّياح لحاسدٌ ... ففى كلّ حين بالأحبة تخطرُ
تمرُّ الصبا عفواً على ساكنى الغضا ... وفى أضلعى نيرانهُ تتسعّرُ
فتذكرنى عهدَ العقيق وأدمعى ... تُساقطهُ والشىء بالشىء يذكرُ
ويورثُ عينى السفحُ حتى ترى به ... معالمَ بالأحبابِ تزهو وتزهرُ

أمثلة من بديع الاستخدام

ومن الاستخدام البديع قول المعرى يرثى فقيها حنفياً [من الخفيف]

وفقيهٌ ألفاظُهُ شِدنَ للنّعمان ما لم يَشدْهُ شعرُ زيادِ

وقوله أيضاً يصف درعا [من الخفيف] :

نثرةٌ من ضمانها للقنا الخطى عند اللقاء نثر الكعوب
مثلُ وشى الوليدِ لانتْ و إن كانت من الصُّنع مثلَ وشى حبيب

تلك ماذية وما لذبابِ السيفِ والصيفِ عندهامن نَصيبِ

فاستخدم لفظ « الذباب » فى معنييه : الأول طرف السيف ، والثانى الطائر المعروف .

ولابن جابر الأندلسى فيه [من البسيط] :

فى القَلب من حبكُم بَدْرٌ أقام به فالطّرْفُ يزدادُ نوراً حينَ يُبْصِرُهُ
تَشَابه العقد حُسْناً فوقَ لَبتهِ والثغرُ منه إذا ما لاحَ جوهرُهُ

ومن ظريف الاستخدام قول السراج الوراق [من السريع] :

دعِ الهوَينى وانتصبْ وا كتَسبْ وا كدَحْ فنفسُ المرء كدَّاحهْ
وكن عن الراحةِ فى معْزِلٍ فالصفْعُ موجود مع الراحهْ

استخدم الراحة فى معنييها : الأول من الاستراحة ، والثانى من اليد

و بديع قول الصفى الحلى [من الطويل] :

لئن لم أُبرقع بالحيا وجهَ عفتى فلا أشبَهَتهُ راحتى فى التكرمِ
ولا كنتُ ممن يكسِرُ الجفنَ فى الوغى إذا أنا لم أغضضه عن رأى محرم

ومن الاستخدامات البديعة قول ابن نباتة المصرى [1] يمدح النبى صلى الله عليه وسلم [من الطويل]:

إذا لم تفض عَينى العَقيقَ فلا رأت مَنازله بالقُرْبِ تبهى وتبهرُ
وإن لم تواصلْ عادةَ السفح مُقلتى فلا عادها عيشٌ بمغناهُ أخضرُ

ومنها :

سَقى الله أكنافَ الغضاسائلَ الحيا وإن كنتُ أُسقى أدمعا تتحدّرُ

---

(١) روى ثمانية الأبيات ابن حجة الحموى فى خزانة الأدب (٦٨) . وروى معها عشره أبيات أخرى

وعيشاً نضى عنهُ الزمان بياضهُ وخلفهُ فى الرأس يزهو ويزهرُ
تغيرَ ذاك اللونُ مَعْ من أُحبهُ ومن ذا الذى يا عزُّ لايتغيرُ(١)
وكان الصبا ليلاً وكنتُ كحالم فيا أسفى والشيب كالصبح يسفرُ
يُعللنى تحتَ العمامةَ كتمهُ فيعتادُ قلبى حسْرةٌ حين أحسُرُ
وتنكرنى ليلى وما خِلتُ أنه إذا وضع المرء العمامة ينكرُ(٢)

ومن الاستخدام أيضاً قول العلامة عمر بن الوردى رحمه الله تعالى [من مجزوء الوافر] :

وَربَّ غزالةٍ طلعتْ بقلبى وَهْوَ مَرعاها
نَصبتُ لهَا شِباكاً مِنْ لُجينٍ ثمَّ صِدْناها
وقالتْ لِى وقدْ صِرْنا إلى عَينٍ قصَدْناها
بذلْتَ العينَ فاكْحلها بِطلْعتها ومجْراها

ومنه قول ابن مليك رحمه الله تعالى [من الطويل] :

فكم ردّ مِنْ عَيْنٍ وجادَ بِمثلها ولوْلاهُ ماضاءتْ ولمْ تكُ تعذُبُ

(١) فى الأصل « تغير ذلك اللون » ولا يستقيم به وزن البيت ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان والخزانة ؛ وعجز هذا البيت من كلام كثير عزة ، والبيت بتمامه فى كلام كثير :

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها ومن ذا الذى يا عز لا يتغير

(٢) يشير بهذا البيت إلى قول سحيم بن وثيل الرياحى :

أنا ابن جلا وطلاعُ الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

وقد تمثل به الحجاج فى خطبته التى خطبها مقدمه الكوفة واليـاً عليها من قبل عبد الملك بن مروان .

وقوله من قصيدة أخرى نبوية [من الكامل] :

كَمْ ردَّ مِنْ عَينٍ وجادَ بِهاوكَم   ضاءَتْ بِه وسقى بِها منْ صادِى

ومنه قول الرشيد الفارقى [من مجزوء الرمل] :

إنَّ فى عيْنيكِ معْنًى   حدَّثَ النرْجسُ عنهُ

ليتَ لِى منْ غُصنهِ سَهمًا فَفِى قلبِىَ مِنهُ

وقد أخذه الشهاب محمود ولم يحسن الأخذ فقال [من الرمل] :

نازَعتْ عيناهُ قلبِى حبَّةً   لم تكُنْ تقبلُ قَبلَ الإنقِساما[1]

يالقوْمِى هل علمتم قبلها   أنَّ للأعينِ فى القلْبِ سِهاما

* * *

شاهد اللف والنشر

١٢٤ — كَيْفَ أسلُو وأنتِ حِقْفٌ وَغُصْنٌ

وغزَالٌ لَحْظاً وَقَدّاً وَرِدْفا

البيت من الخفيف ، وهو منسوب [2] لابن حيوس ، ولم أره فى ديوانه ، ولعله ابن حيوس الإشبيلى .

والحِقْف — بكسر الحاء — الرمل العظيم المستدير .

والشاهد فيه : اللف والنشر ، وهو : ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر مالكل واحد من آحاد المتعدد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرد مالكل من آحاد المتعدد إلى ما هوله ، ثم الذى على سبيل التفصيل ضربان ؛ لأن النشر إما على ترتيب اللف ، و إما على غير ترتيبه كما فى البيت هنا، وهو ظاهر .

ومما جاء على الترتيب قول ابن الرومى [من الكامل] :

---

(١) فى الأصل « لم تك تقبل قبل الانقساما» ولا يستقيم به الوزن ، وقد قطع همزة الوصل فى « الانقسام » للضرورة

(٢) رواه ابن حجة فى خزانة الأدب (٨٤) غير منسوب لأحد .

من أمثلة اللف والنشر

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم
فيها معالم للهدى ومصابح تجلو الدجى والأخريات رجوم

وقول بعضهم [من البسيط] :

ألست أنت الذي من ورد نعمته وورد راحته أجنى وأغترف

وما أبدع قول ابن شرف القيرواني [من البسيط] :

جاور علياً ولا تحفل بحادثة إذا ادرعت فلا تسأل عن الأسل
سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ملء المسامع والأفواه والمقل

وقد أخذه تاج الدين الذهبي فقال [من الكامل] :

بدر سما للمجتلي ، ثمر نما للمجتني ، بحر طما للمجتدي
سل عنه وادن إليه واستمسك تجد ملء المسامع والنواظر واليد

وما أزهر قول البهاء زهير [من الطويل] :

ولي فيه قلب بالغرام مقيد له خبر يرويه طرفي مطلقا
ومن فرط وجدي في لماه وثغره أعلل قلبي بالعذيب وبالنقا

وما أحلى قول ابن نباتة المصري مع زيادة التورية [من الخفيف] :

لا تخف عيلة ولا تخش فقراً يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة في البرايا تلك غزالة وذي عساله

وقوله أيضا [من السريع] :

سألته عن قومه فانثنى يعجب من إسراف دمعي السخي
وأبصر المسك وبدر الدجى فقال ذا خالي وهذا أخي

وبديع قول ابن مكنسة [من الرجز] :

والسكر في وجنته وطرفه يفتح ورداً ويغض نرجسا

وقد جاء اللف والنشر بين ثلاثة ، فأكثر ، فمنه قول ابن حيوس [من الكامل] :

ومُقَرْطَقٍ يُغْنِي النديمُ بوجهِهِ ... عن كأسِهِ الملأى وعن إبريقِهِ
فعلُ المدام ولونها ومذاقها ... من مقلتيهِ ووَجنتيهِ وريقِهِ

وقول حمدة الأندلسية [من الطويل] :

ولما أبى الواشون إلا فراقنا ... ومالهمُ عندى وعندكَ من ثارِ
وشنّوا على أسماعنا كلَّ غارةٍ ... وقلَّ حُماتى عند ذاكَ وأنصارِى
غزوْتُهمُ من مقلتيكَ وأدمعى ... ومن نَفَسى بالسيفِ والسيلِ والنارِ

وقول ابن نباتة ، وأجاد إلى الغاية [من البسيط] :

عرّجْ علَى حرم المحبوب منتصباً ... لقبلة الحسنِ واعذرنى على السهرِ
وانظرْ إلى الخال فوقَ الثغرِ دُونَ لَمَى ... تجد بلالاً يُراعى الصبحَ فى السحرِ

وبديعٌ قول بعضهم [من المجتث] :

وَرْدٌ وَمسكٌ وَدُرٌّ ... خدٌّ وخالٌ وثغرُ
لحظٌ وجفنٌ وغنجٌ ... سيفٌ ونبلٌ وسحرُ
غصنٌ وبدرٌ وليلٌ ... قدٌّ ووَجهٌ وشعْرُ

ومنه بين أربعة ، وأربعة قول الشاعر [من البسيط] :

ثغرٌ وخدٌّ ونهدٌ واحمرارُ يدٍ ... كالطلعِ والوَرد والرّمان والبلَحِ (١)

ومثله قول الشاب الظريف محمد بن العفيف [من الطويل] :

رأى جسدى والدّمعَ والقلبَ والحشى ... فأضنَى وأفنَى واستمالَ وتيَّما

(١) كتب مصحح نسخة خزانة الأدب (ص ٨٣) على هذا البيت ما نصه : « قوله : والبلح ، فى نسخ والوهج ، وحرر الروى » اهـ .

ولأبي جعفر الأندلسي الغرناطي بين خمسة وخمسة [من الكامل]:

مَلِكٌ يَجيءُ بخمسةٍ من خمسةٍ ... لقي الحسودَ بها فماتَ لما بِهِ
مِنْ وَجهِهِ وَوَقارِهِ وجوادِهِ ... وَحُسامِهِ بيديهِ يومَ ضِرابهِ
قمرٌ على رضوى تسيرُ بهِ الصبا ... وَالبرقُ يلمعُ من خلالِ سحابهِ

ولابن جابر الأندلسي بين ستةٍ وستةٍ [من الكامل]:

إن شئتَ ظبياً أو هلالاً أو دُجى ... أو زهرَ غصنٍ في الكثيبِ الأملدِ
فَلِحَظِهَا ولِوَجهِهَا ولشَعْرِهَا ... ولخدِّها والقدِّ والرِّدفِ اقصدِ

ولنجم الدين البارزي بين سبعة وسبعة [من الطويل]:

يُقَطِّعُ بالسكين بطيخةً ضُحًى ... على طبقٍ في مجلسٍ لأصاحِبِهْ
كبدرٍ ببرقٍ قدَّ شمساً أهِلَّةً ... لدى هالةٍ في الأفقِ بينَ كواكِبِهْ(١)

وسبقه إلى ذلك ابن قلاقس، فقال [من المتقارب]:

أتانا الغلامُ ببطيخةٍ ... وسكينةٍ أحكموها صقالاً
فقسَّمَ بالبرقِ شمسَ الضحى ... وأعطى لكلِّ هلالٍ هلالاً

ومثله قول محاسن الشواء، وأجاد [من الخفيف]:

وغلامٍ يحزُّ بطيخةً في اللون مثلي وفي المذاقةِ مثلَهْ
لأناسٍ غُرٍّ على طبقٍ في ... مجلسٍ مشرقٍ يشابهُ أهلَهْ
قدَّ بدرٌ شمساً بأفقٍ شهدتُ الليلَ في هالةٍ ببرقٍ أهلَّهْ

وقول الآخر [من الطويل]:

---

(١) في مطبوعة بولاق: «كبدر ببرق قد شق شمساً أهلة» وظاهر أن أحد اللفظين «قد» و «شق» زائد، وهذا على أن كلا منهما فعل من مضعف الثلاثي، وسببه: أن في أحد أصولها قد، وفي آخر شق، فجمعوا بينهما خطأ، فان كان «قد» حرفا فهو الزائد بعينه، ووقع في خزانة الأدب (٨٣) كما أثبتناه.

ولما بدا ما بيننا منية النفس ... يحزُّ بالسكين صفراء كالورْسِ
توهمتُ بدرالتمَّ قدَّ أهلةً ... على أنجم بالبرق من كرةِ الشمسِ

وقول الآخر [من الكامل] :

خلناهُ لما حزَّ البطيخَ فى ... أطباقه بصقيلةِ الصفحاتِ (١)
بدراً يقدُّ من الشموس أهلةً ... بالبرْقِ بين الشُّهْبِ فى الهالاتِ

وقول البديع الدمشقي ، فى غلام يقطع بطيخا بسكين ، نصابها أسود [من الكامل] :

انظرْ بعينكَ جوهراً متلألئاً ... سحراً لفرط بيانه وجمالهِ
قمرٌ يقدُّ من الشموس أهلةً ... بظلام هجْرته وفجرِ وصالهِ

والسابق إلى فتح هذا الباب العسكرى حيث يقول [من الوافر] :

وجامعةٍ لأصناف المعانى ... صلحنَ لوقت إكثارٍ وقلَّهْ
فمن أدمٍ وريحانٍ ونقْلٍ ... فلم يُرَ مثلُها سدّاً لخلَّهْ
فمنها ما تشبهُهُ بدوراً ... فإن قطَّعتها رجعت أهلَّهْ

ولابن مقاتل بين ثمانية وثمانية [من الطويل] :

خدودٌ وأصداغ وقدٌّ ومقلةٌ ... وثغرٌ وأرياقٌ ولحنٌ ومعربُ
ورُودٌ وسوسانٌ وبانٌ ونرجسٌ ... وكأسٌ وجريالٌ وجنكٌ ومُطرِبُ

وللصفى الحلى [من الطويل] :

وظبيٍ بقفرٍ فوقَ طِرْفٍ مفوّقٌ ... بقوسٍ رمى فى النقع وحشاً بأسهمِ
كبدرٍ بأفقٍ فوقَ برقٍ بكفهِ ... هلالٌ رمى فى الليل جناً بأنجم

ولبعضهم بين عشرة وعشرة [من البسيط] :

شعْرٌ جبينٌ محيًّا معطف كفَلٌ ... صدغٌ فمٌ وجناتٌ ناظرٌ ثغرْ

---

(١) الصقيلة : المصقولة ، وأراد بصقيلة الصفحات السكين

لَيلٌ صَباحٌ هلالٌ بانةٌ ونَقًا ... آسٌ أقاحٍ شقيقٌ نرجسٌ دُرُّ

ولابن جابر بين اثنى عشر واثنى عشر [من الطويل] :

فُرُوعٌ سنًا قدٌّ كلامٌ فمٌ لَمًى ... حُلًى عُنُقٌ ثغرٌ شَذًا مقلةٌ خَدُّ

دُجًى قمرٌ غصنٌ جَنًى خاتمٌ طلاً ... نجومٌ رشًا دُرٌّ صبًا نرجسٌ وردُ(١)

وجُلّ القصد هنا : أن يكون اللف والنشر فى بيت واحد ، خاليا من الحشو وعقادة التركيب ، جامعا بين سهولة اللفظ والمعانى المخترعة .

ترجمة ابن حيوس

وابن حيُّوس (٢) بحاء مهملة وياء تحتية مشددة مضمومة وواو ساكنة بعدها سين مهملة — هو أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس ، الملقب بمصطفى الدولة ، الشاعر المشهور ، وهو أحد الشعراء الشاميين المحسنين وفحولهم المجيدين ، وله ديوان شعر كبير ، لقى جماعة من الملوك والأكابر ومدحهم وأخذ جوائزهم ، وكان منقطعا إلى بنى مرداس أصحاب حلب ، وله فيهم القصائد الفائقة ، وقصته (٣) مع الأمير جلال الدولة وصمصامها نصر بن محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس مشهورة ؛ فانه كان قد مدح أباه محموداً ، فأجازه ألف دينار ، فلما مات وقام مقامه ولده نصرٌ المذكور قصده ابن حيوس المذكور بقصيدة رائية يمدحه بها و يعزيه عن أبيه ، أولها [من الطويل] :

كفَى الدينَ عِزًّا ما قضاهُ لكَ الدهرُ ... فمَن كان ذا نذرٍ فقد وجبَ النذرُ

---

(١) روى كثيرا من هذه الشواهد ابن حجة ، فى خزانة الأدب ، (٨١ — ٨٤) .

(٢) لابن حيوس ترجمة فى ابن خلكان (٢ — ٣٧٧) هى التى أخذها المؤلف هنا .

(٣) فى الأصول « وقضيته » وما أثبتناه موافق لما فى ابن خلكان .

منها :

صبرنا على حكم الزمان الذى سطا   على أنهُ لولاكَ لم يكنِ الصبرُ
غزانا ببؤسى لا يماثلها الأسى   تقارنُ نعمى لايقومُ بها الشكرُ(١)
تباعدتُ عنكم حرفةً لازهادةً   وسرتُ إليكم حين مَسَّنِيَ الضرُّ
فلاقيتُ ظلَّ الأمن ماعنهُ حاجزٌ   يصدّ ، وباب العز مادونهُ سترُ
وطالَ مقامى فى إسارِ جميلكم   فدامت معاليكم ودام لىَ الأسْرُ
وأنجزَ لى ربُّ السموات وعدهُ الـــكريمَ بأنَّ العسر يتبعهُ اليسرُ
فجاد أبو نصر بألفٍ تصرمتْ   وإنى عليمٌ أن سيَخْلُفها نصرُ
لقدْ كنتَ مأمولاً تُرجى لمثلها   فكيف وطوعاً أمرك النهىُ والأمرُ(٢)
ومابى إلى الإلحاح والحرص حاجةٌ   وقد عرف المبتاعُ وانفصل السعرُ
وإنى بآمالى لديكم مخيمٌ   وكم فى الورى ثاوٍ وآمالهُ سفْرُ
وعهدكَ ما أبغى بقولى تصنعًا   بأيسرِ ماتوليهِ يُستعْبَدُ الحرُّ(٣)

فلما فرغ من إنشادها قال الأمــير نصر : والله لو قال عوض قوله سيخلفها نصر سيضعفها لأضعفتها له ، وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة .

وكان اجتمع على باب الأمير نصر جماعة من الشعراء وامتدحوه ، وتأخرت صلته عنهم ، ونزل بعــد ذلك الأمير نصر إلى دار بولص النصرانى ، وكانت له عادة بغشيان منزله ، وعقد مجلس الأنس عنده ، فأتت الشعراء الذين تأخرت

---

(١) فى الأصل : « تقارب نعمى » محرفا عما أثبتناه موافقاً لمــا فى ابن خلــكان .

(٢) فى الأصل : « لقــد كنت مأموراً ترجى لمثلها » وأثبتنا مافى ابن خلــكان ، وهو الذى يقتضيه المعنى .

(٣) فى ابن خلــكان « وعندك ما أبغى » ولما هنا وجه لابأس به ، وهو أن تنزل الواو فى قوله « وعهدك » على أنها واو القسم .

جوائزهم إلى باب بولص ، وفيهم ابن الدويدة المعرى الشاعر المعروف ، فكتبوا ثلاثة أبيات اتفقوا على نظمها — وقيل : بل نظمها ابن الدويدة المعرى المذكور — وصيروا الورقة إليه وفيها الأبيات ، وهى [من الطويل] :

عَلى بابِكَ المَحْرُوسِ مِنّا عِصَابَةٌ مَفاليسُ فانظُرْ فى أُمورِ المَفَاليس
وَقدْ قَنعتْ مِنكَ الجَماعةُ كُلُّها بعُشْرِ الذى أعطيتَهُ لابن حَيُّوس
وما بَيْنَنا هذَا التفاوُتُ كُلُّهُ وَلكِنْ سَعيدٌ لا يُقاسُ بِمنحوس

فلما وقف عليها الأمير نصر أطلق لهم مائة دينار ، وقال : والله لو قالوا « بمثل الذى أعطيته لابن حيوس » لأعطيتهم مثله

وكان الأمير نصر سخياً واسع العطاء ، تملك حلب بعد وفاة أبيه محمود سنة سبع وستين وأربعمائة ، ولم تطل مدته حتى ثار عليه جماعة من جنده فقتلوه ثانى شوال سنة ثمان وستين وأربعمائة

وكان ابن حيوس المذكور قد أثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بنى مرداس فبنى داراً بمدينة [حلب] وكتب على بابها من شعره [من السريع] :

دارٌ بَنيْناها وعِشْنا بِها فى نِعمةٍ مِنْ آلِ مِرْداس
قومٌ نفَوا بُؤسى ولم يتركوا عَلىَّ للأيام مِنْ باس
قُلْ لِبنى الدُّنيا ألا هكذَا فَليفعَلِ الناسُ مَعَ الناسِ (١)

وقيل : إن الأبيات لابن أبى حصينة (٢) الحلبى ، وهو الصحيح

وحكى الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق قال : أنشدنا أبو القاسم على بن

---

(١) فى ابن خلكان : * فليصنع الناس مع الناس *

(٢) ابن أبى حصينة : هو الأمير الجليل أبو الفتح ، الحسن بن عبد الله ابن عبد الجبار الحلبى ، قاله ابن خلكان .

إبراهيم العلوىّ من حفظه سنة سبع وخمسمائة ، قال : أخذ الأمير (١) أبو الفتيان ابن حيوس بيدى وقال : ارْوِ عَنِّى هذا البيت ، وهو فى شرف الدولة مسلم ابن قريش [من الكامل] :

أَنتَ الَّذِى نفقَ الثناء بِسُوقِهِ ... وَجرَى النَّدَى بِعرُوقِهِ قَبْلَ الدم

وهذا البيت فى غاية المدح

ومن غرر قصائده السائرة قوله :

هُوَ ذاكَ رَبعُ العَامِرِية فَارْبَعِ ... وَاسأَلْ مَصِيفاً عافياً عَنْ مَرْبَعِ (٢)

وَاستَسْقِ لِلدِّمَنِ الخوَالى بِالحِمى ... غُرَّ السَّحَائبِ واعتَذِرْ عن أدمُعِى

فَلَقد غدوتُ أمامَ دَانٍ هَاجرٍ ... فى قُرْبه وَوَرَاء نَاءٍ مُزْمِعِ (٣)

لَوْ تخبرُ الرُّكبَانُ عَنِّى حدَّثُوا ... عَنْ مُقلةٍ عَبْرَى وقلبٍ مُوجَعِ

رُدِّى لنا زَمنَ الكَثِيبِ فإنَّهُ ... زَمنٌ متى يَرْجع وصالك يَرْجعِ

لوْ كُنتِ عَالِمةً بأدنَى لَوْعتى ... لَرَدَدْتِ أقصَى نيلكِ المُستَرْجَعِ

بَل لوْ قَنِعتِ منَ الغرَامِ بمُظْهرٍ ... عَنْ مُضمرٍ بينَ الحَشى والأضلُعِ

أَعتَبْتِ إثْرَ تعتُّبٍ وَوَصلْتِ ... غِبَّ تجنُّبٍ وبذلْتِ بَعْدَ تمنُّعِ

ولو أننى أنْصفتُ نفسى صُنتُها ... عَنْ أن أكونَ كَطَالبٍ لم يَنجَعِ

إنِّى دعَوتُ ندَى الغرامِ فلم يُجب ... فلأَشكُرَنَّ ندَى أجابَ وما دُعِى (٤)

---

(١) كان ابن حيوس يدعى بالأمير ، لأن أباه كان من أمراء المغرب ، قاله ابن خلكان .

(٢) فى ابن خلكان « هو ذاك ربع المالكية » .

(٣) فى ابن خلكان « فلقد فنين أمام دان هاجر » وضمير الاناث فى قوله « فنين » على هذه الرواية يعود إلى المدامع .

(٤) فى ابن خلكان « إنى دعوت ندى الكرام » وهذا البيت ليس متصلا بما قبله فيه .

ومنَ العَجائبِ والعجائبُ جمّةٌ شكرٌ بطىءٌ عن ندًى مُتسرّعِ

ومن شعره يمدح سابق بن محمود [من البسيط] :

يزدادُ إن قصُرَ الخطِّيُّ عن غرضٍ طُولاً، ويمضى إذا حدُّ الحسام نبا[1]

حلَّ السماكَ وما حُلَّتْ تمائمُه عنْ جيدِه وحبا العافينَ مُنذُ حبا

حوى من الفضلِ مولوداً بلا طَلَبٍ أضعافَ ما أعجزَ الطُّلّابَ مُكتسبا

طلقُ المحيّا إذا مازُرتَ مجلسَهُ حُزتَ الغنى والعُلا والبأسَ والأدبا

ومحاسنه كثيرة

وكان أحمد بن محمد الخياط الشاعر قد وصل إلى حلب سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وبها يومئذ ابن حيُّوس المذكور فكتب إليه ابن الخياط يقول [من الكامل] :

لم يبقَ عندِى ما يُباعُ بدرهمٍ وكفاكَ منّى منظرى عن مَخبرى

إلاّ بقيّةُ ماءِ وجهٍ صُنتُها عن أن تُباعَ وأينَ أينَ المشترِى

فقال : لو قال « ونعم أنت المشترى » لكان أحسن

وكان مولد ابن حيُّوس سنة أربع وتسعين وثلثمائة بدمشق ، وتوفى سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

وابن حبوس[2] الاشبيلى ذكره ابن فضل الله فقال : لايخف له ضرع خاطر

---

(١) المراد أنه إذا كان بينه وبين العدو مسافة لا يصلها الرمح فانه يخطو إلى العدو ليطعنه ، وقد أخذ هذا من قول الشاعر :

* نصل السيوف إذا قصرن بخطونا *

(٢) قال ابن خلكان فى نهاية ترجمته لابن حيوس الدمشقى الحلبى ، السابق ذكره مانصه : « وفى شعراء المغاربة ابن حبوس مثل الأول ، لكن بالباء الموحدة المخففة ، وإنما ذكرته ، لئلا يتصحف على كثير من الناس بابن حيوس ، ورأيت خلقا كثيراً يتوهمون أن المغربى يقال له ابن حيوس أيضا ؛ وهو غلط ، والصواب ما ذكرته ، والله تعالى أعلم » اه .

ولا يجف له نزه سحاب ماطر، لو مسّ بقريحته الصلد لتفجر، أو الجهام لانهمر، وحسبك من مرمى غرضه البعيد، ماذكره له ابن سعيد، وأورد له فى المرقص قوله فى أشتر العين لا تفارقه الدمعة [من الكامل] :

شتِرت فقلنا زورقٌ فى لُجّةٍ   مالت بإحدى دفتيه الرِّيحُ
فكأنما إنسانها ملاحُها   قد خافَ مِنْ غرقٍ فظلّ يميح

* * *

١٢٥— إنّ الشّباب والفراغ والجِدَه   مَفْسَدَةٌ لِلمَرْءِ أىُّ مَفْسَدَهْ   شاهد الجمع

البيت لأبى العتاهية، من أرجوزته المزدوجة التى سماها (ذات الأمثال) يقال : إن له فيها أربعة آلاف مثل، فمنها :

حسبُكَ مما تبتغيهِ القوتُ   ما أكثرَ القوتَ لِمنْ يموتُ
الفقرُ فيما جاوزَ الكَفافا   مِن اتّقى اللهَ رَجا وَخافا
هىَ المقاديرُ فلُمنى أو فذرْ   إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القدَر
لِكلّ ما يُؤذى وإن قلّ ألم   ماأطولَ الليلَ على مَنْ لم ينم
ما انتفعَ المرء بمثل عقلهِ   وخيرُ ذُخرِ المرءِ حُسنُ فعلهِ
إن الفسادَ ضدُّهُ الصلاحُ   وربّ جدٍ جرّهُ المُزاحُ
مَنْ جعلَ النمّامَ عيناً هلكا   مُبلغُكَ الشرّ كباغيهِ لَكا

وبعده البيت، وبعده :

يُغنيكَ عن كُلّ قبيحٍ تركُهُ   يرتهن الرأىَ الأصيلَ شكُّهُ
ما عيشُ مَنْ آفتهُ بقاؤهُ   نغّصَ عيشاً كلّهُ فناؤهُ
يارُبّ من أسخطنا بجهدِهِ   قد سرّنا اللهُ بغيرِ حَمْدِهِ

ما تطلعُ الشمْسُ ولا تغيبُ   إلا لأمرٍ شأنهُ عجيبُ
لِكلٍّ شيء قدرٌ وجوهرُ   وأوسط وأصغر وأكبرُ
فكلُّ شيء لاحقٌ بجوهره   أصغرُهُ متصلٌ بأكبره
من لكَ بالمحْضِ وكلٌّ مُمتزجْ   وساوسٌ فى الصدْرِ منك تختلج
ما زالتِ الدُّنيا لنا دارَ أذى   ممزُوجةَ الصفوِ بأنواع القذَى
الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ   لذَا نتاجٌ ولِذَا نِتاجُ
مَنْ لكَ بالمحْضِ وليس محْضُ   يخبُثُ بعضٌ ويطيبُ بعضُ
لِكُلِّ إنسانٍ طبيعتانِ   خيرٌ وشرٌّ وهما ضدَّانِ
والخيرُ والشرُّ إذا ماعُدَّا   بَينهما بوْنٌ بعيدٌ جدَّا
إنكَ لو تَستنشقُ الشحيحا   وَجدتَهُ أنتنَ شىء ريحا
عجبْتُ حتى ضمَّنى السُّكوتُ   صِرْتُ كأنِّى حائرٌ مبهُوتُ
كذا قضى اللهُ فكيفَ أصنعُ   والصمْتُ إنْ ضاقَ الكلامُ أوسعُ

وهى طويلة جدا ، وهذا الأنموذج كاف منها

والجدة : الاستغناء ، والمفسدة : الخلة الداعية إلى الفساد

والشاهد فيه : الجمع ، وهو الجمع بين متعدد فى حكم ، وهو ظاهر فى البيت ، وما أحسن قول الصفى الحلى فيه [من البسيط] : من أمثلة الجمع

أرَاؤُهُ وَعطاياهُ ونِعمتُهُ   وعفوُهُ رحمَةٌ للنَّاس كلِّهم

ومنه قول ابن حجة مع تسمية النوع [من البسيط] :

آدابهُ وعطاياه ورأفتهُ   سجيةٌ ضمن جَمْعٍ فيه مُلتئم

وقول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

قد أحْرَزَ السبْقَ والاحسانَ فى نَسقٍ   والعِلم والحِلم قبلَ الدركِ لِلحلُمِ

ترجمة أبي العتاهية

وأبو العتاهية[١] هو: إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان،[٢] مولى عَنَزَة وكنيته أبو إسحاق، وأبو العتاهية كنية غلبت عليه لأنه كان يحب الشهرة والمجون فكنى لعتوه[٣] بذلك، وقيل: إن المهدى قال له يوما: أنت إنسان متعته متحذلق، فاستوت له من ذلك كنية، ويقال للرجل المتحذلق عتاهية، وفيه يقول أبو قابوس النصرانى وقد بلغه أنه فضل عليه العتابى [من الكامل]:

قُلْ لِلمُكَنِّى نَفْسَهُ ... مُتخيراً بِعتاهِيهْ

والمُرْسِلِ الكلم القَبِيح وعنهُ أذنٌ واعيهْ

إن كنتَ سِرًّا سؤتنى ... أو كانَ ذاكَ علانيهْ

فعليكَ لعنةُ ذى الجلا ... ل وأمُّ زيدٍ زانيهْ

وأم زيد هى أم أبى العتاهية[٤] ومنشأه بالكوفة، وكان فى أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين، ثم كان يبيع الفخار بالكوفة، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم، ويقال: أطبع الناس بالشعر بشّار والسيد الحميرى وأبو العتاهية، وماقدر

---

(١) لأبى العتاهية ترجمة فى الأغانى (٣ : ١٢٦ — ١٨٣) وهو لم يذكر فيها أخباره مع عتبة — وهى من أعظم أخباره — لأنها كما قال طويلة وقد طالت أخباره، فأحب أن يفرد أخباره معها. وقد ذكر بعض أخباره فى (١٤ : ٥٦ — ٥٩) ولم يذكر أخباره مع عتبة بعد إخباره أنه أفردها؛ ولأبى العتاهية ترجمة فى ابن خلكان (١: ١٢٥ — ١٣٠).

(٢) عنزة بن أسد بن ربيعة، قاله ابن خلكان؛ وضبط عنزة بفتح العين المهملة والنون وبعدها زاى.

(٣) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هذه العبارة ما نصه «لا يخفى أن العتو غير العته، فليس ما قاله صحيحا» اهـ.

(٤) أمه هى: أم زيد بنت زياد المحاربي، مولى بنى زهرة، قاله صاحب الأغانى.

أحد قط على جمع شعر هؤلاء الثلاثة بأسره لكثرته ، وكان غزير البحر ، كثير المعانى لطيفها ، سهل الألفاظ ، كثير الافتنان ، قليل التكلف ، إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك ، وأكثر شعره فى الزهد والأمثال ، وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث والنشور ، ويحتجون بأن شعره إنما هو فى ذكر الموت والفناء دون النشور والمعاد

وحدث الخليل بن أسد النوشجانى قال : أتانا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زعم الناس أننى زنديق ، والله مادينى إلا التوحيد ، فقلنا له : قل شيئاً نتحدث به عنك ، فقال [من المتقارب] :

ألا إننَا كلنا بائدُ وأىُّ بنى آدمٍ خالدُ
وبَدؤهم كان من ربِّهم وكلٌّ إلى ربِّهِ عائدُ
فيا عجبا كيف يُعصى الالهُ أم كيف يجحدُه الجاحد
وفى كل شىءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنهُ واحدُ

وكان من أبخل الناس مع يساره وكثرة ماجمعه من الأموال

وحدث محمد بن عيسى الخرقى قال : وقف عليه ذات يوم سائل من العيارين الظرفاء وجماعة من جيرانه حواليه ، فسأله دونهم ، فقال له : صنع الله لك ، فأعاد السؤال ، فردَّ عليه ، فأعاد الثالثة ، فغضب ، وقال له : ألست الذى يقول [من المديد] :

كلُّ حىّ عند ميتته حظُّهُ من مالهِ الكفنُ

قال : نعم ، قال : فبالله عليك أتريد أن تعد مالك كله لثمن كفنك؟ قال : لا ، قال : فبالله كم قدرت لكفنك؟ قال : خمسة دنانير ، قال : فاعمل على أن ديناراً من الخمسة وضيعته قيراطا وادفع إلى قيراطا واحدا ، وإلا فواحدة أخرى ، قال : وماهى؟ قال : القبور تحفر بثلاث دراهم ، فأعطنى درهما وأقيم لك كفيلا بأن أحفر لك به

قبرك متى مت وتربح درهمين لم يكونا فى حسابك ، فان لم أحفر رددته على ورثتك أو رده كفيلى عليهم ، فخجل أبو التعاهية وقال : اغرب لعنك الله وغضب عليك ، وضحك جميع من حضر ، ومر السائل يضحك ، فالتفت إلينا أبو العتاهية وقد اغتاظ فقال : من أجل هذا وأمثاله حرّمت الصدقة ، فقلنا له : ومن حرمها ومتى حرمت ؟ فما رأيت أحدا ادعى أن الصدقة حرمت قبله ولا بعده

وقال : قلت لأبى العتاهية : أتزكى مالك ؟ فقال : والله ما أنفق على عيالى إلا من زكاة مالى ، فقلت له : سبحان الله ! إنما ينبغى لك أن تخرج زكاة مالك للفقراء والمساكين ، فقال لى : لو انقطعت عن عيالى زكاة مالى لم يكن فى الأرض أفقر منهم

وحدث أيضاً قال : كنت جاراً لأبى العتاهيــة ، وكان له جار يلتقط النوى ضعيف سيء الحال متجمل عليه ثياب ، فكان يمر بأبى العتاهية طرَفَى النهـار فيقول أبو العتاهية : اللهم أعنه على ماهو بسبيله ، شيخ ضعيف سيء الحال عليه ثياب متجمل ، اللهم اصنع له ، اللهم بارك فيه ، فبقى على هـذا إلى أن مات الشيخ نحوا من عشرين سنة ، لا والله إن تصدق عليه بدرهمين ولا دانق قط ، وما كان زاده على الدعاء شيئاً ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، إنى أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم أنه فقير معيل ، فلم لا تتصدق عليه بشيء ؟ فقال : أخشى أن يعتاد الصدقة وهى آخر مكاسب العبد ، وإن فى الدعاء خيرا كثيرا

وقال الجاحظ : حدثنى ثمامة بن أشرس قال : دخلت يوما على أبى العتاهية فاذا هو يأكل خبزاً بلا شيء ، فقلت له كالمنكر : كأنك رأيته يأكل خبزاً وحده ، فقال : لا ولكنى رأيته يتأدَّمُ بلا شيء ، فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال : رأيت قدامه خبزاً يابساً من دقاق فطير وقدحا فيه حليب ، فكان يأخذ القطعـة من الخبز فيغمسها فى اللبن ويخرجها فلم تتعلق منه بقليل ولا كثير ، فقلت له : كأنك اشتهيت أن تتأدم بلا شيء ، وما رأيت أحـداً قبله تأدم بلا شيء .

وقال ثمامة أنشدنى أبو العتاهية [من الطويل] :

إذا المَرْءُ لم يُعتِق من المَال نفسَهُ تملّكَهُ المالُ الّذى هُوَ مالِكُهْ
ألا إنما مالى الّذى أنا مُنفِقٌ وليسَ لىَ المَالُ الّذى أنا تاركُهْ
إذا كُنْتَ ذا مالٍ فبادر به الّذى يحقُّ ولا استهلكته مهالكُهْ

فقلت له : من أين قضيت بهذا ؟ قال : من قوله صلى الله عليه وسلم « إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت » فقلت : أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الحق ؟ قال : نعم ، قلت : فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة فى دارك لا تأكل منها ولا تشرب ، ولا تزكى ، ولا تقدمها ذخراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ قال : يا أبا معن ، والله إن ما قلت لحقّ ، ولكنى أخاف الفقر و الحاجة إلى الناس . قلت : وما يزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحزن لا تأكل ولا تشرب منها دائم الجمع شحيح على نفسك ، لا تشترى اللحم إلا من عيد إلى عيد ؟ فترك جواب كلامى كله ، ثم قال لى : والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بخمسه دراهم ، فلما قال لى هذا القول أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه ومعاتبته ، وأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام .

وقيل له : مالك تبخل بما رزقك الله تعالى ؟ فقال : والله ما بخلت بما رزقنى الله قط ، قيل له : فكيف ذاك وفى بيتك من المال مالا يحصى ؟ ! قال : ليس ذلك رزقى ، ولو كان رزقى لأنفقته .

وحدّث أبو العتاهية قال : أخرجنى المهدى معه إلى الصيد ، فوقعنا منه على شىء كثير ، وتفرق أصحابه فى طلبه ، وأخذ هو فى طريق آخر غير طريقهم ، فلم يلتقوا ، وعرَض لنا وادٍ جرّار عظيم ، وتغيمت السماء ، و بدأت بمطر ، فتحيرنا ، وأشرفنا على الوادى ، و إذا فيه ملاح يعبر الناس ، فلجأنا إليه وسألناه

عن الطريق ، فجعل يضعف رأينا و يعجزنا فى بذل أنفسنا فى ذلك الغيم والمطر للصيد حتى أبعدنا ، ثم أدخلنا كوخاً له ، وكاد المهدى يموت برداً ، فقال له : أغطيك بجبتى هذه الصوف؟ فقال: نعم ، فغطاه بها، فتماسك قليلا ونام، وافتقده غلمانه، وتبعوا أثره حتى جاؤونا ، فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب وتبادر الغلمان ، فَنَحَّوُا الجبة عنه ، وألقوا عليه الخزّ والوشى ، فلما انتبه قال لى: ويحك ! ما فعل الملاح ؟ فو الله لقد وجب حقه علينا ، فقلت: والله هرب خوفا مما خاطبنا به . قال : إنا لله و إنا إليه راجعون ، والله لقد أردت أن أغنيه ، و بأى شىء خاطبنا؟ نحن والله مستحقون لأضعاف ما خاطبنا به ، بحياتى عليك إلا ما هجوتنى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تطيب نفسى بأن أهجوك؟ قال : والله لتفعلن فاننى ضعيف الرأى مغرم بالصيد ، فقلت [من السريع] :

يالابِسَ الوَشْى على ثوبهِ　　ما أقبحَ الأشيبَ بالراح

فقال: زدنى بحياتى عليك ، فقلت:

لو شئتَ أيضا جُلْتَ فى خامةٍ　　وفى وِشاحَيْنِ وأوضاحِ

فقال: ويلك ! هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وأنا أستأهل ، زدنى شيئا آخر ، فقلت: أخاف أن تغضب ، فقال: لا والله ، فقلت :

كم من عظيم القدْرِ فى نفْسهِ　　قد نامَ فى جُبَّةِ مَلّاحِ

فقال: معنى سوء عليك لعنة الله ، وقمنا فركبنا وانصرفنا .

وعن الحسن بن عابد قال : كان أبو العتاهية يحج فى كل سنة ؛ فاذا قدم أهدى للمأمون برداً قطريا ونعلا سوداء ومساويك أراكٍ ، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم ، فأهدى له مرة كما كان يهدى كل سنة إذا قدم ، فلم يثبه ولا بعث إليه بالوظيفة ، فكتب إليه أبو العتاهية يقول [من الرمل] :

خبرونى أنّ مِنْ ضَرْبِ السنهْ　　جدداً بيضاً وصُفْراً حسنهْ

أُحــدِثَتْ لـكننى لم أرَهَا مثلَ ما كنتُ أرى كلَّ سنه

قال: فأمر المأمون بحمل العشرين ألفا إليه، وقال: أغفلناه حتى أذكرنا.

وحدّث أبوعكرمة قال: كان الرشيد إذا رأى عبد الله بن معن بن زائدة، يتمثل بقول أبى العتاهية [من السريع]:

أُختُ بنى شيبانَ مرّتْ بنا ممشوطة كوراً على بغـل

وهذا البيت من أبيات لأبى العتاهية يهجو بها عبد الله المذكور، و بعده:

تُكْنَى أباالفضلِ ومَنْ ذَا رَأى جارية تـكنى أبا الفضـل

قد نقطت فى وجهها نقطةً مخافةَ العين من الـكحل

إن زُرتموها قال حُجابها نحنُ عن الزُّوَّار فى شُغلِ

مولاَتُنَا مشـغولة عنـدَها بعلٌ ولا إذنَ على البـعلِ

يا بنتَ معنِ الخيرِ لا تجهلى وأينَ تقصيرٌ عن الجهـلِ[1]

أتجلدُ النـاسَ وَأنتَ امرُؤٌ تُجلَدُ فى دُبرِكَ والقبـلِ

ما ينبغى للنـاسِ أن ينسبُوا من كانَ ذا جودٍ إلى البخلِ

يبذلُ ما يمنعُ أهلُ الندَى هـذا لعمرِى مُنْتَهَى البذلِ

ما قلتُ هذا فيكَ إلا وقَدْ جفَّتْ بِهِ الأقلامُ من قبلِى

قال: فبعث إليه عبد الله بن مَعْنٍ، فأتى به، فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتـكبوا منه الفاحشة، ففعلوا ذلك، ثم أجلسه، وقال له: قد جزيتـك على قولك، فهل لك بعد هذا فى الصلح وَمعه مركب وعشرة آلاف درهم أو تقيم على الحرب وما ترى؟ قال: بل الصلح، قال: فأسمعنى ما تقوله فى معنى الصلح فقال [من الرمل]:

(١) فى الأغانى «وأين إقصار عن الجهل» وهو أظهر

ما لِعذالي ومالي أمروني بالضلالِ
عذلوني في اغتفاري لابن معنٍ واحتمالي
إن يكن ما كانَ منهُ فبجرمي وفعالي
أنا منه كنتُ أسوا عِشرةً في كل حالِ (١)
قل لمن يعجبُ من حسن رجوعي ومقالي (٢)
رُبَّ ودٍّ بعدَ صدٍّ وهوى بعدَ تقالِ
قد رأينا ذا كثيراً جارياً بين الرّجالِ
إنما كانت يميني لطمتْ مني شمالي

وكان أبو العتاهية في حداثته يهوى امرأة من أهل الحيرة نائحة لها حسن ودَماثة، [يقال لها سعدى] (٣) وكان ممن يهواها أيضا عبد الله بن معن، وكانت مولاةلهم، وكانت صاحبة حبائب، وكان أبو العتاهية مولعاً بالنساء، فقال فيها [من الطويل]:

ألا ياذوات السحق في الغرب والشرقِ أفقنَ فان النيكَ أشهى من السحق
أفقنَ فانّ الخبز بالأدم يشتهَى وليس يسوغُ الخبز بالخبز في الحلق
أراكنَّ ترقعنَ الخرُوق بمثلها وأيّ لبيبٍ يرقعُ الخرق بالخرقِ
وهل يصلحُ المهراسُ إلا بعودهِ إذا احتيجَ منه ذاتَ يوم إلى الدقّ

وقال فيها أيضا [من الخفيف]:

قلتُ للقلب إذطوى وصلَ سُعدَى لهواهُ البعيدة الأسبابِ

(١) في الأصل «كنت أسوا * عبرة» وما أثبتناه موافق لما في الأغاني
(٢) في الأصل «ما لمن يعجب» محرفا عما أثبتناه موافقا لما في الأغاني
(٣) وقعت هذه الجملة في الأصل بعدقوله «وكانت مولاة لهم» وأثبتناها في مكانها عن الأغاني

أنتَ مثلُ الذى يفرُّ من القَطرِ حِذَارَ الندى إلى الميزابِ

فغضب ابن معن لسعدى، فضرب أبا العتاهية مائة، فقال فيه [من مجزوء الخفيف]:

جَلَدَتْنِي بكفها بنتُ معن بنِ زائده
جلدتنى بكفها بأبى تلك جالده[(١)]
وتراها مع الخصىِّ على الباب قاعده
تتكَنَّى كُنَى الرجا ل لعمدٍ مُكايده
جَلَدَتْنِي وبالغتْ مائة غير واحده
اجلدينى اجلدى اجلدى إنما أنتِ والده

وقال فى ضربه إياه أيضا [من الخفيف] :

ضربتنى بكفها بنتُ معنٍ أوجعت كفها وما أوجعتنى
ولعمرى لولا أذى كفها إذ ضربتنى بالسوط ما تركَتْنى

وَحدث أحمد بن أبى فتن قال : كنا عند ابن الأعرابى فذكر قول يحيى بن نوفل فى عبد الملك بن عمير القاضى، وهو [من الطويل] :

إذا كلمتهُ ذاتُ دَلٍّ لحاجةٍ فهمّ بأن يقضى تنحنح أوسَعَلَ[(٢)]

وأن عبد الملك بن عمير قال : تركنى والله و إن السُّعْلة لتعرض لى فى الخلاء فأذكر قوله [فأهاب أن أسعل] [(٣)] قال : فقلت: هذا ابن معن بن زائدة يقول له أبو العتاهية[(٤)] [من الهزج] :

---

(١) فى الأغانى « جلدتنى فأوجعت » ولا يتناسب مع المعنى الذى يريده، ولا مع البيتين اللذين بعد هذه الأبيات

(٢) وقع فى الأصول (إذا كلمته ذات دار لحاجة) محرفا عما أثبتناه ، وفى الأغانى * إذا ذات دل كلمته لحاجة *

(٣) زيادة يتم بها المعنى ، وهى ثابتة فى الأغانى

(٤) البيتان من أبيات يقولها أبو العتاهية فى عبد الله بن معن بن زائدة، وانظرها فى الأغانى (٤ - ٢٤ دار الكتب)

فصغْ ما كنت حلَّيْتَ به سيفكَ خلخالا
فما تصنعُ بالسيفِ إذا لم تك قتَّالا

فقال عبد الله : ما لبست السيف قط فلمحنى إنسان إلا قلت يحفظ شعر أبى العتاهية فىّ فينظر إلىّ بسببه ، فقال ابن الأعرابى : اعجبوا لهذا العبد يهجو مولاه ، وكان أبو العتاهية من موالى بنى شيبان

وحدث المداينى قال : اجتمع أبو نواس وأبو الشمقمق فى بيت ابن أُذَيْن ، وجاء أبو العتاهية ـ وكان بينه و بين أبى الشمقمق شر ـ فخبأه من أبى العتاهية فى بيت ، ودخل أبو العتاهية ، فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث ، فظنه جارية فقال لابن أُذَيْن : متى استظرفت هذه الجارية ؟ قال : قريبا يا أبا إسحاق ، فقل فيها ما حضر ، فمد أبو العتاهية يده إليه وقال [من السريع] :

مددتُ كفِّى نحوكم سائلا ماذا تردُّون على السائل

فلم يلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من داخل البيت بهذا البيت

نردُّ فى كفك ذا فَيْشَةٍ يشفى جوًى فى استك من داخل

فقال أبو العتاهية : [أبو] الشمقمق والله ، وقام مغضبا

وقال أبو العتاهية: حبسنى الرشيد[1] لما تركت قول الشعر ، فأدخلت السجن وأغلق الباب علىّ ، فدهشت كما يدهش مثلى لذلك الحال ، فاذا أنا برجل جالس فى جانب الحبس مقيد ، فجعلت أنظر إليه ساعة ، ثم تمثل وقال [من الطويل] :

تعوَّدْتُ مَسَّ الضر حتى ألفتُهُ وأسلمنى حسنُ العزاء إلى الصبر
وصيرنى يأسى من النَّاسِ راجياً لحسن صنيع الله من حيث لا أدرى[2]

فقلت له : أعد أعزك الله هذين البيتين ، فقال لى : ويلك يا أبا العتاهية ! ما أسوأ أدبك وأقل عقلك! دخلت علىَّ الحبسَ فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ،

(١) فى ابن خلكان « أمر المهدى بحبسى » وفى بقية القصة ذكر الرشيد
(٢) فى الأصل « يأسى من الله » وهو فاسد ، وأثبتنا ما فى الأغانى

ولا سألت مسألة الحر للحر ، ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى ، حتى إذا سمعت بيتين من الشعر الذى لا فضل فيك غيره لم تصبر عن استعادتهما، ولم تقدم قبل مسألتهما عذرا لنفسك فى طلبهما ، فقلت : يا أخى، إنى دهشت لهذا الحال فلا تعذلنى واعذرنى متفضلا بذلك ، فقال : والله أنا أولى بالدهش والحيرة منك، لأنك حبست فى أن تقول الشعر الذى به ارتفعت و بلغت ما بلغت، فاذا قلت أمنت، وأنا مأخوذ بأن أدل على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل أو أقتل دونه ، ووالله لا أدل عليه أبداً والساعة يدعى بى فأقتل ، فأينـا أحق بالدهش ؟ فقلت: أنت والله أولى سلمك الله وكفاك ، ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك، فقال : لا نبخل عليك إذن ، ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما ، فسألته من هو(١) قال : أنا حاضر (٢) داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد ، ولم نلبث أن سمعت صوت الأقفال . فقام فسكب عليه ماء كان عنـده فى جرة ولبس ثوبا نظيفا ودخل الحرس والجند معهم الشمع . فأخرجنا جميعا ، وقدم قبلى إلى الرشيد، فسأله عن أحمد بن عيسى، فقال : لا تسألنى عنه واصنع ما أنت صانع فلو أنه تحت ثوبى هذا ما كشفت عنه . فأمر بضرب عنقه فضربت ، ثم قال لى : أظنك ارتعت يا إسماعيل ؟ فقلت : دون مارأيته تسيل منه النفوس . فقال : رُدُّوه إلى محبسه . فرُددت . وانتحلت البيتين وزدت فيهما [من الطويل]

إذا أنا لم أقبلْ من الدهر كل ما ... تـَكَرَّهْتُ منه طال عَتْبى على الدهر

وكان أبو العتاهية مشتهراً بحب عُتْبَةَ جارية المهدى ، وأكثر نسيبه فيها فمن ذلك قوله وكتب به إلى المهدى يعرض بها [من البسيط] :

---

(١) فى ابن خلكان « من أنت » وفى الأغانى مثل ما هنا، وكلاهما صحيح

(٢) فى الأغانى « أنا خاص داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد » وفى ابن خلكان مثل ما هنا .

نفسى بشىء من الدنيا معلّقةٌ والله والقائم المهدىُّ يَكفيها
إنى لأيأس منها ثم يُطْمِعنى فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم المهدى بدفع عتبة إليه، فخرجت وقالت: يا أمير المؤمنين مع حرمتى وخدمتى أفتدفعنى إلى قبيح المنظر بائع جِرَارٍ ومكتسب بالعشق؟ فأعفاها، وكان قد كتب البيتين على حواشى ثوب مطيب ووضعه فى برنية ضخمة، فقال المهدى: املأوا له البرنية مالاً، فقال للكتاب: أمر لى بدنانير، قالوا: ماندفع إليك ذلك، ولكن إن شئت أعطيناك الدراهم إلى أن يفصح بما أراد، فاختلف فى ذلك حولا، فقالت عتبة: لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول فى التمييز بين الدراهم والدنانير، وقد أضرب عن ذكرى صفحاً

وجلس أبو العتاهية يوماً يعذل أبا نواس ويلومه على استماع الغناء ومجالسته لأصحابه، فقال أبو نواس [من مجزوء الرمل]

أترانى يا عتاهى تاركاً تلك الملاهى
أترانى مفسداً بالنُّسْكِ عند القوم جاهى

فوثب أبو العتاهية وقال: لا بارك الله عليك! وجعل أبو نواس يضحك

وحدث مخارق قال: جاءنى أبو العتاهية يوما فقال لى: قد عزمت على أن أتزود منك يوما تهبه لى، فتى تنشط لذلك؟ فقلت: متى شئت، قال: إنى أخاف أن تقطع بى، فقلت: لا والله ولو طلبنى الخليفة، فقال: يكون ذلك فى غد، فقلت: أفعل، فلما كان من الغد باكرنى رسوله، فجئته فأدخلنى بيتا له نظيفا فيه فرش نظيف، ثم دعا بمائدة وعليها خبز سميذ وخل وبقل وملح وجدى مشوى، قال: فأكلنا منها حتى اكتفينا، ثم دعا بسمك مشوى فأصبنا منه أيضا، ثم دعا بفراخ ودجاج وفراريج مشوية فأكلنا منها حتى اكتفينا، ثم أتونا بحلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا، ثم جاءونا بفاكهة وريحان وألوان من الأنبذة فقال

لى : اختر ما يصلح لك ، فاخترت وشربت وصب قدحا ثم قال : غَنِّ لى قولى [من الخفيف]

أحمدٌ قال لى ولم يدْرِ مابى أتحبُّ الفتاة عُتْبَةَ حقاً

فغنيته ، فشرب أقداحاً ، وهو يبكى أحر بكاء ، ثم قال : غنى فى قولى [من السريع] :

ليسَ لمن ليستْ لهُ حيلةٌ موجودةٌ خيرٌ من الصبرِ

فغنيته ، وهو ينتحب ويبكى ، ثم قال : غنى ، فديتكَ فى قولى [من الطويل] :

خليلىّ مالى لا تزالُ مضرتى تكونُ معَ الأقدار حتْماً من الحتْمِ

فغنيته إياه ، وما زال يقترح على كل صوت غُنِّيَ به فى شعره ، ويقول: غنى به ، فأغنيه وَيشرب ويبكى ، ثم صارت العتمة ، فقال لى : أحب أن تصبر حتى ترى ما أصنع ، فجلست ، فأمر ابنه وغلامه، فكسرا كل ما كان بين أيدينا من النبيذ وآلات الملاهى ، ثم أمر باخراج كل ما كان فى بيته من النبيذ وآلاته فما زال يكسره ويصب النبيذ ، وهو يبكى ، حتى لم يبق من ذلك شيء ، ثم نزع ثيابه واغتسل ولبس ثياب بياض من الصوف ، ثم عانقنى وبكى ، وقال : عليك السلام يا حبيبى وفرحى من الناس كلهم ، سلام الفراق الذى لا لقاء بعده، وجعل يبكى ويقول : هذا آخر عهدك بى فى حال تعاشر أهل الدنيا ، فظننت أنها بعض حماقاته ، فانصرفت فما لقيته زماناً ، ثم تشوقته ، فأتيته فاستأذنت عليه ، فأذن لى فدخلت ، فاذا هو قد أخذ قوصرتين وثقب إحداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص ، وثقب أخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السراويل ، فلما رأيته نسيت ما كان عندى من الغم عليه والوحشة لعشرته وضحكت والله ضحكا ما ضحكت مثله قط ، فقال لى : من أى شيء تضحك ؟

لا ضحكت ! فقلت : أسخن الله عينيك ! أى شىء هو ؟ مَنْ بلغك عنه أنه فعل مثل هذا من الأنبياء ، أو الزُّهاد ، أو الصحابة ، أو التابعين ، أو المجانين؟ انزع عنك هذا ياسخين العين ، فكأنه استحيا منى ، ثم بلغنى عنه أنه جلس حجاماً ، فجهدت أن أراه بتلك الحالة ، فلم أره ، ثم مرض فبلغنى أنه اشتهى أن أغنيه ، فأتيته عائداً ، فخرج إلى رسوله يقول : إن دخلت جَدَّدْتَ لى حزناً وتاقت نفسى إلى سماعك وإلى ما قد غلبتها عليه ، وأنا أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدى به .

وقيل لأبى العتاهية عند الموت : ما تشتهى ؟ فقال : أشتهى أن يجىء مخارق فيضع فمه على أذنى ثم يغنينى [من الطويل] :

ستعرضُ عن ودى وتنسى مودّتى ... ويحدثُ بعدى للخليل خليلُ
إذا ما انقضت عنى من الدهر مدّتى ... فانَّ غَنَاءَ الباكيات قليلُ

وحدّث محمد بن أبى العتاهية قال : آخر شعر قاله أبى فى مرضه الذى مات فيه [من الوافر] :

إلهى لا تعذبنى فإنى ... مقرٌّ بالذى قد كانَ منى
فما لىَ حيلةٌ إلا رجائى ... لعفوكَ إن عفوت وحُسْنَ ظنى
وكم مِنْ زَلةٍ لى فى الخطايا ... وأنت علىَّ ذو فضل ومَنّ
إذا فكرتُ فى ندَمى عليها ... عضضتُ أناملى وقرَعْتُ سنى
أُجنُّ بزهرة الدنيا جنوناً ... وأقطعُ طولَ عمرى بالتمنى
ولو أنى صدقتُ الزهدَ عنها ... قلبتُ لأهلها ظهرَ المِجَنِّ
يظنُّ الناسُ بى خيراً وإنى ... لَشَرُّ الناس إن لم تعف عنى

ومحاسنه كثيرة .

وكان الأصمعى يستحسن قوله [من مجزوء الرمل] :

أنتَ ما استغنيتَ عن صا حبكَ الدهرَ أخوهُ
فإذا احتجتَ إليه ساعةً مجّكَ فوهُ

وحدّث ابن الأنبارى أبو بكر ، قال : أرسلتْ زُبَيْدةُ أم الأمين إلى أبى العتاهية أن يقول على لسانها أبياتا بعد قتل الأمين يستعطف بها المأمون، فأرسل إليها هذه الأبيات [من الطويل] :

ألا إنّ صرف الدهر يُدْنِى ويُبْعِدُ ويُمتِعُ بالألاف طوراً ويفقدُ
أصابت بريبِ الدهر منى يدى يدِى فسلمتُ للأقدار وَاللهَ أحمدُ
وقلتُ لريب الدّهر: إنْ هلكَتْ يدٌ فقد بقيت والحمدُ لله لى يدُ
إذا بقى المأمونُ لى فالرّشيدُ لى ولى جعفرٌ لم يفتقد ومحمدُ

قال : فلما قرأها المأمون استحسنها وسأل عن قائلها ، فقيل له : أبو العتاهية فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعطف على زبيدة ، وزاد فى تكرمتها ، وقضى حوائجها جميعاً .

وحدث عمر بن أبى شيبة قال : مرّ عابدٌ براهب فى صومعة ، فقال له : عِظْنِى ، قال : أعظك وعليكم نزل القرآن ، ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم ؟ قلت : نعم ، قال : فاتعظ ببيت من شعر شاعركم أبى العتاهية حيث يقول [من الطويل] :

تجرّد من الدُّنيا فانّكَ إنما وقعْتَ إلى الدنيا وأنتَ مجرّدُ

ومن شعر أبى العتاهية قوله [من الكامل] :

بادر إلى اللذّات يوماً أمكنت بحلولهنّ بوادر الآفاتِ(١)
كم من مؤَخِّرِ لذةٍ قد أمكنتْ لغدٍ وليس غدٌ له بمُوَاتِ
حتى إذا فاتت وفاتَ طلابها ذهبت عليها نفسهُ حسرَاتِ

(١) فى الديوان (٤٩) « بادر إلى الغايات يوما أمكنت » وليس بشىء

تأتى المكارهُ حين تأتى جملةً وأرى السرور يجىء فى الفلتاتِ

ومنه قول بعضهم [من الخفيف] :

أىُّ شىء يكونُ أعجبَ أمراً إن تفكرتَ من صرُوف الزمانِ

عارضاتُ السُّرُور توزنُ فيه والبلايا تُكالُ بالقُفزانِ

ومن شعره أيضا قوله [من الكامل] :

وإذا انقضى هَمُّ امرىء فقد انقضى إنّ الهمومَ أشدُّهن الأحدثُ

ويومئ إلى هذا المعنى قوله أيضا ، وهو عجيب فى معناه [من الخفيف] :

إنما أنتَ طولَ عمرِكَ ما عمرتَ فى الساعة التى أنتَ فيها

ومن هذا قول من قال [من الرمل] :

وكما تبلَى وُجوهٌ فى الثرَى فكذا يبلَى عليهنّ الحزَنْ

ومن شعره أيضا قوله [من البسيط] :

كأنّ عائبكم يُبْدِى محاسنكمْ منكم فيمدحكمْ عندى فيغرينى

إنى لأعجبُ من حبّ يقرّبنى ممّا يباعدنى عنهُ ويقصِينى

ومثل الأول قول عروة بن أذينة [من السريع] :

كأنما عائبها جاهداً زيّنها عندى بتزيينِ

وكذا قول أبى نُوَاس [من السريع] :

كأنهم أثنَوْا ولم يعلمُوا عليكَ عندى بالذى عابوُا

وقال أبو العتاهية لابنته رقية فى علته التى مات فيها : قومى يا بنية ، فارثى أباك واندبيه بهذه الأبيات ، فقامت ، فندبته بقوله [من الكامل] :

لَعِبَ البلاَ بمعالمى ورسومى وقُبِرْتُ حياً تحتَ ردمِ همومى

لزمَ البلاَ جسمى فأوهى قوّتى إنّ البلاَ لموكَّلٌ بلزومى

وكان مولده سنة ثلاثين ومائة ، و وفاته فى يوم الاثنين ، لثمانٍ من جمادى الأولى ، وقيل : لثلاث من جمادى الآخرة ، سنة إحدى عشرة ومائتين، وقيل: سنة ثلاث عشرة ، ودفن حيال قنطرة الزياتين فى الجانب الغربى ببغداد ، وأَمَرَ أن يكتب على قبره [من الخفيف] :

إنَّ عيشاً يكونُ آخرُهُ المو ت لَعَيشٌ معجَّلُ التنغيصِ

وقيل : أوصى أن يكتب عليه [من مجزوء الخفيف] :

أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعِي واسمعى ثم عِى وَعِى
أنا رهنٌ بمضجعى فاحذروا مثل مَصْرَعى
عشت تسعين حِجةً أسلمتْنى لمضجعى
كم ترى الحى ثابتاً فى ديار التزعزُع
ليس زادٌ سوى التقى فخذى منه أو دَعِى

ولما مات رثاه ابنه محمد فقال [من مجزوء الخفيف] :

يا أبى ضَمَّكَ الثرى وطوى الموتُ أجمعَكْ
ليتنى متُّ يوم صرْ ت إلى حفرة معك
رحم الله مصرعك بَرَّدَ الله مضجعك

***

شاهد التفريق

١٢٦ — ما نوالُ الغمام وَقْتَ رَبيعٍ كنوالِ الأمير يوم سخاءِ
فنوالُ الأمير بدْرَةُ عَينٍ ونوالُ الغمام قَطْرَةُ ماءِ

البيتان لرشيد الدين الوَطْوَاط الشاعر، من الخفيف

والنوال : العطاء، والبدرة : كيس فيه ألف دينار ، أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار ، والعين هنا: المال

والشاهد فيهما : التفريق، وهو: إيقاع تباين بين أمرين من نوع فى المدح أو فى غيره ، فمن ذلك قول بعضهم [من الوافر] :

من أمثلة التفريق

حسبْتُ جمالَهُ بدراً منيراً   وأين البدر من ذاك الجمال

وقول الآخر [من مخلع البسيط] :

قاسوك بالغصن فى التَّثَنِّى   قياسَ جهلٍ بلا انتصاف
هذاك غصن الخلاف يُدْعَى   وأنت غصن بلا خلاف

وما أحسن قول الموصلى مع تسمية النوع [من البسيط] :

قالوا هو البحر والتفريق بينهما   إذ ذاك غَمٌّ وهـذا فارق الغُمَمِ

وقد تلاعب الشعراء بمعنى البيتين المستشهد بهما ، فللوأواء الدمشقى [من المنسرح] :

مَنْ قاس جَدْوَاكَ بالغمام فما   أنصف فى الحكم بين شكلين
أنت إذا جُدْتَ ضاحك أبداً   وهو إذا جاد باكى العين

ولبعضهم فيه أيضا وأجاد جداً [من المجتث] :

من قاس جَدْوَاكَ يوماً   بالسُّحْب أخطأ مدحك
السحبُ تعطى وتبكى   وأنت تعطى وتضحك

ولأبى الفتح البُسْتِى وأجاد [من الكامل] :

يا سيد الأمراء يا مَنْ جُودُهُ   أَوْفَى على الغيث المُطِير إذا هَمَى
الغيثُ يعطى باكيا متجهِّماً   ونراك تعطى ناضراً متبسما

ومثله لأبى منصور البوشنجى [من الوافر] :

وذلكَ ضاحكٌ أبداً بجودٍ   وَجودكَ ليس يمطرُ غيرَ باكى

وقول الأديب يعقوب النيسابورى ، فى الأمير أبى الفضل الميكالى ، [من الطويل] :

رأيتُ عُبيدَ الله يضحكُ معطياً ... ويبكي أخوهُ الغيثُ عندعطائهِ
وكم بين ضَحَّاكٍ يجودُ بمالهِ ... وآخرَ بكَّاءٍ يجودُ بمائهِ

ولشرفْ الدين السنجاري في معناه [من الكامل] :

ماقستُ بالغيث العطايا منكَ إذ ... يبكي وتضحكُ أنت إذ تُولي النّدَا
وإذا أفاض على البرية جودَهُ ... ماءً تفيضُ لنا يمينك عسجداً

وما أبدع قول البديع الهمذاني ، مع زيادة المعنى ، والمبالغة في الغلوّ [من البسيط] :

يكادُ يحكيكَ صوبُ الغيث منسكباً ... لو كان طَلْقَ المحيَّا يمطرُ الذهبَا
والدهرُ لولم يخنْ والشمسُ لونطقتْ ... والليثُ لولم يُصَدْ والبحرُ لوعَذُبَا

وقول ابن بابك يمدح نظام الملك [من الطويل] :

يقولونَ إنّ المزن يحكيك صوبهُ ... مجاملةً ها قد شهدت وَغابَا
وكم عزمةٍ عمّ البريةَ بؤسها ... فهل ناب فيها عن نداك مَنابَا
همّتْ ذهبا فيها يداك عليهمُ ... وضنت يداه أن ترشّ ذهابَا

وقول ابن اللبانة في المعتمد على الله بن عباد [من الطويل] :

سألتُ أخاهُ البحر عنه فقال لِي ... شقيقي إلا أنه الباردُ العذبُ
لنا دِيمتَا ماء ومال ، فديمتي ... تماسَكُ أحياناً وديمتهُ سَكْبُ
إذا نشأت برِّية فله الندَى ... وإن نشأت بحرية فلى السحبُ

وينظر إلى معاني ما مر ولم يكن بعيدا منها قول بعضهم [من الخفيف] :

يا عيونَ السماء دمعُكِ يفنى ... عن قريب وما لدمعي فناء
أنا أبكي طوعاً وتبكين كرهاً ... ودموعي دِماً ودمعك ماء

ولم أقف على ترجمة الوطواط (١) الشاعر، لكن رأيت ابن فضل الله ذكره في المسالك في معرض تراجم فأثبتُّ ما رأيته، قال في ترجمة الشمس بن دانيال إنه كان بينه وبين الوطواط ما يكون بين الأدباء، ويدب بين الأحباء، فعرضت للوطواط رمدة تكدر بها صفيحه، وتكنى له فيها صريحه، فقيل له: لو طلبت ابن دانيال، فقال: ذاك لا يسمح بذرة، يعني من كحله. فبلغ ابن دانيال فقال في ذلك [من الطويل]:

ولم أقطع الوطواط بُخْلاً بِكَحْلِهِ ... ولا أنا من يعييه يوماً تردد

ولكنه ينبو عن الشمس طرفه ... فكيف به لي قدرة وهو أرمد

وقال في ترجمة شافع بن علي بن عباس الكاتب، ومن قوله في الوطواط الشاعر [من الخفيف]:

كم على درهم يلوح حراماً ... يالئيم الطباع سراً تواطي

دائماً في الظلام تمشي مع النا ... س، وهذي عوائد الوطواط

وقوله فيه [من السريع]:

قالوا نرى الوطواط في شدة ... من تعب الكد ومن ويل

فقلت هذا دأبه دائما ... يسعى من الليل إلى الليل

ثم إني رأيت المرحوم الجلال السيوطي ذكره في طبقات النحاة، فقال: محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن مردويه بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه،

---

(١) اقرأ خبرا عن الرشيد الوطواط في معجم الأدباء لياقوت (١ - ١٠٣ مصر) واقرأ له ترجمة في المعجم أيضا (١٩ : ٢٩-٣٦) وعنها نقل السيوطي ما ذكره المؤلف عنه فيما بعد

المعروف بالرشيد الوطواط(١) قال ياقوت : كان من نوادر الزمان وعجائبه ، وأفراد الدهر وغرائبه ،أفضل أهل زمانه فى النظم والنثر ، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب ، وأسرار النحو والأدب ، طار فى الآفاق صيته، وسار فى الأقاليم ذكره ، وكان ينشىء فى حالة واحدة بيتا بالعربية من بحر و بيتا بالفارسية من آخر ، ويمليهما معا ، وله من التصانيف «حدائق السحر، فى دقائق الشعر » أسفاره رسالة بالعربى ورسالة بالفارسى، وغير ذلك ، مولده ببلخ ، ومات بخوارزم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

فتبين بهذا أن الذى ذكرناه أولا ليس هو

ومن رسائله ما كتبه إلى العلامة جار الله الزمخشرى ، ليستأذنه فى حضور مجلسه والاستفادات من سؤالاته [من الطويل] :

لقد حاز جار الله دام جماله فضائل فيها لا يشق غُبَاره
تجدَّدَ رسم الفضل بعد اندراسه بأيام جار الله فالله جاره (٢)

أنا منذ لفظتنى الأقدار من أوطانى ، ومعاهد أهلى وجيرانى ، إلى هذه الخطة التى هى اليوم بمكان جار الله ، أدام الله جماله جنّةً للكرام ، وجُنّةً من نكبات الأيام ، كانت قصوى منيتى ، وقصارى بغيتى ، أن أكون أحد الملازمين لسدته الشريفة التى هى مجثم السيادة (٣) ومُقَبَّلُ أفواه السادة ، فمن ألقى بها عصاه، حاز فى الدارين مناه ، ونال فى المحلين مبتغاه ، ولكن سوء التقصير ، أو مانع التقدير ، حرمنى (٤) مدةً تلك الخدمة ، وحرم تلك النعمة ، والآن أظن وظن المؤمن لا يخطىء أن آفل جَدِّى هَمَّ بالاشراق ، وذابل إيراق

(١) فى معجم الأدباء « رشيد الدين المعروف بالوطواط »
(٢) فى المعجم « بآثار جار الله »
(٣) فى المعجم «مخيم السيادة » وكلاهما صحيح له وجه .
(٤) هذه الكلمة لاتوجد فى المعجم .

تحرك للايراق (١) ، فقد أجد فى نفسى نورا مجددا يهدينى إلى جنته ، ومن شوقى داعيا موفقا يدعونى إلى عتبته ، ويقرع سمعى كل ساعة لسان الدولة (٢) أنِ اخلع نعلك ، واطرح بالواد المقدس رحلك ، ولا تحفل بقصد قاصد (٣) ، وحسد حاسد ، فان حضرة جار الله أوسع من أن تضيق على راغب فى فوائده ، وأكرم من أن تستثقل (٤) وطأة طالب لعوائده ، ومع هذا أرجو إشارة تصدر عن مجلسه المحروس ، إما بخطه الشريف ، فان فى ذلك شرفاً لى يدوم مدى الدهر والأيام ، وفخراً يبقى على مر الشهور والأعوام ، وإما على لسان مَنْ يُوثق بصدق مقالته ، ويعتمد على تبليغ رسالته ، من المنخرطين فى سلك خدمته ، والراتعين فى رياض نعمته ، ورأيُهُ فى ذلك أعلى وأصوب .

وكتب إليه يهنئه بالعيد : الأعياد ـ عرّفَ الله سيدنا جار الله بركة قدومها وورودها ، وجعل له الحظ الأكمل والقسط الأجزل من ميامنها وسعودها ! ـ فرائدُ قلائدِ الأيام ، وغرر جبهات الأعوام ، لكنها راحلة لا تقوم ، وزائلة لا تدوم ، ولقاء جار الله ـ أدام الله مجده لنا معشر خدمه ، والمرتضعين دَرّ فضله وكرمه ـ عيدٌ لا زال العيد له كتصحيفه (٥) باقية محاسنه ، دائمة ميامنه ، يهدى كل ساعة إلى أبصارنا نوراً ، وإلى أرواحنا راحة وسروراً ، فكيف نهنىء عيداً هذه حاله ، بعيد لا يؤمن زواله [من الطويل] :

---

(١) الذى فى المعجم « وذابل إقبالى أقبل على الايراق »

(٢) فى المعجم « لسان الهيبة »

(٣) فى المعجم « ولا تحفل بحقد حاقد »

(٤) فى الأصول « وأكرم من أن تستثقل من وطأة » وما أثبتناه موافق لما فى معجم ياقوت

(٥) يريد لازال العيد له عبدا .

أنى العيدُ جارَ الله وهو مجدِّدٌ بخدمته عهدَ المهيمن تجديدا
فلستُ بعيدٍ لا يدومُ مهنئاً لصدر محياه يدومُ لنا عيدا

* * *

شاهد التقسيم

١٢٧ — ولا يقيمُ على ضَيْمٍ يرادُ بهِ
إلا الأذلانِ عَيْرُ الحي والوَتِدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ برُمَّتِهِ وذَا يُشجُّ فلا يَرْثِي له أحدُ

البيتان من البسيط ، وقائلهما المتلمس من أبيات(١) ، وهي :

إنَّ الهوانَ حمارُ الأهل يعرفهُ والحر ينكرهُ والرسلة الأُجُدُ(٢)
كونُوا كَسَامَةَ إذ ضنك منازلهُ إذ قيل جيشٌ وجيشٌ حافظٌ عتدُ(٣)
شدَّ المطية بالأنْسَاعِ فانحَرَفَتْ عَرضَ التَّنُوفَةِ حتى مسها النَّجَدُ(٤)
كونوا كبكر كما قد كان أولكم ولا تكونوا كعبد القيس إذ قعدُوا
يُعْطُونَ ما سئلوا والبحرُ محتدُهم كما أكبَّ على ذى بَطْنِهِ الفهدُ(٥)

---

(١) اقرأ هذه الأبيات مع أبيات أخرى فى شعراء النصرانية (٣٤٣) .

(٢) فى شعراء النصرانية « حمار القوم يعرفه » ومعنى يعرفه : يصبر له ويقبله . والرسلة : الناقة السهلة السير ، والأجد : الموثقة الخلق من النوق .

(٣) فى المرجع المذكور « إذ شمعف منازله » وفيه « وجيش حافظ رصد » .

(٤) الأنساع : جمع نسع ، وهو ما يشد به رحل البعير ، وانحرفت : أسرعت فى سيرها . والتنوفة : الفلاة ، والنجد : العرق والكرب .

(٥) فى المرجع المذكور « والخط منزلهم » مكان « والبحر محتدهم » والخط : مرفأ تنسب إليه الرماح فيقال لها : الخطية ، وهو من منازل عبد القيس .

وبعده البيتان ، وبعدهما قوله :

وفى البلاد إذا ما خِفْتَ ثائرة مشهودة عن وُلاة السوء تنتقدُ(١)

والضيم : الظلم ، والعير ، بفتح المهملة : الحمار ، وغلب على الوحشى ، والمناسب هنا : الأهلى ، والخَسْفُ : النقيصة ، والاذلال : تحميل الانسان ما يكره ، وحبس الدابة بلا علف ، والرمة — بضم الراء ، وتكسر — قطعة من حبل ، والشج : الكسر والدق ، والاستثناء فى « إلا الأذلان » استثناء مُفَرَّغ وقد أسند إليه فعل الاقامة فى الظاهر ، وإن كانَ مسندا فى الحقيقة إلى العام المحذوف .

والشاهد فيهما : التقسيم ، وهو : ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكلٍّ إليه على التعيين ، فانه ذكر العير والوتد ، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف ، وإلى الثانى الشج ، على التعيين

وممـا ورد فى التقسيم قول زهير بن أبى سلمى السابق فى شواهد الايجاز والاطناب [من الطويل] : من أمثلة التقسيم

وأعلم علم اليومِ والأمْس قبلهُ ولكننى عن علم ما فى غدٍ عَمِي

وقد نقل أبو نُوَاس هذا التقسيم من الجد إلى الهزل فقال [من المنسرح] :

أمرُ غدٍ أنتَ منهُ فى لَبْسِ وأمس قد فاتَ فالهُ عن أمْسِ

وإنما الشأنُ شأنُ يومكَ ذا فبَاكِرِ الشمس بابنةِ الشمسِ

وقد نقله بعضهم أيضا ، فقال [من الطويل] :

تمتع من الدنيا بِساعتكَ التى ظفرتَ بها مالم تَعُقْكَ العوائقُ

---

(١) فى المرجع المذكور :

وفى البلاد إذا ما خفت نائرة مشهورة عن ولاة السوء مبتعد

فلا يومكَ الماضى عليكَ بعائدٍ ولا يومكَ الآتى به أنت واثقُ

ومن التقسيم قول بشار بن برد [من الطويل] :

وراحوا فريقٌ فى الاسارِ، ومثلهُ قتيلٌ، ومثلٌ لاذ بالبحر هاربُهْ

ومثله قول الصفى الحلى [من البسيط] :

أفنى جيوش العدا غزواً فلست ترى سوى قتيلٍ ومأسورٍ ومنهزمِ

وهو مأخوذ من قول عمر بن الأيهم [من الخفيف] :

اشربا ما شربتما فهُذَيلٌ من قتيلٍ أو هاربٍ أو أسيرِ

ومنه ، وزعم قومٌ أنه أفضل بيت وقع فيه تقسيم ، قولُ نصيب [من الطويل] :

فقالَ فريقُ القوم : لاَ ، وفريقهم نعم ، وفريقٌ أيمنُ الله ما ندرى

وزعم أبو العيناء أن خير تقسيم قول عمر بن أبى ربيعة [من الطويل] :

تهيمُ إلى نعم فلا الشملُ جامعٌ ولا الحبلُ موصولٌ ، ولا القلبُ مُقْصِرُ

ولا قربُ نعم إن دَنت لكَ نافعٌ ولا نأيها يُسلِى ولا أنت تصبرُ

واختار آخرون قول الحارثى ، وقالوا : إنه أفضل [من الطويل] :

فلا كمدى يفنى ولا لكِ رقةٌ ولا عنك إقصارٌ ولا فيكِ مطمعُ

وبديع قول الأمير السليمانى [من الطويل] :

وصلتَ فلما أن ملكْتَ حُشاشتى هجرت فجد وارحم فقد مسنى الضرُّ

فليت الذى قد كان لى منكَ لم يكنْ وليتكَ لا وصلٌ لديكَ ولا هجرُ

فلا عَبْرَتِى ترقا ولا فيكَ رقة ولا منك إلمام ولا عنكَ لى صبرُ

وقد ألم بنحو هذا التقسيم الشهابُ محمود حيث قال [من المتقارب] :

وإنى لفى نظرى نحوها وقد ودّعتْنِى قُبيْلَ الفراقِ

ولا صبرَ لى فأطيقَ الهوى ولا طمعٌ إن نأت فى اللحاق

ولا أملٌ يرتجى فى الرجوع ولاحكم فى ردّ تلك النياقِ
كمُضْنًى يودّعُ رُوحاً غدت يَراها على رغمه فى السِّياقِ

ومن مليح التقسيم قول داود بن مسلم [من السريع] :

فى باعه طولٌ ، وفى وجههِ نورٌ ،وفى العِرْنينِ منه شممْ

وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم فى الشعر وكان معجبا بقول العباس ابن الأحنف [من الطويل] :

وصالكم صرمٌ، وحبكم قِلًى، وعطفكم صدٌّ،وسلمكم حربُ

وَيقول: أحسن والله فيما قسم حيث جعل حيال كل شىء ضده ، والله إن هذا التقسيم لأحسن من تقسيمات إقليدس.

ومن جيد التقسيم قول أبى تمام [من الطويل] :

فما هو إلاّ الوحى أوحدُّ مرهفٍ تميلُ ظُباهُ الحدَّ عن كل مائلِ
فهذا دواء الداء من كل عالمٍ وهذا دواء الداء من كل جاهلِ

وذكر الجاحظ أن قتيبة بن مسلم لما قدم خراسان خطب الناس ، فقال : من كان فى يده من مال عبدالله بن حازم شىء فلينبذه، وإن كان فى فمه فليلفظه، وإن كان فى صدره فلينفثه ، قال : فعجب الناس من حسن مافصَّلَ وقَسَّم .

و وقف أعرابى على حلقة الحسن ، فقال : رحم الله من تصدق من سعة، أو واسى من كفاف، أو آثر من قوت .

ولقد أجاد ابن حيُّوس فى التقسيم بقوله [من الطويل] :

ثمانيةٌ لم تفترق مُذْ جمعتها فلا افترقت ماذبَّ عن ناظرٍ شفْرُ
ضميرُك والتقوى، وكفك والندى، ولفظك والمعنى ، وسيفك والنصرُ

وما أحسن قول أبى ربيعة المخزومى(١) [من الطويل] :

وهبْهَا كشىء لم يكن أو كنازحٍ عَنِ الدار أو مَنْ غيَّبَتْهُ المقابرُ

(١) كذا

وعجيبٌ هنا قول أبى تمام فى مجوسى أحرق فى النار [من الكامل]:

صَلَّى لها حيًّا، وكان وقودَها ميتاً، ويدخلها مع الفجّارِ

وما أعذب قول الشيخ شرف الدين بن الفارض [من الطويل]:

يقولون لى صِفْهَا فأنتَ بوصفها خبيرٌ، أجلْ عندى بأوصافها علمُ
صفاءٌ ولاماءٌ ولُطْفٌ ولا هوًى ونورٌ ولانارٌ، وروحٌ ولاجسمُ

وقول محمد بن دراج القسطلى وأجاد [من الطويل]:

عطاءٌ بلا منٍّ، وحكمٌ بلا هوًى وملكٌ بلا كبرٍ، وعزٌّ بلا عُجْبِ

وقول الآخر أيضاً [من الطويل]:

بَنِى جعفرٍ أنتم سماء رياسةٍ مناقِبكمْ فى أفقها أنجمٌ زهرُ
طريقتكمْ مثلى، وهديكمُ رضًى ومذهبكم قصدٌ، ونائلكم غَمْرُ
عطاءٌ ولامنٌّ، وحكمٌ ولاهوًى، وحلمٌ ولا عجزٌ، وعزٌّ ولا كبرُ

وبديعٌ قول بعضهم أيضا [من البسيط]:

قوسٌ ولاوترٌ، سهمٌ ولاقودٌ عينٌ ولا نظر، نحلٌ وَلاعسلُ

وقول بعضهم أيضاً [من الطويل]:

تسربلَ وَشْياً من خزُوزٍ تطرَّزتْ مطارفها طرزاً من البَرْقِ كالتبرِ
فوشىٌ بلا رقمٍ، ورقمٌ بلا يدٍ، ودمعٌ بلا عينٍ، وضحكٌ بلا ثغرِ

وقول الرستمى [من الطويل]:

فتىً حازَ رقَّ المجدِ من كل جانبٍ إليهِ وخَلَّى كاهلَ الشكرِ ذَا ثقْلِ
بِعفوٍ بلا كدٍّ، وصفوٍ بلاقذًى ونقدٍ بلا وعدٍ، ووعدٍ بلامَطْلِ

وماأشرف قول ابن شرف [من الطويل]:

لمختلق الحاجاتِ جمعٌ ببابهِ فهذا لهُ فنٌّ وهذا لهُ فنُّ
فللخاملِ العلياءَ، وللمعدمِ الغنىَ وللمذنب العتبى، وللخائفِ الأمنُ

وقول بعضهم أيضاً [من الكامل] :

نرجو سُلُوا فى رسُوم بَيْنها الأغصانُ سكْرَى والحمامُ متيَّمُ

هذى تميلُ إذا تنسَّمتِ الصبا والورقُ تذكرُ شجوَها فترنَّمُ

ولابن جابر الأندلسى [من المتقارب] :

لقد عطفتنى على حبِّها بوجهٍ تبدَّى على عطفهِ

فهذا هو البدرُ فى أفقهِ وهذا هو الغصنُ فى حقفهِ

ولأبى الحسين الجزار [من الوافر] :

وزيرٌ ما تقلَّد قطُّ وزراً ولا داناهُ فى مثوى أنامُ

وجُلُّ فعالهِ صاداتُ برّ صِلاتٌ أو صلاةٌ أو صيامُ

ولشيخ شيوخ حماة [من المتقارب]:

لنا ملكٌ واجدٌ ما اشتهى ولكنَّهُ لم يجدْ مثلَهُ

ملاذى به ومثولى لديهِ وميْلى إليه ومدْحى لهُ

ومثله قول بعضهم مجوناً [من الخفيف]:

وبديعُ الجمالِ معتدلُ القا مةِ كالغصنِ حنَّ قلبى إليهِ

أشتهى أن يكونَ عندى وفى بيْـتى وبعضى فيهِ وكلِّى عليهِ

ومن المضحك فيه قول السراج الوراق [من مجزوء الوافر] :

رأتْ حالى وقدْ حالتْ وقد غال الصبَا فوْتُ

فقالتْ إذ تشاجرْنا ولم يُخفَضْ لنا صوْتُ

أشيخ مفلسٌ يهوَى ويَعْشقُ فاتكَ الفوْتُ

فلا خيرٌ ولا ميرٌ ولا إيرٌ فذا موْتُ

ولطيف قول بعضهم [من الطويل] :

وفى أربع منى حلَتْ منكَ أرْبَعٌ فما منهُ أدرى أيُّها هاجَ لى كرْبى

أوجْهُكَ فى عينى أم الرِّيقُ فى فمى أم النطقُ فى سمعى أم الحبُّ فى قلبى

وقد سمع يعقوب بن إسحاق الكندى هذا فقال : هو تقسيم فلسفى

وقد أخذه الحمانى العلوى فجعله خمسة فقال [من الطويل] :

وفى خمسةٍ منى حلَتْ منك خمسةٌ فريقكَ منها فى فمى طَيِّبُ الرَّشْف

ووجهكَ فى عينى ولمسكَ فى يدى ونُطْقكَ فى سمعى وعَرْفُكَ فى أنفى

ترجمة المتلمس

والمتلمس (١) اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعى (٢) ، وهو أحد الثلاثة المقلين الذين اتفق العلماء بالشعر على أنه أشعرهم ، وهم المتلمس ، والمسيب بن علَس وحصين بن الحمام ، ولقب بالمتلمس لقوله [من الطويل] :

وذاكَ أوانُ العِرْض طَنَّ ذبابهُ زنابيرُهُ والأزرق المتلمسُ (٣)

وكان هو وَطَرَفَة بن العبد يتنادمان مع عمرو بن هند ملك الحيرة وكان سىء الخلق شديده ، وكان قد حرق من تميم مائة رجل فهَجَوْه وكان مما هجاه به المتلمس قوله [من الكامل] :

إن الخيانةَ والمغالةَ والخنا والغَدْرَ نترُكه ببلدةِ مُفْسِدِ (٤)

---

(١) تجد للمتلمس ترجمة فى الشعر والشعراء لابن قتيبة (٨٥—٨٨) وفى الأغانى (٢١ : ١٢٠—١٣٧) وفى شعراء النصرانية (٣٣٠)

(٢) فى الأصول « الضبيعى » وهو تحريف ما أثبتناه ، وهو أحد بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار

(٣) العرض : الوادى . ويروى « جن ذبابه » ويروى «حن ذبابه» وعنى بالأزرق المتلمس الذباب الأخضر ، وأصله من قولهم : تلمس فلان الحاجة ، إذا طلبها سراً ، وكانه يبحث عنها بيده فيمسها

(٤) فى الأصول «إن الخيانة والمقالة » وهو تحريف ما أثبتناه، والمغالة ـ بالغين المعجمة ـ الغيلة، وهى القتل خفية

ملكٌ يلاعبُ أمهُ وقطينها ... رِخْوُ المفاصل بطنُهُ كالمزْوَدِ
فاذا حلَلتُ فدُونَ بيتى غارةٌ ... فابرُقْ بأرْضِك مابدالكَ وارْعدِ (١)

وهجاه طرفة بما تقدم فى ترجمته فى شاهد التكميل ، فاستحيا أن يقتلهما بحضرته و بينه و بينهما إدلال المنادمة ، فكتب لهما صحيفتين وختمهما لئلا يعلما ما فيهما ، وهو أول من ختم الكتاب ، وقال لهما : اذهبا إلى عاملى بالبحرين فقد أمرته أن يصلكما بالجوائز ، فذهبا فمرا فى طريقهما بشيخ يُحْدِث ويأكل من خبز بيده ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه ، فقال المتلمس : ما رأيت شيخاً كاليوم أحمق من هذا ، فقال الشيخ : ما رأيت من حمقى ، أخرج الداء ، وأدخل الدواء ، وأقتل الأعداء ، ويروى : أطرح خبيثاً ، وأدخل طيباً ، وأقتل عدوا ، أحمق والله منى من يحمل حتفه بيده ، فاستراب المتلمس بقوله ، فطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب العرب ، فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففك حينئذ الصحيفة فاذا فيها « إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا » فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك فان فيها مثل هذا ، فقال طرفة : كلا لم يكن ليجترىء على ، وكان غرا صغير السن ، فقذف المتلمس بصحيفته فى نهر الحيرة وقال [من الطويل] :

قَذَفْتُ بها بالثنى من جَنْبِ كافرٍ ... كذلك أُقنى كلَّ قِطٍّ مُضَلّلِ (٢)

---

(١) وقع فى شعراء النصرانية (فدون بيتى غاوة) بالواو ، وفسرها بأنها قرية قرب حلب.

(٢) الثنى : منعطف النهر ، وكافر : اسم لنهر الحيرة ، وأقنى - بضم همزة المضارعة - بمعنى أحفظ ، والقط - بكسر القاف - الكتاب ، وكأنه يقول : لا أحفظ الكتاب الذى يضلنى إلا بقذفه فى النهر ، ويروى « أقنو » بفتح همزة المضارعة ، وروى « كذلك ألقى »

رضيتُ بها لما رأيتُ مدادها   يجولُ به التيّارُ فى كل جَدْوَلِ

وأخذ نحو الشام وقال : (١) [من الكامل] :

أَلْقَى الصحيفةَ كى يخفِّفَ رحلَهُ   والزَّادَ حتى نعلَهُ ألقاها

يريد أنه تخفف للفرار وألقى ما يثقل وما لا بد للسفر منه .

وأما طرفة فانه وصل إلى البحرين وقتل كما مر فى ترجمته ، وهلك المتلمس فى الجاهلية ، وقال ابن فضل الله فى حقه : هو رجل نبيه الذكر ، معروف بصحة الفكر ، وهو الذى يضرب المثل بصحيفته ، ومن شعره [من الطويل] :

ألم تَرَ أن المرءَ رَهْنُ منيةٍ   صَرِيعاً لعافى الطيرِ أو سوفَ يُرْمَسُ

فلا تقبلَنْ ضَيْماً حِذارَ منيةٍ   ومُوتَنْ بها حُرّاً وجلدُكَ أملسُ(٢)

فمن حذر الأوتار ما حزَّ أنفَهُ   قصيرٌ وخاضَ الموتَ بالسيف بيهسُ

وما الناس إلا ما رأوا وتحدثوا   وما العجز إلا أن يُضاموا فيجلسوا

فان تُقْبِلوا بالود نُقْبِلْ بمثله   وإلاّ فانا نحن آبى وأشمسُ

ومن شعره أيضا [من الطويل] :

تعيرنى أمى رجال ولا أرى   أخا كَرَمٍ إلا بأن يتكرَّما(٣)

---

(١) المعروف عند النحاة أن هذا البيت من كلام أبى مروان النحوى يقوله فى قصة المتلمس .

(٢) يروى « مخافة ميتة » فى مكان « حذار منية » ووقع فى الأصول « وموتن بها واحيا » وهو تحريف رواية أخرى وصوا بها « واحين » أمر من الحياة مؤكد بالنون الخفيفة فياؤه مفتوحة .

(٣) فى الأصول « تعيرنى أمى رجالا » وهو تحريف مفسد للمعنى ، فان مقصوده أن يقول : يعيرنى بأمى رجال .

أحارِثُ إنَّا لو تُساط دماؤُنا تزيَّلْنَ حتى لا يمسُّ دمٌ دما(١)

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا وما عُلِّمَ الانسانُ إلا ليعلَمَا

وما كُنتُ إلا مثلَ قاطع كفه بكفٍّ له أخرى فأصبح أجذَمَا

يداه أصابتْ هذه حتفَ هذه فلم تجدِ الأخرى عليها مقدَّمَا

فأطْرَقَ إطراقَ الشُّجاعِ ولو يرى مساغاً لنابيه الشُّجاعُ لصمما(٢)

إذا ما أديمُ القومِ أنهجَهُ البِلَى تفرَّى وإن كتَّبْتَهُ وتخرما

ومما يتمثل به من شعره قوله [من الوافر] :

وأعلم عِلم حقٍّ غير ظنٍّ لَتقوَى الله مِنْ خيرِ العتَادِ

وَحِفظُ المالِ خيرٌ مِن ضَياعٍ وضَرْبٍ في البلادِ بغيرِ زادِ

وإصلاحُ القليلِ يَزيدُ فيه ولاَ يبقى الكثيرُ مَعَ الفَسادِ(٣)

وهذه الأبيات من قصيدة له مطلعها :

صَبَا من بَعدِ سلوتِهِ فؤادى وأسمَحَ للقَرِينةِ بالقِيادِ

وقد ضمنه بعضهم فى الهجاء فقال [من الوافر] :

يُحصِّنُ زادَهُ عن كلِّ ضِرْسٍ ويُعملُ ضِرسَهُ فى كلِّ زادِ

ولا يَرْوِى منَ الأشعارِ شيئا سِوى بيتٍ لأبْرَهةَ الإيادى

قليلُ المالِ تُصلحهُ فيبقى ولا يبقى الكثيرُ معَ الفَسادِ

---

(١) فى الأصول «لو تساقط» وهو تحريف ما أثبتناه ، وتساط - بالسين مهملة - أى تخلط ، ويقع فى بعض الأمهات « تشاط » بالشين معجمة - ومعناه تهدر ، وتزيلن : أى تميزن وانفصل دمى عن دمك لأن دم الملوك لا يختلط بدم السوقة ، ويروى « تزايلن » وهى بمعنى تزيلن

(٢) يروى النحاة هذا البيت « ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما » .

(٣) يروى صدر هـذا البيت « قليل المال تصلحه فيبقى » كما سيقول المؤلف بعد .

وشطر هذا البيت رواية فى شطر البيت السابق ، وأخذه ابن وكيع فقال [من مجزوء الكامل] :

مالٌ يُخلفهُ الفتى للشامتينَ منَ العِدَا
خيرٌ له مِنْ قَصْده إخوانهُ مُسْتَرْفِدا

ويقال : إن حاتما الطائى لما سمع قول المتلمس هذا قال : ماله قطع الله لسانه يحمل الناس على البخل والتباخل ، ألا كان يقول [من الطويل] :

وما البذْلُ يُفنى المالَ قبلَ فنائِه ولا البُخلُ فى مال الشحيح يَزِيدُ
فلاَ تلتَمِسْ فَقْراً بِعيْش فإنهُ لكلِّ غدٍ رِزْقٌ يَعُودُ جديدُ
أَلم تدْرِ أنَّ المالَ غادٍ ورَائحٌ وأنَّ الّذِى يُعطيك ليْسَ يبيدُ

انتهى .

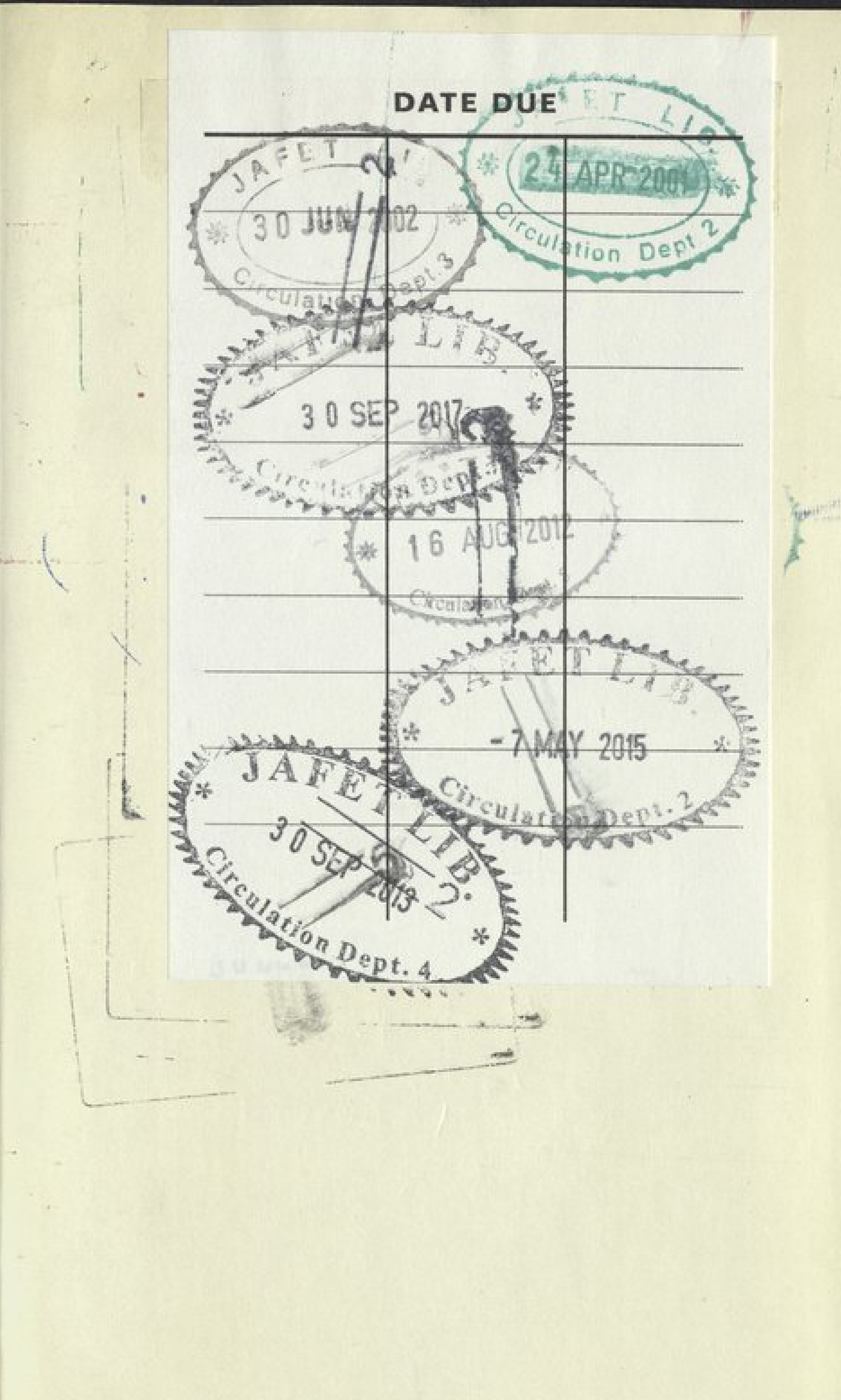
وقد قال البلغاء فى معنى الأول : إن فى إصلاح مالك جمال وجهك ، وبقاء عزك ، ونقاء عِرضك ، وسلامة دينك ، وطيبَ عيشك ، وبناء مجدك ، فأصلحه إن أردت هذا كله ، وفى المثل «احفظ مافى الوعاء ، بشد الوكاء» يضرب فى الحث على أخذ الأمر بالحزم ، وقيل : من أصلح ماله فقد صان الأكرمين الدين والعِرض وقيل: التدبير يثمر التيسير ، والتبذير يبدد الكثير ، ولا جود مع تبذير ، ولا بخل مع اقتصاد ، والاعتدال فى الجود ، أحسن من الاعتداء على الموجود ، والرزق مقسوم محدود ، فمرزوق ومحدود(١) والله أعلم بالوجود

***

قدتم ـ بحمد الله تعالى وعونه ـ الجزء الثانى من « معاهد التنصيص» ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الثالث ، مفتتحا بشواهد الجمع مع التفريق ، نسأله ـ سبحانه ـ الاعانة على إكماله ، والتوفيق إلى إتمامه .

---

(١) محدود الأول من الحد بمعنى تحديد الشىء بنهاية يقف عندها لا يتجاوزها ، ومحدود الثانى بمعنى الذى لاحظ له ولا بخت .


DATE DUE
JAFET LIB.
30 JUN 2002
Circulation Dept.3
24 APR 2001
Circulation Dept 2
30 SEP 2017
16 AUG 2012
-7 MAY 2015
Circulation Dept. 2
30 SEP 2013
Circulation Dept. 4

